

إِظْهَارُ الْعَصْرِ لِأَشْرَارِ أَهْلِ الْعَصْرِ

تاريخ البقاعي

القسم الثالث

محرم ٨٦٣ هـ - ذي الحجة ٨٦٥ هـ

تأليف

إبراهيم بن عبد البقاعي

٨٠٩ - ٨٨٥ هـ = ١٤٠٦ - ١٤٨٠ م

دراسة وتحقيق

الدكتور محمد سالم بن شديد العوفي

الأستاذ المشارك

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - بالرياض

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إظهار العجز لأهل العجز

نارخ البقاعي

حقوق الطبع محفوظة للمحقق

الطبعة الأولى

١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

وفي يوم الخميس ثاني محرم سنة ثلاثٍ وستين وثمانمائة ، خُلع على الزَّينِ الإِسْتَدَارَ بالوظيفة التي يُسمى صاحبُها ملك الأمراء ^(١) ، وهي الحكم على جميع حكام ريف مصر ، من الكُشَّاف وأمرء العرب وغيرهم ، وعلى تاج ^(٢) الدين بن المقسي بكتابة المهاليك .

وفي هذا الحد ، وصل الَّذِينَ كانوا في الجُون ، لقطع الأخشاب ، وأخبروا بما كانوا كَتَبُوا به من إتيان مراكب من العدو إليهم ، وأنهم انتصروا عليهم ، وقتلوا منهم كثيرًا ، وقُتِلَ من المسلمين دون العشرة .

وفي هذه الحدود من هذا العام ، والذي قبله كثرت آثار شهود الزَّور ، فأظهر شخصٌ يُقال له عبد القادر بن مصطفى في السَّنة التي قبل هذه على شخص حَلَبِي كان بينه وبين أبيه معاملة ، مسطورًا بأربعمائة دينار ، وكان الشَّرَف الأنصاري ، صَهْر ابن مصطفى ، وكان الدويدار الكبير يونس صديق الأنصاري ، فطلب هذا الحَلَبِيُّ إليه وألَزَمه بالمال وقبضه ؛ فأطعمه ذلك في غيره ، فأخرج مسطورًا آخر على شخص من أكابر التجار في مصر ، بل هو أكبرهم وأقدمهم ، يُقال له محب ، وهو من بلاد الشَّرْق بثلاثة آلاف وخمسمائة دينار ، بخطٍ يشبه خطَّ محب الدين العبادي ، وهو توريقة ^(٣) وفيه رسمُ شهادته ، ورسم شهادة أبي الخير الزَّفَتَاوي ، والاثنان مِيتَان ، فأريد إثبات ذلك على الخط ، وكان عند

(١) راجع « هامش ٢ » من (ص ١٠٥) من القسم الثاني .

(٢) خبر الخُلْع في : « النجوم الزاهرة » (١٢٧/١٦) ، وفيه أن ذلك كان يوم الثلاثاء سابع المحرم ، راجع الخبر أيضًا في « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٦٠) .

(٣) توريقه : جاء في « العصر المماليكي » (٤٦٢) : « ورقة ، جمعها أوراق ، أُستعملت في عصر المماليك بمعنى الصُّك الذي يكتبه المِدِينُ للدائن » .

قاضي المالكية ، الحسام بن حُرَيز ، توقف في الأمور وتحَرَّز ؛ فتوقف في ذلك لعادته ولِعِظَمَ المال الذي في هذا المسطور ، وسمع محب ، فطار عقله من ذلك ، ودار على الناس فألقى في قلوب الناس قاطبةً أن ذلك زور [١٩٨] بقرائن ، منها أن مصطفى أبا عبد القادر مات من مدة طويلة وضيّع ابنه تركته ، وأملق ^(١) حتى باع قليله وكثيره ، وباع كُتُبًا نفيسة كان تغالى فيها وحصلها في مدد طويلة بأبخس ثمن ، ولم يُذكر هذا المسطور حتى مات شاهدها كلاهما ، ومنها أن محباً في غاية المِلَّةِ ^(٢) لم يشهر أنه استدان قط ، ولا حاله حال من يستدين ، ومنها أن أباه كان في خدمة المحب يسترزق من فضله ، وكان دلالاً مرّةً ، وسمساراً أخرى ، كل ذلك وهو من أتباع محب ، ومنها أنه لما استقل بنفسه لم يُعرف أن جميع متجره وصل إلى هذا المقدار الذي هو مسطور واحد ، ومنها أنه كتب وصيةً ذكر فيها قليله وكثيره حتى ذكر أموراً تافهة ، حتى قيل إنه ذكر فيها غُرْبالاً ، ولم يذكر هذا المسطور بعبارة ولا إشارة ، ومنها أنه كان في غاية الخِسَّةِ والذُّكْر لما يغيب من ماله ، فكان إذا مطله شخص ولو بشيء يسير ، صار يذكره في غالب أحيانه ، ويقول : حرمني مالي ، ولم يذكر هذا قط ، ومنها أن الشاهدين اللذين ادَّعى أن الوثيقة بخطّهما كان لهما رفيق في دكانهما يُقال له : شمس الدين الشباسي وهو أعرفهم ، ويليهِ في المعرفة أبو الخير ، فكانوا إذا كتبوا شيئاً فإن كان الشباسي حاضراً كان هو المورق ورفقته يرسمون شهادتهم فقط ، وإن لم يحضر وحضر أبو الخير كان هو المورق ، وكان العبادي راسماً شهادته فقط ، فإنه كان ضعيف الخطّ والمعرفة بالصَّنعة ، فجاء هذا المسطور على خلاف العادة

(١) أُمْلَقَ : أي افتقر ، وأصله من المَلَق وهو التلوين ؛ لأن الفقر والحاجة تدلُّ الإنسان وتليّنه .

« لسان العرب » (١٢/٢٢٥) ، و « القاموس المحيط » (٣/٢٩٣) ، و « محيط المحيط » (٨٦٢)

(٢) المِلَّة : أي الامتلاء .

« المعجم الوسيط » (٢/٨٨٢) .

بخط العبادي وليس للزفتاوي فيه إلا رسم الشهادة ، ومنها أن للزفتاوي في رسمه لاسمه عادتین : قديمة وحديثة ، فالقديمة كتابة الزفتاوي بواو والحديثة الزفتاي بلا واو ، وهذه من الحديثة وهي بواو ، هذا ما يتعلق بالأمور الخارجية ، وأما ما يتعلق بقوة الخط وضعفه ، فقليل : أنه كان فيه أيضاً ما يدل على زوره .

ولما اشتد توقف المالكي ، قام الشرف الأنصاري في مساعدة صهره ، ودار على الأكابر ، السلطان ومن له عنده كلمة ، فقليل فرق في الوعد برشوتهم ثلاثة آلاف دينار ، فقويت شوكتهم ، ثم اجتمع محب بمن أوصل أمره إلى السلطان ، وعطف خاطره عليه ، فعقد له مجلس بقضاة المالكية ، وكتب على مسطور ابن مصطفى ما أفسده ، ونقل عن ابن مصطفى ، أن عنده مساطر من ضرب به بأزيد من عشرة آلاف دينار .

ولما مات ناظر الخاص^(١) وولي الأنصاري نظر الجيش ؛ قويت شوكة ابن مصطفى فأعيد الكلام ، وأخذ الأنصاري ألواح العبادي إلى يونس الدويدار ، فشهد أن المسطور بخط أخيه ، وأثنى على أخيه كعاداته ثناء جعله فرد زمانه في الديانة والصيانة والورع ، مع أنني أنا رأيت أخاه يبول في الطريق مع قرب بيته ، وشهد العبادي عند شخص من أمراء الأشرية اسمه قيت باي ، وكانت له شوكة بمصاهرة علي بن خصبك ، صهر السلطان ، واستنهض لابن مصطفى فنهض ، فعقد لهم مجلس بقضاة القضاة عند الدويدار الكبير يونس ، فحضر القضاة إلا الحنفي أنف من حضوره في مجلس غير السلطان ، فوقع الكلام في القضية ، فأظهر المالكي الريب التي قامت عنده ، وتبرأ من الحكم فيها بشيء ، فأسمع قيت باي ماساءه ، فحلم عنه ، ثم طلبوا من محب مصالحته فأبى ،

(١) وهو : الجمالي يوسف بن كاتب جكم .

فتوزل إلى ثلاثمائة دينار فأبى ، وكان ابن مصطفى مائلاً إلى الصلح ،
فظهر لقيت باي بطلان مستنده بذلك ، ثم انفصل المجلس ، فألقى الله
في قلبه الرعب فتبارى مع محب ، وكتب بأنه لا يستحق عليه شيئاً ،
وبطل في ذلك القول والقليل والحمد لله .

ثم ظهر مسطور على القاضي بهاء الدين محمد بن القاضي نجم الدين
عمر بن حجي الحسيني الشافعي بأنه وضع يده على تركة عتيقة بعض
الأكابر ، وقومت أمتعة تلك التركة بما يقارب ستة آلاف دينار ، والدعي
بذلك شخص بريدي ، يقال له ابن سودون ، ونسب الحكم في ذلك
المسطور إلى البرهان بن قاضي عجلون الزرعي الشافعي ، أحد نواب
الشافعية بدمشق ، ونفذ على العز المحلي أحد نواب الشافعية بالقاهرة ،
بعد أن عرض على قاضي الشافعية العلم البلقيني ، فلما ظهر على
المسطور سيدي يحيى^(١) بن القاضي بهاء الدين بن حجي وأقاربه
ارتاعوا ، ثم فتشوا أوراقهم ، ليجدوا ما يدفع هذا المسطور فلم يجدوا
فكان ابن سودون المظهر لهذا المسطور المدعى به يستبطنهم ويبرق
ويرعد ، فاطلّعوا على أن تهديده لا حقيقة له ، فتأملوا المسطور ، وأروه
لبعض من يلبس أحوالهم من حذاق الشهود ، فظهر له أن خط العلام
التي فيه للقاضي ورسوم الشهادات ليست خط من يكتب لنفسه ، بل
خط من يحاكي خط غيره ، ثم أحضروا أحكاماً عندهم لابن قاضي

(١) هو : يحيى بن محمد بن عمر أو بن أحمد بن حجي بن موسى بن أحمد بن سعد .. النجم أبو
زكريا بن البهاء بن النجم ، الحسيني الأصل الدمشقي ثم القاهري الشافعي ، المعروف بابن حجي ،
وُلد يوم الجمعة ٧ شوال سنة ٨٣٨ هـ بدمشق ، وقدم القاهرة بعد سن التمييز ، وقرأ على أشهر علمائها
في فنون مختلفة ، استقر بعد والده فيها كان باسمه من التداريس والأنظار وغيرها ، كالشامعية البرانية ،
والناصرية البرانية والجوانية ، والرواحية والأسدية ، كما ولي نظر الجيش بالقاهرة ، مات في يوم الثلاثاء
١٤ ربيع الأول سنة ٨٨٨ هـ .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (١٠ / ٢٥٢ رقم ١٠٣٠) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق)
(٢ / ٢١٨) .

عجلون ، فازدادوا معرفة بذلك ، ثم تأملوا نفس المسطور وما فيه من
 الفصول ، فوجدوا فيها تناقضًا ؛ فقوي ظنهم ، فتوعدوا [١٩٩] ابن
 سُودون فخارت قُوَّاهُ ، فأحضروا القاضي عز الدين المحلي المنفذ فلم
 يعجبهم كلامه ، واستند على بعض الشهود ، فأحضر ذلك الشاهد
 فكذَّبه ، ففحصوا عن شهود الأصل ، فعثروا على بعضهم ، فإذا هو رفيق
 ابن خطيب قَرَّتِيًّا ، الذي تقدم أن السلطان قطع يده ، فاعترف لهم
 بالزور ، بعد أمورٍ يطول شرحها ، ثم أحضر الشاهد الثاني ، فاعترف
 أيضًا ، وفحصوا فإذا المرتب لهم في ذلك شخصٌ يُقال له : بدر الدِّين
 محمد ^(١) بن الإمام بدر الدين حَسَنَ النبي الشافعي ، وكان هذا مشهورًا
 بالزور ^(٢) ، وكان أحد أتباع القاضي كمال الدين البارزي جد سيدي
 يحيى بن حجِّي لأمه ، وغرس نعمته ، والمورق لبعضه شخص ، يُقال له :
 محب الدين محمد بن عصفور المُكْتَبُ فأوصلوا الأمر بالسلطان ، فضرب
 المدَّعي ، والقاضي ، والشهود ، والمورق ، وأخذت المستندات منهم ،
 وكُتِبَ عليها بالإبطال ، وحصل للقاضي الشافعي بذلك خِزي ، تعدَّى
 إلى زوجته وابنها الزين أبي بكر بن مُزهر ، وأغلظ لهم السلطان وابنه
 وزوجته ، ولكن القاضي الشافعي لتكرُّر تجرِّيه على مثل ذلك من الفساد
 قَوِيَ وَجْهُهُ ، وغلظ طبعه عن أن يستحي لمثل ذلك والله الموفق .

وفي يوم السبت رابع محرم سنة ثلاث وستين هذه ، قَدِمَ بشير الحاج ،
 وجاء كتاب محقق زمانه الشيخ أبي الفضل المغربي يخبر : أنَّ الناس

(١) هو : محمد بن حسن بن إسماعيل ، البدر بن البدر البيني القاهري الشافعي ، وُلِدَ في ذي
 الحجة سنة ٨٠١ هـ ، سمع على عدد من علماء عصره ، وتكسب بالشهادة ، واشتهر بالتجوز في
 شهادة الزور ، مات سنة ٨٦٥ هـ .

له ترجمة في « الضوء اللامع » (٧ / ٢١٩ رقم ٥٤٤) .

(٢) يقول عنه (السخاوي) في « الضوء اللامع » (٧ / ٢٢٠) : « .. واستمر مشهور الأمر
 بالوقائع الشنيعة ، حتى آل أمره إلى المشي في تزوير تركة البهاء بن حجِّي ... وقبل ذلك رام التزوير على
 وكيل بيت المال الأنصاري .. » .

اختلفوا في أول ذي الحجة ، فحصل اضطرابٌ في الوقفة لذلك ، وكذا جاء في كتب غيره ، ونص كتاب الشيخ : « وأما أمر الوقفة فإن أهل مكة وأهل جدة ، وأهل اليمن ، والعُقيليين من أهل العراق ، نظروا واجتهدوا ، فلم يروا ليلة الاثنين شيئاً أصلاً ، ولم تكن بالسَّماء عِلَّةٌ ، ولما قَدِمَ أهل الشام ، شهد قاضي الركب ، زين الدِّين عبد الرَّحمن بن قاضي عجلون ، أخو نجم الدِّين ، أنه رآه ليلة الاثنين ، وشهد معه لفيفٌ من أهل الشام نحو من أربعة ، وحكوا أنَّ نفرًا من أهل حلب نحو من ثلاثة رأوه ليلة الاثنين ، فتوقف القاضي في ذلك ، وأفتى جماعةٌ من الحنفية ، أن هذا العدد اليسير لا يكفي عندهم مع نظر خلق كثير في الصُّحُو ، وشكَّ الشافعية في اختلاف المطلع واتحاده ، فلم يجزموا بشيء ، فصعد الناس يوم الثلاثاء إلى عرفات ، ووقف غالبُ الناس ، ورأيت أميرَ الحجِّ واقفاً عند الصخرات على فرس ، وناموا بعرفات ، وفي ضحى الأربعاء كتبت هذه العجالة ؛ لاستعجال حاملها على أخذ الكتب ، وعزم الحاج كله على الوقوف من الزوال إلى الليل ، وقصدوا بذلك الاحتياط ، والسَّلام . »

وفي يوم السبت هذا ، ماتت المسندة الخيرة جويرية^(١) بنت شيخ الإسلام زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي رحمه الله ، وصلى عليها في جامع الحاكم ، قاضي الشافعية ، العَلَمُ صالح البلقيني ، وحضر ذلك جمعٌ جمٌّ ، من القضاة ، والفقهاء ، وسائر أهل الخير ، منهم : قاضي الحنفية ، السَّعد الدَّيري ، وقاضي الحنابلة العز أحمد بن

(١) هي : جويرية ابنة عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحيم ، أم الكرام ، ابنة الحافظ الزين أبي الفضل العراقي الأصل القاهري الشافعي ، قيل : أنها ولدت قبل سنة ٧٨٨ هـ وقيل : أواخر سنة ٧٩٢ هـ ، وكانت خيرةً سالحةً بحبة في الحديث ، سمع منها عدد من الأئمة .

لها ترجمة في : « عنوان الزمان » (مخطوط) (١٩٠) ، و « الضوء اللامع » (١٨ / ١١) رقم ٩٦ .

إبراهيم بن نصر الله العسقلاني ، والشريف^(١) بدر الدين حسن النسابة ،
ودُفنت بالصَّحراء .

وفي بكرة يوم الأحد^(٢) خامس الشهر زُلْزِلَت الأرض ، فانتفضت
البيوت ، حتى كانت الجدران ، كأنها أغصان شجرة ، ضربها الهواء ،
فذهبت وجاءت غير مرّة ، أظنها ثلاثاً ، وأخبرني بعض أصحابي أنها
خمس ، وكانت في القاهرة خفيفة ، وكانت في بعض الأماكن أشدّ من
بعض . ثم ورد الخبرُ بأن بلاد الخليل زُلْزِلت في ذلك الوقت ؛ فوقع بعض
مئذنة سيدي على البكاء ، ووقع أكثر بيوت قرية نصارى ، بالقرب من
هناك .

وأنها كانت في بلاد القدس كذلك على وجهٍ مهول ، حتى اختلَّ كثيرٌ
من الأبنية المحكمة ، ووقعت بعضُ البيوت ، بحيث قُتِل في بعض القرى
ثلاثة أنفس بالهدم ، ومن أعجب ما سُمِع [في هذا^(٣)] ما حدثني

(١) هو : حسن بن محمد بن أيوب بن محمد بن حسين .. البدر أو الحسام بن ناصر الدين ابن
نجم الدين القاهري الشافعي ، المعروف بالشريف النسابة ، وُلد في أواخر سنة ٧٦٧ هـ ، بالقاهرة ،
ونشأ بها ، وأخذ عن أبرز علمائها في الحديث ، والفقه ، والنحو ، وصنف في الفقه تصانيف منها :
« شرح تنقيح اللباب للعراقي » ، و « نزهة القَصَاد في شرح كفاية العقاد لابن العباد » ، و « شرح
الإبريز فيما يُقدَّم على مؤن التجهيز » ، مات في مستهل صفر سنة ٨٦٦ هـ .

له ترجمة في : « عنوان الزمان » (مخطوط) (١٩٤ - ١٩٥) ، و « الضوء اللامع » (٣ / ١٢١ رقم
٤٧٢) ، و « نظم العقيان » (١٠٤ رقم ٦٧)

(٢) في « حوادث الدهور » (٣١٩) في يوم الخميس تاسعه ، راجع الخبر أيضًا في « بدائع الزهور
(صفحات لم تنشر) (٦٠) .

(٣) ما بين الحاصرتين غير واضح الرسم في الأصل ، والتصحيح من مفهوم السياق .

الفاضل شهاب^(١) الدين بن عُبَيْة القدسي ، أَنَّهُ كان ذاهبًا إلى المدرسة الصَّلاحية بكرة الأحد المذكور ، فلما صاروا عند بيت الشيخ تقي الدِّين القرقشندي ارتجت الأرض والجدران رَجَّةً شديدة ، بحيث سمعوا قعقة النحاس من بيت القرقشندي ، قال : تَعَجَّبْنَا من ذلك ، وتساءلنا عنه ، ثم إذا هي قد رَجَّت رجة أكبر من الأولى ، وإذا الجدران تضطرب ، قال : وشاهدت خمسة أحجار من جدار القرقشندي مع إحكامه قد برزت من الجدار ، فكانت على هيئة القُبَّة ، وسقط منها حصاة صغيرة ، ثم رجعت إلى مكانها فالتأمت كما كانت سواء لم يُفقد منها شيء ، ولا اللزاق الذي بينها ، قال : فذُيِّقْتُ أن بيتنا لم يبق به [جدار] ؛ لكونه رث القوى ، فرجعت إليه ، فوجدته سالمًا لم يسقط منه حجرٌ واحدٌ . قال : وَحَدَّث النَّصَّارَى عن القبة التي لهم إلى جانب القمامة غربًا أنها انشقت كلها إلى أن رأوا النور منها ، ثم التأمت كما كانت ، ولما سمعوا أَنَّ بعض أبنية المسلمين انهدم حتى المآذن شمتوا ، وقالوا : هذا من سوء نِيَّاتهم ، فلما كان الليل سقطت تلك القبة التي أطغتهم .

ثم أخبرت عن الرَّملة ، أنها كانت بها شديدة ، وأن بعض مآذنها سقط بعضه ، وبعضها انشق ، وأنها كانت بدمشق في ذلك الوقت ، لكن كانت خفيفة ، وأنَّ الكرك زُلزِلت في ذلك اليوم أيضًا ، فوقع بعض السور ، ومات به ناسٌ ، منهم ابنان لنائب البلاد ، وعياله لم يَسْلَمْ منهم إلا زوجته ، والله المسؤول في إصلاح الحال ، بتوفيق الحكام آمين .

ثم استفتى نصارى القدس في إعادة القُبَّة التي إلى جانب قمامة ، فَنُقِلَ أَنَّ السَّعْدَ بن الدَّيْرِي أَفتاهم بإعادتها وأخذوا مرسومًا على حكم

(١) هو : أحمد بن محمد بن محمد بن عُبَيْة الشهابي الحلبي الأصل المقدسي المولد الشافعي نزيل دمشق ، المعروف بابن عُبَيْة ، له نظم جيد وخط حسن وخبرة بالوعظ ورياضة ، ولي قضاء القدس وقتًا ثم أُمْتُحِن وأُهِين وأقام في الشام يسترزق من الوعظ .

ترجم له (السخاوي) في « الضوء اللامع » (٢ / ١٨٥) رقم (٥١٢) ولم يذكر تاريخ مولده أو وفاته

الفتوى ، فقام في ذلك جماعةً من أهل الخير بالقدس ؛ لكونها لا يمكن إعادتها إلا بآلة جديدة ، فبطل ذلك ، وجهاز مرسوم بأنهم لا يفعلون إلا ما يقع الإتفاق عليه ، فلم يؤذن لهم في إعادتها .

[٢٠٠] وفي هذا الشهر ، كثر قدوم الناس إلى القاهرة من المباشرين والقضاة والنواب وقضاةهم ، ما بين ساع في تجديد ، وساع في تثبيت ، فأول قادم زين الدين ، ناظر جيش غزة ؛ لأنه كان مختصاً بالجمال ناظر الخاص ، وكان له حُسادٌ كثير ، فخاف عواقبهم ، فنزل عند خزنदार الأمير الكبير الشهابي أحمد ولد السلطان ، وجعل الأمير الكبير واسطته ، وأرضى السلطان ، فمن دونه ؛ فخلع عليه ، وثبت له ما معه . وجاء حاجب غزة ابن الملطي عقبه ، فشكى عليه بأنه أخرج البلاد ، وأكل الأموال ، وإن حوسب ظهر في جهته مائة ألف دينار للسلطان ، فلم يُقبل فيه شيء من كلامه ، بل وعُزل الحاجب بسبب ذلك ، ثم جاء قصاد بعض النواب ، فجدد العهد بالخدمة بالمال ، وذهب وجاء ابن أيوب ^(١) التركماني ، نائب القدس والخليل ، فغضب عليه السلطان ؛ لغضب ولده ؛ لأنه كان أخرج بلدة بيت نوبا ^(٢) مع ما أخربه من غيرها ، ومع السيرة الشنيعة التي لا تُحكى ، وإخراب البلاد ، وإهلاك العباد ، فحبسه في ^(٣) البرج ، ثم ضربه في أواخر هذا الشهر ضرباً كثيراً ، يقال أنه نحو ألف عصي ، وصار الأمير بُردبَك الدويدار ، وهو يُضرب

نائب القدس

(١) لعله : حسن بن محمد بن أيوب الكردي ، ذكر (ابن إياس) في « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (١٨١ / ٢) أنه مات في ذي الحجة سنة ٨٨٢ هـ وقد شاخ وناف على ٨٠ سنة ، وكان رئيساً حشياً لا بأس به .

(٢) بيت نوبا : جاء في « معجم البلدان » (٥٢٣ / ١) أنها بليدة من نواحي فلسطين .

(٣) كان ذلك في ٢٥ محرم .

« حوادث الدهور » (٣١٩) .

يقول له : لِمَ أخربت بلاد السلطان ، ثم أخربت بلد الخليل ، ثم أفسدت الطرق ، ثم أسأت السيرة إلى الخلق ، ونحو هذا الكلام يُرضي بهذا السلطان ، ثم بلغني أنه في غاية المساعدة له في الرجوع إلى القدس على عادته ، فإن كان كذلك فلا أعانه الله ؛ لأنه لا دين ، ولا مروءة ، ولا شجاعة ، ثم اشتدَّ غضب السلطان عليه ، فجعل في رجله قِيدًا ، وطلب منه ثمانية آلاف دينار ، وولى شخصًا ^(١) من ممالك طُوغان العثماني نيابة القدس . وسعى شخصٌ من أقارب الباعوني ، يُقال له محب الدين محمد بن عبد الرَّحيم في قضاء الشافعية بطرابلس عَنْ ^(٢) ... الدين بن الهكاري ، فأجيب ، وولى ثامن عشر الشهر ^(٣) ، وهو لا علم ولا دين ، ثم قدم ابنُ عمِّه جلال الدين بن عبد القادر ؛ يسعى على ابن عمِّه ، وخاله جمال الدين الباعوني في قضاء دمشق ، ويُرْثُهُ ^(٤) بأمور قاتله الله على اختلاقها ، ولا بَلَّغَهُ مرادًا ؛ فإننا ما سمعنا بقاضٍ في هذا أعفّ ، ولا أحسن سياسة وأجمل طريقة من الجمال ، فوعد بستّة آلاف دينار ، فوفَّق الله السلطان وألهمه رُشدَه ؛ بأنهم لما ذكروا له ذلك ، قال : من ذكر لي الجمال الباعوني بسوءٍ نكلتُ به . وقدم مسند ^(٥) أخو القطب الخيضر

(١) جاء في « النجوم الزاهرة » (١٦ / ١٢٧) أنه إياس البجاسي ، حيث استقر في نيابة القدس في ٤ صفر بعد عزل البدر حسن بن أيوب .

راجع أيضًا « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٦١) .

(٢) يياض في الأصل بمقدار كلمة ، لم نجد ما يصححه في المصادر الأخرى .

(٣) في « حوادث الدهور » (٣٢٠) أن استقراره في قضاء طرابلس كان في ٢٦ محرم .

راجع خبر توليته أيضًا في « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٦١) ، وقد ذكر أن ذلك كان في شهر صفر .

(٤) يُرْثُهُ : يتهمه .

« لسان العرب » (١٧ / ٦١) ، و « القاموس المحيط » (٤ / ٢٣٤) .

(٥) هو : « مسند بن محمد بن عبد الله ، أخو القطب الخيضرى لأبيه ، كان على طريقة أسلافه في =

ورسوله ، فسعى بواسطة الأمير يَزْبُك صهر الظاهر في إعادة كتابة السر إلى أخيه ، فأُجيب ، وأخذ خلعة أخيه ، ليذهب بها ، فزاد العللاء بن مُفْلِح في الذهب فأُجيب ، وأخذت الخلعة من قاصد الخيضي وثُبَّت أمر ابن مُفْلِح (١) .

وصار الناس يتهافتون بعد ذلك الزمان تهافت الذباب ، وكل واحد من الأكابر يُعارض الآخر ، نسأل الله إصلاح الحال آمين .

وقدم ركب الحج على عادته في الحادي والعشرين ، والثاني والعشرين من محرّم ، وأثنوا على أميرهم حاجب الحجاب برّسباي البجاسي ، بأنه أحسن سياستهم ، وأصلح بين عرب ينبع ، وجمع بين والي تلك البلاد ، الشريف (٢) دراج بن مَعزِي ، وقريبه هجّان ، لكن أطلق السلطان عَساف بن هجان من السجن بواسطة جانبك ، ناظر جُدّة ، فقال الحاجب ، كان الصواب تأخيره إلى أن يتقرّر الصُلح ، وذمّ الحاجب الأجلاب الذين كانوا مع أمير الأول ، وهو مقدّم الممالك ، بأنهم نهبوا في مكّة وأفسدوا ، وكانوا يلاقون التجار إلى طريق جُدّة ، فيأخذون بضائعهم ، تارة ببعض القيمة ، وتارة بغير شيء .

= لباس العرب ، وحصل شيئاً كثيراً في أيام أخيه وكان قائماً بقضاء مآربه في القاهرة وغيرها ، مات سنة ٨٩٤ هـ بدمشق .

له ترجمة في « الضوء اللامع » (١٥٩ / ١٠) رقم ٦٤٢ .

(١) في « النجوم الزاهرة » (١٢٧ / ١٦) أن ذلك كان يوم الخميس ثاني المحرم .

(٢) ترجم له (السخاوي) في « الضوء اللامع » (٢١٧ / ٣) رقم ٨١٤ وقال : « دراج بن مَعزِي الحسيني أمير الينبوع ، استقر فيه في أواخر سنة ٨٧ هـ [عقب سبع ... ورأيتَه إذ ذاك في سنة ٩٨ هـ] » .

كما أشار له (ابن إياس) في « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (٣٣٨ / ٢) في أحداث جمادى الأولى من سنة ٩٠٣ هـ ، وذكر أنه في هذا الشهر قرّر يحيى بن سبع في إمرة الينبع عوضاً عن دراج بحكم صرفه عنها .

وفي هذا الحد ، مات شيخ الطائفة الرفاعية ، الشيخ إبراهيم بن الشيخ محيي الدين فولّى مكانه أحمد بن الشيخ إبراهيم المعروف براجح بن عبد الرحيم وسنه نحو عشر سنين ، فسعى عليه نجم الدين بن التكريتي بمساعدة الدّويدار ، فعقد لهم مجلس بالقضاة ، فاستقر الشيخ أحمد .

وفي يوم الخميس ، سلخ محرّم السنة ، ألبس الحسام بن حُرَيْرِز خِلعة باستمراره في قضاء المالكية بالقاهرة ، وذلك أنه كان أَرْجَفَ به حَسَّادُهُ ، وقالوا : إنه ما كان يحميه إلّا ناظر الخاص ، وقد مات ، فبلغ ذلك السلطان ، وكان مشكور الطريقة في القضاء ، فأنى عليه وألبسه إِيَّاهَا ، وطَيَّبَ خَاطِرُهُ (١) .

وفي الاثنين رابع صفر من السنة وُلِيَ علي بن امرأة القَيْسي (بفتح الفاء ثم تحتانية ساكنة وسين مهملة قبل ياء النّسَب) حِسْبَةُ القاهرة ومصر عن [بدر (٢)] الدين بن البوشي وبرز النداء عنه أنه لا يؤخذ من أحدٍ شيء لا بجامعة ولا مشاهرة ولا غير ذلك ، حَقَّقَ الله ذلك (٣) .

وفي هذا الشهر ، وصلت زوجة الشرف موسى ابن خالة ناظر الخاص إلى القاهرة ، وتطلّمت من المخلّع ابن الأقساسي ، وكان معروفاً بسوء السيرة ، وفتح السريرة ، فرسم السلطان أن يؤتى به في زنجير ، عجّل الله ذلك .

وفي أوائل هذا الشهر رجم شخصٌ من العبيد صبيّاً ، فقتله ، فطلعوا به إلى السلطان ، فأمر بقتله .

(١) الخبر في « حوادث الدهور » (٣٢٠) .

(٢) بياض في الأصل ، والتصحيح من « النجوم الزاهرة » (١٢٧ / ١٦) .

(٣) الخبر في « النجوم الزاهرة » (١٢٧ / ١٦) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٦١) .

[٢٠١] وفي يوم السبت سادس عشر صفر هذا وسط السلطان عند بركة الكلاب أربعة أنفس ، منهم عَبدان ، وضرب واحدًا من الممالك ضربًا عظيمًا ، ونفاه إلى بلاد الكرك ، وضرب خفير شُبْرًا ضربًا عظيمًا ؛ وذلك أن الوالي أحضرهم وأخبر أنهم كانوا يقطعون الطرقات ، ويتلصَّصون بالليل ، وأخبر الخفير أنَّ لهم رفاقًا كثيرًا ، فأخبر ليدل عليهم ، وأخبرت من غير طريق أنَّ السلطان عتف ذلك المملوك ، وقال له : أما كنت تجد رغيف خبز عند أحدٍ من أصحابك تُغنيك عن مثل هذا . فقال له الوالي : يامولانا ، إنه من ممالك السلطان ، راتبه ألفان في كل شهر . فاشتدَّ غضبُ السلطان إلى أن قام عن مُدَوَّرته ، ووقف في شباك الدَّهَيْشَةِ ، وأمر بتجريدته وضربه ، وصار يقول : شُدَّ يَدُكَ إلى أن يرح به ، ثم أمر بنفيه ، وشرع يستعجل الوالي ، فقال : حتى يُكتب مرسوم بذلك ، ويأخذه الذين برسمهم عليه ، فقال لكاتب السر : اكتب المرسوم الساعة ، فكتبه ، ووضعه في زنجير ونفاه وفقه الله .

وفي يوم السبت ثالث عشري الشهر ، قَدِم ابن المِخْلَع ، الذي قال أبوه : أنه يستخلص من تعلق موسى ناظر جيش طرابلس ثلاثمائة ألف دينار ، فستمه السلطان ، وشم أباه ، وقال : مُدُّو هذا المرافع ، فوُضِع إلى الأرض وضرب والسلطان يهدِّده ، ويعيبه ، ويعيب أباه بالمرافعة ، ويُذَمِّر ^(١) ضاريه إلى أن انقطع صوته وأغمى عليه ، فقال يونس الدويدار : يامولانا ، هذا ليس له ذنب ، إنما الذنب لأبيه ، فاقامه ، ورسم أن يُشَيِّع لأبيه من يُحضره سريعًا ، فسَرَّ بذلك كلُّ من في قلبه رحمة وشفقة على عباد الله ، وخاف كلُّ مُفْسِدٍ ، فالله المسؤول أن يوفقه .

وفي أواخر هذا الشهر قدم البدر بن المحلِّي قاضي إسكندرية بهدايا

(١) يُذَمِّر : يمحض ويشجع .

« المعجم الوسيط » (١ / ٣١٥) .

كثيرة إلى السلطان وابنه ، فأعاد المرافعة على يونس الذي كان من جهة ناظر الخاص في إسكندرية ، بأنه يُثبت في جهته عشرين ألف دينار ، فأعيد عليه الترسيم بعد أن كان أدّى إلى السلطان أربعة آلاف دينار ، وأطلق ، والله المسؤول أن يسلك به سبيل المخلع قريباً .

وفي هذا الحد ، بلغ الخبر عن الأمراء الذين بالبحيرة أنه حصل بينهم ، وبين عرب لبيد العصاة وقعة ، هُزم فيها العرب ، وقُتل منهم موت البلاطيسي جماعة ، وأخذ كثير من أموالهم .

وفي يوم الثلاثاء سادس عشري صفر هذا ، مات الإمام العلامة القدوة شمس الدين محمد ^(١) بن عبد الله البلاطيسي الشافعي ، شيخ الشاميين بلا منازعة ، عن نحو سبعين سنة بدمشق ، عن علة طويلة ، وكانت له يدٌ في كثير من العلوم ، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، حتى اشتهر بذلك ، فاشتد أمره ، وعظم انقياد الشاميين له ، وبعدَ بينهم صيته حتى كان آخر ذلك أنه قام على ابن الفتح [الذي ^(٢)] كان من جهة أبي الخير النحاس ، واشتد بينهما الأمر ؛ بحيث اقتضى سفره إلى القاهرة بسببه ، فوجد أبا الخير قد انحط أمره بإحراق الأجلاب بيته ، مع بغض جميع الناس له ، فاجتمع البلاطيسي بالسلطان الظاهر جَقَمَقَ ، وجميع الجند وغيرهم ، مؤيدون لكلامه ، مساعدون له ، فنصره الله بذلك وازداد أبو الخير بذلك ضِعة ورُدَّ أبو الفتح إلى دمشق ، فضربت عنقه ؛ فضخم أمر البلاطيسي ، وظنَّ أنه قام بأعباء ذلك وحده فطار له بذلك صِيتٌ قلَّ أن اتَّفَقَ مثله لأحد ، فصار يتجاوز بعض التجاوز ، ويقف مع الحظ كثيراً ، ويخلط الأمر بالمعروف بالعنف ، ويتمسك بأول ما يُوجي

(١) راجع « هامش ٣ » من (ص ٦٩) من القسم الثاني .

(٢) ما بين الحاصرتين غير واضح الرسم في الأصل ، والتصحيح من مفهوم السياق .

إليه ، فمقته غالبُ الناس ، وكانوا لا يتجاسرون على مجاهرته ، إلى أن جاء قانباي الحمزاوي إلى دمشق نائباً ، فصار يعاكسه ، وقَلَّ أنصاره ؛ لما جرَّبوا منه ، فصار أمره يضعف إلى أن حمله ضيق الحظيرة من ذلك على أن حَجَّ سنة إحدى وستين ، ثم رجع فمرض واستمر مريضاً إلى أن مات في التاريخ المذكور .

وفي يوم موته ، مات يَشْبُك الصُّوفي الآتي على ما بلغنا ، ولم تَطُل مدَّة الحمزاوي بعدهما كما سيأتي .

وفي يوم الأحد ثاني شهر ربيع الأول مات أمير علي أبو محمد أحد موت ابن السلطان ذرِّيَّة السُّلطان حسن ^(١) ، وكان عَيْنُهُم والناظر على أوقافه ، وهو أبو محمد الذي كان الظاهر جَقَمَق يُقَدِّمهُ ويأنس به في خلواته .

وفي خامس الشهر ورد الخبرُ بموت يَشْبُك ^(٢) الصوفي المؤيدي موت يشبك الصوفي أتاك العسكر بدمشق وقدم سيفه ، فأعطيت رُتبته وإقطاعه لِعَلَّان ^(٣) أحد أكابر أمرائها وأُعطِيَ إقطاع عِلَّان لِشادِبِك دُوَيْدار السلطان الذي كان دويدار جُلْبَان ، وأُعطِيَ إقطاع شادبك لقراجا خَزَندار الظاهر

(١) هو : السلطان حسن بن محمد بن قلاوون ، من أولاد الناصر محمد بن قلاوون ، تسلطن يوم الثلاثاء ١٤ رمضان سنة ٧٤٨ هـ ، ولُقِّبَ عندما أُجْلِسَ على تخت الملك بالملك الناصر سيف الدين قُباري ، فقال للنائب أَرُقْطاي : يا أبت ما اسمي قُباري ، إنما اسمي حسن « فصاحت الجاوشية باسمه وشهرته ، استمر في السلطنة إلى أن خُلِعَ في جمادى الآخرة ، أو رجب سنة ٧٥٢ هـ .
« النجوم الزاهرة » (١٨٧ / ١٠ ، ٢٥٤) ، و « سمط النجوم العوالي » (٢٧ / ٤ - ٢٨) .

(٢) راجع « هامش ٢ » من (ص ٢١٠) من القسم الأول .

(٣) هو : عِلَّان المؤيدي ، ويقال له : عِلَّان شِلَقْ أو (جِلَقْ) ، كان من عتقاء المؤيد ، وصار في أيامه من آخورية الأجناد ، وخرج بعده إلى البلاد الشامية وتنقل في عدة وظائف ، إلى أن صار في أيام الأشرف إينال أتاكاً لدمشق ، ومات بها في آخر يوم الأربعاء ٩ صفر سنة ٨٦٤ هـ .

له ترجمة في : « النجوم الزاهرة » (٢١١ / ١٦) ، و « الضوء اللامع » (١٥٠ / ٥) رقم ٥٢٢) وقد جاء فيه أنه توفي سنة ٨٩٤ هـ ، وهو خطأ طباعي ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٦٩) .

الذي كان منفيًا في القدس ، ورسم بأن يأكله طرخانًا أي من غير خدمة ولا ركوب (١).

وفي يوم الخميس سادس الشهر ، قَدِمَ القاضي نور الدين البرقي من طرابلس ، فاجتمع بالمقام الشهابي ، ولد المقام الشريف ، ودار على الأمراء ، ثم طلع يوم السبت فاجتمع بالسلطان وأورد ما معه من الحساب ، وكان الشيخ أمين الدين الأَقْصَرَايَ ، قد اتقن مصالحه ؛ لأن بينهما صُحبة أكيدة فُقبل وانتظم أمره .

وكان الشرف الأنصاري متهمًا ببنت شَرِبَاش زوجة الظاهر جَفَمَق ، كما كان مُتهمًا ببنت طَطَر زوجة الأشرف بَرَسْبَاي ، وكان لا يجسر على التظاهر بزواج واحدة منهما ، فلما وُئِيَ نظر الجيش ، أظهر زواج بنت شَرِبَاش ، وكان أراد أن يبنّي بها ليلة الجمعة رابع عشر شهر ربيع الأوّل من سنة ثلاث وستين هذه ، فقصده بعض الأجلاب لذلك فضربوه ضربًا كثيرًا ، مقصودًا به القتل ، ورموا عمامته ، وصار بعض من يُحسن إليهم منهم يَلْقَى عنه الضَّرْب ، ولولا ذلك لمات ، ثم إنه أحسن إلى الذين ضربوه ، فَكَفُّوا عنه ولم تدخل عليه حتى طَلَّق نساءه واعتزل سراريه، وله منهم أولاد ، فلم يُعجب ذلك أحدًا .

[٢٠٢] وَعَمِلَ مولد السلطان آخر يوم الأحد سادس عشر شهر ربيع الأوّل هذا ، وكان شَرُّ الأجلاب قد كَثُر ، وصاروا ينهبون الناس ليلاً ونهارًا ، فَقَلَّتْ حُرْمَةُ السلطان ، وطمع العرب ، واجترأوا فقطعوا الطرقات ، واقتتلوا فيما بينهم ، واجتمع سعد ووائل على بني حرام بالشرقية ، فَقُتِلَ بينهم ناسٌ كثيرٌ واشتعلت البلاد نَارًا ؛ فتوجه إليهم الأمير بُرْذَبَك الدويدار الثاني ، والأمير حاجب الحجاب برسبائي

(١) الخبر في : « النجوم الزاهرة » (١٦/١٢٧-١٢٨) .

البجاسي ، ومعهم جمعٌ من الأجلاب يوم الأحد ثالث عشري شهر ربيع الأول هذا ، أعزَّ الله بهم الدين ، وأذلَّ بهم المجرمين ، واستمر أذى الأجلاب يتزايد ؛ فأغلق الناس بعض الأسواق يوم الأربعاء سادس عشري الشهر ، وقصدوا قاضي القضاة الحنفي ، فقال لهم : إنه لابد من اجتماع القضاة في مثل ذلك ، وإلا لم يُقَدِّ الكلام .

وفي يوم الأربعاء هذا قَدِمَ الأمراء الذين كانوا في البحيرة مرابطين عرب لبيد ، وهم قانم التاجر ، وشرباش كُرْد ، وبارير وغيرهم .

وفي يوم الاثنين رابع عشري الشهر ، مات الإمام العالم الصالح الشيخ أبو الجود داود النبي المالكي ^(١) ، بمنزله بالقرب من رَحْبَةِ العيد بالقاهرة عن نَيْفٍ وسبعين سنة ، وكان رأساً في علم الفرائض ، وحضره جمعٌ كبير من الفقهاء ، وأهل الخير ، وصلى عليه قاضي الشافعية العَلَمُ صالح البُلْقيني ، بباب النصر ، وعظمُ الثناء عليه ، والتأسف رحمه الله .

وكنت يوم الجمعة حادي عشر الشهر ، لما عملت الميعاد في الجامع الظاهري بالحسنية في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا اللَّهَ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا ﴾ ^(٢) ، وكان ختامه ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ ^(٣) ، وكانت عادي أن أختتم الميعاد بما تيسر من الدعاء ففاض على لساني من الدعاء على الظلمة ، ما لم يكن خطري قبل ذلك الحين ، وطال الأمر فيه ، وعلتني سكينَةٌ ووقارٌ مع أيِّ كنت كأني منذر جيش ، علا صوتي ، واشتد غضبي ، واستحضرت أذى الأجلاب للناس ، واستحسان الأكابر ، السلطان فمن دونه عليهم ، فعظمت

(١) راجع «هامش ٣» من (ص ١٩٢) من القسم الأول .

(٢) الأنعام / ١٣٦ .

(٣) الأنعام / ١٤٤ .

الرَّغْبَة ، وصدق التوجه ، وضع الناس بالتأمين ، فكانت ساعة مشهودة ، وكان من جملة ذلك أن قلت : « اللهم ، إنه قد زاد الأمر وطغى واشتدَّ الخطبُ وبغى ، اللهم ، وإنهم لا يعجزونك ، قد أهلكت قوم نوح ، وكانوا أقوى أمرًا ، وأعظم جمعًا ، ثم أهلكت عادًا وكانوا أشدَّ أبدانًا ، وأقوى قلوبًا ، وأعظم أجسادًا ، وأهلكت من بعدهم ولم تُغن عنهم جُوعُهُم ، ولا نفعتهم حُصُونُهُم ، ولا دُرُوعُهُم ، اللهم ، فأَنْزِلْ عليهم سطوتك وبأسك ونفقتك ، اللهم ، زلزل بهم ودقَّ البيض على الصِّفا » . ونحو هذا من الكلام ، فغلب على ظني أنه مستجاب ؛ فإنه كان يكاد أن يكون من غير صنيع مني ، وأنه أمرٌ ربَّاني أجراه على لساني لأمرٍ قضاه ، وحكم قدره وأمضاه ، فلم تمض جمعة حتى ألقى الله بأس الأجلاب بينهم ، واستمرت الحرب بينهم قائمة ، وسبب ذلك على ما قيل : أنهم اختلفوا في قيص النفقة عليهم ، فاقتتلوا يوم الأربعاء سادس عشري هذا الشهر ، فقتل بينهم واحدٌ أو أكثر على ما قيل ، وكثرت الجراحات ، وعجز السلطان في الإصلاح بينهم ، واستمرت الحرب بينهم قائمة ، وسبب ذلك على ما قيل : أنهم اختلفوا في قبض النفقة عليهم ، وقيل : بل في اثنين جاءوا في هذه السنة فأراد بعضهم كونها عندهم ، وأراد آخرون ذلك ، فأدَّى الحال بيعضهم إلى أن ضربوا نائب مقدم الممالك إلى أن أشفى على الموت ، فتعصَّب له ناسٌ منهم ، فشرى^(١) الأمر وانتشر الحرب ، اللهم فأشغلهم عنا بأنفسهم ، وألق بأسهم بينهم ، وأعدنا من شرِّ حربهم وسلِّمهم آمين ، ثم طلب السلطان يوم الأحد سلخ الشهر ذِيْكَ المملوكين ، فأرسلها إلى وَلَدِهِ ، فسكنت الفتنة .

وفي يوم السبت تاسع عشريه ، قَدِمَ البدر بن المزلق ، ناظر جيش

(١) فشري : عظم وتفاقم .

« المعجم الوسيط » (١ / ٤٨١) .

الشام ، فطلع إلى السلطان وهو متغير الخاطر ؛ لأجل قتال مماليكه ، فلم يَحْلَعْ عليه .

وفي هذا اليوم كَسَفَت الشمس عند الظهر ، فصلى الناس صلاة الكسوف ولم يعرف بعضهم بكسوفها ، لأنه كان غيم .

وفي ليلة الاثنين مستهل شهر ربيع الآخر ، قَدِمَ الأمراء الذين كانوا توجهوا إلى الشرقية ، لأجل العرب العُصاة ، وذلك أن الأمير بُرْدَبَك تقدَّم العسكر في مَنْ خَفَّ معه نحو مَرَصَفَا ^(١) ، فلما رآه جمعهم هربوا منه ، وظفر برأس من رؤوسهم ، بل يقال أنه أسَّ الفتنة ، وهو من فلاحي الأمير الكبير ، يقال له أبو بكر [٢٠٣] ابن المغير ، فقبض عليه ، ثم أرسل يقول لإستاذه الأمير الكبير ، المقام الشهابي أحمد ، ولد المقام الشريف : أتى كنت أت إليك ، فأمسكوني ، فأرسل جماعة من مماليكه ، فتسلموه من الأمير بُرْدَبَك ، وتغيظ لأجل القبض عليه وأرسل إلى الأمراء كلهم بالرجوع ففعلوا ، وقبض الأمير بردبك على جماعة فمن انهم بالفساد في قرية من إقطاعه ، وقبض فرقة من العسكر على شخص كان من أكابر أهل الفساد ، فوسَّطَه السلطان .

موت الحمزاوي
نائب الشام

وفي يوم الأربعاء ثالث شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث وستين هذه ، مات نائبُ الشام قانباي ^(٢) الحمزاوي ، فاستراح منه البلاد والعباد ، والشجر والدَّواب ، فإنه كان لا يكاد يفيق من السُّكْر ، وإذا مرض فلم يقدر على شرب الخمر أحضر ندماه ، فشربوا بحضرته ، يتلذذ

(١) مَرَصَفَا : جاء في « معجم البلدان » (١٠٧/٥) « قرية كبيرة في شمالي مصر قرب مِثْنَةِ عَمْرٍ »

كما جاء في « الخطط التوفيقية » (٣٩/١٥) ، أنها قرية من مديرية القليوبية بمركز بنها .

(٢) هو : قانباي بن عبد الله الحمزاوي ، الأمير سيف الدين ، من ممالك سودون الحمزاوي الظاهري ، تنقل في عدَّة وظائف ، وتولَّى حلب مرتين ، ثم انتقل إلى نيابة دمشق للأشرف إينال سنة ٨٦٠ هـ ، وتوفى بها .

له ترجمة في : « الدليل الشافي » (٢/٥٢٩ رقم ١٨١٧) ، و « حوادث الدهور » (٣٨٩-٣٩١) ، و « النجوم الزاهرة » (١٦/٢٠١-٢٠٣) ، و « الضوء اللامع » (٦/١٩٥ رقم ٦٦١) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (٢/٦٣) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٦١-٦٢) .

بذلك ، وأما ظلمه للعباد ، فأمرٌ ما سُمِعَ بمثله وكان جماعته كلهم على منهاجه ، لم يكن فيهم من يُرجى فلاحه ، ولا من يُتوسَّم صلاحه . كانت كبائر المعاصي قد صارت في دمشق كأنها واجبات تُفعل على رؤوس الأشهاد ، وكان من غيَّر شيئاً منها أبلغ في نكاله ، وكان مماليكه يأخذون النساء والصبيان فإذا شكى عليهم أوقع بهم شيئاً من عقوبة ، ثم يأخذ ثأرهم بأنه من وقع له بعد ذلك في جريمة قتله ونحو ذلك من مقاصد السوء التي يريد بها محو الدين ، وكان في غاية البغض للفقهاء وحمله الشرع ، وأهل الدين .

سمعت بعض الخبيرين به ممن يوثق به يقول : أنه لم يكن فيه خصلة تُرتَضَى ، لا صدقة ولا ذكر ولا كفّ عن معصية ، ولا ندم على المعصية ، ولا مروءة ، وكان في عشر الثمانين فيما أظن ، نسأل الله تعالى أن يُبدل أهل الشام خيراً منه ، وأن يجبر كسرهم آمين . فعينَ السلطان جانم نائب حلب لدمشق ، والحاج إينال نائب طرابلس لحلب ، وإياس الطويل نائب حماة لطرابلس ، وجانبك التاجي نائب صفد لحماة ، وخيربك نائب غزة لصفد ، وعينَ لغزة أحد أمراء (١) دمشق ، وكان من أتباع سُودُون بن عبد الرحمن (٢) .

موت البهاء أخيه الأنصاري

وفي أواخر هذا الشهر ، وصل الخبر بأن بهاء الدين (٣) أخا الشرف

(١) في « النجوم الزاهرة » (١٦/١٢٨) الأمير بُردُك العبد الرحاني .

(٢) راجع خبر هذه التعيينات في « النجوم الزاهرة » (١٦/١٢٨ - ١٢٩) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٦٢) ، وقد تمت تلك التعيينات ماعدا نيابة غزة في يوم الخميس ١١ ربيع الآخر .

(٣) هو : أحمد بن علي بن محمد بن سليمان ، البهاء الأنصاري التائي القاهري الأزهري الشافعي ، ولد في سنة ٨٠٧ هـ ببتا - قرية بالمنوفية - وقدم القاهرة فاشتغل بالعلم ، ثم تعانى بالتجارة ، وجاور بمكة عدة سنين حتى مات ليلة الأربعاء ١٧ أو ليلة الثلاثاء ٢٧ صفر سنة ٨٦٣ هـ .

له ترجمة في : « النجوم الزاهرة » (١٦/٢٠١) ، و « الضوء اللامع » (١/٣٢ رقم ٨٩) .

الأنصاري مات في مكّة المشرفة ، فعظم التأسف عليه ؛ فإنه كان أكبر إخوته ، وكان صادق القول ، حادّ القلب ، غزير المروءة ، ذا أخلاق جميلة ، وكان منقطعاً إلى المتجر حسن الأمر فيه لائماً لأخيه الدخول في أمر الدنيا ، وكان إخوته في أوّل الأمر يعرفون به ، فيقال : شرف الدين أخو بهاء الدين ، ونحو هذا رحمه الله وعفى عنه .

السعي على
الباعوني

وفي هذا العام ، كما تقدّم ، قدّم الجلال بن عبد القادر الباعوني الشافعي ؛ يسعى على ابن عمه ونحاله قاضي القضاة الجمال يوسف بن قاضي القضاة الشهاب الباعوني في قضاء دمشق ، وكان قد وُلّي قبل ذلك قضاء حلب ، ثم طرابلس ، فساءت سيرته ، ثم استتابه ابن عمه في دمشق ، فكان أسوأ سيرة ، فعزله فغضب ، وقدم لأذاه ، فدفع إلى المقام الأتابكي الشهابي ، ولد المقام الشريف أوّل ما قدم خمسمائة دينار وأعطى غيره ووعد على تنجيز الأمر للسلطان بمبلغ ، ولولده كذلك ، ولجميع المباشرين .

وكان الجمال أرسل إلى كتاباً عند قدوم ابن عمه نصّه بعد البسملة : «ويُنهي أنّه سطرها وهو مستمرّ على ما يُشهد به الخواطر الكريمة ، من صدق الوداد ، وإخلاص المحبّة والاعتقاد ، والمثابرة على وظائف الأدعية الصالحة ، وتعطير المحافل بالأثنية الفاتحة ، والخواطر الكريمة أعدل شاهد بذلك ، ولم يقطع عبوديّاته عن الأبواب العالية إلّا إيثاراً للتخفيف ، وترفيهاً للخواطر الكريمة عن التّكليف ، وكان يتحقق وجود المانع من توصّل مولانا إلى أغراضه الصحيحة ، ومقاصده الجميلة التي يعود نفعها على المسلمين عموماً ، وعلى مولانا السلطان نصره الله ، خصوصاً والآن فقد زال المانع ، ومن الله تعالى ، وله الحمد على المسلمين بانحصار [٢٠٤] الأمر ، واجتماع الكلمة في المقام الأتابكي الشهابي خلّد الله تعالى دولته ، وهو بحمد الله تعالى ، من الانقياد إلى الحق والرّغبة في العدل ، والاهتمام بإعلاء منار الشرع الشريف في الغاية القصوى

والذروة العليا ، وقد تباشر أهل الخير والصالح بها مَنْ الله عز وجل من شمولهم بحسن تدبيره ، وأمَّلوا أن تكون الأمور بسعيد نظره على أقوم منهج ، يعلو به الحق ، ويسفلُ به الباطل ، والمرجو من كرم الله تعالى تحقيق أملهم ، وقد مَنْ الله وله الحمدُ بقرب المخدم من الحضرة المشار إليها وجميل اعتقادها فيه ، ووفور تعظيمها له ، وحسن إصغائها لما يصدر من النصائح عنه ، وهذه فرصةٌ ينبغي أن تنتهز ، وأن يصرف مولانا المخدموهم بهمة العالية إلى ما يحصل بواسطته الثواب الجزيل والثناء الحسن الجميل ، والله المرجو لتحقيق ذلك . والمملوك وإن كان أقدم ممالك المواقف الشهابية هُجْرَة ، وأصدقهم محبةً ، وأوفرهم مناصحةً ، وأكرمهم مثابة على وظائف الأدعية الصالحة واستجلائها ، فقد أبعدته عن الخواطر المشار إليها ما أوجبه إجلال مقامها من الإحجام عن التهجم بالعبوديات ، بحيث صار نسيًا منسيًا ، لكنه وإن أُخِلَّ بذلك ، فقد لازم ما هو أكبر منه جدوى من الابتهال بصالح الدعاء بظهر الغيب ولا يشك المملوك أنَّ الخواطر المشار إليها نَوَّرَ الله بصيرتها شهادة للمملوك بذلك ، وقد بلغ المملوك أن جماعةً من ذوي المقاصد الفاسدة ، الذين يحسدون المملوك على ما منحه الله من صيانة العرض وجميل الذكر ساعون في إفساد صورته ، وثلب عرضه باختلاقاتهم وأباطيلهم لدى المواقف الشهابية ، ومولانا قد حضر بنفسه إلى دمشق المحروسة ، وأقام بها تلك المدة الطويلة حال بطالة ، وولاية غريمه ، وعدم تلبسه بما يُراعى لأجله أو يُسكت عنه بواسطته ، وقد اجتمع به الخاص والعام واطَّلَعَ على حقيقة الحال بالمشاهدة والسَّماع حق الاطلاع ، وخلفه بعد ذلك مخدمونا الأمير بُرْدَبَك الدويدار أسعده الله في الدنيا والآخرة ، وشاهد وسمع ، وحسب المملوك ذلك في تكذيب من يزعم خلافه ، والمسؤول من الصدقات العميمة تقرير ذلك كله في المسامع المخدمية الشهابية

ضاعف الله جلالها على وجه تتحقق بواسطته حقيقة أمر المملوك ، وينتج له من مزيد القرب منها ، ووفور عنايتها ، ما يُخَذِّل الأعداء ويُكَبِّتُهم ويُخَرِّسهم ويُسَكِّتُهم أَجْرًا في ذلك على عوائد الصدقات العميمة ، والله يعلم أَنَّ المملوك لا يقصد التوصل بذلك إلى دنيا يحصلها ، ولا غرض نفساني يبلغه ، ولكن لكلمة الحق يصدع بها ، أو مظلوم ينصره ، أو معروف يأمر به ، أو منكر يُنهي عنه يزيله ، وأجور ذلك كله مسطرة في الصحائف الشريفة ، والصحائف المخدمية الأعظمية الشهابية ، وجميع أرباب المناصب مقبلون على نفع أنفسهم بالعاجل ، والمملوك عن ذلك بمعزل ؛ لاستغراق أوقاته بما يعود نفعه على الرعايا ومن هذا شأنه ، لا ينبغي أن يُخَذِّل ، وقد ثَقُلَ على قلوب كثير من أرباب المناصب المقبلين على تحصيل الدنيا ؛ لأنه قَذَى في عيونهم ، وشَجَا في حلوقهم ، ومانع لهم عن الوصول إلى مطالبهم ، وقد صار غريبًا لا مُعين له على ذلك ، غير الالتجاء إلى الله عز وجل ، والاعتماد عليه والانتصار به ، والاستناد إليه ، وكفى بالله وليًا ، وكفى بالله نصيرًا ، ثم المسؤول الإمداد بالخواطر الكريمة والأدعية الصالحة المجابة والإتحاف بما يَسُنح من المهمات والخدم والمواصلة بالأمثلة العالية على عادة صدقات مولانا وفضله ، والله المسؤول أن يحسن لنا وله العاقبة في الدنيا والآخرة آمين . كُتِبَ خامس عشر المحرم [٢٠٥] الحرام سنة ثلاث وستين وثمانمائة .

وكتب أخوه شيخنا الإمام برهان الدين إبراهيم أفدر أهل العصر على الإنشاء نظمًا ونثرًا : « وَيُنْهِي أَنَّهُ سَطَّرَهَا عَنْ وَدِّ أَكِيد ، وشوق شديد ، وتوق ما عليه من مزيد إلى مشاهدة المحيَّا السعيد جمع الله الشمل به في عافية ، وسلامة وافية ، على أحسن الوجوه وأجملها وأفضلها وأكملها ، إنه بالإجابة جدير وعلى ما يشاء قدير وسبب تسطرها إلى خدمته فسخ الله في مدته ، قضية اقتضى الحال إحاطة العلوم الكريمة بها وتجهيز حامل هذه

العبودية بسببها ؛ وهو أن قريباً لنا غريب الطَّور (١) ، كثير المور (٢) ، ربَّناه وليداً ، وأوليناه إحساناً عديداً وإفراً مديداً ، قديماً وجديداً ، توسَّل بانتسابه إلينا وتراميه علينا إلى أن ولى القضاء بأعمال سار فيها سيرة ذميمة واكتسب أوزاراً عظيمة ، ثم عُزل منها وانفصل عنها ، وورد إلى الشام مأزوراً مذموماً مدحوراً وحيداً فريداً شريداً طريداً ، فَعَنَّفناه وأُنْبَنَاه ولناه ووبَّخناه ، وأعرضنا عنه تأديباً له ، فضاقت عليه نفسه كما سيضيق عليه رَمْسُه (٣) ، فخدعنا بإظهار الإنابة ، وعطفنا عليه عاطفة القرابة ، فاستتبناه وأوصيناه بالاستقامة ، واقتفاء سبيل السلامة ، وقلنا له : إن استقمت أقمت ، وإن ملَّت زِلْتُ ، فعاد إلى ما عهد من سيرته القبيحة ، ولم يأنف من العار والفضيحة ؛ فعزلناه وأزلناه وحططناه من تلك المرتبة ، وأنزلناه ، فأظهر العداوة ، وأفرغ فيها الأداوه ، وصدرت منه أمورٌ تقشعر الجلودُ منها ، وإساءات كثيرة أغضينا عنها ، فبالغ الناس في تأنيبه ، ولامونا على الإخلال بتأديبه ، منهم الشيخ شمسُ الدين البلاطُني وغيره من الأخيار المنتظمين في سلك الأبرار ، فأعرضنا عن مقابلته اكتفاءً بالله العالم بحقائق الأمور ، والمطلِّع على ما في الضمائر والصدور ، وتوجَّه إلى القاهرة ، عازماً على اختلاق ما أمكن من البُهتان والزور ، وحثَّه على ذلك أقوامٌ من الحاسدين البائرين الكاسدين ممن يظهر الوفاق ، ويُبطن النِّفاق ﴿وَوَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ (٤) والله يعلم

(١) الطَّور : الحال والهيئة .

« المعجم الوسيط » (٢/ ٥٧٠) .

(٢) المور : الاضطراب .

« المعجم الوسيط » (٢/ ٨٩١) .

(٣) رَمْسُه : قَبْرُه .

« القاموس المحيط » (٢/ ٢٨) .

(٤) الأعراف / ٢٠٢ .

أنهم مفترون ﴿ وَإِنْ يُمْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾^(١) والقصد أن لا يُصغي إليه ويضبط جميع ما يقوله عليه ، فإن حَقَّقه ، بأن صدَّقه ، وإلا ثبت كذبه وفسقه ، وقوبل مقابلةً يرتدع بها كل مجترىء وكذوب مفترى ، ويُكتب بذلك إلى كافل المملكة الشامية عملاً بالشرعية النبوية ، وامثالاً لقول رب البرية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾^(٢) الآية ، وسيدي بلَّغه الله من آماله الغاية أولى من سلك طريق أهل الحزم ، وشمَّرَ عن ساعد العزم في ردع شرار الخلق ، ونصرة أهل الحق ، لعلو همَّته المزاخمة للسها ، ومثانة دينه التي لا تخفى على أحد من أهل النُّهى ، وغزارة مروءته التي إليها المنتهى مع ماله من المحبة المعروفة ، والشَّفَقَةِ المألوفة ، والصحبة الصافية الموارد المعلومه عند الصادر والوارد ، وأنه الصديق الصدوق ، والحِلَّ الشَّفُوق ، ولا يخفى عليه قول من قال ، وأحسن المقال :

والفتى إن أراد نَفَعَ صديق فهو يَذْري في نَفْعِهِ كَيْفَ يَسْعَى

والله الموفق للصواب ، والمجازي على الخير بجزيل الثواب ، وهو المسؤول جلَّتْ نعمائُه ، وتقَدَّست أسماؤُه في إطالة بقائكم ، وتقريب أمدِ لقائكم ، وإبهاج القلوب بما يرد من تلقائكم ، وأنتم في حفظ الله وأمانه ، وكفالة اللطف وضمانه ، والسلام عليكم ورحمة الله الشاملة وبركاته الوافرة الكاملة .

[٢٠٦] ولما بذل ابن عمهما ما بذل كما تقدم ووعد بها وعد ، وكانت الدولة قد ماجت كما مضى بعد موت ناظر الخاص ، وكلُّ أحدٍ يجرُّ إلى نفسه النفع من غير تأمُّل للعواقب ، تعلقَت آمالهم بإجابة سؤاله تنجزاً

(١) الأنعام / ٢٦ .

(٢) الحجرات / ٦ .

لوعده ، أو زلزلة ابن عمه رجاء رفته ، وكان المتجدد منهم ، يظن أن الجمال ، لطول مدة ولايته قد حصل من الأموال ما لا يحصى لظنهم أنه من القضاة الجماعين ، فذهبت إلى بعضهم مع رسوله نور الدين محمود الحلبي ، وكان قد كتب أيضًا إلى جميع أركان الدولة ، وكان ابن مُزهر من شياطين الناس ، وكَذَّبَتْهُمْ ، فلما ذكر له رسول الباعوني أنني عزمتُ على الدَّوران معه على بقية الأكابر ، سأل أن يتولَّى هو ذلك تقريبًا إلى خاطر الجمال ، وأن أدخر أنا إلى وقتِ المهمات إن احتيج إليّ ، وكان يدور معه ، وهو يتقن قضية جلال الدين ، سعيًا في أهوائهم ، ولنيل ما وُعد به هو أيضًا ، فلما علمت ذلك بادرت إلى المسموع الكلمة منهم فقلت لكل : أنت الآن ملجأ الناس ، وقد أرسلت إلى بلاد الشام ، لأنهم أهلٌ بلادي ، وأن مدار الأمر عليك ، فأقبلت قلوبهم عليك ، وهم منتظرون ما تفعل ، ولا شك أن الأمور بأوائلها ، فمتى شاعَ عن الإنسان في أوليته شيء استمر ، ولا ترجمه أشنع من عزَل الجمال بهذا الصَّبي ، وذكرت سيرة كلٍّ منهما ، واعتقاد الشاميين فيهما ، ومحبتهم للجمال ، وبغضهم لابن عمه ، وقررت أن كلمة من الجمال أنفع من عشرين ألف دينار من غير ؛ لأنه مُطاع الأمر ، عزيز العقل ، ثابت الأوتاد ، وأقمت ما تيسر من الأدلة على ذلك وأنه مع كونه من أهل الدين ، من أعرف الناس بأحوال الدنيا ، ولا تضيع عليه المساعدة ، بل يخدم ، ولكن لا يُقارب ما بذل هذا ، ونحو هذا الكلام ، وزدت الخنصيصين بدولة السلطان من أهل السيف ، أنه يُخشى من ولاية الصَّبيان وجعلهم رؤوسًا في الأقطار أن يستخفهم بعضُ النواب لغرض إلى العصيان ، فيجدهم إليه سِرَاعًا ، أو يستخفوه هم لعجز عن أداء ما يُكَلَّفون به من الأموال ، أو غير ذلك عند غَضَبَةٍ من الغَضَبات ، فيجدونه إلى ذلك سريعًا ، ويكون الناس ، بعد أن صاروا رؤوسهم إلى إجابتهم سِرَاعًا .

وذكرت لهم أن القاضي ناصر الدين محمد بن البارزي أبا القاضي

كمال الدين رأى الملك المؤيد شيخ إذ كان نائب طرابُلُس ، فتوسَّم فيه النجابة ، فأمر من يغسله في الحَمَام أن يُخبره بما في جسده من الآثار والعلامات ، ففعل فنظم أَرْجوزة وكتبها في ورقة وَغَتَّقَهَا ولصقها في ترجمة أبي زيد ^(١) المؤزِّي من تاريخ ابن أبي ^(٢) الدَّم ، وجعلها على هيئة الملحمة ^(٣) ، ذكر فيها من يتولى من الملوك إلى أن وصل إلى الناصر فرج بن برقوق ، فوصف الذي يملك بعده بأوصاف شيخ ، فتحقق ذلك في ذهنه ، فلم يزل إلى أن خرج على الناصر ، وكان البارزي معه ، وجرت بينهما حروبٌ يطول شرحها إلى أن كان آخرها القبض على الناصر وذبحه ^(٤) .

فلما تقرر ذلك كله توقف أمر الجلال ، وكان قاضي المالكية الشهاب

(١) هو : أبو زيد محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد المؤزِّي الفاشاني - من قرية فاشان ، وُلِد سنة ٣٠١ هـ ، وروى صحيح البخاري عن الفِرَزْبُرِّي ، وكان من أحفظ الناس لمذهب الشافعي ، وأحسنهم نظرًا ، وأزهدهم في الدنيا ، مات بمرور يوم الخميس ١٣ رجب سنة ٣٧١ ، وله تسعون سنة . له ترجمة في : « تاريخ بغداد » (١/٣١٤) ، و « وفيات الأعيان » (٤/٢٠٨ - ٢٠٩) ، و « سير أعلام النبلاء » (١٦/٣١٣ رقم ٢٢١) ، و « طبقات السبكي » (٣/٧١ - ٧٧) ، و « طبقات الأسنوي » (٢/٣٧٩ - ٣٨٠) ، و « شذرات الذهب » (٣/٧٦) .

(٢) هو : إبراهيم بن عبد الله بن عبد المنعم بن علي بن محمد ... بن أبي الدَّم ، شهاب الدين أبو إسحاق ، وُلِد بحمّة في ٢ جمادى الآخرة سنة ٥٨٣ هـ ، وتفقه ببغداد ، وسمع بالقاهرة ، وحَدَّث بها وبحلب ، مات بحمّة في منتصف جمادى الآخرة سنة ٦٤٢ هـ ، من مصنفاته : « كتاب التاريخ » و « التاريخ المظفري » .

له ترجمة في : « طبقات السبكي » (٨/١١٥ رقم ١١٠٧) ، و « شذرات الذهب » (٥/٢١٣) ، و « كشف الظنون » (١/٢٧٦) ، و « الأعلام » (١/٤٢) .

(٣) المُلَحَّمة : جاء في « المعجم الوسيط » (٢/٨١٩) « .. عملٌ قصصيّ له قواعد وأصول ، يشاد فيه بذكر الأبطال والملوك وآلهة الوثنيين ، ويقوم على الخوارق والأساطير ، وقد يكون شعرًا كالإلياذة عند الإغريق ، والشاهنامة عند الفرس ، وقد يكون نثرًا كسيرة عنترة » .

(٤) وذلك في ليلة السبت ١٦ صفر سنة ٨١٥ هـ .

« النجوم الزاهرة » (١٣/١٤٧) .

التلمساني من ثَقُلَ عليه أمر الباعوني ؛ لكون وجوده قاضيًا مانعًا له عن تعاطي ما يريده من الفساد ، وكان متمولًا ^(١) ، وكان له في القاهرة وكيل من البربر ^(٢) فيه شَنَشَتَهُمْ ^(٣) ونخوتهم وعصبيتهم يُسمى عَلِيًّا التواتي ، وكان الجامع بينه وبين مُوَكَّلِهِ خبائثُ الأرواح ، وكان قد أرسل إليه أن يعطي الجلال مهما احتاجه من الكلفة على قضاء الشافعية بدمشق .

[٢٠٧] فلما رأى الجلال أمره متوقعًا لم يزل يزيد حتى بلغ ثمانية آلاف دينار للسلطان ، وثلاثة آلاف لولده ، ولبقية أركان الدولة تكملة ثلاثة عشر ألف فلم يُقبل ذلك منه .

ثم أرسل إلى البرهان الباعوني أخو الجهار ما نصه : « ويُنهى ما عنده من الأشواق العظيمة إلى مشاهدة الذات الكريمة ، جمع الله الشمل بها في خير وعافية ، وسلامة وافرة وافية على أحسن الوجوه وأجملها وأفضلها وأكملها ، ليسكن ما بالقلب من أزيز وما ذلك على الله بعزير ، وأن مطالعة المملوك تقدّمت إلى خدمته أدام الله عليه سوابغ نعمته على يد نور الدين محمود الحلبي ، تتضمن ما أنهاء من جهة ذلك الصبي الجاهل الغبي ، الذي زين له الشيطان وذووه ما زينوا ، وبيتوا له من سلوك طريق الشر ما بينوا ، وحضوا على ذلك وأغروه وسلبوه من الدين وأغروه ، واستثار العزم الكريم ، والمجد الصميم في كفاية أمره وإطفاء جهره ، وإخماد شر شره على المألوف من همته العلية ، والمعروف من غيرته الدينية ، وقيامه بحقوق الصحبة المؤسسة على التقوى والمحبة التي

(١) مُتمولًا : أي صاحب مال كثير .

« محيط المحيط » (٨٦٩) ، و « المعجم الوسيط » (٢/ ٨٩٢) .

(٢) البربر : جاء في « محيط المحيط » (٣٢) « قومٌ في مغرب إفريقية ، جُفَاءَ كالأعراب ، في رقة الدين ، وقلة » . وأمة من الحبش والنيج .

(٣) « (٧/ ١٠٠) أنالشنشته هي الطبيعة والخلقة والسجية » .

يشهد بها عالمُ السِّرِّ والنَّجْوَى على الوجه الجميل المشكور ، وعاد جوابُ نور الدين المذكور بإنكار المخدم لذلك الأمر المذموم ، وما صدر منه من أنواع الإحسان ، ومساعدته بالقلب واللسان ، واهتمامه بسدِّ الذريعة وصيانة منصب الشريعة من كل حائد عن طريقها غير معدود من فريقها ، مُفسد في الأرض ، مُعرض عن يوم العَرْض ، غير مُهْتَمَّ بالسَّنَةِ والفرض ، ولا ملىء بوفاء القرض كهذا التعيس وأمثاله ، المَلَجَجُ (١) في بحر ضلاله ، الغافل عما سيحل به من عقاب الله ونكاله وتحريضه ، أمتع الله بحياته ، وبارك في حسناته ، وَحَفَّه بِاللَّطْفِ من جميع جهاته ، لكل من ظن به الخير من الأعيان المواظبين عليه في سائر الأحيان ، وأعظمهم المقر السيوفي بُرْدَبَك الأشرفي ، عامله الله بلطفه الخفي ووقاه شرَّ الأشرار ، ونظمه في سلك عباده الأبرار ، حتى سدَّ على المذكور طُرُقَهُ ، بعد أن عَلِمَ اختلاله وخُرْقَهُ ، وتحقق كذبه واختلاقه ، وإفكه واثلاقه (٢) ، وما قرره عند السلطان خلد الله ملكه ، وأجرى في بحر السعادة فُلْكه ، من سيرة الأخ التي أخبرها وعرفها كمَّا سبرها ، وتأملها واعتبرها ، ونشر بعبارته الحسنة خبرها ، وما حصل من العطف الشريف بسفارته وإيصالها إلى المسامع الشريفة بحسن عبارته ، وأتته بالغ في ردع ذلك الشيطان ، واستجلب برده وقمعه الأدعية لمولانا السلطان ، وشاع ذلك بالشام وذاع وفاض ، حتى ملأ الأسماع ، فتضاعفت الأدعية بطول بقائه ، ودوام عزه وارتقائه ، والله يسر القلوب بما يرد من تلقائه ، ويجزيه أفضل ما جرى صديقاً عن صديقه ، ويمدّه بتأييده وتسديده وتوفيقه .

(١) المَلَجَجُ : المتهاذي في العناد إلى الفعل المزجور عنه .

« محيط المحيط » (٨٠٨) .

(٢) « المعجم الوسيط » (٢٤ / ١) .

ومما تجدد من الأمور والحوادث القاصمة للظهور ، المثيرة للحزن الكامل ، المجرية للدمع الهامل ^(١) ، موت الشيخ الإمام العالم ، ذي القلب الأنور ، الأمر بالمعروف ، الناهي عن المنكر ، المؤسس للخير أحسن التأسيس ، المتصدي للإفتاء والتدريس ، شمس الدين البلاطُني نور الله رمسه ، وضاعف في الجنة أنسه ، فيا له من خطب أجرى العبرات وأثار الحسرات ، وأضرَم بالقلوب الجمرات [٢٠٨] وكانت له جَنَازَةٌ بَعْدَ العهدُ بمثلها ، وتزاحم الأعيانُ على حملها ، عليها من الوقار والسكينة ما دلَّ على مكانته المكيّة ، وعمّ الحزنُ لكل من بالمدينة إلّا ما كان من أهل الفساد والبوار والكساد ، وقضاة الجور الحائدين عن واضح السبيل ، المعترضين بحلول العقاب الوبيل ، فقد كان لهم رادعًا ، وبالحق صادعًا ، وللإنكار عليهم مُسَارِعًا ، ولمن سلك مسلكهم قامعًا ، ومنهم هذا الصّبي الذي نبغ وبلغ من قلّة الدين والعقل ما بلغ وأمعن في الاختلاق علينا مع انتسابه إلينا ، وما أوليائه من الجميل والإحسان الجزيل حتى إنه لما تنجّز توقّعًا بنيابته الخطابة عن المملوك ، وسلك في الاستطالة على مباشرها أقبح السلوك ، وهو الشيخ الجليل عبد الرحمن ^(٢) بن خليل قال : أنا بهذا الفاسق أخبر ووالله لئن صعد هذا المنبرُ لأجذبَنَّهُ بطوّفه ^(٣) وأرميه على وجهه من فوقه ، ولا أوافق على

(١) الهامل : الفائض .

« محيط المحيط » (٩٤٥) .

(٢) هو : عبد الرحمن بن خليل بن سلامة بن أحمد بن علي بن شريف بن مؤنس ، الزين أبو الفهم وأبو زيد بن الصلاح الأذرعي الأصل القابوني الدمشقي الشافعي ، المعروف بالشيخ خليل ، وُلِدَ سنة ٧٨٤ هـ بالقابون من دمشق ، ونشأ بها ، وسمع على عدد من العلماء في القاهرة والخليل ودمشق وناب في الخطابة بجامع بني أمية بدمشق دهرًا ، وكذلك في الإمامة ، ومات في شعبان سنة ٨٦٩ هـ .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (٤/٧٦ رقم ٢٢٣) .

(٣) بطوّفه : الطّوقُ حُلِيٌّ للعتق يحيط به ، وكل ما استدار بشيء .

« القاموس المحيط » (٣/٢٦٨) ، و « محيط المحيط » (٥٦٠) .

الصلاة خلف فاسق مثله ، مع ما أعرف من قلة دينه وعقله ، ولما بدر منه بعد ذلك ما بَدَرَ وصدر من أفعاله القبيحة ما صَدَرَ أشار بضربه وحَبَسه ، وعزم على تعاطي ذلك بنفسه ، ولام الأخ على إهمال ذلك غاية اللوم ، واستمرَّ عاتبًا عليه بهذا السبب من ذلك اليوم ، ولقد كان رأيُه في ذلك سديدًا ، وشوْزه مباركًا سعيدًا ، وبصيرته منوَّرة ، وحقائق الأشياء في مرآتها مصوَّرة ، ولهذا الصبي الغبيُّ النازل من الخذلان في المنزل الوبيء أبُّ جاهلٌ ، عن الآخرة ذاهلٌ ، ألأم من مارِد يُسمَّى عبد القادر ، باشر تَقْدِمة ناحية من نواحي البلاد الصَّفديَّة ، فأقْصَى وأبعد ؛ لسيرته الرَّدِيَّة ، معروفٌ بسوء الطريقة من زمن الصُّبا ، وهو الآن بالشام ، يتعاطى الرِّبَاء ، أشاع أنَّ ابنه وُلِّي القضاء ، فضاق على المسلمين بذلك القضاء ، وازْتَمَضُوا^(١) من سماع هذا الكلام ، وقالوا : يا لله ، للإسلام صبيٌّ ذو فَرْيَةٍ^(٢) لا يصلح لقضاء فَرْيَةٍ يلي منصبًا وليه السُّبكي ، إنَّ هذا مما يؤلم ويُبكي ، فقال شخصٌ من الفضلاء الأذكياء النبلاء :

تولى شَيْخٌ قضا ^(٣) جلَّتْ	فيالك من حادث مُمرَض
وهوَل يُسَيِّبُ رأسَ الرَضِيع	فيصبح كالْكُرْسُف ^(٤) الأبيض
ويا لك من كارث مؤلَم	لكلِّ إمْرءٍ مسلم مُمرَض ^(٥)

(١) ارتَمَضُوا : جاء في « المعجم الوسيط » (١/ ٣٧٣) « ارتمض من كذا : اشتد عليه وأقلقه » .

(٢) فَرْيَةٍ : كذب .

« محيط المحيط » (٦٨٨) .

(٣) جَلَّتْ : جاء في « معجم البلدان » (٢/ ١٥٤) أنها كورة الغوطة كلها ، وقيل : بل هي دمشق

نفسها ، وقيل : موضع بقرية من قرى دمشق .

(٤) الكُرْسُف : القطن .

« المعجم الوسيط » (٢/ ٧٨٣) .

(٥) مُمرَض : جاء في « لسان العرب » (٩/ ٢٢) « .. وشهر رمضان مأخوذ من رَمَض الصائم

يَرْمَض إذا حرَّ جوفُه من شِدَّة العطش » .

فَنُوحُوا عَلَى الدِّينِ وَابْكُوا دَمًا وَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ عَمَّا قَضَى
وَتَوْبُوا إِلَى رَبِّكُمْ تَوْبَةً نَصُوحًا بِصَدَقٍ لَهُ يُرْتَضَى
عَسَاهُ يَهْدِيَهُ لَهُ قَاتِلًا بِسَيْفٍ صَقِيلٍ لَهُ يَنْتَضَى
يُرِيحُ الْبَرِيَّةَ مِنْ وَجْهِهِ فَمَا وَجْهُهُ بِمُنِيرٍ وَضَى
وَلَوْ قِيلَ لِلْكَلْبِ مِنْ بَعْدِهِ تَعَالَ تَوَلَّ الْقَضَاءُ مَا رَضَى

ثم قال : هذا لا يكون ، ويأبى الله ذلك والمؤمنون ، ولا يجتمع على المسلمين مُصِيبَتَانِ ، جَلِيلَتَانِ عَظِيمَتَانِ : مَوْتُ هَذَا الْعَالِمِ التَّقِيِّ ، وَوَلَايَةُ هَذَا الْجَاهِلِ الشَّقِيِّ ، فَوَاللَّهِ لَوْ خَرَجَ الدَّجَالُ ، وَتَبِعُهُ ، وَانْضَمَّ إِلَيْهِ ، وَصَارَ مَعَهُ ، وَسَعَى عِنْدَهُ فِي الْقَضَاءِ ، مَا التَفَتَ إِلَى كَلَامِهِ وَلَا سَمِعَهُ ، وَلَا عَلِقَ بِالْوَصُولِ إِلَى ذَلِكَ طَمَعُهُ ، وَلَوْ رَشَاهُ بِكُلِّ شَيْءٍ اكْتَسَبَهُ ، مِنَ الْحَرَامِ وَجَمَعَهُ ، وَلَزَجَرَهُ عَنْ ذَلِكَ وَرَدَّعَهُ وَقَمَعَهُ ، وَنَرَجُو اللَّهَ أَنْ يُرْغَمَ بِمَنْعِهِ أَنْفُ الشَّيْطَانِ ، وَأَنْ لَا يَدْنُسَ بِهَذِهِ السَّيْئَةِ صَحَائِفَ السُّلْطَانِ ، وَأَنْ يَمْلَأَهَا بِالْحَسَنَاتِ الْمَشْرِقِ نَوْرَهَا ، الْعَظِيمَةِ أَجُورَهَا ، الْعَاصِمِ مِنَ الْآفَاتِ سُوْرَهَا ، وَأَنْ يُوقِّعَهُ إِلَى مَنْعِهِ وَزَجْرِهِ وَرَدَّعِهِ وَمُقَابَلَتِهِ عَلَى اجْتِرَائِهِ وَاخْتِلَاقِهِ وَافْتِرَائِهِ وَعَدَمِ تَوَلِيَّتِهِ مَنْصَبًا مِنَ الْمَنَاصِبِ الشَّرْعِيَّةِ ، عَمَلًا بِمَا أَوْجَبَهُ عَلَيْهِ رَبُّ الْبَرِيَّةِ ، مِنَ الْعَدْلِ فِي الرِّعْيَةِ ، فَهُوَ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ ، وَالْهَادِي إِلَى سَوَاءِ الطَّرِيقِ ، وَبِهِ نَعْتَصِمُ مِمَّا يَصُمُّ وَنَسْتَجِيرُ مِمَّا يَضِيرُ ، وَنَسْتَعِينُ ، وَهُوَ نَعْمُ الْمَعِينُ ، وَبِاللَّهِ بَارِي النَّسَمِ ، وَهُوَ أَشْرَفُ [٢٠٩] الْقِسْمِ لَوْ وُلِّيَ هَذِهِ الْوُظُفَةَ مِنْ تَبَرُّأٍ بِهِ الدُّمَّةُ ، وَتَطْمِئِنُّ بَوْلَايَتِهِ نَفُوسُ الْأُمَّةِ ، مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالذِّيَانَةِ ، وَالْعِفَّةِ وَالصِّيَانَةِ ، وَالْعَقْلِ وَالرَّصَانَةِ ، وَالثَّقَةِ وَالْأَمَانَةِ ؛ لِأَحْبِينَا ذَلِكَ وَمَا كَرِهْنَاهُ ، وَاسْتَصَوْبُونَاهُ وَمَا أَنْكَرْنَاهُ ، وَحَمَدْنَا اللَّهَ عَلَيْهِ وَشَكَرْنَاهُ ، وَاللَّهُ الْعَالِمُ بِالنِّيَّاتِ ، الْمَطْلَعُ عَلَى الْخَفِيَّاتِ ، وَمَا تُكِنُّهُ الطُّوْيَاتِ ، وَأَنْتُمْ فِي حِفْظِ اللَّهِ وَأَمَانِهِ ، وَكَفَالَةِ اللَّطْفِ وَضَمَانِهِ ، وَجَمِيعِ الْأَحْبَابِ وَالْإِخْوَانِ وَالْأَصْحَابِ ، وَنَحْنُ فِي أَنْتِظَارِ الْجَوَابِ ، الْمَحْصُلِ لِلثَّوَابِ . كُتِبَ سَلَخَ صَفَرِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسِتِينَ وَثَمَانِ مِائَةٍ .

فكتبت إليه أدام الله نعمه عليه : « وبعد ، فقد وصلت أمثلة المخدم
تَبَتْ جميل المحبّة ، وصحيح المودّة ، وصافي النّيّة ، وحُسن الطويّة في
الخلّة الإبراهيمية ، وتثني على ذلك الجلال ، بقُبْح الخِلال ، وتخبر أن كَفّ
شره بإدامة ضُرّه من أمتن عرى الدين ، فإنه من أكبر المفسدين ، فبادر
العبدُ إلى ما دُعِيَ إليه وحُثَّ عليه ، فإذا المذكور أبو الشرور ، وأخو
النّجّاس والفجور ، وعم القبايح والزور ، قد ادّعى الإمامة عند أولي
الرئاسة والرّعاية ، فأول ما بُدِئ وهو في شوطه كالنعامة بضربة
صمصامة (١) ، نثرت منه الهامة (٢) ، وطحنت عظامه وقطعت أقدامه ،
فأزالت إقدامه وأوجبت إحجامه ، ووصلت سيقامه وأطارت حَمَامَه (٣) ،
فعجّلت حِمَامَه (٤) وشالت منه النّعمة (٥) ؛ وذلك أنه سُئِلَ عن الفرق
بين اسمه واسم العمامة ، فصار كأنه قُلاَمَة (٦) على قِيامة ، أو مُضغَة بين
يدي أسامه ، فاعتَرته ندامةٌ وكفُّ شَهامة ، وعلته وهو ذميم دَمَامَة ،
وأبعدت عنه كما كانت الكرامة ، وكُتِبَ عليه قَسَامَة أن لا يَفْجُر أَمَامَه ،

(١) صَمَصَامَة : أي ضربة سيف صارم لا يثني .

« المعجم الوسيط » (١/٥٢٣) .

(٢) الهَامَة : الرأس .

« القاموس المحيط » (٤/١٩٥) .

(٣) حَمَامَة : الحمام ، جنس طير من الفصيلة الحمامية ، وهو أنواع .

« المعجم الوسيط » (١/٢٠٠) .

(٤) حِمَامَة : الحِمَام ، قضاء الموت وقدره .

« المعجم الوسيط » (١/٢٠٠) .

(٥) شالت منه النّعمة : خَفَّ وغضب ثم سكن .

« القاموس المحيط » (٣/٤١٥) .

(٦) قُلاَمَة : ظفر ، مثَلٌ في الخسيس والحقير .

« محيط المحيط » (٤/٧٥٤) .

فويلٌ له من كذبه يوم القيامة ، لا كتب الله عليه سلامة يومه وشهره وعامه ، بل دهره وما قدَّامه ، ونُبَّه سيدي رفع الله أعلامه نفذ سهامه ، وسدد لاهمه ، على أنَّ بُعد ذلك الثقليل الدَّنيء الدَّلِيل من أعظم أنواع التقديس؛ فإنه بئس الخليل ، وأقام على ذلك الدليل بأنه أُسْبِخُ (١) خرطيل ، وأبوه شيخُ العشير في بلاد الجليل (٢) ، فامتثل العبدُ ذلك الواجب الجليل وقام فيه بالقال والقليل ، وجَرَّد له من ذلك اللسان الطويل كل حسام صقيل ، ورماه بكل حجر ثقيل ، حتى صار من الهَمِّ عليل ، ولم يبق له خليل ، غير حُصَّ بليل ، هو الآن له عويل ، وسُدَّ في وجهه كل سبيل ، فهو في بُكاء وعويل ، وهمَّ طويل ، ما له مثيل ، وصار مثلاً لجيل بعد جيل ، على أنه أقل من القليل ، والأمر فيه كما قيل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وَلِلْأَعَادِي أَوَّجُهُ سُودُ	قَدْ أَشْرَقَتْ أَوَّجُهُ أَصْحَابِكُمْ
وَالشَّيْخُ نَوْرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ	قَدْ نَاهَمَ ذِمٌّ فَأَخْزَاهُمْ
وَالضَّدُّ مَقْهُورٌ فَمَفْقُودُ	قَدْ عَادَ مَنْصُورًا عَلَى ضِدِّهِ
مِنْ شِدَّةِ الْمِغْصَارِ عَنُقُودُ	وَزَيْنُهُ شَيْنًا غَدَا وَاشْتَكَى
وَحُمَصٌ فِي قَدْرِهِ عُودُ	وَمُعْطَشًا أَصْبَحَ رَيَّانُهُ
وَالْقَلْبُ مِنْ مُغْرِيهِ مَقْدُودُ	وَاسْوَدَّ وَجْهُ التُّوتِ مِنْ غَيْظِهِ
وَرُكْنُهُ يَا صَاحَّ مِهْدُودُ	وَالْمُصْطَبَى قَدْ عَلَا [فِيهِمْ] (٣)
وَبَحْرُكُ الْمَحْمُودِ مَوْرُودُ	فَاللَّهُ يُبْقِيكَ لَنَا سَيِّدًا
وَكُلُّكُمْ لِلنَّاسِ مَوْدُودُ	تَسِرْ إِخْوَانُ الصَّفَا دَائِمًا

(١) أُسْبِخُ : السَّخَجُ ، المكان يظهر فيه المَلُخُ ، وتسوخ فيه الأقدام ، والسَّخَجَةُ أرض ذات ملح ونز لا تكاد تُثْبِت ، أي أنه لا خير فيه .

« المعجم الوسيط » (٤١٣ / ١) .

(٢) الجليل : جاء في « معجم البلدان » (١٥٧ / ٢) ، جبل في ساحل الشام تمتد إلى قرب

حصص ، والجليل أيضًا جبل بالقرب من دمشق ، وهو جبل بالأردن .

(٣) رسمها في الأصل (هم) ، والتصحيح بمقتضى وزن البيت .

في هذا الشعر إشارة إلى المفسدين المنضمين إلى الجلال ، منهم شخص يُقال له الزَّين ، وآخر يُقال له ابن عُثْقُود ، وآخر يُقال له ابن الرِّيان ، وآخر يُقال له الحُمُصَانِي ، وآخر يُقال له ابن شيخ المِصْطَبَةِ^(١) ، ثم انحَلُّوا عنه إلَّا الحُمُصَانِي ، وعلي التواقي صَبِيُّ التِّلْمَسَانِي المالكي ، وهو أَسْمَرُ قَبِيحُ المنظر .

وكتبت إلى أخيه قاضي القضاة ، وكان قد كتب ثانيًا يشكر ما بلغه عني ، ويشكو من ناس حجازيين قدموا عليه فأساءوا إليه ، ويسأل المطالعة بأمر وقفهم للأكابر ، كتابًا طويلًا ، منه : « وقدم مثال^(٢) مولانا بأمر الحجازيين [٢١٠] فصادف العبد متوجهًا إلى المقام الشهابي في خدمة الشيخ نجم الدين بن قاضي عجلون من أجل بنت الصارم ، فإن أمرها لم يزل كليلاً ، وجدها^(٣) مُذْبِرًا حتى قدم ، فاشتد حينئذ أمرها ، واستطال شرُّها ؛ لشدة ما خَيَّلَتْ منه ، فقرَّر له أمرُ الحجازيين وأمرُ وَقْفِهِمْ ، وإحسان مولانا إليهم ، وتوارُدْهم لأجل الإحسان حتى ضعف الوقف ، وكان ذلك غِبًّا^(٤) قراءة العبد لذلك المثال ، والبكاء عند تأمل ما فيه من تضرع سيِّدي وصدق توجهه إلى الله في الحكم بينه وبينهم بالعدل ، وتَبَرُّئه من حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ واعتصامه بحول الله وقوته » .

إلى غير ذلك من تلك العبارات التي هي مع رقتها وجلالتها خارجةٌ

(١) المِصْطَبَةُ : ويقال (المِصْطَبَةُ) وهي عند العامة بقعة بجانب البيت تُحاط بجدار وتُردم أرضها فتكون أعلى مما حولها .

« محيط المحيط » (٤٠٩) ، و « المعجم الوسيط » (٥١٤/١) .

(٢) مثال : كتاب .

(٣) وجدها : حظها .

« المعجم الوسيط » (١٠٩/١) .

(٤) غِبًّا : عَقِب .

« القاموس المحيط » (١١٣/١) .

من قلب صافٍ بنفس طاهر ، فيالله ما أحلى ، وما أنهى ، وما أعلى ،
فلما كان ذلك كذلك ، صادف من المقام المذكور قبولاً ، ويكون إن شاء
الله بها رامه كفيلاً ، وقد سكن الآن أمرُ المرأة ، عَجَّلَ الله دَمارها ، وأضرم
عليها نارها .

ومما تطالع به العلومُ الكريمة ، أنه لما اشتدت الأمورُ ، وخيف تفاقم
الشرور ، بكثرة إغراء الأخصام لمن ذكر من الألداء اللثام خُيِّلَ العبدُ بما
أصغت إليه القلوب ، وارتسم في دواخل العقول ، غير أني كنت كلما
نصبت خالاً زاد الخبيث له مالأً ، إلى أن نابذ العقل كما نابذ الدين ،
وزاحم ياسيه بن بحرته ابن أبي العشرين ، فخفت العواقب ، فعطفت
الأطماع ببعض ما جُبِلت على محبة الطباع ، حتى تم الأمر ، وخمد الشرُّ ،
فمولانا يهَوِّنُ عليه ذلك إن امتطى الرُتب العوالي ، استهدف لحَساده ،
ومن استهدف لهم رشقوه ، وإنما يُصابُ الأمثل فالأمثل ، وإصابةٌ في
المِجَنِّ^(١) أولى من إصابة في الجسم ، وإصابةٌ في الجسم أولى من إصابة
في العَرَض ، وإصابةٌ في العَرَضِ أولى من إصابة في الدِّين ، فالمخدوم لم
يُصب إلا في المِجَنِّ ، وراميه قد أصيب في جميع ما ذكر مع خيبة المسعى ،
وسوء الذكر والثناء ، وهذا مستوجبٌ للسماح والحمد لله على الصَّلاح ،
والفوز بالنجاح مع أنَّ العبد لم يُعَيِّن شيئاً أصلاً ولا شرح فيه باباً ولا
فضلاً ، ولكن لما قيل : إنَّ الأطماع تعلَّقت ببعض المتاع ، قال : إن قاضي
القضاة رأس العارفين ، ومثله لا يُدَلَّ على صواب ، والعبد يُكاتبه بجميع
ما وقع ، وأما أنتم فلا تكتبوا له إلا ما يليق بجنابه ، من حسن الشَّاء وما
يقتضيه حاله من المجد والعُلا ، ولم يزل العبدُ شديد الكرب من هب
الحرب ، حتَّى تواتر قدوم أكابر الشاميين فصدَّقوا مقالات العبد عند من

(١) المِجَنِّ : التَّرس .

« القاموس المحيط » (٤/ ٢١٢ ، ٢٧٢) .

لم يكن يعرف المخدوم ، وحققوا ما كان ذكر لهم من صفاته التي هي في هدايتها ومكانتها كالنجوم ، وتسابقوا في فداء ذاك الجمال من الأهوال والأحوال ، بالأنفس والأموال والأولاد والآل ، وكلّ نفيس غال ، فقويت إِذَا غُصِبَةُ الْإِيَّانِ ، وَضَعُفَ كَيْدُ الشَّيْطَانِ ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾^(١) ، ورجع حاملها أبيض الوجه ، قرير العين ، بعيد الصَّوْتِ ، قويم الصوب عالي القدر ، نابه الذَّكْر ، باذخ المجد ، ظاهر الرُّشْد ، فلله درّه تركيّاً عربيّاً شاميّاً مصريّاً ، نصوحاً مرَضِيّاً .

[٢١١] وفي يوم الجمعة رابع جمادى الأولى من سنة ثلاثٍ وستين هذه ، وصل القاضي محبُّ الدين أبو المعالي بن الشَّحْنَة إلى القاهرة وقت الصلاة ، فصلّى في جامع الحاكم ، ثم ذهب إلى بيت قرّاجا بالقرب من جامع الأزهر ، وكان قد أُخْلِى له ، فنزل فيه ، ثم طلع بكرة السبت خامسه إلى القلعة ، فسلم على السلطان فأحسن تلقيه ، وخلع عليه ، وارتجت البلد له ، وزُلزل الأعيان زلزالاً شديداً^(٢) .

وفي هذا الشهر^(٣) ، رُسم بإحضار أبي الخير النحاس^(٤) ثم رُدَّ القاصد غير مرّة .

وفي هذا الشهر ، حُفِر في بيت ناظر الخاص يوسف بن كاتب حكيم ، فوجد قِذْرَةً فيها خمسة عشر ألف دينار إلا شيئاً ، ثم حُفِر أيضاً وفُتِّش ، فوجد صندوقاً فيه قماش مُذهَّب يساوي نحو عشرة آلاف دينار .

(١) النساء / ٧٦ .

(٢) الخبر في : « حوادث الدهور » (٣٢٢) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٦٢) .

(٣) في : « حوادث الدهور » (٣٢٢) أن ذلك كان في يوم الأربعاء ٢٧ ربيع الآخر ، راجع أيضاً « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٦٢) .

(٤) وذلك من طرائف إلى الديار المصرية ، حيث كان منفياً منذ أيام الملك الظاهر جُفَمَق .

« حوادث الدهور » (٣٢٢) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٦٢) .

وفي يوم الخميس عاشر الشهر تُخلع على الأمير بُردُنبك الدويدار بِإمرة الحاج^(١) وعُمل مولد للنبي ﷺ .

[ولادة]

ابني أبو اللطف أحمد يوم السبت ثاني عشر جمادى الأولى سنة ٦٣ [٨] .

وفيا بين الظهر والعصر من يوم السبت ثاني عشر الشهر ، الموافق لحادي عشري برمهاات من شهور القبط وُلد ابني أبو اللطف أحمد من فتاتي حَسْبِي الله الزُّنْجِيَّة المَسْلَاطِيَّة بنت سلطان بلاد^(٢) المَسَلَّات (بفتحات مخفف) خَلِصَّة (بفتح الحاء المعجمة وكسر اللام ، ثم [صاد مثقلة] ^(٣)) ، ولم [أذكر ذلك ^(٤)] اعتيادًا على كلامها ، بل خَرَرْتَه من عدة من ذوي جِنْسِها ، عن مدة تسع سنين ، وتسعة أشهر حَمَلًا ، فلإني اشتريتها في ثامن شهر رجب من سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة حائضًا فانقضت مدة استبرائها في نحو عاشر شعبانها ، وحدثت لها أحوالٌ ظُنُّ بها أنها حملت في ذلك الوقت ، ثم حصل لها ما يحصل من وَحَم^(٥) النساء ، فلما كان في أواخر السنة تحرك واستمر إلى أن جاوز السنة ،

(١) الخبر في : « النجوم الزاهرة » (١٦ / ١٢٩) ، وجاء فيه أن الأمير كَسْبَاي الشُّشْبَانِي المؤيَّدي أحد أمراء العشرات أمير الركب الأول .

(٢) بلاد المَسَلَّات : ذكرها (ابن بطوطة) في « رحلته » (١٩) أثناء خروجه من طرابلس (الغرب) بصحبة جماعة من المصامدة في أواخر شهر المحرم سنة ٧٢٦ هـ ، وقال : « وأقام الركب في طرابلس خوفًا من البرد والمطر ، وتجاوزنا مسلاتة » .

كما ذكرها (الحسن بن محمد الوزان) في « وصف إفريقيا » (٤٨٢) وقال « مسلاته إقليم على حافة البحر المتوسط على مسافة خمسة وثلاثين ميلًا من طرابلس ، ويحوي بعض القصور ، والقرى الكثيفة السكان ، وأهلها أثرياء ، ويوجد بها كثير من النخيل ، ومن شجر الزيتون ، ويعيش أهلها في حرِّية ، وقد اعتادوا أن يختاروا من بينهم رئيسًا يحكي صورة الأمير ، ويدبر شئون السلم والحرب مع العرب ، ويهذا الإقليم نحو خمسة آلاف مقاتل » .

(٣) ما بين الحاصرتين غير واضح الرسم في الأصل ، والتصحيح من مفهوم السياق .

(٤) ما بين الحاصرتين غير واضح الرسم في الأصل ، والتصحيح من مفهوم السياق .

(٥) وَحَم النساء : جاء في « المعجم الوسيط » (٢ / ١٠١٨) « وَحَمَتِ الحُبْلَى تَوَحَّم وَحَمًا ، اشتبهت شيئًا على حَبْلِها » .

وحصل لها من فتور القوة ما لم تستطع معه أن تصوم رمضان سنة أربع وخمسين ، مع معالجتها لنفسها في ذلك عدّة أيّام ، تُمسِك ناويةً للصيام إلى قريب الظهر ، فتحصل لها دَوخة وقيء فتفطر ، فإذا أكلت لا يحصل لها ذلك ، وكذا اتفق لها في رمضان سنة خمس وخمسين ، وصامت رمضان سنة ستّ وخمسين وما بعده غير منزعة ، وصامت الشهرين اللذين فاتاهما وجبرنا كلّ يوم بكفّارة كما أمر به ، وهي مع ذلك تحيض ، وبطنها ضامر ، وحرّكته متزايدة ، ولم تحبّسها امرأة عارفة ولا غير عارفة ، مكذبة بحالها أولاً إلاّ سبحت الله تعالى واعترفت أن بطنها مشتملٌ على حملٍ اجتمع منهن على ذلك عدد يفوت الحصر ، فلما طال الأمر جدّاً قالت واحدة منهن أو اثنتان : أنّه مات في بطنها ، وكانت إذا كشفت بطنها في الشمس ينتقل إلى الجهة التي ليس فيها شمس .

وظن الشيخ أبو الفضل البجائي أنّ ذلك شيء سَمَاهُ الأطباء الرَّجَاء . قال ابن سينا ^(١) في القانون ^(٢) : « ربما عرضت للمرأة أحوالٌ تُشبه أحوال الحبلى ، من احتباس الطمث ، وتغير اللون ، وسقوط الشهوة ، وانضمام فم الرّحم ، وربما كان مع صلاية ما ، ويَعْرُضُ انتفاخ الثديين وامتلاؤهما » . قال ابن نفيس ^(٣) : « وربما تولّد في الثديين

(١) هو : الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا ، البلخي البخاري ، الملقّب بالشيخ الرئيس أبو علي ، فيلسوف ، طبيب ، شاعر ، وُلِدَ بخرميشن من قرى بخارا في صفر سنة ٣٧٠ هـ ، ومات بهمدان في رمضان سنة ٤٢٨ هـ ، من مؤلفاته : « القانون في الطب » ، و « تقاسيم الحكمة » ، و « الشفا » .

له ترجمة في : « وفيات الأعيان » (١٥٧/٢ رقم ١٩٠) ، و « سير أعلام النبلاء » (١٧/٥٣١ رقم ٣٥٦) ، و « كتاب الوافي بالوفيات » (١٢/٣٩١ رقم ٣٦٨) ، و « البداية والنهاية » (١٢/٤٢ - ٤٣) ، و « النجوم الزاهرة » (٥/٢٥ - ٢٦) ، و « شذرات الذهب » (٣/٢٣٤ - ٢٣٧) .
(٢) ذكره (حاجي خليفة) في « كشف الظنون » (٢/١٣١١ - ١٣١٣) ، وأشار إلى أنه من الكتب المعتبرة ، مشتمل على قوانين الطب الكلية والجزيئية ، له عدة شروح ومختصرات .
(٣) هو : علي بن أبي الحزم القرشي الدمشقي المصري الشافعي ، علاء الدين المعروف بابن النّفيس ، كان أعلم أهل عصره في الطب ، مات بالقاهرة في ذي القعدة سنة ٦٨٧ هـ . =

اللبن ». قال ابن سينا : « ونحسُّ في بطنها حركة كحركة الجنين ، وحجماً كحجم الجنين ، ينتقل بالغمز يمنة ويسرة ، وربما بقيت كذلك سنين أربعاً أو خمساً ، وربما امتدت إلى آخر العمر ولم تقبل العلاج ، وربما عرض لها طلقٌ ومخاض ولا يكون مع ذلك ولدٌ ، وربما وضعت قطعة لحم لها صورة ما لا يضبط أصنافها وربما كان ما يخرج ريحاً فقط ، وربما كانت فضولاً اجتمعت ليخرج معها دمٌ كثير مما احتبس ، والرجاء من جميع هذا هو القسم الثاني ، والسبب في تولد هذه القطعة من اللحم على ما يُحدّس ^(١) شيثان : أحدهما كثرة مواد تنصب إليها مع شدة حرارة . والثاني جماعٌ يشتمل فيه الرّحم على ماء المرأة وهذه بالغذاء ولفقدان القوة الذّكرية لا يتخلق ، ومن العلامات المميزة بين الرجاء وبين الحمل الحق ، أنّ ذلك الشيء ربما يتحرّك وقتاً ثم بعد ذلك لا يتحرّك ، وتكون صلابة البطن معه أشد من صلابة الحمل بالولد الحق ، وتكون المرأة يديها ورجليها مترهلّين جدّاً مع رقة » . انتهى كلامه .

وكان حَيَظُها بتخالف عاداته ، تارة بالتقدم ، وتارة بالتأخر ، وتارة بنقص الأيام ، وتارة بزيادتها ، وتارة تحيض في كل شهر مرّة على العادة ، وتارة في كل شهرين إلى غير ذلك من أمور يُتعب ضبطها إلى أن كانت سنة تسع وخمسين ، فوجد اللبنُ في ثدييها ، لكن بقلّة ، وهو غير أبيض ، بل لونه إلى الغبرة ^(٢) ، واستمر إلى الولادة .

= من تصانيفه : « الشامل في الطب » ، و « المهذب في الكحل » ، و « الموجز » ، و « شرح القانون لابن سينا » .

له ترجمة في : « طبقات السبكي » (٨ / ٣٠٥ رقم ١٢٠٦) ، و « طبقات الأسنوي » (٢ / ٥٠٦ رقم ١٢٠٤) ، و « النجوم الزاهرة » (٧ / ٣٧٧) ، و « شذرات الذهب » (٥ / ٤٠١ - ٤٠٢) .

(١) ما يُحدّس : أي يُظنّ ويُحتمن .

« المعجم الوسيط » (١ / ١٦١) .

(٢) الغبرة : الغبار ما دق من التراب ، أو الرماد .

« المعجم الوسيط » (٢ / ٦٤٣) .

فلما كان في رمضان سنة اثنين وستين انقطع حيضها ، وأخذ بطنها يكبر حتى تجاوز الحدَّ ، وظنَّيت أن أقل ما فيه اثنان ، إلى أن وُلِدَ في الوقت المذكور في غاية السهولة ، وحصل أمرٌ عظيمٌ من اللطف ، وكانت في غضون هذه المدة ترى من المنامات مما يتعلق بهذا الحمل من البركة والخير والعظمة ، وأن كثيراً من الناس يُكذِّبُ بأمره ، ويحتاجُ إلى بحث وإقامة دليل ، ما لو كُتِبَ لكان أكثر من مجلد ، وأظنه سُمِّيَ لها في بعضها أحمد ، وبعض المنامات مكتوبٌ في كراريس ، كنت أكتب فيها المنامات الهائلة ، جعله الله عوناً على الخير بعيداً من الشر .

ولما سمع الناس بأمره كذَّبه من لم يرسخ قدمه في العلم ، ولم يتسع فكره للجَوْلَانِ في فيافي المعارف ، فقلت لأصحابي : مَنْ نازعكم فقولوا له : أُنْثِلِمُ أن مدة الحمل المُسْتَمِرَّة كانت تسعة أشهر ؟ فإذا قال : نعم . فقولوا : أُنْثِلِمُ أن الحمل لا يُعْلَمُ ؟ فإذا قال : نعم . فقولوا : فيما ذا حَكَمَ من حَكَمَ على أوَّلِ امرأةٍ تجاوزت هذه المدة إلى أربع سنين أنها كُلُّها مدَّة حملها ، ولم يقولوا : أن مدَّة الحمل منها إنما هي تسعة أشهر والباقي كان ريجاً أو غيره ، هل هو بغير القرائن ؟ فإذا قال : لا . فقولوا : وكذلك حكمنا على هذه التي تجاوزت المديتين بأن مجموع مدَّتها مدَّة حمل بالقرائن ، فهل من فرق ؟! فقالوا ذلك ، فلم يستطع أحدٌ ابداء فرق والله الموفق .

[٢١٢] وفي آخر ليلة الاثنين ، رابع عشر جمادى الأولى هذا ، مات ^(١) شاهين دُويدار الأتابكي الشهابي ولد السلطان ، عن نيف وخمسين سنة ، وكان من ممالك بَكْتَمُر ^(٢) السعدي ، وكان عاقلاً ليلاً ،

(١) لم أعثر له على ترجمة فيما توفّر لديّ من مصادر .

(٢) هو : بكتمر بن عبد الله السعدي ، الأمير سيف الدين ، أحد أمراء الطَّبْلَخَانَةِ بالقاهرة ، أصله من ممالك القاضي الأمير سعد الدين إبراهيم بن غراب ودواداره ، مات في ربيع الأول سنة ٨٣١ هـ .

له ترجمة في : « المنهل الصافي » (٤٠٨ / ٣) رقم (٦٨٤) ، و « الدليل الشافي » (١ / ١٩٥) رقم (٦٨٣) ، و « الضوء اللامع » (١٧ / ٣) رقم (٧٧) .

قليل الشَّرِّ حسن العشرة ، مليح الشكل ، يؤسف على مثله ، ولقد كثر ثناء الناس عليه ، وشهادتهم له بالخير رحمه الله .

وفي يوم الجمعة ثامن عشر الشهر ، وهو جمادى الأولى أُحضرت مَرْزُورَةُ^(١) المراسيم إلى ابن الشُّحْنَة . وفي يوم^(٢) السبت تاسع عشره ، خُلِعَ عليه بكتابة السر .

موت القطماوي وفي هذا اليوم مات القاضي شمس الدين محمد^(٣) القطماوي الحنفي الحلبي ، أحد أعداء القاضي محب الدين بن الشُّحْنَة المؤذين له ، فكان ذلك من غرائب الاتفاق ، وكان القطماوي شيخاً بهياً جريئاً مَفُوءاً ، وكان منقطعاً إلى الدويدار الكبير يونس العلائي ، فتوصل بجاهه^(٤) إلى أن ناب في الحكم عن قاضي الحنفية السعد بن الدَّيْرِي ، وكان مَغْمُوضاً^(٥) عليه في شهاداته وأحكامه ، يُنسب إلى غاية التَّهافت عفى الله عنه .

وفي يوم الخميس رابع عشري الشهر ، لبس القاضي محب الدين بن الشُّحْنَة ، خِلْعَةً بها لوظيفة كتابة السر من الأُنظار على المدارس وغيرها^(٦) .

(١) مَرْزُورَةُ : أي مجموع بعضها إلى بعض ومربوطة بخيطة .
راجع معنى (رَزَزَ) في : « محيط المحيط » (٣٦٩ - ٣٧٠) ، و « المعجم الوسيط » (١/ ٣٩١ - ٣٩٢) .

(٢) في « النجوم الزاهرة » (١٦/ ١٢٩) « ثم في يوم السبت ثاني عشر جمادى الأولى المذكور استقر محب الدين بن الشُّحْنَة الحلبي الحنفي كاتب السر الشريف بالديار المصرية ، بعد عزل القاضي محب الدين بن الأشقر » .

(٣) لم أعثر له على ترجمة فيما توفّر لي من مصادر .

(٤) بجاهه : الجاه ، المنزلة والقدر عند السلطان .

« لسان العرب » (١٧/ ٣٨٠) .

(٥) مَغْمُوضاً : أي مطعوناً في شهاداته .

« لسان العرب » (٨/ ٣٢٨) .

(٦) الخبر في « حوادث الدهور » (٣٢٢) .

وفي يوم السبت سادس عشري الشهر لبس الجلال محمد بن عبد القادر الباعوني خِلعةً بقضاء الشافعية بطرابلس ، عن ابن عمه محب الدين ، وكلُّ منهما أنحس^(١) من الآخر ، وغرم على ذلك نحو ثلاثة آلاف دينار ، وغرم ابنُ عمه نحو ذلك ، فعليهما لعنةُ الله ، وعلى من دَيَّنهما ويُدَيِّن أمثالهما تقويةً له على أبواب جهنم .

وفي يوم الثلاثاء ، ثامن^(٢) عشري الشهر مات ناصر الدين موت النبراوي محمد^(٣) النبراوي الحنفي ، عن نحو ستين سنة ، أحد نَوَّاب الحنفية بالقاهرة ، وكان عارفاً بصناعة الشهود ، ذا شَكْل حسن ، وكان مُدْمِناً^(٤) على الخمر والخلاعات ، كثير التَزَوُّج للحنسان ، قليل الغيرة ، مطعوناً عليه في شهادته ، وكان يصحب دُولَات باي المؤيَّدي الدويدار ، فتوصَّل به إلى أن استنابه قاضي الحنفية ، السعد بن الدَّيْري ، ويُقال : أنه مات مخموراً ، نسأل الله العافية .

وفي هذا الشهر والذي بعده ، زاد شرُّ الجلبان ، وكثُر ضربهم للمباشرين ، فضرَبوا ناظر الخاص الزيني ابن الكُوَيْز ؛ فصدعوا يده ،

(١) أنحَس : أي أكثر شؤماً .

راجع معنى النَّحْس في « لسان العرب » (١١٢ / ٨) .

(٢) في : « النجوم الزاهرة » (٢٠٤ / ١٦) ، و « الضوء اللامع » (٣٠٦ / ٦) ، يوم الثلاثاء ٢٩ .

(٣) هو : محمد بن أحمد بن حسين ، ناصر الدين بن الشهاب النبراوي القاهري الحنفي .

له ترجمة في : « النجوم الزاهرة » (٢٠٤ / ١٦) ، و « الضوء اللامع » (٣٠٦ / ٦) رقم (١٠١٥) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٦٣) .

(٤) يقول عنه (السخاوي) في « الضوء اللامع » (٣٠٦ / ٦) : « وكان ينفذ ما يحصله من ذلك أولاً فاولاً ؛ لمزيد كرمه ، ومحبهته في الاجتماع المذموم مع هَيْمَة ومروءة » .

كما يقول عنه (ابن إياس) في « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر (٦٣) : « وكان بينهم العيش ، ويعزم على الأمراء وأعيان الناس ، ويفتك في اللذات فتكاً ذريعاً ، وكان الزمان يساعده على ذلك » .

وضربوا^(١) ناظر الجيش الشرف الأنصاري وقد ألبسه السلطان خِلعة استمرار ، لفنتة كانت وقعة بينه وبين ناظر الخاص ، زُلزل منها ، فضربوه على الخِلعة إلى أن كادوا يقطعونها ؛ وكل ذلك على أمورٍ يُكلفون بها ، لا تُخَلِّص من شرِّها ، إذا مَرَضَ إنسانٌ مثلاً طلبوا خُبْرَه ، فيعطيه السلطان لمن يريد ، ثم يطلبه آخرون ، فإن قرأ ناظرُ الجيش القِصَّة الثانية ضربه أهل القِصَّة الأولى ، وإن تركها ضربه أهلها ، وهكذا ناظر الخاص .

فلما كان أثناء جمادى الآخرة قُتِل شخصٌ من الزُّعر شخصاً ، فحمَاهُ الأمير سُنقر قَرَق شَبَق الزُّرْدكاش ، أحد أشرفية بَرَسباي عنده ، فطلب ناسٌ من الأجلاب الوصول إليه فلم يمكنهم ، فرفعوا أمرهم إلى السلطان ، فلم يتزعج ، فضربوه بحضرة السلطان ، يوم السبت عاشر الشهر ، فكسروا بعض أسنانه وأشرفوا به على الموت ، ولم يقدر السلطانُ ، ولا من حضره على تخليصه منهم ، ولقد أجادوا فيه ، فَلَعَمْرِي أَنَّ ذلك لبعض ما يستحق ، فلقد كان يعمل في عباد الله ما لا يقدم عليه كافرٌ [بالله] في مسلم ، فما بقي أحدٌ أعلم إلا سَرَه ذلك ، وأن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ، فقبض السلطان على شخص منهم اسمه سنطباي هو الذي ابتدأ بالضرب فيه ، وفي ناظر الخاص ، فقامت قيامتهم ، واجتمعوا يداً واحدةً ، يسألون الدَّوَيْدار في إطلاقه ، وإلا ماتوا على دم واحدٍ ، فتكررت الشِّفاعة فيه ، ولم يُجِبْ السلطانُ وفَّقَه الله لما يُرضيه وأعانه على ما ولَّاه آمين .

وفي يوم الأحد ، حادي عشره ضربوا اثنين من الأشرفية ، أحدهما يُقال له علانٌ ؛ غضباً لِسُنقر .

(١) كان ذلك يوم الثلاثاء ٢٩ جمادى الآخرة .

« حوادث الدهور » (٣٢٣) .

وفي هذا الحدّ ، بلغنا أنّ الأمير جانم ، نائب الشام وصل إلى دمشق في أوّل جمادى الآخرة هذا ، فأظهر عدلاً ؛ نادى بمنع المنكرات ، الخمر والحشيشة وغيرهما ، ووافى يوم دخوله الإتيان بشخص من أكابر العرب كان دَعَى إلى [٢١٣] نفسه بناحية صَرْخَد^(١) ، وخطب له على المنابر ، فاحتال عليه مَقْلُدُ أمير العرب ببلاد حوران ، فلما وصل إلى نائب الشام شنقه (أي ربط في عنقه حبلاً في خشبة عالية ، ورفع عن الأرض حتى مات ؛ بخنق الحبل له) .

وفي ليلة الثلاثاء العشرين من جمادى الآخرة هذا مات إبراهيم^(٢) بن كاتب السر محب الدين محمد بن الأشقر عن نيف وثلاثين سنة ، وكان شاباً جميلاً حسن الخلق والعسرة ، ذا صيانة وديانة ومروءة ، باراً بوالديه ، كافياً لأبيه أمر دنياه ، عزيزاً في أولاد الرؤساء وجود مثله ، وصلى عليه بكرة اليوم المذكور في باب النصر قاضي الشافعية العَلَمُ صالح البُلْقِينِي في جمع كبير جدّاً ، وعظم ثناء الناس الجميل عليه ، وتأسفهم ، ودُفِن في تربة أبيه بالصحرَاء رحمه الله .

وفي أواخر هذا الشهر ، بلغنا أنّ القاضي محب الدين أبا البركات موت أبي البركات
[محمد بن^(٣) عبد الرحيم بن محمد] الهَيْثَمِي^(٤) قريب الحافظ نور الهيثمي

(١) صَرْخَد : جاء في « معجم البلدان » (٤٠١ / ٣) « بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق ، وهي قلعة حصينة ، وولاية حسنة واسعة » .

(٢) هو : إبراهيم بن محمد بن عثمان بن سليمان بن رسول سعد الدين بن المحتي بن الأشقر الحنفي .

له ترجمة في : « حوادث الدهور » (٣٢٣) ، و « الضوء اللامع » (١٥٣ / ١) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٦٣) ، وجاء فيه أنّ وفاته كانت في شهر رجب .

(٣) ما بين الحاصرتين بياض في الأصل ، والتصحيح من « الضوء اللامع » (٨ / ٥٢ رقم ٦١) .

(٤) راجع « هامش ١ » من (ص ١٦١) من القسم الثاني .

الدين ، مات بمكة المشرفة مجاوراً يوم الثلاثاء ثامن جمادى الأولى وهو في عشر الستين ، وبلغنا أن سبب موته ، أنه ذهب مع الأمير تَمْرُبُغا ، أحد ممالك الظاهر جَقَمَق ، والخطيب أبي الفضل النويري إلى بعض المنتزهات ببطن مَرٍّ ، فرجعوا جميعاً مرضى ؛ وذلك لأنهم نزلوه في زمانٍ مُجْمَع على أنه في غاية الوُخْم ^(١) ، وذلك في برمهات من أشهر القبط ، حتى أن بعض أهل مكة أخبرني أن أهل ذلك المكان ، قلَّ أن يَسْلُمَ منهم أحدٌ في تلك الأيام ، حتى أنهم ليهربوا إلى مكة المشرفة تشفياً ^(٢) ، وذكر أن من أكل من غزلان هذا الوادي مرض ، بل قال : مات ، هذا هو السبب فيما يظهر لا ما ظنه الناس من أن امرأة تَمْرُبُغا كانت فسدت في غيبته عنها في حبس الصُّبْيَةِ ؛ فخافته على نفسها إن سمع فعاجلته بأن سمته ، وذلك لأنهم ذكروا أن الضيافة كانت للخطيب وهو من جملة من مرض والله أعلم .

ولما اتفق لتَمْرُبُغا هذا الأمر ، وخاف عليه من خاف من امرأته ، حَكِي له أمرها فطلقها ، وكانت تُوصف بجمال ، فكان الأكابر يتداولونها ، بعضهم في الحرام ، ومن يتحاماه ^(٣) يتزوجها سرا ، وكلما تركها واحدٌ لقبح سيرتها ، أخذها آخر لحسن صورتها ، ولم يحرك ذلك منه ساكناً ؛ لأنه لما عاد إلى القاهرة وتنقَّل في رُتَبِ الإمرة إلى أن بلغ السلطنة ^(٤) ، لم يذكر أحدًا منهم بشقة ، ولا بلسان ، وكان منهم ابن الصابوني التاجر الذي توصَّل بصحبة حُشَقَدَم إلى أن وُلِّي قضاء الشافعية

(١) يتحاماه : يتجنبه .

المعجم الوسيط (١/ ٢٠٠) .

(٢) تولى السلطة نهار السبت ٧ جمادى الأولى سنة ٨٧٢ هـ حتى خلع يوم الاثنين ٦ رجب من نفس السنة بمبايعة السلطان الملك الأشرف قايتباي المحمودي .

النجوم الزاهرة (١٦/ ٣٧٣ ، ٣٩٥) .

(٣) الوُخْم : أى الوباء . «لسان العرب» (١٦/ ١١٧) .

(٤) تَشْفِيًا : أي لطلب الشفاء . راجع «لسان العرب» (١٩/ ١٦٦) .

بدمشق ، والناس في غاية الخنق عليه لذلك ؛ من جهة أنه لا يعلم شيئاً من العلم ، وهو مع ذلك مقيم بالقاهرة ، وأبوه وهو عامين ... فكان أقل أذاه له أن يعزله ، أو يلزمه بالسفر إلى دمشق ، وكان كل أحد يشكره على ذلك ، ويستريح هو من رؤيته في كل يوم ، فلم يفعل شيئاً من ذلك ، ولا واجهه بشيء يسوءه .

وكان أبو البركات من أعيان نواب الشافعية ، وكان فاضلاً في الفقه والنحو ذا ذهن جيد ، كثير التلاوة لكتاب الله ، كثير الصلاة ، مثابر على الفرائض في أوقاتها مع الجماعة ، كثير الحج والمجاورة ، إلا أنه كان غير محمود السيرة في قضائه ، عفى الله عنه ورحمه أمين .

وفي هذا الشهر وقع في قبضة السلطان اثنان من المفسدين في الأرض بالشرقية ، أحدهما كُليّوات أخو الفضل ، والثاني يُقال له ابن الطماوي ، فقصد الإتيان بهما إلى القاهرة ، فذهب كثير من الأجلاب إليهما ، إلى قرب بليّيس ؛ ليخلّصوهما ، فردّا إلى سجن بليّيس ، ثم أمر السلطان خَيْرَبَك والي القاهرة بالذهاب إلى بليّيس لقتلهما ، فذهب يوم الأحد ثالث شهر رجب من السنة في جمّع جيد ، فقطع رأسيهما وأتى بهما في أوّل ليلة الاثنين رابعه يُنادى عليهما : هذا جزاء من أفسد في الأرض ؛ فسرّ الناس بذلك .

وفي هذه الأيام صار السلطان يمقت الشرف الأنصاري ، وينسبه إلى العجز والخيانة ؛ وذلك أنه كان مباغضاً للأمير زين الدين بن الكُوَيْزِ ناظر الخاص ، وكان ابن الكُوَيْزِ مصادقاً لكاتب السر المحب بن الشحنة ، فأغريا عليه أبا بكر بن مُزهر ناظر الجوالي ومنيّاه وظائفه ، فانفعل لهما ؛ إذ كان شاباً طيّاشاً^(١) لم يعركه الدهر ، ولم يجرب أبناء

(١) طيّاشاً : الطيّاش ، هو الأهوّج ، الأرعن ، المتسرع .

« المعجم الوسيط » (٢ / ٥٧٤) .

الزمان ، وكانت أمه مقدّمةً عند خَوْنَد ، وكانت أخف منه وأكذب ، على ما هو شائع وكان السلطان لا يخالف خَوْنَد ، فلفتها عن الأنصاري إلى أن كان يوم الثلاثاء خامس هذا الشهر ، فرسم السلطان على الأنصاري ^(١) ، ورسم أن يكون عند نقيب الجيش ، فشفع فيه الأمير بُرْدَبَك في أن يكون في طبقة الخَزَنَدَار ؛ ليحاسب على ما دخل تحت يده في مال السلطان ، هل صرفه ، أو خاف منه في شيء ، فشق ذلك على أكثر الناس ؛ لأن الأنصاري سار في هذه الولاية سيرة أعجبتهم كان فيها لئناً متواضعا مائلا إلى الضعفاء ، منفعلاً إلى الخير ، وأكثروا الدعاء له ، والثناء عليه ، والدعاء على من يؤذيه .

ثم حوسب ، فلم يظهر في جهته شيءٌ ، غير أنه دفع إلى الوزير والإِسْتَدَّار ستّة وعشرين ألف دينار ، وهما معترفان بوصولها إليهما ، فذكر السلطان أنه لم يأذن في ذلك ، وقد كان شاع أنه أذن له في ذلك ، ولكنه مال مع خَوْنَد ، ولما لم يجد عليه مطعناً غير ذلك اعتلّ به ، وذكر لي بعض الأكابر الخصيصين بهم ، أن خَوْنَد أظهرت أنها فعلت ذلك نكاية في زوجته خَوْنَد بنت شَرِبَاش التي كانت زوجة الظاهر جَقْمَق ؛ وذلك لأنها كانت تُبغض خَوْنَد زينب بنت خَضَبَك زوجة الأشرف هذا وتؤذيها كلما طلعت إليها في أيّام الظاهر ، فلم يَحْمَد ذلك أحدٌ .

وفي يوم الخميس سابع رجب هذا الشهر ، سافر جانبك ، ناظر جُدّة ، ومعه جمع يسير من الحاج ، كتب الله سلامتهم آمين ^(٢) .

وفي يوم السبت تاسع رجب هذا سأل شخصٌ من الأجلاب يقال له مَأمِيَه الأمير بُرْدَبَك الدويدار أن يطلب له من السلطان شيئاً ، فسأله أن يصبر عليه قليلاً ، فأساء الأدب في حقه ، وانتهك حرّمته ، ونال من

(١) الخبر في « النجوم الزاهرة » (١٢٩/١٦) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٦٣) .

(٢) الخبر في « حوادث الدهور » (٣٢٤) .

زوجته بحضرة السلطان ، فقال : إن كانت المباشرة على هذه الصفة فلا حاجة لأحدٍ بها ، ونزل غضبان حافياً لم يلحق بتغله إلا عن بُعد ، وانقطع في بيته ، ولم يجتمع بأحدٍ ، ثم أرسل إليه السلطان بعد أيام ، فطلع إليه ولم يُعاقب ذلك الجلب بشيء .

وكان الدؤيدار الكبير يونس مريضاً من نحو شهر ^(١) ، فصار السلطان بغير دؤيدار ولا ناظر جيش ، وجرت فتنة في برّ الجيزة ، بين العُربان ، فجمعوا جمعين ليقتلوا فكان على ملك مصر من قلة الحرمة ، وانحلال الأمر ، ما قل أن عهد مثله ، والله تعالى المسؤول في إصلاح الأحوال .

[٢١٤] وفي آخر يوم الثلاثاء ثاني عشر شهر رجب من سنة ثلاث وستين المذكورة ، مات ^(٢) القاضي محب الدين بن الأشقر ، عن نيف وثمانين سنة ، مكث بعد موت ابنه إبراهيم نحو ثلاثة أيام ، ثم مرض ، واستمر إلى أن مات في هذا التاريخ وصلى عليه بكرة يوم الأربعاء ثالث عشره في باب النصر قاضي الشافعية ، وكانت جنازته حافلة ، وأثنى غالبُ الناس عليه خيراً ، وكان رئيساً متواضعاً في رئاسته ، معظماً بين الأكابر ، ففي صباه لما سافر الأشرف برسباني إلى ابن قرالوك لاقاه إلى دمشق فحصل له وعك في الطريق ، فكان الأشرف يُركبُه في محفّته ، ولما دخل إلى القاهرة كان أقرب الناس إليه حتى لقد كان القضاة قدّامه ابن حجر وغيره ، وخلف أولاداً أكبرهم أحمد ^(٣) شيخ خانقاه سرياقوس .

(١) في « حوادث الدهور » (٣٢٤) ، أنه تعافى في ١٤ رجب ، وصعد إلى القلعة فألبسه السلطان خلع العافية .

(٢) راجع « هامش ١ » من (ص ٧٤) من القسم الأول .

(٣) هو : أحمد بن محمد بن عثمان بن سليمان ، الشهاب بن المحب ، القزّمي الأصل القاهري الحنفي ، المعروف بابن الأشقر ، استقر في مشيخة الخانقاه السرياقوسية عوضاً عن أبيه ، وانفصل عنها ثم أعيد ، ثم رغب عنها لأخيه الأصغر ، وكان يغمول الحركات مبدراً .
ترجم له (السخاوي) في « الضوء اللامع » (٢ / ١٤٠ رقم ٤٠٠) ولم يجدد تاريخ وفاته .

وفي ضحوة يوم الخميس رابع عشر الشهر ، أراح الله تعالى (وله أتمّ الحمد وهو المسؤول في تمام النعمة) من جار السوء العديم الغيرة على بنيه وبناته ، المحامي عنهم بالباطل ، المريد لإعلاء كلمة الشيطان على كلمة الرحمن ، علي بن الفاوي الجوهري ، فمات في هذا الوقت عن نيف وخمسين سنة ، وله أولادٌ من شرِّ عباد الله ، وكان أكبرهم وشرُّهم أبو بكر غائباً في دمشق لا رَدَّه الله .

وكنّت في آخر يوم الأربعاء الذي قبل يومه هذا في مسجدي ، وابني محمد وهو مريض يمشي في أواخر الثانية من عمره مع جارية لنا على باب المسجد بحيث أراه وهو قريب منّي فأتى ولدان للفاوي صغيران كُلُّ واحدٍ في نحو السباعي^(١) وولدٌ لابن أخته مراهق [فوقفوا^(٢)] إلى جانب ابني ، فخشيت عليه منهم ؛ فأمرتهم بالذهاب ، فلم يفعلوا ، فأخبرتهم الجارية ، فأغلظوا لها ، فقامت إليهم ، فتركوها ، فأمرتها بالدخول بالولد إلى المسجد ، فرجموا الحجر ، فأصاب ركن الباب ، ثم إنَّ الولد اشتهى أن يقف بحيث ينظر الناس ، فأمرتها بالوقوف به على باب المسجد الآخر ، فوقفا هناك فأذوهما ، فزجرتهم الجارية ، وأرادت القبض على أحدهم لتأتي به إلّى ، فهربوا منها وطلعوا إلى بيتهم ، وأشرفوا من الطاقات ، وشرعوا يصيحون عليها ، وكان بعضٌ جيراننا أراد أن يُركب ابنه لِيَخْتَنَهُ على عادة المصريين ، وكان غالبُ أهل الحارة قد ذهبوا معه ، فلم يكن أحدٌ يُعين عليهم ، فأمرت الجارية بالدخول بالولد إلى المسجد ففعلت ، وكان الولد فهم من الواقعة ما سكَّنه فجلس ، فلم يحترك بعد ذلك ، ولا طلب المشي ثم قام .

كل هذا والفاوي قد وصل إلى حالة لا يرجونه فيها ، وليس أحد منهم

(١) أي سبع سنوات .

(٢) في الأصل (فوقفا) ، والتصحيح من مفهوم السياق .

ينهاهم مع رؤية بعضهم وسماع الكل لأصواتهم ، فانظر كم في ذلك من عجب ، فلما صليت المغرب ابتهلت إلى الله تعالى في الإراحة منهم .

وكنت في الميعاد في قوله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجُرَادَ وَالْقُمَّلَ ^(١) ﴾ الآيات ، في أمر فرعون وجنوده ، ثم في أمر اليهود وما وقع لهم بعد ذلك من النقص ، وإلى هنا وصلت في مسودة كتاب المناسبات ، (والعجب أن يُقال : أن أصله ^(٢) يهودي والله أعلم) وكنت في المبيضة في آخر سورة النساء ، وهي ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَلَةِ ^(٣) ﴾ وأول سورة المائدة .

وكان لما ادعى عليه بما تقدم في صفر سنة إحدى وستين ، وأمر بالنقل ، وشفع فيه بعد في أن لا ينتقل ، أقام أشهرًا يكثر الحجل ، ثم انتقل وترك مفاتيح بيته المجاور لنا معه ، وكان يتردد إليه ، فلما رأى أن أمره لا يزداد إلا إدمارًا ، وأمر الله لا يزداد إلا ظهورًا وإقبالًا انقطع ، وأرسل يستعطفني ، فلم أفعل ؛ لما أعلم من طبعه على الرداءة ، وأني إن أجبت يصير القيام في ردعه عن بعض فساد عسيرا ، فلما لم يقدر مني على شيء مما يريد ، ولا ظفر بمقاربة انقطع بالكلية إلى أن كان أول رجب هذا ، فعاد على ما كان عليه من الأذى ، بل زاد أن ابنته ، وكانت معروفة بالغناء في المحافل جمعت من يشبهها في الفجور ، وغنت بهن ثاني ليلة من عوده أو ثالثه ، فلم أظن أنها هي ، وظننت في بعض المجاورين لنا ، فأنكرت عليه بكرة تلك الليلة ، فحلف لي أنه لا يعلم من ذلك شيئًا ، ولم يكن نائمًا في الحارة ، فتبع ذلك ، فأخبرت أنها هي ، فقلت لذلك

(١) الأعراف / ١٣٣ .

(٢) أي الفاوي .

(٣) النساء / ١٧٦ .

المخبر : إن عادت جمعنا من يشهد ، ثم تكلمنا معهم ، فمرض عقب ذلك ، واستمر إلى أن مات في التاريخ المذكور وحقق الله قوله تعالى : ﴿ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ وَلَنَسْخِطَنَّكَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ، ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدَ ^(١) ﴾ ، وقوله في القصة التي كنت بها في الميعاد : ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَهْلِكَ عَدُوُّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ^(٢) ﴾ .

وكان مآل أمرى معه ما استنبطته من قصة بني اسرائيل مع المصريين ، من بعضهم للغريب ، وَرَفَعَ الله له عليهم ؛ وذلك أنهم سجنوا يوسف عليه السلام بعدما رأوا الآيات ببراءته ، فرفعه الله عليهم بأن جعل حياتهم في ذلك القَحْط ^(٣) على يده ، فكان جزاؤهم له أن استعبدوا بنيه وبني إخوته وذبحوا أبناءهم ، ثم أنقذهم الله منهم وأهلك المصريين ، ثم لم يزل بنوا إسرائيل الذين رُبُّوا في مصر في كُفْران ^(٤) ما يرونه من النعم ، حتى أقسم الله أنه لا يُدخلهم إلى الأرض المقدسة فَتَوَهَّهْمُ إلى أن ماتوا وكان يسميهم في التوراة الجيل المعوج وما رَحَلَ إلى القُدُس إلا أبناءهم الذين رُبُّوا أو وُلِدوا في التَّيَّة .

وبعد أن ذهب بجنائزته كنت أتحدث مع عيالي في أمره وأنَّ بعض الأصحاب أشار أن أحضر جنازته فقلت : لو لم يكن في تَرْكِبي لذلك إلا خوف أن يقول أحدٌ من فَجَرَت أقاربه أني شامتٌ لكان ذلك كافيًا في

(١) إبراهيم / ١٣ ، ١٤ .

(٢) الأعراف / ١٢٩ .

(٣) القَحْط : جاء في « لسان العرب » (٢٤٩ / ٩) القَحْط احتباس المطر ، والقحط الجذب ؛ لأنه من أثره .

(٤) كُفْران : جاء في « لسان العرب » (٤٥٩ / ٦) الكُفْر ، كُفْرُ النعمة ، وهو نقيض الشكر ، والكفر جحود النعمة ، وهو ضدُّ الشكر ، وكُفْرُ نعمة الله يكفرها كفورًا وكفرانًا وكفر بها جحدًا وسترها .

(٥) فَتَوَهَّهْمُ : أي حَيَّرهم ، فلم يبتدوا للخروج . « لسان العرب » (٣٧٦ / ١٧) .

التَّركَ ، وإذا صبيُّ جاء في الزُّقاق ^(١) يقرأ ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ ^(٢) إلى آخرها ، وكان ختمه لها تجاه بابه ، فكان ذلك من الآيات الغريبة ، فإن الله تعالى ، وجميع أنبيائه عليهم الصلاة والسلام أوصوا بالعلماء فترك وصاياهم في ذلك ، ولم يرعها من هذه الجهة ، ولا في جهة الوصيَّة بالجار .

ثم إنهم كابروا بعد موته مدة بسكني ذلك البيت ، ثم رمى الله بينهم من الشرور ما فرَّقهم ، ومع ذلك فاستمروا يعطون كِرا البيت وهو مغلق لا ينتفعون به لثلاثي قال : إنهم غلبوا ، والله من ورائهم محيط .

وفي هذا اليوم ^(٣) قُسمت وظائف الشرف الأنصاري على البرهان بن الدَّيري أخي قاضي القضاة سعد الدين بنظر الجيش من غير أن ترتَّب عليه شيء في كل يوم وعلى ابْنِي عبد الرحمن بن الكويز بنظر الكسوة ، ووكالة بيت المال ، وأعطى أبو بكر بن مزهر بنظر خانقاه سعيد السعداء ، وشقَّ على الناس ما فُعل بالأنصاري ، ولا سيما أنه مع ذلك استمرَّ في التَّرسيم ^(٤) .

وعُوفي الدَّويْدَار الكبير يُونس ، وطلع في هذا اليوم إلى السلطان ، وخُلع عليه ، وكان ظاناً أن الأنصاري يُكرم لأجله ^(٥) .

وفي يوم السبت [سادس ^(٦)] عشره ، وُزَّع ما كان يقوم به الأنصاري

(١) الزُّقاق : الطريق الضيق ، نافذاً أو غير نافذ .

« المعجم الوسيط » (١ / ٣٩٦) .

(٢) الشمس / ٩ .

(٣) وهو يوم الخميس ١٤ رجب .

(٤) الخبر في : « حوادث الدهور » (٣٢٤) ، و « النجوم الزاهرة » (١٦ / ١٢٩) ، و « بدائع

الزهور » (صفحات لم تنشر) (٦٣) .

(٥) الخبر في « حوادث الدهور » (٣٤٢) .

(٦) في الأصل (سابع) ، والتصحيح من « النجوم الزاهرة » (١٦ / ١٣٠) ، وما جاء في نفس

الصفحة للمؤلف من أن يوم الثلاثاء يوافق ١٩ رجب .

في كل يوم ، وهو خمسمائة دينار للإستادّار والوزير كاتب السر ، وناظر الجيش ، وناظر الخاص ، وأضيف لهم أشياء من تَعَلَّق الدَّخِيرَة ، فأضيف إلى ناظر الجيش ما في بلاد القدس ، وأضيف إلى ناظر الخاص ما في بلاد دمشق وطرابلس ، وأضيف إلى كاتب السر ما في بلاد [٢١٥] حلب ، ومن ذلك الجوالي ، وعُزل^(١) ابن مُزهر من ذلك ، فلم يبق معه إلّا جوالي مصر ونظر خانقاه سعيد السعداء .

وفي يوم الأحد^(٢) لقي ناسٌ من الأجلاب كاتبَ السر المحب بن الشحنة ، فطلبوا منه ثياب بَعْلَبَكِي فاعتل عليهم فأغلظوا له ، وقيل : إنهم ضربوه^(٣) .

وفي يوم الثلاثاء تاسع عشر الشهر رُسم على ناظر الخاص ابن الكُوَيز في بيت الأمير بُرْدَبَك ، ثم أُطلق في آخره ، فلم يَنْمَ إلّا في بيته . وفيه خُلِع على ابن الأقساسي ، الملقب بِالْمِخْلَع بدُوَيْدَارِيَّة السلطان بحلب ، ثم أُخذت الخلعة منه آخر ذلك اليوم^(٣) .

وفي يوم الخميس حاد عشر [ي]^(٤) شهر رجب عُزل ابنُ شهري^(٥) من نيابة القدس^(٦) وقد كان حصل به للخليل كما تقدم

(١) راجع « حوادث الدهور » (٣٢٤) .

(٢) في « النجوم الزاهرة » (١٦ / ١٣٠) ١٧ رجب .

(٣) الخبر في « النجوم الزاهرة » (١٦ / ١٣٠) .

(٤) في الأصل (عشر) والتصحيح من مفهوم السياق ، ومن « النجوم الزاهرة » (١٦ / ١٣٠) .

(٥) في « النجوم الزاهرة » (١٦ / ١٢٧ ، ١٣٠) ، شاه منصور بن شهري .

(٦) كان قد استقر في نيابة القدس ، بعد عزل إياس البجاسي في يوم الاثنين ٣ ربيع الأول سنة

٨٦٣ هـ .

« النجوم الزاهرة » (١٦ / ١٢٧) .

خيرٌ كبير ، أذل مُفسديها ، ورفع صالحيتها ، وأمن الناسُ بها ، غير أنَّ ابن أيوب الذي كان قبله كان مقيماً بالقاهرة ، وكان من شياطين الناس ، فكان كُلُّهما لقي أحداً من أهل تلك البلاد يخبره أنَّ شُغله انقضى ، وأنه يلبس الخُلعة غداً مثلاً ونحو ذلك ، فضعفت كلمةُ ابن شهري ، ولم يزل الأمرُ على ذلك حتى عُزل في هذا اليوم ، ووُلِّيَ ابن أيوب ، فلا قوة إلا بالله .

وفي يوم السبت ثالثَ عَشري الشهر ، حُسِّنَ للسلطان أنه يَسْتَخْلِص المَالَ الذي قَذَفَ به الأنصاري منه ، ولو بَعَصَرَ كَعْبِيَّه ، وأرسلت خَوْنَد إلى صهرها الدَّوَيْدَار الكبير تنهَاه عن الكلام فيه ولم يكن أحدٌ أصحب إلى الأنصاري منه ؛ فانقطع عن القلعة لذلك ، فقام الأمير بُرْدَبَك مقاماً عظيماً ، وكان من قوله للسلطان : إِنَّ كُلَّ من يُزَيِّن لك هذا الأمر يخرج من عندك بدمك به ، وقصدهم تبغيضك إلى الناس ، وأنا لست كهم في أمرك ، أنا في الشفقة عليك ، بحيث لو وضعت سيفك في حلقي ما تركتُ الغيرة عليك ، فكفَّ الله عنه به ، وحمد الناس على ذلك .

وفي هذا اليوم رُسم أن يُحَضَّر أبو الخير النَّحَّاس ، فَعَلِمَ أن في رأسه صوتاً لا بُدَّ أن يُغْنِيَه فلم يُعارض في ذلك ، فكتب بذلك إلى نائب طرابلس وعيَّن له هَجَّانٌ والله حائل بين من يريد الظلم وبين نفسه ، وهو القادر الفَعَّال لما يريد (١) .

وفي ليلة الاثنين خامسَ عَشري شهر رجب المذكور مات القاضي
محب الدين (٢) محمد ابن القاضي ناصر الدين محمد بن حسن الفاقوسي

(١) الخبر في « النجوم الزاهرة » (١٦ / ١٣١) .

(٢) هو : محمد بن محمد بن حسن بن سعد بن محمد بن يوسف ، المحب بن ناصر الدين بن البدر، القرشي القاهري الشافعي، الفاقوسي - نسبة لفاقوس من الشرقية - وُلِدَ سحر ليلة السبت ١٢ رجب سنة ٧٨٢ هـ بدرب السلسلة من باب الزُهومة بالقاهرة ، وتلمذ على أبرز علماء عصره ، ووقع في ديوان الإنشاء والوزر وغيرهما ، وباشر خزن كتب السابقة بعد أبيه .

الشافعي الموقع في [الدَّست ^(١)] ، مَبْطُونًا في سكنه من درب السلسلة قرب الصالحية ، عن نيف وثمانين سنة ، وصُلِّي عليه في ضحوة الاثنين المذكور في باب النصر ، وحضر جنازته جمعٌ من الأعيان والفضلاء ، ودُفِن في مقبرتهم بالست زينب ، وكان على مشهده سَكِينَة .

موت خيربك وفي يوم السبت مستهل شهر شعبان من السنة ، مات خَيْرِ بك أمير شهر شعبان سنة
آخر الثاني ، فلما هنا القضاة السلطان بالشهر عَتَبَهُمْ على عدم الصلاة عليه ، فاعتذروا بعدم العلم بموته في وقته ، وأعطى السلطان وظيفته [٨] ٦٣

للالَمِير ^(٢) يَلْبَاي الإينالي المؤيَّدي] ، ونقل ناسًا من العسكر إلى أن آل النقل إلى شخصٍ من الأجلاب في نيابة بعض رؤوس الثوب فأجابه السلطان ، ثم سأل في ذلك آخرٌ من فُجَّارهم فأجابه ، ثم وَلَّى الأول وألبسه خِلْعَةً يوم الاثنين ثالث الشهر ، فقام ذلك الفاجر وقعد وآل الأمر به إلى حَدِّ سَلِّ سيفه بحضرة السلطان في القصر ونخس به المعطى فلم يتمكن منه ، فلم يجرحه ، فكان ذلك غاية في قِلَّة حُرْمَةِ الملك والمملكة ، نسأل الله صلاح الحال .

وفي يوم الاثنين ثالثه لبس كاتب السر المحب بن الشُّحنة خِلْعَةً بأنهُ مُسَيَّرِ المملكة أي لا يُوَلَّى أحدٌ وظيفة إلا على يده ، ولا يُسعى إلا من بابه .

وفي يوم الثلاثاء قدم الوزير علاء الدين بن الأهناسي بناس من برّ الجيزة ، قد قتل بعضهم ، وسَلَخَ بعضهم ، وغَلَّ بعضهم ، ادَّعى أنهم من المفسدين ، فخلع عليه السلطان وأكرم مثواه .

= له ترجمة في : « النجوم الزاهرة » (١٦ / ٢٠٥) ، و « الضوء اللامع » (٩ / ٧١ رقم ١٩٠) ، وفيه أن وفاته كانت ليلة الثلاثاء ٢٥ رجب ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٦٤) .

(١) ما بين الحاصرتين غير واضح في الأصل ، والتصحيح من « النجوم الزاهرة » (١٦ / ٢٠٥) .

(٢) ما بين الحاصرتين بياض في الأصل ، والتصحيح من « النجوم الزاهرة » (١٦ / ١٣١) ، وكان ذلك في يوم الاثنين ٣ شعبان .

وفي يوم السبت ثامن شعبان ، فُرِّجَ عن الشرف الأنصاري ^(١) بعد أن أَدَّى نحو عشرين ألفاً ، فسُلبت نعمته ، وأُخذت أملاكه ، وأمتعته زوجته خَوْنَد بنت شَرِيَّاش ، فلزم بيته ولم يأذن لمن يقصده للسلام عليه ، فأجاد في ذلك من وجوه وصَحَّ الخبرُ بأن زوجة صاحبنا الشيخ عمر الحصني ، الساكن بالقرافة رأت في المنام ليلة الأربعاء خامس شعبان المذكور النبي ﷺ ، فسألته ملاحظة الأنصاري ؛ لكونه من ذُرِّيَّة أنصاره ، فقال : ها هو معي ولا يَصِلون فيه إلى سوء ، ولكن لم أحب له توغله في الدنيا إلى هذا الحد ، فقالت له : الناسُ منزِعجون من مجيء أبي الخير النَّحَّاس . فقال : إنه لا يُفْلح ولا يقدر على ما يخشى منه ، وَوَهَى أمره جداً ، فلم يُقَدِّر أن الشيخ عمر يحكي هذا المنام للأنصاري إلا بكرة يوم السبت ثامن الشهر ، ففرَّج عنه في أواخره كما ذكر ، جعل الله التمام بخير لكن تبيّن بعد ذلك أن الشيخ عمر هذا من الدعاة لابن عربي ^(٢) الاتحادي ^(٣) ، فأنهم في أمر الأنصاري ؛ لأنه تلميذٌ لعيسى المغربي العربي الخبيث ، المشهور بين المغاربة بالغندور فالله أعلم .

وفي يوم الاثنين عاشره ، عند العصر ، مات الأديب الفاضل شهاب موت ابن صالح

(١) الخبر في « النجوم الزاهرة » (١٦ / ١٣١) .

(٢) هو : محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله ، محيي الدين ، الطائفي الحاتمي المُرْسِي ، ابن عربي ، وُلِدَ في شهر رمضان سنة ٥٦٠ هـ بمُرْسِيَة ، وسمع بها من ابن تَشْكُوَال ، ورحل إلى إشبيلية ، ومصر ، والحجاز ، وبغداد ، والموصل ، وبلاد الروم ، فأنكر عليه أهل مصر آراءه ، وعمل بعضهم على إراقة دمه ، واستقر في دمشق ، ومات بها في ٢٢ ربيع الآخر سنة ٦٣٨ هـ ، ودفن بسفح قاسيون . له تصانيف كثيرة تصل إلى أربع مائة كتاب ورسالة ، منها : « الفتوحات المكيّة » في التصوف وعلم النفس ، و « محاضرة الأبرار ومسيرة الأخيار » في الأدب ، و « نُصُوص الحكم » ، و « مفاتيح الغيب » ، و « التعريفات » .

له ترجمة في : « سير أعلام النبلاء » (٢٣ / ٤٨ رقم ٣٤) ، و « كتاب الوافي بالوفيات » (٤ / ١٧٣ رقم ١٧١٣) ، و « الأعلام » (٧ / ١٧٠ - ١٧١) ، و « معجم المؤلفين » (١١ / ٤٠ - ٤١) .

(٣) لأنه كان يقول بوحدة الوجود .

الدين (١) أحمد بن محمد بن صالح الأشليمي الشافعي فقيه المدرسة البرقونية بين القصرين ، وصلى عليه في باب النصر ، بكرة يوم الثلاثاء حادي عشره ، قاضي الشافعية العَلَم صالح البُلُقيني في جمع من الفضلاء جَم ، وحضر كثيرٌ منهم دفنه بترية شيخ الظاهرية في قبلة تربة الصوفية عن بضع وأربعين سنة ، وكان فاضلاً في عدّة فنون ، وكان شعره مُرقّصاً إلا أنه ضيّع نفسه عندما فضل ، فكان لا يُشغل ولا يشتغل فنقص بذلك كثيراً .

منادي البحر وفي يوم الأربعاء تاسع عشر الشهر ، وهو شعبان سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ، الموافق لسادس عشر بؤنة ، دار مُنادي البحر بالبشارة بأنّ قاعدة بحر النيل ستة أذرع ونصف ، وهو أربعة عشر إصبعا .

موت الإخيمي الإمام وفي يوم السبت تاسع عشري شعبان من السنة ، مات شهاب الدين أحمد (٢) الإخيمي ، إمام السلطان عن بضع وخسين سنة ، وكان قبل ذلك إمام الظاهر جَقَمَق قبل السلطنة ، فلما تسلطن أمّ به ، ثم أمّ بالأشرف ، وخلف ولده الناصر محمد ، وهو حسن الصّوت جدّاً مع أنه جمع القراءات بالروايات السّبع فَنِعَمَ الولد هو ، وخلف ابناً آخر اسمه علي طفلاً خلفه الله فيه .

موت أبي العباس الوفائي [٢١٦] وفي يوم الأحد سلخ شعبان من سنة ثلاث وستين هذه ، مات أبو العباس الوفائي (٣) ، صاحب جوهر (٤) الحَزَنْدَار الذي كان

(١) راجع « هامش ٣ » من (ص ١٠٧) من القسم الأول .

(٢) راجع « هامش ٢ » من (ص ٣٢٩) من القسم الأول .

(٣) ترجم له (السخاوي) في « الضوء اللامع » (١١٩/١١) وقال : « أبو العباس الوفائي شاذّ العائز عند جوهر القنباي ، ومن رافع فيه أبو الخير النحاس ، وأنهم بذخائر عنده لمخدومه ، وضرب بين يدي الظاهر في سنة خمس وخسين ، وكان ذلك ابتداء تكلم المرافعة في الدولة » .

(٤) هو : جوهر بن عبد الله القُنْبَائِي الحازندار والزّمام ، ولي الحازندارية في دولة الأشرف =

أبو الخير النحاس يخدمه ، فاختلف معه على بعض ما قبضه له ، فشكاه إلى الظاهر ، فوجده عارقاً بالمرافعة وتفتيح أبواب الشرِّ ، فقرَّبه فكان سبب رفْعته عنده ، ثم جرت لأبي العباس معه كوائنٌ ومحنٌ ذكر بعضها في هذا الكتاب ، وكان شاع في بعض محن أبي العباس أنَّه مات قبل هذا في غزاةٍ منفياً ، فنسأل الله الحماية من كل سوء .

وفي ليلة الاثنين مستهل شهر رمضان من السنة ، بعد العشاء مات
شرف الدين محمد بن (١) صدر الدين أحمد بن العلامة بدر الدين
إبراهيم بن الخشَّاب المخزومي الشافعي بسكنه من الظاهرية القديمة ،
تجاه المرستآن (٢) المنصوري (٣) عن سبعين سنة ، في مرض طويل

= بَرَشْبَاي ، والزمامية في دولة الظاهر جَقَمَق ، مات في ليلة الاثنين أول شعبان سنة ٨٤٤ هـ ، وله نحو سبعين سنة ، ودُفن بمدرسته بجوار جامع الأزهر .

له ترجمة في : « الدليل الشافي » (١ / ٢٥٤ رقم ٨٧٠) ، و « النجوم الزاهرة » (١٥ / ٤٨٥ - ٤٨٦) و « الضوء اللامع » (٣ / ٨٢ رقم ٣٢٧) .

(١) له ترجمة في « الضوء اللامع » (٦ / ٢٨٤ رقم ٩٥٨) وجاء فيه أنه وُلِدَ في ثالث شوال سنة ٧٩٣ هـ بالقاهرة ، ومات في سنة ٨٧٣ هـ ، كما ترجم له (ابن إياس) في « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٦٥) .

(٢) المرستآن : اختصار لكلمة (بيارستآن) وهي كلمة فارسية مركبة من كلمتين : (بيار) بمعنى مريض ، أو عليل ، أو مصاب ، و (ستان) بمعنى مكان أو دار ، وهي بذلك دار المرضى .
« خطط المقرئ » (٢ / ٤٠٥) ، و « تاريخ البيهارستانات في الإسلام » (٤) .

(٣) المرستآن المنصوري : يقع بخط بين القصرين من القاهرة ، وقد كان قاعة ست الملك ابنة العزيز بالله نزار ابن المعز لدين الله أبي تميم معد ، ثم عُرفت بدار فخر الدين جهازكش ، ودار موسك ، ثم بالدار القطبية ، حيث ابنتى فيها الملك المنصور قلاوون بيارستاناً في سنة ٦٨٣ هـ ، بمباشرة علم الدين الشجاعى ، يقول عنه (العمري) في « مسالك الأبصار - دولة المماليك الأولى » (٨٧) : « وبها المرستان المنصوري ، المعلوم النظر ؛ لعظمة بنائه ، وكثرة أوقافه ، وسعة إنفاقه ، وتنوّع الأطباء وأهل الكُحل والجراح به ، وهو جليل المقدار ، جميل الآثار ، جزيل الإيثار ، وقفه السلطان الملك المنصور قلاوون رحمه الله » .

راجع : صبح الأعشى » (٣ / ٣٦٥ - ٣٦٦) ، و « خطط المقرئ » (٢ / ٤٠٦ - ٤٠٨) ، و « تاريخ البيهارستانات في الإسلام » (٨٣ - ١٧١) .

مبطونًا ، وصلى عليه صاحبه الشريف علي القصيري في باب النصر ،
ودُفن على أبيه في تربتهم قرب السور ، تجاه الروضة ، وحضره جمعٌ كثيرٌ
من الفضلاء الطلبة وأهل الخير ، وكان فاضلاً بارعاً ، مُبرِّزاً في الطب ،
مُشاركاً في غيره ، وله نظمٌ حسنٌ ، وكان من خيار المسلمين همّةً وغيرةً
على الدين وملازمةً للطاعات ، ووفاءً لأصحابه ، وخلفٌ ولده جلال
الدين دون البلوغ ، خلفه الله فيه آمين .

وصول النحاس وفي يوم الثلاثاء ثانيه وصل القاضي زين الدين أبو الخير النحاس
وطلع إلى السلطان ، فخلع عليه خُلعة بيضاء ، ورحب به ، ونزل إلى بيت
القاضي بدر الدين بن التَّنسي ، حتى يُهَيَّأ له منزل ، فأُسرع الناس إليه
للسلام ، ولم يتخلف أحدٌ له اعتبار^(١) .

واتفق أنَّ البحر من حين وصل إلى أرض مصر لم يزد البحرُ إلا
إصبغاً ، وذلك من يوم الجمعة ثامن عشري شعبان ثم لم يزد يوم قدومه
شيئاً ، ويوم الأربعاء نقص إصبعين ، فتشاءم الناس به جدّاً ، وقالوا : لما
رفعه الظاهر حصل الغلاء ، ولما نفاه أخذ في النقص إلى أن صار الناس
بخير ، فحين استقدمه هذا حصلت مبادئ الغلاء فكادوا يجمعون على
قتله .

وفي يوم الخميس رابعه ، طلع أبو الخير إلى القلعة في جمع كبير ، قيل :
أنَّه كان في خدمته ، زيادة على مائة من الجند ، فضلاً عن غيرهم فأهدى
للأمير الكبير ، ثم دخل إلى السلطان إلى قاعة الدَّهَيْشَة ، بعد نزول جميع
المباشرين كما كان يصنع أيَّام الظاهر ، فلم يكن تخلف عند السلطان إلا
الخزَندار ، وشهود الخزَّانة ، أولاد الجيَّعان ، فلما وصل أبو الخير أمرهم
الخزَندار بالانصراف واستمر عند السلطان مدَّة طويلة .

(١) الخبر في : « النجوم الزاهرة » (١٦ / ١٣٢) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٦٥) .

وفي يوم السبت نُودي ، أن البحر زاد إصبعين ، وهي التي كان نَقَصَها، وطلع أبو الخير أيضًا في جمع كبير إلى السلطان بعد نزول المباشرين ، فتوقفت أحوالهم ، وكان كلُّ منهم خائفٌ على نفسه ووظيفته.

وفي يوم الاثنين خامس عشر الشهر وُلِّيَ القاضي أبو الخير نظر دَخِيرَةِ السلطان ، ووكالة بيت المال ، ونظر السلطان الخاص ، وُخِّلِعَ عليه بذلك ، وجمَعَ ما كان مُفَرَّقًا على المباشرين للوزير والإستدار عليه ، وهو في كل يوم خمسمائة دينار ، ولم ينزل معه إلى بيته أحدٌ من الأمراء ، ولا المباشرين (١).

ثم كتب قِصَّةً سأل فيها نظر الكسوة ، وما كان معه على أيام الظاهر من خطابة جامع عمرو بن العاص ، ومشیخة التربة الطويلية ، وأشياء تتعلّق بكاتب السر في نابلس ، فأجابه السلطان يوم الخميس ثامن عشر الشهر ، فسأل صديقه القاضي عبد القادر الطوخي في أن يخطب عنه في جامع عمرو فلم يجبه ، فسأل غيره فلم يجبه ، فخطب المناوي على عادته، ثم كلم السلطان في أمره ، وأخبر أن الناس كرهوا نَصْبَهُ في وظائف الدين ، فَكَذَّبَهُ في دعواه ، فأعاد ذلك على أربابه ؛ نظر الكسوة على ابن الكُوَيْز ، والخطابة على الشرف المناوي ، والطَّويلية على التقي القَرْقَشَندي ، وما لكاتب السر عليه ، وأمر بنزع القِصَّة منه وتحريقها ، وزعم أنه كذب عليه ، ومن العجائب أنه لما أوهنت كلمته كان ذلك يوم الاثنين ثاني عشري الشهر ، فنودي في صبيحة الثلاثاء ثالث عشريه الموافق لآخر أبيب (٢) بزيادة البحر عشرة أصابع ، وفي يوم الأربعاء

(١) الخبر في : « النجوم الزاهرة » (١٦/١٣٢) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٦٥).

(٢) أبيب : من أشهر القبط .

راجع « خطط المقرئ » (١/٢٧٢ - ٢٧٣).

ثالث عشره ، الموافق لأوّل مسري خمسة عشر ، فتحقق في أذهان جميع الناس أن رفعته سببٌ للقحط ، وخَفَضَه سببٌ للخير .

وفي ليلة الاثنين ثاني عشري الشهر عمل الأمير بُردبُك المسيرة المعتاد بها أمراء الحاج ، وهي أن يركب الهَجْنُ هو وأتباعه العصر ، ويخرج من قَصَبَةِ القاهرة إلى خليج الزعفران ، فيتعشّى هناك ، ويرجع بالمشاعل من القَصَبَةِ أيضًا ، فاحتفل الناس لذلك ، وكان معه هَجْنٌ كثيرٌ جدًّا ، ورتّب الوالي فيما يمنع المفسدين من الفساد ؛ فلم يحصل لأحد أذى ، وكانت مسيرة حافلة ، فضلها الناسُ على مسيرة ابن السلطان سنة حَجّ .

وفي يوم الخميس خامس عشره شكى أبو الخير وَهَنَ^(١) كلمته بما أُسْتَرَجِعَ [٢١٧] منه ، ودافعه المباشرون فكلم السلطانُ كلاً منهم كلامًا يُرَجِّيه^(٢) فيه ، وانفصل المجلسُ على ذلك ، ولم يُردَّ إليه شيئًا ، غير أنّه استرجع خطابةً جامع عمرو ، فأرسل الأمير بُردبُك إليه أن لا يمنع المناوي من الخطابة به يوم الجمعة سادس عشري الشهر ، ثم كُلم السلطانُ يوم السبت سابع عشره في المناوي ورَدَّها إليه ، ثم نقض ذلك ، فسأل أبو الخير جماعةً من أصحابه في النيابة عنه في الخطبة فلم يُجب أحدٌ منهم ، فاحتاج إلى إبقاء نائب المناوي .

وفي آخر يوم الاثنين تاسع عشري شهر رمضان توجه القاضي الشافعي على العادة إلى المنصوريّة ، ومعه نُوّابُه لترائي الهلال ، وكان قاضي الحنفية السَّعد بن الدَّيري مريضًا ، وكذا قاضي المالكية الحُسام بن حُرَيْز ، فلم يحضر مع الشافعي إلّا قاضي الحنابلة العز الكناني ،

(١) وَهَنَ : ضَعُفَ .

« لسان العرب » (٣٤٥ / ١٧) .

(٢) يُرَجِّيه : جاء في « لسان العرب » (٢٣ / ١٩) ، الرجاء من الأصل نقيض اليأس .

وكان للشافعي غرض في إثبات أنَّ الثلاثاء العيد ؛ لأن بعض أقاليم مصر صام يوم الأحد ، وتحدث عن بعض أهل الشَّرْقِيَّة ، ولكن لم يبلغ ذلك إلا في أثناء شهر رمضان أن يعتمدهم ، فينسب إلى تقصير في الفحص أول الشهر ، فلم يُظهر شيئاً من ذلك ، فلما كان في هذه الليلة اشتدَّ تطلبه لأحد رأى ، فقبل له عن شخص مؤذِّن مشهور بالغناء من أصحاب ابن زوجته صلاح الدين ، فطلبه ، فلم يجسر على الشهادة ، وتمنَّع من ذلك ، حتى ظنَّ أنه لم ير ، فأثنى عليه الشافعي ما سَكَنَ رَوْعَهُ حتى شهد ، ثم طلبوا آخر فشهد شخصٌ أمرد مُغْنِيٌّ ، ربيب شخص من شهود الزور يُقال له الشيرجي في ناحية الجَوَانِيَّة ، فشهد ، فتوقف نائبه الذي ندبه لذلك ، وهو شخصٌ يُقال له الأبشيهي ، غير موثوق به أيضاً ، فصاح عليه وأظهر الغضب من تَوَقُّفِهِ ، فأشهد عليه أنه قبلهما ، وثبت عنده أنَّ غداً من شوال ، فأمر الشافعي المحتسب وهو علاء الدين بن امرأة الفَيْسِي بالمناداة أنَّ غداً العيد ، ففعل ، فأدخل على جميع من سمع ذلك من أهل الخير تشويشاً كبيراً ، ثم أخبرني قاضي الحنابلة أنَّه صحَّ عنده أن جماعة غير المذكورين رأوه ليلة الثلاثاء ، فطاب خاطرُ ولله الحمد .

وفي يوم الخميس ثالث شوال ، طلع القاضي أبو الخير النحاس إلى القلعة ، للاجتماع بالسلطان ، فخرج إليه جماعةٌ من الأجلاب عند السَّبِيل الذي بالقرب من مصاطب نائب القلعة ، فقالوا له : مالك لا تواصل الوزير بما له عليك ، حتى يواصلنا باللحم ؟ فقال : ما له عندي شيءٌ . فكذبوه فنفر فيهم ، فضربوه ضرباً شديداً ، فوقع ثم قام ، فضربوه إلى أن وقع ثانياً فداسوه وضربوه بعد الوقوع إلى أن ظنَّ موته ، وهرب عنه أصحابه ، ودنى بعضُ الوجهاء من التُّرك لتخليصه فضربوه إلى أن بُعد منه ، ولما ظنوا موته هربوا ، فأمر نائب القلعة جماعته ، فحملوه ثم طلعوا به إلى بعض تلك الطَّباق ، حتى تراجع ، فحُمِلَ إلى بيته ، فإذا هو قد جُرح في مواضع من جسده ولم يُضْرَب إلا بالعصي ، فازداد مرضاً إلى

مرضه ولم يُظهر لذلك غمًا ، بل كان يقول : إن هذه عادتهم لم يخرجوا به عن العادة ، ونحو هذا الكلام وهو يضحك ، ويظهر السرور ، ولكنه لا يقدر على التجلد بالجلوس ^(١) .

وتواصل شَرُّهُ مع العلاء بن الأَهناسي الوزير ، حتى نُقل عن الوزير أنه قال : أنا سَفَلَةٌ ^(٢) ، وهذا سَفَلَةٌ ، فأنا له ، دعوني وإياه ، وانظروا ، وكان في غالب الأوقات يستظهر الوزير ، فإنه يريد منه كل يوم مائتي دينار وخمسين دينارًا ، ومتى عُوِّقَت أرسل إلى الأجلاب ، أتى عجزت عن اللحم ؛ لأن أبا الخير لم يُعطني شيئًا ، ثم سعى بينه وبين الوزير شخصٌ من أصحابهما ، فصلح الحال بينهما .

وفي هذا الحدِّ ، أراد الحاجُّ إينال ^(٣) ، نائب حلب أن يُسَقِّر القمح ، فوجه أهل حلب ، فظفر بجماعةٍ منهم فقطع أيديهم ، ثم أرسل إلى السلطان فحسَّن فعله وأذن له فيه .

موت المعين ابن الأشقر

وفي ظهر يوم الجمعة رابعه ، مات القاضي معين ^(٤) الدين عبد اللطيف بن القاضي شرف الدين أبي بكر الأشقر الحلبي سبط بني العجمي ، وأحد أصهار الأمير جمال الدين الإِسْتَدَّار ، عن عِلَّة طويلة ، بخَرَاج [٢١٨] في يده ، وترك أولادًا أكبرهم كمال الدين ، وهو رجلٌ ، فطلع إلى السلطان ليسعى في وظائفهم وتعلُّقاتهم ، فلم يتمكن مع ذلك

(١) الخبر في «النجوم الزاهرة» (١٦/١٣٣) .

(٢) سَفَلَةٌ : سُفْل سَفَالَةٍ ، حَسَّ ونَذَلَ .

«المعجم الوسيط» (١/٤٣٤) .

(٣) وهو : إينال اليشبكي الجكمي .

راجع «هامش ٥» من (ص ٢٣٤) من القسم الأول .

(٤) راجع «هامش ١» من (ص ٤٧) من القسم الثاني .

من دفنه في ذلك اليوم ، وكان يوماً شديداً الحرّ ، فأُخِر إلى بكرة السبت
خامس الشهر ، فصلّى عليه قاضي الشافعية في باب النصر ، ودفن في
تربة الأمير جمال الدين ، وكان سنّه إذ ذاك نحو الستين ، وكان عنده
فضيلة في مصطلح أهل الزمان في التوقيع ، وله اشتغال في الفقه والنحو
وبعض الفنون غير أنه لم يكن مطبوعاً في ذلك ، وكان شديد الحرص على
الدنيا ولم يكن له إحسانٌ إلى أحدٍ ولا موافاة للناس ، الجيران وغيرهم ،
فيما يُنوبهم ، ولا أداءٌ لما يلزمه من الحقوق ، لا سيما إن استضعف أهلها ،
فلم أسمع أحداً يُثني عليه ولا يتأسف على موته ، وظن بعضُ الناس
ذلك الخراج طاعوناً ، وخيف من هجوم الطاعون ؛ لأنه كان قد برك على
حلب في شعبان ، فأفنى أهلها ، ومات عدّةٌ من أكابرهم ، منهم الزين
قاسم بن الأقساسي ^(١) نائب قلعة حلب ، وناظر الجوالي ^(٢) فقدّم
ابنه ^(٣) ، وبذل للسلطان خمسة عشر ألف دينار ، حتى أبقاه على ما
كان عليه أبوه ^(٤) ، ونُقِل في هذا التاريخ أنّ الطّاعون وصل إلى حماة ^(٥) ،
بل وإلى دمشق ، والله المسؤول في خاتمة الخير .

(١) راجع « هامش ٢ » من (ص ١١) من القسم الثاني .

(٢) جاء في « النجوم الزاهرة » (١٦ / ١٣٣) أنّ الطاعون أخذ في الانحسار عن حلب والانتشار
فيها حولها من البلدان والقرى في شهر رمضان ، بعد أن مات من أهلها نحو مائتي ألف إنسان .

(٣) وهو : عمر بن قاسم بن جمعة ، الأمير زين الدين الأقسامي (القسامي) الحلبي نائب
قلعتها ، مات بها في شعبان سنة ٨٦٤ هـ .

له ترجمة في « الضوء اللامع » (٦ / ١١٣) رقم (٣٥٥) .

(٤) وكان ذلك يوم الثلاثاء ثامن شوال .

« حوادث الدهور » (٣٢٥) .

(٥) كان ظهور الطاعون بمدينة حماة في شهر رمضان .

« حوادث الدهور » (٣٢٥) .

وفي يوم الاثنين سابع الشهر ، لبس القاضي لسان الدين أحمد^(١) بن قاضي الحنفية بحلب أثير الدين محمد بن كاتب السرّ بالديار المصرية المحب بن الشُّجْنة خُلعة بنيابة كتابة السرّ عن معين الدين بن الأشقر ، بسعي شديد .

ضَرَب إبراهيم الجبرتي وفي هذا الحد ، ضرب الأمير برُسْبَاي البجاسي ، حاجب الحجاب ، زاده الله توفيقاً شخصاً يُقال له : إبراهيم الجبرتي مرتين ، وحلق رأسه وسجنه ، وأمر بنفيه من القاهرة ، فسأله أن يتركه ليسافر بنفسه ، وحلف له أنه لا يُقيم ؛ فتركه ، وكان هذا الرجل لابساً زيّ الصوفية ، وله شعر ، وهو فظيع المنظر ، أقسم بالله أنّي ما رأيته قطّ إلا ذكرت برؤيته إبليس ، وكان من شياطين الإنس ، كان سكنه القدس ، وكان قد ضربه البرهان الأنصاري نائب الشافعي بالقدس لما هو مرتكبه من المخازي ، فقدم إلى القاهرة يُرافع أهل الخير ، ويسعي بالفساد ، وحاصل أمره أنّي ما علمت أنه وقع خلاف بين الناس إلا كان مع حزب الشيطان .

[وفي هذا^(٢)] الشهر عُزل البدرُ المحلي عن قضاء إسكندرية ، بسعي الأمير الزين عبد الرحمن بن الكُوَيْز ، ناظر الخاص ؛ فإنه كان يعارضه في كثير من أحوال الثَّغر ، كما كان يفعل مع ناظر الخاص الجمال يوسف بن كاتب شكّم ، فاستراح منه البلاد والعباد ، فإنه جمع إلى قُبْح الصورة سوء السيرة ، وفساد السَّريرة ، وكان أنسب الأسماء له

(١) هو : أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمود بن غازي ، لسان الدين بن أثير الدين بن المحب ، أبي الفضل الحلبي ، المعروف بابن الشُّجْنة ، وُلد سنة ٨٤٤ هـ بحلب ، ونشأ بها في كنف أبيه وجده ، ثم قدم القاهرة وأخذ عن بعض علمائها ، وناب عن جده في كتابة السرّ بالقاهرة ، ثم ولي قضاء الحنفية ببلده عوضاً عن أبيه ، مات في ليلة الخميس سلخ صفر ، أو مستهل ربيع الأول سنة ٨٨٢ هـ بالطاعون .

له ترجمة في « الضوء اللامع » (٢ / ١٩٤ رقم ٥٢٩) .

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة اقتضاها السياق .

ظلام الدين ، فإنه أسودٌ موحشٌ التخطيط من الفم الكبير الذي كأنه فم حيّة ، والأنف الصّغير المستطيل في طول الوجه ، والعينين الكبّار جدّا المشبهتين كما قال بعض الأصحاب وأجاد : بعيني فأر قد خُنق فبرزتا ، هذا مع عيّ^(١) اللسان ، والبُهت في غالب الأحوال ، إلّا حال الأذى ، وقدّمه ما خلّف أبوه من الذّهب ، حتى أخبرني بعضهم أن السلطان وأتباعه أخذوا من تركة أبيه نحو عشرين ألف دينار ، فكان ابنُ السلطان المقامُ الشهابي ، وأُمّه خوند شديدي التعصب له ؛ لما كان يهدي إليهم بعد ذلك ، فلم يزل ابن الكُويز بنسائه حتى غيّر عليه خَوْنُد ، فكلّمت السلطان ، فعزله ، لكن لم يُعجب ابنها ذلك ، واستمر معه ، فأحجم بعضُ الناس عن قبول ولاية وظيفته ، وكان البدر محمد^(٢) بن البهاء محمد بن القطان المصري الشافعي ، صاحب ابن الكُويز ، فسأله بذلك فقبل .

وفي هذا الحد ، كان يبلغنا تارةً أن الموت تناقص بحلب وتارة أنه على موت ابن النصيبي حاله ، ومِنّ مات بها من أعيان الفقهاء القاضي شرف الدين أبو بكر بن

(١) عيّ اللسان : أي لا يستطيع بيان مراده .

« المعجم الوسيط » (٦٤٢ / ٢) .

(٢) هو : محمد بن محمد بن محمد بن علي بن محمد بن عيسى بن عمر بن أبي بكر ، البدر بن البهاء بن الشمس الكتاني السمنودي الأصل ، ثم المصري القاهري الشافعي المعروف بابن القطان ، وُلد بعد عصر يوم الجمعة ١٦ رمضان سنة ٨١٤ هـ بمصر ، تنقل في عدة حوانيت ، واستقر في إفتاء دار العدل ، واختص بصحبة ابن الأهناسي ، ووُلّي الخطابة في الجامع الجديد بمصر ، واستقر بتدريس الفقه في القطبية ، وأم السلطان ، والشيخونية ، مات في ضحى يوم الجمعة ١٦ ذي القعدة سنة ٨٧٩ هـ .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (٩ / ٢٤٨ رقم ٦٠٠) ، و « شذرات الذهب » (٧ / ٣٢٨) .

القاضي ضياء الدين محمد بن النصيبي الشافعي^(١)، وكان شاباً جميل الخُلُق والخلق، فاضلاً في عدة فنون، حسن الملتقى والبشاشة والمكارم، رحمه الله وعفى عنه.

قضايا الأجلاب وكان عقلاء الناس على خوفٍ شديد من حلول الطّاعون أو غيره من النّقم؛ لما طرأ في غالب هذه المملكة، من الظلم، لا سيما جور الجند، لا سيما أجلابهم، فلقد كانوا ينهاون بالنهار الأشياء الغالية الأثمان لا سيما الثياب البغلبكي والأكل في نهار رمضان جهازاً في الأسواق، ومن قضاياهم الغربية أنهم كانوا يكتبون في ورقة لا إله إلا الله محمد رسول الله، ويأتون بها إلى بعض أهل الذمة من اليهود والنصارى، فيقولون له: إقرأ لنا هذه، فلا يَفُكّ نفسه منهم إلا بشيء من الذهب له جرم أقله دينار، ومن ذلك أن أحدهم رأى شخصاً يستأجر الكرسي الذي تجلس عليه الحامل عند الطلّق، فسأل عنه فأخبر بشأنه، فتبع الذي أخذه، ودخل وراءه [٢١٩] إلى البيت، فرام^(٢) منعه، فلم يستطع، فتلطف به أهل البيت وسألوه عن مُرادِه، فقال: أريد أنظر كيف تلد الحُبلى، فقالوا له: إنَّ هذا لا يكون إلا بعد أيّام. فقال: أنا لا أُرزَأكم^(٣) شيئاً، معي نفقة أنفق على نفسي إلى أن يحصل الغرض، فلم يخرج من عندهم

(١) هو: أبو بكر بن محمد بن عمر بن أبي بكر بن محمد بن أحمد، الشرف بن الضياء بن النصيبي الحلبي الشافعي، وُلِدَ في صفر سنة ٨٢٤ هـ بحلب ونشأ بها، سمع على عدد من العلماء في القاهرة، وحلب، ودرّس بالعصرونية، والظاهرية، والسيقية، وناب في القضاء، وفي كتابة السرّ، وولي وكالة بيت المال، وإفتاء دار العدل، مات في رمضان سنة ٨٦٣ هـ.

له ترجمة في «الضوء اللامع» (٨٦/١١) رقم (٢٢٩).

(٢) قرّام: طلب.

«لسان العرب» (١٥٠، ١٤٩/١٥).

(٣) أرزَأكم: جاء في «المعجم الوسيط» (٣٤١/١) «رَزَأَهُ، رَزْأَهُ، وَمَرَزَتْهُ: أصابه بُرْءٌ، ويقال: رزأته رزية: أصابه مصيبة، ورزأه ماله: أصابه منه شيئاً فنقصه.

إلا بعشرة دنانير ، وأما الحُبُوس فلم تصر حِزْزاً بالنسبة إليهم ، كانوا يُخرجون من أرادوا من حبس من كان من حكام الشرع والسياسة ، وانثال الناس عليهم في الاحتفاء بهم ، فلم تكن الأحكام تُنفذ إلا فيمن يعجز عن الانتفاء إليهم ، ولهم قضايا تجل عن الوصف ، سمعت بعض حُدَّاث^(١) الترك ينسبها إلى فقهاء الطَّبَّاق والغلمان ، وهو قريب ، فإن عقولهم لا تصل إلى جميع ما يُنقل عنهم من غير معلم .

وفي يوم الخميس عاشر شوال من السنة ، الموافق لسادس عشر وفاء البحر مسرى ، من شهور القبط ، نُودى أن البحر ، زاد ست عشرة إصبعا ، فأوفى ست عشرة ذراعاً ، وزاد أربع أصابع من الذراع السابع عشر ، فنزل المقام الشهابي ابن السلطان إلى المقياس ، فنظره ، ثم رجع ، ففتح السدَّ وتفرقت المياه في خلجان القاهرة على العادة . وكانت زيادته متصلة من حين نودى عليه في سابع عشري بؤونة إلى هذا اليوم ، لم يتعطل إلاَّ الأيام التي ذكرت في قدوم أبي الخير . جعل الله التمام بخير وأعاذنا من فتنة الغنى والفقر^(٢) .

ثم نودى يوم الجمعة حادي عشره ، أن زيادته اثنتي عشرة إصبعا ، فصار على ست عشرة من الذراع السابع عشر ، ويوم السبت ثاني عشره ، عشرة أصابع فوق الذراع السابع عشر ، وصار على إصبعين من الثامن عشر والله الحمد .

وفي يوم الخميس سابع عشره سار المِخْمَلُ من القاهرة إلى البركة ، ومعه أميره ، الأمير بُرْدَبَك الدويدار في ألف ومائتي عَلِيْقَة^(٣) ، فقال

(١) حُدَّاث : الحدث ، هو الفتى السِّن .

« لسان العرب » (٤٣٧/٢) .

(٢) عن زيادة البحر هذه ، راجع « حوادث الدهور » (٣٢٥) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم

تنشر) (٦٦) .

(٣) الخبر في « النجوم الزاهرة » (١٦/١٣٣) .

المفتشون عن مثل هذه الأمور : أنهم ما رأوا مثل ذلك ، من أعظم مَنْ خرج لإمْرَةِ الحج ، واعتنى بتكثير حاشيته ، دُولات باي الدَّوِيْدَار الكبير في آخر سني الظاهر جَقْمَق ، وكان في ثمانمائة عَلِيَّة ، ثم المقام الشهابي أحمد بن السلطان الأشرف كما تقدم وكانت معه أمه خَوْنَد الكبرى وابنتاها زوجتا الدَّوِيْدَارَيْن الكبيرين يونس ، والثاني بُرْدَبَك ، وكانوا في [تسعمائة ^(١)] عليقة ، فقد زاد هو عن ابن استاذة ثلاثمائة عَلِيَّة وليس معه من تلك الخَوْنَدات إلا زوجته ، وزادت جِماله في البركة وبعدها . وتتابع الناس في إثره على العادة .

وفي ليلة الأحد العشرين منه ، سار من البركة يَرْشَباي ^(٢) أمير المماليك الذين يُرابطون في مكة المشرفة .

وفي ليلة الاثنين حادي عشره سار منها ^(٣) أميرُ الأول ^(٤) كَسْبَي المؤيدي وأعيان رُكْبِه ، عبد الرحيم بن أحمد بن الناصر محمد البارزي ، وسيدي يحيى بن البهاء بن النجم ابن حجي بن بنت الكمال بن البارزي، وصهرهما الأمير يَزِيك صهر الظاهر جَقْمَق .

(١) ما بين الحاصرتين غير واضح الرسم في الأصل ، والتصحيح مما جاء في الصفحة السابقة ، حيث سار المحمل بإمرة بُرْدَبَك في ألف ومائتي عليقة ، وأشار هنا إلى أنه زاد عن ابن استاذة ثلاثمائة عليقة ، مما يعني أن المقام الشهابي سار في تسعمائة عليقة .

(٢) هو : يَرْشَباي بن عبد الله الإيتالي المؤيدي شيخ ، الأمير سيف الدين ، أحد أمراء الطبلخانات ، وأمير آخور ثاني بمصر ، أصله من ممالك المؤيد شيخ ، وتأمّر عشرة في دولة الظاهر جقمق ، وقُبض عليه أيام الملك المنصور عثمان وحُجِس بالإسكندرية ، حتى أطلقه الأشرف إيتال ، وسافر إلى مكة رأساً على المماليك السلطانية بها في سنة ٨٦٣ هـ ، مات في شهر رجب سنة ٨٦٤ هـ . له ترجمة في : « الدليل الشافي » (٧٨٣/٢) رقم (٢٦٤٤) ، و « النجوم الزاهرة » (٢١٦/١٦) ، و « الضوء اللامع » (٢٦٩/١٠) رقم (١٠٧١) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٧٤) وجاء فيه (برسبای ایتالی المؤیدی) .

(٣) أي من بركة الحاج .

(٤) أي ركب الحاج الأول .

وفي ليلة الثلاثاء ثاني عشره سار أمير المَحْمَلِ الأمير بُرْدْبَك وفي ركبته جانِبَك القَصْرَوِي أحد أعيان الظاهرية ، والشمس الأمشاطي (١) الحنفي، أحد نواب الحنفية ، والتقي القرقشندي ، والعلاء الحصري ، والنجم بن قاضي عجلون الشافعيون ، وبالنجم هم يهتدون ، ليس فيهم مثله عِلْمًا وعَقْلًا وأصالة ودينًا ، وقاضي الرِّكْب العز (٢) الأنباي الذي كان نائب المحتسب ، أحد نواب الشافعية الجهلة، وسار معهم عيسى المغربي الزنديق لا صحبه الله ، وكان قد سجنه الله بعد موت الشيخ مَدَّيْن ، بأن انقطع في بيته يريد أن يقول الناس : أنه قام مقامه ، كل ذلك يريد أن يرفع من قدره ما وضعه الله على يدي بذلك المجلس الذي قدمته (٣) ، فلم يطر له من الاسم ما كان للشيخ مَدَّيْن ، ولا تردد إليه من الناس من يُرضيه ، وشرع يدعى أنه عزل فلانًا ، وولّى فلانًا ، وأمات فلانًا، ونحو هذا ، وكان يتردد إليه من الأكابر من يكون سببًا للكف عنه عند صدور مثل هذا ، وتلمذ له تَمَرَّاز أحد أعيان الأشرفية الذي كان من خواص الأشرف إينال ، فكان تمرينه له على الجوع سببًا لأن خَشَنَ للسلطان في قضية فأقصاه ، والشَّرَف الأنصاري ، فنكبه السلطان كما تقدم نكبةً هي من عجائب الدَّهر باعتبار أنه لم يظهر لها سببٌ ، ولا وقع منه تقصيرٌ ، ونحو هذا من الأمور الظاهرة التي كانت تقع لأصحابه

(١) لعله : محمد بن أحمد بن حسن بن إسماعيل بن يعقوب بن إسماعيل ، الشمس بن الشهاب الكحكاوي العيتابي الأصل القاهري الحنفي ، المعروف بالأمشاطي (لا تجار جدّه لأمه في بيع أو صناعة الأمشاط) وُلِدَ في ٢٦ ذي الحجة أو القعدة سنة ٨١١ هـ بالقاهرة ، وأخذ عن أبرز علماء عصره في مصر ، دُرُس بالفخرية ، وبكلمش ، وبالفيروزية ، وبالمكتومرية ، والباسطية ، وغيرها من المدارس يصفه (السخاوي) بأنّه حسنة من حسنات الدهر ، مات ليلة الاثنين ٢٥ رمضان سنة ٨٨٥ هـ .
له ترجمة في « الضوء اللامع » ٣٠١ / ٦ رقم ١٠٠٤ .

(٢) هو : عبد العزيز بن يوسف ، العز الأنباي الشافعي نائب الحسبة ، ناب في القضاء ، وخطب بجامع الخطري ببولاق ، مات يوم الجمعة ٦ شوال سنة ٨٧٢ هـ .
له ترجمة في « الضوء اللامع » ٢٣٩ / ٤ رقم ٦١٤ .

(٣) راجع « ص ٢١٩ » من القسم الثاني .

مما يوجب النفرة منه ﴿ [وَإِخْوَانُهُمْ ^(١)] يَمُدُّوهُمْ فِي الْعَيِّ ثُمَّ لَا يَقْصِرُونَ ﴾ ^(٢) فيغروهم به، فلا يزدون إلا [٢٢٠] ضللاً به، غير أن هذا كله لا يعجبه، وما كان يريد إلا تردد السلطان فمن دونه إليه، وسبب ظنه لذلك أنه رأى من قلة عقول المصريين نموذج هذا، ويأبى الله إلا أن يضعف كيد الشيطان ويُعلي كلمة الإيمان، فلما لم ير ذلك شرع يقيم له أسباباً، من كثرة الصدقة يأخذ من أتباعه ولا يرفق ويُعطي، ثم شرع يُفَرِّق زَلَايِيَّة ^(٣) في أطباق على الأكابر، فكان يعمل كل يوم من الدَّقِيق نحو بطتين ^(٤)، وزعم أن ذلك تهتة للناس بما دفع هو عنهم من الموت، فإنه اطلع (زعم) على أن الطاعون آتٍ فدفعه، وكانت عادة البلد أنه إذا وُلِد لأحدهم ولُدَّ فَرَّق على الناس زَلَايِيَّة فعدهم هو بما دفع (زعم) كالمولودين، وفَرَّق ذلك عن آبائهم، واستمر على ذلك من أوائل هذا العام إلى آخر شعبان منه، فلم يزد له بذلك أمرٌ ولا طار له من الذكر ما أعجبه، وكان يُبَالِثه على ذلك ويتلمذ له العز الفيومي، فقيه الزين بن الكُوَيْز، فلما طال ذلك وضاق صدره مما ألزمه لنفسه من الحبس، وسمع أن الطاعون الذي كان بحلب وصل إلى حماة، وظن أنه عما قريب واصل إلى القاهرة رأى السَّفر إلى الحج مَفْصِلاً، وزاد ذلك أن أمير الرِّكَب الأمير بُرْدْبَك ممن يُعَظَّمه ويُظَهر اعتقاده، تاب الله عليه واتفق أن كان مجيئه إلى عند الأمير إلى البركة وأنا عنده، وكان يأكل، فلما رآني لم يجسر أن يأتي من

(١) في الأصل (وشياطينهم) .

(٢) الأعراف / ٢٠٢ .

(٣) زَلَايِيَّة : « حلواء تُصَنَع من عجین رقيق ، تصبُّ في الزيت ، وتُقَلَّى ثم تعقد بالدُّبُس » .

« المعجم الوسيط » (١ / ٣٩٧) .

(٤) بَطَّتَيْن : البَطَّة إناء على شكل البَطَّة ، يوضع فيه الدهن .

« المعجم الوسيط » (١ / ٦١) .

الجهة التي أناها ، وكانت أقرب إليه ، فدار وراء الخيمة إلى أن أتى من الجانب الآخر ، فاتفق أن كان هناك المشجب ^(١) (بكسر ثم شين معجمة ، ثم جيم) وهو الذي يُسمى الآن السَّيْبَة ^(٢) ، وهي ثلاث خشبات مجموعة في قريب من أعلاها بنحو حلقة تُجمع كخشبة واحدة لتُحمل وتُفَرَّق من أسفلها عند النزول فيمسكها ذلك الجامع من أعلاها ، فيعلق عليها المسافر سلاحه وما أراد من متاعه ، وكانت مُلصقة بدائر الخيمة وبعض أعمدتها ، وظهور الجالسين في السَّيْط ^(٣) ، فلم يمكنه الدخول إلّا من تحت السَّيْبَة ، فدخل منحنيًا أوطأ من هيئة الرَّاعِ ، فدخل على هيئة الخضوع ، ومن تحت السَّيْف ، والله تعالى المسؤول أن يزيده ذلًا وخزيًا آمين .

وخرج الأمير بُرْدُوك في أمرٍ من الجمال والأحمال والماليك والمتاع ، قال الناس : إنهم لم يروا من نحو ثلاثين سنة مثله ، كما تقدمت الإشارة إلى بعضه قريبًا ، وهو عازمٌ على إكثار الصدقات ، وإفاضة الخيرات ، والرَّفَق ولين الجانب ، وحقق ذلك بأن سار في جميع ما حصله من الجمال وغيرها أجل سيرة ، ما اشترى من أحد شيئًا إلّا برضاه ، ولا يدع أحدًا من أتباعه يعترض له ولا لغيره بسوء ، ونصب خيمةً طويلة على هيئة الجَمَلُون ^(٤) تُسمى سحابه ، تسع ناسًا كثيرًا للفقراء ، ورَتَّب لهم ما يكفيهم من الماء والطعام ، فإن كُفِيَ شَرَّ مرافقته لعيسي فقد أفلح .

(١) المشجب : ما تعلّق عليه الثياب ونحوها .

« المعجم الوسيط » (٤٧٣ / ١) .

(٢) السَّيْبَة : جاء في « محيط المحيط » (٤٤٤) ، مرقاة من الخشب على ثلاث قوائم ، يجمعها

قرص من أعلاها ، وهي من اصطلاح العامة .

(٣) السَّيْط : الجانب .

« المصباح المنير » (٣٠٩ / ١) .

(٤) الجَمَلُون : سقف محدّب على هيئة سنام الجمل .

« المعجم الوسيط » (١٣٦) .

وفي ليلة الأربعاء ثالث عشره مَرَّ مِنَ الْقَصَبَةِ شَخْصٌ مِنَ الْجَنْدِ رَاكِبًا، فِي يَدِهِ سَيْفٌ يَضْرِبُ بِهِ يَمِينًا وَشِمَالًا وَهُوَ سَاقِقُ فَرَسِهِ ، بَحِيثٌ لَا يُدْرِكُ ، فَضْرَبَ بَيْنَ الْقَصْرَيْنِ اثْنَيْنِ ، رَمَاهُمَا فَكَانَا فِي عِدَادِ الْأَمْوَاتِ ، وَلَمْ أَدْرِ آخِرَ أَمْرِهِمَا ، هَلْ مَاتَا أَمْ لَا ؟ وَضْرَبَ عِنْدَ الْأَشْرَفِيَةِ اثْنَيْنِ ، جَرَحَ أَحَدَهُمَا جُرْحًا خَفِيفًا ، وَلَمْ يَجْرَحِ الْآخَرَ ، وَجَاوَزَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ نَحْوَ بَابِ زُوَيْلَةَ ، وَهُوَ يَضْرِبُ مِنْ لَقِيهِ ، فَيَقَالُ : أَنَّ جَرْحَهُ زَادَا عَنْ الثَّلَاثِينَ ثُمَّ تَبَسَّطَ الْأَجْلَابُ وَأَتْبَاعُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْجَرْحِ وَالْقَتْلِ حَتَّى أَنَّهُمْ وَسَّطُوا عَبْدًا عِنْدَ الْمِيدَانِ نَهَارًا ، وَهَذَا دَأْبُ جَمِيعِ الْجَنْدِ ، كَمَا اسْتَعْرَضْتُهُ أَنَا غَيْرَ مَرَّةٍ ، يَفْعَلُونَ فِعْلَةً فَاحِشَةً وَلَا يُمْنَعُونَ فِيهَا ، فَإِنْ أَنْكَرْتَ أَخْرَجُوهَا فِي قَالِبٍ غَيْرِ بَعِيدٍ مِنَ الْمُنَاسِبَةِ ، وَإِنْ سَكَتَ عَنْهَا تَوَسَّعُوا فِيهَا وَانْتَقَلُوا إِلَى أَعْظَمِ مَنِهَا كَذَلِكَ ، وَقَدْ اطَّرَدَ لِي هَذَا فِي كَبِيرِهِمْ وَصَغِيرِهِمْ ، وَقَدْ زَادَ اللَّهُ أَهْلَ مِصْرَ ذِلَّةً ، فَإِنَّ الْجَنْدَ كُلَّمَا زَادُوا بَابًا مِنَ الظُّلْمَةِ ، زَادُوا لَهُمُ مِنَ الذِّلِّ مَا يَوْجِبُ مَجَاوَزَتَهُمْ لَهُ إِلَى أَعْظَمِ مِنْهُ ، فَاللَّهُ الْمُسَوِّلُ فِي الْعَاقِبَةِ ، فَإِنَّا لَا نَدْرِي آخِرَ ذَلِكَ مَا يَكُونُ .

مقاتلة العامة
بالسلاح

وفي هذا الشهر وقع من بعض العامة قتالٌ بين القصرين عند الكاملية بالحديد وغيره سكاكين وعُصي من غير نكير ، وهذا أمرٌ خارقٌ للعادة .

وفي يوم الخميس رابع عشري شوال ، كان سلخٌ مسري آخر السنة القبطية .

وفي يوم الأربعاء سلخٌ شوال وصلت كتبُ الحاجِّ من منزلة ^(١) نخل أنهم في خيرٍ كبيرٍ ، من الرِّخَاءِ ، واعتدالِ الهواءِ في هذا الفصلِ الحارِّ ،

(١) منزلة نخل : منزلة تقع قبل أيلة من ناحية مصر ، يصلها الحاج في خمسة مراحل ، بها ماء عذب ، وهي من أشهر منازل طريق الحاج . =

والترفق من أميرهم ، وأنه يمكث على المنهل^(١) بنفسه ، حتى يترؤى جميع الناس في رفيق ، وأنهم جلبت إليهم إلى نخل الأعناب والفواكه ، والجمال وغيرها ، والكل رخيص .

وفي هذا اليوم كان سلخ أيام النسي القبطي ، وكان أول توت أول السنة القبطية يوم الخميس أول ذي القعدة الحرام ، سنة ثلاث وستين وثمانمائة .

ثم أتت كتب الحجاج أيضاً [٢٢١] كتبهم من العقبة بمثل ذلك يوم الأربعاء سابع ذي القعدة ، وأخبرت أن الآتين بالكتب قالوا : إنا كنا في الذهاب مع الحجاج في ما ذكر من الرطوبة ، وفي الإياب كدنا نموت من الحر .

وفي يوم الأربعاء سابع ذي القعدة ، وهو سابع توت ، نودي أن البحر زاد إصبعين فأوفى تسع عشرة ذراعاً وإصبعاً من عشرين ، ثم نقص بعد ذلك نقصاً فاحشاً فقيل : إنه من عدم إصلاح الجسور ، فلما فُتح سدُّ قناطر منجا لم يلق الماء أمامه منها ما يرده ، فذهب إلى السباخ والبحر الملح .

وفي يوم الخميس ثامن ذي القعدة وُلِّي النجم^(٢) القرمي الحنفي

= « صبح الأعشى » (٣٨٦/١٤) ، و « درر الفوائد المنظمة » (٤٤٩) ، و « كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة » (٦٤٩) .

(١) المنهل : جاء في « لسان العرب » (٢٠٥/١٤) « والمنهل ، المشرب ، ثم كثر ذلك حتى سُميت منازل الشُّقَّار على المياه مناهل » .

(٢) هو : اسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن شعيب بن إدريس ، وقيل في أبيه سعد بن إبراهيم ، النجم الأمامي ، القرمي أو القرمي ثم القاهري الحنفي ، قاضي العسكر ، كان بيده مع قضاء العسكر مشيخة مدرسة قايتباي ، مات في ثالث صفر سنة ٨٨٠ هـ ، وقيل : في صفر سنة ٨٨٨ هـ .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (٢٧٦/٢ رقم ٨٧١) ، و « نظم العقيان » (٩٢ رقم ٤٧) .

قضاء العسكر ، عن الشمس^(١) بن الرازي الحنفي أحد المتساهلين من نواب الحنفية ، ولبس النجم الخُلعة بذلك طرحة^(٢) على هيئة قضاة القضاة ، وذلك بواسطة الدُّوِدار الكبير يونس .

واتفق في هذه الأيام من الغرائب ، أن المقام الشهابي أحمد بن السلطان ، استأجر من وقف الشيخونية بلدًا بواسطة شيخها ، الشيخ محيي الدين الكافيجي الرومي ، وله مشاركة في النظر ، فأرسل إليه خياطٌ يقيس ثيابه ؛ ليفصل له خُلعة للمساحة في ذلك وكان قاضي الحنفية ، وعالم الدنيا السعد الدَّيري مريضًا من مدَّة تزيد على شهر ، وسنُّه إذ ذاك نحو سبع وتسعين سنة قد ناهز المائة ، وقد شاع فيمن ليس بأهل لعيادته أنه هالك لا محالة ؛ لسنُّه وطول مرضه ، وكان قد سعى عليه سباعون في القضاء ، فلما جاء الخياط إلى الكافيجي لذلك ، ظنَّ أنه لأجل القضاء ، فشاع ذلك بين بعض الناس ، ثم تحرَّر أنه لما ذُكر لا للقضاء . ونقل عن كاتب السرِّ أن الذي ذهب إلى الكافيجي للتفصيل ، ما كان أرسل إلَّا إلى النجم القرمي ، فغلط ، وأظنَّ أنه لما تحرَّر للكافيجي ذلك تلافى الأمر بأن سأل ابن السلطان في تفصيل شيء يكون أستر والله أعلم .

(١) هو : محمد بن يوسف بن محمود بن محمد بن داود ، الشمس بن العزَّابي المحاسن بن الجمال الطهراني ، الرازي الأصل القاهري الحنفي ، المعروف بالرازي ، وُلد في وقت الزوال من يوم السبت ١٢ ربيع الأول سنة ٧٧٤ هـ بالقاهرة ، ونشأ بها ، وتصدر بالزَّمامية ، وناب في القضاء ، وكان ينسب إلى التساهل ، مات في أحد الربيعين سنة ٨٧٠ هـ .

له ترجمة في « الضوء اللامع » (٩٩ / ١٠) رقم (٣١٨) .

(٢) طَرَحَة : الطرحة ، وشاخَّ يلبس فوق العمامة ويلتف حول الرقبة ، ويسترسل على الكتفين ، وكانت الطرحة امتيازًا يُمنح لقاضي قضاة الشافعية ، حتى سنة ٧٧٣ هـ ، حيث شُمع لبقية القضاة ؛ الحنفي والمالكي والحنبلي بلبسها ، وتلبس في المناسبات الخاصة ، أو في أثناء العمل اليومي .

« الملابس المملوكية » (٩٣) .

وعاده الدَّوَيْدَار الكبير ، قاضي القضاة ، فوجده طيباً إلا أن طول المرض نَهَكه ^(١) مع السن ، ومع أنه كان في تربة أصهاره أول ما مرض ، وهي تربة أَصْلَم ^(٢) فلما طال الأمرُ أنزل إلى بيته في المدرسة المؤيدية راكباً ، فأزعجته الحركة مع المرض فحصل له ورمٌ ثم تحلَّل ، شفاه الله وعافاه ، فإنه بركة الدنيا ، سنّا وعلمنا وعملاً .

وكان في شوال ^(٣) قد جاء من جزيرة قُبرس شابٌ كما يقل وجهه أول أمرجأكُمو اسمه جاكُمو ^(٤) (بجيم وكافٍ مضمومة) ادَّعى أنه ابنُ ملك قُبرس ، وأنَّ أهل الجزيرة ظلموه في حقِّه في الملك ، وكانوا قد أرسلوا أخبروا أنَّ ملكهم مات ، ولم يُخْلَف ولداً غير بنت تُسمى سارة ، وسألوا تملكها عليهم ، فأجابهم السلطانُ إلى ذلك فملكوها فاستمرت مدةً ، ثم تزوجت بشخص من الكيَّتلان بينهما قرابةٌ من النساء ، فلما جاء هذا ساعده ، الدَّوَيْدَار الكبير يونس ، ولم يكن هذا رأي الدَّوَيْدَار الثاني بُرْذَبَك ، بل كان رأيه أن يَتَّقَى في مِصر ، وتُجرى عليه نَفَقَةٌ إلى أن يحصل من أهل الجزيرة ذَنْبٌ يُعْتَلَّ به في توليته ^(٥) ، ثم أرسلت ملكة قُبرس

(١) نَهَكه : جَهَّده وغَلَبه .

المعجم الوسيط « ٩٥٩ / ٢ » .

(٢) هو : أَصْلَم بن عبد الله الناصري ، الأمير بهاء الدين السَّلاح دار ، أحد المقدمين بالديار المصرية ، وكان أميراً شجاعاً ، عمَّرَ بباب المحروق بالقاهرة مدرسة تقام فيها الجمعة ، وتربة وحوضاً وسبيلاً ، مات يوم السبت ١٠ شعبان سنة ٧٤٧هـ ، وقيل سنة ٧٤٦هـ .

له ترجمة في : « الوافي بالوفيات » (٢٨٥ / ٩ رقم ٤٢١١) ، و « خطط المقرئ » (٣٠٩ / ٢) ، و « المنهل الصافي » (٤٥٥ / ٢ رقم ٤٧٣) ، « الدليل الشافي » (١٣٤ / ١ رقم ٤٧٢) ، و « النجوم الزاهرة » (١٧٤ / ١٠) .

(٣) في « النجوم الزاهرة » (١٣٢ / ١٦) أن وصوله في يوم الأحد ٢٨ رمضان ، راجع أيضاً « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر (٦٥) .

(٤) في « النجوم الزاهرة » (١٦ / ١٣٢) جاكُم الفرنجي ابن جَوَّان ، صاحب جزيرة قبرص .

(٥) هذا الرأي للبرْذَبَك ، أثبتته (ابن تغري بردي) في « حوادث الدهور » (٣٣٠) ، وأضاف « لمعرفته بأحوال قُبرس ، لكون أصله منها ، وأقاربه إلى الآن بها » .

هَذَا يَا ، وَسَأَلْتُ أَنْ لَا يُقْبَلَ لَهُ كَلَامٌ ، وَأَخْبَرُوا أَنَّ هَذَا لَاحِقٌ لَهُ فِي الْمَلِكِ ؛
 بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ وَلَدَ زَيْنًا ، لِأَنَّ أُمَّهُ لَمْ تَكُنْ زَوْجَةَ الْمَلِكِ وَإِنَّمَا كَانَ هَوِيَّهَا ^(١) ،
 فَاسْتَفْعَدَهَا فِي بَيْتِهِ وَكَانَ يَأْتِيهَا بِغَيْرِ كِتَابٍ ، وَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى الْمَوْتِ أَوْصَى
 لِهَذَا بِجَهَةِ تَغْلٍ كُلِّ سَنَةٍ خَمْسَةَ آلَافٍ دِينَارٍ ، وَيُقَالُ : أَنَّهُمْ قَطَعُوا أَنْفَ
 تِلْكَ الزَّانِيَةِ عُقُوبَةً لَهَا ، فَلَمْ يَقْبَلِ السُّلْطَانُ رِسَالَةَ مَلِكَةِ قُبْرُسَ ، وَوَلَّى
 هَذَا ، بِوَاسِطَةِ الدَّوَيْدَارِ الْكَبِيرِ بَعْدَ سَفَرَةِ الدَّوَيْدَارِ الثَّانِي ، وَشَرَعَ فِي
 تَجْهِيزِهِ مَرَاكِبَ ، لِيُجَهِّزَ مَعَهُ جُنْدًا يَسْلُمُونَهُ الْبِلَادَ ، إِنْ رَجَعَ الْخَبَرُ أَنَّ
 أُخْتَهُ أَبَتْ أَنْ تُدْعَى لِنَسْلِئِمِهِ ، وَأُرْسِلَ إِلَى الْجَوْنِ مَرَاكِبَ نَحْوِ الْخَمْسَةِ
 عَشَرَ ، مَشْحُونَةً بِالْجُنْدِ لِاحْتِضَارِ خَشَبٍ تُصْنَعُ مِنْهُ مَرَاكِبُ لَذَلِكَ .
 وَأَجَابَ ^(٢) أُخْتَهُ بِأَنَّ وَلَايَةَ الْمَرْأَةِ فِي الْإِسْلَامِ لَا تَحِلُّ فِي شَرِّعِنَا ، فَإِنْ أَحَبَّتْ
 الْإِقَامَةَ فِي الْجَزِيرَةِ أَقَامَتْ مَعَزَةً مَكْرَمَةً فَقَدْ أَمَرَ بِهَذَا ، وَإِنْ أَحَبَّتْ سَافَرَتْ
 مَعَ زَوْجِهَا إِلَى أَيِّ الْبِلَادِ شَاءَتْ ، لَا اعْتِرَاضَ عَلَيْهَا .

ثُمَّ إِنَّهُ أَجْرَى عَلَى هَذَا الشَّابَّ مَا يَكْفِيهِ ، وَكَانَ يَرْكَبُ بَزِيَّ جُنْدٍ مُضَرٍّ
 إِلَّا مَا عَلَى رَأْسِهِ ، فَعَلَى زِيَّ الْفَرَنْجِ ، وَيَدُورُ فِي الْمَفْتَرَجَاتِ ، وَيَعَاشِرُهُ مِنْ
 أَرَادَ مِنَ الْأَجْلَابِ وَغَيْرِهِمْ ، وَيَرْكَبُونَ فِي خِدْمَتِهِ ، لَا اعْتِرَاضَ عَلَيْهِ فِي
 شَيْءٍ ، وَبَلَغَنِي أَنَّهُمْ كَانُوا يُحْضِرُونَ إِلَيْهِ نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ الْخَوَاطِيءَ ، وَأَوْلَادَ
 الْمُسْلِمِينَ الْخَاطِئِينَ لِلْفِسْقِ ، وَأَنَّهُ يَوْمَ فَتَحَ سِدَّ بَنِي مَنُجَا كَانَ فِي الْمِقْيَاسِ
 عَلَى مَا ذُكِرَ مِنَ الْهَيْئَاتِ الْقَبِيحَةِ ، وَيُحَدِّثُ النَّاسَ بِأَنَّ ذَلِكَ كَانَ سَبَبَ
 النَّقْصِ الَّذِي لَمْ يُعْهَدْ مِثْلَهُ كَمَا يَأْتِي ، وَكَانَ مِنَ الشَّائِعِ بَيْنَ النَّاسِ أَنَّ

(١) هَوِيَّهَا : حَبِيبُهَا وَعَشِيقُهَا .

« المعجم الوسيط » (٢ / ١٠٠١) .

(٢) أَيِ السُّلْطَانِ .

الدُّوَيْدَار الكبير يجتمع معه للفساد ، وأن السلطان أيضاً كذلك ، بحيث أنه كان إذا ركب في القَصْبَةِ يقول النَّاسُ : طاطي يكرّونها ، فسأل عن ذلك ، فقيل إنهم يقولون : إن السلطان يفعل بك كذا وأنت على هيئة الراكع ، كما يُقال أنها عادته في إتيان الذكور ثم يأمر بك بأن تنخفض له حتى في تلك الحالة .

[٢٢٢] وكان لما جاء ركبُ الحاجِّ المغربي ، قَدِمَ معهم ثلاثُ نِسْوَةٍ مِنْ زَوَجات أبي فارس ^(١) ، وأتوا بهديّةٍ مِنْ عند السلطان عثمان ^(٢) ، سلطان تونس ، تكون بأربعة آلاف دينار ، ومعها متسفرةٌ ، فأخذت الهدية ، ولم يُنزلوا في بيت ولا أُجْرِيَ عليهم نفقة ، ولا أُرسل لهم شيءٌ ، وَهَبَ الأَجْلَابُ مِنْ رَكْبِهِمْ على الهيئة التي يعملونها مع عَوَامِ مصر ، فشكوا إلى السُّلطان ، فلم يأخذ لهم بيد ، وكان الأَجْلَابُ يدخلون رَكْبَهُمْ بالخيول ، فحاول بعضهم خادماً مِنْ نِسائِهِم المذكورات ، فلاذَّ بالخِيمة ، وحاولوه فَقَطَعَت الخيلُ أَطْنابَ الخِيمة ، ووقعت على المرأة فكان خدامها يُقِيمُونَهَا ، وتُعاد تلك الفِعلَةُ حَتَّى وَقَعَت مِراراً فلا قُوَّةَ إِلَّا بالله ، اللهم أَجِرْنَا في مُصِيبَتِنَا وَاغْضَبْنَا مِنْهَا عَقْبِي حسنة آمين .

(١) راجع : « هامش ٣ » من « ص ٢٤٩ » من القسم الثاني .

(٢) هو : عثمان بن محمد بن عبد العزيز بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص عمر المتوكل على الله أبو عمر ، وقيل : أبو سعيد بن أبي عبد الله بن أبي فارس بن أبي العباس الهنتاتي - قبيلة من البربر - الحفصي ، ولد بعد ٨٢٠ هـ تقريباً بتونس ، ونشأ بها في كنف أبيه وجده ، تولى ملك تونس في سنة ٨٣٩ هـ ، وهو ابن ثمانية عشر سنة ، ودانت له البلاد والرعية ، وضخم ملكه جداً ، وخطب له بالجزائر وتلمسان ، مات ليلة عيد الفطر ، وقيل : ليلة ٢٧ من رمضان سنة ٨٩٣ هـ بعد أن حكم أربعاً وخمسين سنة تقريباً .

له ترجمة في « الضوء اللامع » (١٣٨ / ٥) رقم ٤٧٩ ، و« بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (٢ / ٢٥٣ - ٢٥٤) ، و« شذرات الذهب » (٣٥٤ / ٧) .

وكان شرُّ الأجلاب قد زاد في هذه السَّنة كما مضى ، حتَّى وَصَلُوا في الإغارة إلى قرب بلبّيس بعلّة التَّبنِ ^(١) والدَّريس ^(٢) ، ومن استضعفوه في غير ذلك أخذوه ، فنُقِلَ أَنَّهُ أَصْبَحَ في هذا الشهر منهم خمسة أنفس مقتولين عند حَوْضِ قَرَاجا بين الخائكة ولبّيس ، منهم اثنان بالسَّلاح وثلاثة لَيْسَ فيهم أثرُ سِلاح ، ولكنهم مُعَلَّقُونَ شَنْقاً يُلْجَمُ خَيْلُهُمْ ، وخيلُهُمْ مربوطة فيهم ، وفي أفواههم تَبَنٌ وفي أخفافِهِمْ ^(٣) دَرِيس ، وشاع الخبرُ بذلك حتَّى استفاض ، ونُقِلَ مِنْ وَجْهِ مُتَّصِلٍ مِنْ وَجْهَيْنِ ، ثم سألتُ بَعْضَ أَهْلِ الخائكة ، فانكر ذلك ، والله أعلم . ثم غَرِقَ شَخْصٌ منهم في خليج قناطر ^(٤) الوز ، ثم آخر في بركة بناحية باب الحرق ، فتَحَ اللهُ هلاكَهُمْ وإِذْلالَهُمْ حَرْقاً لا يَقْدِرُونَ على سُدِّهِ آمين .

وكان السلطان قد قبض على شيخ عَرَبٍ هَوَّارة ^(٥) علي بن غريب ^(٦)

(١) التَّبن : « ما تَهَشَّم من سيقان القمح والشعير بعد دَرْسِهِ ، تعلفه الماشية » .

« المعجم الوسيط » (١ / ٨٢) .

(٢) الدَّريس : « الخَلَقُ البالي من الثياب وغيرها » « المعجم الوسيط » (١ / ٢٨٠) .

(٣) الخَفْ : حذاء برقة طويلة ، يصنع في الشتاء من جلد أصفر اللون ، من الأديم الطائفي ، وربما صُنعت من جلد بلغاري أسود ، وربما كانت للخَفْ أربطة متككة ، وغالباً ما تشد المهاميز المسقطة بالفضة في القدم على الخف .

« مسالك الأبصار - دولة المماليك الأولى » (٩٩) ، و« خطط المقرئ » (٩٨ / ٢) ، و« صبح

الأعشى » (٤١ / ٤) ، و« الملابس المملوكية » (٦٣ - ٦٤) .

(٤) قناطر الوز : تقع على الخليج الكبير ، يَتَوَصَّلُ إليها من الحسينية ، ويُشَلَكُ من فوقها إلى أراضي البعل وغيرها ، أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٢٥ هـ وهي من أحسن متنزهات أهل القاهرة . « خطط المقرئ » (١٤٨ / ٢) .

(٥) هَوَّارة : بطن من اوزيغ (أوزيفة) من البرنس من البربر ، منازلهم بالبحيرة ، ومن الاسكندرية غرباً إلى العقبة الكبيرة من برقة ، وفي آخر المائة الثامنة غلبت زنارة على عرب البحيرة ، فخرجوا إلى صعيد مصر ونزلوا بالأعمال الإخيمية ، ثم قوى أمرهم وانتشروا في معظم الوجه القبلي ، فيما بين قوس إلى الأعمال البهنساوية . « مسالك الأبصار - قبائل العرب » (١٨٠) ، و« نهاية الأرب » (٣٩٠-٣٩١) .

(٦) ذكره السخاوي في « الضوء اللامع » (٥ / ٢٧٤ و ١٠ / ٣٢٩) دون أن يترجم له .

فقتله وسلخه وحشاه تَبْنًا ، ثم أرسل ابن عمه مع الزين الإستدَار ليوليّه ،
فلَمَّا صار في بلادِهِم تهذّه العربُ إنّ لم تقتل ابن عمه الذي معه ،
وصدقوه في القول ، ثم حملوا عليه ، فهرب مَنْ معه مِنَ التُّرك حتّى تمكّن
العربُ مِنْ مَطْبَخِهِ فأخذوه فقتل هو ذلك الرَّجل .

ولما فُتِح سُدُّ بني مَنجَا نَقَصَ الْبَحْرُ نَقْصًا فَاحِشًا فانكشفت بعضُ
الأراضي ، وكان النَّاسُ قريبي عَهْدٍ بِالْغَلَاءِ ، فازدحموا على الْخُبْزِ ، وشراءِ
الْقَمْحِ ، وكانوا يأخذون أكثر من كفاياتهم فعزَّ الْقَمْحُ وَالْخُبْزُ فِي نِصْفِ
ذِي الْقَعْدَةِ ، وَخَطَفَ بَعْضُ النَّاسِ مِنَ الْأَفْرَانِ ، ووصل الحالُ ، أَنَّ
أخبرني مَنْ مَرَّ مِنْ مِصرِ الْقَدِيمَةِ إِلَى قُرْبِ بَابِ النَّصْرِ مِنَ الْقَاهِرَةِ ، فلم
يجد رَغِيْفًا وَاحِدًا ، واستمرَّ يتردّدُ إِلَى مِصرَ أَيْامًا فلم يقدر على شراءِ شَيْءٍ
مِنَ الْقَمْحِ ، وكان أكثرُ النَّاسِ يقولون : إنّ الْبَلَاءَ مِنَ الْمُحْتَسِبِ ، فكانوا
يذعون أَن يَلي الْحِسْبَةُ الْأَمِيرُ حَاجِبِ الْحِجَابِ بَرَسْبَايَ الْبَجَاسِي ، أو
يكون ناظرًا على الْمُحْتَسِبِ ، كما كان لَمَّا وُلِّي الْحِسْبَةُ الصَّلَاحُ بْنُ بَرَكُوتَ
رَيْبِ الْقَاضِي الشَّافِعِي صَالِحٍ ، فَأَمَرَهُ السُّلْطَانُ بِذَلِكَ ، فدار فِي الْأَسْوَاقِ
يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ الْعَشْرِينَ مِنَ الشَّهْرِ ، فتابَسَّرَ النَّاسُ بِهِ ، وَضَرَبَ بَعْضُ مَنْ
يَتَوَسَّمُ فِيهِ قَصْدَ الْغَلَاءِ مِنَ الطَّحَّانِينَ وَمَنْ شَاكَلَهُمْ ، وكان مَيْمُونُ
الطَّلَعَةِ ، مُبَارَكُ الْأَمْرِ ، فانصَلَحَ حَالُ الْبَلَدِ ، وكثر الْخُبْزُ ، حتّى بات كثيرٌ
مِنْهُ ، وَأَصْبَحُوا ينادُونَ عَلَيْهِ فلا يجدون له مَنَفَقًا وسعرَ الْأُرْدَبِّ مِنَ الْقَمْحِ
بِثَلَاثَةِ دَرَاهِمٍ ، عنها دِينَارٌ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَزِيدُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَيُجِيرِي الْخَيْرَاتِ
عَلَى يَدَيْهِ ، وَيَجْعَلُ التَّامَّ إِلَى خَيْرٍ .

واستمرَّ الْحَالُ صَالِحًا إِلَى يَوْمِ الْأَحَدِ خَامِسِ عَشْرِي الشَّهْرِ ، فعادوا إِلَى
قَرِيبٍ مِنْ ذَاكَ الْحَالِ فِي مَنَعِ الْخُبْزِ ، فدار عليهم الْحَاجِبُ ، وَضَرَبَ
بَعْضَهُمْ ضَرْبًا شَدِيدًا ، فلم تَنْزَعِجِ الْقُلُوبُ لِقِيَامِهِ فِي ذَلِكَ كَمَا انزَعَجَتْ
أَوَّلًا .

وكان سببُ غالبِ الفسادِ قُوَّةُ أضعفِ النَّاسِ بالأجْلابِ على ما يُريد
من العباد ، ومن العجائب ما حدَّثني قاضي القضاة [٢٢٣] ، بركة
المسلمين سعد الدين ابن الدَّيرِي الحنفي ، وهو يومئذ منقطعٌ في رواقه في
المدرسة المؤيَّديَّة من مرضٍ كان عَرَضَ له ، وكان سنَّةٌ إذ ذاك زيادةً على
خمس وتسعين سنة ، مائة إلا شيئاً ، أنه كان نائماً في قاعته بالمؤيَّديَّة في
آخر دَوْلَةِ الأشرف برَّسبائي ، كأنَّه في سنة إحدى وأربعين ^(١) ، فاستيقظ
من منامه ، واستمر مضطجعاً ، فسمع قبل أن يفتح عَيْنَيْهِ هاتفاً يقول :
النَّاس في سترٍ رفيع يوشك أن ينكشف . قال : ففتحت عيني فلم أر
شيئاً ، فأشفقت من ذلك ، فلم تمض سنَّةٌ أو نحوها حتى قبضَ الظاهر
جَقْمَقَ على التاج بن الجلال بن السَّراج البُلْقِينِي ونسبه إلى الخيانة فيما
تحت نظرهِ من الأوقاف ، فشفع فيه قضاةُ القضاة ، فأطلقه وقبض على
البهاء بن عز الدين البُلْقِينِي ونسبه إلى عَدَمِ الدِّين ، وتعاطي فضائح
الأمور التي لا يرتكها دِينٌ وشرع يتتبع الفقهاء بل أكابِرُهُم ويبيدي
فضائحهم ، ويكشف عن عوراتهم إلى أن صرنا إلى ما ترون من انتهاك
السُّرَّةِ وانخراق السَّياج ، وعدم الهيبة والحياء من ذوي الهيئات ، وترك
الخوف من أهل الدِّين ، وحكَّام الشرع وكنت أنا في هذه الأيام قد أتاني
فَلَّاحٌ كان يزرع بعض ما تحت نظري وهي رزقة جامع الفكاكين ^(٢) في

(١) وثمانائة .

(٢) جامع الفكاكين : لعله جامع الفاكهاني ، أو الفاكهيين ، وهو المعروف قديماً بجامع الظافر
بالقاهرة وسط السوق الذي كان يُعرف قديماً بسوق السراجين ، ثم عُرف بسوق الشوَّابين ، وهو من
المساجد الفاطمية ، عمره الظافر بنصر الله سنة ٥٤٣ هـ .

« خطط المقرئ » (٢ / ٢٩٣) ، و« الخطط التوفيقية » (٢ / ٣٠ و ٦٧) .

صندلا^(١) ، وكان شَيْطَانًا ، فَأَخْضَرَ إِلَى أَرْبَعَةِ دنانير فيها واحدٌ نَحَاس ظاهر الأمر ، زِنْتُهُ ثَلَاثَةُ أَرْبَاعِ دِرْهَم ، فَادَّعَى أَنَّهُ لَمْ يَكُن يَعْلَمُ أَنَّهُ مَغْشُوشٌ وَسَأَلَنِي الْمُسَاخَعةَ فِي بَعْضِ مَا عَلَيْهِ ، فَسَأَحْتَهُ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنْ خَمْسَةِ ، وَتَأَخَّرَ عِنْدَهُ أَلْفٌ ، فَطَلَبَ الدِّينَارَ ، فَلَمْ أُعْطِهِ إِيَّاهُ ، فَأَتَانِي بِمَمْلُوكَيْنِ يَسْأَلَانِي فِي دَفْعِهِ لَهُ ، فَحَاوَلْتُهُمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ ، وَاجْتَهَدْتُ فِي الْإِلَآةِ الْقَوْلِ ، فَلَمْ يُفِدْ ، فَأُظْهِرْتُ التَّصْمِيمَ عَلَى الْامْتِنَاعِ ، فَكَفَّهَا اللَّهُ عَنِّي ، غَيْرَ أَنَّهُمَا ذَهَبَا وَهَمَا يَتَهَدَّدَانِ ، وَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ يَوْمِ الْخَمِيسِ خَامِسَ عَشَرَ ذِي الْقَعْدَةِ ، وَكَانَ مِيعَادِي يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمْتُمْ مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾^(٢) إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾^(٣) وَاسْتَمَرَّا هُمَا وَغَيْرُهُمَا مِنْ أَتْبَاعِهِمَا فِي كُلِّ يَوْمٍ يَجُورُونَ عَلَيَّ ، فَإِنْ رَأَوْنِي جَالِسًا تَهْدِدُونِي وَإِلَّا سَأَلُوا عَنِّي مِنْ بَعْضِ الْحِيزَانِ وَأُظْهِرُوا التَّحَرُّقَ لَهُ ، فَظَفِرْتُ بِالْفَلَاحِ يَوْمَ الْأَحَدِ ثَامِنَ عَشْرِهِ ، عِنْدَ بَيْتِ حَاجِبِ الْحِجَابِ ، وَكَنتُ قَدْ دَفَعْتُ الدِّينَارَ إِلَيْهِ وَأَعْلَمْتُهُ الْقِصَّةَ فَأَدْخَلْتُهُ إِلَيْهِ ، فَضَرَبَهُ ؛ فَازْدَادُوا حَقْقًا ، وَزَادَ التَّهْدِيدُ وَالْمُرُورُ عَلَى بَابِ مَسْجِدِي لِلْكَلامِ الْغَضِ ، وَأَنَا لَا أَزِيدُهُمْ عَلَى قَوْلِي : يَكْفِينَا اللَّهُ . ثُمَّ عَمِلْتُ الْمِيعَادَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ثَالِثِ عَشْرِي الشَّهْرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾^(٤) إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾^(٥) فَحَرَّكَ اللَّهُ

(١) صندلاً : بلد من أعمال الغربية بمصر ، يقول (ابن الجيعان) في « التحفة السنية » (٨٥) : « مساحتها ٢٦٢٥ فدان ، بها رزق ٩٦ فدان ، عبرتها ٤٢٠٠ دينار ، كانت للمقطعين ، والآن لهم وأملاك وأوقاف » . راجع أيضاً « الانتصار » (٩٤ / ٢) .

(٢) الأنفال / ٢٥ .

(٣) الأنفال / ٢٩ .

(٤) الأنفال / ٣٠ .

(٥) الأنفال / ٣٥ .

شخصاً من ممالكك طتنتا يُقال له : جَانَم الأشرفي ، فذهب إليهم وكَلَّمهم فكفَّهم الله به ، وأرسلوا يسألون المصالحة على وَجْهِ فيه مُحَادَّة ، فسلكت ، أَمْرًا وَسَطًا مُدَبَّجًا عليهم إلى أن رضوا به وَسَلِمْتُ من خِدَاعِهِمْ ، فله الحمد سبحانه ، لا يَذَلُّ مَنْ والى ، ولا يَعْزُّ مَنْ عادى .

ابن الشعاع

وفي هذا الحد ، وهو أواخر العشر الثاني من ذي القعدة مات الإمام العلامة المعتقد شمس الدين [محمد بن محمد بن علي بن أحمد] ^(١) ابن الشعاع الحلبي الشافعي الصوفي في طريق الحج الشامي قرب المدينة الشريفة فَحُمِلَ إليها وَدُفِنَ بها على ما بَلَّغْنَا ، وكان قد مات جميع من في بيته في الطَّاعُونَ الذي كان بِحَلَبَ ، وكانوا فوق عشرين نَفْسًا ، فعزفت نَفْسُهُ عن الدُّنْيَا ، وعزم على المجاورة بالأماكن المشرفة على سبيل التَّجْرِيد ^(٢) إلى أن يموت ، فاختر الله تعالى له مجاورة بيته عليه الصلاة والسلام ، وأظنه كان يزاحم السَّبْعِينَ ، وكان مُعْظَمًا بِحَلَبَ مُعْتَقِدًا ، وكانت له .. ^(٣) في الدنيا ومكارم وفضائل من نَظُمَ وَثَرُ ، وأظنه صَنَّفَ في التصوف ، ولكنه كان يُتَّهَمُ بطريق ابن العربي والعلم لله .

وفي يوم الجمعة مستهل ذي الحجة الحرام من السنة ، الموافق لسلخ توت ، نوّدي بوداع المناداة بزيادة البَحْر ، وأخبرني المنادي أَنَّ البَحْرَ الآن على ست عشرة ذِرَاعًا وأربع أصابع من الذراع السَّابِعِ عشر .

(١) ما بين الحاصرتين بياض في الأصل ، والتصحيح من مصادر الهامش التالي .

(٢) راجع « هامش ٢ » من « ص ٢٥٦ » من القسم الثاني .

(٣) التَّجْرِيد : جاء في « المعجم الوسيط » (١ / ١١٥) ، عزل صفة أو علاقة عزلاً ذهنياً ، وقصر الاعتبار عليها ، أو ما يترتب على ذلك .

(٤) كلمة غير واضحة الرسم في الأصل ، لم نجزم بتصحيحها .

وكان ميعاد هذا اليوم في ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ [الله] ﴾ ^(١) إلى ﴿ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ ^(٢) ، وكان شخصٌ من أولاد الناس مَسْخَرَةً يُسَمِّيهِ الذين يَسْخَرُونَ به ملك الأمراء ، ممن كان باسمه جزء في أوقاف خان الفندق ، وكان في كل قليل يريد السَّعْيَ في اقتلاعه مِنِّي ، فجاءني آخر يوم السَّبْتِ ثاني الشهر شخصٌ من أكابر شرار الأَجْلَابِ ، يُقال له : قنبردي الحسني ، من طبقة الزَّمَامِيَّةِ ^(٣) ، يخبر أنَّ ملك الأمراء نَزَلَ له عن حِصَّتِهِ ، فكلَّمْتُهُ بما رَدَّه الله به في مجلس طويل ، فإن كان ملك الأمراء أعطاه شيئاً وهو الذي يَغْلِبُ على الظَّنِّ ، فقد ضاع عليه ودخل في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾ ^(٤) إن شاء الله وذلك بمن هو مَوْلَانَا نعم المولى ، ونعم النصير ، وهو المرجو في الفَتْحِ بالغنائم التي تلي هذا [٢٢٤] .

وفي يوم الجمعة خامس عشري ذي الحِجَّةِ هذا ، كان ميعادي من قوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا ﴾ ^(٥) إلى قوله : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ ﴾ ^(٦) إلى آخرها ، وهو قوله : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ ^(٧) .

(١) الأنفال / ٣٦ .

(٢) الأنفال / ٤٠ .

(٣) الزَّمَامِيَّةُ : يفهم مما جاء في « صبح الأعشى » (٣ / ٤٨١ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦) أنهم طبقة الخدم والخصيان ، فيقال : زمام القصر ، وزمام بيت المال ، وزمام الدور السلطانية .

(٤) الأنفال / ٣٦ .

(٥) الأنفال / ٤٥ .

(٦) الأنفال / ٥٠ .

(٧) الأنفال / ٥١ .

وفي يوم العيد من الشهر ، مات الشهاب أحمد الطوباشي الدمشقي الحنبلي الوكيل في مدرسة الولي ابن تقي الدين البلقيني ، وكان قدّم معه من دمشق على عزم أنه يفتح على الشاميين أبواباً من الأذي ، منها أنه يضمن للسلطان في الاوقاف أموالاً عظيمة ، كما كان فعل محمد بن الأسود على أيام الظاهر فانطفأ في هذا اليوم شهابه ، وانمّزق إهابه ، وانخرم حسابه ، ولقد كان معروفاً بالشرّ مُبرّزاً فيه ، في الذرّة . من اللدد ، له فيه وقائع لاتكاد تُحصى ، يسافر في السرّ من بلد إلى بلد ، ويُناطح الأكابر ، وكان سنة نحو الخمسين ، والله المسؤول أن يلحقه بإخوانه ممن كان شأنه مثل شأنه .

وفي هذا الشهر قديم الخبر ، أنّه لقي المراكب التي تقدّم^(١) أنها ذهبت إلى الجون لإحضار خشب قرقورة كبيرة جداً من جهة الفرنج ، تسمّى عفرّيت البحر ؛ تريد أخذ ما تيسر لها من مراكب المسلمين ، وقيل إنّه بلغ من عظمها أنّه كان في مراكب المسلمين قرقورة كان صنعها ناظرُ الخاص الجمال يوسف بن كاتب حكّم دخل في قلعتها^(٢) ستة آلاف ذراع ، فكانت بالنسبة إلى قرقورة الفرنج كالعصفور عند النسر فأسعد الله أهل الإسلام ، فدارت حولها مراكبهم واقتتلوا ، فقتل من المسلمين نحو خمسة من الجند ، وناس من النواتية^(٣) ، وقتل من الفرنج نحو ثلاثين نفساً ، وأخذت قرقورثهم ، وأسر من بقي بها ، فكان فتحاً عظيماً والله الحمد والمِنَّة .

(١) قرقورة : سفينة طويلة عظيمة .

« محيط المحيط » (٧٣٠) ، و« المعجم الوسيط » (٢ / ٧٢٩) .

(٢) قلعتها : شراعها . « محيط المحيط » (٧٥٣) ، و« المعجم الوسيط » (٢ / ٧٥٥) .

(٣) النواتية : النوّي ، الملاح الذي يدير السفينة في البحر ، يوناني معرّب « محيط المحيط »

(٩٢٢) ، و« المعجم الوسيط » (٢ / ٩٦١) .

وكان الجند كما تقدّم قد زادوا في الفساد ، فكان من جملة أذاهم أنّ
 نهّبوا شؤنه شرباش كُرد ، أحد الأمراء الكبار ، وهو الذي كان أمير آخور
 وغيرها من شئون الأمراء ، وأخذوا كثيراً من طينهم ، وأتوا ليلاً مثقالاً
 الحزنّدار لالا المقام الناصري محمد بن السلطان إلى بيته في بركة الرّطلى ،
 فطلبوا منه شيئاً فأبى ، وأغلظ لهم ، فلم يزلوا به حتّى أعطاهم ، ثم لم
 يزلوا به حتّى ركب معهم في مركب هم به ، فضربوه وأخذوا جميع ما
 عليه من الثياب ، وقيل إنهم فعلوا به ما يُستهجن ذكره وطّرحوه قرب
 الكيمان التي عند الفواخير ، لا يعي فعثر عليه بعض جماعة الوزير
 فحملوه إلى بيته ، فتراجعت إليه نفسه ، فغضب له ناس من الأجلاب ،
 منهم يونس كفل ؛ لأنه أنه (١) هو من طبقته ، فحقّد عليه ذلك الذين
 ضربوه ، فلم يزلوا يتتبعون يونس حتّى ظفروا به ، فضربوه ضرباً كاد
 يموت منه .

وكان العزُّ (٢) محمد بن شمس الدين محمد المنوفي ، أحد نواب
 الشافعي في القاهرة ، والقاضي بالخائكة قد زوّج ابنته لشخص يُقال له ،
 علي ، من ذرية ابن أُوحد الذي كان ناظر الخائكة ، وكان في الخائكة من

(١) أنه : حيمه .

« القاموس المحيط » (٣٠٢ / ٤) ، و« محيط المحيط » (٢٠) .

(٢) هو : محمد بن محمد بن عبد السلام بن موسى بن عبد الله ، العز والمحب والشمس ، أبو عبد
 الله بن الشمس المغربي الصنهاجي الأصل المنوفي ، ثم القاهري الشافعي ، ولد بمنوف سنة ٧٧٥ هـ ،
 وقدم القاهرة بعد بلوغه وأخذ عن أبرز علمائها ، وناب في القضاء حتّى أصبح من أجل النّواب ، مات
 عصر يوم الاثنين ١٤ ربيع الآخر سنة ٨٦٥ هـ .

له ترجمة في « النجوم الزاهرة » (٣١١ / ١٦) ، و« الضوء اللامع » (٩ / ١٠٦ رقم ٢٧٩) .

يَشْهَدُ أَتَّهَرَضَ مَعَهُ ، وَكَانَ ذَلِكَ بِحَيْثُ لَا يُشَكُّ فِيهِ ، فَاعْتَرَفَ هَذَا الَّذِي يَرِيدُ زَوَاجَهُ لِابْنَتِهِ عِنْدَ نَاسٍ بِذَلِكَ ، فَركبَ العِزُّ رَأْسَهُ ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى شَيْءٍ ، وَقِيلَ : إِنَّهُ إِنَّمَا أَلَحَّ فِي ذَلِكَ ؛ لِأَنَّ ابْنَ أَوْحَدٍ أَمْرٌ دَلِيلٌ عَلَى فَزْوَجِهِ بِهَا وَاسْتَحْكَمَ بَعْضُ نَوَابِ الْحَنْفِيَّةِ بِصَحَّةِ الْعَقْدِ ، وَكَانَتْ فِي ذَلِكَ أُمُورٌ صَارَ يَتَخَوَّفُ مَعَهَا إِدْخَالَ ابْنَتِهِ عَلَيْهِ ، إِلَى أَنْ أَدْخَلَهَا عَلَيْهِ فِي هَذَا الْأَوَانِ ، وَوَأَقَفَ أَنْ انْتَهَكَتْ حَرَمَةَ الْخَانُكَةِ بَعْدَ مَوْتِ كَاتِبِ السِّرِّ ، الْمُحِبِّ بْنِ الْأَشْقَرِ ، فَدَخَلَتْ فِيهَا يَدُ وَالِي الْقَاهِرَةِ ، فَأَقَامَ بِهَا نَائِبًا عَنْهُ ، فَصَارَ يَحْكُمُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْقَاضِي عِزِّ الدِّينِ ، فَصَارَ بَيْنَهُمَا بِذَلِكَ ضِعَائِنِ فَاعْرَى بِهِ نَائِبُ الْوَالِي الْأَجْلَابِ ، فَصَارُوا يَأْتُونَ [وَيَقُولُونَ لَهُ] ^(١) : أَخْضِرْ لَنَا صِهْرَكَ نَفْعَلْ بِهِ ، أَنْتَ تَفْعَلُ وَحَدُكَ ، وَنَحْنُ هَذَا ، فَلَا يَذْهَبُونَ إِلَّا بِإِلٍ يَأْخُذُونَهُ مِنْهُ ، ثُمَّ تَفَاقَمَ الْأَمْرُ ، فَصَارُوا يَقُولُونَ لَهُ : أَنْتَ زَوَّجْتَهُ ابْنَتَكَ وَهِيَ أُخْتُهُ فَضْرِبُوهُ ضَرْبًا كَثِيرًا ، وَقِيلَ : أَنْهُمْ فَعَلُوا بِهِ ، وَكَانُوا قَدْ أَغْرَوْا بَعْضَ أَتْبَاعِهِ عَلَى الْإِفْسَادِ قَرَبَ بَيْتِهِ فَأَخَذَهُ وَضْرِبَهُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ أَنَّهُ مِنْ جِهَتِهِمْ ، فَادَّعَوْا أَنَّهُ كَانَ مَعَهُ سِتُونَ دِينَارًا فَسَقَطَتْ مِنْهُ لَمَّا ضْرِبَهُ ، فَطَلَبُوهَا مِنْهُ ، وَلَمْ يَزَالُوا يَغَادُونَهُ وَيَرَاوِحُونَهُ حَتَّى أَرْضَاهُمْ .

[٢٢٥] وَفِي أَوَائِلِ هَذَا الشَّهْرِ ، وَهُوَ ذُو الْحِجَّةِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسِتِينَ ^(٢) ، أَوْ أَوَاخِرِ الَّذِي قَبْلَهُ ، قَدِمَ شَخْصٌ مِنْ بَنِي حَسِينٍ ، عَرَبٍ حَارِثَةُ الْخُفَرَاءِ بَنَوَاحِي وَادِي ^(٣) عَارَا وَاللَّجُونِ ^(٤) يُقَالُ لَهُ... ^(٥) فَسَعِيَ عَلَى الْخَفِيرِ مِنْهُمْ

(١) مَا بَيْنَ الْحَاصِرَتَيْنِ إِضَافَةٌ اقْتَضَاهَا السِّيَاقُ .

(٢) وَثَمَانِيَةٌ .

(٣) وَادِي عَارَا : لَمْ أَعْثَرْ لَهُ عَلَى تَعْرِيفٍ فَيَبِينُ يَدِي مِنْ مَصَادِرَ ، وَيَبْدُو أَنَّهُ بَلَدٌ فِي الْأُرْدُنِ ، أَوْ فِلَسْطِينَ .

(٤) اللَّجُونُ : جَاءَ فِي « مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ » (١٣ / ٥) أَنَّهُ بَلَدٌ فِي الْأُرْدُنِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ طَبْرِقَةِ عَشْرُونَ مِيلًا ، وَإِلَى الرَّمْلَةِ فِي فِلَسْطِينَ أَرْبَعُونَ مِيلًا .

(٥) بَيَاضٌ فِي الْأَصْلِ بِمَقْدَارِ ثَلَاثِ كَلِمَاتٍ .

وهو...^(١) ، وبذل للسلطان مالاً يقال : أنه ألفا دينار ، فولاه الخَفَرُ ، فسمع الذي عَزَلَ ؛ فأغار على الذين يَبْنُونَ خان اللَّجُون للسلطان ، فسلبهم جميع مامعهم وترك البلاد وذهب إلى مأمنه ، فصار الطريق خَوْفًا . وقد كان على أَيَّامه في غَايَةِ الْأَمْنِ ، حتى ربما كانت تذهبُ المرأةُ وَحَدها في وادي عاره الذي يُضْرَبُ المثلُ بِخَوْفه ، فنسأل الله أَنْ يَقْتِضَ للسلطان بطائِنَ الْحَيَرِ ، ويُبْعِدَ عنه بطائِنَ السَّوءِ آمين .

وفي يوم الأحد سابع عشر الشهر ، مات شخصٌ مِنَ الْمُقَدَّمِينَ اسمه باربر مِنَ النَّاصِرِيَّةِ ، فأخذ تَقْدِمَتَهُ سُودُونُ قرقش ، وأخذ وظيفته سُودُونُ بُرْذَبَكِ الْبِشْمَقْدَارِ الظَّاهِرِيِّ فصار رأسَ نَوْبَةٍ ثَانِيًا [وأخذ] السلطان من سُودُونِ على ذلك خمسة آلاف دينار ، ومن بُرْذَبَكِ .

وفي هذا الشهر ، بعد العيد تَغَيَّظَ السُّلْطَانُ على المباشرين ، وتكَلَّمَ بكلامٍ عَرَّضَ فيه بأبي الْحَيَرِ في كَوْنِهِ مُشْتَغَلًا بِرُؤْيَةِ الْبَحْرِ وما عليه مِنْ تَعَبِ السُّلْطَانِ ، فانتقل إلى المدينة وكان قد أُخِذَ [إلى]^(٢) بَيْتِ الْأُمَيْنِ ابنِ الْهَيْصَمِ الذي كان وزيراً ، وهو على باب جامع الزَّاهِدِ ، فانحط في المرض فعجز فيما قُرِّرَ عليه للوزير والإِسْتَدَارَ ، فَالْحَجَّ عليه الوزيرُ في الطَّلَبِ ، فأرسل أخاه يوم الجمعة ثاني عَشْرِي ذِي الْحِجَّةِ يطلب مِنْ السُّلْطَانِ الْفَأَ وخمسمائة دينار ، فاشتَاطَ السُّلْطَانُ غَضَبًا ، فاجتمع الوزيرُ بالسُّلْطَانِ ، وشكى إليه أَنَّ أبا الْحَيَرِ لَا يُؤَافِيهِ ، وَأَنَّهُ هو مشرف لأَجْلِ ذَلِكَ على الاختفاء . . ووقع الكلامُ في عَزْلِ أَبِي الْحَيَرِ مِنَ الدَّخِيرَةِ وَرَدِّهَا إلى نحو ما كانت عليه قبل حضوره فَقَعِلَ ذلك ، فَأَخَذَ التَّقِيَّ بنَ مُزْهَرٍ

(١) بياض في الأصل بمقدار ثلاث كلمات .

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة اقتضاها السياق .

وكالة بيت المال وجوالي دمشق وحمّة وطرابلس ، ثم عارضه فيها ناظرُ
الخاص الأمير زين الدين بن الكُوَيْز فأخذها وما للذَّخِيرَةِ بها ، وأخذ
كاتب السرّ المحب بن الشُّخْنَة ما بحلب ، وأخذ ناظر الجيش البرهان بن
الدَّيْرِي ما بالقدس ونواحيها ، وكان مع أبي الخير إقطاعٌ فأُضيف إلى
الذَّخِيرَةِ ، وأمر السلطان أن يُحاسب عند كاتب السرّ ، فقبل له : مريضٌ
. فقال : يحضر على حمّال ، فطلب يوم السبت ثالثَ عَشري الشهر فاعتلَّ
بالمرض ، فأخبر بما قال السلطان ، فلما عَلِمَ أَنَّ الأمرَ لا بُدَّ مِنْهُ طلب
الفرسَ فركبَ ، فعَجَزَ في الطريق ، فَحُمِلَ على قَفَصٍ وأُخْضِرَ بَيْنَ يَدَي
كاتب السرّ ، فحُوسِبَ فَبَقِيَ عنده مالٌ وأُجْرَجَ عليه أحدَ عشر ألفَ
دينارٍ مِنْ زَمَنِ الظَّاهِرِ فُرِدَّ إِلَى بَيْتِهِ على قَفَصٍ حمّالٍ ليخرج من عهده ذلك
إلى ثلاثة أيّام ، وكان أخوه قد بدا منه كلامٌ فيه غلظ فرُسِمَ عليه (٢) .

وفي أوائل هذا الشهر ، أو أواخر الذي قبله ، مات مِنَ السَّامِ بَعْضُ
أَعْيَانِ بتوعك الخريف على العادة ، وأمّا الطاعون فلم يكن وَصَلَ إِلَيْهِمْ ،
أرسل إِلَيَّ الْقَاضِي وَلِيُّ الدِّينِ عَبْدُ اللَّهِ بن قَاضِي عجلون في كتابٍ ، تاريخه
نصف ذي الحجة هذا : « مات جماعةٌ بغير طاعون ، منهم زين الدين عُمَرُ
بن الحارث ، وظهر عليه ديونٌ كثيرة ، ومنهم ابن السَّيِّدِ عَجَلان ، أبو الأولاد
الكثيرين ، (يعني السَّيِّدِ شمس الدين محمد ، وكان سىء الطريقة جريئاً
فحصل بموته فرج كبير) ، ومنهم جمالُ الدِّينِ الأَرْبَلِي الشاهد ، وابن
سَلْمُون عَيْنِ البِستَانِيَّةِ بِالشَّاعُورِ » (٢) انتهى . وكان ابن الحارث عَيْنِ مَنْ

(١) راجع خبر مرض أبي الخير النحاس هذا في « حوادث الدهور » (٣٢٩) .

(٢) الشَّاعُورُ : جاء في « معجم البلدان » (٣ / ٣١٠) أنها محلّة بالبَابِ الصَّغِيرِ مِنْ دِمَشْقَ ،

مشهورة ، وهي في ظاهر المدينة .

بقي من تجار الشام ، وكان خيراً دِيناً منقاداً للخير ، وكان الأربلي عين موقعي الحكم وكلاهما في عشر السنين .

وفي هذا الشهر عُثِر في محله الجَوَانِيَّة بالقاهرة على نصراني من مبشري استخراج الجوالي في الوجه القبلي عند مُسلمة ، فادَّعي أنها زَوْجَتُهُ ، فحَسِبَ بَنِي الْقَاضِي الشَّافِعِي الْعَلَمُ صَالِح ، فتحَقَّق أَنَّهَا مُسلمة ، فخاف على نفسه ، فأَسْلَم ، وبلغني أنه تزوّج بها .

وفي يوم السبت سلخ سنة ثلاث وستين^(١) هذه ، قَدِمَ الأَمِيرُ جَانِبَكَ ناظر جَدَّة ومعه بشيرُ الحاج ، فاجتمع بالسلطان ، فخلع عليه وأَحْسَنَ مُلْتَقَاه ، وكان النَّاسُ قد ساءَهم تأخُّرُ البَشِيرِ ؛ فَإِنَّ مِنْ عَادَتِهِ أَنْ يَأْتِيَ فِي ثَانِي عَشْرِي ذِي الْحِجَّةِ ، أو قَبْلَهُ يَوْمٍ أو بَعْدَهُ يَوْمٍ فَيَبِينَنَّ أَنَّ السَّبَبَ مُرَافَقَتُهُ لْجَانِبِكَ ، ومعه أنقال^(٢) .

[٢٢٦] وفي يوم الأحد ، مستهل سنة أربع وستين ، مات الْعَلَامَةُ جلال الدين محمد بن أحمد المحلِّي^(٣) الشافعي عن خمس وسبعين سنة ، وكان بيته في حَدَرَةِ الْكَمَاجِيِّينَ ، وكانت الْعَادَةُ أَنْ لَا يُدْخَلَ مِنْ أَبْوَابِ الْبَلَدِ الْمَشْهُورَةِ بِمِيَّتٍ ، فلم يدخلوا به من باب زُوَيْلَةَ ، ودخلوا مِنْ باب الْفَرَجِ ، وصَلَّى عَلَيْهِ فِي باب النَّصْرِ قَاضِي الشَّافِعِيَّةِ الْعَلَمُ صَالِح ، وكانت جنازته حافلة جداً بِالْأَغْيَانِ وَأَهْلِ الْعِلْمِ عَامَّةً ، وكثيرٍ مِنَ الْفُقَرَاءِ وَأَهْلِ الْخَيْرِ ، ودُفِنَ فِي تَرْبَةٍ لَهُ أَمَامَ تَرْبَةِ جَوْشَنَ ، وَعَظُمَ تَأْسُفُ النَّاسِ عَلَيْهِ وَلَمْ يُخْلَفْ أَحَدٌ مِنَ أَهْلِ الْعِلْمِ ، وكان له وَظِيفَتَانِ كَبِيرَتَانِ ،

(١) وثمانائة .

(٢) معلومات مفصلة عن وصول جانبك هذا في « حوادث الدهور » (٣٢٧) .

(٣) راجع « هامش ٢ » من « ص ٣٠ » من القسم الثاني .

تدريس الفقه بالمؤيدية والبرقوقية ، فسعى الناس فيها ، فسبهم الشمس بن (١) المرّحم بما تتي دينار من جهة نسائه كان لمن وصلة بخوند، فاستكتب له الدؤيدار الكبير يونس غصباً بعد أن كان عينها للعبادي ثم أُرْضِيَ بالمال . وتكلّم الشيخ أمين الدين بن الأقصراني للشمس (٢) بن البامي في الظاهرية ، فأجيب ، فضجّ الناس من ولايتها ، لكن من ولاية ابن المرّحم أكثر ، وقد كان في البلد من الشافعية من لا يقربان منه ، ولكن بخس الفضلاء لم يزل سنة مستعملة ، ولا سيما في أهل مصر ﴿ يُريدون أن يُطفئوا نورَ الله بأفواههم وَيَأْبَى الله إلا أن يُتمَّ نوره ﴾ (٣) .

وكان الشرف الأنصاري قد قرّر في ذهنه 'ا' سلطان أن يؤخذ من الجمال الباعوني ألف دينار لما سعى عليه ابن عمّه الجلال بعشرة الاف دينار، فلما عَزَل أملاها في حسابيه ، فأرسل ناظرُ الخصاص الزين بن الكؤيز من طالب الباعوني بها على وجه بشيع ، فبلغ ذلك عنده ، وعند كل

(١) هو : محمد بن على بن محمد بن قاسم ، الشمس القاهري البهائي الشافعي ، المعروف بابن المرّحم - حرفة أبيه - ، ولد بالقاهرة سنة ٨٠٨ هـ ، وأخذ عن أبرز علماء مصر في عصره ، وناب في القضاء ، وتولى التدريس بمدرسة أقبغا آص ، والمؤيدية ، والألجيهية ، وغيرها من المدارس ، مات في ليلة الجمعة ١٤ جمادي الأولى سنة ٨٨٨ هـ .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (٨ / ٢٠٥ رقم ٥٣٩) ، و« شذرات الذهب » (٧ / ٣٤٧ - ٣٤٨) .

(٢) هو : محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن الفقيه أحمد بن قريش ، الشمس بن الشهاب ، المخزومي البامي - نسبة لبلدة بالصعيد - ولد في سنة ٨١٠ هـ بالقاهرة ، ونشأ بها ، وتلمذ على علمائها ، وأذن له في التدريس والفتيا ، ودرّس بالشريفية مع النظر عليها بعد أبيه ، وبالمجدية في جامع عمرو بن العاص ، وبالخرّوبية ، مات في شوال سنة ٨٨٥ هـ .

له ترجمة في « الضوء اللامع » (٧ / ٤٨ رقم ١٠٢) .

(٣) التوبة / ٣٢ .

مسلم من المشقة أمراً عظيماً ، وأوَهَن كَلِمَتُهُ ، فأرسل في ذي الحِجَّة خِتَام سنة ثلاث وستين هذه يستعفي من الوظيفة ، ويشكو من الدَّيْن ، وكان القاضي كاتب السر بن الشُّخنة عارِفاً به من أَنَّهُ عَفِيف لا يَزِيئُنِي ، ولا يأخذ من أحد هديَّة ، ولا ممن يصلُ إليه من قضاة البر ولا غيرهم شيء مع مَالِهِ من الصَّدَقَةِ سِرّاً والصَّيَام والقيام والتَّحَرِّي في القضاء والمحاسن العديدة ، فتلطَّف في إعلام السلطان بذلك ، فأنكر السلطان أَن يكون التفت قطُّ منه إلى شيء ، فاستأذَنه في كتابَةِ مَرْسُوم ، فكتب : بأنَّ الخواطرَ الشريفة بَلَغها كذا ، فَأُنْكِرْتُهُ إنكاراً شديداً ، وحاشى الله من أَن يُلتفت إلى شيء من ذلك ، وأنَّ لنا في المشارِ إليه من الاعتقاد ما يقتضي استجلاب أدعيته وأنَّ يجريها على خاطره وقت تَهَجُّده ونحو ذلك من الكلام الذي لا تسمعُ بمثله إلا قرائحُ أهل الدَّيْن ، وأرسل مع ذلك كاتِبَةً من السلطان مع قاصِدٍ من عنده في أوائل شهر الله المحرم سنة أربع وستين وثمانائة ، ثم عُوِرِض في ذلك إلى أَن مِيل السلطان إلى جهة طلب ذلك ، فتلطَّف هو حتَّى حلَّ السلطانَ عَنْهُ والله تعالى يُعِينه على مقاصد الخير .

وفي نصف ^(١) محرم هذا أتت المراكبُ التي كانت ذهبت إلى الجُون محرم سنة أربع وستين وثمانائة لقطع الخشب ومعهم المركب الذي أخذوه واسمه عفريت البحر وهو كبيرٌ جداً طوله بضع وثمانون ذراعاً ، وعرضه بضع وعشرون ، ودَوَّر صاريه ^(٢) اثنا عشر ذراعاً ، فلم يحملهُ فَمُ البحر الحلو ، فخلَّفوه في ميناء وَقَدِموا في مراكبهم ومعهم مما كان فيه مائة وثيِّف وثلاثون أسيراً ، ونُقِل

(١) في « النجوم الزاهرة » (١٦ / ١٣٤) في يوم الثلاثاء ١٧ محرم .

(٢) صارية : عمود يُقام في السفينة ؛ يُنْذَر عليه الشَّراع .

« المعجم الوسيط » (١ / ٥١٤) .

أَنَّهُمْ كَانُوا نَحْو ثَلَاثَةِ قُتِلَ بَقِيَّتِهِمْ فِي الْوَقْعَةِ ، وَبَعْدَهَا مِنَ الْجَرَاحَاتِ ،
وَلِلَّهِ الْحَمْدُ ، وَأَسْلَمَ بَعْضُ الْأَسْرَى خَوْفًا مِنَ الْقَتْلِ ، فَخَافَ شَخْصٌ مِنْ
كِبَرَانِهِمْ أَنْ يَتَّبِعُوا فِي الْإِسْلَامِ ، فَقَالَ : لَا يَخَفُ أَحَدٌ مِنْكُمْ ، أَنَا
أَشْتَرِيكُمْ كُلَّكُمْ ، فَأَمْسَكُوا ^(١) ﴿ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ ^(٢) .

[٢٢٧] وفي آخر يوم الأحد خامس عشر محرم سنة أربع وستين
وثمانمائة ، مات الشيخ الصالح المقرئ نور الدين علي ^(٣) بن محمد بن
علامة القراءات الشيخ فخر الدين البليسي الشافعي ، إمام جامع
الأزهر عن نحو ستين سنة ودُفِنَ بِكَرَةِ الْاِثْنَيْنِ سَادِسَ عَشْرَةَ ، وَأَخَذَ إِمَامَةُ
الجامع عنه ابنه .. ^(٤) الدين .

وفي يوم الثلاثاء سابع عشره ، وصل جمعُ الأمراء الذين كانوا في الجُؤن
لقطع الخشب ، وطلعوا بما معهم مِنَ الْقَرْنَجِ إِلَى السُّلْطَانِ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ
نَحْوَ الْخَمْسَةِ ؛ وَاحِدًا كَانَ مَرْتَدًّا وَرَفَعَ الْبَاقِينَ إِلَى الْبُرْجِ ليرى فيهم رأيه .

موت النحاس وفي صباح يوم الجمعة العشرين منه مات أبو الخير النحاس ^(٥) عن
ثَيفٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً فِيهَا أَظُنُّ ، بَعْدَ عِلَّةٍ طَوِيلَةٍ جَدًّا ، فَإِنَّهُ لَمَّا قَدِمَ فِي أَوَّلِ
شَهْرِ رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ الَّتِي قَبْلَهَا كَانَ مَرِيضًا ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّ لَهُ مَدَّةَ أَرْبَعَةِ
أَشْهُرٍ مَرِيضًا ، ثُمَّ اسْتَمَرَ بَعْدَ ذَلِكَ ، تَارَةً يَقْوَى مَرَضُهُ فَيَنْقَطِعُ ، وَتَارَةً
يَخْفُفُ فَيَرْكَبُ ، إِلَى أَنَّ قَوِيَ بِهِ فِي آخِرِ ذِي الْحِجَّةِ ، وَكَانَتْ بِهِ أَمْرَاضُ
مُخْتَلِفَةٍ ، أَقْوَاهَا فِيهَا أَظُنُّ السُّلَّ ، كَانَ ضَخْمًا ، فَصَارَ فِي غَايَةِ النَحَافَةِ ،
رَأَيْتُهُ فِي آخِرِ ذِي الْحِجَّةِ وَكَأَنَّ يَدَيْهِ خَيْطَانٌ أَوْ خَطَّانٌ ، ثُمَّ حَدَّثَ فِي

(١) راجع الخبر في : « النجوم الزاهرة » (١٦ / ١٣٤) ، و« بدائع الزهور » صفحات لم
تنشر (٦٨) .

(٢) الزمر / ٢٣ .

(٣) له ترجمة مختصرة في « النجوم الزاهرة » (١٦ / ٢١٠) .

(٤) بياض في الأصل بمقدار كلمة .

(٥) راجع « هامش ٥ » من « ص ٩٣ » من القسم الأول .

مقعده خُراجٌ قُطِعَ بعد عاشوراء ، فزاده ما خَرَجَ منه ضَعْفًا إلى أن مات في اليوم المذكور ، فلم يُخَفَّلَ بِهِ أَحَدٌ وَلَا مُشِيٍّ مع جنازته ، فَوَفَّقَ أَهْلُهُ فَأَتَوْا بِهِ إلى جامع الحَاكِمِ ، فَصَلَّى عَلَيْهِ مَنْ صَلَّى بِهِ الْجُمُعَةُ عَقِبَ الصَّلَاةِ ، ثُمَّ دُفِنَ بِالصَّحْرَاءِ فَلَعَلَّ ذَلِكَ يَنْفَعُهُ ، فَلَقْدَ كَانَ جِبَلَةً شَرًّا مع ما قَاسَى فِي زَمَانِهِ مِنَ الْأَنْكَادِ الَّتِي تُهْدَبُ أَعْتَى النَّاسِ إِذَا حَصَلَ لَهُ يَسِيرُ عَنَايَةً ، فَإِنَّهُ كَانَ فِي أَوَّلِ عَمْرِهِ لَا يَجِدُ مَا يَأْكُلُ ، فَكَانَ تَبِعًا لِأَبِي الْعَبَّاسِ الْوَفَائِي ، الَّذِي كَانَ عِنْدَ جَوْهَرِ الْخَزْنَدَارِ ، أُخْبِرْتُ أَنَّهُ كَانَ يَمْشِي وَرَاءَ حِمَارِهِ حَافِيًا وَرَبْمَا ذَهَبَ إِلَى بِلَيسٍ كَذَلِكَ مَاشِيًا حَافِيًا ، ثُمَّ إِنَّهُ قُبِيلَ سَنَةِ خَمْسِينَ ^(١) حَصَلَ لَهُ مِنْهُ حَقٌّ كَبِيرٌ ، شَكَاهُ مِنْ رَجُلِهِ إِلَى الظَّاهِرِ جَقَمَقَ ، وَكَانَ نَسْمَةً شَرًّا فَجَمَعَتْ خَبَاثَةَ الْأَرْوَاحِ فَرَجَحَتْهُ عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ ، ثُمَّ تَوَسَّعَ فِيهِ مُوَافَقَتُهُ فِي أَغْرَاضِ الشَّرِّ فَقَوَّاهُ وَخَالَفَ فِيهِ النَّاسَ ، وَكَانَ يُبَيِّنُ مِنْ يَغْذِلُهُ فِيهِ إِلَى أَنَّ أَخَذَ بِهِ السَّفْطِي وَأَكَلَ جَمِيعَ مَالِهِ ، وَاسْتَخْرَجَ لَهُ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ أَمْوَالًا جَمَّةً بِالظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاسْتَخَفَّ النَّاسَ بِالسُّلْطَانِ ، فَأَطَاعُوهُ كُرْهًا بِمَا كَانَ يُطَاوُهُمْ بِهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ ، أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمَشْرِفِينَ ، ثُمَّ عَاشَرَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ التُّرْكِي الْبَيْدَمُورِي الْمَغْرِبِي التُّونِسِي ، وَكَانَ أَنْحَسَ مِنْهُ ، وَذَلِكَ فِي أَوَاخِرِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ ^(٢) ، فَبَلَغَ حِينُئِذٍ النِّهَايَةَ فِي النِّحْسِ ، وَكَأَنَّهُ أَفْتَاهُ بِإِبَاحَةِ أَشْيَاءَ مِنَ الْمَحْرَمَاتِ ، فَصَارَ يَسْتَحِلُّ مَا كَانَ يَفْعَلُهُ مَعْتَقَدًا حُرْمَتَهُ ، فَلَمَّا دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ ^(٣) انْشَرَحَتْ نَفْسُهُ لَمَّا كَانَ يَتَأْتِي لَهُ مِنَ الْمَظَالِمِ وَيَسْهَلُ عَلَيْهِ مِنْ أَسْبَابِهَا ، فَكَانَ يَقُولُ : سَنَةُ أَرْبَعٍ مِنَ الرَّبِّيعِ ، وَالْمَرْبِيعِ طَيِّبٌ يَا سَنَةُ أَرْبَعٍ . فَأَتَى فِيهَا الْغَلَاءُ وَالْقَحْطُ ، وَأَخَذَ فِيهَا ، وَاسْتَمَرَّ بِهِ النِّكَالُ إِلَى أَنْ حَصَلَتْ لَهُ هَذِهِ الْهَيْئَةُ مِنْ ذِكْرِ السُّلْطَانِ لَهُ .

(١) وثمانيائة .

(٣) وثمانيائة .

(٢) وثمانيائة .

فأتى في سنة ثلاث وخمسين ^(١) على شر ما كان عليه من الضغائن ، وقصد الانتقام وزيادة الكذب عن العد ، وتجاوز الشتم والسفة الحد . أخبرني من دخل إليه قيل موته بنحو أربعة أيام أنه كان لا يستطيع كلامه إلا بالإشارة ، وإن حصل نطق فهو في غاية الخفاء ، حتي يشير إلى أحد من أتباعه بشيء فيخالف غرضه ، فحينئذ يشرع في سبه بأقبح الكلام بغاية ما يكون من علو الصوت ، فلم يكن يسير له إلا ذلك وكل ميسر لما خلق له وكان مطلق سنة أربع ^(٢) كانت مشؤومة عليه .

[٢٢٨] ومن عجائب الأمور في أخواله أن الشرف الأنصاري حدثنني في أوائل ذي الحجة سنة ثلاث وستين ^(٣) أن الأمير بُردبك وهو من أكبر المبعضين له (أنا) ^(٤) أعرف ذلك (قال له : وإن لم يود النحاس أن يخلق لحية ويخرج من القاهرة في لبّاد من يدي هذا السلطان فلا تعدني رجلاً ، فكان كذلك . حدثنني الشيخ علاء الدين علي ^(٥) الضرير البُزلي ،

(١) وثبانة .

(٢) وخمسين وثبانة .

(٣) وثبانة .

(٤) أي البقاعي .

(٥) هو : علي بن أبي بكر بن أحمد بن شاور ، العلاء البُزلي الشافعي الضرير ، ولد سنة ٦ أو ٨٠٧ هـ ببليطيم من البرلس ، وحصل له جذري في السابعة من عمره وكف بصره ، ثم تحول إلى القاهرة ، ثم انتقل إلى صفد ثم إلى دمشق ثم إلى طرابلس ، ثم إلى حصص ، وأخذ عن أبرز علماء تلك البلاد في فنون مختلفة ، ثم عاد به أبوه إلى البرلس ثم انتقل مع أبويه إلى القاهرة ، ثم سافر بأمه بعد أن طلقها أبوه إلى دمشق ، ثم بعلبك ، ثم قدم القاهرة سنة ٨٦٠ هـ بعد سفره إلى بلاد الروم مرتين وإقامته بها أكثر من عشرين سنة ، ثم انتقل إلى دمشق وأقام بها إلى أن مات في أوائل سنة ٨٧٤ هـ .

له ترجمة في : « عنوان الزمان » (مخطوط) (٣٠٣ - ٣٠٤) ، و« الضوء اللامع » (١٩٨ / ٥) رقم ٦٧٣ ، و« بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (١١٣ / ٢) .

وكان يتردد إليه وقد حَصَلَ له إليه مَيْلٌ أنه قال له : يا شيخ علاء الدين ، والله لو أَنَّ لي قُوَّةَ عَلَى المَشْيِ لِأَخْلِقَنَّ لِحَيَّتِي ولَأُخْرِجَنَّ مِنْ هَذِهِ البَلَدَةِ بِلَبَّادٍ ، فلا يُسْمَعُ بِخَبْرِي إِلَّا مِنْ بِلَادِ الرُّومِ . قال لي الشَّرَفُ : وقال الأمير بُرْدُ بَكَ لي ولِلْجَمَاعَةِ : طَيَّبُوا خَوَاطِرَكُمْ مَا آتَى مِنَ الْحَجِّ وهو موجود . فلما عَزَلَ أَوْلَنَاهُ عَلَى ذَلِكَ ، فَقَدَّرَ اللهُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ تَأْوِيلُهُ إِلَّا عَلَى الوجود الحَقِيقِي ، فَمِنْ حِينَ أَخَذَ فِي الرَّجُوعِ مِنَ الْحَجِّ ، أَخَذَ النَّحَّاسُ فِي الانْحِطَاطِ الْعَظِيمِ ، وَكَانَ كُلَّمَا قَرَّبَ ازْدَادَ انْحِطَاطُهُ إِلَى أَنْ مَاتَ فِي صَبْحِ هَذَا الْيَوْمِ ، وَاسْتَرَجَحَ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالبِلَادُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ ، أَلْحَقَ اللهُ بِهِ أَشْكَالَهُ مَنْ يَعْمَلُ أَعْمَالَهُ . وَلَقَدْ اسْتَفْرَيْتُ أَخْوَالَ مَنْ يُسَمِّي بِاسْمِهِ فِي زَمَانِنَا ، فَمَا عَلِمْتُ مِنْهُمْ نَسَمَةً خَيْرٍ ، مِنْ ذَكَرٍ وَأَنْثَى ، كُلٌّ مِنْ يَشْهَرُ بِأَبِي الْخَيْرِ وَأُمِّ الْخَيْرِ فَهُوَ كَذَلِكَ أَعَاذَنَا اللهُ مِنْهُمْ آمِينَ .

فوصل ركبُ المماليك الذين يتناوبون المُجَاوَرَةَ فِي مَكَّةَ بَعْدَ عَصْرِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ هَذَا إِلَى بَرَكَةِ الْحَاجِّ ، ثُمَّ وَصَلَ الرِّكْبُ الْأَوَّلُ فِي عَصْرِ يَوْمِ السَّبْتِ حَادِي عَشْرِيهِ .

وَفِي عَصْرِ هَذَا الْيَوْمِ وَصَلَ كِتَابٌ مِنْ أَمِيرِ الْمُخْمَلِ الْأَمِيرِ بُرْدُ بَكَ ، أَنَّهُ عَرَّضَ لَهُمْ عَارِضٌ اقْتَضَى تَأَخُّرَهُمْ ، عَنْ الْوُصُولِ يَوْمِ الْأَحَدِ ثَانِي عَشْرِيهِ إِلَى يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ ثَالِثِ عَشْرِيهِ ، وَسَأَلَ أَنْ يُعْلَمَ السُّلْطَانُ بِذَلِكَ فَفَعَلَ ، ثُمَّ وَصَلَ هُوَ بِنَفْسِهِ فِي نَاسٍ قَلِيلٍ فِي عَصْرِ يَوْمِ الْأَحَدِ ، وَتَرَاوَسَ ^(١) الْحَجَّاجُ إِلَى [أَنْ] ^(٢) تَكَامَلُوا فِي نَحْوِ ثَلَاثِ لَيْلَةٍ الْاِثْنَيْنِ فِي الْبَرَكَةِ ، وَأَخْبَرُوا أَنَّهُ أَشَارَ عَلَيْهِ أَكَابِرُ الرِّكْبِ بِالْمُبَادَرَةِ فِي الْعَادَةِ لِثَلَاثِ يَشُقُّ عَلَى النَّاسِ ، فَجَدَّ

(١) تَرَاوَسَ : أَيِ جَاءَ وَاجْمَاعَةً جَمَاعَةً .

« لِسَانُ الْعَرَبِ » (١٣ / ٢٩٩) .

(٢) مَا بَيْنَ الْحَاصِرَتَيْنِ إِضَافَةً اقْتَضَاهَا السِّيَاقُ .

السَّيْرَ حتى وقع ذلك ، ثم طلع إلى السلطان بكرة يوم الاثنين ، فخلع عليه على العادة ، وعلى ولده ، وعلى من له عادةً بذلك ، وَوَجَدْنَا الْحَجَّاجَ يشكرونه في الرَّفَقِ بهم في الماءِ والسَّيْرِ وغيرهما مِنْ كَثْرَةِ الصَّدَقَةِ على الفقراء بالبُقْطُطِ (١) والطَّعَامِ ، حتى إنه يُفَرِّقُ هو وعياله في كل يوم حِلِينَ مِنَ البُقْطُطِ أو أكثر ، وَأَنَّهُ عَمَّ الرُّكُوبَ الثلاثة ، والمغاربة معروفه ، وساسهم أَحْسَنَ سِيَّاسَةٍ وَأَشَاعَ بَعْضُ المفسدين في مكة موت السلطان ، فلولا ثباته وَعَقْلُهُ لحصل بلاءٌ كبير ولكن الله سَلَّمَ (٢) .

ولَمَّا وَصَلَ أَهْدَى إلى السلطانِ والأُمراءِ ، ولم يُهْدِ إلى فقيهٍ شيئاً ، لا قضاة القضاة ولا غَيْرِهِمْ مع أَنَّ مملوكَه لما جاء بشيراً خَلَعَ عليه بعضُ القضاةِ وأَعْطاه بَعْضُهُمْ على قَدَرِ حاله ، ولم يَصِلِ المغاربة بشيء بعد وُصُوله ولا رَدَّ معهم عَوَضَ ما أَهْدَى له سلطانُهُمْ فَعِيبَ ذلك عليه ، وقيل : لو كان ما فَعَلَهُ الله لتناسب في جميع الأحوال ، هذا مع أَنَّ ابنَ السلطان ، وحاجِبَ الحِجَابِ تقدَّماه ، فلم يَدْعَا فقيهاً يُذَكِّرُ حَتَّى أَهْدَيَا إليه ، وما بالعهد مِنْ قَدَمٍ ، وهو لا يكاد يقطع مجالِسَه الخاصَّةَ إِلَّا بِذَمِّهِمَا بالبُخْلِ .

سفر الشيخ أبي
الفضل من مكة
المشرفة إلى نحو
الطور
ثم جاء الخبرُ مِنْ مَكَّةَ أَنَّ الشَّيْخَ أبا الفضل محمد بن العَلَّامَةِ أبي عبد الله محمد بن العَلَّامَةِ أبي القاسِمِ المُشَدَّلي البجائي المغربي المالكي سافر منها عَقِبَ رجوع الحاجِّ ، وَقَصَّدَ جُدَّةَ ، وأوْهَمَ أَنَّهُ يريد اليمن ، ثم جاء الخبرُ اليقينُ أَنَّهُ قَدِمَ إلى الطُّورِ أوْهَمَ بَعْضُ مَنْ رآه ، أَنَّهُ يريد مِصرَ

(١) البُقْطُطُ : « اسم لنوع من الخبز ، يخبز ويَجِفُّ ، ويُسمَّى في المغرب (بُقْطُط) .
« المعجم الوسيط » (٦٥ / ١) .

(٢) خبر وصول بُرْدَبَك في « حوادث الدهور » (٣٢٩) .

ولكن أوائل الطّاعون قد أتى مِصرَ ، وانقطعت أواخِرُهُ مِنَ الشّامِ ،
فأكثَرى مع المسافرِين إلى غَزَّةَ ، ثم فارَقَهم قبل الدُّخول إليها ، فلم يعرفوا
له خَبَرًا ، ثم جاء الخَبَرُ أَنَّهُ أَفْتى لبعض أهل غَزَّةَ فَتَوَى قَدِمَ بها إلى دِمَشقَ ،
وأراد الحُكْمَ بها ، فاختلف فيها أَهلُ الشّامِ ، وحصل غايةُ العَجَبِ مِنْ
شخص يُخفي نَفْسَهُ مِنَ النَّاسِ ، ثم يُفْتِي بما يَفْضِي إلى التّزاعِ ، ثم جاء
الخَبَرُ أَنَّهُ رُوِيَ في حَمَاةٍ ثم في حَلَبَ وذلك في جمادى الآخرة أو شهر رجب
مِن السَّنَةِ ، ومن هناك تحقّق أَنَّهُ قَصَدَ بلادَ الرُّومِ ؛ لأنّ ملكها السُّلطان
محمد من أَهل التّقنُن في العِلْمِ والتّعظيم لأزبائِهِ ، فهو أَجْدَرُ الملوك بأنْ
يَعْرِفَ مِقْدَارَ الشّيخِ ، ثم جاء الخَبَرُ كما سيأتي أَنَّهُ مات في مدينة عَيْنتاب
رَحِمَهُ اللهُ وَآجَرَنَا في مَصِيبَتِنَا وَأَخْلَفَ لَنَا خيراً منها ، فلقد فقد النَّاسُ عالِمًا
قَلَّ أَنْ سَمَحَ الزّمانُ بمثله ، ودُفِنَ في الأرضِ مِنْ بحور العِلْمِ والعَقْلِ ،
وبُعِدَ الغُورُ ، ونافَذَ الفِكرُ ، وصائبِ الرّأيِ ، وصادِقِ الظّنِّ ، مالمو تَجَسَّدَ
لم تَسعِهِ ، هذا مع حسن السّكّالَةِ ، وخِفَةِ الرّوحِ ، ولَطَافَةِ المُحَادَثَةِ ،
وأنيس المُجَالَسَةِ ، وحلاوة النّادِرَةِ ، وجزالة النّظْمِ ، وفصاحة اللسانِ ،
وبلاغة القولِ ، وجلالة المعاني في كلّ ما يتوجّه إليه إلى غير ذلك مِنْ أمور
يُعْجِزُ البليغُ وَصَفُها وَيُعَيِّيه إفصاحُها وكَشْفُها .

وكان موته عن نيّف وأربعين سنةً أكثرها اسفار ، وبُعِدَ عن القرارِ ،
هذا مع ان أباه شيخ بلاد المغرب ورئيسها الذي تردد إلى بابه الملوك فمن
دونهم ، ولهم من الرياسة والضخامة ما يجبل عن الوصف ، ثم إنه مات
غريباً وحيداً كسيراً فريداً ، فسح الله له في قبره ما بينه وبين مولده آمين ،
وأخبرني تلميذه العلامة نجم الدين محمد بن العلامة القاضي وَلِيِّ اللهِ عبد
الله بن القاضي زين الدّين عبد الرّحمن ابن قاضي عجلون الدّمَشقي
الشافعي ، أَنَّهُ كثيراً ما كان يَسْمَعُهُ يُنْشِدُ هو بنفسه في ناسٍ قليل :

بَكَى صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الدَّرْبَ دُونَهُ وَأَيَّقَنَ أَنَا لَا حِقَانَ بِقَيْصَرَا
فَقُلْتُ لَهُ : لَا تَبْكُ عَيْنَاكَ إِنَّمَا نَحَاوُلُ مُلْكَا أَوْ نَمُوتُ فَتُعْذَرَا^(١)

قال : وكان إذا أنشدهما يهتزُّ لهما ، ويظهرُ عليه أنه يُريدُ محاولة أمرٍ عظيم لا يصدُّه عنه إلا الموت ، فسبحان الفعَّال لما يُريد الذي قَضَى أَنْ يموتَ بَعِثْتَاب ، بعد نشأته بِبَجَايَةِ مِنْ بلاد المغرب ، فأُسكن في قلبه ما أُسكن حتى كان سبياً حَامِلاً له على الذَّهاب إليها حتَّى مات بها .

وفي غياب النَّاسِ في بَرْكَةِ الْحَجَّاجِ لِلِقَاءِ الْحَاجِّ لِحَقِّ السُّلْطَانِ مَرَضٌ خَطِرٌ ، وَلَكِنَّهُ عُوِفِي مِنْهُ بِسُرْعَةٍ ؛ وَكَانَ سَبِيهِ أَنَّهُ يَوْمَ ضَرْبِ رِقَابِ الْفَرَنْجِ خَلَعَ لِبَاسَهُ وَكَانَ بِهِ عَرَقٌ ثُمَّ شَرِبَ بَطْنِيخَا صَيْفِيًّا ، وَلَمْ يُعَوِّضْ عَمَّا خَلَعَهُ شَيْئاً فَآخَذَ مِنَ الْبَرْدِ وَعُوِفِي قَبْلَ عَوْدِ النَّاسِ مِنَ الْبَرْكَةِ .

ثُمَّ أَسْلَمَ مَنْ بَقِيَ مِنَ الْفَرَنْجِ فِي أَوَائِلِ صَفَرٍ ، فَحَسَّنَ بَعْضُ الْمُفْسِدِينَ مِنَ الْأَتْرَاكِ أَنْ يَقْتُلَهُمْ ؛ لِأَنَّ إِسْلَامَهُمْ تَعَوُّذٌ وَلَيْسَ خَالِصاً ، فَأُخْبِرَ بِأَنْ هَذَا لَا يَسُوعُ ، فَكَفَّتْ عَنْهُمْ .

وَفِي أَوَائِلِ صَفَرٍ^(٢) أَيْضاً اخْتَفَى الْوَزِيرُ عَلَاءُ الدِّينِ بْنِ الْأَهْنَاسِيِّ ، فَوَلَّى السُّلْطَانُ الْوَزَرَ لِشَخْصٍ مِنَ الْأَتْرَاكِ اسْمُهُ فَارِسٌ^(٣) ، يَوْمَ السَّبْتِ ثَانِي عَشَرَ صَفَرٍ ، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى السَّدَادِ ، فَعَزَلَهُ^(٤) وَوَلَّى مَنْصُورَ الَّذِي

ولاية منصور
الوزر

(١) هذه الأبيات لامرئ القيس . راجع « ص ١٧٩ » .

(٢) في « حوادث الدهور » (٣٣٠) في يوم الخميس عاشره .

(٣) هو : فارس المحمدي الركني فيروز نائب مقدم الممالك ، أصله من سبي قبرص .

« حوادث الدهور » (٣٣٠) و « الضوء اللامع » (٦ / ١٦٣ رقم ٥٤٤) .

(٤) وذلك بعد ثلاثة أيام ، وقيل : بعد يوم واحد .

« حوادث الدهور » (٣٣٠) ، و « النجوم الزاهرة » (١٦ / ١٣٥) ، و « الضوء اللامع » (٦ /

١٦٣) .

كان صَهرُ الزَّينِ الإِسْتَدَّارِ ، وكان صَاحِبُ دِيوانِ قَانَمٍ وذلك يوم الاثنين رابع عشره ، نسأل الله تعالى صلاحَ الحالِ آمين . ثم عجز منصورٌ بسبب أن ابن الأَهْناسِي كان يُسَلِّطُ عليه مَمَالِيكَ يُؤْذُونَهُ ، فَعَلِمَ أنه ما اِخْتَفَى مِنْ عَجَزٍ وَلَكِنَّهُ كان مَعْتاداً بِأنَّهُ إذا أَظْهَرَ العَجَزَ رَفَدَهُ السُّلْطَانُ بِإِلٍ ، فَأَظْهَرَ السُّلْطَانُ [٢٢٩] أنه لَوْ أَظْهَرَ أَعَادَ إِلَيْهِ الوَزَرَ ، فَظَهَرَ أبوه الحاج محمد^(١) (وكان مِنَ العارِفِينَ بِأمرِ الوَزَرِ ، المَاهِرِينَ فِي الظُّلْمِ مع اللَّيْنِ) فِي العِشْرِ الأَخِيرِ مِنْ صَفَرٍ هَذَا ، فَذَكَرَ إِنْ قَوِيَتْ يَدُهُ سَدَّ ، فَأَلْبَسَهُ السُّلْطَانُ كَامِلِيَّةً . فَسَدَّ ، وَاسْتَمَرَّ ابْنُهُ مَخْتَفِياً^(٢) .

ومات فِي [هَذَا]^(٣) الشَّهْرِ ، عَلَّانَ الأَمِيرَ الكَبِيرَ فِي دِمَشْقِ^(٤) ، وَأَقَامَتْ وَظِيفَتُهُ وإِقْطَاعُهُ أَيَّاماً كَثِيرَةً يُدَلِّلُ عَلَيْهَا فِي مَنْ يَزِيدُ ، كَمَا يُنَادِي عَلَى السَّلْعِ ، حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَوَلَّيَهَا نَائِبُ الكَرْكِ ، وَوُلِّيَ الكَرْكَ^(٥) تَغْرِي بَرْدِي ، أَحَدُ مَمَالِيكَ السُّلْطَانِ القَدَمَاءِ ، ثُمَّ سَافَرَ إِلَيْهَا يَوْمَ الجُمُعَةِ^(٦) سَادِسَ جُمَادِي الأُولَى . وَفِي ذَلِكَ اليَوْمِ سَافَرَ النُّجُومُ بْنُ قَاضِي عَجَلُونِ .

(١) هو : محمد بن أبي بكر بن محمد بن حسين ، الشمس بن الأَهْناسِي الوَزِيرُ ، وَلَدَ قَبْلَ القَرْنِ التَّاسِعِ بِقَلِيلٍ ، وَتَرَقَّى فِي الدَّوْلَةِ المَمْلُوكِيَّةِ حَتَّى صَارَ مَقْدَمَهَا ، وَتَوَلَّى الوَزَرَ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ ، مَاتَ بَطْلاً فِي ربيع الآخر سنة ٨٧٣ هـ .

له ترجمة فِي « الضَّوءُ اللَّامِعُ » (٧ / ١٩٣ رَقْم ٤٥٥) .

(٢) رَاجِعْ هَذِهِ الحَوَادِثَ فِي : « حَوَادِثُ الدَّهْوَرِ » (٣٣٠) ، وَ« النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ » (١٦ / ١٣٥) ، وَ« بَدَائِعُ الزَّهْوَرِ » (صَفَحَاتٌ لَمْ تَنْشُرْ) (٦٩) .

(٣) مَا بَيْنَ الحَاصِرَتَيْنِ غَيْرِ وَاضِحِ الرِّسْمِ فِي الأَصْلِ ، وَالتَّصْحِيحُ مِنْ مَفْهُومِ السِّيَاقِ .

(٤) رَاجِعْ « هَامِش ٣ » مِنْ (ص ١٩) .

(٥) وَذَلِكَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ ١٢ ربيع الأول .

(٦) « النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ » (١٦ / ١٣٦) ، وَ« بَدَائِعُ الزَّهْوَرِ » (صَفَحَاتٌ لَمْ تَنْشُرْ) (٦٩) .

(٦) فِي « حَوَادِثُ الدَّهْوَرِ » (٣٣٣) فِي يَوْمِ الخَمِيسِ ٥ .

ثم تغلب العرب من هَوَّارة على بلاد الصَّعيد ، فنهبوا وأخربوا وانتشر فسادُهم حتى انقطع الجلب ، وأفسدوا الزَّرْع ؛ فغلت الأسعار بالقاهرة ، وفسدت الأحوال ؛ من فسادِ الكلمة ، وعجزِ السلطان ، وقلةِ حُرْمَتِهِ ، وعدمِ طَوَاعِيَةِ العَسْكَرِ لَهُ ، فأمر صهْرهُ الأَمِيرُ بُرْدُوكَ الدَّوَيْدَارَ الثَّانِي ، فَتَوَجَّهَ إلى بلادِ الصَّعيد يوم الاثنين ثاني عشر شهر ربيع الأول من سنة ٦٤ (١) هذه (٢) ، فأقام في بَرِّ الحِيْزَةِ ثلاثة أَيَّام إلى أَنْ وافاه من عَيْنِهِ السلطانُ للتوجه معه ، ثم ذهب أصلح الله به أحوال المسلمين ، ثم تبعهم الأَمِيرُ حاجب الحجاب بَرَسْبَايَ البَجَاسِي يوم الخميس (٣) خامس عشر الشَّهْرِ في البرِّ الشَّرْقِي ، وبلغني أنهم أرسلوا إلى مؤمن أمير عرب البُحَيْرَةِ وَغَيْرِهِ من أمراء تلك النَّوَاحِي ، ليأخذوا عليهم طُرُقَ الجبالِ لئلا يَنْقُذُوا إلى البرِّيَّة ، وأرسلوا إلى كل كاشفٍ في تلك البلاد ظفَّره الله بهم في صلاح المسلمين آمين .

وَبَلَّغْنَا أَنَّهُ مَاتَ فِي أَوَّلِ هَذَا الشَّهْرِ ، أَوْ أَوَاخِرِ الَّذِي قَبْلَهُ شَهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ الشَّيْخِ بَدْرُ الدِّينِ حَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَذْرُعِيِّ الْأَصْلُ الشَّامِي ، الشَّهِيرُ بِابْنِ قَاضِي أَذْرِعَاتِ الشَّافِعِيِّ ، أَخُو الضَّفْدَعِ ، وَكَانَ شَابًا فَاضِلًا ، أَظُنُّهُ فِي حَدُودِ الْأَرْبَعِينَ ، وَكَانَ يَنْوِبُ فِي الْقَضَاءِ (٤) .

وَمَاتَ أَيْضًا أَحَدُ نَوَّابِ الشَّافِعِيَّةِ الْقَاضِي الْبَارِعُ رَضِيَ الدِّينُ

(١) هكذا وردت في الأصل رقياً لا كتابة ، وهي سنة ٨٦٤ هـ .

(٢) خبر هذه التجربة في « حوادث الدهور » (٣٣٢) ، و« بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٦٩ - ٧٠) .

(٣) في « حوادث الدهور » (٣٣٢) في يوم الجمعة ١٦ .

(٤) راجع « هامش » ٣ من (ص ١٧١) من القسم الأول .

محمد^(١) بن الإمام العالم شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن بدر بن مفرج بن يزيد بن عثمان بن جابر العامري الغزي الأصل الدمشقي عن نحو خمسين سنة ، وكان فاضلاً مُفَنِّناً ، غَيْرَ أَنَّ عَقْلَهُ لم يكن رَصِيناً فَعَلَّقَ تَعَالِيْقَ فِي التَّارِيخِ وَغَيْرِهِ ، فِيهَا مَا يُضْحَكُ مِنْهُ ، وَامْتُنَحِنَ بِسَبَبِ بَعْضِهَا وَخَلَّفَ أَوْلَاداً لَيْسَ فِيهِمْ رَشِيدٌ ..

وتعاضم الطّاعون في هذا الحد في دِمَشق وجميع بلاد الشّام ووصلت بواده إلى بلاد مصر ، وذلك في كانون الأصم ، وهو طوبة بحساب القبط^(٢) فكان مِنَ العجائب ، وكان له مِنَ الصَّوْلَةِ ما يُزْعج القلوبَ ، ومع ذلك فَكَّرَ القَادِمُونَ إلى مِصرَ للسَّعْيِ في أَرْزاقِ المَوْتَى ، يخرج الإنسان منهم وربما خَلَّفَ فِي بَيْتِهِ مَيْتاً لَا يُمَهَّلُ حَتَّى يُجَهَّزَهُ ، ويكون أكثر باقِيَهُمْ صَرَعَى ، فلا يَصُدُّهُ ذلك في هذا البَرْدِ والأمطارِ والثَّلُوجِ ، وربما مات في الطَّرِيقِ إِنَّ هَذَا لَعَجَبٌ .

ومات في هذا الطّاعون أيضاً بدمشق المقرئ شمس الدين محمد بن البعباع^(٣) (بموحدين ومهملتين) البقاعي الشافعي ، عن نَيْفِ

(١) في « الضوء اللامع » (٦ / ٣٢٤ رقم ١٠٦٠) محمد بن أحمد بن عبد الله بن بدر بن مفرج بن بدر بن عثمان بن جابر ، رضي الدين أبو البركات بن الشهاب أبي نعم العامري الغزي ثم الدمشقي الشافعي ، المعروف بالرضي بن الغزي ، ولد في رمضان سنة ٨١١ هـ بدمشق ، ونشأ بها ، وقدم القاهرة ، وناب بالقضاء في دمشق ، حتى صار أحد أعيان الشافعية ، مات يوم الخميس مستهل ربيع الأول سنة ٨٦٤ هـ .

(٢) في « النجوم الزاهرة » (١٦ / ١٣٦) في أول شهر ربيع الآخر ظهر الطاعون بمدينة بلبيس ، وخنائقه سِرَ ياقُوس من ضواحي القاهرة ، وكان أول الشهر يوم الجمعة الموافق لأول طوبة من شهور القبط . راجع أيضاً « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٧٠ - ٧١) .

(٣) لم أعثر له على ترجمة فيها بين يدي من مصادر .

وستين سنة ، وكان قرأ السَّبْعَ على الشيخ صدقة ^(١) الضَّرير ، ثم قدم ابن الجَزْري فتلاً عليه ، وجمع بالعَشْرَ بَعْضَ القرآن سنة سَبْعٍ وعشرين ^(٢) وكان ذا كِرْاً للقراءات كثير التَّلَاوة ، وكان يَشْهَدُ ولم يكن بالموثوق به في صناعته رحمه الله .

وكان من أجلاب السلطان شخصٌ يقال له يونس كفك ، وكان من ممالك دُولات باي الدَّوَيْدَار ، فلما مات أخذه وحطَى عنده ، وكان من أكابر المفسدين على المباشرين وغيرهم ، وكان قد حَصَلَ من ذلك ثروة كبيرة ، وكان قد عَيَّنَه السلطانُ لأنْ يُلبَّسَ نائب الشَّام خِلْعَةَ الشَّتَاءِ في هذا العام ، فذهب وقد أخذ مرسومًا بمحاسبة النَّاسِ على الأَوْقاف وغير ذلك مما يَقْصِدُ به الأَدَى ، واستَجْلاب الأموال ، فلما وَصَلَ إلى دِمَشق طُعن فمات ، وكفى الله شره فاستراحت منه البلادُ والعِبَادُ والشَّجَرُ والدَّوَابُّ ، ألْحَقَ الله به أَقْرَانَهُ وَالزَّمَهُم المَهَانَةَ ، وكان موته في صفر فيما أظن ، وكان سِنَّةً فوق العشرين .

وحصل بعد سفر العسكر إلى الصعيد مَطَرٌ ما رَأَيْتُ في بلادِ مِصْرَ قَطٍّ مِثْلَهُ واستمرَّ نحو يومين لا يَفْتَر ، وكان معه هواءٌ باردٌ جدًّا ، وكان معظم المطر من أوَّل ليلة السَّبْتِ سابع عشر ربيع الأوَّل سَنَةِ أَرْبَع وستين ^(٣) إلى آخر ليلة الأحد ، فوردَ الخَبَرُ عن العسكر أَنَّهُ كان عليهم وَأَنَّهُ

(١) راجع هامش ٢٦ من (ص ٢٤) من القسم الأول .

(٢) وثبانية .

(٣) وثبانية .

منعهم من السفر، وأن كاشف البهنة محمد الصغير تقدم فلقى العرب فواقعهم، فهزمهم ثم لما لم يجدوا أحدا وراءه كروا عليه فما نعيم، وأرسل إلى من وراءه بذلك.

وفي أواخر يوم الخميس ثاني عشري شهر ربيع الأول المذكور، مات موت ابن الجيعان إبراهيم ابن الجيعان^(١)، صهر الجمال يوسف بن كاتب جكم على أخته بعد علة طويلة، من جمة أكلت عنقه، وكان سنه نحو ستين سنة، وكان مشكور السيرة في مباشراته ذخيرة السلطان والجيش وغالب مدارس القاهرة وصلى عليه عقب صلاة الجمعة في جامع الأزهر، ودفن في تربتهم في الصحراء، وشيعه من الأمراء الكبار والصغار والقضاة والفقهاء وغيرهم خلق كثير جداً؛ لئله ولأخيه علم الدين شاكر (وهو أكبر منه بنحو خمس عشرة سنة) وأولاد أخيه عليهم من الإحسان بالقول والفعل وما يرجون منهم لما تحت أيديهم من المباشرات.

وفي ليلة الاثنين^(٢) سادس عشري الشهر عمل السلطان المولود النبوي على عادته كل سنة، وكان أراد أن يعمله ليلة الاثنين ثاني عشر الشهر، فمنعه ذلك المطر الذي تقدم ذكره، فإنه بل الخيمة التي تنصب في الحوش لذلك، واسمها المدورة، وهي عظيمة جداً، بحيث أن عمودها الأوسط يكون دونه باعاً^(٣)، وطلب السلطان ابن ملك قبرس

(١) راجع هامش ٤ من ص ٣٧١ من القسم الأول.

(٢) في «النجوم الزاهرة» (١٦ / ١٣٦) يوم الأحد ٢٥.

(٣) باعاً: الباع مسافة ما بين الكفين إذا انبسطت الذراعان يمينا وشمالاً، ويقال: فلان طويل الباع: طويل الجسم، وطويل الباع في كذا: بلغ الغاية فيه.

«المعجم الوسيط» (١ / ٧٦).

وَأَخْضَرَهُ الْمَوْلِدَ وَأَجْلَسَهُ وَرَاءَهُ ، فَعَابَ عَلَيْهِ النَّاسُ ذَلِكَ ، وَكَانُوا لَا يَزَالُونَ يَعْيبُونَ عَلَيْهِ إِخْضَارَهُ مَحَافِلَهُ وَإِجْلَاسَهُ لَهُ فَوْقَ الْأُمَرَاءِ ، وَكَثْرَةَ إِقْبَالِهِ عَلَيْهِ .

وفي هذا الحد قدم كتاب من ..^(١) الدين ..^(٢) الشهير بابن القف الذي كان رئيس صفد ، وناظر جيشها من القدس ، يشكو من طول عُزْبَتِهِ ، وما حَصَلَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ مِنَ الضَّعْفِ فِي الْبَدَنِ وَالْفَقْرُ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْمَضَارِّ ، فَشَفَعَ فِيهِ الْأَمِيرُ بُرْدُوكَ الدَّوَيْدَارَ ، فُرِّدَ إِلَى بَلَدِهِ صَفَدَ ، وَكَانَ السُّلْطَانُ شَدِيدَ الْحَنَقِ عَلَيْهِ ، لَتَعَاظُمَ عَلَيْهِ لَمَّا كَانَ نَائِبَ صَفَدَ ، وَمُعَارَضَتِهِ لَهُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ فَقَبِلَ الشَّفَاعَةَ فِيهِ فِي هَذَا الْوَقْتِ ، ثُمَّ لَمْ تَمُضْ هَذِهِ السَّنَةُ حَتَّى رَدَّهُ إِلَيْهَا كَمَا يَأْتِي .

موت عمرو [٢٣٠] وفي يوم الثلاثاء ثالث عشر شهر ربيع الآخر من السنة ، قُبِيلَ عَصْرُهُ ، مَاتَ فَتَأَى عَمْرُو الزنجي الكوكائي ؛ بِمَرَضٍ دَمَوَى مَكَثَ بِهِ نَحْوَ أُسْبُوعٍ أَزَالَ عَقْلَهُ نَحْوَ يَوْمَيْنِ ، فَكَانَ لَا يَعْقِلُ إِلَّا سِيرًا إِلَى أَنْ كَانَ يَوْمَ مَوْتِهِ تَعَرَّقَ عَرَقًا كَثِيرًا يُشَبِّهُ الصَّمْغَ مِنْ ثَخَنِهِ وَتَلَزُّجِهِ ثُمَّ طَلَعَ مِنْ فَمِهِ وَأَنْفِهِ دَمٌ كَثِيرٌ ، وَمَاتَ عَقِبَهُ ، وَكَانَ سِنُهُ فَوْقَ عَشْرِينَ سَنَةً ، وَكَانَ قَوِيَّ الْبَدَنِ وَالْقَلْبِ ، طَوِيلًا ، عَبَلًا^(٣) ، رَبِيئَةً صَغِيرًا ، وَعَلَّمْتَهُ الرَّمْيَ وَالثَّقَافَ^(٤) ، وَكَانَ فِيهِ سَبَاحَةٌ ، وَمَكَارِمٌ ، وَمُؤَافَاةٌ ، مَعَ صَبْرٍ عَلَى الشَّدَائِدِ ، قَلِيلَ التَّشَكِّي لِلْهَمِّ يُصِيبُهُ ، يَتَلَقَّى الْأُمُورَ الصَّعَابَ بِالْبِشْرِ وَالتَّرْحَابِ ، وَلَهُ عِصْبَةٌ ، مَعَ دِينَ وَحُسْنِ خُلُقٍ ، وَكَانَ مَطْبُوعًا عَلَى النَّجْدَةِ

(١) بياض في الأصل بمقدار كلمة .

(٢) بياض في الأصل بمقدار كلمة .

(٣) عَبَلًا ضَخْمًا .

« المعجم الوسيط » (٢ / ٥٨١) .

(٤) الثَّقَافُ : إجادة اللعب بالسلاح . « المعجم الوسيط » (١ / ٩٨) .

والمعاونة على التائب ، قل أن عزائي أحد ، إلا ذكر شيئاً أعانته عليه .
مقبلاً على صلاته وخدمتي ، معرضاً عن جميع ما يتعانه السودان من
اللهو والمسكر والفساد ، غير أنه أراد الكون مع الزعر مرةً فنهيته عن
ذلك ، وهددته فكف عنه ، واستمر مقبلاً على ما ينفعه إلى أن مات في
الوقت المذكور ، ويسر الله له أعمالاً صالحةً قبيل موته زادته خيراً ومحبةً
إلى الناس ، وحين مريض وفي ديناً كان عليه لأناس مفرقين ولم يبق بينه
وبين أحدٍ علقه^(١) ، فكثرت تأسف الناس عليه ، وصلى عليه جمعٌ جمٌّ من
طلبة العلم وأهل الخير وكلهم يشهد له بالخير ، وكنت قد زوجته فأولدت
ابناً اسمه عبد الله ، ومات قبله ، وخلف بنتاً اسمها غالية ، ودُفن عند
مقابر أولادي وأرقائي علي يمين قبة النضر وراء القبر الذي فيه أمتي
زهرة ، وابني محمد سبط العلامة نور الدين البوشي رحمهم الله أجمعين ،
وجعلهم في خيرٍ مما كانوا عندي وجبر مصيبتهم فيهم ، وعوضني خيراً
منهم .

وكان الحاج محمد أبو الوزير قد استقل بأمر الوزر وأعرض عن ابنه ،
ثم عجز فاختنى في نحو العاشر من هذا الشهر^(٢) .

وكثر فساد الأجلاب وأذاهم للمباشرين ، فكان يُدولب^(٣) أمر الوزر

(١) عُلَقَة : العُلَقَةُ ، « كل ما يُكْتَنَى به من العيش ، وما يتعلل به الإنسان قبل الوجبة ، ويُقال :
له في هذا المال عُلَقَة ، ولم يبق عنده عُلَقَة بشيء » .

« المعجم الوسيط » (٢ / ٦٢٢) .

(٢) كان استقراره في الوزر في ٨ ربيع الأول ، واختفائه يوم الاثنين ١٩ منه . « حوادث الدهور »
(٣٣٢) ، و « النجوم الزاهرة » (١٦ / ١٣٥ - ١٣٦) .

(٣) يُدُولِبُ : يُدَوِّرُ ويتحايَل .

« محيط المحيط » (٢٨٧) .

شخص يُقال له البيائي^(١) (بموحَّدَتين) مع بقية المُعَامِلين ، وكان الأَجْلَابُ كُلُّ يوم يضربون المباشرين وتُقْفَلُ أبوابُ القلعة ، وكان يتفق من ضعف الكلمة ، وفساد الأمر ما لم تَرَهُ قط ، هذا مع فسادهم في المدينة ، بالنَّهْبِ والضَّرْبِ والإِغَارَةِ عَلَى الصَّيَّانِ والنَّسْوانِ ، فنسأل الله أَنْ يردَّ العاقبة إلى خَيْرٍ .

وفي يوم الخميس خامس عشر الشهر ، خُلِعَ على سعد الدين فَرَجَ الذي كان كاتب الممالك خِلعة الوَزَر ، بعد أن استعفى من ذلك ، فَوُعِدَ بأنَّ يُسَاعَدَ^(٢) .

وفي أواخر هذا الشهرِ أَنتهى شخصٌ من الأَجْلَابِ كَذِباً وفاةَ إنسانٍ ، وأَحَدَ إِقْطَاعَهُ ، فاستعانَ ذلك الإنسانُ بالدُّوَيْدار الكبير يونس فأوقفه للسلطان ، وساعده فَخَّشَن ذلك الجَلَبُ للسلطانِ ، ثم نزل إلى الدُّوَيْدار فسبَّه وأسمعه من الكلام مالا يُحْتَمَل ، فغَضِبَ من ذلك ، وطردَ النُّبَّاءَ عن بابه وعزَلَ نَفْسَهُ عن الحكم ، وانقَطَعَ في بيته^(٣) ، وكان قد تَكَرَّرَ في هذا الشهر إغلاقُ الأَجْلَابِ أبوابِ القلعةِ وتَعْوِيقُ الأمراءِ في كل صبيحة

(١) هو : محمد البياوي - نسبة لبيا الكبرى من الوجه القبلي - شمس الدين ، كان - يخدم بعض الطبَّاعين ، ثم عمل صبيّاً لبعض معاملي اللحم ، ثم مُعاملاً ومُؤَلَّ حتى صار رئيس جماعة ، ثم أصبح ناظر الدولة ، وتسمي بالقاضي ، ثم ترقى وتولَّى منصب الوزارة ، فأساء السيرة وانحط منصب الوزارة في ولايته له ، مات غريقاً مغرب يوم الأربعاء ٢٨ ذي الحجة سنة ٨٦٩ هـ .

له ترجمة في : « حوادث الدهور » (٥٨٠ ، ٦٩٢ ، ٧٧١ ، ٧٨٠) ، و « النجوم الزاهرة » (١٦ / ٣٤٠ - ٣٤٢) ، و « الضوء اللامع » (١٠ / ١١٨ رقم ٤٥٩) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (٢ / ٧٧ - ٧٨) .

(٢) خبر تولية سعد الدين فرج الوَزَر في « النجوم الزاهرة » (١٦ / ١٣٧) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٧١) .

(٣) كان ذلك في يوم السبت ٢٣ ربيع الآخر .

« النجوم الزاهرة » (١٦ / ١٣٨) .

خِدْمَةٍ عَنِ النُّزُولِ إِلَى بَيْتِهِمْ ؛ لِأُمُورٍ يَرِيدُونَهَا عَلَى تَكْلِيمِ السُّلْطَانِ فِيهَا ،
فَأَمَرَ السُّلْطَانُ فِي يَوْمِ الْاَحَدِ رَابِعِ عَشْرِي الشَّهْرِ أَنْ لَا يَطْلَعُوا إِلَى الْخِدْمَةِ
كَرَاهَةً أَنْ يَصْنَعُوا بِهِمْ أَيْضاً ذَلِكَ ثُمَّ إِنَّهُ أَنْزَلَ ابْنَ غَرِيبِ الَّذِي أَفْسَدَ
الْعُرْبَانُ لِأَجْلِهِ إِلَى اسْكَندَرِيَّةَ . وَقِيلَ إِلَى الْكَرْكِ ، وَقِيلَ بَلْ غَرَقَهُ ، وَأَشَاعَ
ذَلِكَ لِيُخْفِيَ أَمْرَهُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ . ثُمَّ تَحَقَّقَ أَنَّهُ شَيَّعَهُ إِلَى إِسْكَندَرِيَّةَ ، ثُمَّ
أَقْدَمَهُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ وَعَمَلَهُ بَوّاً^(١) كَمَا سَيَأْتِي .

وَفِي هَذَا الشَّهْرِ ، وَهُوَ شَهْرُ رَبِيعِ الْآخِرِ مِنْ سَنَةِ أَرْبَعٍ^(٢) هَذِهِ كَثُرَ
الْمَوْتُ فِي الْقُدُسِ ، وَمَا صَاقَبَهَا ؛ بِالطَّاعُونَ ، وَكَانَ فِي أَحْوَالِ الْمَوْتَى
عَجَائِبُ ، أَخْبَرَنِي الْعَلَّامَةُ كِمَالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ نَاصِرِ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي
شَرِيفٍ : أَنَّهُ مَاتَ مِنْ بَيْتِهِ وَبَيْتِ أَخِيهِ بَرَهَانَ الدِّينِ وَأَبِيهِمَا عَشْرَةُ أَوْلَادٍ ،
وَأَنَّهُ كَانَ لِلشَّيْخِ كِمَالِ الدِّينِ وَلَدَانِ ، أَحَدُهُمَا لَهُ أَرْبَعُ سِنِينَ وَدَخَلَ فِي
الْخَامِسَةِ ، وَالْآخَرُ لَهُ ثَمَانُ سِنِينَ ، فَاتَّفَقَ أَنْ مَاتَتِ امْرَأَةُ أَخِي الشَّيْخِ بَرَهَانَ
الدِّينِ قُبَيْلِ الطَّاعُونَ ، فَقَسَا ، فَقَالَ ابْنُ الْأَرْبَعِ : يَا أَبِي ، أَيْنَ امْرَأَةُ عَمِّي ؟
فَقُلْتُ لَهُ : أَلَمْ تَقُلْ لَكَ جَدَّتُكَ : أَنَّهَا ذَهَبَتْ إِلَى الْجَنَّةِ . فَقَالَ : وَأَنَا أَيْضاً
أُرَوِّحُ إِلَى الْجَنَّةِ وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ ، وَفُلَانَةٌ وَفُلَانَةٌ ، وَعَدَّ ثِنَاثِيَةَ أَنْفُسٍ مِنْ
أَوْلَادِنَا ، فَكَرِهْتُ ذَلِكَ ، وَزَجَرْتُهُ زَجْراً عَنِيفاً ؛ فَسَكَتَ قَبْلَ أَنْ يَنْتَهِيَ كَلَامُهُ ،
فَاتَّفَقَ أَنْ جَمِيعٌ مِنْ سَمَاءِهِ مَاتَ ، وَمَاتَ اثْنَانِ غَيْرَهُمْ ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ لَوْلَا
زَجْرِي لَهُ كَانَ سَمَاءُهُمَا ، وَأَمَّا ابْنُ ثَمَانَ فَلَمَّا حُضِرَ جَلَسَ فِي أَوَاخِرِ نَزْعِهِ عَلَى
هَيْئَةِ الْمُتَشَهِّدِ ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى الْبَابِ وَهُوَ فِي الْقَبْلَةِ ثُمَّ انْجَمَعَ خَائِفاً ثُمَّ ثَبَّتَ
نَفْسَهُ وَأَعَادَ النَّظَرَ ، وَقَالَ : يَا مَلَائِكَةَ رَبِّي ، اشْهَدُوا أَنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ

(١) بَوّاً : جَاءَ فِي « لِسَانِ الْعَرَبِ » (١٨ / ١٠٨) ، الْبَوُّ الْحَوَارُ ، وَقِيلَ جِلْدُهُ يُخَشِّي تَبْنًا ، أَوْ ثِيَامًا ،
أَوْ حَشِيشًا .

(٢) وَسْتَيْنِ وَثِنَاثِيَةَ .

إلا الله ، وأنَّ محمدًا رسول الله ، ثم اضطجع على جنبه ومات .

وفي الأحد مستهل شهر جمادي الأولى من السَّنة قَدِمَ الأميرُ بُرْدُبَك الدَّوَيْدَار ، والأميرُ بَرْسَبَاسَ البَجَاسِي حاجب الحِجَابِ صَهِرَ السلطان ، ومن معهما من الأمراء والأجناد من سفر الصعيد ، فناموا في القِرافَةِ ، وقَدِمُوا معهم بأربعة عشر رجلاً رؤوس عرب قتيل ^(١) وهم العرب المفسدون ، فقتلوا وسُلِخوا ، وخافَ أمرهم جميعُ العرب ، ودَوَّخوا جميعَ تلك البلاد ، وأَذَلُّوا بني كَلَبِ ^(٢) ، وكانوا من أهل الفَسَادِ ، وكانوا مع ذلك مُحْتَمِينَ بابنِ السلطانِ ، وكان الذي صنع ذلك كله بُرْدُبَك ، وأما الأميرُ بَرْسَبَاسُ فكان في بَرِّ الشَّرْقِ ، ليمنع مَنْ أراد منهم الهروبَ إلى ناحيته ، فلم يأتَهُ منهم أحد .

وفي هذا الشهر كثر الموتُ بالطَّاعون في القَاهِرَةِ ^(٣) ، وكان من أوائل من ابتدأ به الأميرُ يُونُسُ العلاني أمير آخور ، فصار يموت من ممالكِهِ وعياله حتى لم يبقَ عِنْدَهُ كبيرٌ أَحَدٌ ، ثم مات هو ^(٤) يوم الاثنين ثالثَ عَشْرِ الشَّهْرِ .

وفي هذا اليوم ماتت بنت بدر الدين خصبك ^(٥) قرابة خَوْنَدَ زِينب امرأة السلطان .

(١) قتيل : قبيلة من جماعة جعفر بن عمر ومنازلهم من سوسة إلى بئر السَّدرة ، حدود الديار المصرية ، على مسافة شهر يسير القوافل من الإسكندرية .

« مسالك الأبصار - قبائل العرب » (١٨١) .

(٢) كَلَبٌ : بطن من كان بنواحي منفلولط بالديار المصرية .

« نهاية الأرب » (٣٦٥) ، و«معجم قبائل العرب » (٣ / ٩٩٠) .

(٣) جاء في « النجوم الزاهرة » (١٦ / ١٣٩) أن الطاعون وقع بالأرياف قبل القاهرة بمدة ، فلما

أخذ في الانحطاط من الأرياف نفث في القاهرة ومصر وضواحيها .

(٤) راجع « هامش ١ » من (ص ٣٢٦) من القسم الأول .

(٥) راجع « هامش ١ » من (ص ٢٤٢) من القسم الثاني .

وتأخر امتدادُ حصولِ البردِ في هذا العام إلى أن نزلت الشمس^(١) الحمل ، وبعد أن نزلت بأيام ، فكان كما كان في قلب الشتاء أو أقوى ، وكان بعض من ينتسب [٢٣١] إلى معرفة الطب يذكر أن تأخر البرد على هذا الوجه من أسباب زيادة الموت والله تعالى أعلم .

وعُيِّنَت^(٢) إمرة آخور لحاجب الحجاب برُسبائي البجاسي ، وعينت حجووية الحجاب لقائم التاجر أحد أعيان المؤيديه فأبأها واعتل بأنه لا تركب الآن في خدمته إلا مملوكان ؛ لما كان وقع بين ممالكه وبين ممالك السلطان ، ولم يسأله السلطان يوماً عن سبب ذلك ، ولا لام ممالكه في أمره ، وفي هذا وهن له ، ولا تصلح وظيفة حكم مع وهن الكلمة ؛ فنقلت إلى أحد أخوته سودون قرقش وعين إقطاع أمير آخور يونس لشرباش كُرد ، وعين إقطاع شرباش وإمرته لجانبك ناظر جدة ، أحد ممالك الظاهر جقمق^(٣) .

وفي يوم الخميس سادس عشري الشهر لیس برُسبائي وسودون خلعتين على عادتهما .

وفي أوائل عام أربعة وستين^(٤) هذا أظنه في هذا الحد^(٥) مات شمس الدين محمد بن ابراهيم بن أحمد بن داود بن عمر بن علي

(١) برج الحمل .

(٢) كانت هذه التعيينات في يوم الخميس ٢٦ جمادي الأولى .

« النجوم الزاهرة » (١٦ / ١٤١) .

(٣) راجع الخبر في : « النجوم الزاهرة » (١٦ / ١٤١) ، و« بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر)

(٧١ - ٧٢) .

(٤) وثباته .

(٥) في « الضوء اللامع » (٦ / ٢٤٤) في صفر من سنة ٨٦٤ هـ .

الأنصاري الحلبي الشافعي^(١) أحد أعيان الموقعين في ديوان الإنشاء، وأقدمهم بالقاهرة لعلّه عن نَيْفِ وثمانين سنة، وكان طويلاً، ذا لِحْيَةٍ هائلة طولاً وعَرْضاً، ولديه فضيلةٌ، وله خَطٌّ حَسَنٌ وعِبَارَةٌ جَيِّدَةٌ، وله سَمَاعٌ على السَّراجِ البُلْقِينِي في سنة ثمانمائة أوَّل هذا القَرْنِ مِنَ الرِّوَضَةِ وَغَيْرِهَا، وأجاز له، وكذا أجاز له السَّراج (٢) عمر بن علي الأنصاري بن المُلَقَّنِ وادَّعى أنه سمع على المحدث شمس الدين (٣) محمد بن موسى بن سند اللخمي الشافعي جملةً من كتب الحديث وكتب أسانيدِهِ بها ولكنه لم يصدق في ذلك لريبة ظهرت، وكان ينسب إلى تساهلِ رحمه الله.

وفي أَوَخرِ جَمَادِي الأوَّلَى وجميعِ جَمَادِي الآخرة تَفَاقَمَ أمرُ الطَّاعُونَ في القَاهِرَةِ، بحيث بَلَغَ كُلُّ مَنْ مَصَلَى بابِ النَصْرِ، والبياطرة، وسبيل

(١) كان مولده في حلب سنة ٣ أو ٤ أو ٥ أو ٧٧٨ هـ.

له ترجمة في: «عنوان الزمان» (مخطوط) (٣٨٥ - ٣٨٦)، و«الضوء اللامع» (٦ / ٢٤٣ رقم ٨٥١).

(٢) هو: عمر بن علي بن أحمد بن محمد بن عبد الله، السراج أبو حفص بن أبي الحسن الأنصاري، الواديائي، الأندلسي، التكروري الأصل، المصري الشافعي المعروف بابن المُلَقَّنِ، ولد في ربيع الأول من سنة ٧٢٣ هـ بالقاهرة، وسمع على ابن سيد الناس، ولازم الزين الرَّحْمِيَّ، ومُعَلِّطاي، واشتغل بالتصنيف وهو شاب حتى بلغت تصانيفه ثلاثمائة مصنف، احترق غالبها قبل موته، ومن تصانيفه: «شرح البخاري»، و«شرح العمدة» مات ليلة الجمعة ١٦ ربيع الأول سنة ٨٠٤ هـ.

له ترجمة في: «الدليل الشافي» (١ / ٥٠٢ رقم ١٧٤٧)، و«الضوء اللامع» (٦ / ١٠٦ رقم ٣٣٣)، و«حسن المحاضرة» (١ / ٤٣٨ رقم ١٨٤)، و«شذرات الذهب» (٧ / ٤٤ - ٤٥).

(٣) هو: محمد بن موسى بن محمد بن تميم اللخمي، المصري الأصل، الدمشقي الشافعي، المعروف بابن سند، ولد في ربيع الآخر سنة ٧٢٩ هـ، وطلب الحديث في حدود الخمسين، وسمع عن جماعة بدمشق، ومصر، والقدس، ألف وخرَّج، وكان من أحسن الناس قراءة للحديث مات في عاشر صفر سنة ٧٩٢ بدمشق.

له ترجمة في: «حسن المحاضرة» (١ / ٣٦٠ رقم ٩٣)، و«شذرات الذهب» (٦ / ٣٢٦ - ٣٢٧).

المؤمني ، وجامع الأزهر أربعمئة إنسان في كل يوم ، وقيل زاد على الستمئة ، فكان تقدير عدد الموتى تقريباً في جميع البلاد في كل يوم نحو خمسة آلاف إنسان ، والعجب أن تعريف^(١) الوزير لم يبلغ قط ثلاثمئة في اليوم ، وكان منه ممالك السلطان والأمراء ، فبلغوا في بعض الأيام مائة ، ومات من ممالك السلطان إلى ثاني عشري هذا الشهر نحو تسعمئة كان من متمرديهم عدة نحو : قرقماش النصراني ، ومُغَلَّبَاي الأقطش وغيرهما ومات محمود بن المحبي محمد بن الشحنة في يوم الجمعة ثامن عشره . ومات ابنه يحيى يوم السبت تاسع عشره^(٢) .

وفيه مات الشَّيْخ بدر الدين (٣) محمد بن العلامة مجد الدين إسماعيل البرماوي مطعوناً عن نحو ستين سنة ، وكانت عنده فضيلة وكان يظهر زهداً ووسوسة في أمر الطهارة تتجاوز الحدَّ ، فقدمه ذلك عند ناظر الخاص الجمال يوسف بن كاتب شكَم في حدود سنة ثلاث وخمسين (٤) وكان يُعْطِيهِ كثيراً من الصَّدَقَات ليفرَّقها .

وفيه في أَوَاخِرِهِ^(٥) ، ماتت فتاتي شهيدة ، امرأة فتاتي عمرو عن غالية ابنتها من عمرو .

(١) تعريف جاء في « النجوم الزاهرة » (١٦ / ١٣٩) التعريف عدة من يرد اسمه في الديوان من الأموات .

(٢) راجع عدد ضحايا الطاعون في هذه الفترة في « حوادث الدهور » (٣٣٦ - ٣٣٧) ، و« النجوم الزاهرة » (١٦ / ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٦) .

(٣) هو : محمد بن إسماعيل بن أبي الحسن علي بن عبد الله ، البدر بن المجد البرماوي الأصل القاهري الشافعي ، ولد تقريباً سنة ٧٩٦ هـ بالقاهرة ونشأ بها .

له ترجمة في « الضوء اللامع » (٧ / ١٣٨ رقم ٣٣٥) .

(٤) وثلاثمئة .

(٥) جمادى الأولى .

وفي أواخره ^(١) أيضاً مات شرف الدين موسى بن المحب محمد بن زين الدين الحلبي موقع كاتب السرّ ، ومات ولده يحيى يوم الأحد العشرين منه وأخرجهما معاً .

وفي آخر يوم الأحد هذا مات ابني أبو اليسر محمد بن فتاتي حُلوه الحبشية شهيداً مطعوناً تحت إبطه الأيسر عن ستين وتسعة أشهر لا تزيد يوماً ولا تنقصه ، نعم تزيد ساعة ، فإنه وُلِدَ في أواخر يوم العشرين من شهر رمضان سنة إحدى وستين ^(٢) وكان في غاية ما يكون من طُمأنينة النَّفْس والسَّكينة والوقار والذكاء ، كان لا يراني أفعل شيئاً إلا سألني عن علته ، وكان يشب شباباً لا تشبهُ الغلمان ؛ زحف على بطنه في الشهر الثامن ، واشتدَّ فُهمُه في التاسع ومشى في أول الخامس عشر ، ودَرَجَ دَرَجاً حسناً في السادس عشر ، وفُطِمَ يوم الخميس بعد العصر من يوم الخميس ثامن عشر شهر رمضان سنة ثلاث وستين ^(٣) . وكان في طوله عند موته وعَبَالَةٍ بِدَنه يُظَنُّ أَنَّهُ ابن خمس سنين ، وكان يركبُ الفَرَسَ ، ويطلب المقرعة ، فيأخذها في يده كهيئة الفارس العظيم ، وكان لا يُطلب منه شيء إلا أعطاه ، فكان يُتَوَسَّمُ فيه العلم والدين والكرم والرياضة والشجاعة ، وكان أنسي حيث لا أنيس ، وجَلَسِي وقد قلَّ الجليس فقلت :

لقد هدّني قول النواعي لقد أودى	محمدُ يا قلبي وسمعي وناظيري
وإن قال قومٌ إنّه جاوز الحدّ	فوالله لا أنفك أشدّو بذكرِكم
بقُربك لا تحتّاجُ هزلاً ولا جدّاً	لقد كنت لي أنساً وكانت مجالسي

(١) جمادي الأولى .

(٢) وثمانمائة .

(٣) وثمانمائة .

رَعَى الله أَوْقَاتًا مَضَتْ فَمَضَتْ بِهَا وَحَقُّكَ رُوحِي لَا رَأَيْتُ لَكُمْ فَقْدًا
ثم قلت :

لم يبق مِنِّي بعد فقد محمد إلَّا الدموعُ نواطقاً بغَرامِي
لم يبق مِنِّي غَيْرُ معنى كاشفٍ عن فَرْطِ أَشْجَانِي وَعَظْمِ سَقَامِي
لم يبق مِنِّي غير طَرْفِ نَائِرٍ دَرَّ الدموعُ وخاطرِ نَظَامِ
فَالْقَلْبُ يَنْظُمُ كُلَّ مَعْنَى رَائِقٍ وَالْعَيْنُ تَنْشُرُ كُلَّ دَمْعٍ دَامِ

واتفق أن ماتت غالية بنت فتاي عمرو في أواخر ليلة الاثنين حادي
عشره فدفنتهما في قبر واحد أمام ابني أبي حاتم محمد الذي مات سنة
ثلاث وخمسين .

وفي يوم الثلاثاء ، ثاني عَشْرِي جمادي الآخرة هذا ، مات [زين] ^(١)
الدين عبد الرحيم ابن الشيخ بدر الدّين محمود العيّني الحنفي ، وكان
ناظر الأحباس ، فأخذه عنه الشيخ سراج الدين عمر بن [حسين بن
حسن] ^(٢) العبادي الشافعي ^(٣) ، بعد أن استمر شاعراً مدّة ؛ بسبب أن
خُشِقَ دَمَ أمير سلاح كان صَهْرَه ، فكان يريدُ أن يكون من يَتَوَلَّى نَظَرَ
الأحباس نائِباً عن ابن العيّني المتوفى ، فكان لا يجسرُ أَحَدٌ من له تعلقٌ

(١) ما بين الحاصرتين بياض في الأصل ، والتصحيح من مصادر الهامش التالي .

(٢) ما بين الحاصرتين بياض في الأصل ، والتصحيح من مصادر الهامش التالي .

(٣) هو : عمر بن حسين بن حسن بن أحمد بن علي بن عبد الواحد بن خليل بن الحسن السراج
أبو حفص بن البدر العبادي الشافعي ، ولد سنة ٨٠٤ هـ تقريباً بمدينة عباد من الغربية ، ثم تحول منها
وهو مميز إلى طنتدا ، وقدم القاهرة مرتين وقطنها سنة ٨١٧ هـ ، وأخذ عن أبرز علمائها ، وتصدى
للتدريس ، وولي إمامة الجمالية ، ومشیخة التصوف بالباسطية ، وتدریس الفقه بالبرقوقية ، ومشیخة
سعيد السعيدا ، مات في ربيع الأول سنة ٨٨٥ هـ .

له ترجمة في « الضوء اللامع » (٦ / ٨١ رقم ٢٧٨) .

بالدَّوْلَة على مخالفة هذا الغرض ، ولا يرون لأنفسهم في ذلك غِبْطَةً ،
فوثب عليه السراج المذكور ، ولم يلتفت إلى غَيْظِ أمير سلاح ولا رضاه ،
فأصاب .

وفي ليلة الأربعاء ثالثَ عَشْرِي جمادي الآخرة هذا ماتت فتاتي ثرياً
الهندية الدابلية ، أم ابنتي ، أم هاني فاطمة ، قريب العشاء ودَفَّتْها في يوم
الأربعاء المذكور عَزْبِي قبر ابني أبي اليسر محمد إلى جانب رأسه ، ولَقَدْ
كانت مع كونها هندية رِيْضَة دِيْنَة هَيَّنة لِيْنَة يرحمها الله .

[٢٣٢] وفي هذا اليوم ، وهو ثالثَ عَشْرِي جمادي الآخرة تجاوز الموتى
من ممالك السُّلْطَان الألف .

وفي أواخره ^(١) مات شرفُ الدِّين بن أَصِيل ^(٢) ، وأَوْصَى أن يكون
عمق قَبْره اثني عَشْر ذِراعاً لئلا يُدْفَن عليه أحد ودُفِن يوم الأربعاء ثالثَ
عَشْره على نحو ما أَوْصَى ، وكان رجلاً صَيِّداً ، ومات عن نحو ستين سَنَة .

ومن العشرين من هذا الشهر تناقص الطَّاعُونُ في الحَسِينِيَّة وما ولاها ،
واشْتَدَّ في نواحي القَلْعَة من جنوبي البلد ، فَصُلِّي يوم الجمعة خامِس
عشري الشهر في جامع الحاكم على خمسة عشر وفي جامع الأزهر على
نحو عشرة ، وكان في كلِّ منهما في الجمعة التي كانت ثامن عشرة نحو
ثلاثين ، وَصُلِّي يوم السَّبْت سادس عشره في باب النصر على مائتين

(١) يوم الثلاثاء ٢١ .

«الضوء اللامع» (٩ / ١٣٦) .

(٢) هو : محمد بن محمد بن عثمان بن أيوب بن عثمان ، الشرف العمري الأشليمي القاهري ،
المعروف بالأصيلي ، ولد بأشميم ، ثم قدم القاهرة ، واشتغل عند البيجوري ، والشرف السبكي
وغيرهما ، وتنزل في الجهات ، وباشر الكاملية والقبطية ، وأنحَر ، فنمت أمواله ، مات يوم الثلاثاء جمادي
الآخرة سنة ٨٦٤ هـ . له ترجمة في «الضوء اللامع» (٩ / ١٣٦ رقم ٣٤٦) .

واثني عشر ، بعد أن زاحم في وسط الشهر الستمائة ، ولكنه صار بعد النقصان في المعروفين من الناس أغلب وفشى في الكبار في السنّ.

وفي يوم السَّبْتِ هذا ، مات الفقيه بشير (١) كرد بن عبد الله الهندي الشافعي عن نحو ثمانين سنة ، وكان تاجراً سَفَّاراً صَالِحاً خَيْراً على طريق السَّلَفِ الصالح ، وكان مقرئاً فَرَضِيّاً فقيهاً نَحْوِيّاً مُفَنِّناً كثير العِبَادَةِ ، رحمه الله ونفعنا به .

وفيه رُفِعَ إلى السلطان ثلاثة من البزادرَة ، وهم أهل طيور الصَّيْدِ السلطانية يتعاطون الفساد على نسائهم ، وبالتهب والخطف ، وقيل له : أَنَّهُمْ يَتَجَوَّهُونَ (٢) على الناس بك وبولدك ، فأمر بِتَسْمِيرِهِمْ ثم تَوَسَّطَهُمْ ففعل ونوديَ عليهم في الأسواق ، فكثر الدَّعَاءُ للسلطان ، وذَلَّ بهم البَزَادِرَةُ ، وهم أَنَجَسُ الناس وأَجَرَ أَمهم زادهم الله خِزْيَاً .

وفي هذا اليوم ماتت خَوْنَد [زينب] (٣) بنت شَرِبَاش خاشوق زوجة بنت شرباش الشرف الأنصاري التي أخذ نسبها ، وكانت زَوْجَةً الظاهر جقمق ، مطعونة ، وحمل على جنازتها حَجَلَةٌ (٤) مزركشة وهي المدعوة بشخاناه ورايات عظيمة من بيتها عند جامع بَشْتِك إلى مدرسة الظاهر برقوق بين القصرين فدفنت بها ، وحضرها جميع الأعيان من جميع الطوائف ،

(١) هو : بشير الحبشي ثم القاهري ، مولى الخوaja يعقوب كرت ، اشتغل على عدد من علماء عصره في فنون مختلفة : القراءات ، والفقه ، والفرائض ، والحساب ، كما عمل بالتجارة فأثرى .

له ترجمة في « الضوء اللامع » (٣ / ١٦ رقم ٧٠) .

(٢) يَتَجَوَّهُونَ : الجاه المنزلّة والقَدَر ، وَتَجَوَّهَ فلانٌ ، تَكَلَّفَ الجاه « المعجم الوسيط » (١ / ١٤٩) .

(٣) ما بين الحاصرتين بياض في الأصل ، والتصحيح من مصادر الهامش التالي .

(٤) حجلة : ساتر كالقبة يزين بالثياب والستور للعروس ، وستر يُضرب للعروس في جوف

البيت .

« المعجم الوسيط » (١ / ١٥٨) .

وكان بينها وبين الأنصاري عِشْقٌ عَظِيمٌ ، فيقال : إنه أُغْمِيَ عليه لما بلغه احتضارها وتشاءم به من يلوذ بها مِنَ النساء ، مِنْ أُمِّهَا وغيرها ، فلما حَضَرَ إلى البَرْقُوقِيَّةِ لم يَجْسُرْ على الجلوس في القبة ولا الأيوان الكبير ، ولا في مكان تُمكن رؤيتهن له ، وهن على مجلس في الأيوان الشرقي على هيئة المرضى ، ولم يجلس عنده أحدٌ مِنَ الأعيان ، ولا حمده على جلوسه هناك إنسان .

وكانت هذه المرأة في غاية الخطوة عند الظاهر دون بقية نسائه ، واشتهر عنها الفساد مع شاهين الخصي المشهور بغزالي ، ويقال : إن ذكره لم يقطع منه سوى نصفه وزادت محنتها بها إلى أن دعت الأدباء فنظموا لها فيه الأشعار ، وشاع بعض ما نُظِمَ في القاهرة وُعِنِي به أكثر الناس في كل موطن ، حتَّى العبيدُ والجواري إلى [أن] ^(١) خاف شاهينُ سماعَ السلطانِ لذلك ، وكان جانبك الوالي صديقه ، فأمر فنودي في أرجاء البلدان ، من غنى شاهين غزال حَلَّ به ، وحَلَّ ، حتَّى كفَّ النَّاسُ عن ذلك ، ثم فسدت مع غيره إلى أن استمالها الأنصاري ، بعد موت الظاهر ، فأحب كلُّ صاحبِه فتزوَّج بها سِرّاً ، وكان يَتَخَفَى ليلاً وينزل مع بعض ملاحِي بِرَكَّة الفيل في بعض القوارب التي هناك ، بمثل ثياب الملاحين ويطلع إلى عندها مِنَ القيطون ^(٢) ، وكان قد فعل مع خَوَند بنت طَطَرْ ، زوجة الأشرف بَرَسباي مثل ذلك إلى أن وُلِّي نَظَرَ الجيش في الدَّوْلَة ، فاستأذن

(١) ما بين الحاصرتين إضافة اقتضاها السياق .

(٢) القيطون : من الأعمال الشرقية ، عبرتها ألفي دينار ، ومساحتها ٦٢١ ، أو ٦٢٩ فداناً ، والقيطون أيضاً من أعمال الغربية ، عبرتها ٨٠٠ دينار ، ومساحتها ٨٥٠ أو ٥٥٠ فداناً .
« الانتصار » (٢ / ٥٧ ، ٥٨) ، و « التحفة السنية » (٢١ ، ٦٨) .

السلطان في زواجها ، وبذل له ما أرضاه به ولأركان الدولة ، فأذن له ، فأظهر زواجها ونقلها إلى بيته واستخف أمر هذه الدولة ، وقيل عنه أنه قال : كلُّ ثانٍ لابد له من ثالث يُعرَّضُ بزوجة الأشرف إينال ، فأخذ بسبب ذلك أخذاً عنيفاً كما تقدم .

وفي هذا الحد ، وجدت نقصاً في قوتي وبرِّدًا في بعض الأوقات وطلب جسدي معه الاضطجاع ، وقد كنت قبل ذلك لا أضطجع إلا نادراً ، بل كنت إذا نمت في النهار أنام جالساً ، واستمر ذلك يتزايد إلى أن انْقَطَعَتْ مِنْهُ في ثامن عشري الشهر ولزمت الفراش ، ثم مات ابني أبو اللطف في اليوم الثاني كما يأتي ، فتجشمت المشي للصلاة عليه ، ثم ركبت إلى قبره ، فقممت على دفنه فتمكن فيَّ المرض ، وتزايد ، فغلط فيَّ الأطباء فعالجوني بالأشياء الباردة ، لظنهم أن المرض حاد ، لأنه كانت بي حكة شديدة قبل ذلك من أوائل ربيع الأول ، وإذا المرض بارد والحمى بَلْغَمِيَّةٌ ، فزاد فِعْلَهَا وقوي تمكُّنها ، فصار لساني في غشاء من بَلْغَمٍ ، وانقطع الرئُّ من فمي أصلاً ورأساً ، وكنت أحس على فم معدتي بلغمًا مغروساً بمقدار الرِّغيف وامتنعت مِنِّي شهوة الأكل ، وأمَّا الماء فكنت لا أقدر على سماع حسه ، فضلاً عن إيصاله إلى فمي ، ثم فطن الأطباء لذلك بَعْدَ نحو خمسة أيَّام ، فعكسوا العِلاج فإذا الداء قد استحكم ، وكانت أحوالي كل يوم في لونٍ ، لكن استمر راسي صحيحاً ، وذهنِي حاضراً إلا أنني لا أقدر على قراءة ولا كتابة ، بل وإذا نظرت إلى الكتب وهي موضوعة في رفوفها يوجعني باطني إلى أن أجد طعم الموت في ذلك ، بعد أن كنت لا راحة لي إلا في المطالعة ليلاً ونهاراً .

لما علمت غلظتهم ، واعترف به اليهوديُّ ، وأمَّا المسلمُ فكابر ، قطعت مطامعي منهم ، وقطعت علائقي ممن قدرت عليه من الخلائق ، وجعلت

فَصَدِي كُلِّهِ إِلَى اللَّهِ ، فَكَانَ مَنْ عَادَنِي ، أَطْلَبَ مِنْهُ مَاءً زَمْزَمَ ، فَإِنْ كَانَ عِنْدَهُ ، وَإِلَّا سَأَلْتُهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى عِنْدِ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَأَحْضَرَ إِلَيَّ شَيْءَ كَثِيرٍ مِنْ ذَلِكَ ، وَكَنتُ أَتَدَاوِي بِشُرْبِهِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ وَالْحَسَنِ^(١) ، فَاتَى اللَّهَ بِالْفَرْجِ ، فَتَقَيَّاتُ شَيْئاً أَضْفَرَأَ مُرّاً ، فِي ثَلَاثِ دَفْعَاتٍ ، فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مُتَوَالِيَاتٍ ، قَدَّرْتُ أَنَّهُ يَكُونُ بِمَقْدَارِ زِيَادَةِ عَلَى صَفَارٍ مِائَةِ بَيْضَةٍ ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ : أَتَى الْفَرْجُ بِشَيْءٍ مَا كُنَّا وَاللَّهِ نَقْدِرُ عَلَى إِخْرَاجِهَا بِأَذْوِيَةٍ وَلَا حَقْنَ ، وَلَكِنْ هَذَا أَمْرٌ رَبَّانِي وَاعْتَرَفَ الْمُسْلِمُ بِنَحْوِ ذَلِكَ ، وَصَارَ الْبَلْغُمُ يَنْزِلُ مِنِّي قِطْعاً مِنَ الْقُبُلِ مَعَ الْبُورِ^(٢) ، وَمِنْ الدَّبْرِ .

وَاسْتَمَرَّتْ مُنْقَطِعَةً إِلَى الْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ ، وَاسْتَمَرَّتْ^(٣) نَاقِيَةً لَا أَقْدِرُ عَلَى كَبِيرِ حَرَكَةٍ ، وَكَنتُ لَا أَشْتَهِي الطَّعَامَ شَهْوَةً صَادِقَةً ، وَلَا يَنْهَضُمُ إِذَا أَكَلْتُ إِلَّا بِنَقُوعٍ^(٤) وَصَفَهُ لِي الطَّبِيبُ ، وَحَتَّى زِدْتُ فِي الْأَكْلِ شَيْئاً عَنْ عَادَتِي ثَقُلَ عَلَيَّ ، وَوَجَدْتُ حَمُوضَتَهُ وَأَمْرَضَنِي أَيَّاماً ، فَقَدَّرْتُ أَنْ وَقَعَ فِي نَفْسِي أَنْ الْفَضَاءَ يُنْعِشَنِي فَانْتَقَلْتُ بَعِيَالِي

(١) يشير بذلك إلى قوله ﷺ ، فيما رواه عنه جابر بن عبد الله رضي الله عنه : « ماء زَمْزَمَ لما شُرِبَ لَهُ » .

« سنن ابن ماجه » (كتاب المناسك - باب الشرب من زمزم ، ج ٢ ص ١٠١٨ ، الحديث الثاني من الباب ٣٠٦٢) .

وكذلك إلى قوله ﷺ فيما رواه عنه ابن عباس رضي الله عنه : « ماء زَمْزَمَ لما شُرِبَ لَهُ ، فَإِنْ شَرِبْتَهُ تَسْتَشْفِي بِهِ شَقَاكَ اللَّهُ ، وَإِنْ شَرِبْتَهُ مُسْتَعِزِّدًا عَاذَكَ اللَّهُ ، وَإِنْ شَرِبْتَهُ لِيَقْطَعَ ضَمَّاكَ قَطْعَهُ » .

وهو حديث صحيح الإسناد إن سلم من الجارودي ، ولم يخرجاه « المستدرک للحاکم » (كتاب المناسك ، ١ / ٤٧٣) .

(٢) البور : الفم وما حوله .

المعجم الوسيط ، (١ / ٧٦) .

(٣) نَاقِيَةً : نَقِيَ مِنْ مَرَضِهِ نَقَاهُ وَنَقَوَهَا ، بَرَى ، وَلَا يَزَالُ بِهِ ضَعْفٌ .

المعجم الوسيط ، (٢ / ٩٤٩) .

(٤) نَقُوعٌ : النَّقُوعُ : مَا يُنْقَعُ فِي الْمَاءِ مِنَ اللَّيْلِ لِدَوَاءٍ ، أَوْ نِيْذٍ ، وَيُشْرَبُ نَهَاراً ، وَبِالْعَكْسِ .

« لسان العرب » (١٠ / ٢٣٩) .

في سابع عشر ذي القعدة من السنة إلى منظرٍ للأمير بُدبِكَ الدُّوَيْدَارِ
في فَمِ الْخَوْرِ^(١)، انتقلتُ إليه مِنَ الزَّيْنِ يحبى الإستدَارَ أيامَ مصادرتِهِ في
أَوَّلِ دَوْلَتِهِمْ ، وهي أخذُ منتزهاتِ الدنيا في حُسْنِ الرِّخَامِ والصَّنْعَةِ ، وكثرةِ
المعازلِ ، وجَوْدَةِ ترتيبِها مع أَنَّهُ تحيطُ بها مِنْ شَمَالِهَا وَشَرْقِهَا بستانٌ كبير
مُحْتَبِكٌ^(٢) الأشجار ، ويليه بساتين ، فالجالِسُ في المنظرَةِ يَرى رؤوسَ
الأشجارِ كأنها بساطٌ من زمرّدٍ أخضرٍ مَدَّ بَصَرِهِ ، وفي الأشجارِ ما هو
أطولُ من ذلك ، وفي شَمَالِهَا قِطْعَةٌ يَسمين بجوازِ أربعين ذراعاً طولاً في
عَرَضٍ فإذا هبَّتِ الرِّيحُ نقلتُ تلكَ الرَّائِحَةَ اللطيفةَ للجالِسِ في تلكَ
الشَّبَابِيكِ الظَّرِيفةِ ، وَمِنْ غَرِبِهَا خَلِيجُ الزَّريَةِ ووراءَ الجزيرةِ الوسطى
ووراءَها البحرُ الأعظمُ ، ووراءَ ذلكَ الفضاءِ المتصلُ بالأهراماتِ ، وفي
شَمَالِهَا مقعدٌ قَمَرِيٌّ بارزٌ عَنْهَا أَكْثَرُ مِنْ عَشْرَةِ أَذْرَعٍ ، يُرى مِنْهُ بحر
بولاق ، وترى مِنْهُ الزَّرِّيَّةَ إلى ما هُناكَ مِنَ البساتينِ والمروجِ ، والهواءِ
مسلطٌ عَلَيْهَا مِنْ كُلِّ جِهَةٍ ، فَلَمَّا وَرَدَتْهَا صَحْبَتُ مَعِيَ سَلاحِي وَأَنَا أَظُنُّ
أَنِّي أَقْدِرُ عَلَى جَذْبِ القوسِ كعادَتِي ، فلما وصلتُ إِلَيْهَا جَذَبْتَهُ فلم
أَقْدِرْ عَلَى مُجَاوِزَةِ نِصفِ ذِراعِي الأيسرِ فَفَجَأَنِي أَمْرٌ ما مَرَّ بِي أَمْرٌ أَشَدَّ
عَلَيَّ مِنْهُ فِي عَضْدِي ، وَهَدَّ جَانِبِي فَأَقَمْتُ بِهَا أَكَلٌ أَكْثَرُ مِنْ عادَتِي فِي
المدينةِ ، وَيَنْهَضُ مِنْ غَيْرِ نَقْوَعٍ وَلَوْ زِدْتَ عَلَى العَادَةِ . ثُمَّ صِرْتُ كُلَّ يَوْمٍ
فِي قُوَّةِ عَلَى القَوْسِ إِلَى أَنْ وَصَلْتُ إِلَى خَدِّي الأيمنِ فِي آخِرِ ذِي القعدةِ
المذكورِ ، ثُمَّ استوفيته جَرّاً مِنْ غَيْرِ سَهْمٍ فِي عِيدِ الأَضْحَى ، ثُمَّ استوفيته

(١) الْخَوْرُ : مصبُّ الماءِ فِي البحرِ ، والمنخفضُ مِنَ الأرضِ بين مرتفعين .

« المعجم الوسيط » (١ / ٢٦١) .

(٢) محبتك الأشجار : محكم التنسيق والتخطيط .

راجع معنى (حَبَك) فِي « المعجم الوسيط » (١ / ١٥٢) .

جراً على السَّهْم في أوائل محرم سنة خمس وستين^(١) ، ثم تكاملت قُوِّي عليه في عاشوراء فلله الحمد . ثم رجعت إلى بيتي في سابع محرم المذكور في مثل اليوم الذي أتيتها فيه .

ووافق أن كان آخر مواعيدي في جامع الظاهر في قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى ﴾^(٢) إلى آخرها ، ثم مرضت ، فكان ذلك من غرائب الاتفاق ، والله الموفق .

وفي يوم الثلاثاء تاسع عشري الشهر ، مات جانبك القَصْرَوي أحد أعيان الظاهرية عن نحو أربعين سنة^(٣) ، وكان حسن الوجه ، وكان يفعل الخير ، ويقوم مع الضعيف ، وكانت له همة وعصبية وحسن تأت في الأمور ، وكان من أعيان أصحاب ناظر الخاص الجبال يوسف ، وكان شديد النفع في أيام الظاهر ، وهذه الأيام ؛ فإنه كان مقبولا عند الأجلاب ، ومع هذه الصُّحبة ، فلم يزد إقطاعه في أيام الظاهر على عشرين ألف درهم مصرية ، بنحو سبعين دينارا فقرَّبه الأشرف إبنال ، وأحسن إليه ، فأعطاه إقطاعا يغل [٢٣٣] مائة ألف درهم وخمسمائة إردب ، وزوجه بنت قريه برسباي ، الذي كان حاجب الحجاب بدمشق ، هذا بعد ركوبه عليه أول الأمر ، ومع ذلك فأخبرني أخبر الناس بهذه الدولة أنه لم يكن يفتّر عن السعي في نقص هذه الدولة ، وكان يتردد إليه نحو أربعمئة من الأجلاب فلا يألوا جهداً في تعليمهم سوء وإفسادهم على السلطان .

(١) وثمانائة .

(٢) التوبة / ٩١ .

(٣) ترجم له (السخاوى) في « الضوء اللامع » (٣ / ٥٩ رقم ٢٣٨) ترجمة مختصرة وقال : « جانبك قصره ، مات سنة أربع وستين [وثمانمائة] » .

وفي آخر هذا اليوم مات ابني أبو اللطف أحمد الذي تقدّم أن أمّه حملت به طويلاً ، ودُفن نصف يوم الأربعاء ، سلخ شهر جمادي الآخرة هذا ، ودَفَنَتْهُ وراءَ أُمِّي ثُرَيَّا التي دَفَنَتْهَا تحت رأس ابني أبي اليسر محمد ، وهي أم ابنتي أم هاني فاطمة .

وفي أوّل هذا اليوم وسَطَ السلطانُ ثلاثةَ أنفُسٍ من المفسدين الذين يَقْطَعُونَ الطَّرِيقَ ، ومنهم شَخْصٌ كان هجماً ليلاً على بيتٍ في الثَّرْبِ ، ونهبه فخرج إليه جماعةٌ منهم مملوكٌ ، فَقَتَلَهُ وهرَّب عنه أصحابه ، وكان فلاح ولده أحمد ، فسُرَّ بذلك الناس ودَعَوْا له سَبَبَ الله له أسباب الخير .

وفي هذا الحدِّ تناقَصَ الطّاعونُ جِدّاً إلى أنْ اضمَحَلَّ في آخر هذا الشهر في جميع البلد واستمر في القلعة بكثرة فكان الأجلابُ ينتقلون إلى البلد ، فلا يَعْنِيهِمْ ذلك شيئاً إلى أنْ وَصَلَتْ مجموعُ الموتى منهم إلى قريب الألف وخمسمائة ، وذلك نحو نصفهم ، وكان في الموتى منهم أكثر مفسديهم ، والمعروفين بالشرّ منهم .

استهل شهرُ رجب بالخميس ، وفي يوم السَّبْتِ ثلثه مات أبو بكر بن شمس الدين محمد بن الحلبي .

وفي يوم الاثنين خامِسُ^(١) شهر رجب من سنة أربع^(٢) هذه كانت ولاية السَّراج العبادي لنظر ديوان الأقباس عن ابن العيّني كما تقدّم^(٣) . وفي أوائل^(٤) هذا الشهر مات محبُّ الدّين محمد^(٥) بن شهاب الدين

(١) في « النجوم الزاهرة » (١٦ / ١٢٩) أن خامس شهر رجب هو الثلاثاء .

(٢) وستين وثمانمائة

(٣) الخبر في « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٧٤) .

(٤) في « الضوء اللامع » (٧ / ٣٣) في ثامنه .

(٥) هو : محمد بن أحمد بن عمر بن يوسف بن علي ، المحب بن الشهاب بن الزين ، الحلبي ثم

القاهري الشافعي ، ولد في ليلة نصف شعبان سنة ٨١٥ هـ بحلب ونشأ بها .

أحمد بن زين الدين الحلبي ، موقع كاتب السرّ المحب بن الشحنة ، عن نيّف وخمسين سنة ، وكانت عنده فضيلة في الفقه ، والنحو وغير ذلك ، وكان يحب العلم ويطلبه رحمه الله ، وخلف ولده شهاب الدين أحمد رجلاً .

وفي نصف شهر رجب هذا عُزل ناظر الجيش البرهان بن الدّيري ^(١) ، وذلك أن الشرف الأنصاري نُسب إلى إخفاء مكتوب رِزْقَة لبنت طَطَر ، فطلب منه ، فادّعى دَفَعَه إليها ، فكُذِّب وسدّد السلطان عليه النكير ورَقَّ له ابنُ السلطان الأمير الكبير ، فعقد له مجلس بالقضاة الأُربع عند ابن السلطان ، فأخرج مكتوباً فيه الشهادة لميها أن ذلك المكتوب صار إليها ، فسأل القضاة عنه ، فقال قاضي الحنفية السَّعد بن الدّيري : لعل هذا المكتوب أثبت مكتوبٌ وُجد من زمنِ آدم إلى هذا التاريخ . فقال أخوه ناظرُ الجيش : أنت اطلّعت على جميع ما وُجد من المكاتب في جميع ذلك الزَّمان ؟! فاشتاط ابن السلطان غَيْظاً وسبه في المجلس ودخل إلى أبيه وأمه فأعلمهما بالمكتوب ، وبراءة الأنصاري ، فقبلا ، ثم تكلم في عُزل ناظر الجيش فأجيب .

وكان قد شاع له صيتٌ في التَّجَاهر بِأكل الرِّشا والتَّهافت في طلبها ، حتّى من أصاغِر الناس ، وفي الشيء اليسير ، قلَّ أن سُمع عن أحدٍ مثله ، بحيث أنه حُكي لي عن إسماعيل بن عبد القادر ، شيخ جبل نابلس أنه قال : ما رأينا من أبي الخير النحاس ، ولا من أتباعه من الظلم مثل ما رأينا من ابن الدّيري هذا ، ولا ما يقاربه ، وأقسم أنه إن استمر

(١) تولى نظر الجيش بعد عزل الشرف الأنصاري في يوم الخميس ١٤ رجب .

« النجوم الزاهرة » (١٦ / ١٢٩) .

أَخْرَبْتُ الْبِلَادَ وَعَصَيْتُ عَلَى السُّلْطَانِ : وَأَخَذَ عَنْهُ سَيْدِي أَبُو بَكْرٍ بِنِ
مُزْهَرٍ بِخَمْسَةِ آلَافٍ دِينَارٍ [٢٣٤] ، فَأَخَذَ نَاصِرُ الدِّينِ بِنِ أَصِيلٍ نَظَرَ
دِيَوَانَ الْجَوَالِي عَنْ ابْنِ مُزْهَرٍ بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ دِينَارٍ .

وَفِي هَذَا الشَّهْرِ بَلَغَ الْخَبَرُ بِمَوْتِ عَمْرِ بْنِ قَاسِمِ بْنِ الْأَقْسَاسِيِّ ، نَائِبِ
قَلْعَةِ حَلَبَ ، فَأَخَذَ عَنْهُ نِيَابَةُ الْقَلْعَةِ وَنَظَرَ الْجَوَالِي قَرِيبَهُ خَلِيلُ بْنُ
جُبَّارَهُ^(١) .

وَفِي هَذَا الشَّهْرِ ، رُفِعَ إِلَى السُّلْطَانِ شَخْصٌ مِنَ الْبَرَادِرَةِ كَانَ يَهْجُمُ
عَلَى نِسَاءِ النَّاسِ فَيَفْسِدُ فِيهِنَّ طَوْعاً أَوْ كَرْهاً ، بِخَضْرَةِ زَوْجِهَا أَوَّلًا ، وَكَانَ
لَهُ عَلَى ذَلِكَ أَغْوَانٌ ، فَهَجَمَ عَلَى امْرَأَةٍ شَخْصٍ مِنَ النَّاسِ ، فَضْرَبَهُ زَوْجُهَا
بِسَيْفٍ ، ثُمَّ رَبَطَهُ ، وَرَفَعَ أَمْرَهُ إِلَى السُّلْطَانِ ، فَسَمِعَ بِهِ كُلُّ مَنْ أَحْرَقَهُ
بِأَفْعَالِهِ ، فَطَلَعُوا بِالْمَصَاحِفِ وَالْأَغْلَامِ مَعَهُمْ يَسْتَغِيثُونَ مِنْهُ ، فَوَسَّطَهُ
السُّلْطَانُ مَعَ بَعْضٍ مِنْ كَانُوا يُعِينُهُ عَلَى ذَلِكَ .

فِي شَهْرِ شَعْبَانَ قَدِيمٍ شَخْصٌ مِنَ أَكَابِرِ تِجَارَةِ بِلَادِ ابْنِ عَثْمَانَ . يُقَالُ لَهُ :
خَوَاجَا إِيْلَاسٍ ؛ بِسَبَبِ التَّهْيِؤِ لَغَزْوِ رُودَسٍ ؛ وَسَبَبِ ذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ دُرُوسٍ
قَطَعُوا الطَّرِيقَ عَلَى مَرْكَبٍ مِنْ جَمَاعَةِ ابْنِ عَثْمَانَ يَرِيدُونَ الْحَيَّ فِيهِ ، نَحْوُ
ثَلَاثِائَةِ نَفْسٍ ، فَفَقَتَلُوهُمْ قَتْلًا شَنِيعًا ، وَأَخَذُوا مَا فِي مَرْكَبِهِمْ ، فَلَمَّا قَرَبَ
خَوَاجَا إِيْلَاسٍ مِنْ مِينَاءِ إِسْكَندَرِيَّةِ ، إِذَا مَرَاقِبُ مِنْ أَهْلِ رُودَسٍ يَقَاتِلُونَ
مَرْكَبًا مِنْ أَعْدَائِهِمْ مِنَ الْفَرَنْجِ أَظْنَهُمْ مِنَ الْجَنْوِيِّينَ^(٢) ، فَلَمَّا رَأَوْا

(١) جَاءَ فِي حَاشِيَةِ الصَّفْحَةِ الْيَمْنَى مِنَ الْأَصْلِ . « ابْنُ جُبَّارَةٍ بِالضَّمِّ وَالتَّخْفِيفِ » .

(٢) الْجَنْوِيِّينَ : نِسْبَةً إِلَى مَدِينَةِ جَنْوَةٍ ، وَهِيَ مَدِينَةُ بِلَادِ الرُّومِ عَلَى سَاحِلِ بَحْرِ الشَّامِ ، وَهِيَ مَدِينَةُ
قَدِيمَةِ الْبِنَاءِ .. كَثِيرَةُ الْمَزَارِعِ وَالْقُرَى وَالْعَارَاتِ ، أَهْلِهَا تِجَارَةُ مِيَاسِيرٍ ، يَسَافِرُونَ بَرًّا وَبَحْرًا ، وَلَهُمْ أَسْطُولٌ
وَمَعْرِفَةٌ بِالْحَيْلِ الْخَرِيبَةِ وَالْآلَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ .

« الرُّوضُ الْمَعْطَارُ » (١٧٣) ، وَحَسَبَ « أَطْلُسُ الْعَالَمِ » (٥١) / تَقَعُ جَنْوُهُ حَالِيًا عَلَى السَّاحِلِ
الشِّمَالِيِّ الْغَرْبِيِّ لِإِيْطَالِيَا .

مراكب إلياس ألقى الله الرعب في قلوبهم ، فهربوا فطلبهم فأخذ منهم
مركبين هم الذين أسروا جماعتهم ، ثم قَدِم إلى القاهرة فوافى رأس
المفسدين من الرُّودِسة قد جهَّزته ملكة قُبرس رسولاً عنها ، ليرتُق عليها
السلطان ، فيكف عن مساعدة أخيها ، ويعقد صلحاً بين السلطان ،
وبين الكيكلان لثلا يبقى عليها لومٌ في تزويجها بشخص منهم أرادها ،
فوجد خواجا إلياس السلطان قد أجاب الرُّودِسي ، وخَذَلَ ابنَ ملك
قُبرس ، وخلع على الرُّودِسي ، على أنَّ الرُّودِسي كان قد أسر قاصِدَ
السلطان تغري بَردي دُوِيْدَار أسنبغا الطياري لما أرسله السلطان في هذا
العام إلى ملكة قُبرس ، ليَعْلَم جوابها في أمر أخيها ، وما أطلقه إلا بعد
علمه أنَّ ابنَ عثمان أقسم ليخربن رُودس ، فرأى أنَّ يُخادع ملك مصر
لثلا يجتمع عليه هو وابنُ عثمان ورشوا تغري بَردي ببال كثير ، وسألوه أن
لا يُنم عليهم أسرهم له ، ففعل الخبيث ، فلما خلع السلطان على
الرُّودِسي قال قاصِدُ ابنِ عثمان : كيف تخلع يا مولانا على هذا وهو عدوُّ
لك ولولدك السلطان محمد بن عثمان وقد قتل من جماعته كذا وكذا نفساً ،
وأنا ما جئت إلا بسببه ؟! أنا أدعي عليه عند مولانا السلطان بخمسين
ألف دينار ، أخذها من جماعتنا ، وعنده منهم أسرى منهم عالمٌ ،
فاضطرب أمرُ الجند من هذا الكلام ، وكثُر الصَّخبُ ، وكان كثيرٌ من
الأجلاِبِ يحبِّون ابنَ ملك قُبرس ، فقام السلطان عند ذلك ، فأخذَ
الأجلاِبَ قاصِدَ رُودس فقلعوه الخِلعةَ وتقاطعوها بينهم وضربوه حتى
أذموه ، فلما رأى السلطان ذلك أظهر أنه بأمره ، وطلب القُبرسيَّ فخلعَ
عليه ، وأظهر أنه مستمر على نُصرته ، وأنَّ يُجهز معه جيشاً ، وجدَّ في أمر
المراكب ، حتى أكملها .

وفي هذا الشهر ، قَدِمَ الشَّيْخُ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ الْقَادِرِ الرَّمْلَاوِيِّ الَّذِي مِنْ ذُرِّيَّةِ سَيِّدِي عَبْدِ الْعَالِ خَادِمِ الشَّيْخِ الْبَدَوِيِّ وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ مَاتَ خَلِيفَتُهُ وَلَمْ يَبْقَ فِي مِصْرَ أَحَدٌ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ ، فَأَرْسَلَ الْأَمِيرُ بُرْدُوكَ إِلَى نَائِسٍ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ فِي رَمْلَةٍ لُدٍّ^(١) ، فَزَهَّدُوا فِي ذَلِكَ وَأَشَارُوا بِأَنَّهُمْ قَرِيبًا فِي دِمَشْقَ يُقَالُ لَهُ سَالِمٌ هُوَ أَوْلَى مِنْهُمْ ، وَهُوَ مِنْ أَقَارِبِ الْخَوَاجَا شَمْسِ الدِّينِ^(٢) مُحَمَّدِ بْنِ الزَّمَنِ ، وَهُوَ رَجُلٌ صَالِحٌ ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ فَحَضَرَ ، فَلَمَّا حَضَرَ نَفَسُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ ، وَقَدِمُوا مَعَهُ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ الْأَمِيرُ وَالسُّلْطَانُ وَوَلَّاهُ الْمَشِيخَةَ ، فَتَارَعَهُ أَوْلَاكَ ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِمْ ، وَقَالَ لَهُمُ السُّلْطَانُ : أَنَا لَمْ أَوَّلَهُ وَإِنَّمَا وَلَّاهُ اللَّهُ .

وفي النصف^(٣) مِنْ شَعْبَانَ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِينَ^(٤) وَوَلَّى الْقَاضِي وَلِيَّ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ الْقَاضِي تَقِيِّ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الشَّيْخِ

(١) رَمْلَةٌ لُدٌّ : لُدٌّ ، قَرْيَةٌ قُرْبَ بَيْتِ الْمَقْدَسِ مِنْ نَوَاحِي فَلَسْطِينَ بِيَاهَا يُذَكَّرُ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ الدَّجَالُ فَيَقْتُلُهُ .

«معجم البلدان» (١٥ / ٥) .

(٢) هُوَ : مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِ الزَّمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ صَدِيقِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ يَوْسُفَ الْخَوَاجَا شَمْسِ بْنِ السَّرَاجِ الْقُرَشِيِّ الدَّمَشْقِيِّ ثُمَّ الْقَاهِرِيِّ الشَّافِعِيِّ ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الزَّمَنِ ، وَلَدَ سَنَةِ ٨٢٤ هـ بِدِمَشْقَ وَنَشَأَ بِهَا ، ثُمَّ اشْتَغَلَ كَأَبِيهِ بِالتَّجَارَةِ ، وَأَقْبَلَ عَلَى السَّفَرِ ، فَسَافَرَ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ ، وَمِصْرَ ، وَطَرَابُلُسَ ، وَمَكَّةَ ، وَالْمَدِينَةَ ، وَالتَّقَى بِكَثِيرٍ مِنْ عُلَمَاءِ هَذِهِ الْبِلَادِ وَصَلَحَاتِهَا ، وَلَهُ مَأَثَرٌ مَحْمُودَةٌ فِي عِمَارَةِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ، وَالْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ ، وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ، وَمَسْجِدِ قِبَاءَ فِي إِنْشَاءِ الْأَرْبُطَةِ وَالْمَدَارِسِ فِي مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، مَاتَ عِنْدَ غُرُوبِ شَمْسِ يَوْمِ الْأَحَدِ ١٨ شَوَّالَ سَنَةِ ٨٩٧ هـ .
لَهُ تَرْجُمَةٌ فِي «الضَّوَاءِ اللَّامِعِ» (٨ / ٢٦٠ رَقْم ٧٠٣) .

(٣) نَلَاظُ أَنَّ الْبَقَاعِيَّ قَدَّمَ وَأَخَّرَ فِي عَرْضِهِ لِلْحَوَادِثِ الْوَاقِعَةِ فِي شَهْرِ شَعْبَانَ ، دُونَ التَّقْيِيدِ بِالتَّسْلُسِ الزَّمَنِيِّ ، وَيَبْدُو أَنَّ هَذَا الْاضْطِرَابَ فِي الْعَرْضِ جَاءَ نَتِيجَةً لِلِإِضَافَاتِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي أَدْخَلَهَا الْمُؤَلِّفُ عَلَى النَّصِّ بَعْدَ الْكِتَابَةِ الْأُولَى لَهُ ، وَحِفَافَةً عَلَى التَّسْلُسِ الزَّمَنِيِّ الَّذِي التَّزَمَ بِهِ الْمُؤَلِّفُ ، وَلَمْ يَنْدَ عَنهُ إِلَّا فِي هَذَا الْمَوْقِفِ وَرَبَّاهُ فِي مَوَاضِعَ أُخْرَى قَلِيلَةً ، أَعَدَدْنَا تَرْتِيبَ الْحَوَادِثِ بِمَا يَتَّفَقُ مَعَ هَذَا التَّسْلُسِ حِفَافَةً عَلَى وَحْدَةِ السِّيَاقِ وَتَرَابُطِ الْأَفْكَارِ ، وَذَلِكَ دُونَ الْمَسَاسِ بِجَوْهَرِ النَّصِّ .
(٤) وَثَانِيَانَا .

سراج الدّين عمر البُلُقيني قضاء الشافعية بدمشق عن الجبال يوسف الباعوني بهالٍ بذله على ذلك بعناية بنت اليسرى أم أبي بكر ابن مُزهر ، وعناية ابنها ، فكانت هي تُوسّس إلى خَوْنَد ، وابنها إلى السلطان وابنيه ، وذلك أنّ الباعوني كان يرى ابن مُزهر صغيراً ، فكان لا يكاثبه ، ولا يُكرم أحداً من ذَوِيه إذا وردوا إلى دمشق ، فكان يودّ عزله ولا يتمكن من ذلك ، فلمّا سعى عليه ابن عمّه الجلال كما مضى ورده السلطان أقبح ردّاً ، بما يستلزم غاية الإكرام للجمال ، كان القياس يقتضي أنّه يرسل للسلطان شيئاً ، وأشار عليه كلٌّ من يحبه بذلك فلم يفعل ، ثم الشرف الأنصاري عند عزله قرّر في جهته ألف دينار ، فتبرّم من ذلك فلم يزل كاتب السرّ حتّى أسقطها السلطان عنه فقويّ تعلّق الرّجاء بأن يرسل ما يتمّ هذا الإكرام ، فلم يفعل فعزّض منه السلطان ببعض الكلام ، فوجد المذكور وأمه مجالاً للقول ، وكان الوليّ هذا قد اشتدّ سعيه في قضاء الشّام قبل هذا ، فلمّ يجبّ ، فحرّكه فوجده سريعاً إليه فتكلم له هو وأمه إلى أن كان ما كان ، واتّفق أنّ قاضي الشافعية بالقاهرة عم أبيه ، العَلَم صالح كان يُبغضه وزاده فيه بغضاً ابن امرأته الصّلاح أمير حاج بن بركوت المكي ، وكانت بينه وبين الوليّ منافسة شديدة ، فأخرج عنه البلاد التي كان قضاؤها باسمه واسم أبيه من مدّة كبيرة وهي : المنيّة ، وشبرا ، ونواحي القليوبية ، لكاتب السرّ المحب بن الشّخنة ثم ما كفاهم ذلك حتّى جعلوا نائيه فيها شخصاً من أتباع الصّلاح ، لا يُرضى للشهادة ، فقامت قيامة الوليّ ، وكانت المسارعة إلى ذلك منهم غلطاً ، فشكى أمره إلى ابن مُزهر واشتجده وثوره : بأنّ هذا أمر يوهن منّي ، ومتى تركتني وأنا نشوك^(١) طمع في ، وكلّ ما يُنقصني يضرّك ويُفترّ الناس عنك ؛ لأنّي

(١) نشوك : تريتك .

«المعجم الوسيط» (٢ / ٩٢١) .

إِنْشَاؤُكَ وَهَذِهِ أَوَّلُ قَضَايَاكَ الَّتِي قَمْتَ فِيهَا ، فَقَامَ مَعَهُ فِي ذَلِكَ وَاسْتَنْهَضَ مَعَهُ ابْنُ السُّلْطَانِ وَأُمُّهُ إِلَى أَنْ أُعِيدَتْ إِلَيْهِ الْبِلَادُ ، بَعْدَ أَنْ شَدَّدَ عَلَى كَاتِبِ السَّرِّ ؛ فَضَخَّمْ أَمْرَهُ ، وَلَزِمَ ابْنُ مُزْهَرٍ شَأْنَهُ وَعُرِفَ بِالْعُصْبَةِ لَهُ ، فَكَانَ لَا يُرَى مَنْ يَتَكَلَّمُ فِيهِ بِشَيْءٍ إِلَّا سَعَى فِي كَفِّهِ ، وَكَانَ مِنَ الْمَالِ الَّذِي سَعَى بِهِ الْوَلِيُّ ، قَاعَتَهُ الَّتِي عَمَّرَهَا أَبُوهُ فِي زَقَاقِهِمْ مِنْ حَارَةِ بَهَاءِ الدِّينِ ، وَكَانَتْ حَسَنَةً ، فَسَرَّ بِهَا جَمَاعَةُ السُّلْطَانِ .

ثُمَّ سَافَرَ فِي أَوَائِلِ شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ وَقَدْ قَرَّتْ عَيْنُهُ بِمَا رَأَى مِنَ الْعُصْبَةِ لَهُ ، وَصَحِبَ مَعَهُ مِنْ خَوَاصِهِ أَصْحَابِهِ الْقَاضِي شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ الْعَمْرِي طي (١) أَحَدُ نَوَابِ الشَّافِعِيِّ بِالْقَاهِرَةِ ، فَجَعَلَهُ نَقِيبَهُ ، وَالْفَاضِلُ مَحَبِّ الدِّينِ مُحَمَّدُ (٢) بْنُ الْعَلَامَةِ الْقَاضِي نُورِ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ سَالِمٍ ، وَالْفَاضِلُ نُورِ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ (٣) الْمَقْسِيِّ ، وَشَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ [عَلِيِّ بْنِ خُلْدٍ] (٤) الْمَحَلِّي (٥) الشَّافِعِيَّيْنِ وَوَصَلَ إِلَى دِمَشْقَ فِي

(١) هو : محمد بن إسماعيل بن عمر بن مزروع ، الشمس العمري طي ثم القاهري الشافعي ، ولد بعد سنة ٨٢٠ هـ بعمريط من الشرقية ، وسافر إلى أذكو ، وأخذ عن علمائها ، وبرع في الفقه ، والعربية ، والقراءات ، مات في ذي القعدة ظناً سنة ٨٦٤ هـ .
له ترجمة في : «الضوء اللامع» (٧/ ١٣٩ رقم ٣٣٩) .

(٢) هو : محمد بن علي بن سالم بن معالي ، المحب أبو الفضل بن نور الدين المازديني الأصل القاهري الشافعي نزيل دمشق ، المعروف بابن سالم ، ولد يوم الأربعاء ١٦ صفر سنة ٨٣٥ هـ بالقاهرة ، ونشأ بها ، وأخذ عن علمائها في النحو ، والفقه ، والفرائض ، والحساب ، وتولّع بالتوقيع حتى صار من رؤوس الموقعين في دمشق ، ثم دخل القاهرة سنة ٨٩٦ هـ ، ثم رجع إلى دمشق .

ترجم له (السخاوي) في «الضوء اللامع» (٨ / ١٨٣) ، ولم يحدّد تاريخ وفاته .

(٣) مياض في الأصل بمقدار كلمتين ، لم نجد ما يصححه في المصادر المتيسرة .

(٤) ما بين الحاصرتين مياض في الأصل ، والتصحيح من الهامش التالي .

(٥) هو : محمد بن علي بن خلد بن أحمد ، الشمس ، المحلّي ، ثم القاهري ، الشافعي ، ولد سنة ٨٢٦ هـ بالمحلة ظناً ، جوّد الخط ، وتعلّم النظم فأحسن ، مات بالشام في محرم سنة ٨٦٥ هـ .

له ترجمة في «الضوء اللامع» (٨/ ١٨٠ رقم ٤٤٨) .

أواخر شهر رمضان ، فَخَطَبَ بالجامع الأموي في آخر جمعة فيه ، وكان حَسَنَ التَّادِيَةِ للخطبة ، صَيِّئاً ، حَسَنَ الْقِرَاءَةِ في المِحْرَابِ ، فَأَعْجَبَ النَّائِبَ وَالشَّامِيَيْنِ ، وَصَادَفَ أَنَّ بَعْضَ التَّجَارِ كَانَ أَوْصَى بِأَلْفِ دِينَارٍ تُفَرَّقُ فِي الْمُسْتَحِقِّينَ ، وَلَمْ يَكُنِ الْجَمَالُ الْبَاعُونِي فَرَقَهَا ، فَبَادَرَ هُوَ إِلَى تَفْرِقَتِهَا ، فَمَلَأَ بِهَا دِمَشْقَ ، فَتَفَقَّتْ لَهُ بِهَا سَوْقٌ ، وَطَارَ لَهُ بِهَا صِنْتُ وَصَوْتُ ، وَأَظْهَرَ عِفَّةً عَظِيمَةً ، وَقَارَنَ ذَلِكَ هَذِهِ التَّفْرِقَةَ ، فَصَدَّقَ مَا أَظْهَرَ ، وَتَحَقَّقَ فِي الْقُلُوبِ وَتَقَرَّرَ .

وبعد سفره بشهر شَنَعَ عَلَيْهِ بَعْضُ أَصْحَابِهِ بِأَنَّهُ سَلَسَ الْبَوْلَ ، وَأَنَّهُ لَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَتَوَلَّى خُطَابَةً ؛ لِأَنَّهُ يَحْتَاجُ فِي مَذْهَبِهِ إِلَى وَضُوءٍ جَدِيدٍ لِلصَّلَاةِ بَعْدَ الْخُطْبَةِ وَهُوَ لَا يَفْعَلُ ، فَبَحَثَ عَنْ أَمْرِ هَذَا السَّلَاسِ مِنْ خَوَاصِّهِ ، فَوُجِدَ صَحِيحاً ، وَصَارُوا يَعْتَزُّونَ بِهَا لَا عُذْرَ فِيهِ ، فَيَقُولُونَ : أَنَّهُ أَمْرٌ خَفِيفٌ ، بِحَيْثُ لَا يَتَحَقَّقُ وَنَحْوُ ذَلِكَ .

وكانت قد عَظُمَتِ الْمَشَقَّةُ بِصَرْفِ الشَّيْخِ بَرَهَانَ الدِّينِ الْبَاعُونِي عَنْ الْخُطَابَةِ ؛ لِإِدِينِهِ وَخَيْرِهِ ، مَعَ سِنِّهِ وَقَفَرِهِ وَكَرَمِهِ وَحُسْنِ طَلْعَتِهِ ، فَوُجِدَ مَحَبُّوهُ مَسَاغاً لِلسَّعْيِ لَهُ ، فَتَحَرَّكُوا فِي ذَلِكَ ، وَزَادَ مَبْغُضُوا الْوَلِيَّ فِي الشَّنَاعَةِ عَلَيْهِ بِإِسَاءَةِ ذَلِكَ ، فَقَامَ ابْنُ مُزْهَرٍ فِي أَمْرِهِ إِلَى أَنْ سَكَنَ عَنْهُ ذَلِكَ .

وَبَلَّغْنَا أَنَّهُ صَلَّى فِي الْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ صَلَاةً عَلَى إِثْرِ وَصُولِهِ ، إِمَّا الْجُمُعَةَ أَوْ غَيْرَهَا ، فَقَرَأَ : ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يَٰيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ ^(١) الْآيَاتِ . فَضَمَّ ذَلِكَ إِلَى مَا فَعَلَهُ فِي مَدْرَسَةِ بَنِي الْجَيْعَانِ ، وَزَادَ أَنَّهُ لَوْ سَاغَ كَانَ عَلَيْهِ فَالُهُ ، فَإِنَّ فِيهِ نِسْبَةَ الْفَاعِلِ يَٰيُوسُفَ

(١) يوسف / ٨٩ .

وأخيه إلى الظلم ، وانحطاط المنزلة عنه ، وتحكمته فيهم إلى غير ذلك ، فكان ذلك من العجائب .

ثم بلغنا أنه مرض هو وجميع من سافر معه من مصر في آخر سؤال ، أو أول ذي القعدة ، ومات القاضي شمس الدين محمد العمريني الذي كان عمله نقيه .

ثم بلغنا أنه كان أمر من في بابه أن لا يأخذوا على ما يكتبونه للناس من الوثائق غير أربعة دراهم شاميّة على كل وثيقة ، وأنه سمع عن المحب بن سالم ، أنه أخذ ستّة على وثيقة كبيرة ، فأخضره وأهانته وسجنه ، مع أنّه كان أخصّ المذكورين به ؛ لأنّه كان المتولّي غالب مَهْمَاتِهِ في القاهرة ، مع فضله وحسن أدبه ، وكثرة ثنائه عليه ، ومناضلته عنه .

فكثرت عليه القائلة بذلك ، وَوَجَدَ مَنْ يَتَنَقَّصُهُ مِنْ أَقَارِبِهِ ما يَشْنَعُ عليه به ، فيقولون : هل يسوغ مثل هذا في عقل عاقل ، أو سجيّة من له مروءة وقد كان يمكن رده عن مثل ذلك بغير هذا ، من اللوم بينه وبينه ، أو بين الناس إنّ كان يريد شيوخ مثل ذلك عنه ؛ ليشتهر بالعِفّة ، ثم صَحَّ أَنَّ السَّببَ غير ذلك ، وهو أنه كان أَوْصَى وصيّة ذكر فيها من جهة البيت الذي أعطاه لِحَوْنَد ما عليه جهة درك فطلبها من ابن سالم ، فأجابته بما يُريب في أمرها ، ثم ادّعى ضياعها ؛ ففعل ذلك ليردها ، وأرسل إلى الحاجب ليرضيه ، فأصرّ على دعوى عَدَمِها ثم رَضِيَ عنه ، وَرَجَعَ إلى ما كان عَلَيْهِ عنده وأعظم ، فإنّه خَلا له وجهه ، بأن مات العمريني ثم المحلي ، وَرَجَعَ المقسي فلم يبق عنده غيره .

وفي شهر شعبان ، دخلت الغلّة الجديدة فانحلّ السَّعْرُ إلى أَنْ وَصَلَ الشَّعِيرُ مِنْ مَاتَيْنِ إلى مائة وعشرين ، وقس على ذلك غيره ؛ وما ذاك إلّا

لِقَلَّةِ الفساد من الممالك وأتباعهم ، ثم لم يَلْبَثْ إِلَّا نحو عشرين يوماً
 وازْتَمَعَ السَّعْرُ إلى أن عاد إلى ما كان ثم زاد إلى أن وصل الشَّعِيرُ إلى
 ثلاثمائة وهي صَرْفُ دينار ، وكذا الفول ، بل زاد عليها ، وكان القمح
 أرخص منهما ، ثم وصل القَمْحُ إلى دينار ؛ وسبب ذلك إعادة مَنْ بَقِيَ
 مِنَ الممالك الفَسَادَ ، مع ما قارَنَ ذلك مِنْ فَسَادِ العرب في الشَّرْقِيَّةِ ،
 وبلاد الصَّعِيدِ وغيرهما ، فلذلك لم تُؤَثِّرْ حسن زيادة البحر في الترخُّص ،
 بل وصل البحر في ذي الحجة إلى سبع عشرة إصبعاً مِنَ الذَّرَاعِ العشرين ،
 والأسعارُ على حالها ، بل يُخْشَى مِنْ زيادتها ، والله المستعان ، ثم انحَلَّ
 السعر في أول سنة خميس وستين ^(١) كما سيأتي فله الحمد .

وفي أواخر شعبان هذا ، قَدِمَ أبو الفضل بن أبي الفضل التُّوَيْرِي ،
 خَطِيبُ مَكَّةَ مِنْ دِمَشْقَ ، وكان قَدْ وَرَدَ مع الحَجَّاجِ إلى القَاهِرَةِ ، وسافر في
 جهادي الأولى إلى دِمَشْقَ ؛ لِأَن نائِبها الأمير جَانَمَ كان صَدِيقَهُ ، ثم رجع
 إلى القَاهِرَةِ في أواخر هذا الشهر ؛ وكان سببُ قدومه وجلُّ مقصده
 السَّعْيَ في نظر الحَرَمِ ، فإنه ظَنَّ أَنَّ سببَ [إ] ^(٢) عاقته عنه فيما مضى إنما
 هي مِنْ ناظر الخاص ، فلما بلغه خَبَرُ مَوْتِهِ اغتنم الفرصةَ فقدم ثم سعى
 في ذلك أشدَّ السَّعْيِ ، فلم يُجِبْ ؛ لِمَا قُرِّرَ عند السلطان وخواصَّهُ مِنْ ذَمِيمِ
 سيرته ، وسوء طويته ، وزاد ذلك أَنَّ أَهْلَ دِمَشْقَ نقلوا عَنْهُ ، أَنَّهُ في السَّفَرَةِ
 القصيرة إليهم سعى في إفساد صُورِ جماعةٍ منهم عِنْدَ جَانَمَ ، مع
 مبالغتهم في إكرامه .

وفي شعبان هذا قُتِلَ إسماعيل بن يوسف مُقَدِّمُ بلاد الزَّيْدَانِي ، الذي
 كان مُسْتَوَلِيًّا على خان القُنْدُقِ قَبْلِي ، وذلك أَنِّي لم أَقْدِرْ أَذْخَلَ تلك البلادَ

(١) وثلاثمائة .

(٢) إضافة اقتضاها السياق .

لعمارة الخان بعد أخذني له منه حتى سَعَيْتُ لبعض أعدائه في أن يكون مُقَدِّمًا على جماعته ، فصار للبلاد مُقَدِّمِينَ : إسماعيل مُقَدِّمًا على أَصْحَابِهِ ، ومحمود بن باكله مُقَدِّمًا على أصحابه وهم أصحاب أَقَارِبِي ، فضاق إسماعيلُ دَرْعًا بهذا ، ولم يَزَلْ يَحْتَالُ في التَّخْلُصِ مِنْ هذا حَتَّى أَخْلَفَ بين جماعة محمود ، فاستمال مِنْ أَكابرِهِم ناسًا يُقال لهم أولاد العزقي وسعى لشخصٍ منهم ، فعُزِلَ به محمود ، فسعى محمودُ بِمالٍ كبير ، فَأَعِيدَ ، وَبَطَّشَ بِإِسْمَاعِيلَ يوم طُلُوعِهِ إلى البلاد بِالْخِلْعَةِ ، وقتلَ بعضَ جماعته ، وهرب إلى بلاد ابن بشارَة .

وفي يوم الجمعة مستهل شهر رمضان مِنَ السَّنَةِ ، الموافق لسادسِ عَشْرِي بِوُتُونَةٍ مِنْ أَشْهُرِ الْقِبْطِ ، نُوْدِي بِبِشَارَةِ الْبَحْرِ ، وكانت قَاعِدَتُهُ [ستة أذرع] ^(١) .

وفي ثانيه سافر جانبك شاذَّ جُدَّةٍ إِلَيْهَا فِي الْبَرِّ ؛ بسبب ما يستخرجه من التجار للسلطان ، وسافر معه جماعة قليلون إِرَادَةَ الْحَجِّ مِنْهُمْ أَبُو السَّعُودِ بْنِ الشَّيْخِ أَمِينُ الدِّينِ يَحْيَى الْأَقْصَرَايِيُّ الْحَنْفِيُّ ^(٢) .

وفي شهر رمضان مِنَ السَّنَةِ ، شَاعَ أَنَّ الْمَوْتَى فِي هَذَا الْعَامِ يَقُومُونَ فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ سَابِعِ عَشْرِيَّةٍ ، فَصَدَّقَ كُلُّ ضَعِيفِ الْعَقْلِ ، جَاهِلٍ بِالْدِّينِ ، فَطَلَعُوا إِلَى الْجَبَّانَاتِ ^(٣) بِالثِّيَابِ الْمُبَخَّرَةِ وَالْمِيَاهِ ، وحفروا قبورَ أَمْوَاتِهِمْ ، ثم رَجَعُوا بِخُفْيٍ حُنَيْنٍ ^(٤) ، وسواد الوجوه ، وبكاء العَيْنِينَ ، وهذا حالُ مَنْ لَوْ أَتَى الدَّجَالُ لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .

(١) ما بين الحاصرتين بياض في الأصل ، والتصحيح من حوادث الدهور (٣٤٠) .

(٢) الخبر في « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٧٦) .

(٣) الجبَّانَات : المقابر .

(٤) المعجم الوسيط (١٠٦ / ١) ، و « محيط المحيط » (٩١) .

(٤) مثل يضرب عند اليأس من الحاجة والرجوع بالخيبة .

« تَجَمُّعُ الْأَمْثَالِ » (٢٩٦ / ١) .

وفي هذا الشهر قَدِمَ القاضي أثير الدِّين محمد ، قاضي الحنفية بحلب
ابن القاضي كاتب السرَّ محبِّ الدين محمد بن الشُّحنة ، فحصل له
تَوَعُّكٌ، وصارَ يَنْصِلُ (١) منه ويعاوده مدّة ، ثم عُوْفِي وسافَرَ إلى محل
ولايته حَلَب في أواخر محرم كما سيأتى .

[٢٣٥] وفي هذا الشهر كثر أذى العامّة المستأجرين للسفر في
المراكب إلى قُبْرُس ، سَمَّوْا أَنْفُسَهُم المجاهدين ، فكانوا يَقْطَعُونَ
الطرقات، وينهبون ما أرادوا مِنْ أيِّ أسواق البلد أرادوا ، ويأكلون جهاراً
في نهار رمضان ، ويقولون : الزَّرْدَكاش أباح لنا ذلك ، وَضَرَبَ اللهُ الدِّلَّةَ
على أهل مصر ، فلا يَجْسِرُ أَحَدٌ على منعهم عن نفسه ولا غيره .

وفي هذا الشهر ، نُفِيَ القاضي تاج الدين محمد بن الشيخ شهاب
الدين أحمد بن عَرَب شاه الحنفي ، وأبو البركات شمس الدين بن
الحمصي أخو أبي الوفاء شمس الدين قاضي غَزَّة الشافعي في يوم واحد
وذلك أَنَّ ابن عَرَب شاه كان قَدْ قَدِمَ إلى القاهرة في أوائل سنة ثلاث
وستين (٢) ، يسعى في قضاء الحنفية بدمشق عن علاء الدين علي بن
قاضي عجلون ، وكان ابن عَرَب شاه فقيراً ، فلم يتهيأ له أمرٌ ، وصار يَكْرَهُ
أن يعود إلى دمشق ، وقد شاع عنه السَّعْي بلا شيء ، فكان أعداء بن
قاضي عجلون يُزَجِفُونَ به في كل قليل بابتِ ابن عَرَب شاه ، ويشيعون أنه
وُلِّيَ، فيوجب ذلك له بعض الوَهْنِ ، فلما طال عليه ذلك أرسل قاصداً
مغربياً جريئاً وعلى يده مال للأكابر ، فُنْفِيَ . وأمَّا ابن الحمصي فكان

(١) ينصل : يخرج .

«المعجم الوسيط» (٢ / ٩٢٧) .

(٢) وثمانمائة .

قاضي الشافعية بغزة ، وكان قد قَرَّب شخصاً من الشهود ، يُقال له شرف الدين بن مفلح ، فاتفق أنَّ عَزَلَ ابنُ الحمصي وَوَلَّى ابن مفلح ، فصار ابن مفلح يَحْشَاه ، فصار يَسْعَى في أذاه وكان له أَخٌ في القاهرة عَارِفٌ بِمُدَاخَلَةِ أَهْلِ الدُّنْيَا ، لا شغل له إِلَّا ذلك ، واسم هذا الأخ خليل .

ثم تَنَقَّلَتْ بابين الحمصي الأَحْوَالُ فَوَلَّى قضاء حَمَاة ، ثم عَزَلَ منها وعَادَ إلى قضاء بلد غَزَّة ، فلم يَدْعُهُ ابنُ مفلح إِلَّا قليلاً ، وَعَزَلَهُ ، وأخذ عنه ، وشرع يؤذيه ، فاشتدَّ خَوْفُ أَخِي أَبِي الْوَفَاءِ هذا المذكور مِنْهُ فهرب إلى القاهرة ، فخافَ أَنْ يكونَ إِنَّمَا قَدِمَهَا لِيَسْعَى لِأَخِيهِ ، فَأَرْسَلَ فِي أَثَرِهِ ، فَتَنَقَّى ، ولكن كانت قَضِيَّتُهُ غيرَ متقنة ، لم تكن إِلَّا بِمَرْسُومٍ من كاتب السرِّ ، لم يَطَّلِعْ عَلَيْهَا أَحَدٌ سِوَاهُ ، وَخَرَجَ خليلُ بن مفلح مع ابن الحمصي ، وَرَشَى الثُّقْبَاءَ الْمُرْسِمِينَ عَلَى ابن الحمصي فَأَمْكَنُوهُ مِنْ وَضْعِ زَنْجِيرٍ فِي عُنُقِهِ مِنْ خَارِجِ بَابِ النَّصْرِ ، فلما وصل إلى الخائكة ضربه بنعله على وَجْهِهِ ضَرْباً كَثِيراً ، وَأَفْحَشَ فِي أَمْرِهِ ، وَبَادَرَ إِلَى تَشْيِيعِهِ ؛ خَوْفاً مِنْ أَنْ يُسْعَى فِي رَدِّهِ ، لِعِلْمِهِ أَنَّ أَمْرَهُ عَلَى غَيْرِ أُسَاسٍ جَيِّدٍ ، فعلم به الخطيبُ أَبُو الْفَضْلِ النُّوَيْرِيُّ ، خطيب مَكَّةَ الْمُشْرِفَةِ ، وكان صَاحِبَ أَخِيهِ أَبِي الْوَفَاءِ رَفِيقَهُ فِي الْإِسْتِغَالِ عَلَى الشَّيْخِ أَبِي الْقَاسِمِ النُّوَيْرِيِّ ، جَهَّزَ ابنُ الْحَمْصِيِّ ، فسعى في أَمْرِهِ ، فَزَدَ مِنْ نَحْوِ بَلْبِيسَ ، وَرَثَى لَهُ كُلُّ وَاحِدٍ ، وكان الْإِسْرَافُ فِي أَمْرِهِ سَبَبَ عَزَلِ ابن مفلح وولاية أخيه كما سيأتي ، وَأَمَّا ابن عرب شاه فاستمر (١) .

(١) جاء في أعلى الصفحة للمؤلف : فائدة في القىء ، يجب عند القىء أن تعصب العينين ، ويُقْمَطُ الْبَطْنُ ، وعند الفراغ يُنْسَلُ الْوَجْهَ بِهَاءٍ بَارِدٍ وَقَلِيلٍ ، لِيَمْنَعَ ثَقُلًا يَحْدُثُ فِي الرَّأْسِ ، وَيُسْتَعْمَلُ عَقِيْقُهُ شَرَابُ لَيْمُونٍ ، وَقَلِيلُ مَصْطَكَا نَحْوِ رُبْعِ دِرْهَمٍ ، وَوَقْتُ الْقَىءِ الرَّبِيعُ وَالصَّيْفُ دُونَ الشِّتَاءِ وَالْخَرِيفِ ، وَلَا يُكْثَرُ مِنَ الْجَمَاعِ فِي الْخَرِيفِ .

[٢٣٦] وفي هذا الشهر في عشره الأول ، رابع الشهر أو خامسه ، مات زين الدين عبد الرحمن ^(١) بن ناصر الدين محمد بن البدر حسن الفاقوسي عن نحو ثمانين سنّة ، وكان أبوه أسمعته على البرهان الشامي وغيره من المسندين ، وقرأ عليه الطلبة ، ثم عثروا على تزويره ، فإنه رأى خبراً فيه طبقة بخط قاضي القضاة ابن حَجَر ، أنه سمعه عبد الرحمن وفلان الفاسيان ، فزادهما (قو) ، فصارت الفاقوسيان ، وهي زيادة لا يُشكُّ فيها أنها مُفتعلة ، ثم رأوا له تزويراً آخر ، مع أنّه كان مشهوراً بكثرة القرض لأغراض الناس وبعض مجازفة في الكلام ، وجرت له بسبب ذلك محنة مع قاضي القضاة زين الدين ^(٢) عبد الرحمن التّفهني الحنفي ، وذلك أنّه نُقل أنّه عُرِل ، فبلغه ذلك ، فكشف عنه ، فوجده كذباً ناشئاً عنه ، فأخبر بذلك السلطان الأشرف برّسبائي ، فأمر بضربه وتجريسه ^(٣) ، ففعل

(١) هو : عبد الرحمن بن محمد بن حسن بن سعد بن محمد بن يوسف بن حسن ، تقي الدين أو زين الدين بن القاضي ناصر الدين ابن الفاقوسي ، ولد ليلة الأحد ٢١ ربيع الآخر سنة ٧٨٦ هـ بالقاهرة ونشأ بها ، وأخذ عن أبرز علماء مصر ، وزار القدس ، وسافر إلى حلب والإسكندرية وبلاد الصعيد ، مات يوم الثلاثاء ٥ رمضان سنة ٨٦٤ هـ .

له ترجمة في : « عنوان الزمان » (مخطوط) (٢٤٩ - ٢٥٠) ، و « الضوء اللامع » (٤ / ١٢٨ رقم ٣٣٨) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٧٦) .

(٢) هو : عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن علي بن هاشم ، الزين أبو هريرة التّفهني القاهري الحنفي ، ولد سنة ٧٦٤ هـ بتفهنّا - قرية بالقرب من دمياط ، ونشأ فقيراً ، واشتغل حتى برع في الفقه والأصول والعربية ، وأفتى ودّرس ، وناب في الحكم ، ثم استقل بوظيفة القضاء ، ولم تشكر سيرته؛ لحدة فيه ، مات ليلة الأحد ٨ شوال سنة ٨٣٥ هـ .

له ترجمة في : « النجوم الزاهرة » (١٥ / ١٧٥ - ١٧٦) ، و « الضوء اللامع » (٤ / ٩٨ رقم ٢٨٥) .

(٣) تجريسه : أى يعلق فيه جرس للتشهير به وإذلاله .

على هَيْئَةِ بَشْعَةٍ ، حوله سيوف مسلَّلة ، وكان مُقَتَّاً إلى الناس ، فلما عُثِرَ على التَّزْوِيرِ نُهِى أَكَابِرُ الطَّلَبَةِ عَنِ السَّمَاعِ مِنْهُ ، فَتَرَكَ .

وفي يوم الاثنين تاسع شَوَّالٍ مِنْ سنة أَرْبَعٍ وَستين ^(١) هذه ، نزل السُّلْطَانُ إلى بُولاق ، فنظر المراكِبَ ، التي يُريدُ بَعْثُهَا إلى جزيرة قُبْرُسَ لانتزاعها مِنْ ابنة الملك ، وتسليمها إلى ابنه ، وما يتعلَّقُ بها ، وذلك بعد أَنْ عَرَضَ الجُنْدَ ، وبذلَ فيهم النِّفَقَةَ وَعَيْنَ الأُمَرَاءِ ، وهم : قَانَمُ التَّاجِرِ ، وَبُرْدُوكُ البَشْمَقْدَارِ رَأْسَ نَوْبَةِ الثَّانِي ، وَغَيْرِهِ مِنَ الظَّاهِرِيَّةِ الجَقَمَقِيَّةِ وَسُودُودُونَ قَرَقَشَ ، خَاجِبُ الحِجَابِ ، وَيَشْبُكُ الفقيه شَادِ المؤيَّدِيَّةِ ، [ورأسهم] ^(٢) الدُّوَيْدَارُ الكبير يُونُسَ ، صِهْرُهُ على ابنته ، وهؤلاءُ كُلُّهُمْ مؤيَّدِيَّةٌ ^(٣) .

وفي هذا الحد ، عُرِلَ جلالُ الدِّينِ البكري الشافعي عن قضاء نغز الإسكَنْدَرِيَّةِ ، وَوَلِيَهُ ^(٤) أُوْحَدُ الدين محمد بن شهاب الدِّينِ أَحْمَدُ العجيمي البُلْقِينِي قَاضِي المَحَلَّةِ ، واستمرَّ قضاء المَحَلَّةِ بيده ، واستتاب فيه صهره الشرف بن أَبِي المكارم بن قاسم ^(٥) ، ثم بلغنا أَنَّ الدُّوَيْدَارَ

(١) وثمانيائة .

(٢) في الأصل (وياسهم) ، والتصحيح من مفهوم السياق .

(٣) الخبر في « حوادث الدهور » (٣٤١) ، و« النجوم الزاهرة » (١٦ / ١٥٠) ، و« بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٧٦) .

(٤) هو : محمد بن أحمد بن أبي بكر بن رسلان ، أو حد الدين ، أبو الخير ، البُلْقِينِي الأصل المحلِّي الشافعي ، المعروف بالعجيمي ، ولد في يوم الثلاثاء ٢٨ شوال سنة ٨٢٣ هـ بالمَحَلَّةِ ، ونشأ بها ، تميَّزَ في الفرائض والحساب ، وشارك في العربية وغيرها ، مات فجأة في يوم الجمعة ١٩ رمضان سنة ٨٨٧ هـ بالمَحَلَّةِ .

له ترجمة في « الضوء اللامع » (٦ / ٢٩٦ رقم ٩٩٠) .

(٥) هو : محمد بن محمد بن قاسم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد القادر ، الشرف ابن كريم الدين أبي المكارم المحلِّي ثم القاهري المالكي ، ولد سنة ٨٢٠ هـ بالمَحَلَّةِ ونشأ بها ، مات سنة ٨٧١ هـ .

له ترجمة في « الضوء اللامع » (٩ / ١٨٠ رقم ٤٦٥) .

الكبير يونس ، لما وَرَدَ إلى دِمْيَاط ، نادى بِكَفِّ الْأَذَى وَأَنَّ مَنْ أَفْسَدَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ ، ثُمَّ أَتَبَعَ الْقَوْلَ الْفِعْلَ ، فَضَرَبَ وَقَتَلَ وَهَوَّلَ فِيهِمُ الزَّوْاجِرَ ، فَانْكَفُوا أعظم انكفاف ، حَتَّى رَجَعَ كَثِيرٌ مِمَّنْ كَانَ رَحَلَ .

وفي يوم الثلاثاء ، عَاشِرَهُ رَسَمَ السُّلْطَانُ بِتَوْسِيطِ ثَلَاثَةِ : عَبْدٌ طَلَبَ مِنْ شَخْصٍ لَيْلًا دِرْهَمًا ، فَقَالَ لَهُ : مَا مَعِيَ شَيْءٌ ، فَضَرَبَهُ ، فَقَبَضَ عَلَيْهِ بِيَدَيْهِ فَطَعَنَهُ بِسَكِينٍ ، فَلَمَّا عَرَفَ أَنَّهُ أَتْلَفَهُ شَدَّ عَلَيْهِ بِيَدَيْهِ (وَكَانَ رَجُلًا أَيَّدًا^(١) وَكَانَ مَسْكُورًا) وَصَاحَ فَتَنَزَلَ إِلَيْهِ جِيزَانُهُ ، فَقَبَضُوا عَلَيْهِ ، فَأَوْدَعَ السَّجْنَ ، وَبَدَوِي ، كَانَ يَقْطَعُ الطَّرِيقَ ، وَتَرْكَمَانِي قَتَلَ جَنْدِيًّا ، ثُمَّ كَثُرَ إِتْلَافُهُ لِأَهْلِ الْفَسَادِ مِنْ أَهْلِ الْبَرِّ وَالْمَدِينَةِ ، فَمَكَثَ أَيَّامًا مَتَوَالِيَةً يَوْسُطُ كُلِّ يَوْمٍ نَاسًا ، وَتَارَةً يُضْلَبُونَ ، وَتَارَةً تُعَلَّقُ رُؤُوسُ مَنْ يَقْتُلُونَهُ فِي نَوَاحِي الْبَرِّ ، وَلَا يَزْدَادُ الْأَمْرُ إِلَّا فُسَادًا ، فَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

وفي هذا الْحَدِّ ، وَهُوَ عَاشِرُ شَوَّالِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِينَ (٢) مَاتَ الشَّيْخُ أَبُو الْفَضْلِ (٣) الْمَغْرِبِي ، عَلَامَةُ زَمَانِهِ وَنَادِرَتُهُ فِي عَتَابِ كَمَا سَيَأْتِي فِي أَوَائِلِ سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِينَ (٤) رَحِمَهُ اللَّهُ .

وفي هذا الحد ، نَهَبَ بَنُو حَرَامٍ مِنْ أَهْلِ الشَّرْقِيَّةِ ، قَرْيَةً بَلَقَسَ وَقَفَ الْأَشْرَافَ ؛ فَأَخَذَ نَقِيبُ الْأَشْرَافِ جَمَاعَةً مِنْهُمْ ، وَطَلَعَ بِهِمْ إِلَى السُّلْطَانِ ، فَشَكَّوْا حَالَهُمْ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ ؟ فَقَالُوا : قَرْيَةُ كَذَا ، وَقَرْيَةُ كَذَا ، وَسَمُّوْا لَهُ الْمَفْسِدِينَ . فَسَكَتَ ، فَلَمَّا طَالَ سَكُوتُهُ ، قَالَ الْأَمِيرُ

(١) أَيَّدًا : قُوَّةً شَدِيدًا .

« المعجم الوسيط » (١ / ٣٤) .

(٢) وَثَمَانِيَةً .

(٣) رَاجِعْ « هَامِش ٣ » مِنْ (ص ١٥٦) مِنْ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ .

(٤) وَثَمَانِيَةً .

بُرْذَبَك الدَّوَيْدَار : اذهبوا ، حتى يكشف السلطانُ عَنْ هذا الأمر ،
فانفصلوا على ذلك .

وفي يوم الاثنين سادس عشر شوال المذكور ، الموافق لحادي عشر
شهر مسري من أشهر القبط ، نودي على البحر بزيادة^(١) ثلاث عشرة
إصباعاً ، فوق ست عشرة ذراعاً وثمانٍ أصابع من الذراع السابعة عشرة ؛
فتزل ولدا السلطان ، أحمد ومحمد فخلقا المقياس ، ثم رجعا ففتحا
السدَّ ، وكان معهما جاكمو ابن صاحب قبرس ، الذي جاء يسعى في
ولايتها وعزل أخته وذمهم الناس على ذلك ، والله الموفق ، وجرت المياه في
خلال القاهرة في الخللجان ، وصار الشقاء يملأون فيها إلى سادس عشر
محرم وهو الموافق لثالث هاتور^(٢) من أشهر القبط ، فمنعوا من الخليج
الأذنى فكانت مدة انتفاعهم به ثلاثة أشهر كاملة .

وفي سابع عشره نودي بزيادة ثمانٍ أصابع ، فذلك ست عشرة إصباعاً
من الذراع السابعة عشرة .

وفي هذا اليوم سافر الأمراء المعينون إلى جزيرة قبرس ورأسهم
الدَّوَيْدَار الكبير يونس ، صهر السلطان ، وأمير البحر المتكلم على
المراكب عند خروج العسكر إلى البر الأمير قانم التاجر ، وذلك بسبب
ابن ملك قبرس المسمي جاكمو ، لينزعوا الملك من أخته ويملكوه
عليها . وكان سفرهم بعد أن ملئت القاهرة بسببهم فساداً ، وبلغني أن
دمياط خلت خوفاً منهم إلا بمن لا يقدر على الثقل ، فالله المسؤول أن

(١) راجع الخبر في « حوادث الدهور » (٣٤١) ، و« بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر)

(٧٧).

(٢) في « خطط المقريري » (١ / ٢٧٠) هاتور .

يَكْفَأُ أَذَاهُمْ . وتأخر سُقْرُ الزَّرْدُكَاش ، لِيَقْبِضَ عَلَي مَنْ عساه يتأخر
من النُّوَاتِيهِ أَوْ غَيْرِهِمْ مِنَ الْبَحْرِيَّةِ ، فاستمر نحو خمسة أَيَّام ، ثم سَافَرَ ،
فَيَقَالُ عَنْهُ : فسادٌ كبيرٌ وهو منحدِرٌ مِنْ نَهَبِ : البطيخِ والتين ، وأُخِذَ مِنْ
يَلْقَاهُ يَلْزَمُ بِالسُّفَرِ مَعَهُ قَبَّحَهُ اللَّهُ ^(١) .

وفي يوم الأربعاء ثامن عشر شوال هذا ، ماتَ الشَّرِيفُ صدر
الدين ^(٢) عبد القادر ابن الشَّرِيف شرف الدين محمد اليونيني قاضي
الحنابلة بِبَغْلَبَك ، وكان يُعَادِيهِ قَاضِي الشَّافِعِيَّةِ وابن قَاضِيهَا علاء الدين
علي الشهير بابن قرقين ، وكان غَايَةً فِي الْفَسَادِ ، لَا يَكْفَأُ عَنْ قَتْلِ نَفْسٍ
وَلَا مَادُونَةٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْفُجُورِ ، وكان قد اتَّفَقَتْ لَهُ قِصَّةٌ مَعَ نَائِبِ الشَّامِ ؛
بِسَبَبِ أَنَّهُ نُسِبَ إِلَيْهِ قَتْلُ فِي مَسْكِرِهِ ، فَأُخْضِرَهُ وَغَرَّمَهُ مَالاً كَثِيراً ، فَتَفَلَّتْ
وَهَرَبَتْ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، فَأَرْسَلَ وَرَاءَهُ قَاصِدَهُ لِيَرُدَّهُ السُّلْطَانُ إِلَيْهِ ، فَتَعَصَّبَ لَهُ
كَاتِبُ السَّرِّ الْمُحِبُّ بْنُ الشَّحْنَةِ ، فَلَمْ يَتِمَكَّنْ مِنْهُ قَاصِدُ نَائِبِ الشَّامِ ، ثُمَّ
اسْتَمَرَّ فِي بَيْتِ كَاتِبِ السَّرِّ يَفْتَحُ أَبْوَابَ الشُّرُورِ ، فَاتَّفَقَ أَنْ وَرَدَ إِلَى الْقَاهِرَةِ
أَحَدُ دُوَيْدَارِيَّةِ نَائِبِ الشَّامِ ، فَحَسَّنَ لَهُ ابْنُ قَرْقِينَ أَنْ يَأْخُذَ مَعَهُ مَرَاثِمَ
بِالْكَشْفِ عَلَى هَذَا الشَّرِيفِ وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ يَحْصُلُ مِنْ ذَلِكَ مَالٌ كَبِيرٌ
فَفَعَلَ فَسَافَرَ إِلَى بَغْلَبَك وَوَضَعَ الشَّرِيفَ فِي الْقَلْعَةِ ، وَنَادَى فِي الْبَلَدِ : مَنْ

(١) راجع الخبر في : « حوادث الدهور » (٣٤٢) ، و « النجوم الزاهرة » (١٦ / ١٥٠ - ١٥١) ،
و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٧٧) .

(٢) عبد القادر بن محمد بن محمد بن عبد القادر ، الصدر بن الشرف بن المعين اليونيني
البعلي الحنبلي ، ولد في نصف شعبان سنة ٨٢١ هـ ببعلبك ونشأ بها ، وناب في القضاء ببعلبك
ودمشق ، ثم استقل بقضاء بعلبك سنة ٨٥٣ هـ إلى أن مات في صالحة دمشق .

له ترجمة في « الضوء اللامع » (٤ / ٢٩٥ رقم ٧٨٤) .

له عنده ظُلَامَةٌ فَلْيَرْفَعَهَا . فلم يَظْهَر في جَهَتِهِ شَيْءٌ ، ولا شكاه أَحَدٌ ، ثم عَلم بذلك الأكابرُ ، وعلموا أَنَّ الأَمْرَ مِن ابنِ قرقين ، فأعلموا نائِبَ الشَّامِ ، فأرسل إلى دُوَيْدَارَةَ ليلطف به ، وأَقْدَمَهُ إلى دمشق بعد أن عُرِّمَ ستمائة دينار ، وكتب له نائِبُ الشَّامِ إلى السُّلْطَانِ فَمَنْ دونه كُتِبَ حَسَنَةً ، وأرسل قاصِداً بذلك ، فاتَّفَقَ مَوْتُهُ في التاريخ المذكور ، وهو يوم دخول قاصِده إلى القَاهِرَةِ ، فلَمَّا بَلَغَ خَبْرَ مَوْتِهِ زَوَّرَ عليه ابنِ قرقين ورقةً تقتضي إذهاب وظائفه ، وجميع تَعَلُّقه لكَاتِبِ السِّرِّ ، فاتَّفَقَ أن كان البدر ابنِ المزلَّق ناظر جيش الشَّامِ في القَاهِرَةِ ، فسعى في القَضِيَّةِ إلى أن كُتِبَ له توقيعُ بَأَن تَعَلُّقه لابنه شرف الدِّين محمد بن صدر الدين المذكور ، وذلك على نحو مائتي دينار لكَاتِبِ السِّرِّ المحب بن الشُّحْنَةِ .

وفي يوم الخميس تاسع عشر شوال هذا ، خَرَجَ مَحْمَلُ الرِّكَبِ الحجازي إلى بَرْكَه الحاج ، وأمير المَحْمَلِ تَمَّرُ بَاي (١) القُرْمِي ، تاجر المالك وهو في غاية ما يكون من فساد السيرة وقُبْح السَّيرَةِ ، وبُغْضُ الفقهاء وأهل الخير ، والتَّجَاهَرُ بِسَبِّهِمْ وَضَرْبِهِمْ ، همى الله الرِّكَبَ من شَرِّهِ ، وأمير الأول تَنَمَّ السَّاقِي (٢) ، أحد رؤوس النُوب (٣) .

(١) هو : تَمَّرُ بَاي بن عبد الله من حِزَةِ الناصري ، الأمير سيف الدين المعروف بِتَمَّرُ بَاي طَطَّرَ ، تركي الجنس من ممالك الملك الناصر فرج ، نزل به الدهر ، ثم عاد إلى بيت السلطان وترقى إلى أن صار أمير مائة ومقدم ألف في دولة الملك خُشْقَدَم ، مات في ليلة السبت ٢٨ جمادي الآخرة سنة ٨٦٦ هـ ، وقد ناهز الثمانين .

له ترجمة في : « حوادث الدهور » (٧٩٠) ، و« النجوم الزاهرة » (٣١٦ / ١٦) .

(٢) هو : الأمير سيف الدين تَنَمَّ الحسيني أو (الحسيني) الأشرفي بَرَسْبَاي ، أصله من ممالك الأَشْرَفِ بَرَسْبَاي وخواصه وسفاته ، وامتنحن بعد موته وخُجِسَ ثم أُطْلِقَ ، فتأمر عشرة ، ثم صار من رؤوس النُوب ، ثم صار رأس نوبة ثاني ، ثم نائِبَ حَمَاة ، ثم بَطَّلَ ، ثم قَدَّمَ بحلب ، ومات بها في جمادي الآخرة سنة ٨٧٣ هـ .

له ترجمة في : « حوادث الدهور » (٧٢٢) ، و« الضوء اللامع » (٤٥ / ٣) رقم (١٨٦) .

(٣) خبر خروج المحمل في : « النجوم الزاهرة » (١٦ / ١٥١) ، و« بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٧٧) .

وفي يوم السبت حادي عشره ، سار الأول من البركة (١) .

(٢٣٧) وفي يوم الأحد ثاني عشره ، سار المحمل صحبهم الله وحماهم من شر أميرهم ، وسافر معهم خطيب مكة أبو الفضل النوري ، بعد أن اشتد سعيه في نظر الحرم ، فلم يجب ، وكان بعض الصلحاء قد قرّر عند أخصاء السلطان بعض أخلاقه الذميمة ، على وجه لا يمكن دفعه ، فقام الدليل على ذلك وعلى غيره ، فعرف على ما هو عليه ، وشرعوا يُقبّلون عن أخباره ، ويدوقون مقاصده ، ولعلمهم سمعوا ما كان رُمي به في السفرة التي قبل هذه مع عبيد فراش السلطان ، فإنها كانت قضية شنيعة نظّم فيها بعض الأدباء أبياتاً وكثُر تناقل الناس لها ، وسؤالهم عنها ، فكانت تُحكى بأسانيد متصلة علي وجوه مفصلة ، والله ولي التوفيق .

وكان السلطان ، قد أرسل جُنْدًا إلى الصعيد ؛ ليُكفّوا شرّ العرب وأمر عليهم حُشْدَهم أمير السلاح ، فاتَّفَق أن يئته العرب ليلة من الليالي ، فنالوا منه ، وهزموه إلى البحر ، فعثر وهو في البحر على مركب فيه عرب كثير ، فأمر بالقبض عليهم . فقالوا : نحن كُنّا في القاهرة ، ولا تعلّق لنا بمن حاربك ، ونحن من فلاحي سُفَر الزردكاش ، ثم رآهم يكثرون التلّفّت إلي أمتعتهم ، فازتاب منهم ، فأمر بتفتيش الأمتعة فإذا فيها دروع كثيرة ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : أرسلها معنا الزردكاش . فقال : أمتعكم كُتب ؟ فقالوا : لا . ففتشهم ، فإذا معهم كُتب إلى ابن غريب ودّويه ، وهو الذي حارب أمير السلاح ، يهون فيها أمر الجند ، ويأمرهم بمحاربتهم ويعدّهم بعمل مصالحهم عند السلطان وحمايتهم من كل ما يخافونه ، فأرسل ذلك أمير السلاح إلى السلطان .

(١) جاءت هذه الكلمة (تكعية) في نهاية صفحة (٢٣٦) إشارة إلى أول كلمة تبدأ بها صفحة (٢٣٧) ، إلا أنّها لم تُثبت هناك ، لذا تم التصحيح .

هكذا شاع في القاهرة ، ثم قدم عبد الله الكردي ، المعروف الآن بتغري بردي من البهسة ، وكان علي إقطاع قر قماش^(١) خال العزيز^(٢) ، رأس نوبة النوب ، وكان بمن واقع العرب ، وتجرّح منهم ، فسأله عن ذلك فصّده ، وقال إنه مُحَقَّق ، فشاع في القاهرة أنّ السلطان لما بلغه ذلك أرسل من مُحَضِّر الزردكاش من دميّاط في قيد وغل وهو الزنجير ، وروّفع بأنّه حصّل في جزيرة هذه السفن ، التي عملها في هذه المدّة الطويلة مالا جزيلاً ، ربما قالوا : أنه خمسمائة ألف دينار ، والله تعالى يزيده نكالا ، ثم لم يظهر لهذه الإشاعة صحّة ، فإنه لم يحضر .

وفي هذا الحدّ^(٣) وهو أواخر شوال تكلم منصور في صهره الزين الإستادار من أنه يأكل مال الديوان ، وأنّ في جهته مالا جزيلاً ، فوضعه السلطان في الحديد ، وسجنه في البحرة ، بالقلعة أيّاماً ، فلم ينهض بتحرير شيء في جهته ، فضربه الأجلاب ضرباً شنيعاً ، وخلع السلطان على الزين يوم الاثنين مستهل ذي القعدة الحرام ، من سنة أربع وستين^(٤)

(١) هو : قرقاش بن عبد الله الأمير سيف الدين ، الأشرف برسباي ، المعروف بالجلب .

ترجمته في « هامش ٤ » من (ص ٣٩٤) من القسم الأول .

(٢) وهو : الملك العزيز يوسف بن الأشرف برسباي ، تولى السلطنة بعد وفاة والده في ١٣ ذي الحجة سنة ٨٤١ هـ وكان عمره نحو ١٥ سنة ، ثم خلع في ١٩ ربيع الأول سنة ٨٤٢ هـ بعد ثلاثة أشهر من توليه السلطة .

« خطط المقرزي » (٢ / ٢٤٤) .

ويعلم من إشارة (للصيرفي) في « إنباء المهر » (١١١) أن قرقاش قريب للأشرف برسباي الذي جلبه من بلاد الجاركس إلى الديار المصرية ، كما ذكر (السخاوي) في « الضوء اللامع » (٦ / ٢١٨) أن قرقاش كان من معارف استاذة الأشرف برسباي ويقال له : أخوه الأشرف ، ويُظن أنه رضيعه .

(٣) في « النجوم الزاهرة » (١٦ / ١٥١) في يوم الجمعة ٢٧ .

(٤) وثانائة .

هذه ، واجتمع له الخلائق ، سرور آبه ، وكان يوماً مشهوراً^(١) .

وفي هذا الحد ، وصل البدر حسن بن الخواجا الكبير شمس الدين محمد بن المزلق ناظر جيش الشام ، إلى القاهرة ، فانزله الزين بن مظهر ناظر جيش مصر في بيت عبد الباسط على بركة الرطلي ، وكان قد قُسم قسمين ، وكان البرهان بن الديري الذي أخذ عنه ابن مظهر ناظر الجيش ساكناً في أحد القسمين ، فَشَقَّ عَلَى ابن المزلق إنزاله هناك ؛ وكان يريد النزول في وسط البلد ، في غير جميل أحد ، فإذا الأمر قد أُخِكم مع السلطان ، فشكى ضيق المنزل ، ثم تحول منه إلى بيت بني الجيعان على البركة أيضاً ، ووصل معه الشيخ نجم الدين محمد بن القاضي ولي الدين عبد الله بن القاضي زين الدين عبد الرحمن بن قاضي عجلون الشافعي .

وفي يوم السبت سادس ذي القعدة ، كان آخر شهر مسري ، سلخ السنة القبطية .

وفي يوم الأحد سابع ذي القعدة ، وهو الموافق لأول أيام النسيء ، نودى أن البحر زاد إضبعين ، فوق إحدى عشرة إصبعاً من تسع عشرة ذراعاً ، وما علمت أن الزيادة بطلت يوماً من الأيام مع المقاطع التي تُقَطَّع ؛ لتتسبط منها المياه على الأراضي ، ومع ذلك فالتاس يتزاحمون على الغلال يشترونها ، ويخزونها ، حتى غلَّت أسعارها بعد أن كانت انحطَّت

(١) الخبر في : « النجوم الزاهرة » (١٦ / ١٥١ - ١٥٢) ، و« بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر)

وَعَزَّتْ ، بعد أن كانت هانت ، فلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، وسألتُ بَعْضَ النَّاسِ عَنْ سببِ ذَلِكَ ، فَقِيلَ : انقطاع الطرق مِنْ عَرَبِ هَوَّارَةَ جَمَاعَةِ ابْنِ غَرِيبٍ ؛ فَإِنَّهُمْ بَطَرُوا ^(١) بِكسرهم أَمِيرَ سِلَاحٍ ، وَزَادَهُمْ ذَلِكَ ، أَنَّهُ قَدِمَ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، وَلَمْ يُرَاطِبْهُمْ بَعْدَ هَزِيمَتِهِ شَيْئاً حَتَّى قِيلَ : إِنَّ بِلَادَ الصَّعِيدِ رُبَّمَا يَتَعَطَّلُ زَرْعُهَا فِي هَذَا الْعَامِ ، لِهَذِهِ الْفِتْنَةِ ، وَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ : بَلْ أَخْبَرَ أَهْلُ التَّقْوِيمِ الدَّاخِلُونَ فِيهَا لَا يَعِينُهُمْ مِنَ الْأُمُورِ الْمُسْتَقْبَلَةِ بِالْغَلَاءِ ، فَحَزَنَ بَعْضُ الْأُمَرَاءِ ، فَتَبِعَهُ النَّاسُ ، نَسَّالَ اللَّهُ الْقَوَى الْكَرِيمَ إِكْذَابَهُمْ وَإِزْخَاصَ الْأَسْعَارِ آمِينَ .

وَفِي هَذَا الْحَدِّ وُلِّيَ الْقَاضِي أَبُو الْوَفَا شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَمْصِيِّ قَضَاءَ الشَّافِعِيَّةِ بِغَزَّةَ ، عَنْ ابْنِ مَفْلَحٍ ، وَذَلِكَ أَنَّ خَلِيلَ بْنَ مَفْلَحٍ أَخَا شَرَفِ الدِّينِ مُوسَى الْقَاضِي بِغَزَّةَ ، لَمَّا بَالَغَ فِي أَذَى أَخِي أَبِي الْوَفَاءِ ، رَقَّ لَهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، وَكَانَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ مِنْ أَخِصَاءِ الْمَقَامِ الشَّهَابِيِّ أَحْمَدَ ، وَلَدَ السُّلْطَانِ ، فَرَفَّقُوهُ عَلَيْهِ ، وَقَامُوا فِي أَمْرِهِ إِلَى أَنْ وُلَّاهُ .

[٢٣٨] وَفِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ ثَامِنِ ذِي الْقَعْدَةِ ، سَاعَدَ شَخْصٌ مِنْ أَكْبَارِ الْأَجْلَابِ يَقَالُ لَهُ : جَانِبُكَ حَبِيبٌ ، شَخْصاً فِي شَيْءٍ ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ مَعَارِضَةٌ لِشَخْصٍ آخَرَ مِنْ أَكْبَارِهِمْ ، فَتَعَصَّبَ لِكُلِّ مِنْهُمْ نَاسٌ إِلَى أَنْ كَانُوا فِتْنَتَيْنِ ، فَارْكَبُوا وَنَزَلُوا إِلَى الرُّمَيْلَةِ ، وَهَمُّوا بِالْقِتَالِ ، فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ مُقَدِّمُ الْمَهَالِكِ ^(٢) وَلَمْ يَزَلْ يَتَرَدَّدُ بَيْنَهُمْ حَتَّى انْكَشَفَ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ .

(١) بَطَرُوا : كَفَرُوا النِّعْمَةَ وَاسْتَخَفُّوا بِهَا .

« الْمَعْجَمُ الْوَسِيطُ » (١ / ٦١) .

(٢) وَهُوَ الطَّوَّاشِيُّ مَرْجَانُ الْعَادِلِيِّ الْحِصْنِيِّ ، مِنْذُ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ ٤ جُمَادِي الْأُولَى سَنَةِ ٨٦٢ .

« حَوَادِثُ الدَّهْرِ » (٣٤٤) ، وَ« النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ » (١٦ / ١١٧) ، وَ« بَدَائِعُ الزُّهُورِ » (صَفْحَاتُ لَمْ

تَنْشُرَ) (٥٤) .

وفي يوم الخميس ، حادي عشره عُمِلَ موكِبُ سُلْطَانِي ؛ بسبب أنه قَدِمَ عليه رسولٌ مِنَ البِنَادِقَةِ ^(١) ، فَلَمَّا اجتمع بالسلطان وخرَجَ سألَهُ بعضُ المباشرين (على ما قيل) : في أيِّ شيء جاء. فقال : ما أَذِنَ لي أَنْ أُكَلِّمَ في حاجتي غيرَ السلطانِ في خَلْوَةٍ ، واليوم كان السَّلَامُ ، وَبَعْدَهُ يكون الكلامُ ، فاختَلَفَ النَّاسُ ، فقيل : إِنَّهُ قَدِمَ يَشْكُوا مِنْ أَنَّ المتكَلِّمينَ عن السلطان في البَهَارِ ^(٢) ، مثل ابن المزلق ، وابن قليب يُضَيِّقُونَ عليهم ويظلمونهم ويسندون ذلك إلى السلطان ، وقيل : بل صاحِبَةُ قُبُرس أرسلته ؛ يتلافى خاطِرَ السلطانِ في إبقائها على الملك ، وعَدَمَ غَزْوِهَا. والسبب في إرسالها تارة مِنَ الكَيْتِلَانِ ، وتارةً مِنَ البِنَادِقَةِ ، أَنَّ الجزيرة مُسْتَضَعْفَةٌ فَأَيْدِي جميع الكفَّارِ عليها . هذا المظنون والله أعلم.

فلما خاب رسولها الكَيْتِلَانِي ؛ لِمَا تَقَدَّمَ لطائفته مِنَ العَدَاوَةِ للسلطان ، ولابن عثمان جعلت هذا الثاني مِنَ البِنَادِقَةِ المعروفين بالتَّجَارَةِ وَعَدَمَ الإِمعانِ في الشَّرِّ ، ثم تحرَّرَ أَنَّهُ إِنَّمَا قَدِمَ بسبب مظالم أُحْدِثَتْ عليهم في

(١) البِنَادِقَةُ : طائفة مشهورة من الفَرَنجِ قاعدة ملكتهم البُنْدُوقِيَّةُ على طرف الخليج المعروف بجَوْنِ البِنَادِقَةِ ، عمارتها في البحر ، وتتردَّد المراكب بين الدور ، ومركب الإنسان على داره ، ودنانيرهم أفضل دنانير الفرنج .

« صبح الأعشى » (٥ / ٤٠٤ - ٤٠٥) .

والبنديقية اليوم من أهم المدن الإيطالية في أقصى الشمال من البحر الأدرياتي .

(٢) البَهَارُ : عين البَقَرِ من الأفحوان الأصفر ، وهو نبات له ساق رخصة ، وورق شبيه بورق الرازانج ، وزهر أصفر أكبر من زهر البابونج ، له حدة وحرافة .

« الجامع لمفردات الأدوية والأغذية » (١٢١) و « إحياء التذكرة » (١٨٩) .

ويبد وأن (البَهَارُ) أصبح يُطلق على كل ما له حدة وحرافة مما يُضاف إلى الأطعمة .

البَّهَار والقطن وغيرهما ، فقال لهم الأمير بُرْدُ بَك صهر السلطان ودُوَيْدَارُه: إِنَّ كَانَ شَيْءٌ أُحْدِثَ مِنْ عَشْرِ سَنِينَ فَأَنَا ضَامِنٌ إِزَالَتَهُ ، فَرَضُوا بِذَلِكَ .

وفي هذا الحَدِّ ، تَزَوَّجَت بنت بُرْدُ بَك العجمي بَابِن أُسْنُبَعَا الطَّيَّارِي وكانت قَبْلَهُ عِنْدَ ابْنِ الزَّيْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ مُزْهَرٍ ، فَخُطِبَ بِنْتُ الْقَاضِي بِهِاءِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ النَّجْمِ ابْنِ حِجِّي فَأَجَابُوهُ ، بِشَرَطِ طَلَاقِ الْعَجْمِيَّةِ ، فَأَجَابَ ثُمَّ لَمَّا دَخَلَ عَلَى بِنْتِ حِجِّي رَاجِعُهَا ، ثُمَّ جَرَتْ بَيْنَهُمْ أُمُورٌ ، وَتَرَفَعُوا إِلَى السُّلْطَانِ وَزَوْجِهِ خَوْنَدَمَرًا كَانَ آخِرُهَا أَنْ طَلَّقَ بِنْتُ ابْنِ حِجِّي ، بَعْدَ أَنْ تَوَاتَرَ وَصَحَّ أَنَّهَا حُبْلَى مِنْهُ مَعَ بَكَارَتِهَا ، مَعَ أَنَّهُ شَابٌّ لَمْ يَبْلُغْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، بَلْ وَلَا خَمْسًا وَثَلَاثِينَ فِيهَا أَظُنُّ ، وَلَكِنْ بِهِ ارْتِجَالًا لَا يَقْدِرُ عَلَى افْتِضَاضِ بَكْرٍ ، ثُمَّ إِنَّهُ سَأَلَ فِي إِعَادَتِهَا بَعْدَ أَنْ حَبَّتْ مَعَ أُمِّهَا وَأَخِيهَا سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسِتِينَ ^(١) ، فَاشْتَرَطُوا بَنَاءَ طَلَاقِ الْعَجْمِيَّةِ ، فَطَلَّقَهَا ثَلَاثًا ، ثُمَّ إِنْ ابْنِ أُسْنُبَعَا تَزَوَّجَهَا الْآنَ بَعْدَ أَنْ ثَبِتَ طَلَاقُ ابْنِ مُزْهَرٍ لَهَا ثَلَاثًا بِقَاضٍ ، فَلَمَّا بَلَغَ ابْنُ مُزْهَرٍ ادَّعَى أَنَّهُ لَمْ يَبَيِّنْ طَلَاقَهَا ، فَلَمَّا بَلَغَهُ إِيْصَالُ ذَلِكَ بِحَاكِمٍ بِشَهَادَةِ مَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى الطَّعْنِ فِي شَهَادَتِهِ ادَّعَى أَنَّهُ كَانَ مَخْتَلًا الْعَقْلَ حِينَ طَلَّقَهَا ، غَيْرَ وَاعٍ لِمَا يَقُولُ ، وَأُثْبِتَ لَهُ هَذَا زَوْجُ أُمِّهِ الْعَلَمُ صَالِحِ الْبُلْقِينِي ، فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ أُسْنُبَعَا فَأَخَذَ كِتَابَ طَلَاقِهَا وَكَتَابَ زَوَاجِهَا ، وَطَلَعَ بِهَا إِلَى السُّلْطَانِ ، فَلَمَّا شَرَحَ لَهُ الْقِصَّةَ ، قَالَ الْأَمِيرُ بُرْدُ بَك الدُّوَيْدَارُ صَهْرَهُ : أَنَا سَأَلْتُ ابْنَ مُزْهَرٍ عَنْهَا فِي الْجُمُعَةِ الْمَاضِيَةِ فَقَالَ : طَلَّقْتُهَا ثَلَاثًا . فَأَرْسَلَ السُّلْطَانُ إِلَى الْعَلَمِ يَقُولُ لَهُ : لَا تَتَكَلَّمْ فِي هَذَا الْأَمْرِ ، وَإِنْ تَكَلَّمْتَ فِيهِ فَأَنْتَ مَعْرُوفٌ فَانْتَهَى .

(١) وثلاثمائة .

وفي يوم الجمعة ثاني عشر ذي القعدة هذا ، الموافق لِأَوَّلِ توت ، أول سنة القبط ، وهو الذي يُسمُّونه يوم النِّروز ، تعدى بَعْضُ العربان ، وفتح سدَّ الأميرِيَّة ، وقد كان مِنْ سُنيَّاتٍ يُفْتَحُ فيه ، ثم صاروا يؤخِّرونه أيَّاماً ؛ فنقص البحرُ ، بسبب ذلك ، بعد أن كانت انتهت الزيادة إلى تسع عشرة إصبعاً مِنَ الذراعِ التَّاسِعَةِ عشرة ، وكان مجموعُ النِّقصِ لذلك عشر أصابع إلى يوم الاثنين نصف ذي القعدة ، ثم نوَّدي يوم الثلاثاء بزيادة خمس أصابع مِنَ النِّقص ، واستمرَّ في زيادة إلى أن وَفَى النِّقصُ وأكْمَلَ الذراعُ التَّاسِعَةُ عشرة ، ونوَّدي يوم الاثنين ثاني عشري ذي القعدة الموافق لعاشر توت بزيادة ثلاث أصابع مِنَ الذراعِ المَوْفِيَةِ عشرين ، واستمر إلى أن وصل في آخر ذي القعدة إلى سبع عشرة إصبعاً مِنْ عشرين ذراعاً ، ثم كان بعد ذلك يزيد تارةً ، ويَبُتُّ أخرى ، وينقص أخرى (١) .

وفي هذا الحدِّ بلغنا أن مدايني المحبِّ الباعوني الذي كان وَلِي قضاة بيروت وصيندا وأعمالهما شكوا عليه إلى نائب الشام الأمير جَانَم أَخِي الأشرف ، فأحضره ، فلما تحقَّقَ سوء سيرته وما هو منطَوٍ عليه مِنْ أنواعِ الفِسْقِ والتَّهاونِ بالَّذِينَ ضَرَبَهُ بالمقارع وأودَّعه السَّجْنَ فأصاب فيه سبيل الرِّشَاد .

وفي يوم الأربعاء (٢) سابع عشر ذي القعدة هذا ، قَدِمَ عَلِي بن غريب مِنْ سجن إسكندرية وسُلِّخَ جُلْدُهُ ، وحُشِيَ تَبْنًا وأُزْكِبَ فرساً ومَرَّوا به في وسط القاهرة ليذهب به محمد الصُّغَيْر (بالتصغير مثقلاً) إلى بلاده ، كذلك لِيُنْكَى به طائفته مِنَ الْعَرَبِ ، لِأَنَّ مرادهم بِإِمْعَانِهِمْ في الفساد أن

(١) الخبر في «حوادث الدهور» (٣٤٢) .

(٢) الخبر في : «حوادث الدهور» (٣٤٢) ، و«النجوم الزاهرة» (١٦ / ١٥٢) .

يُطْلِقَهُ السُّلْطَانُ ، فَعُومِلُوا بِضِدِّ مُرَادِهِمْ إِغْلَامًا بِأَتْنَاهَا عِبْرَةً بِهِمْ ، وَلَا خَوْفَ مِنْهُمْ ، وَإِنْ هَزَمُوا طَائِفَةً مِنَ الْأَجْنَادِ ، لِأَنَّ ذَلِكَ عَلَى خِلَافِ الْقِيَاسِ ، لَا لَوْهِنْ فِي عَسْكَرِ السُّلْطَانِ ، وَلَا لَخُلُلٍ فِي الْمَمْلَكَةِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى الْمَسْئُولُ فِي إِصْلَاحِ الْحَالِ ، فَإِنَّهُ نَشَأَ مِنَ الْفُسَادِ فِي الشَّرْقِيَّةِ وَالصَّعِيدِ ؛ غِلَاءٌ سَائِرِ الْحُبُوبِ لِقِلَّةِ الْحَلَبِ ، لَخَوْفِ الْجَالِيَيْنِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَعَاقَةُ أَهْلِ الصَّعِيدِ مِنَ الزَّرَاعَةِ .

وفي هذا الحدِّ ، بَلَّغْنَا أَنَّ علاءَ الدِّينِ عَلِيَّ بْنَ بَلْبَانَ شَيْخَ كَرْكِ نُوْحٍ (١) حَقِيقٌ ، وَسَبَبُ خَنْقِهِ أَنَّهُ كَانَ لَهُ مَدَّةُ سَنَيْنَ لَا يَحْضُرُ عَلَى الْحُكَّامِ مَعَ إِرسَالِ خَرَاجِهِمْ ، وَمَا يَجِبُ مِنْ أُمُورِهِمْ ، وَالسَّعْيُ فِي كُلِّ مَا يَأْمُرُونَ بِهِ ، فَهُوَ عَاصٍ فِي صُورَةِ مُطِيعٍ ، وَكَانَ حَاجِبُ الْحِجَابِ جَانِبِكَ مَمْلُوكُ بَرْسَبَايَ ، الَّذِي كَانَ حَاجِبًا قَبْلَهُ بِدَمَشَقٍ ، ثُمَّ نَابَ فِي طَرَابُلُوسَ شَدِيدَ الْحُنْقِ عَلَيْهِ ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ كَرَّكَ نُوْحٌ فِي إِقْطَاعِهِ ، فَهُوَ فَلَّاحُهُ وَلَا يُخْضِرُ إِلَيْهِ ، فَكَانَ يَتَوَقَّعُ الظَّفَرَ بِهِ ، وَأَنَّ يَسْجِيَهُ فِي الْقَلْعَةِ وَيَخْشَى مِنَ الْمَعَارِضَةِ ، فَكَانَ يَسْتَنْجِزُ مَرَاسِيمَ السُّلْطَانِ بِذَلِكَ مَرْسُومًا بَعْدَ مَرْسُومٍ ، إِلَى أَنْ أَجْتَمَعَ عِنْدَهُ مِنْهَا عِدَّةٌ ، مِنْهَا وَاحِدٌ بَقِيَتْهُ ، وَكَانَ شَيْخُ الْكَرْكِ قَدْ وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِخْوَتِهِ ، وَبَقِيَّةَ أَقَارِبِهِ (وَيُعْرَفُونَ بِبَنِي الْحُرَيْسِ) شَحْنًا ، أَدَّتْ إِلَى وَهْنِ كَلِمَتِهِ ، فَخَرَجَ مِنَ الْكَرْكِ إِلَى الْفَرْزَلِ (٢) ، فَلَمَّا طَالَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ كَانَ مَالٌ إِلَى الْحَضُورِ عَلَى الدَّوْلَةِ لِيَقْوِيَ جَانِبُهُ وَكَانَ يَصَانِعُ الْأَكَابِرَ وَكَانَ بَيِّنُهُ وَبَيِّنَ جَانِبِ الَّذِي صَارَ نَائِبَ الشَّامِ صُحْبَةً ، فَلَمَّا وُلِّيَ الشَّامَ قَصَدَهُ إِلَى حَلَبَ ، فَطَيَّبَ خَاطِرَهُ وَوَلَّاهُ التَّغْدِمَةَ عَلَى الْبِلَادِ الَّتِي كَانَتْ بِيَدِهِ غَيْرَ الْكَرْكِ .

(١) كَرْكِ نُوْحٍ : قَرْيَةٌ كَبِيرَةٌ قَرِبَ بَغْلَبَكِ ، بِهَا قَبْرُ طَوِيلٍ ، يُقَالُ : أَنَّهُ قَبْرُ نُوْحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

« معجم البلدان » (٤ / ٤٥٣) .

(٢) الْفَرْزَلُ : مِنْ قَرْيَةِ بَقَاعِ بَغْلَبَكِ ، فِي لُحْفِ جَبَلِهَا الْغَرْبِيِّ .

« معجم البلدان » (٤ / ٢٤٩) .

وطال طلبُ الحاجب له من نائب الشام وهو لا يُمكنه منه ، فأرسل إليه الحاجب من أطمعه في توليته الكرك على عادته ، وكان قد بنى بها مدرسة وأبنية هائلة ؛ فمال إلى ذلك ، فاستأذن نائب الشام جاتم في القدوم إلى دمشق لاسترضاء الحاجب ، وسأله حمايته منه إن لم يرض ، فأجابته ، فنزل إلى دمشق ، نزل عند [ناصر] ^(١) الدين .. ^(٢) ابن شبل ^(٣) الذي كان محتسباً بدمشق ، وهو كان السفير له في جميع ذلك .

فأرسل الأمير جاتم ، نائب الشام إلى أستاذه حاجب الحجاب جانبك ، مع ابن شبل المحتسب ليرضى عنه ، فوضعه في الحديد ، ورفع إلى القلعة ، فغضب النائب ، وسأله في إطلاقه ، فلم يفعل ، وقال : هذا مرسوم السلطان بقتله . فقال النائب : بأي جرم يُقتل ؟! وأرسل إلى نائب القلعة وألح في الأمر ، فسلمه نائب القلعة لجماعة النائب ، فوضعه في المسجد الذي في دار السعادة ، فشنع الحاجب بأن نائب الشام عاص للسلطان ؛ لأنه لا يُنفذ مراسيمه ، وتكلم بهذا بعض من أطاعه ومن الأكابر ، وتشاوروا على المكاتبه إلى السلطان بذلك ، فبلغ النائب ، وعلم أنه لا غرض للحاجب في قتل شيخ الكرك ، وإنما قصده التمكين منه ، ليصل منه إلى أغراضه ، من عمارة الكرك ثم ما يلزمه به من المال ، فطلب النائب الوالي ليلاً ، وأمره بقتله ، فأصبح مُعلقاً في المشنقة تحت القلعة ، و (صار) ^(٤) بذلك ممثلاً لمرسوم السلطان ، وأدحض حجتهم فيما نسبوه إليه .

(١) ما بين الحاصرتين بياض في الأصل ، والتصحيح من « الدارس » (١ / ٥٩١) .

(٢) بياض في الأصل بمقدار كلمة لم نجد ما يصححه في المصادر الأخرى .

(٣) في « الدارس » (١ / ٥٩١) ابن شبل .

(٤) ما بين الحاصرتين غير واضح الرسم في الأصل ، والتصحيح من مفهوم السياق .

فلما سمع الحاجب ، عظمت المشقة عليه ، وأنزله من المشقة ، فأرسله إلى الكرك ليذفن في مدرسته ، ولم يسعه إلا السكوت ، ثم دخل الناس بينه وبين النائب ، فتصالحا وألبسه النائب خلعاً وفي القلوب ما فيها .

وكان علاء الدين هذا ، عاقلاً ، رزينا ، تام البدن ، حسن التكوين ، شهماً شجاعاً ، ذا نفس أبيّة ومكارم . ولكنه كان رافضياً كأسلافه على ما يُقال ، والله أعلم .

[٢٣٩] وفي يوم الخميس ثامن عشر ذي القعدة من سنة ٦٤ (١) المذكورة وليّ أبو السّعادات (٢) محمد بن تاج الدين محمد بن قاضي القضاة جلال الدين عبد الرحمن بن شيخ الإسلام عمر البلقيني نظر خانقاه سعيد السعداء ، على مبلغ بذله للسلطان قيل : إنه ثلاثمائة دينار ، ومبلغ بذله للساعي له في ذلك ، وليقيّة المباشرين ، بحيث كان مجموع ما بُذل نحو خمسمائة .

وكانت هذه الوظيفة قد آلت إلى الزين أبي بكر بن مُزهر ، فراها كثيرة الشرّ ، عديمة الخير ؛ لأن أبا الخير النّحاس بدأ في خرابها ، بسبب أنه كان فيها نحو أربعمئة صوفي ، فلم يُنكَب إلا وقد جعلهم نيّفاً وسبعمئة ، ثم زادها شرف الدين موسى الأنصاري خراباً ، وباع كثيراً من أوقافها ، فلما رأى ابن مُزهر أمرها استعفى منها في شهر رمضان من هذه السنة ، فنفر الناس منها ، فكانت كلّما عُرِضت على أحد من أهل الدنيا أباهـ

(١) هكذا ورد رسمها في الأصل رقياً لا كتابة ، وهي سنة ٨٦٤هـ .

(٢) الخبر في : « حوادث الدهور » (٣٤٢-٣٤٣) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٧٨) .

لأنهم لا يقصدون إلا مَوْضِعاً يأكلون منه ، وهذه الآن لا يُقْبَلُ عليها إلا رجل يريد الخير في بذل نفسه وماله وجاهه في عمارتها ، وذلك تعبٌ كُلُّهُ ، أو رجلٌ أحمق ، فكان هذا أحمقُ الحَمَقَى ؛ فإنه زاد على الحقِّ بذل المال الكثير ، فكان ذلك موجباً لأن تَذَكر أمره المقام الشهابي بن السلطان ، والقاضي كاتبُ السَّرِّ ، فقال ابن السلطان : هذا البيت (يعني البَلَاقِنَةُ) ليس فيهم عاقلٌ ، هذا فعَل بنفسه ما ترى ، وذلك الذي وُلِّي قضاء دمشق (يعني وُلِّي الدين بن تقي محمد بن بدر الدِّين محمد بن شيخ الإسلام عمر) بذل بيته الذي عَمَرَهُ أبوه ، وهو من محاسِن البيوت ، وماله فكان جُمْلَةً ما تكَلَّف نحو سبعة آلاف دينار ، حتَّى وُلِّي قضاءها ، وهو يحلِفُ جَهْدَ أَيْمانِهِ أَنَّهُ لا يَرْتَشِي ، ولا يأخذ من وَقْفٍ ولا غَيْرِهِ دِرْهماً من غير حِلِّهِ ، فهذا إنْ وَقَّى بما قال ، فهو في غَايَةِ مِنْ قِلَّةِ العقل ، وإنْ لم يَقْ فهو في غَايَةِ ما يكون من قِلَّةِ الدِّين ، يَغْنِي ولا يُعْتَدِرُ عَنْهُ بأنْ قَصَدَهُ الجهاد في الله ، فإنه لا يمكنه في هذا الزَّمان مع ما حَذَّر به النبي ﷺ من الولايات في كلِّ زمان ، فضلاً عن زمان الفِتَنِ ، لا سِيَّما والذي عَزَلَهُ مِنَ الوظيفة ، من أهل العلم والدِّين ، وَقَدْ جُرِّبَتْ عِفَّتُهُ وأمانته وسياسته ، ووفور عقْله نحو عشرين سنة .

وأما هو فجرَّبَتْ سِيرَتُهُ في أَيَّام قَرِيبِهِ العَلَم على أَيَّام الظاهر بضد ذلك وكان مما حُفِظَ عَنْهُ مِنَ الطَّامَّاتِ أَنَّ السَّعْدَ إبراهيم بن الجِيعان القِبْطِي بَنَى مَدْرَسَةً على شاطئ [النيل] ^(١) بين الحجازية ^(٢) والبرابخية ^(٣)

(١) ما بين الحاصرتين غير واضح الرسم في الأصل والتصحيح من مفهوم السياق .

(٢) الحجازية : اسم المدرسة بخط الجمالية على يمين السالك من الجمالية إلى قصر الشوك ، أنشأها الست خَوَند تتر الحجازية بنت الملك الناصر محمد قلاوون ، زوجة بكتمر الحجازي سنة ٧٦١ هـ ، وعرفت فيما بعد بزاوية الحجازية .

« خطط المقرئ » (٢ / ٣٨٢ - ٣٨٣) ، و « الخطط التوفيقية » (٢ / ٧٦ و ٦ / ٦ ، ٢٤ - ٢٥)

(٣) البرابخية : اسم لمنظرة كان يمتلكها إبراهيم بن عبد الغني بن الجيعان كما أن الحجازية =

في سنة ست وخمسين ، وسبع وخمسين ^(١) ، فلما كَمَلَتْ وَلَوْا خَطَّائِيَّتَهَا لصديق لهم مِنْ دَيْرُوط ^(٢) . وكان رجلاً صالحاً ، مُقَرَّباً خَيْرًا ، لا يعرف الرِّياء ، فخطب خطبةً أَبْلَغَ فيها مِنَ التَّحْذِيرِ مِنَ الظُّلْمِ وَمِنَ فِعْلِ الْخَيْرِ بِغَيْرِ الْحِلَالِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَوَاعِظِ الَّتِي أَخَذَهَا الْبَانِي وَأَقَارِبَهُ لَأَنْفُسِهِمْ ، ثُمَّ قرَأَ فِي صَلَاةِ الْجُمُعَةِ ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَغْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ ﴾ ^(٣) الْآيَةَ ، مِمَّا يُفْهَمُ [^(٤)] أَنَّهُ قَصَدَهُمْ بِجَمِيعِ ذَلِكَ ، وَأَشَارَ بِالْآيَةِ إِلَى سُوءِ أَصْلِهِمْ ، فَصَرَفَهُ ، وَلَوْ الْقَاضِي وَلِيَ الدِّينَ هَذَا ، وَكَانَ مُوصُوفًا بِحَسَنِ الصَّوْتِ وَالْأَدَاءِ لِلخُطْبَةِ ، وَكَانَ يَخْطُبُ فِي زَاوِيَةِ الشَّيْخِ مَذْنِينَ فَخُطِبَ خُطْبَةً رَأَاهُمْ فِيهَا ، ثُمَّ قرَأَ فِي الصَّلَاةِ ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِرًا ﴾ ^(٥) وَوَقَفَ عَلَى شَاكِرًا ، لِأَنَّهُ عَلَّمَ الدِّينَ أَخَا إِبْرَاهِيمَ اسْمَهُ شَاكِرَ ، فَعَدَّ النَّاسُ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَقَالُوا : إِنْ كَانَ ذَاكَ أَسَاءَ الْأَدَبِ فَهَذَا كُفْرٌ .

وَأَمَّا كِبَرُهُمْ ، الْعَلَمُ صَالِحٌ فَأَمْرُهُ مَعْرُوفٌ فِي سِفَافِ الْأَخْلَاقِ فِي عِلْمِهِ وَدِينِهِ ، وَأَنَّهُ رَضِيَ مِنْ حَيَاتِهِ بِمَا هُوَ فِيهِ مِنْ أَكْلِ الرِّئْصِ ، وَتَغْيِيرِ الْأَحْكَامِ ، غَيْرَ مُحْتَشِمٍ فِي ذَلِكَ مِنْ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ ، أَوْ رَفِيعٍ أَوْ وَضِيعٍ .

= أَيْضًا تَطْلُقُ عَلَى مَنْظَرَةِ بِيُولَاقِ .

« النجوم الزاهرة » (١٦ / ٢١٢) ، و « الضوء اللامع » (١ / ٦٨) ، و « بدائع الزهور »

(صفحات لم تنشر) (٧٠) .

(١) وثباتها .

(٢) دَيْرُوط : ذَكَرَهَا (ابْنُ الْجَيْعَانِ) فِي « التَّحْفَةِ السَّنِيَّةِ » (١٣٨) وَأَشَارَ إِلَى أَنَّهَا مِنْ أَعْمَالِ نَغْرِ الْأَسْكَندَرِيَّةِ عَرَبِيًّا (٦١٢٥) دِينَارًا .

(٣) التوبة / ١٧ .

(٤) مَا بَيْنَ الْحَاصِرَيْنِ ، إِضَافَةٌ اقْتِضَاهَا السِّيَاقُ .

(٥) النحل / ١٢٠ ، ١٢١ .

قلت : وَلَعَمْرِي إِنَّ هَذَا الدَّمَّ فِيهِمْ بَعْضُ الدَّمِّ فِي مَوَالِيهِمْ ، وَمَا أَشْبَهَهُ
بِقَوْلِ الْخَلَّاجِ (١) الْمَقْتُولِ عَلَى الزَّنْدَقَةِ مَجِيباً لِبَعْضِ أَصْدِقَائِهِ : وَكُلُّ كِتَابٍ
جَاءَ نِي فَرَدَّدْتَهُ إِلَيْكَ بِلَا رَدِّ الْجَوَابِ جَوَابِي .

وَفِي يَوْمٍ لَبِسَ الْخِلْعَةَ شَرَعَ أَبُو السَّعَادَاتِ فِي تَحْصِيلِ مَا غَرِمَهُ فِيهَا ،
فَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ ذِي وَظِيفَةٍ فَأَحْضَرَهُ ، وَفَتَحَ لَهُ بَابَ نَكَدٍ فِي وَظِيفَتِهِ ، فَلَمْ
يَصِلْ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى إِنَّهُ أَحْضَرَ بَوَّابَ جَبَانَتِهَا وَهِيَ الْمَسْمَاةُ
بِمَصْرِ التَّرْبَةِ فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ حَصَلْتَ فِي هَذَا الطَّاعُونَ أَلْفِي دِينَارٍ ثُمَّ
حَاوَلَهُ عَلَى أَنْ يَأْخُذَ مِنْهُ شَيْئاً ، فَلَمْ يُعْطِهِ وَاجْتَمَعَ بِيَبْعَضِ الْأَكْبَارِ وَاشْتَكَى
عَلَيْهِ فَبَعَثُوا إِلَيْهِ ، فَتَرَكَهُ وَأَرْسَلَ إِلَى جَابِي عَمَاءِهَا فَأَرَادَ مِنْهُ شَيْئاً ، فَقَالَ لَهُ :
إِنَّ الْأَمَاكِينَ خَرَابَةٌ وَأَنَا أَذَارِيهَا مُدَارَاةً ، فَلَيْسَ بِهَا إِلَّا التَّعَبُ . فَأَلَحَّ عَلَيْهِ ،
فَقَالَ : تَرَكْتُ جَبَايَتَهَا ، فَانظُرُوا غَيْرِي . وَكَانَ لَمَّا لَبِسَ الْخِلْعَةَ رَكِبَ مَعَهُ
قَرِيبُهُ الْعَلَمُ صَالِحُ قَاضِي الشَّافِعِيَّةِ ، وَالْحُسَامُ بْنُ حُرَيْرِزٍ قَاضِي الْمَالِكِيَّةِ ،
وَبَعْضُ نَوَابِهِمْ ، وَأَتَى إِلَى الْخَانِقَاةِ ، فَلَمَّا جَلَسُوا بِهَا قَالَ الْعَلَمُ : الْيَوْمَ
مُسَامَحَةٌ ، أَيُّ يُصْرَفُ لِلنَّاسِ مَعْلُومُهُمْ مِنَ الْخُبْزِ وَغَيْرِهِ ، مِنْ غَيْرِ حُضُورٍ فِي
وَقْتُ الْعَصْرِ ، وَقَامُوا عَلَى ذَلِكَ ، فَلَمَّا أُرْسِلَ إِلَى مَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يَرْشُوهُ ، وَمَا

(١) هُوَ : الْحُسَيْنُ بْنُ مَنْصُورِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَبُو مَغِيثٍ ، أَوْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ، الْبَيْضَاوِيُّ - نَسَبُهُ إِلَى مَدِينَةِ
الْبَيْضَاءِ بِلَادِ فَارَسَ - الْمَعْرُوفُ بِالْخَلَّاجِ ، كَانَ جَدُّهُ مُحَمَّدٌ مَجُوسِيّاً فَأَسْلَمَ ، وَنَشَأَ الْخَلَّاجُ بِوَسْطِهِ ، وَقِيلَ :
بَشْتَرٌ ، ثُمَّ قَدِمَ بَغْدَادَ وَخَالَطَ الصُّوفِيَّةَ ، وَسَافَرَ إِلَى الْهِنْدِ وَتَعَلَّمَ السَّحْرَ ، وَبَدَتْ مِنْهُ كُفْرِيَّاتٌ أَبَاحَتْ
دَمَهُ ، وَحُبِسَ فِي سَنَةِ ٣٠١ هـ . ثُمَّ أُخْرِجَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ لثَلَاثَ بَقِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ ، وَقِيلَ لَسْتُ بِقَيْنٍ مِنْهُ
سَنَةَ ٣٠٩ ، فَضُرِبَ أَلْفَ سَوْطٍ ، ثُمَّ قُطِعَتْ أَرْبَعَتُهُ ، ثُمَّ حُزَّ رَأْسُهُ وَأُخْرِقَتْ جَسَدُهُ ، وَنُصِبَ عَلَى رَأْسِ
الْجَسَرِ أَيْاماً .

لَهُ تَرْجُمَةٌ فِي : «تَارِيخِ بَغْدَادِ» (٨/ ١١٢-١٤١) ، وَ«الْمُنْتَظَمُ» (٦/ ١٦٠-١٦٤) ،
و«الْكَامِلُ فِي التَّارِيخِ» (٨/ ١٢٦-١٢٩) ، وَ«وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ» (٢/ ١٤٠-١٤٦) ، وَ«الْعَبَرُ»
(١/ ٤٥٤-٤٥٨) ، وَ«سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ» (١٤/ ٣١٣-٣٥٤) ، وَ«النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ» (٣/
٢٠٢-٢٠٣) ، وَ«شَذَرَاتُ الذَّهَبِ» (٢/ ٢٥٣-٢٥٧) .

حَصَلَ مِنْهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَمَرَ بِكَتَابَةِ الْغِيَّةِ عَلَى النَّاسِ ، فَكَتَبَ عَلَيْهِمْ
وَلَمْ يَصْرِفْ لِأَحَدٍ شَيْئاً ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَحْضُرُوا اعْتِمَاداً عَلَى الْمَسَاحَةِ ، فَأُطْلِقُوا
أَلَسْتَهُمْ بِثُلَيْهِهِ وَالِدُّعَاءِ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَحْصِلْ لَهُ مِنْ مَجْمُوعِ تَصَرُّفِهِ إِلَّا الثَّنَاءُ
السَّيِّئُ الْمَوْجِبُ لِلْعَارِ وَغَضَبُ الْجَبَّارِ فَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

وَفِي هَذَا الْحَدِّ رُسِمَ بِكَتَابَةِ مَرْسُومٍ إِلَى نَائِبِ صَفَدَ أَنْ يُعِيدَ نَفْيَ
الْقَاضِي بَدْرِ الدِّينِ ابْنِ الْقَفِّ إِلَى الْقُدْسِ الشَّرِيفِ ، وَأَمَرَ كَاتِبَ السِّرِّ أَنْ
يُخْفِيَ ذَلِكَ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ ، لِئَلَّا يَطَّلَعَ عَلَيْهِ الْأَمِيرُ بُرْدُ بَكْ صَهْرُ السُّلْطَانِ ،
فِيَشْفَعُ فِيهِ فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَلَمْ يَنْبُلْغِ الْأَمِيرُ بُرْدُ بَكْ ذَلِكَ إِلَّا مِنَ السُّلْطَانِ ،
بَعْدَ أَنْ ظَنَّ أَنَّ ابْنَ الْقَفِّ قَدْ صَارَ فِي الْقُدْسِ ، فَلَمْ يَسْعَ إِلَّا إِظْهَارَ
الرَّضَى وَالتَّسْلِيمِ لِمَا ظَهَرَ لَهُ مِنْ عَظِيمِ رَغْبَةِ السُّلْطَانِ فِي ذَلِكَ .

[٢٤٠] وَفِي ثَانِي عَشْرِي ^(١) ذِي الْقَعْدَةِ هَذَا اخْتَفَى الزَّيْنُ يَحْيَى
الْإِسْتَدَّارَ ^(٢) ؛ لَعَجْزُهُ عَنْ سَدِّ وَظِيفَتِهِ ، وَذَلِكَ لِقَلَّةِ الْحُرْمَةِ بِانْتِشَارِ
الْكَلِمَةِ ، وَسَمِعْتُ أَنَّهُ كَانَ آخِرَ مَا ظَهَرَ مِنْ أَسْبَابِ هَرَبِهِ أَنَّهُ حَكَمَ فِي
الْخَوَلَةِ ^(٣) الَّذِينَ فِي بَلْبَيْسِ بَشَى ، فَاجْتَمَعُوا عِنْدَ رَأْسِ الْأَجْلَابِ جَانِبِكَ
حَبِيبَ ^(٤) ، فَأَتَاهُ فَقَالَ لَهُ : لَمْ تَتَعَرَّضْ إِلَى خَوَلَةِ بَلْبَيْسِ ؟ فَقَالَ :

(١) فِي «النَّجُومِ الزَّاهِرَةِ» (١٦ / ١٥٢) ، وَفِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ .

(٢) حَادِثٌ اخْتَفَانِهِ فِي النَّجُومِ الزَّاهِرَةِ « (١٦ / ١٥٢) ، وَ « بَدَائِعُ الزُّهُورِ » (صَفْحَاتُ لَمْ
تَنْشُرَ) (٧٨) .

(٣) الْخَوَلَةُ : الْخَوْلُ ، هُمُ الْاِتِّبَاعُ وَالْعَبِيدُ .

« لِسَانُ الْعَرَبِ » (١٣ / ٢٣٨ - ٢٣٩) .

(٤) هُوَ : جَانِبُكَ الْعِلَاقِيُّ بْنُ أَقْبَرِسَ ، ثُمَّ الْأَشْرَفُ إِبْنَالُ ، وَيُقَالُ لَهُ جَانِبُكَ حَبِيبُ ، كَانَ
خَاصِكِيّاً أَيَّامَ أَسْتَاذِهِ ، ثُمَّ أَمِيرَ أَخَوَرِ ثَانِي أَيَّامِ الْأَشْرَفِ قَايْتَبَايَ ، سَافَرَ فِي أَوَائِلِ سَنَةِ ٨٩٠ هـ رَسُولاً
لِلْمَلِكِ الرُّومِ ، مَاتَ بَعْدَ مَرَضٍ طَوِيلٍ فِي الْمَحْرَمِ سَنَةِ ٨٩٣ هـ .

لَهُ تَرْجُمَةٌ فِي : « الضُّوءُ اللَّامِعُ » (٣ / ٥٩ رَقْم ٢٣٦) ، وَ « بَدَائِعُ الزُّهُورِ » (طَبْعَةُ بُولَاق) (٢ /

٢٤٨) .

وهل يُنكر على ذلك وأنا إستدّار السلطان ، وكاشف الجسور ؟! فقال : نعم ، لا تتعرّض إليهم . فقال : لا أتركهم . فقال : إن تعرّضت إليهم شُبعت عُنقَكَ مِنَ السَّكِّ (١) . فاستعظم ذلك ، ثم شرع يدعو لابن الأهناسي استصواباً لرأيه في الهرب مِنَ الوزرِ ، ثم اختفى بعد يومين من هذا الكلام ، فَجُعِلَ سدادُ الوظيفة ، وأمرُ المباشرين بها إلى الأمير فيروز الخزنّدار الزمام الخصي ، وأُعين بما سَدَّ به إلى أن أُلِيسَ منصور صهر الإِستدّار خِلعةَ الإِستدّاريّة يوم الاثنين سلخ ذي القعدة هذا .

وفي ذي القعدة هذا ، صاهرَ ابنُ الشُّحنة القاضي بَدْرُ الدّين [الحسن ابن علي بن محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن أحمد] (٢) بن الصّوّاف (٣) الحنفي الحموي ، وسار قاضي الشّافعيّة بحلب جلال الدين أبو البقاء محمد بن قاضي الحنفية بها أثير الدين محمد بن كاتب السرّ المحب محمد بن الشحنة من حلب إلى حمّاة ، فعقد لِعَمّه أبي البر (٤) بن المحب علي بنت بن الصّوّاف ، وسار معه جمعٌ جمٌ لذلك .

(١) السَّكِّ : المسار .

«المعجم الوسيط» (١/ ٤٣٩) .

(٢) ما بين الحاصرتين بياض في الأصل ، والتصحيح من الهامش التالي .

(٣) هو : الحسن بن علي بن محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ، البدر أبو عبد الله بن العلاء بن الشمس الحصني ثم الحموي القاهري الحنفي ، المعروف بابن الصّوّاف ، ولد في سنة ٨٠٣ هـ ، وكان أصله من حمّاة من أولاد التجار ، واشتغل بالعلم في مبدأ أمره ، ثم مال إلى المتجر وتحصيل المال ، وقدم القاهرة سنة ٨٦٦ هـ ، وصاهر ابن الشُّحنة ، وحصل بينهما شئان ؛ بسبب النساء ، فسعى في القضاء حتى صُرف عنه ابن الشحنة وُوِّلَ مكانه في ٢٢ رجب سنة ٨٦٧ هـ ، ومات في المحرم سنة ٨٦٨ هـ .

له ترجمة في : «النجوم الزاهرة» (٦/ ٣٢٦) ، و«الضوء اللامع» (٣/ ١١٣ رقم ٤٤٣) .

(٤) هو : عبد البر بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد ، سري الدين أبو البركات بن المحب أبي الفضل ، الحلبي ، القاهري ، الحنفي ، المعروف بابن الشحنة ، ولد في ليلة الثلاثاء =

ولمّا انقضى يوم الاثنين التاسع والعشرون من ذي القعدة تراءى القضاة الهلال ليلة الثلاثاء على مئذنة المدرسة المنصورية بالقاهرة على العادة ، فلم يُخبر أحد من الناس برؤية الهلال إلا شخص أسود كان عبداً من جماعة العلم صالح البلقيني قاضي الشافعية وآخر من آحاد أتباعهم فأشير إلى القاضي ولي الدين محمد بن الشهاب أحمد الأسيوطي أن يسمع شهادتهما ، فسمعها ، ثم قال : من رآه غيرها ، إشارة إلى عدم الاكتفاء بهما ، فقال : العلم : يكفي ، يكفي . فعلم الأسيوطي مراده ، وكان قد لان جانبه بموت ناظر الخاص الجمال يوسف ، وكان قريب عهد بتغيظ السلطان عليه ؛ من أجل إبطائه عن الحضور لقراءة البخاري ، وفي الوقت الذي أراده السلطان . فقال : يكفي . ثم انتظر الناس أهل القلعة وبولاق وغيرها ، فلم يتحدث أحد برؤيته ، ولا جاء أحد من أهل القرى فأخبر بشيء من ذلك ؛ فاتهم الناس العلم بأنه فرّ بما يُشاع أنّ الملوك يتشاءمون بموافقة العيد للجمعة ، فلم يُضحّ كثير من الناس يوم الخميس ، ولا قوة إلا بالله .

وفي يوم الثلاثاء ، الذي جعلوه أول الشهر سلّم القضاة على السلطان في إيوان الدهيشة ، بكرة على العادة ، إذ لم يكن اليوم يوم خدمة ، فطلع معهم أبو السعادات ؛ لأجل نظره على سعيد السعداء ، ولم تكن له عادة بالسلام ، فذهب إلى الميمنة يروم الجلوس إلى جانب القاضي المالكي

= ٩ ذي القعدة سنة ٨٥١ هـ بحلب ، وانتقل مع أبويه إلى القاهرة ، وأخذ عن علمائها ، وأفتى وناب في القضاء ، وزوج أبوه بابتة العضدي الصيرامي بعد امتناع البدر بن الصواف من إعطائه ابنته ، درس في الشيخونية والمؤيدية ، مات في سنة ٩٢١ هـ .

له ترجمة في : «الضوء اللامع» (٤/ ٣٣ رقم ١٠٢) ، و«شذرات الذهب» (٨ / ٩٨ - ٩٩) .

فسبقه السَّراج عمر العبادي إلى ذلك على عادته ، فجلس دون العبادي ، ثم بعد أن استقرَّ بكلِّ أَحَدٍ مَجْلِسُهُ ، وَثَبَ مِنْ مكانه وجاء إلى المِيسْرَةَ ، فجلس فوقَ نقيب الأشراف إلى جانب الحَنْبَلِي ، فلم يُوسَّعُوا له فصار جلوسُهُ أَمَامَهُما وعلى بعض ثياب كُلِّ منهما ، فاسْتَسَمَجَ ^(١) الحاضرون ذلك مِنْهُ ، وقضوا بِجَنَّةٍ وَأَخَذَتْهُ أَلْسِنَتُهُمْ في المجلس ، بعد انقضائه ، وصار سُبَّةً في الْبَلَدِ ، ما لِغَالِبِ الناس شغل إِلَّا الحديث فيه ، ودار العبادي على من يعرفه مِنَ الأكابر ، وذكر لهم أَنَّهُ يخاف أن يدافعهُ في الجلوس في الشهر الآتي ، فوعده بأنَّه إن فعل منعه ، فلم يعد إلى الحضور لذلك .

وفي يوم الجمعة ثاني عيد النحر نوّدي أَنَّ الفِضَّة تكون بالميزان ، وكان النَّاسُ مِنْ حين أصلحها السلطان يتعادونها ، فشق ذلك عليهم ؛ لِإِنْفِهِمُ له ، والمشقَّة في مُقَارَقَةِ المألوفِ معروفة ، فأكثروا الدَّعاء عَلَى مَنْ كان السَّبَبُ في ذلك ، فنوّدي بِإِبْطَالِ ذلك ورجوعِ المعاملة إلى المعادَّة ، فاستقرَّ الحالُّ بعد اضطرابه ، واستمر البحرُ يزيد تارةً مِنَ النقص الذي نَقَصَهُ بعد أن وَصَلَ إلى ستَّة عشرة إصْبَعاً مِنَ الدَّرَاعِ الْمُوقِيَّةِ عشرين ، وينقص تارةً ، ويثبت أخرى إلى نصف ذي الحِجَّة هذا ، وهو يوم الثلاثاء الموافق لِثَلَاثِ بابِه ^(٢) مِنْ شهور القِبْط ، فظهر فيه النَّقْصُ .

وفي هذا الحد ، بَلَّغْنَا أَنَّ القاضي محب الدين محمد [بن محمد ^(٣) بن الكماخي

(١) اسْتَسَمَجَ : استقبح .

« المعجم الوسيط » (١ / ٤٤٧) .

(٢) عن هذا الشهر ، راجع « خطط المقرئ » (١ / ٢٧٠) .

(٣) هو : محمد بن محمد بن عمر بن محمود ، المحب بن الشمس الكماخي الحنفي ، ناب في الحكم ، واستقر في تدريس الظاهرية العتيقة .

له ترجمة في « الضوء اللامع » (٩ / ١٧٨ رقم ٤٥٥) .

عمر بن محمود [^(١) الكماخي الأضل المصري الحنفي ، مات بدمشق ، فكأنه مات في أواخر ذي القعدة أو أوائل ذي الحجة ، كان له تعلق بالشام عند بعض الظلمة ، فسافر لخلاصه ، وكان فاضلاً في الفقه ، عارفاً بالوثائق ، حسن الخط ، والعشرة ، مليح الشكالة ، عذب الألفاظ ، وأظنه جاوز الخمسين ، رحمه الله . وخلف ولده القاضي برهان الدين إبراهيم ^(٢) ، وهو من وجوه النواب الحنفية ، عفة ونزاهة وقياماً في الحق ، مشهوراً بذلك على قرب ولايته ، وكان في هذا العام قد حج ، جبر الله كسره . وأخذ الشيخ أمين الدين الأقصري وظائف أبيه له بولاية من السلطان وولاية من النظار جزاءه الله خيراً .

ثم بلغنا عقب ذلك موت شرف الدين [أحمد] ^(٣) بن التاج المصري الموقع في دمشق ، كان سافر إلى بلاد الشام لتعلقات له في بلاد الشام ، ثم رجع إلى دمشق ، وكان بها وباء من حمى فمات بها ، وكان وقع عند القاضي ناظر الخاص الجمال يوسف ، ثم بعد ناظر الخاص ، الزين عبد الرحمن بن العلكم بن الكؤيز ، ولعله كان قارب السبعين ، وكان غير معتمد في أموره ، لا في التوقيع ، ولا في الشهادة .

وبلغنا أيضاً موت .. ^(٤) بن البطخاصي ، ناظر الجيش بصفد ، وقدم ابنه .. ^(٥) يسعى في وظيفته .

(١) ما بين الحاصرتين بياض في الأصل ، والتصحيح من الهامش السابق .

(٢) هو : إبراهيم بن محمد بن محمد بن عمر بن محمود ، سعد الدين بن محب الدين الحنفي ، المعروف بابن الكماخي ، ولد في ١٩ شعبان سنة ٨٣٥ هـ بالقاهرة ، من تلاميذ الأمين الأقصري ، استقر بعد أبيه في تدريس الفقه بالظاهرية ، وبمدرسة قلمطاي ، مات يوم الاثنين ٨ ربيع الأول ، أو ليلة ٩ منه سنة ٨٨٦ هـ .

له ترجمة في « الضوء اللامع » (١ / ١٦٠ - ١٦١) .

(٣) ما بين الحاصرتين بياض في الأصل ، والتصحيح من « الضوء اللامع » (١١ / ٢٣٨) .

(٤) بياض في الأصل بمقدار كلمتين ، لم نجد ما يصححه في المصادر المتيسرة .

(٥) بياض في الأصل بمقدار كلمة ، لم نجد ما يصححه في المصادر المتيسرة .

وفي نحو العشرين من ذي الحجة ، وصل الخبر عن الجيش الذين سافروا إلى قبرس أنهم قاربوها في أواخر ذي القعدة ، فخرج عليهم ريح عاصف ردّهم عنها ، وكان ماؤهم قد قلّ فقصدوا طرابُلُس ، فوصلوا إليها متفرقين فرّووا من الماء ، واشتروا ما يحتاجون إليه ، ثم توجّهوا نحو قبرس في ثاني ذي الحجة . وكان الذي كاتب بخبرهم هذا ، الأمير شهاب الدّين بن قُليب استدار السلطان بها ، وعجّب السلطان من نائب طرابُلُس في عدم إرساله بذلك ^(١) .

وفي أواخر هذا الشهر قدّم الشيخ كمال الدين محمد بن أبي شريف القدسي ، ومعه أبوه ناصر الدين محمد بن أبي بكر .

وفي هذا الشهر اشترى القاضي محبّ الدّين بن الشحنة ، كاتب السرّ بيت الخطيري ، الذي في دَرَب الأصفر ^(٢) أمام المدرسة البيرونية ، بعد أن كان حلّه من الوقفية الجمال يوسف ناظر الخاص بن كاتب شكّم .

وفي مغرب ليلة الأحد سابع عَشري ذي الحجة من سنة أربع وستين ^(٣) هذه ، الموافق لخامس عشر بابه ، من أشهر القَيْط وَقَعَ مَطَرٌ متقطع ، بحيث زلّت الأرض ، والمطر في مثل هذا الوقت إيذانٌ بهبوط البخر ، وكذا وقع ازداد هبوطه .

وفي هذا الشهر ، نزل الأمير بُردُبك الدّويدار عن نظر وَقَفِ الأشرى بدمشق ، وكان أخذ عن ناظر الخاص ، الجمال يوسف عند موته للجمال

(١) الخبر في « حوادث الدهور » (٣٤٣) ، وجاء فيه أن الخبر ورد بذلك في اليوم الأول من ذي الحجة .

(٢) جاء في « خطط المقرئ » (٢ / ٤٤) أنه تجاه خانقاه الملك المظفر ركن الدين ببيرس الجاشنكير ، وموضعه المنحر .

(٣) وثمانيّة .

الباعوني والنجم محمد بن الولي عبد الله ابن قاضي عجلون بخمسائة دينار ، فأراد النجمُ الأَشهاد على السلطان بالتقرير للحكم في ذلك ، فدفع الأمير بردُ بك القِصَّة لابن مُزهر ، ليأخذ عليها خط السلطان من غير أن يذكر أنه هو النازل ، فأراد ابن مُزهر تحويل القِصَّة إلى الولي البُلُقيني ، وأخَّر القِصَّة في اليوم الذي أعطاه إياها ، وكلمه في ذلك حتَّى غاظه ، فقام الأميرُ بردُ بك في ذلك ورأى أنَّه قد اهتضم أمره بأن ينزل عن شيء فيتكلَّم أحدٌ في ردِّه ، فصَرَّح بالقِصَّة للسلطان في غيِّة ابن مُزهر فأمضاها بعد أن أظهر التعتُّب على الباعوني وأنه ما قصد بعزله إلا تأديبه .

وفي أواخر^(١) هذا الشهر ، مات الشريف محمد^(٢) بن القُبيباتي الشامي عن نحو سبعين سنة فيما أظن ، وكان قد قطن مصر في مدَّة مديدة ، وكان له أخ يكفيه أمر تَعَلَّقَه بدمشق ، فمات أخوه في طاعون هذه السَّنَةِ ، فاشتدَّ قلقُه عليه ، فسافر إلى دمشق بعد رمضان ، فمات رحمه الله فلقد كان رجلاً عظيماً في هِمَّته ومروءته ومشورته وبركته وقضاء حوائج النَّاس ، وحُسن محاضرته ، وكان ملجأ لعبادِ الله لا سيَّما الشاميِّين ، رحمه الله .

سنة خمس وستين وثمانائة ، أَهَلَّها الله علينا باليُمن والإيمان والسَّلامة والإسلام ، استهلَّت بالخميس^(٣) ، باكمال العدَّة مع الرؤية ، ووافق ذلك تاسع عشر بابَه من أشهر القِبط فطلع القضاة وهم : العَلَم البُلُقيني

(١) في « الضوء اللامع » (٧ / ١٢٦) في ٢٥ ذي الحجة سنة ٨٦٥ هـ .

(٢) هو : محمد بن أحمد ، الشريف الشمس الحسيني القُبيباتي الدمشقي ، كان من أعيان التجار وومن صار بالقاهرة مرجعاً للشاميِّين .

« الضوء اللامع » (٧ / ١٢٦ رقم ٢٨٢) .

(٣) هكذا أيضاً في « النجوم الزاهرة » (١٦ / ١٥٢) .

الشافعي ، والسَّعد الدَّيرِي الحنفي ، والحُسام بن حُرَيْز المالِكي ، والعز
الكناني الحنبلي ، يَسْلُمون على السلطان في إيوان الدَّهَيْشَة كما هو العادة ،
بأنه إذا كان غير أَيَّام القَصْرِ يُسَلِّمون هناك بكره ، وإذا كان أوَّل الشَّهْرِ
من الأَيَّام الَّتِي ينام فيها السلطان في القَصْرِ فالسَّلام فِيهِ وقت العَصْرِ
وكان السلطان [٢٤١] قد أمرهم إذا جاءوا للسَّلام أن يَتَكَلَّموا في مسألة
وعاب عليهم سُكُوتهم ، ففتح الشافعي في هذا اليوم الكلام في شيء فَمَدَّ
السلطان يَدَهُ إشارَةً إلى قَطْع ذلك الكلام ، وقراءة الفاتحة والانصراف
فأخزاهم بذلك ، وكان قد حَدَّث منه بعد السُّلْطَنَة تَجَبُّرٌ عَظِيمٌ ، عُرِفَ بِهِ
أَنَّ تَوَاضَعَهُ قَبْلَ ذَلِكَ إِنَّمَا كَانَ لَمَّا تَقَرَّرَ مِنْ قَوَاعِدِ الشَّرَاسَةِ ، أَنَّهُمْ لَا
يَجْتَمِعُونَ إِلَّا عَلَى مَنْ يَأْلَفُونَ لِيَنَّهُ ، فَلَمَّا تَمَكَّنَ اسْتَمَرَّ عَلَى لِيَنِهِ لَهُمْ ، وَظَهَرَ
تَجَبُّرُهُ عَلَى غَيْرِهِمْ .

وأُخْبِرَتْ عَنْ قَاضِي الْقَضَاةِ الْحَنْبَلِيِّ وَغَيْرِهِ أَنَّهُ وَقَفَ لَهُ شَخْصٌ مِنَ
النَّاسِ فِي هَذَا الْمَجْلِسِ بِحَضْرَةِ الْقَضَاةِ ، فَشَكَى إِلَيْهِ أَنَّ شَخْصاً مِنَ
مَمَالِيكِهِ أَسْرَفَ فِي ظُلْمِهِ وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ أَخَذَ زَوْجَتَهُ ، فَأَمَرَ مَنْ قَالَ لَهُ :
تَعَالَ غَدًا ، فَعَلِمَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ مَا أَرَادَ إِلَّا صَرْفَهُ عَنْهُ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ تَجْرِ الْعَادَةُ
بِالْجُلُوسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَلَا الْحُكْمِ ، وَمِنْ تَجَبُّرِهِ أَيْضاً أَنَّهُ كَانَ عَابَ عَلَى
الْقَضَاةِ إِيْتَانَهُمْ مَنْ غَيْرِ نَوَّابٍ ، وَكَانَتْ عَادَتُهُمْ أَنْ يُجْلِسُوا نَوَّابَهُمْ بَعِيداً
عَنْ مَجْلِسِ السُّلْطَانِ أَدْبَاءَ مَعَهُ ، فَأَحْضَرُوهُمْ مَرَّةً ، فَلَمَّا جَلَسُوا تَغَيَّظَ غَيَّظاً
عَظِيباً ، وَأَمَرَ بِإِيقَافِهِمْ ، فَوَقَفُوا ، ثُمَّ أَمَرَ بِصَرْفِهِمْ عَلَى هَيْئَةِ الْغَضَبِ ،
فَعَلِمَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الْقَصْدُ بِإِحْضَارِهِمْ إِلَّا إِظْهَارَ إِهَانَتِهِمْ ، وَمَا يَدُلُّ عَلَى
عَدَمِ اكْتِرَائِهِ بِالذِّينِ وَأَهْلِهِ ، أَنَّهُ كَانَ عَلَى بَحْرَةِ فَسْقِيَةِ الدَّهَيْشَةِ هَيْئَةً طَائِرَ
مِنْ نَحَاسٍ مَطْلِيٍّ بِذَهَبٍ إِذَا أُجْرِيَ الْمَاءُ إِلَيْهَا جَرَى مِنْ مَنَافِذِهِ ، فَكَانَتْ

له رؤية ^(١) ، وكان ذلك على أيام الأشرف برّسباني ، فلما وليّ الظاهر جَقَمَق ، وكان يُظهر النُّسك ^(٢) ، ويلهَج بسيرة عمر بن الخطّاب ؛ إيهاماً أنه يسير بها ، فأزال ذلك الظاهر ، فلما وليّ هذا ، أمر بإعادته ، فحدّثني الشيخ محبّ الدين محمد بن الأقصريّ أحد أئمتّه أنّه نهاه عن ذلك برفق فلم ينته ، فقال له : يا مولانا هذا مانعٌ من حضور الملائكة ، فإنّ النّبي ﷺ ، قال : « إنّ الملائكة لا تحضّر بيتاً فيه كلبٌ ولا صورة » ^(٣) فقال له : الملائكة تعرف طريقها . فلا قوّة إلّا بالله ، إليه سبحانه نشكوا ، ونسأله من فضله ورحمته .

وفي هذا الحد ، كان أمير المدينة زُبَيْري قد [سجن] ^(٤) شخصاً من أقاربه يُقال له دبوس للإطلاع عليه أنه سرق قناديل الحجرة الشريفة النبوية ، ثم أطلقه بعد أيام ، فأراد أن يفعل فعلةً فاحشةً ، تكون سبب عزل [زُبَيْري من] ^(٥) المدينة ، فأتى إلى باب المسجد الشريف ، فوجد ناصر الدّين أبا الفرج ^(٦) بن القاضي زين الدين المراغي العثماني وهو

(١) رؤية : منظر حسن .

« المعجم الوسيط » (١ / ٣٨٤) .

(٢) النُّسك : الزهد والتعبّد .

« المعجم الوسيط » (٢ / ٩١٩) .

(٣) أخرجه (البخاري) في « صحيحه » (٧٧ كتاب اللباس - ٨٨ باب التصاوير / ج ٧ / ٦٤)

بلفظ « قال النّبي ﷺ : لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلبٌ ولا تصاوير » .

(٤) ما بين الحاصرتين رسمها في الأصل (سحص) .

(٥) ما بين الحاصرتين غير واضح الرسم في الأصل ، والتصحيح من مفهوم السياق .

(٦) هو : محمد بن أبي بكر بن الحسين بن عمر ، ناصر الدين أبو الفرج بن زين الدين المراغي -

نسبة إلى مراغة بمصر - ولد في صفر سنة ٨٠٦ هـ بالمدينة النبوية ، ونشأ بها ، وأخذ عنه أبرز علماء مكة والمدينة في فنون مختلفة : الحديث ، والفقه وأصوله ، والبيان والمعاني ، والتفسير ، ودخل القاهرة سنة ٨٤٣ هـ وأخذ عن علمائها ، مات صبيحة يوم الجمعة ٢٠ محرم سنة ٨٨٠ هـ بالمدينة .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (٧ / ١٦٥ رقم ٤٠٢) ، و « نظم العقيان » (١٤٠ رقم ١٣٦) .

رئيس المدينة الشريفة ومن أعيانها في العِلْم والسَّنَد ، فَضَرَبَهُ بالسَّيْفِ فَحَمَّتْهُ الْعِمَامَةُ فَقَطَعَهَا وَجَرَحَهُ فِي كَتِفِهِ جَرْحاً بِالْغَا ، ثُمَّ ثَنَّى عَلَيْهِ بِضَرْبَةٍ أُخْرَى فَتَلَقَّاهَا بِصَنْجَارَةٍ مَعَهُ ، وَقَرَّبَ مِنَ الضَّارِبِ وَصَاحَ ، فَخَافَ الضَّارِبُ فَهَرَبَ وَخَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ ، فَعَلِمَ زُبَيْرِي أَنَّهُ مَا عَمِلَ ذَلِكَ إِلَّا لِأَذَاهُ ، فَانْتَدَبَ شَخْصٌ مِنَ أَقَارِبِ زُبَيْرِي فَقَتَلَ دَبُوساً ، فَقَتَلَ شَخْصٌ مِنَ أَقَارِبِ دَبُوسٍ قَاتِلَهُ ، فَانْتَشَرَ الْقَتْلُ بَيْنَهُمْ إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى بَضْعَةِ عَشْرِ رَجُلًا ، ثُمَّ كَانَتْ عَاقِبَتُهُمْ أَنْ خَرَجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ كَمَا سَيَأْتِي ، فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ مِنَ الْعَامِ الْآتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَفِي يَوْمِ السَّبْتِ ثَالِثِ مُحَرَّمٍ هَذَا ، وَقَعَتْ عَجِيبَةٌ ، وَهُوَ أَنَّ شَخْصًا لَا بِسَاءَ زَيٍّْ الْفُقَرَاءَ مَرَّ عَلَى بَيْطَارٍ ^(١) يَنْعَلُ خَيْلًا لِشَخْصٍ قِبْطِيٍّ مِنْ أَوْلَادِ الْبَقْرِيِّ ، فَأَظْهَرَ التَّوَلُّهُ ^(٢) وَوَثَبَ عَلَى فَرَسٍ مِنْهَا فَارَكَبَهُ فِي وَلَهِّهِ ذَلِكَ ، ثُمَّ سَاقَهُ وَهُوَ يَتَوَلَّهُ فَأَبْهَتَ النَّاسَ فِعْلُهُ ، ثُمَّ تَبِعَهُ بَعْضُ مَنْ لَهُ عَنَايَةٌ بِذَلِكَ ، وَصَارُوا يَسْأَلُونَ عَنْهُ ، فَيُخْبَرُونَ أَنَّهُ مَرَّ سَائِقًا الْفَرَسَ يَتَوَلَّهُ ، فَخَرَجَ مِنْ بَابِ النَّصْرِ ، ثُمَّ اشْتَدَّ فِي سَوْقِ الْفَرَسِ ، فَفَاتَ الطَّلَبُ ، ثُمَّ قِيلَ إِنَّهُمْ ظَفَرُوا بِهِ لَيْلَةَ الْأَحَدِ فِي نَاحِيَةِ قَلْبُوبَ ، ثُمَّ تَحَرَّرَ أَنَّ أَمِيرَ الْعَرَبِ ظَفَرَ بِهِ هُنَاكَ فَاسْتَنْكَرَ أَمْرَهُ ، فَأَخَذَ الْفَرَسَ مِنْهُ ، ثُمَّ وَصَلَ غَلَامَ الْفَرَسِ يَقْفُوا أَثَرَهُ ، فَأَعْطَوْهُ الْفَرَسَ ، وَأَرْسَلَ بِالْفَقِيرِ إِلَى الْمُقَشَّرَةِ ، سَجَنَ الْمَجْرِمِينَ .

وَفِي آخِرِ هَذَا الْيَوْمِ وَصَلَ الْأَمِيرُ جَانِبَكَ شَادَّ جُدَّةَ ، وَمَعَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْحِجَاجِ ^(٣) ، ثُمَّ طَلَعَ إِلَى السُّلْطَانِ بِكَرَةِ يَوْمِ الْأَحَدِ ، رَابِعِ الشَّهْرِ ، فَخَلَعَ

(١) بَيْطَارٌ : مَعَالِجُ دَوَابٍ .

«المعجم الوسيط» (١ / ٧٩) .

(٢) التَّوَلُّهُ : وَلَّى فَلَانٌ ، يَلِيهِ وَلَهًا ، اشْتَدَّ حَزَنُهُ حَتَّى ذَهَبَ عَقْلُهُ ، وَتَحَيَّرَ مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ .

«المعجم الوسيط» (٢ / ١٠٥٧) .

(٣) الْخَبَرُ فِي «النَّجْمِ الزَّاهِرَةِ» (١٦ / ١٥٢) .

عليه على العادة ، وَوَصَلَ مَعَهُ بِشِيرِ الْحَاجِّ ، وَتَأَخَّرَ عَنْ عَادَتِهِ ؛ فَإِنَّ عَادَتَهُ كَانَتْ أَنْ يَصَلَ بَعْدَ الْخَامِسِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ، وَأَخْبَرَ أَنَّ وَقْفَتَهُمْ كَانَتْ يَوْمَ الْخَمِيسِ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ ، وَأَنَّ الْحِجَّاجَ بِخَيْرٍ وَعَافِيَةٍ ، وَأُطْلِقَ لِسَانُهُ فِي الْعَلَمِ صَالِحٌ ؛ لَكُونَهُ أَثْبَتَ أَنَّ أَوَّلَ ذِي الْحِجَّةِ الثَّلَاثَاءِ ، وَأَنَّهُ عَمِلَ ذَلِكَ بِالْغَرَضِ ، فَلَمَّا بَلَغَ الشَّافِعِيُّ عَاوَدَهُ الْإِسْهَالَ الَّذِي يَنْزِلُ بِهِ كُلَّ قَلِيلٍ .

وَفِي يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ سَادِسِ الشَّهْرِ ، قَطَعَ أَبُو السَّعَادَاتِ خُبْرَ خَانِقَاهُ سَعِيدِ السَّعَدَاءِ ، وَكَانَ قَدْ سَارَ فِيهَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْيَسِيرَةِ أَقْبَحَ سِيرَةٍ ، بِحَيْثُ أَنَّهُ كَانَ لَا يُمَضِّي لِأَحَدٍ نَزُولًا إِلَّا بِرَشْوَةٍ يَأْخُذُهَا ، وَيَطْلُبُ بِفَمِهِ ، وَإِنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَنْزُولِ لَهُ وَاسِطَةٌ سَأَلَهُ ذَلِكَ الْوَاسِطَةُ بِحَضْرَةِ الْمُعْطَى أَنَّهُ وَصَلَ إِلَيْهِ ذَلِكَ الْقَدْرَ ، فَيَقُولُ : نَعَمْ ، وَيَخْتَجُّ فِي ذَلِكَ بِأَنَّهُ مَا وَلِيَهَا إِلَّا بِبَذْلِ مَالٍ مِنْهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ السَّفَالَاتِ ، فَشَاعَ لَهُ بَيْنَ الْأَكَابِرِ أَقْبَحُ صِئْتٍ ، وَحَصَلَ لَهُ غَايَةُ الْمَقْتِ ، فَلَمَّا قُطِعَ الْخُبْرُ ضَجُّوا مِنْ ذَلِكَ بِأَجْمَعِهِمْ فِي الْخَانِقَاهُ ، وَصَرَخُوا بِلُغْنِهِ ، وَقَالُوا : مَا يَحِلُّ لِلْأَمِيرِ بُرْذُوكَ أَنْ يَبِيعَ السُّلْطَانُ بِثَلَاثِينَ دِينَارًا . أَلَمْ يَعْلَمْ [٢٤٢] أَنَّ هَذِهِ الْخَانِقَاهُ سَمَّ عَلَى مَنْ يَتَهَاوَنَ بِهَا ، نَحْنُ نَجْمَعُ مِنْ بَيْنِنَا مَا بِذَلِكَ هَذَا لِلْسُّلْطَانِ ؛ لِيَعِزَلَ عَنَّا هَذَا إِنْ كَانَ يُبْقِيهِ لِمَا أَعْطَاهُ ، وَنَحْوُ هَذَا مِنَ الْكَلَامِ ، وَإِنَّمَا خَصُّوا الْأَمِيرَ بُرْذُوكَ بِهَذَا الْكَلَامِ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرُهُ أَخَذَ أَكْثَرَ مِنْهُ ، لِرَجَائِهِمْ نَفْعَهُ ، فَإِنَّهُ أَقْرَبُ أَهْلِ الدَّوْلَةِ إِلَى الْخَيْرِ وَالْمُسَاعَدَةِ فِيهِ ، ثُمَّ طَلَبُوهُ إِلَيْهِ وَشَكُّوا حَالَهُمْ مَعَهُ ، فَلَمْ يَفِدْهُمْ ذَلِكَ شَيْئًا مَعَ اعْتِرَافِ الْأَمِيرِ بُرْذُوكَ بِجَنَّتِهِ ، وَقِلَّةِ دِينِهِ ، وَسُوءِ تَصَرُّفِهِ فِي الْخَانِقَاهُ عَلَى قَرَبِ مَدَّتِهِ .

وَفِي هَذَا الشَّهْرِ ، ظَهَرَ مَرْسُومٌ مِنَ الْقَاضِيَيْنِ ، الْعَلَمِ الْبُلْقِينِيِّ الشَّافِعِيِّ ، وَالسَّعْدِ الدَّيْرِيِّ الْحَنْفِيِّ إِلَى نَوَائِبِهِمْ ، يَتَضَمَّنُ مَنَعَ الْقَاضِيِي فِخْرِ الدِّينِ

محمد^(١) الأسيوطي الشافعي أن يحكم في قضيّة تتعلّق بِذمّي ، وَمَنَعَ ابنه بدر الدين محمد أن يتكلّم في شيء يتعلّق بأهل الذّمة ، وَمَنَعَ النّوّاب مِن سماع شيء مِن أمور أَهْلِ الذّمة يكون للأسيوطي فيه دُخْل ؛ وذلك لما شاع مِن أَذَى المذكور وابنه لِأَهْلِ الذّمة ، بحيث لم يكن لابنه مأوى إلّا حازة اليهود والنّصارى يتّبع عثراتهم ، فكان هذا المرسوم مِن أَفْحَشِ القبائح على الشّافعي ، وهو لا يشعر ، لِأَنّ مِن لا يوثق به في أَهْلِ الذّمة لا يوثق به مطلقاً .

وفي هذا الحدّ وَصَلَ مع جَلَبَةِ الممالك شَخْصٌ مِن الشراكسة كهّل ، يزعم أنه ابن السلطان ، فتكلّم السلطانُ مع تاجرهم في أمره ، وكان مِن كلامه ، أنّه قال : أَنَا أَخَذْتُ مِن بلادنا صغيراً ، فلا عِلْمَ لي بِصَحّة ذلك ، فقل لهذا : أنّه إن ظهر لنا مِنه خيراً أَحْسَنّا إليه ، وإن بدا مِنه شَرٌّ فلا هو مِنّي ولا أنا مِنه وسماه ..^(٢) فأعجب النّاس ذلك ودّعوا له بسببه .

وَقَدِمَ أيضاً آخرٌ رومي ، يقول : إنه خال يونس الدّويّدار الكبير ، ورأيت الأمير بُرْبَك الدّويّدار الثاني صَهر السّلطان يَتَطَيَّرُ مِن ذلك ، ويقول : إنّه استقرى أنّه ما وَرَدَ على عين مِن الجند قريب له إلّا أخذ عن قريبٍ وعدّ جماعةً نحو العشرة . وقع لهم ذلك .

(١) هو : محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن هبة الله بن عبدالرحمن فخر الدين الأسيوطي القاهري الشافعي ، ولد سنة ٩٢ أو ٧٩٣ هـ بالقاهرة ، ونشأ بها ، وأخذ عن علمائها في فنون مختلفة ، وناب عن الجلال البُلْقيني سنة ٨٢٢ هـ ، مات في جمادي الآخرة سنة ٨٧٠ هـ .

له ترجمة في : « عنوان الزمان » (مخطوط) (٦٤٦ - ٦٤٧) ، و « الضوء اللامع » (٩ / ٣٧ رقم ٩٧) .

(٢) يباض في الأصل بمقدار كلمتين .

وفي هذا الشهر ، انتقل القاضي كاتب السر المحب بن الشحنة إلى بيته الذي اشتراه في دَرْب الأصْفَر ، وهو يُعرف ببيت الخطيري ، وكان نَزَله الشمس بن الدَّيْرِي ، وابن العجمي المحتسب ، وقاضي المالِكِيَّة الولي السُّنْبَاطِي ، وكان قبلُ وَقَفًا ، فَحَلَّه الجِمال يوسف ناظِر الخاص ابن كاتب شكُم .

وفي هذا الحد ، قلَّ طالِبُ الحبوب ، فأنحَلَ السَّعْر ؛ لِلطُّمَانِيَةِ بِرِّيَّ الْبِلَاد ، وزرع النَّاس على عاداتهم ، فنزل القمحُ إلى مائتي دِرْهم ونحوها ، والفولُ إلى مائتين وخمسين ، والشَّعِيرُ إلى أقلِّ من مائتين ، فله الحمد .

وفي سادس عشر محرَّم هذا ، وهو رابع هتور ^(١) مِنْ شهور القِبْط ، مُنِع النَّاسُ مِنَ المِلء من الخليج ، فكان انتفاعهم به مدَّة ثلاث شهور سواء .

وفي هذا الحدِّ بلغنا موت الشريف محمد القُبيباتي في أواخر السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ كما تقدَّم ^(٢) ، وصُلِّيَ عَلَيْهِ في جامع الأزهر صلاةُ الغائب .

وفي هذا الحدِّ أتى إلى علاء الدين علي بن أبي بكر بن علي بن قرقين ، الشهير بابن قاضي بَغْلَبْكَ قانصوه ^(٣) الإسحاقِي ، أحدُ أشرار الأَجْلَاب ، فقبض عليه مِنْ بيت كاتب السر المحب بن الشَّحْنَةِ ، وكان يأوي إليه ، وكان يُحَيِّلُ مِنْهُ وَيُنْهِي عَنْهُ ، وَيُخْبِرُ بِخَزَاياه ، وَأَنَّهُ يُعَابُ بِتَقْرِيبِهِ ، فلا يقبل ذلك ، وأخذَه هذا الجَلْبُ على أَقْبَحُ هَيْئَةٍ إلى بيته (ونِعْمَ ما فَعَلَ) فهَدَّده

(١) في «خطط المقرئ» (١ / ٢٧٠) هاتور .

(٢) راجع «ص ١٦٥» .

(٣) هو : قانصوه الإسحاقِي الأشرَفِي إينال ، أحد العشراوات ، ورؤوس النوب ، مات مطعوناً سنة ٨٨١ هـ .

له ترجمة في «الضوء اللامع» (٦ / ١٩٨ رقم ٦٧٧) .

وضربه ، وضيق عليه بما أراد ، ثم أخذه إلى رأس نوبة الثوب قزقماش الجَلَب و حَدَّثَهُ بِأَمْرِهِ ، فسجنه في سجن الرِّجَّةِ ^(١) ، وتناقل النَّاسُ قِصَّتَهُ ، وتساءلوا عن سببها إلى أن ذُكر أنها بسبب إقطاع أَخَذَهُ عَنْ صُهِرِهِ ناصر الدين محمد بن محمد بن دنكربغا الحافظي ، وهو حَيٌّ ، وكان قبل ذلك قَدْ جَرَّابَتَهُ وَبَيَّنَّتْهُ عَلَيْهِ مَخَاصِمَاتٍ ، قَصَّدَ فِي بَعْضِهَا ابْنُ قَاضِي بَغْلَبِك قَتْلَهُ ، وَبَيَّنَّتْهُ فِي مَنْزِلِهِ بِنَفْسِهِ وَأَعْوَانِهِ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنْهُمْ ، ثُمَّ آلَ الْأَمْرُ إِلَى أَنْ دَخَلَ النَّاسُ بَيْنَهُمْ وَكُتِبَ عَلَى ابْنِ قَاضِي بَغْلَبِك التَّزَامُ أَنَّهُ مَتَى سَعَى فِي هَذَا الْإِقْطَاعِ ، كَانَ عِنْدَهُ لَابْنِ دَنْكَرْبُغَا مِائَتَا دِينَارٍ ، وَحُكِمَ بِذَلِكَ مَالِكِيٌّ فَلَمَّا أَخَذَ الْإِقْطَاعَ جَاءَ ابْنُ دَنْكَرْبُغَا إِلَى الْقَاهِرَةِ ، لَمَّا سَمِعَ بِذَلِكَ ، فَسَعَى عَلَيْهِ إِلَى أَنْ عَمَلَ مَعَهُ مَا عَمِلَ ، خَذَلَهُ اللَّهُ وَلَا أَخْرَجَهُ مِنَ السِّجْنِ إِلَّا إِلَى أَضْيَقٍ مِنْهُ ، وَكَانَ مِمَّا يَرْضَى بِهِ النَّاسُ ابْنَ دَنْكَرْبُغَا عَلَيْهِ أَنْ يَقُولَ : أَنَا كُنْتُ نَائِبَ بَغْلَبِك ، وَهَذَا كَانَ قَاضِيَهَا ، فَأَرْسَلُوا مَعَنَا بَرِيدِي يَكْشِفُ سِيرَتِي وَسِيرَتَهُ ، وَمَنْ ثَبَتَ قَبَاحَةَ سِيرَتِهِ يُؤَدِّي إِلَى الْبَرِيدِي أَلْفَ دِينَارٍ .

وفي يوم الثلاثاء العشرين من الشهر ، وَصَلَ رَكْبُ الْمَالِكِ مِنَ الْحِجَاجِ وَتَبِعَهُ الْأَوَّلُ وَالْمِخْمَلُ فِي الْأَرْبَعَاءِ وَالْخَمِيسِ عَلَى الْعَادَةِ ، وَدَخَلَ غَالِبُ رَكْبِ الْمِخْمَلِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ثَالِثَ عَشْرِيهِ ^(٢) ، وَحَدَّثُونَا أَنَّهُمْ عَانُوا مَشَقَّاتٍ كَثِيرَةً فِي الرَّجْعَةِ ، وَأَن أَكْثَرَهَا مِنْ سُوءِ تَصَرُّفِ أَمِيرِهِمْ تَمْرُبَايِ التَّاجِرِ ، وَذَلِكَ هُوَ الَّذِي كَانَ يُظَنَّ بِهِ ؛ فَإِنَّهُ مَبْغُضٌ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ . وَحَدَّثَنَا الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْفُؤَيُّ : أَنَّ الْأَمِيرَ كَانَ يَأْخُذُ جِصَالِ النَّاسِ وَلَا سِيَّيَا

(١) أو حبس الرجة ، راجع « هامش ١ » من (ص ١٤٣) من القسم الأول .

(٢) وكان أميره تَمْرُبَاي ططر ، وقد تأخر ركب الحاج عن العادة بيومين .

« النجوم الزاهرة » (١٦ / ١٥٢) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٧٩) .

الضعفاء ، وما عليه منهم سَلِمُوا أم هَلَكُوا ، وأنه سَارَ يوماً وبقي جماعة كثيرة ما لهم ما يَحْمِلُهُمْ ؛ لِهَرَبِ جَمَالِيَهُمْ منه . قال : فَمَرَّ علينا خليل بن مَشَاق (بتشديد المعجمة) شيخ بعض جبل نابلس ، وكان رَكْبًا وَخَذَهُ ، فلما عَلِمَ حالنا أحضر لنا الجمال وَحَمَلَنَا ، وأعطانا البُقْشَاطَ والسُّكَّرَ ، وذكر شيئاً كثيراً ، وزاد في التَّرحُّبِ بهم والسرور بِحَمْلِهِمْ ، وكان يذكر ذلك وَيَبْكِي ؛ سروراً بما رأى مِن لطف الله بهم بسببه ، وحكى أَنَّهُ كان معه مائتا قَوَّاسٍ ، وأنه كان يقولُ : ناموا ولا تخافوا ، وَمَنْ كان معه شيء عليه قَتْلٌ فَلْيَفْتَحْهُ ، ومهما ذهبَ له أَعْطَيْتُهُ بكلِ دِرْهَمٍ مِنْهُ ديناراً ، وحكى عنه مِن الإحسان إليهم واللفظ بهم أَمْرًا عَظِيماً ، وَأَنَّهُمْ لَمَّا وصلوا إلى العقبة عَرَضَ على الشيخ أن يتوجَّه معه ، فيزور القدس ، ثم يرسل معه مَنْ يوصله إلى الطَّيْنَةِ ، فاعتذر له ، فَوَدَّعَهُ وانصرف ، وكانت حكايته هذه لي بحضرة الشيخ نجم الدين محمد بن قاضي عجلون الدمشقي ، وهناك كثيرٌ من المصريين ، فامتثلتُ سروراً بما سمعت ، وذكرت ما عليه أهلُ مصر إلَّا النَّادِرَ مِنْ أَضْدَادِ هذه الأخلاق ، فقلتُ هكذا أفعال أهلِ بلادنا وهذه سجاياهم .

وفي يوم الاثنين ، سادسَ عَشْرِي الشهر ، لَيْسَ أَثِيرُ الدين محمد قاضي الحنفية بِحَلَبَ بن القاضي محب الدين محمد بن الشُّحْنَةِ ، كاتب السرِّ بالقاهرة خِلعةً مِنَ السلطان ، للسفر [٢٤٣] إلى محل ولايته بحلب .

وفي هذا الحد ، قدم كتابُ نائب إسكندرية ، بأنَّه قَدِمَ مَرْكِبٌ لِلْفَرَنْجِ فَأَخَذَ مِنْهُ كِتَاباً إلى القَنْصَلِ ففتحه ، فإذا فيه إن السَّوَانِي^(١) الَّتِي يقدم

(١) السَّوَانِي : من السفن الحربية في عهد المماليك ، تُجَدَّفُ بمائة وثلاثة وأربعين مجدافاً ، فيها أبراج وقلاع للدفاع والهجوم ، كما أنها تحتوي على مخازن للغلال ، وصهاريج لحفظ الماء .
« نظم دولة سلاطين المماليك » (١ / ١٩١ - ١٩٢) .

فيها تُجَارَّهم وَصَلَتْ إِلَى قَرْيَطِش^(١) ، فَبَلَّغَهُمْ أَنَّ سُلْطَانَ مِصْرَ عَمَرَ عِمَارَةً عَلَى قُبْرُسَ ، فَأَرْسَلُوا هُنَاكَ وَأَرْسَلُوا مَنْ يَتَعَرَّفُ لَهُمُ الْخَبْرَ ، فَسَمِعَ فِي رُودِسَ أَنَّ عِمَارَةَ السُّلْطَانِ وَصَلَتْ إِلَى قُبْرُسَ ، وَأَنَّ الْمَرْأَةَ الَّتِي مَلَكَوْهَا عَلَيْهِمْ قَرَّتْ هِيَ وَزَوْجُهَا ، وَمَنْ أَطَاعَهَا إِلَى الْقَلْعَةِ الَّتِي فِي شِمَالِي الْجَزِيرَةِ وَاسْمُهَا أَشْرِيْنَةُ ، وَهِيَ قَلْعَةٌ مَنِيعَةٌ جَدًّا ، وَأَنَّ زَوْجَهَا مَرِيضٌ مَرَضًا شَدِيدًا ، وَأَنَّ أَخَاهَا جَاكُمُو الَّذِي ذَهَبَ الْعَسْكَرُ لِنَصْرَتِهِ ، ذَهَبَ فِي طَائِفَةٍ مِنْهُ يَحَاصِرُهَا .

وَفِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ ثَامِنِ عَشْرِ الشَّهْرِ ، عَثَرَ السُّلْطَانُ عَلَى شَخْصٍ مِنْ بِلَادِ طَرَابُلُوسَ كَانَ قَدْ تَكَرَّرَ مِنْهُ تَزْوِيرُ مَا يَكْتُبُهُ السُّلْطَانُ لَطَالِبِي الْمُرَبَّعَاتِ^(٢) وَالْمُنَاشِيرِ^(٣) ، وَهُوَ الْمَشْهُورُ بِكَتْبِ ، فَلَمَّا وَقَعَ وَجَدَ جَمَاعَةً مِنَ الْأَجْلَابِ يَحْتَمُونَ لَهُ ، فَلَمْ يَتِمَكَّنِ السُّلْطَانُ مِنْ قَطْعِ يَدِهِ ، وَقَدْ كَانَ شَدِيدَ التَّلَطُّعِ إِلَى ذَلِكَ ، فَسَجَنَهُ بِبَرَجٍ مِنْ أَبْرَاجِ الْقَلْعَةِ ، بَعْدَ أَنْ ضَرَبَهُ .

(١) قَرْيَطِشُ : أَوْ كَرِيْتُ جَزِيرَةٍ مِنْ جَزْرِ الْبَحْرِ الْأَبْيَضِ الْمُتَوَسِّطِ إِلَى الْجَنُوبِ مِنْ بِلَادِ الْيُونَانِ ، فَتَحَهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَنْدَلُسِيِّينَ بِرِعَاةِ مَغَامِرٍ يُقَالُ لَهُ : أَبُو حَفْصٍ سَنَةَ ٢١٠ هـ .

«الْكَامِلُ فِي التَّارِيخِ» (٦/ ٣٩٩) ، وَ«أَطْلَسُ هَازَارْد» (٢٩) .

(٢) الْمُرَبَّعَاتُ : جَاءَ فِي «صَبِيحِ الْأَعْيُنِ» (١٣ / ١٥٤ - ١٥٥) أَنَّهُ جَرَتْ عَادَةُ دِيْوَانِ الْجَيْشِ إِذَا عَيَّنَ نَازِلُ الْجَيْشِ الْمَثَالَ ، أَوْ الْقِصَّةَ ، أَوْ الْإِشْهَادَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ كُتَّابِ دِيْوَانِ الْجَيْشِ ، يُخَلِّدُ الْكَاتِبُ ذَلِكَ عِنْدَهُ ، ثُمَّ تَكْتُبُ بِهِ مَرَبَّعَةٌ مِنْ دِيْوَانِ الْجَيْشِ ، وَتُجَهَّزُ إِلَى دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ ، وَيُعَيَّنُهَا كَاتِبُ السَّرِّ عَلَى مَنْ يَكْتُبُ بِهَا مَنُشُورًا .

وَالْمُرَبَّعَاتُ تُكْتُبُ فِي وَرَقَةٍ مَرَبَّعَةٍ ، عَلَى صُورَةِ فَضْلِهَا (الْقَلْقَشَنْدِي) فِي «صَبِيحِ الْأَعْيُنِ» (١٣/

١٥٥-١٥٦) .

(٣) الْمُنَاشِيرُ : جَمْعُ مَنُشُورٍ ، وَالْمَنُشُورُ فِي اللُّغَةِ خِلَافُ الْمَطْوِيِّ ، وَتَطْلُقُ عَلَى كُلِّ مَا يَكْتُبُ فِي الْإِقْطَاعَاتِ ، وَهِيَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ : مَا يُكْتُبُ فِي قِطْعِ الثَّلَاثِينَ ، وَهُوَ لِأَعْلَى الْمَرَاتِبِ مِنَ الْأَمْرَاءِ ، وَمَا يَكْتُبُ فِي قِطْعِ النِّصْفِ ، وَهُوَ لِأَمْرَاءِ الطَّبَلْخَانَاتِ بِمِصْرَ وَالشَّامِ ، وَمَا يَكْتُبُ فِي قِطْعِ الثَّلَاثِ ، وَهُوَ لِأَمْرَاءِ الْعِشْرَاتِ مُطْلَقًا بِسَائِرِ الْمَمَالِكِ ، وَمَا يَكْتُبُ فِي قِطْعِ الْعَادَةِ الْمَنْصُورِيِّ ، وَهُوَ لِلْمَمَالِكِ السُّلْطَانِيَّةِ وَمَقْدَمِي الْحَلْفَةِ وَرِجَالِ الْحَلْفَةِ .

«صَبِيحِ الْأَعْيُنِ» (١٣/ ١٥٨-١٥٩) .

وفي هذا الحد ، جاء الخبر المشؤوم ، أن الإمام محقق الزمان ، ونادرة الأوان أبا الفضل محمد بن الإمام أبي عبد الله محمد المشدلي البجائي المغربي ، مات في مدينة عيتاب ، فلعله مات في أوائل هذا الشهر أو أواخر ذي الحجة سنة أربع وستين ^(١) ، ثم غلب علي الظن أنه مات قبل ذلك ، في أواخر شوال ، أو أوائل ذي القعدة ، ثم أخبرني فتاه فرج ، أنه مريض في أواخر رمضان ، واستمر نحو جمعة مريضاً ومات ، فكان في أوائل شوال سنة أربع ^(٢) رحمه الله ^(٣) . وأجرنا في مصيبتنا فيه ، وأعقبنا منها عقبى حسنة .

وأخبر المخبر أنه كان معه فرسان وبغلان وحمار ، وعبدان ، ونحو مائة مجلد ، وألف دينار ، وأنه دفع إلى شخص من الناس [ثمانمائة] ^(٤) دينار وأوصاه أن يراجع أباه في أمرها ، فإن أجازها له كما هو أغلب ظنه تصدق عنه منها بما تسمح به نفسه ، وتناول الباقي طيباً له ، وكتب وصية ، ذكر فيها أنه لا يملك من النقد سوى مائتي دينار ، ليخفي أمر الثمانمائة ، فسمع بذلك نائب حلب الحاج إينال ، فوضع يده على جميع التركة ، وتوقف قاضي عيتاب في تسليم ذلك إليه ، فأهانها ، وتسبب في عزله ، وأخذ ما ظهر ، وقبض على الذي أُعطي الثمانمائة ، فقرره عليها وأخذها منه ، وضربه بالمقارع ظناً منه أن المدفوع إليه أكثر منها ، وكان الشيخ أبو الفضل قد أوصى عند سفره من القاهرة إلى الشَّيْخَيْنِ ، الجلال المحلي

(١) وثمانمائة .

(٢) وستين وثمانمائة .

(٣) في الأصل تكررت جملة (رحمه الله) .

(٤) ما بين الحاصرتين غير واضح الرسم في الأصل ، والتصحيح مما جاء في نفس الصفحة .

والأمين الأقصري ، فلما سمع الأقصري هذا الخبر سأل في مرسوم إلى نائب حلب بإرسال التَّركَةِ فَرْتَبْتُ قِصَّةَ لذلك ، نصها : « الفقراء إلى الله تلامذة شيخ الإسلام أبي الفضل المغربي البجائي ، يبتهلون إلى الله تعالى بالأذعية الصَّالِحَةِ ، وَيُنْهَوْنَ أَنَّ شَيْخَهُمُ الشَّيْخَ أَبَا الْفَضْلِ الْمَشَارِ إِلَيْهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَرِضْوَانُهُ عَلَيْهِ تَوَفَّى بِمَدِينَةِ عَتَّابٍ مِنْ مَعَامِلَةِ حَلَبِ الْمَحْرُوسَةِ ، وَخَلَّفَ تَرْكَةً تَشْتَمِلُ عَلَى نَقْدٍ عَدَّتُهُ أَلْفُ دِينَارٍ ، وَعَلَى حِمْلِ كُتُبٍ فِيهِ نَحْوُ مِائَةِ مَجْلَدَةٍ مَخْتَارَةٍ ، يَعْرِفُ أَكْثَرَهَا تِلَامِذَتُهُ وَعَلَى عَبْدِينَ وَفَرَسِينَ وَبَعْلَيْنِ وَحِمَارٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَأَنَّهُ فِي عَتَّابٍ قَبْلَ مَوْتِهِ بِوَصِيَّةٍ بَعْدَ أَنْ كَانَ أَوْصَى قَبْلَ سَفَرِهِ إِلَى شَيْخِ الْإِسْلَامِ ، الشَّيْخِ أَمِينِ الدِّينِ الْأَقْصَرِيِّ ، وَبَلَغَ الْفُقَرَاءُ أَنَّ نَائِبَ السُّلْطَنَةِ بِحَلَبِ الْمَحْرُوسَةِ احْتَاطَ عَلَى تَرْكَتِهِ ، مَعَ أَنَّهُ هُوَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ وَمَنْ لَا تَضِيْعُ حَرَمَتُهُ ، وَلَا تَتَعَدَّى وَصِيَّتُهُ رَجَاءَ بَرَكَاتِهِ ، وَالتَّمَّاسُ فَضْلُ صَالِحٍ أَنْفَاسِهِ وَحَالَاتِهِ وَمَعَ أَنَّ أَبَاهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ، وَمِنْ تَرَدَّدَ مُلُوكُ الْمَغْرِبِ إِلَى بَابِهِ التَّمَّاسَ لِبَرَكَتِهِ ، وَصَالِحٍ أَدْعِيَتِهِ ، فَسَحَّ اللَّهُ فِي مَدَّتِهِ ، وَمَعَ أَنَّ وَصِيَّةَ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ، وَمِنْ تَقَبُّلِ كَلَامِهِ الْمُلُوكُ بِالذِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَغَيْرِهَا ، وَيَرْجُونَ صَالِحَ دَعَوَاتِهِ ، وَيَقْصِدُونَ النَّفْعَ بِسَدِيدِ إِشَارَاتِهِ ، أَعَادَ اللَّهُ مِنْ بَرَكَاتِهِ .

وسؤال الفقراء ، مرسومٌ شريفٌ إلى النائب المشار إليه ، بالإنكار عليه ؛ لكونه ما طالع المسامح الشريفة بمثل هذا الخطب العظيم والنبا الجسيم ، الذي كادت الأرض له أن تميد ، والقلوب أن تنفطر ، والأجسام أن تتخلخل ، فتبيد لترى المواقف الشريفة فيها رأيا ، على حكم العدل ، وتلتبس فيه ما يشيع لها به من حسن الثناء ، وظاهر الفضل ، وأن يستدرك ما فات بالمبادرة إلى إرسال جميع ما خلف ، بحيث لا يضيع منه

شيء ، بل ترد الكتب بأعيانها ، وكذا الحيوان والأثاث ، ويرد النقْد لا ينقص منه درهم واحد .. ومرسوم آخر إلى مَوْلَيْنَا : قاضي الشافعية أبي البقاء محمد ، ووالده قاضي الحنفية أثير الدين محمد ، بحلب المحروسة بنحو من ذلك ؛ لِيَتَوَلَّيَا الْفَحْصَ عَنِ التَّرِكَةِ المذكورة ، فلا يدعَا منها شيئاً إلا تَسَبُّباً في استعادته ، فإنَّ مَنْ وَضَعَ يده على شيء من ذلك لغير حِفْظِهِ فهو آثم غاية الإثم ، معاند للكتاب المبين ، مارق من الدين ، ثم إذا اجتمع جميع ما خَلَفَ ، يُرْسَل مع الوصية التي كُتِبَتْ عنه في عتاب إلى وصية مولانا شيخ الإسلام ، الشيخ أمين الدين الأقصراني ، أعاد الله من بركاته ، ونفع بعلمه ، وصالح دعواته ، لِيُفْعَلَ في ذلك كله ، ما تقتضيه الشريعة المطهرة ، جعلنا الله من أهلها ، والواقفين عند عقدها وحلّها آمين . انهو ذلك . »

فَكُتِبَ مرسومُ السلطان على نحو ما في القصة ، وجَهَّز الشيخ أمين الدين به وكيلًا عنه ، يُقال له بدر الدين محمد بن الشَّحَام ، وذلك بعد أن أثبت وفاة الشيخ أبي الفضل ، وأثبتت الوصية .

فكتب نائب حلب محضراً ، بأنَّ الشيخ أبا الفضل حيٌّ ، وأنَّ الميِّتَ بعنتاب غيره ، وفي المحضر شهادة اثنين من أهل أنطاكية ، أنَّهما رافقا الشيخ أبا الفضل إلى برصه من بلاد الرُّوم ، وخلفاه بها حيّاً ، فاتَّهَمْتُ النَّائِبَ في ذلك لِأَجْلِ التَّرِكَةِ .

ثم أخبرني شخصٌ من المغاربة في شهر رجب سنة خمس وستين (١) هذه ، عن آخر أنَّ شخصاً من أصحابهم رأى الشيخ أبا الفضل متوجَّهاً من برصة إلى أدرنة ، فترجَّح عِنْدِي صحة حياته ، لِأَنَّ خبر موته ليس فيه

(١) وثمانانة .

مسند يتصل بمن رآه في عتاب ، ولا رآه مريضاً ثم شاهد موته ، فغلب على الظن أن مستند نقلته كلهم الظن ، والله أعلم .

ثم تبين كذب هذا الخبر ، وأن النائب زور المحضر المذكور ، وعقد لذلك مجلس بحلب ، وطالب ابن الشحام النائب بالتركة ، بحضرة القضاة ، فأخرج المحضر ، فلم يلتفت الأثير قاضي الحنفية بها ابن القاضي محب الدين بن الشحنة ، كاتب السر بالقاهرة إليه ، وأمر النائب بدفع التركة إلى ابن الشحام ، فاستشاط غضباً ، وصادف ذلك موت السلطان الأشرف وضععة ابنه ، ثم خلع ابنه ، ولم تزد الدولة إلا تزلزلاً ، فطمع النائب في ذلك ، فلم يعط شيئاً ، فرجع بن الشحام خائباً والله الموفق .

ثم مات نائب حلب كما سيأتي ، فظفر الشيخ أمين الدين الأقصري الوصي المشار إليه من تركته بخمسمائة دينار من مال الشيخ أبي الفضل ، ثم قدم علينا فرج فتى الشيخ أبي الفضل فأخبر بموته هناك ، وحوطة نائب حلب على تركته ، فوقع القطع بذلك ، وكان ذهابه على طريق الاختفاء من الناس ، وكان قاصداً إلى بلاد الروم ؛ لكون ملكها من أهل العلم ، فكان يرجو أنه إذا سمع كلامه عرف من قدره ما جهله غيره ، فرفع من منزلته بمقدار ذلك ، وكان قد رأى في مصر نكايات ، من جحد فضله ، وتقدم من لا يفهم عنه عليه ، لا بلدة لو رأوا فيها الشافعي ما وقروه إلا إن كان له جاه ومنزلة من السلطان ، وملوكهم لا يفهمون شيئاً ، فهم لا يعرفون لعالم مقداره ، إلا إن رفعه أحد من أمرائهم ، أو مباشرهم لعلته . ومن العجب أن الشيخ الإمام العلامة نجم الدين محمد بن قاضي عجلون الدمشقي ، أحد تلاميذ الشيخ أبي الفضل أخبرني أنه سمعه كثيراً ينشد متمثلاً بقول امرئ القيس :

بكى صاحبي لما رأى الدربَ دونه وأيقن أننا لاجحان بقيصرا
فقلت له لا تبك ويحك إنما نحاول ملكاً أو نموت فنُعذرا

وقد تقدّم سوق ذلك عند بلوغ الخبر في محرم سنة أربع وستين (١)
بسفره من مكة .

وفي يوم الخميس تاسع عشره سافر القاضي أثير الدين محمد بن
الشحنة ، قاضي الحنفية بحلب ، وخرج معه لوداعه أبوه القاضي محب
الدين محمد كاتب السر ، وولده القاضي لسان الدين أحمد وجماعة ،
فوصلوا إلى الخانكة ، ثم رجعوا .

وفي هذا اليوم ، وقعت بطاقة ، بأن بُرد بك العربي جاء بشيراً بأخبار
العسكر الذي توجه إلى قبرس (٢) .

وفي يوم الجمعة جاءت الكتب التي أرسلوها وفيها أنهم ركبوا البحر
من طرابلس في ثاني ذي القعدة ... (٣) فأقاموا خمسة أيام سائرين ،
فوصلوا إلى الماغروسة في سابع ذي الحجة ، ففرقوا بأهلها ، وأقاموا إلى أن
تجهّزوا بما يحتاجون إليه ، ثم دخلوا إلى الأفقيسية (٤) فصبه قبرس ، فلم
يتخلف عنهم أحدٌ من أكابرها ، إلا الملكة وزوجها لويز الكيتلاني ، ومن

(١) وثانائة .

(٢) تفاصيل أوسع عن أخبار هذا العسكر في « حوادث الدهور » (٣٤٥ - ٣٤٧) ، و « النجوم
الزاهرة » (١٥٢ - ١٥٣) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٧٩ - ٨٠) .

(٣) ما يقارب أربع كلمات غير واضحة الرسم في الأصل .

(٤) الأفقيسية : جاء في « معجم البلدان » (١ / ٢٣٢) اسم مدينة جزيرة قبرس ، وهو تعريب
(أفنديون) بالرومية ، ومعناه خير موضع .

أطاعها من الجند ، فإنهم تَحَصَّنوا في قلعة أَشْرِيْنَةَ ، فتوجه إليهم أميرُ البَرِّ ومعه جاكُمُو ، الذي قصد تمليكه عليهم في ثامن عشر ذي الحجة ، فأقاموا على القلعة المذكورة نَيْقًا وثلاثين يوماً يحاصرونها ، فقتل منهم نفرٌ يسير وحصل لهم وَخَمٌ عَمَّهم منه المرضُ ، بحيث لم يَسلم منهم منه إلا القليل ، وعوفي أكثرهم ، ومات جماعةٌ منهم ، فوق العشرين ، أجلهم الأمير حاجب الحجاب سودون قرقاش ، مات في سلخ ذي الحجة سنة أَرْبَع ، أو أوَّل محرم هذا ، رحمه الله ، ودفن في أرض أَشْرِيْنَةَ إلى جانب نهر هناك ، وصنع سُنْقَرُ الزَّرْدَكاش في هذه الإقامة مَكْحَلَةً ^(١) عظيمةً ، فلما فرغت وبردت وأُخرجت إذا بها صَمَاءٌ غير مجوفة ، ليس بها ثقب لحجر ولا غَيْرِهِ ، فرأى الأمير يونس الدَّوَيْدَار التحوّل عن ذلك الموضع ، فرجع إلى المراكب ، وأَبْقَى عِنْد جاكُمُو الذي مَلَكُوهُ مِنَ الممالك ما تبي نفس وخمسين نفساً ، مِنَ المشاة ، غَيْرَ الأتباع ، وَمَنْ أراد الإقامة هناك للفسق .

وحصل أيضاً في هذه المدة للمراكب في الميناء التي هم بها ريحٌ عاصِفٌ كُسِرَ مِنْ تلك الرياح بَعْضُهَا ، وكاد باقيها يَنْكَسِر ، ثم سَلَّمَهُ الله ، ثم قصدوا إلى نَاحِيَةِ الملاحاة ، فحصل لهم قبل الوصول إليها ريحٌ عظيمٌ جدّاً ، ثم تَوَجَّهوا راجعين في أواخر محرم .

هذا حَاصِلُ ما في كتابِهِ ، ثم تَبَيَّنَ كَذِبُ بعضه ؛ وذلك أَنَّهُ لما عصى عليهم أهل أَشْرِيْنَةَ وأروهم ثباتاً عظيماً ، وأرسلوا يهدّدونهم ، أظهر

(١) مكحلة : مكاحل البارود ، وهي المدافع التي يُرمى عنها بالنفط ، وهي أنواع : ما يرمى بأسهم عظام تكاد تحترق الحجر ، وما يرمى ببُنْدُق من حديد من زنة عشرة أربال بالمصري إلى ما يزيد على مائة رطل .

«صبح الأعشى» (٢ / ١٤٤) .

الدَّوْنِدَار أَنَّ الصَّوَابَ التَّشْتِيَّةَ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ ، لِلْوُصُولِ إِلَى الْغَرَضِ ،
فَاخْتَلَفَ عَلَيْهِ مِنْ مَعَهُ ، وَرَبِمَا رَجَعَ بَعْضُهُمْ فَخَارَتْ حَيْثُذُ قُوَاهُ ، وَسَافَرَ
سَفَرَ الْهَارِبِ ، بِحَيْثُ لَمْ يَعْلَمْ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَلَمَّا عَلِمُوا بِهِ أَحْرَقُوا
خِيَامَ أَنْفُسِهِمْ ، وَكَثِيرًا مِنْ أَثْقَالِهِمْ ، وَتَبِعُوهُ عَلَى الصَّعْبِ وَالذَّلُولِ ، فَيَقَالُ :
أَنَّ الْفَرَنْجَ خَرَجُوا ، فَقَتَلُوا مِنْ لِحْقَوِهِ مِنْهُمْ مِنْ أَهْلِ الضَّعْفِ ، وَيَقَالُ أَنَّ
ذَلِكَ الْفَرَنْجِي الَّذِي ذَهَبُوا لِنَصْرَتِهِ ، صَارَ يَقُولُ لَهُمْ : لَا تَحْرَقُوا شَيْئًا ، فَإِنَّ
ذَلِكَ يَكْسِرُ الْحَرَمَةَ ، وَيُطْمَعُ الْعَدُوَّ فِينَا ، وَبَالَغَ فِي مِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ وَهُمْ
لَا يَكْفُونَ ، فَيَا وَيْحَ مِنْ زَنْدَقِهِ الْجَا حَظ .

وَفِي يَوْمِ السَّبْتِ ، أَوَّلِ شَهْرِ صَفَرٍ ، أَرَادَ السُّلْطَانُ ضَرْبَ وَسْطِ ذَلِكَ
الَّذِي قِيلَ أَنَّهُ يُزَوِّرُ الْيَكْتَبَاتِ عَلَيْهِ ، فَشَفَّعَ فِيهِ إِلَى أَنْ أَطْلَقَهُ وَنَفَاهُ إِلَى بِلَادِ
الشَّامِ ، وَفِيهِ مَاتَ جَانِيكَ ^(١) ، نَائِبَ إِسْكَندَرِيَّةَ كَمَا يَأْتِي .

وَفِي يَوْمِ الْأَحَدِ ثَانِيهِ وَصَلَ قَانُصُوهُ ، وَهُوَ الدَّوْنِدَارُ الثَّلَاثُ لِلدَّوْنِدَارِ ،
بِكِتَابِ اسْتَاذِهِ إِلَى السُّلْطَانِ ، أَنَّهُ وَصَلَ إِلَى الطَّيْنَةِ ، بَيْنَ دِمْيَاطَ ، وَقَطِيَا ،
وَأَنَّهُ تَوَجَّهَ إِلَى دِمْيَاطَ ، وَأَرْسَلَ الْمَرْكَبَ [٢٤٤] الَّذِي كَانَ فِيهِ ، وَهُوَ مَرْكَبُ
الْعَيْنِمَةِ ، الْمُسَمَّى عَفْرِيتَ الْبَحْرِ إِلَى إِسْكَندَرِيَّةَ ، وَفِيهِ ثَلَاثُونَ جَنْدِيًّا بِمَا
مَعَهُمْ مِنَ الْبَحْرِيَّةِ وَالنَّفْطِيَّةِ وَالْأَتْبَاعِ ، وَتَوَجَّهَ هُوَ إِلَى دِمْيَاطَ ، وَأَرْسَلَ رَسُولًا
كَثِيرًا ؛ لِتَعْرِفَ أَحْوَالَ الْمَرَائِبِ ، وَيَنْتَظِرُونَ ، حَتَّى يَجْتَمِعُوا ، فَيَقْدَمُوا
مَجْتَمِعِينَ ، فَشَكَرَهُ السُّلْطَانُ عَلَى ذَلِكَ ، وَخَلَعَ عَلَى دُونِدَارِهِ خَلْعَةً حَسَنَةً .

وَكَانَ سَبَبُ تَفَرُّقِهِمْ ، أَنَّهُ خَرَجَ عَلَيْهِمْ بَعْدَ انْفِصَالِهِمْ مِنْ بَرِّ قُبْرَسَ
رِيحٌ عَظِيمَةٌ ، ذَاتَ رَعْدٍ وَبَرْقٍ وَمَطَرٍ هَطَّالٍ ، فَفَرَّقَتْهُمْ حَتَّى لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ

(١) راجع هامش ٢ من (ص ٤٤٣) من القسم الأول .

منهم عِلْمٌ بغيره ، فخرج بَعْضُهُمْ فِي الطَّيْنَةِ ، وبعضهم بالعَرِيشِ ، وبعضهم فيما بين ذلك ، وبعضهم لم يقعوا له على خَبَرٍ ، منهم أمير البحر قَانَمُ التَّاجِرِ ، ثم وَصَلَ إِلَى الطَّيْنَةِ ، وورد كتابُهُ ، أَنَّ الرِّيحَ أَلْقَتْهُ إِلَى بِيْرُوتَ ، فلما قَصَدَ الرُّجُوعَ ثارت عليه رِيحٌ هائلةٌ أَيْضاً أَلْقَتْهُ إِلَى الْعَرِيشِ ، ثم هاجت عليه رِيحٌ أُخْرَى أَلْقَتْهُ إِلَى غَزَّةَ ثم هاجت عليه رِيحٌ أُخْرَى أَلْقَتْهُ إِلَى الطَّيْنَةِ ، ثم هاجت عليه رِيحٌ أُخْرَى أَلْقَتْهُ إِلَى فَمِ الْبَحْرِ بِدَمِيَاطَ ، واستمرَّ أَيَّاماً لَا يَقْدِرُ مِنْهَا عَلَى الْوُصُولِ إِلَى الْبَرِّ ، ثم فَرَجَ اللَّهُ .

ثم تَوَارَدَ الْوَاصِلُونَ مِنْهُمْ ، وَتَبَيَّنَ كَذِبُ مَا فِي كِتَابِ الدَّوَيْدَارِ مِنْ أَنَّ أَكْثَرَ أَكْبَارِ أَهْلِ الْجَزِيرَةِ أَطَاعُوا ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ أَعْظَمَ الْحَامِلِينَ لِلْإِسْلَامِ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ عَلَى نَجْدَةِ هَذَا اللَّعِينِ ، وَإِسْأَلَ الْعَسْكَرَ مَعَهُ ، فَاسْتَمَرَ لِأَزْمًا غَلَطَهُ ، وَعَابَهُ أَهْلُ الْعَقْلِ وَالرَّأْيِ بِأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّ أَهْلَ الْحُلِّ مِنْهُمْ وَالْعَقْدِ ، وَمَنْ يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ كُلُّهُمْ دَخَلُوا مَعَ الْمَرْأَةِ إِلَى أَشْرِيْنَةِ ، وَوَصَفُوهَا بِأَنَّهُا مَدِينَةٌ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ مِنْ جِهَةِ الشِّمَالِ ، وَبَعْضُهَا شَارِعٌ فِي الْبَحْرِ ، وَلَهَا خَنْدَقٌ ، وَهِيَ فِي أَرْضٍ بِهَا سِبَاخٌ ، وَهِيَ كَثِيرَةُ الْمِيَاهِ وَالْأَشْجَارِ وَالْفَوَاكِهَ ، فَأَكْثَرُوا مِنْ أَكْلِ الْفَوَاكِهَ عَلَى عَادَةِ الْمَصْرِيِّينَ فِي تَكَالِبِهِمْ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ ؛ لِإِقْلَتِهِ وَعَدَمِ أَكْثَرِهِ فِي بِلَادِهِمْ ، مَعَ مَا هُنَاكَ مِنَ الْوَحْمِ ، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَباً لِمَرْضِ أَكْثَرِهِمْ ، وَاجْتِرَاءِ عَلَيْهِمْ أَهْلُ أَشْرِيْنَةِ وَمَنْ تَحَصَّنَ بِهَا ، وَخَرَجُوا إِلَيْهِمْ فِي قَوَارِبِ فِي الْبَحْرِ ، وَخَرَجَ قَلِيلٌ مِنْهُمْ فِي الْبَرِّ ، فَحَصَلَتْ مَنَاوِشَةٌ وَتَرَامَ بِالْمَكَاحِلِ وَالْكَفِيَّاتِ ^(١) وَنَحَوَهَا وَالسَّهَامَ ، فَجُرِحَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَقُتِلَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةُ أَنْفُسَ ، وَهَذَا بَعْدَ

(١) الكفیات : لعل المقصود بها قدور النفط .

راجع معنى الكُفْتِ في «الآلة والإدارة» (٣٠٠) .

أن راسلوا المسلمين بالصُّلح على أمورٍ منها أن لا يُؤلَّى عليهم جاكُمُو ؛
لأنه ابن زنا في دينهم ، فلا سبيل إلى ولايته عليهم ؛ لأن عقودهم
وفسوخهم تكون حيتئذٍ باطلة ، فلم يوافقوهم إلّا على الرضا به فأبوا .
وواجهوه بالفُحش ، وقالوا له : أنت ابن زنا ، وتحدّد ذلك أن صرت
مُحْتَنًا^(١) ، وكلُّ من أتى معك قد فعّل فيك ما يُفعل بالنساء ، فلا تَغْتَرِبْهم
فإنك لو طلعت لحيتك تركوك ، ونحو هذا الكلام .

هذا مع أن جاكُمُو أخبر السلطان أنه لو قدم الجزيرة ما تخلف عنه
كبير أحد ، وَحَدَّثَنِي بعضُ الأكابر أَنَّ السلطانَ ما أرسل معه هذا
العسكر إلّا اعتماداً على ذلك ، فكان ينبغي للدُّوَيْدَارِ أَنْ يَتَعَرَّفَ هذا
الخبر ، ليخبر السلطانَ بحقيقة ذلك ، ولا يترك عنده من ترك من
المسلمين إلّا على غلبة ظنٍّ بسلامتهم .

ثم جاء الخبرُ أن نائب غزّة بلغه أن مركباً منهم وَرَدَ بَرَّ عَسْقَلان ،
فانكسر بَعْدَ إرسائه بالبَرِّ ، فلم يغرق به أَحَدٌ فقصدّه ، فإذا هو مركب
سُودُون قَرَقش ، فأخرج ما قدر عليه مما فيه ، وكان ذلك من العجائب
فإن سُودُون لَمَّا كان بدمياط في الدّهاب غرق له مركبٌ فيه شيء كثير ،
عند الحجر الذي بالقرب من برج السلطان بها ، ويسمى ذلك المكان بين
البرجين ، وهو مكانٌ خَطِرٌ ، يكون فيه حُسٌّ للماء عالٍ ، وفيه في الماء
دوائر ، دور كلّ واحدةٍ منها بمقدار الجُحْفَةِ^(٢) الصّغيرة ، ثم مات هو
كما تقدّم ، ثم انكسر في الرّجوع له مركبان ، وذلك جميع ما كان باسمه من

(١) مُحْتَنًا : لينا متكرراً في مشيته .

« لسان العرب » (٢ / ٤٥١) .

(٢) الجُحْفَةُ : الكرة .

« القاموس المحيط » (٣ / ١٢٥ ، ١٢٦) .

المراكب ، وسمعت أنَّ من كان به من الجند خرجوا إلى خان المجدل ، فغصبوا دَوَابَّ الناس ، فكان ذلك شُكر سلامتهم ، والله وَلِيَّ التوفيق ، وتأخر منهم مراكب لم يُعرف لها خبرٌ ، منهم مركب قائمٌ ^(١) نَعَجَه الأشرقي .

وفي هذا الحد ^(٢) وصل الخبرُ بأنَّ الأميرَ جانبك نائب إسكندرية ، المعروف بنائب بعلبك مات ، فوُلِّي نيابة إسكندرية كَسباي نائب قلعة الجبل ، ووُلِّي نيابة القلعة خير بك والي القاهرة ، ووُلِّي الولاية بالقاهرة علاء الدين بن الفَيْسي ، الذي كان محتسباً ، ووُلِّي الحسبة تَنَم رصاص أخو جانبك شادجُدَّة ، وطلب الحسبة واحداً من أجلاب السلطان جانبك قَرَا ، الذي كان شادَّ الشون ، فأبى السُّلطان ذلك أشدَّ الأباء ، وقال لمن تكلم له في ذلك : أتريدون أنِّي أُخرب القاهرة ، فإنِّي وَلَّيت هذا على الشون فأفسد غاية الأفساد ، ثم جمع طائفة من الأجلاب ، وسألوا المباشرين في الأحاح على السلطان في ذلك ، فدخلوا إليه ، فلما رآهم فهم ذلك ، فقال : ما لكم ؟ فقالوا له . فصاح فيهم : سيروا ، واستمرَّ يكررها بغيظ ، فرجعوا هاربين ، فشكره النَّاسُ على ذلك ثَبَّتَه الله على ما يرضيه ^(٣) .

وفي يوم الجمعة سابع صفر ، وهو الموافق [٢٤٥] لرباع ^(٤) عشري

(١) لم يزد (السخاوي) أن قال في ترجمته : « قائم الأشرقي بزُشباي ، وهو قائم نَعَجَه » .

« الضوء اللامع » (٦ / ١٩٩) ، ولم أجد له ترجمة في المصادر الأخرى المتيسرة .

(٢) في « النجوم الزاهرة » (١٦ / ١٥٣) في يوم الأربعاء ٥ صفر .

(٣) خبر هذه التعيينات في : « النجوم الزاهرة » (١٦ / ١٥٣) ، و « بدائع الزهور » (صفحات

لم تنشر) (٨٠) .

(٤) في « النجوم الزاهرة » (١٦ / ١٥٣) خامس عشري .

هتور ، من أشهر القبط ، لبس السلطان الصوف^(١) فتأخر عن العادة في ذلك سبعة أيام .

وفي يوم الثلاثاء حادي عشر صفر من خمس وستين^(٢) هذه ، بلغ السلطان أن عدة أمراء من المجاهدين ، منهم كسباي المؤيدي وصلوا إلى قرب شبرا ، فأرسل السلطان مرسومه إلى الدؤيدار الكبير يأمره أن يقدم بمن اجتمع معه ولا ينتظر اجتماع الجميع .

وفي يوم السبت خامس عشره ، وصل الأمراء الذين كانوا في قبرص إلى الميدان الذي بالناصرية قرب قناطر السباع ، ثم بكرؤا يوم الأحد سادس عشره الطلوع إلى السلطان ، فخلع عليهم على العادة في مثل ذلك ، ونزلوا إلى بيوتهم وقصدهم الناس للسلام عليهم ، فحكى أكثرهم أنهم لقوا في البحر في الرجوع من شدة الريح ما يُعنى الواصف .

ومن العجائب أن الأمير قرأجا^(٣) رأس نوبة الأعرج ، وهو أحد عماليك السلطان الأقدمين حدثني : أنه لم ير شيئا مما يُحدثون به من الأهوال ، حتى أنه نسبهم إلى الكذب واستشهد ببعض من كان معه فوافقه على أنهم كانوا في خير ولم يروا هذه الرياح التي يتحدث بها غيرهم والله أعلم^(٤) .

(١) الخبر في « النجوم الزاهرة » (١٦ / ١٥٣) وفيه أنه صوف ملون يلبس عادة في الشتاء .

(٢) وثمانائة .

(٣) هو : قرأجا الأشرفي إينال ، المعروف بالطويل ، من سبي قبرص ، وأحد المقدمين ، ولي نيابة حلب ، وعسف وتيجر ، فتقي إلى القدس ، فأقام به حتى مات في صفر ظنا سنة ٨٨٥ هـ .
له ترجمة في : « الضوء اللامع » (٦ / ٢١٤ رقم ٧١٥) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (٢ / ١٩٤) .

خبر عودة هؤلاء المجاهدين في : « النجوم الزاهرة » (١٦ / ١٥٣ - ١٥٤) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٨٠) .

وفي يوم الخميس سابع عشري صفر هذا ، ولّى السّلطان بيبرس (١) خال العزيز حجوبيّة الحجاب ، وأعطى يَلْبَأي المؤيّدِي التّقْدِمة التي كانت مع سُودُون قرقش (٢) .

وفي هذا الشهر (٣) تحرك المقام الشهابي الأمير الكبير ابن السلطان للسفر إلى البحيرة والرجوع على الوجه البحري من المحلّة وما والآها ، ثم التّعديّة إلى الشّرفيّة للصّيد وما شابهه من البطّالة المؤدّيّة إلى فساد غالب ما يمر عليه ، وسمعتُ أنّ مشائخ العرب ، لما سمعوا بذلك سألوهُ أن يجمعوا له ثلاثين ألف دينار ، ويكف عنه ، فأبى .

وفي هذا الحدّ ، مات بدر الدين (٤) محمد بن الإمام بدر الدين حَسَن البَنّبي (بموحّدتين بينهما نون ساكنة) الشافعي ، وكان يقول : أن له تعليقاً على المنهاج (٥) ، وسامعاً من ابن صديق الرّسّام بمكة ، وكان في سنّ الستين ، وكانت لديه فضيلة في مسائل الأحكام ، يعرف إفساد المكاتب والدخول في أبواب الزّور ، فاستراح منه البلاد والعباد والله الحمد .

(١) هو : بيبرس الأشرفي برّثبائي خال العزيز يوسف ، أحد الأمراء الطليخانات ، ورأس نوبة ، ثم مُقدّم ألف في الدولة الأشرفيّة إينال ، ثم حاجب الحجاب ، ثم رأس نوبة النوب ، حبس في الإسكندرية في ذي الحجة سنة ٨٦٥ هـ ، ثم أفرج عنه ، وتوجه بطلاً إلى القدس إلى أن مات في أواخر رمضان أو أول شوال سنة ٨٧٣ هـ .

له ترجمة في : « الدليل الشافي » (١ / ٢٠٦) ، و « الضوء اللامع » (٣ / ٢١ رقم ١٠٣) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (٢ / ١٠٨) .

(٢) خبر هذه التعيينات في : « النجوم الزاهرة » (١٦ / ١٥٤ - ١٥٥) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٨٠) .

(٣) في « النجوم الزاهرة » (١٦ / ١٥٥) سافر في يوم الاثنين ٨ ربيع الأول .

راجع أيضاً : « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٨٠) .

(٤) راجع « هامش ٢ » من (ص ٩) .

(٥) لعله منهاج الطالبين في مختصر المحرر في فروع الشافعية ، للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي ، المتوفى سنة ٧٧٦ هـ .

« كشف الظنون » (٢ / ١٨٧٣) .

وفي هذا الحد أيضاً ، وردَ الخبرُ من دمشق بأن الشريف نقيب الأشراف بها ، ناصر الدين محمد بن .. (١) مات وأنه كان شاباً ، وخلف ولداً اسمه علي ، فسعى له في النقابة فأعطوها جَبَرَهُ الله آمين .

وفي يوم الجمعة ثامنَ عشري الشهر ، ركب قاضي الشافعية العَلَمُ البُلْقِينِي وكان مريضاً ، فصلّى الجمعة بالسلطان في القلعة على العادة ، فأؤهّنَه ذلك ، فلما كان يوم الاثنين مستهل شهر ربيع الأول ، لم يقدر على تهتئة السلطان بالشهر ، واستمرَّ منقطعاً يلاطفه الأطباء حتى عُملَ المولد يوم الأحد سابع الشهر ، حَضَرَ المولد ، ثم سافر ابن السلطان بكرة يوم الاثنين ثامنه ، فجاز من القصبة ، من بين القصرين ، ثم من سوق مرجوش ، وأمامه الأمراء والقضاة والمباشرون ، وسافر معه أخوه الناصري محمد ، وابن أخته الناصري محمد بن الأمير بُرْدُ بَك ، وخَلَقَ كثيرٌ قِيلَ : أنه اجتمع معه الفاعليقة ، وعابه الناس ، بأنه جعل البراذرة ، وهم أصحاب الطيور التي يُصَادُ بها وراء القضاة ، بيّنه وبينهم ، وأكثروا الكلام فيه ؛ بسبب ذلك ، ونسبوه إلى الاستهانة بالشرع وحملته وسقط من عيون كثير من الأكابر ، ونسبوه إلى عدم المعرفة باستجلاب الخواطر والسعي في أسباب الملك ، بإظهار العدل ، بانزال الناس منازلهم ، والله المسؤول في إصلاحه .

وفي يوم الخميس (٢) حادي عشر الشهر أُلْبِسَ النور علي بن الحاج محمد بن الأهناسي خِلْعَةً بالوزر ، بعد استعفاء كبير من الصاحب سعد الدين فرج من وظيفة الوزر (٣) .

(١) بياض في الأصل بمقدار كلمتين ، لم نجد ما يصححه في المصادر المتيسرة .

(٢) في « النجوم الزاهرة » (١٦ / ١٥٥) يوم الخميس ١٦ .

(٣) الخبر أيضاً في « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٨١) .

وفي يوم الجمعة ثاني عشره ، اجتمع جَمْعٌ مِنْ أَهْلِ خَانِقَاهُ سَعِيدِ السَّعْدَاءِ ، واجتمعوا ببعض الأكابر ، وشكوا من سوء مباشرة ناظرهم أبي السَّعَادَاتِ الْبُلْقِينِي ؛ بأنه صَغَرَ خُبْرُهُمْ مِنْ رَطَلٍ إِلَى ثِنَائِي أَوَاقٍ ، وجعله مِنْ قَمَحٍ عَتِيقٍ مُتَغَيَّرِ الرَّائِحَةِ ، وقطع مَعْلُومَهُمْ ، وَشَنَعُوا عَلَيْهِ وعلى مَنْ يُسَاعِدُهُ ، وكانوا قَدْ ادَّعَوْا كَثْرَةَ فساد الحجازيين عِنْدَهُمْ ، وكان لهم عَادَةٌ بالنزول في الخانقاه ، فمنعهم الشَّرَفُ الْأَنْصَارِي لَمَّا كَانَ نَاطِرًا ، فَلَمَّا شَنَعَ أَهْلُ الْخَانِقَاهُ عَلَى أَبِي السَّعَادَاتِ أُذِنَ لِلْحَجَازِيِّينَ فِي الْخَانِقَاهُ فَدَخَلُوهَا فِي أَوَائِلِ هَذَا الشَّهْرِ ، فَاشْتَدَّ الْأَمْرُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ بِسَبَبِ ذَلِكَ .

[٢٤٦] وفي ضَحْوَةِ يَوْمِ الْأَحَدِ (١) ، حَادِي عَشْرِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ هذا ، رسم السلطانُ بِنْفِي صَلَاحِ الدِّينِ ، أمير حَاجِ بْنِ بَرْكُوتِ الْمَكِينِي ، رَيْبِ قَاضِي الشَّافِعِيَّةِ ، الْعَلَمُ صَالِحٌ ، فَشَفَعَ فِيهِ الْمُبَاشِرُونَ ، فَقَبِلَ شَفَاعَتَهُمْ ، ثُمَّ لَمَّا نَزَلُوا أَرْسَلَ إِلَيْهِ أَرْبَعَةَ نِقَبَاءٍ مِنْ أَتْبَاعِ نَقِيبِ الْجَيْشِ لِيُخَضِّرُوهُ إِلَيْهِ ، فَأَخَذُوهُ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ بَابِ زُوَيْلَةَ ، فَلَقِيَهُمْ نَقِيبُ الْجَيْشِ نَفْسُهُ ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّ السُّلْطَانَ أَمَرَهُ أَنْ يَضْعَهُ فِي السَّجْنِ فَزَدَهُ مِنْ هُنَاكَ إِلَى سَجْنِ الرَّحْبَةِ ، فَلَمَّا كَانَ قَرِبَ الْعَصْرِ أُخْرِجَ وَقْدَامَهُ نِسَاءٌ وَحَوْلَهُ نِسَاءٌ يَصْحَنَ صِيَاخَ السَّرُورِ الَّذِي يَسْمِيهِ النَّاسُ زَغَارِيطَ (٢) ، وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي سَبَبِ سَجْنِهِ ، ثُمَّ خَلَّاصِهِ ، وَأَقْرَبَ مَا سَمِعْتُهُ ، أَنَّهُ كَانَ لِيَحْيَى بْنِ النُّورِ بْنِ أَقْبَرَسٍ عِنْدَهُ دَعْوَى ، فَطَالَ فِيهَا التَّرَاوُعُ ، وَأَيْسَ مِنْ فَصْلِهَا فِي بَيْتِ الشَّافِعِيِّ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَخْتَارُهُ ، فَأَرَادَ نَقْلَهَا إِلَى الْقَاضِي الْمَالِكِيِّ ، فَلَمْ يَجِبِ الشَّافِعِيُّ ، وَكَانَ ابْنُ أَقْبَرَسٍ يَتَخَدَّمُ لِلْأَمِيرِ بُرْذُوكَ الدُّوَيْدَارِ

(١) في «النجوم الزاهرة» (١٦ / ١٥٥) في يوم السبت ٢١ .

(٢) الخبر أيضاً في «بدائع الزهور» (صفحات لم تنشر) (٨١) .

ولجانِبِكَ حَيِّبَ أَحَدَ أَجْلَابِ السُّلْطَانِ الْمُقَرَّرِينَ مِنْهُ ، وَرَبِّمَا قِيلَ : أَنَّهُ كَانَ مَمْلُوكَ أَبِيهِ ، فَكَلَّمَا السُّلْطَانُ فِي أَمْرِهِ ، وَوَافَقَ أَنَّهُ كَانَ قَدْ نُقِلَ إِلَى السُّلْطَانِ فِي ذَلِكَ الْقُرْبِ كَثِيرٌ مِنْ أَخْبَارِ صَلَاحِ الدِّينِ فِي فَسَادِهِ ، وَشِدَّةِ فَجْوَهِهِ ، وَعِنَادِهِ مَغْرَقاً فِي أَيَّامٍ كَثِيرَةٍ ، فَزَادَ حَنْقُهُ عَلَيْهِ ، وَأَرَادَ أَكْلَهُ بِذَلِكَ ، فَلَمَّا سُجِنَ أُرْسِلَ إِلَى عَمِّهِ الْعَلَمِ صَالِحٍ ، فَأُرْسِلَ زَوْجَتَهُ أُمُّ نَازِرِ الْجَيْشِ بْنِ مُزْمَرٍ إِلَى خَوْنَدٍ ، فَتَسَبَّيَتْ فِي خِلَاصِهِ عَلَى مَالٍ يُقَالُ : أَنَّهُ فَوْقَ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنْ نَوَّابِ الشَّافِعِيَّةِ إِلَّا دَخَلَ إِلَيْهِ السُّجْنُ مُتَعَمِّمًا لَهُ إِلَّا أَبُو السَّعَادَاتِ بْنِ التَّاجِ الْبُلْقِينِيَّ ابْنَ ابْنِ أَخِي الْعَلَمِ وَزَوْجَ ابْنَتِهِ فَحَنَقَ عَلَيْهِ ؛ فَعَزَلَهُ مِنْ نِيَابَةِ نَظَرٍ وَقَفَ السَّيْفِيُّ بِمَقْتَضَى أَنْ شُرُوطُ الْوَاقِفِ أَنْ يَكُونَ نَظَرُهُ لِلْقَاضِي الشَّافِعِيِّ ، فَبَذَلَ لِكُلِّ مَنْ الْأَمِيرُ بُرْدُ بَكِ الدَّوَيْدَارِ ، وَالْقَاضِي كَاتِبِ السَّرِّ مَبْلَغًا يُقَالُ : أَنَّ مَجْمُوعَهُ مِائَةٌ وَسِتُونَ دِينَارًا ، فَأَعَادَا إِلَيْهِ ذَلِكَ بِقِصَّةٍ أَخَذَا عَلَيْهَا خَطَّ السُّلْطَانِ يَكْتُبُ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ثَانِي عَشْرِيَّةً بِمَقْتَضَى أَنَّهُ فِي يَدِهِ ، وَيَدُ أَبِيهِ وَجَدَّهُ ، مِنْ مَدَّةٍ تَزِيدُ عَلَى خَمْسِينَ سَنَةً ، فَبَلَغَ ذَلِكَ قَاضِي الْقَضَاةِ ، فَعَزَلَهُ مِنْ نِيَابَةِ الْقَضَاةِ بِطَنْدَتَا وَأَيَّارِ (١) وَأَعْمَاهُمَا ، وَوَافَقَ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ مِنْ حِينَ وُلِّيَ نَظَرَ سَعِيدِ السَّعْدَاءِ ، يَتَكَلَّمُ كُلَّ قَلِيلٍ فِي إِبْدَالِ الطَّحَّانِ الَّذِي وَجَدَهُ يَطْحَنُ قَمَحَهَا ، فَكَلَّمَا تَكَلَّمَ بِذَلِكَ رِشَاءَ الطَّحَّانُ إِلَى أَنْ اجْتَمَعَ مِنْ تِلْكَ الرِّشَاءِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَلَوْسًا ، يَكُونُ عَنْهَا أَرْبَعُونَ دِينَارًا ، ثُمَّ مَنَعَهُ وَأَتَى بَغْيَهُ فِي هَذَا الْقُرْبِ ، وَكَانَ ذَلِكَ الطَّحَّانُ يَعَاشِرُ نَاسًا مِنْ أَجْلَابِ السُّلْطَانِ ، فَشَكَى إِلَيْهِمْ أَمْرَهُ ، فَأَتَوْا فِي سَاعَةٍ حَصُولَ الْيَكْتَبِ فِي يَدِهِ إِلَى بَيْتِهِ فَلَمْ يَصَادَفُوهُ

(١) أَيْبَار : بَلَدَةٌ قَدِيمَةٌ مِنْ مَدِيرِيَةِ الْغُرَبِيَّةِ بِقِسْمِ حَمْلَةِ مَنُوفٍ ، وَاقِعَةٌ عَلَى بَحْرِ سَيْفِ شَرْقِي كُفْرِ الزِّيَّاتِ بِنَحْوِ سَاعَةٍ .

«الخطط التوفيقية» (٨ / ٢٨) .

وَوَجَدُوا شَخْصاً مِنْ أَتْبَاعِ الْبَلَّاقِنَةِ سَمِيناً عَرِيضاً خَبِيثاً فَاجِراً ، يُقَالُ لَهُ :
 محمد البثنوني فلم يَبْدُأْهُ إِلَّا بِالضَّرْبِ كَمَا قِيلَ : تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ، ضَرْبٌ
 وَجِيع ، وَهُمْ يَظُنُّونَهُ أَبَا السَّعَادَاتِ ، فَحَصَلَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ
 وَصَلَ الطَّحَّانُ ، فَقَالَ لَهُمْ : لَيْسَ هُوَ ذَا ، فَكَفُّوا عَنْهُ بَعْدَ مَا كَادَ يَهْلِكُ ،
 وَيَالِيَتَهُ ، ثُمَّ أَخْبَرُوا أَنَّ أَبَا السَّعَادَاتِ فِي بَيْتِ كَاتِبِ السَّرِّ فَسَأَلُوا فِي قَصْدِهِ
 هُنَالِكَ ، فَقَالُوا : لَا نَضْرِبُهُ إِلَّا فِي مَحَلِّ عِزِّهِ ، ثُمَّ أَمَرُوا غُلَاماً لَهُمْ أَنْ يَذْهَبَ
 إِلَيْهِ فَيَأْتِي بِهِ سَجَباً فِي أَيِّ مَكَانٍ كَانَ ، فَصَادَفَهُ خَارِجاً مِنْ بَيْتِ كَاتِبِ
 السَّرِّ قَرِيباً مِنَ الْبَيْرِ سَيِّئَةً ، فَلَعِنَ وَثَبَ ، فَأَشِيرَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَذْهَبَ إِلَى بَيْتِهِ ،
 فَلَمْ يَزَلْ يَلْطَفُ بِالْغُلَامِ إِلَى أَنْ مَكَّنَهُ مِنَ النُّزُولِ بِمَدْرَسَةِ قَرَأَ سُنُقَرُ (١) ،
 فَاسْتَغَاثَ بِشَخْصٍ مِنْ أَصْحَابِهِ لَمَّا كَانَ أَمْرُذُ يُقَالُ لَهُ : ابْنُ أَبِي السَّعُودِ ،
 فَتَرَدَّدَتِ الرِّسَالُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْغُلَامِ وَالطَّحَّانِ إِلَى أَنْ رَضُوا أَنْ يُعِيدَ إِلَيْهِ مَا
 أَخَذَ مِنْهُ ، وَيُخْلُوا سَبِيلَهُ ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى بَيْتِهِ لِيَقْبِضَهُ هُنَاكَ ، فَلَمْ
 يَفْعَلْ ، وَأَقْبَضَهُ فِي الْقَرَأِ سُنُقَرِيهِ مَا عَنْهُ أَرْبَعُونَ دِينَاراً فَخَلُّوا سَبِيلَهُ وَانْصَرَفُوا .
 وَفِي يَوْمِ الْأَحَدِ الَّذِي سَجَنَ فِيهِ صَلَاحُ الدِّينِ ضَرْبَ شَخْصٍ مِنْ أَكْبَابِ
 جَبَاتِهِمْ وَهُوَ أَعْتَاهُمْ خَلْقاً وَخُلُقاً ، يُقَالُ لَهُ : الْمُحَلِّي ، فِي بَيْتِ نَازِلِ
 الْجَيْشِ ضَرْباً مُؤَلَّماً ، وَضُرِبَ آخَرٌ مِنْهُمْ أَخْبَثَ مِنْهُ وَأَنْجَسَ ، يُقَالُ لَهُ :
 عَلِيُّ بْنُ بَهَا ، فَكَانَ إِبْتِدَاءُ كَوْنِ دَائِرَةِ السُّوءِ عَلَى الْمُفْسِدِينَ ، وَضُرِبَ اللَّهُ
 [٢٤٧] قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ ، وَوَلَّى بَعْضُ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا
 يَكْسِبُونَ ، وَكَانَ الْمُحَلِّيُّ الْجَائِي مَفْرُطَ السَّمَنِ ، شَدِيدَ الْعُتُوِّ ، أَكْثَرَ النَّاسِ
 عَلَيْهِ حَنَقٌ فَقَالَ فِيهِ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ :

(١) مدرسة قراستقر : تقع تجاه خانقاه سعيد السعداء ، فيما بين رحبة باب العيد ، وباب النصر ،
 أنشأها الأمير شمس الدين قراستقر المنصورى نائب السلطنة سنة ٧٠٠ هـ ، وبنى بجوارها مسجداً
 معلقاً ، ومكتباً لإقراء أيتام المسلمين كتاب الله العزيز .
 «خطط المقرئى» (٢/ ٣٨٨) ، و«الخطط التوفيقية» (٦/ ١٣) .

قل لِلْمَحَلِّيِّ العَرِيضِ الْقَفَا	لَمْ تَقْبَلِ النَّصْحَ وَلَا الْمَعْدِلَةَ
مَا زِلْتَ فِي بَغْيٍ وَمَكْرٍ إِلَى	أَنْ نَلْتَ أَنْوَاعاً مِنَ الْبَهْدَلَةِ
شَتْمًا مَعَ الضَّرْبِ عَلَى أَرْجْلِ	كَذَا عَلَى كَفِّكَ وَالْمُسْفَلَةِ
فَإِنْ تَكُنْ تَأْنَفُ مِنْ عَدَاهَا	مَسْفَلَةً قَلْنَا هِيَ الْمِصْقَلَةُ
لَا نَهَا بِالصَّفْقِ مَوْسُومَةً	وَأَنْ تَغْضَبْتَ نَقْلَ مَرْبَلَةٍ
لِأَنهَا بِالزَّبْلِ مَشْخُونَةٌ	فَالدَّوْدُ قَدْ صَارَتْ لَهُ مَأْكَلَةٌ
وَاعْتَدَ بَعْدَ الضَّرْبِ فِي قَاعَةٍ	عَادَتْ بِثِقَلٍ مِنْكَ فِي زَلْزَلَةٍ
لِمَثَلِهِ فِي الْحَوْشِ تَبْقَى بِهِ	مُدْخَرَجًا تَغْنِيهِ عَنْ مَدْخَلِهِ (١)
فَا حَذِرِ مِنَ الْعَوْدِ بَوَاقٍ لَأَنْ	تَسَوْفَ الطَّالِبُ أَوْ تُثْمَلُهُ (٢)
كَيْلًا تَرَى صَفْعًا يَسْدِيرُ اللَّحَى	يَفْتَحُ مِنْ قُوَّتِهِ الْحَوْصَلَةَ (٣)
وَيُورِمُ الرِّقْبَةَ مِنْ ثِقَلِهِ	حَتَّى تُرَى حَالَتُهَا مُشْكَلَةً

(١) مَدْخَلَةٌ : حفرة تكون في الأرض ضَيْقَةُ الأعلى ، واسعة الأسفل ، وتخزَّن في بيوت الأعراب ، يُجْعَلُ لتدخله المرأة إذا ادخل عليهم داخل .

« المعجم الوسيط » (١ / ٢٧٣) .

(٢) ثَمَلُهُ : تَوَجَّلَ مَوْعِدَ الْوَفَاءِ بِهِ مَرَّةً بَعْدَ الْأُخْرَى .

« المعجم الوسيط » (٢ / ٨٧٦) .

(٣) الْحَوْصَلَةُ : أسفل البطن إلى العانة .

« المعجم الوسيط » (١ / ٢٠٧) .

وفي هذا الحد ، شكى علاء الدين عليّ بن مفلح الحنبلي ، قاضي الحنابلة بدمشق ، وكاتب السرّ بها أخذ من له عليه دين ، فرسم السلطان بعزله والترسيم عليه حتّى يُعطي أرباب الديون أموالهم ، ثم بطل ذلك بعد يومين ، بواسطة امرأته ، قريبة أمير المؤمنين ، طلعت إلى خوّند ، فكلّمت السلطان فاستمر به .

وفي يوم الأربعاء ، رابع عشري الشهر ، نفى السلطان اثنين من مفسدي الممالك ، أحدهما من أجلّيه إلى حلب ليقيم بها بطالين .

وفي هذا الحد عُيّن للسّفر إلى بلاد الصعيد الأمير شرباش أمير مجلس ، وبرّسباي البجاسي أمير آخور ؛ ليقمعا العرب المفسدين ، ويوطّنا أهل البلاد .

وفي أواخر هذا الشهر ، أخذ قاضي الشافعية ، العَلَم صالح النّظر على وقف السيّفى بيكتب من السلطان ، وعزّل قريبه أبا السّعادات .

وفي يوم الثلاثاء سلخ هذا الشهر (ثم ثبت في أواخر الشهر على قاضي المالكية الحُسام ابن حُرّيز أنّه مستهله ، ففيه على كلّ حال) أخذ شخصٌ قيل : أنّه من قطاع الطريق الذين يفسدون في ناحية قناطر الوز ، ففُضِر بالمقارع ، وأُسْلِم إلى الوالي ، ليقرّره على رفاقه من المفسدين .

وفي هذا الحد رُسم على القاضيّين ، الوالي محمد بن أحمد الأسيوطي ، والنور علي ابن [محمد بن محمد بن حسين] ^(١) البرقي ، من قبل السلطان عند نقيب الجيش ، ثم انكشف الأمر عن أن السلطان اشتري

(١) ما بين الحاصرتين بياض في الأصل ، والتصحيح من « هامش ١ » من (ص ٣٩٩) من القسم

الثاني .

من الخواجا علي البرصاوي خَصِيّاً فَتَبَيَّنَ عليه في بيعه ، وطالت المراجعة في ذلك ، ولم يبيعه له إلا بألف دينار ، وأخذ مِنْهُ ممالك وقماشاً سَمُوراً وغيره بنحو عشرة آلاف دينار ، فسَقَّ عليه مراجعته له ، فقليل له : إنه كان يعامل ناظر الخاص الجمال يوسف ، فطلب هذان لِيَسْأَلَا هل يعرفان أن تحت يَدَه له شيئاً ؟ فأجابا بأنهما لم يعرفا شيئاً ، فأكثر السلطان سؤالهما عن ذلك ، وهذدهما ، فأصرَّ على إنكار أن يكونا يَعْرِفَان شيئاً من ذلك فأطلقهما آخر يوم الأربعاء مستهل شهر ربيع الآخر . وطلب النَّصْراني الذي يُقال له وَلِيُّ الدَّوْلَةِ ، ثم قيل إن الأمير جانبك شاذَّ جُدَّة يشهد أن ناظر الخاص دفع له فلاناً^(١) بنحو خمسة آلاف دينار وهدية لابن عثمان بنحو ذلك ، وأنه لم يرجع حتى مات ناظر الخاص .

وفي أول شهر ربيع الآخر هذا ورد الخبر أن زوجة الحمزاوي الذي كان نائب الشام ماتت ، وكانت جارية له ، وتزوجت بَعْدَهُ مملوكاً له اسمه تَنَبَك ، وكان يُنقل عنها عُلُوُّ هِمَّة ومكارم ، وعمرت في دمشق بيتاً ، شاعت بمحاسنِه أَخْبَارُ ، وأنه فرَّد في دمشق ، فعَيَّن^(٢) السلطان لضبط تركتها شاهين الخصي ، الذي يُدعى غزالي ، مع أن لها زوجاً ، ولسيدها الحمزاوي ابن عم فيما يُقال وأرسل نائب الأمير جانم أخو الأشرف برُسباي ؛ يطلب بيتها لابنه يحيى ، وكان دُوَيْدَارَه الثاني برُسباي بالقاهرة ، فلما بلغ السُّلْطَانُ ذلك ، قال : أنا أعطيتَه لابني محمد .

(١) فلاناً : بهار معروف ، يمنع الغازات ، ويساعد على الهضم ، ويفتح الشهية ، ومنه الأسود والأحمر .

« إحياء التذكرة » (١٣٢ - ١٣٣) .

(٢) كان ذلك في يوم الخميس ٢ ربيع الآخر .

« حوادث الدهور » (٣٤٧) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر (٨١) .

وفي هذا الحدّ ، اشتدَّ خوفُ أبي السَّعادات محمد بن التاج البُلْقيني ، من عمِّ أبيه العَلَم صالح ، قاضي الشافِعيَّة ، وذهب نقيبُ الجَيْش إلى بيته فسأل عنه ، فاخفى ثم تبَيَّن أنه سافر ، فقيل : إلى المتبولي ^(١) بِرُكَّة الحاج ؛ ليختفي عنده إلى وَقْت ما ، وقيل : إلى ابن السلطان ؛ ليحميه منه أو يساعده على السَّعي في ولاية القضاء عنه بهال كثير سَمَاه ، نقل هذا عنه بَعْض مَنْ تجمَّدَت صُحْبَتُهُ له ممن لا يصلح لصالحه ويرمي نفسه على كلِّ من يتوهم فيه تقدِّماً ، ثم تحقَّق أنَّه كان عند المتبولي ، وأنه توصل به إلى أن سأل ابن السلطان في الخائِكة أن يُجِيزَه من عمِّه ، ثم لم يجسر على القدوم إلى القاهرة ، بل رَجَعَ إلى المتبولي ، ثم سمعنا أنَّ المتبولي جَهَّ ^(٢) وتركه في مكانه ، وذهب إلى غَيْرِه ، وقال : إنَّ هذا ولَّت عنه دَنِيَّاهُ ، وهو من آخرته ، على خطر ، فحينئذٍ أتى إلى القاهرة وكان ما سيذكر .

[٢٤٨] وفي يوم الجمعة [ثالث] ^(٣) شهر ربيع الآخر هذا ، برز الأمرُ السلطاني إلى أعيان القاهرة من الأمراء والمباشرين أن يتلقَّوا وَلَدَيْهِ . وفي يوم السبت رابعه ، خرجوا لذلك ، ونودي بتزيين البلد ^(٤) ،

(١) وهو إبراهيم بن علي بن عمر ، برهان الدين الأنصاري ، أحد المعتقدين .

راجع « هامش ٢ » من (ص ٨٠) من القسم الثاني .

(٢) جَهَّ : لفظه .

« المعجم الوسيط » (٢ / ٨٥٤) .

(٣) في الأصل (رابع) ، والتصحيح من « حوادث الدهور » (٣٤٧) ، حيث جاء فيه أن الأربعاء هو أول ربيع الآخر ، وكذلك مما ذكره المؤلف في نفس الصفحة من أن يوم السبت هو رابعه ، ويبدو أن البقاعي كان متردداً في تحديد تاريخ يوم الجمعة ، فبعد أن كتبه (ثالث) شطبه وكتب (رابع) بل ناقض نفسه بعد ذلك وحدد تاريخ يوم السبت برابع الشهر ، ثم عاد وذكر أن يوم الاثنين سابع الشهر على اعتبار أن يوم الجمعة هو رابع الشهر .

(٤) في « النجوم الزاهرة » (١٦ / ١٥٥) في يوم السبت ١٤ ، وراجع أيضاً « بدائع الزهور »

(صفحات لم تنشر) (٨١) .

فَزِينَتْ وَمَا نَصَبُوهُ مِنَ الزَّيْنَةِ شَخْصٌ يَشْبَهُ عَرَبَ مِصْرَ ، عَلَيْهِ لِبَاسُهُمْ ،
مِنَ الْعِمَامَةِ وَالثِّيَابِ وَنَحْوِهَا ، وَاسْمُوهُ أَبَا سَنْجَرٍ ، وَصَنَّفُوا فِيهِ أَنْوَاعَ
السُّخْرِيَّةِ ، وَجَعَلُوا ذَلِكَ فِي كُلِّ خُطٍّ (١) ؛ وَسَبَّيْهِ أَنَّهُ كَانَ لَهُمْ مَدَّةُ شَهْوَرٍ
قَدْ أَخْرَجُوا غِنَاءً عَلَى وَزْنِ « شُدَّ وَسَطُكَ وَأَشْمَرَّ » وَيُخْتَمُونَهَا بِقَوْلِهِمْ :
« يَا أَبَا سَنْجَرٍ » وَكَانُوا يَتَحَاكُونَ أَنَّ بَعْضَ الْعُرَبِ إِنْ كَانَ يُقَطِّعُونَ الطَّرِيقَ
بِنَاحِيَةِ قَنَاطِرِ الْوُزْنِ وَمَنْ ظَفَرُوا بِهِ سَلَبُوهُ ، ثُمَّ أَمَرُوهُ أَنْ يَرْقِصَ وَهُمْ يُغَنُّونَ
لَهُ : يَا أَبَا سَنْجَرٍ ، وَرَبِّمَا قَالُوا : إِنَّهُمْ فَعَلُوا ذَلِكَ بِبَعْضِ الْأَجْنَادِ .

وقدم في آخر يوم السبت هذا القاضي قطب الدين الخيضي .

وفي يوم الاثنين سابعه (٢) ، قدم المقام الشهابي ، الأمير الكبير ، ولد
السلطان ومن معه إلى خليج الزعفران (٣) ، ونصبوا خيامهم في الرِّيدَانِيَّةِ
بالقرب من سبيل بن قياز ، فخرج النَّاسُ لِلسَّلَامِ عَلَيْهِمْ .

ثم في ضحوة يوم الثلاثاء ثامنه (٤) دخلوا من باب النَّصْرِ وقدامهم
جميع عسكر مصر ، وكانوا على غَيْرِ تَرْتِيبٍ مَعْرُوفٍ ، فَكَانَ الْأُمَرَاءُ أَوَّلًا
وَفِي خَلَاثِهِمْ رَمَزٌ مِنْطَاشِي وَهَذَا لَا بَأْسَ بِهِ ، ثُمَّ وَرَاءَهُمُ الْقَضَاةُ ، وَوَرَاءَهُمُ
الدُّوَيْدَارُ الْكَبِيرُ يُوْنُسُ الْعِلَاطِي وَكِبْكِبَةُ فِيهِمْ أَرْبَابُ النَّفِيرِ ، وَوَرَاءَهُ
الْبَزْدَارَةُ وَوَرَاءَهُمُ ابْنُ السُّلْطَانِ ، وَوَرَاءَهُ مَمَالِكُهُ وَالطَّبْلُخَانَةُ ، ثُمَّ طَلَعُوا
إِلَى السُّلْطَانِ ، فَلَبَسُوا خِلْعَتَهُمْ .

(١) خط : الطريق الشارع .

« محيط المحيط » (٢٤٢) .

(٢) راجع « هامش ٣ » من (ص ١٩٤) .

(٣) في « النجوم الزاهرة » (١٦ / ١٥٥) وصلا يوم الثلاثاء ١٨ منه .

(٤) راجع « هامش ٣ » من (ص ١٩٤) .

وما انقضى أمرهم في الدخول ، حتَّى رشقهم الدَّهْرُ ببعضِ سِهَامِهِ ،
فَسَقَى ابنُ خالته محمد بن أَيْتُمُش الحِضْرِي (١) كأسَ حِمَامِهِ ، فمات (٢) في
ظَهْرِ يومِ الثلاثاء هذا ، عن نحو ثلاثين سنة ، وهو في نحو سن الأمير
الكبير الشهابي أحمد بن خالته ، وكان ابن الحِضْرِي قد أُخِفَ ؛ بما كان فيه
من المجاهرة بالفجور ، وانقطع قرب الجامع الأزهر ، وصار في أكثر
أوقاته يجالس بعض الفضلاء وينادِهم ويستنشد منهم ، ويحسن إليهم ،
ويحضر مجلس الشيخ شمس الدين محمد الشرواني (٣) ، ويسمع بعضَ
دروسه ، ومجلس الشيخ تقي الدين (٤) [ابن] محمد الشُّمْنِي ويسمع عليه
دَرْساً في الرضى شرح الحاجبية (٥) واستمر كذلك حتَّى مات في هذا

(١) راجع «هامش ٢» من (ص ٦٨) من القسم الثاني .

(٢) راجع «هامش ٣» من (ص ١٩٤) .

(٣) هو : محمد بن مراهم الدين ، الشمس الشرواني القاهري الشافعي ، ولد تقريباً سنة ٧٨٠هـ
اشتغل في العلم بعد العشرين ، وقدم القاهرة بعد سنة ٨٣٠ هـ ، وتقدم في عدة فنون ، مات بالقاهرة
ليلة مستهل صفر سنة ٨٧٣ هـ .

له ترجمة في «الضوء اللامع» (١٠ / ٤٨ رقم ١٦٥) .

(٤) هو : أحمد بن محمد بن محمد بن حسن بن علي بن يحيى بن محمد بن خلف الله بن خليفة ،
التقي أبو العباس بن الكيال ، التميمي الداري القسنطيني الأصل السكندري المولد القاهري المنشأ ،
المالكي ثم الحنفي المعروف بالشُّمْنِي ، ولد في العشر الأخير من رمضان سنة ٨٠١ هـ بالاسكندرية ،
وقدم القاهرة مع أبيه وسمع على عدد من علمائها في الفرائض ، والحديث ، والفقه ، وأصول الدين ،
والعربية ، والحساب ، والهيئة ، والمنطق ، وغيرها من الفنون ، وصنف حاشية على المغني ، وحاشية على
الشفاء ، وشرح النقابة في الفقه ، وغيرها من المصنفات ، مات في ٢٧ ذي الحجة سنة ٨٧٢ هـ .

له ترجمة في : «عنوان الزمان» (مخطوط) (٩٩) ، و «الضوء اللامع» (٢ / ١٧٤ رقم ٤٩٣) ، و
«حسن المحاضرة» (١ / ٤٧٤ رقم ٥٦) .

(٥) هي الكافية في النحو ، للشيخ جمال الدين أبي عمر وعثمان بن عمر ، المعروف بابن الحاجب
المالكي النحوي المتوفي سنة ٦٤٦ هـ .
«كشف الظنون» (٢ / ١٣٧٠) .

في بيت له في المصنع قرب زاوية الشيخ تقي الدين على رأس الرُمَيْلَةِ ،
وَصَلَّى الله عليه مِنَ الغد في سبيل المؤمني ، ولم يتخلف عن جَنَازَتِهِ أَحَدٌ
مِنَ الأعيان ، بل حَضَرَ أميرُ المؤمنين وجميعُ الأمراء ، والقضاء ،
والمباشرون ، وكان الذي قُدِّمَ عليه إماماً قاضي الشافعية العَلَمَ صالح ،
ودُفِنَ في تربة أبيه بالصَّحراء .

وفي يوم السَّبت ثاني عشر شهر ربيع الآخر هذا ، ضَرَبَ جماعةٌ من
الأجْلَابِ الأميرَ ناظِرَ الخاص ، زين الدين عبد الرحمن بن العَلَمِ بن
الكُوَيْزِ في القَلْعَةِ عند الجامع ضرباً عظيماً يُظَنُّ أن القصد منه القَتْلُ ،
فهرب منهم إلى نَاحِيَةِ باب الستارة وهم يتبعونه ضرباً إلى أن وَقَعَ
هنالك ، فرجعوا عنه ظانين أنه مات ، فحُمِلَ إلى الدَّهَيْشَةِ ، ثم أُنْزِلَ إلى
بيته ، واستمر به منقطعاً ، يعودُه النَّاسُ ، ويعالجه الأطباء إلى آخر هذا
الشهر .

وفي هذا الحد ، مات فخر الدين ^(١) بن دُويم المصري التَّاجِرِ السَّفَّارِ موت ابن دويم
الذي كان وكيل قاضي القضاة ابن حَجَرٍ .

وفيه أيضاً ضَرَبَ الأَجْلَابُ الأميرَ علاء الدين على بن امرأة القَيْسِي
ضرباً كثيراً ، وشاع أنهم عَرَّوه ثيابه ، وأخذوا جميع ما عليه ، فَقَلَّتْ بذلك
حُرْمَتُهُ ، وتُحَدَّثُ بأنه لا يصلح للولاية .

وفي يوم الاثنين رابع عشره ^(٢) ، سافر شاهينُ غزالي إلى دِمَشق ،
لأنجلِ تركة زوجة قَانِبَايَ الحمزاوي ، ورُسِمَ له أن يأخذ تَسْفِيرَةَ أُلْفِي

(١) هو : فخر الدين أبو بكر بن علي بن محمد التاجر .

«الضوء اللامع» (١١ / ٢٤٧) .

(٢) راجع «هامش» ٣ من (ص ١٩٤) .

دينار ، يباع من التركة أمتعة عيّنت له ، وَيَسْتَوِي منها ذلك ، وتُحْمَل
بقية الأمتعة إلى القاهرة .

وفي هذا الحد وَرَدَتْ كُتُبٌ مِنْ دِمَشْقَ ، أَنَّ قَاضِي الشَّافِعِيَّةِ بِهَا الْوَلِي
الْبُلْقِينِي أَحْدَثَ فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ وَهُوَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ فِي
الْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ بِالْغَائِطِ ، وَأَنَّ ذَلِكَ عُرِفَ بِأَنَّهُ ذَكَرَهُ هُوَ لَطِيبِيهِ ، وَشَمَّ مِنْهُ
مَنْ كَانَ يَلِيهِ رَائِحَتَهُ ، وَتَوَاتَرَتْ بِذَلِكَ أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ ؛ فَخَجَلَ مَنْ كَانَ
يَتَعَصَّبُ لَهُ ، وَقَدْ كَانَ أَنْكَرَ عَلَى مَنْ قَالَ : أَنَّ بِهِ سَلَسَ الْبُولَ فِي أَوَّلِ مَا
وَلِيَ ، فَلَمَّا جَاءَتْ هَذِهِ الْأَخْبَارُ طَمَّتْ وَعَمَّتْ وَغَمَّتْ وَأَهَمَّتْ ، وَلَكِنْ لَمَّا
تَفَاحَشَتْ هَذِهِ الْإِشَاعَاتُ ، وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ حُلُولِ الْقُطْبِ الْخِضَرِيِّ أَتَاهُمْ
بِاخْتِلَاقِهَا ، وَهُوَ الْأَغْلَبُ عَلَى الظَّنِّ .

وَتَحَدَّثُوا أَيْضاً بِأَنَّهُ حَصَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَدْرِ ^(١) مُحَمَّدُ بْنُ شَيْخِنَا التَّقِي
أَبِي بَكْرٍ بْنُ قَاضِي شُهْبَةَ ^(٢) خُصُومَةً وَصَلَوْا فِيهَا إِلَى قِبَائِحَ ، وَزَادَ مَرَضُهُ
فَصَارَ يَقُولُ : إِنَّ مَتَّ فَابْنَ قَاضِي شُهْبَةَ قَاتِلِي إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورٍ لَا
تَلِيقُ وَقَعَتْ بِحَضْرَةِ النَّائِبِ وَالْأَمْرَاءِ فِي دَارِ السَّعَادَةِ وَغَيْرِهَا ، ثُمَّ صَحَّ أَمْرُ
الْخُصُومَةِ .

وفي ليلة هذا اليوم سافر أبو بكر بن ... ^(٣) الذي في خِدْمَةِ الْأَمِيرِ

(١) هو : محمد بن أبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن عبد الوهاب ، الفقيه البدر
أبو الفضل بن فقيه الشام التقى الأسدي الدمشقي الشافعي ، المعروف بابن قاضي شُهْبَةَ ، ولد فجر
الأربعاء ٢ صفر سنة ٧٩٨ هـ نشأ في دمشق وقرأ على علمائها ، وارتحل إلى القاهرة ، وبرع في الفقه ،
وَدَرَسَ بِالظَّاهِرِيَّةِ وَالنَّاصِرِيَّةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْمَدَارِسِ ، وَنَازِلٌ فِي الْقَضَاءِ سَنَةَ ٨٣٩ هـ مَاتَ فِي دِمَشْقَ لَيْلَةَ
الْخَمِيسِ ١٢ رَمَضَانَ سَنَةَ ٨٧٤ هـ .

لترجمة في: «الضوء اللامع» (٧/ ١٥٥ رقم ٣٨٦)، و«نظم العقيان» (٤٣/ ١٤٣ رقم ١٤١) .

(٢) شُهْبَةُ : جاء في «معجم البلدان» (٣/ ٣٧٤) ، من قرى حَزْوَانَ .

(٣) بياض في الأصل ، بمقدار أربع كلمات ، لم نجد ما يصححه في المصادر المتوفرة .

بُرْذُ بَكَ ، المعروف بالبَشْمَقْدَار ، وهو رأس نَوْبَةِ الثُّوبِ الثَّانِي إلى بلاد الشام ، وأبو بكر هذا من شياطين الإنس ، بلغني أنه أخذ على يده من المراسيم والمطالعات ما يعسر عده ، فضلاً عن جَلَّة ، وذلك أنه قصده كلُّ من له حقُّ ضائع أو مَظْلَمَةٌ عجز عن الانتصار فيها .

وفي هذا الحدِّ ، بلغنا أنَّ الجلال محمد بن عبد القادر الباعوني الذي كان آذى ابن عمه الجمال يوسف ، وسعى عليه في القضاء ، وتكلَّم في عِرضه ، قُتِلَ في بلادِ الرُّومِ ، وقيل : أن سبب قَتْلِهِ ، أنَّ السلطان محمد بن عثمان أعطاه مالاً كثيراً ، يُقال : أنه ألفا دينار ، وكان في خِدْمَتِهِ شَخْصٌ من أنحس النَّاسِ ، معروفٌ بشهادة الزُّور ، والاجترأ على العِظائم ، يقال له : الأقسماوي ، فقتله لأجلها ، ثم أخذ فقتل به ، ودُفِنَا في قَبْرِ واحد ، فاستراح منهما العبادُ والبلادُ . ثم ورد الخبرُ ، بأنه ما قتله إلا بَعْضُ قطاع الطريق ، ولم يُعرف قَاتِلُهُ ، فذهب دَمُهُ هدر ، فالله أعلم أى ذلك كان .

وفي يوم الخميس سابع عشره ^(١) ، ضاق على أبي السَّعَادَاتِ البُلْقِينِي الخناقُ في أمرِ عَمِّ أبيه العَلَمِ صالح ، فقصد الشيخ أمين الدين الأقصري ، بعد أن عجز في السَّغْيِ عليه ، فكان لا يُبْرَمُ أمراً إلا نَقَضَتْهُ عليه زَوْجَةُ العَلَمِ ، فلم يَزَلْ يترقُّ للشيخ أمين الدين ، حتَّى أتى به إلى العَلَمِ فأصلح بينهما ، فتظاهر على خوفٍ من غائلته .

وفي هذا الحدِّ ، وقع بين سالم ^(٢) الذي وُلِّيَ مَشِيخَةَ الفقراء السَّطُوحِيَّةِ

(١) راجع « هامش ٣ » من (ص ١٩٤) .

(٢) هو : سالم بن عبد الوهاب ، المجد بن التاج الدمشقي القاهري ، خليفة المقام الأحمدي بطتدا ، وُلِّيَ في حياة أبيه ، ثم وَلِيَهُ أبوه ، ثم أعيد بعد وفاة أبيه ، مات قريباً من سنة ٨٨٠ هـ . له ترجمة في : « إنباء المصر » (٢٢١) ، و « الضوء اللامع » (٣ / ٢٤٢ رقم ٩١٠) .

بمقام سيدي أحمد البدوي بطندتا وبين أبيه عبد الوهاب ^(١) الرَّملي ،
وأخيه عبد الرحيم وهو أكبر منه منازعةً أفضت إلى سغي أبيه في تَوَلَّى
ذلك ، وَعَزَلَ وَلَدَهُ ، وقام لِكُلِّ عِصْبَةٍ مِنَ الفقراء ، ثم أَطْبَقُوا على نُصْرَةِ
أبيه ؛ وسبب ذلك أن السَّراج عمر العبادي ، والنور علي ^(٢) التَّلَواني
السَّريسي بن الفاخراي (وليس صَهر الونائي) ، كانا قد استطعا مِن
مشائخ قبل سالم بمنافع كثيرة ، وطمعت نَفْسُ كُلِّ في الدَّخول في أحوال
المقام ؛ لما يحصل مِن أَوْقافِهِ ونذوره وغير ذلك مِن المقاصِد الدُّنيويَّةِ ،
فكان كُلُّ منهم في جانب ليصير من يتكلم له في قبضته ، فكان الأمرُ لا
يزال مُزَلَّزلاً ، وأحوال الفقراء في فسادٍ كبير ، فيصير الناظرُ لذلك مُتَحَيِّراً ،
واتَّفَقَ في هذه المَرَّةِ أن كان العبادي مع الأب ، وتحرَّرَ بعد الاختبار أنَّ كُلاً
منهم مِن شياطين الإنس ، وأن سالماً أخفَّهم شَرّاً ، وأنَّ الأب أعرف بالملق
والتَّمَنِّيَّةِ والغرور فأعان ذلك من يساعده ؛ لكون ذلك طِباع البَلَدِ ،
والتَّفوس منقاداً إلى مَنْ يعانیه للقصور على النَّظر في الحاضر ، وَعَدِمَ
تدبر العواقب [٢٤٩] ، فَقَدِمَ سالماً إلى القاهرَة ، وشكا حاله إلى الناظر
عليهم الأمير بُرْذَبَك الدَّوَيْدَار ، فأرسل يَسْتَقْدِمُ أباه .

(١) هو : عبد الوهاب ، التاج دمشقي القاهري ، خليفة المقام الأحدي بطندتا ، مات بها فجأة
في جمادي الآخرة سنة ٨٦٦هـ .

له ترجمة في «الضوء اللامع» (٥ / ١١٥ رقم ٤١١) .

(٢) هو : علي بن سليمان بن يوسف بن أحمد بن عبد الملك ، النور الأنصاري الموريني التَّلَواني
القاهري الشافعي ، المعروف بالتَّلَواني ، ولد في شوال سنة ٨١٤هـ ، أخذ في عدة فنون عن أبرز علماء
عصره ، في القاهرة ، ومكة ، والمدينة ، والقدس ، مات غريقاً في ربيع الأول سنة ٨٧٣هـ .

له ترجمة في : «الضوء اللامع» (٥ / ٢٢٨) .

وفي يوم الأحد العشرين^(١)^(٢) من شهر ربيع الآخر هذا ، سافر
الأمير بُرْدُك إلى دِمِياط في البحر ، ولم يَسْمَعْ أَحَدٌ بسفره إلا ساعة سَيرِهِ
ولا عَلمَ أَحَدٌ سَبَبَهُ ، ووافق سَفَرُهُ مِن بولاق حضور عبد الوهاب الرَّملي ،
أبي سالم ، فأخَرَهُم إلى حضوره .

ثم سمعنا أَنَّ السَّبَبَ في هذا السَّفَرِ ، أَنَّ السُّلطانَ أَرَادَ أن يَبْنِي في
مُرْسَى^(٣) الطَّيْنَةِ بُرْجاً يَحْفَظُهُ مِن مراكب العدو ، فأخَذَ معه المهندسين
لذلك ، فرسموه وقَدَّرُوا أمره ، وَعَزَمُوا على نقل آلاتِهِ مِنَ القَرَمَا^(٤) ، وَأَخَذَ
معه عيسى المغزبي المَقْدَمَ ذَكَرَهُ ، فكره النَّاسُ ذلك مِنْهُ ، ثم رجع فوصل
إلى القَاهِرَةِ ليلة الاثنين^(٥) خامس جمادى الأولى .

وفي يوم الاثنين حادي عَشْرِيَّه مِنْهُ لبس القاضي قُطْبُ الدين
الخِضْرِي خِلْعَةً بكتَابَةِ سِرِّ دِمَشْقَ ووكالة بيت المال ، عن علاء الدين
علي بن مفلح الدَّمشقي وسمعنا مِنْ وَجْهِ ثابِت أَنَّهُ تَكَلَّفَ على ذلك
أَرْبَعَةَ آلاف دينار .

(١) راجع « هامش ٣ » (ص ١٩٤) .

(٢) في « حوادث الدهور » (٣٤٨) يوم الأحد ١٧ منه .

(٣) مُرْسَى : محطَّ السفينة بالساحل .

« المعجم الوسيط » (١ / ٣٤٥) .

(٤) القَرَمَا : مدينة على شاطئ بحر الروم من بحر القلزم ، وهي أول مدن مصر من جهة الشمال .

« معجم البلدان » (٤ - ٢٥٥ - ٢٥٦) ، و « الخطط التوفيقية » (١٤ - ٧٣ - ٧٤) ، و « أطلس

تاريخ الإسلام » (٤٠٠ / خريطة ١٤٠ ، ١٤١) .

(٥) في « النجوم الزاهرة » (١٦ / ١٥٦) يوم الاثنين خامسه .

وفي يوم السَّبْتِ سادِس (١) عَشْرِي (٢) الشهر ، لبس الأميرُ إينال (٣) الأشقر خِلعة بولاية القاهرة (٤) ، عن الأمير علاء الدين الفَيْسي ؛ لما كثر في مدّة ولايته مِنَ القَتْلِ والنَّهْبِ ، وأنّه إذا وَقَعَ له أَحَدٌ مِنَ اللصوص ، تُخَلِّصه منه الأَجْلَابُ إلى غَيْرِ ذلك مما يَنْبِيي على قِلّة الحُرْمَةِ ؛ لكونه ليس مِنَ التُّرْك ، ولا غَرَضُ له إلّا التَّوَصُّل إلى المال .

وفي هذا اليوم ، وصل مِنَ قاضي الشَّافِعِيَّة بدمشق الولي البُلْقِينِي حَمَل برسم الهدية لِنَاطِر الجيش الذي كان سبب ولايته ، ولغيره مِنَ الأَعْيَان كأنّه خاف مِنَ القطب الخَيْضَرِي ، فأرسل ذلك رجاء أن لا يُسمع فيه كلامه .

وأرسل يطلب ما باسم القاضي جمال الدين الباعوني على الجَوَالِي ، وهو دِينَار في كل يوم مدَّعياً أنّ ذلك ما رُتِّب له إلّا لِأَجْلِ .. (٥) وفي وظائف الجلال ابن عمّ الباعوني ، فأجيب إلى ذلك ، وَقَدْ كان القاضي جمال الدين أرسل يَسْعَى فِيهَا ، فلم يُلْتَمَس إليه ، وشُكِر البُلْقِينِي على إهدائه ، مع قرب العهد بما بَدَّل على أَصْلِ الولاية ، والله المستعان .

(١) راجع «هامش ٣» من (ص ١٩٤) .

(٢) في «النجوم الزاهرة» (١٥٦ / ١٦) في يوم الاثنين ٢٥ .

(٣) هو : إينال اليحياوي الظاهري جَفَمَق ، المعروف بالأشقر ، وُلِّي عدة وظائف منها : ولاية القاهرة ، ونيابة مَلَطِيَّة ، ونيابة حَلَب ، ورأس نوبة كبير ، وأمريّة سلاح ، وكان ظلوماً غشوماً ، مات في رمضان سنة ٨٧٩هـ .

له ترجمة في : «الضوء اللامع» (٢ / ٣٣٠ رقم ١٠٨٤) ، و «بدائع الزهور» (طبعة بولاق) (٢ / ١٥٥) .

(٤) الخبر في : «النجوم الزاهرة» (١٥٦ / ١٦) ، و «بدائع الزهور» (صفحات لم تنشر) (٨٣) .

(٥) كلمة غير واضحة الرسم في الأصل ، لم نجد ما يصححها في المصادر المتوفرة .

وفي هذا الحدِّ وَصَلَ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ حَامِدُ الصَّفَدِيِّ ، الَّذِي يُنْسَبُ إِلَى اعتقادِ كَلَامِ ابْنِ عَرَبِيٍّ إِمَامِ أَهْلِ الْوَحْدَةِ ؛ يَسْعَى فِي عَوْدِ الْقَاضِي بَدْرِ الدِّينِ بْنِ الْقَفِّ مِنَ الْقُدْسِ إِلَى بَلَدِهِ صَفَدَ ، فَسَمِعَ السُّلْطَانُ بِحُضُورِهِ ، فَذَكَرَهُ لكَاتِبِ السَّرِّ الْقَاضِي مُحَمَّدِ بْنِ الشُّحْنَةِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ إِلَيْهِ ، وَذَمَّهُ عَلَى مَجِيئِهِ فِي هَذَا الْغَرَضِ ، فَلَمَّا أَتَى إِلَى كَاتِبِ السَّرِّ أَخْبَرَهُ بِكَلَامِ السُّلْطَانِ ، وَأَشَارَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يُوَاجِهَ السُّلْطَانُ بِشَفَاعَةٍ فِي ابْنِ الْقَفِّ .

ثُمَّ أُرْسِلَ يَوْمًا إِلَى كَاتِبِ السَّرِّ وَهُوَ فِي الْحَضْرَةِ مِنْ قَالَ لَهُ : إِنَّهُ حَضَرَ ، فَأَعْلَمَ السُّلْطَانُ فُسَاءَ حُضُورِهِ ، ثُمَّ قَالَ : دَعُهُ يَدْخُلُ ، فَلَمَّا دَخَلَ ، لَمْ يَأْذَنْ لَهُ فِي الْجُلُوسِ ، فَقَالَ لَهُ كَاتِبُ السَّرِّ ، وَلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ سُوءَ اعْتِقَادِهِ : اجْلِسْ ، فَشَغَلَهُ السُّلْطَانُ بِكَلَامٍ ، فَلَمْ يَجِسرْ عَلَى الْجُلُوسِ ، ثُمَّ إِنَّ كَاتِبَ السَّرِّ قَالَ لَهُ : اجْلِسْ وَاقْرَأِ الْفَاتِحَةَ وَادْعِ لِلْسُّلْطَانِ . ففَعَلَ ، فَلَمَّا ذَهَبَ نَادَاهُ السُّلْطَانُ فَرَجَعَ ، فَقَالَ لَهُ : فِي أَيِّ شَيْءٍ جِئْتَ ؟ فَتَلَجَّلَجَ ، فَقَالَ كَاتِبُ السَّرِّ : جَاءَ شَوْقًا إِلَى السُّلْطَانِ . فَقَالَ : مَا جَاءَ إِلَّا لِأَجْلِ ابْنِ الْقَفِّ . فَقَالَ : يَا مَوْلَانَا ، هُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ ، (وَكَأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَقُولَ شَيْئًا يَرْقِّقُ بِهِ السُّلْطَانُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ لَمْ يَجِسرْ) وَلَكِنِّي مَا جِئْتُ بِسَبَبِهِ ، فَشَرَعَ السُّلْطَانُ فِي ذَمِّهِ ، ثُمَّ ذَهَبَ . قَالَ كَاتِبُ السَّرِّ : وَكَأَنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ هَيَّا آيَاتٍ وَأَحَادِيثَ يَعِظُ بِهَا السُّلْطَانُ ، ثُمَّ يَكَلِّمُهُ فِي ابْنِ الْقَفِّ ، فَلَمَّا حَقَّتْ الْحَقِيقَةُ لَمْ يَجِسرْ عَلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، فَقِيلَ لَهُ : كَأَنَّهُ شَاهَدَ فِي السُّلْطَانِ الْإِلَهَ الْكَبِيرَ عَلَى مُعْتَقَدِهِ ، فَسَأَلَ عَنْ ذَلِكَ فَأُخْبِرَ بِأَنَّهُ يَقُولُ بِاعْتِقَادِ ابْنِ عَرَبِيٍّ ، فَطَبَّقَ شَكْلَهُ وَكَلَامَهُ عَلَى ذَلِكَ ، وَرَأَى مَا هُوَ فِيهِ مِنْ بَشَاعَةِ الْمَنْظَرِ وَالْعَلَّاسَةِ ، فَتَعَجَّبَ وَسَقَطَ مِنْ عَيْنِهِ وَاللَّهُ الْمُؤْتِقُ .

وقبض في يوم الأحد ، سابع عشرية ^(١) على ستّة أنفيس من العرب
المفسدين فشَنِقُوا ، وشاع أنّ الأمير أَيْنَال الأشقر والي القاهرة وقع عنده
بعض المفسدين بالقاهرة ، فجاء ناسٌ من الأَجْلَابِ ليخلّصوه (دأبهم مع
مَنْ كان قَبْلَهُ ، لا سِيَّما ابن القَيْسِي) فضربه بحضرتهم ضَرْباً كثيراً ؛ غَيَظا
على كونه استعان بهم وإِهَانَةً لهم ، وتهدّد مَنْ يفعل مثل فعله ويحتمي
عليه ، فذَلَّ بذلك الغِلْمَان .

فإن استمرّ على هذا ، حصل به خَيْرٌ كبير ، فإنّ غالب الفساد
بالأَجْلَابِ من الغِلْمَان ، فسألت عن السَّبَبِ في عَدَمِ مبالاته بالأَجْلَابِ ،
فَقِيلَ : إنه من طائفة الظاهرية ، وأَجْلَابِ هذا السلطان قِسْمَان : قِسْمٌ
وجدهم صِغاراً في الطَّبَاقِ وهم من مشتري الظاهر ، وقسم باشر هو
شِرَاءهم ، وبين القسمين عداوةٌ ، فعَلِمَ من هذا أنّ نصف الأَجْلَابِ مع
هذا الوالي ، فإنّ حَصَلَ له توفيق فهو يَقْمَعُ جميع المفسدين ويأخذ بمن
أطاعه مَنْ عصاه من الطائفتين ، والله المسؤول في إِصْلَاحِ الحال ، وقمع
أهل الضلال .

وعُثِرَ على شخصٍ من أعيان الأَجْلَابِ لَيْلاً فُقِبِصَ عليه ، وضَرَبَ ،
وبالجملة فقد أُوْقِعَ وقائع انتجت له هَيْبَةٌ ، انتشر روعها في قلوب
المفسدين أعانه الله على الخير .

وَحَدَّثَنِي في هذا الحدِّ ، العلامةُ ، كمالُ الدين محمد بن أبي شَرِيف
القدسي أنّه وَرَدَ عليه من أخيه العلامة برهان الدين إبراهيم كتابٌ من
القدس ، فيه : أنّه ذَكَرَ بحضرة قاضي الشافعية بها البرهان إبراهيم بن

(١) راجع هامش ٣ من (ص ١٩٤) .

الخطيب جمال الدين عبد الله بن جماعة القدسي الشافعي مسألة جواز تأخير الاستنجاء إلى بعد الوضوء ، فقال : هذا صحيح ؛ لأن المقصود إنما هو جفاف الخارج ، فإذا جفَّت صَحَّت الصَّلَاةُ ، وَذَكَرَ في الكتاب من هذا الضَّرْبِ وقائع دالَّةٌ على فَرْطِ الجهل والجرأة ، ربما يكون فيها ما هو أعجب من هذا ، لكنه كما لم يكن ذلك عندي عجباً ؛ لمعرفتي بهذا القاضي وما ينطوي عليه لم أوثِرَ ذِكْرُها ، فيالله للإسلام ، قَبِّحَ اللهُ مَنْ يُؤَيِّلُ مثله .

وفي يوم الخميس مستهل (١) جمادي الأولى ، رَكِبَ الأميرُ زين الدين جمادي الأولى بن الكُوَيْزِ ناظرَ الخاص ، وطلع إلى السلطان ، ويده مُعلَّقة في عنقه ، فأورده للسلطان من ثمن البَهَارِ ثلاثين ألف دينار .

وفي هذا الحد بلغ السلطان أن جاكموا الذي ملكه على قبرس ، أرسل إلى أهل شِريْنَة ، وضيق عليهم ، وأوقع بهم مَرَّاتٍ ، كان الظَّفَرُ له فيها (٢) ، فأرسل ناساً من عنده في سفينة ليُعْلِمَ السلطان بذلك ، ومعهم هدية صوفٍ ونقدٍ ، فأرسل أهل شِريْنَة مَرَكَباً ، فالتقوا ، فوقع بينهم حربٌ كان الظَّفَرُ فيها لِأهل شِريْنَة ، فقتلوا وأسروا ونهبوا ، فأمر السلطان بالاستعداد لغزوهم .

وفي يوم السبت ثالث الشهر مَرَضَ السلطانُ مَرَضَهُ المعتاد بِرُمَيِّ الدَّمِ والإسهال [٢٥٠] ، وكانت صَدَمَتُهُ له شديدة على العادة ، ثم أصبح يوم الأحد أحسن حالاً (٣) .

(١) هكذا في «النجوم الزاهرة» (١٦ / ١٥٦) .

(٢) في «حوادث الدهور» (٣٤٨) تفصيلات أخرى عن هذا النصر .

(٣) الخبر في : «النجوم الزاهرة» (١٦ / ١٥٦) ، و «بدائع الزهور» (صفحات لم تنشر) (٨٣) .

وفي ليلة الاثنين (١) خامس الشهر قدم الأمير بُرْدُ بَك من الطَّيْنَةِ (٢)
وقد ظهر عليه شؤمُ رِفْقَتِهِ لِعِيسَى المغربي لما سمعوا من هذا الخبر ، ولما
أخبروا من أَنَّهُ حصل لهم عَسْرٌ شديد في توصلهم إلى الطَّيْنَةِ ، ثم اجتمع
صبيحة الاثنين بالسلطان ، فإذا هو أحسنُ حالاً ، وَحَصَلَ له نشاطٌ
بالسرور بقُدُومِهِ ، فخلع عليه ، وعلى وَلَدِهِ ونزلاً ، فقصدَهما الناسُ
للسلام .

وفي ليلة الثلاثاء سادس الشهر ، أصبح اثنان مَذْبُوحان في بيوتهما ،
أحدهما قرب المَرَسْتان ، وهو جابٍ يُقال له : المُوَسْكي ، كان يُظَنُّ أَنَّ
مالَهُ الذي يَخْصُهُ ، والذي يَحْيِيهِ في بيته ، فخابَ ظَنُّ القاتِل . والثاني عند
جامع الحاكم وهو شاهدٌ ولم يمت هذا ، بل أصبح حَيًّا ، وقيل : أَنَّ الذي
ذَبَحَهُ صَبِيٌّ أَمْرَدٌ كان مُتَّهَمًا به ، فجاء الوالي إلى الرِّبْع الذي قُتِلَ فيه
الجابي ، وَقَبَضَ على الجيران ، لينظر في ذلك ، وكان الذي حَرَكَهُ لذلك ،
أَنَّ القاضي ناصر الدين بن أَصِيل أرسل جماعةً إلى ذلك الرِّبْع ؛ لِأَنَّ له
فيه كَلَامًا ، فكتبوا محضراً بصورة أمر هذا الجابي ، وَوَجَدُوا بابَهُ مُقْفَلًا
بضَبَّةٍ (٣) مِن داخل ، وتحرَّرَ أَنَّ قَتْلَهُ كان في ظهر يوم الاثنين خامس
الشهر ، وَأَنَّهُ استغاث ، ثم سكت عن قُرْب ، وسمع نساءً مِن جيرانه ،
فصاحوا ونادوا بَعْض المارَّة لينظروا خَبْرَهُ ، فلم يلتفت أَحَدٌ إلى ذلك ،
وكان الذي جَبَنَ الناسَ عن غِيائِهِ معرفة ذلك الرِّبْع بالفساد ، وَتَرَدَّدِ
الأجْلَابِ إليه ، فهذه ثمرة السكوت عن أهل الفساد ، ومساكتهم .

(١) في « النجوم الزاهرة » (١٦ / ١٥٦) يوم الاثنين .

(٢) كان سبب قدومه ، أَنَّهُ لما مرض السلطان أرسل خلفه للحضور .

« بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٨٣) .

(٣) ضَبَّةٌ : حديدة عريضة ، يُضَبُّ بها الباب ، وتُغْلَقُ من الخشب ذو مفتاح يغلق به الباب .

« المعجم الوسيط » (١ / ٥٣٢) .

ولما أتى الوالي قَبْضَ مع الجيران على الشهود والقاضي الذين دخلوا عليه بأمرِ الناصر بن أصيل ناظر الجوالي ، وهم : القاضي كمال الدين بن القاضي معين الدين بن القاضي تاج الدين عبد الرحيم بن الطرابُلُسي ، وتقي الدين محمد الجعفري ، وشمس الدين محمد النحريري ، فشدد عليهم الوالي ، فلم يخل سبيل أحد منهم إلا بغرامة كثيرة . وكان الموسكي المذكور صوفيّاً في سعيد السعداء ، ولم يكن له وارث ، وكانت العادة جارية في مثله أن تكون تركته لأهل سعيد السعداء ، فأخذ [الوزير] ^(١) علاء الدين علي بن الأهناسي ماله ، ولم يلتفت إلى الناظر القاضي أبي السَّعَادَات البُلُقيني ، ولم يَقْدِر على مقاومة الوزير ؛ لسوء سيرته .

وفي يوم الأربعاء ، سابع الشهر ، وصل جماعة نحو العشرة من مُفسدي العرب منهم شخصٌ عليه بيضة ^(٢) ودِزَع ^(٣) ، قبض عليهم ابنُ شعبان أمير العرب ، من قرية اسمها قَهَا . ^(٤) ، كانوا يُفسدون ويجمعونها لأنها من تعلق الأمير بُرْدَبَك الدَّوَيْدار الثاني ، فوضعوا في سِجْنِ المَقْشَرَةِ ، وكذا قَبْضُ الوالي عَلَى جماعة من المماليك يقطعون الطريق بين مِصر العتيقة والقاهرة فالحقوا بالعرب إلى المَقْشَرَةِ إلى أن يُعَافَى السُّلْطَانُ ، فَبَرَى فيهم رأيَه .

(١) في الأصل (الوزير) ، والتصحيح مما جاء في نفس الصفحة .

(٢) بَيْضَة : الخوذة ، وسميت بَيْضَة ؛ لأنها على شكل بَيْضَةِ النعام ، تجعل على الرأس .

« كتاب السلاح » (٢٩) ، و « المخصص » (٧٣ / ٦) ، و « لسان العرب » (٨ / ٣٩٤) ، و « نهاية الأرب » (٦ / ٢٤٠) .

(٣) دِزَع : قميص من حلقات من الحديد متشابكة ، يُلبس وقاية من السلاح ، يذكر ويؤنث .

« كتاب السلاح » (٢٨) و « المخصص » (٦ / ٦٩) ، « لسان العرب » (٦ / ٢٤١) ، و « المعجم الوسيط » (١ / ٢٨٠) .

(٤) قَهَا : من أعمال القليوبية ، مساحتها ٢٧٤٣ فداناً ، وعبرتها ٨٠٠٠ دينار وهي وقف مدرسة

الناصر حسن بسوق الخيل . =

وفي يوم الخميس ، ثامن الشهر ، وصل الخبرُ بأنَّ الأميرَ بَقْرًا بنَ بَقْرٍ قَبِضَ على شخصٍ من أكابرِ العربان يُقال له : ابن هوازَن كان قد أَغْضَبَ السلطانَ ، وكان له مدَّةٌ يطلبُ من بقرٍ . إحضاره ، فأُعْلِمَ السلطان بذلك وهو مريضٌ فَسُرَّ بِهِ .

وفي هذا اليوم اشتدَّ سَعْيُ عبد القادر الرَّملي على ولده سالم في مشيخة سيدي أحمد البدوي ، بحيث استمال أكثرَ النَّاسِ ، ولا سيَّما الأمراء ، وكان أكثرُ ذلك بواسطة السَّراج العبادي ، كان [يَخْدَعُ] ^(١) النَّاسَ بأن [يقول] ^(٢) : إن أباه لم يرسله من دِمَشق إلَّا نائِبًا عنه ، فلمَّا جاء هو اسْتَبَدَّ بالأمر وعقَّ أباه ، وكان الأبُّ قد تحدَّثَ بشيءٍ من ذلك أوَّلَ ما قدَّم من الشام ، ثم أذعن لولاية وَلَدِهِ ، وأعذر فيها ، واتَّصل ذلك ببعض القضاة ، ووُقِّعَ به حكمٌ ونُقِذَ ، فتوصَّلَ سالمٌ إلى أن أراه خَوْنَهُ ، وعُرِفَتْ أنَّ قوله من أصله لا أصل له ؛ فإنه لم يكن بيده شيء ، حين قدم سالمٌ ، حتَّى يستنيب فيه أو يُظلمَ بِنَزْعِهِ منه .

فلَمَّا فهِمَتِ الأُمَرَاءُ أظهرت القيامَ مع سالم ، وَرَجَعَتِ صَهْرُهَا الأمير بُرْدَبَك ، فصار معها ظاهرًا وباطنًا ، وهو ناظرُ المقام ، وأمَّا ولدها الأمير الكبير ، وصهرها الدَّوَيْدار الكبير يونس ، وأمير آخور بَرَسْبَاي البَجَاسي فرجعوا ظاهرًا ، واستمروا مع الأب باطنًا ، وصُرفَ سالمٌ وأبوه في هذا اليوم ، بَعْدَ أن كانا طلعا إلى القلعة ، وأغلبَ الفقراء مع الأب بواسطة العبادي ، وقيل لهم : امضوا حتَّى يرى السلطانُ في ذلك رأيه .

= «الانتصار» (٥٠ / ٢) ، و«التحفة السنية» (١٢) .

(١) في الأصل (يخدعون) ، والتصحيح من مفهوم السياق .

(٢) في الأصل (يقولون) ، والتصحيح من مفهوم السياق .

ثم طُلب سالم يوم الجمعة تاسع الشهر طُلب سالم إلى القلعة ، فأُلِيس خِلعةً الاستمرار على ما بيده ، فدار أبوه على الناس ، فَوَجَدَهُم قد انحلُّوا عنه ، فطلب أن يُصلِّحوا بينه وبين وَلَدِهِ ؛ فأرسل الأمير الكبير إلى سالم لذلك ، فلما حَضَرَ حمل عليه أبوه ، وتمادى في ذلك ، فلما عَلِمَ أَنَّهُ ليس مراده إِلَّا شَتْمُهُ ضَرَفُوا ، وأُمِرَ سالم بالسَّفرِ إلى المقام ففعل .

وفي آخر يوم الاثنين ثاني عشر الشَّهر ، أَرْجَفَ النَّاسُ بموت السلطان وأطبَّقوا على ذلك ، فلم يختلف فيه اثنان ، بحيث بات النَّاسُ جازمين بموته ، فلما أَصْبَحُوا مِن يوم الثلاثاء ، ثالثَ عشرِهِ تَبَيَّنَ كَذِبُ ذلك ؛ وَأَنَّ السَّبَبَ فيه أَنَّهُ كان في حالةٍ صَعْبَةٍ ، ثم ترجَّح حاله قليلاً يوم الثلاثاء المذكور (١) .

ثم وَقَعَ الكلامُ في ولاية [٢٥١] المقام الشهابي أحمد ، الأمير الكبير ، ولاية المؤيد أبي الفتح أحمد ، فلما كان يوم الأربعاء رابع عشره ، الموافق لِأَوَّلِ برمهات ، وخامس عشري شباط ، بعد نزول النَّاسِ مِنَ الخِدْمَةِ ، أُرْسِلَ إلى المباشرين والأمرء ؛ فشاع أَنَّ السلطان مات ، فطلع النَّاسُ غير شاكِّين في ذلك ، وكنت مِمَّنْ طلع ، فَصَلَّيْنَا الظهر في جامع القلعة ، وجلسنا ننتظر الجنازة ، وإذا قاضي القضاة الحنفي سعد الدين سعد بن الدَّيْرِي قد جاء إلى الجامع ، فسألنا عن الخبرِ ، فأخبرَنَا أَنَّ السلطانَ حيٌّ إلى الآن ، ورأوه جالِساً ، وأنه أشهد على نَفْسِهِ بالتفويض إلى ولده ، بَعْدَ أَنْ كانوا أولاً شَهِدُوا عليه بَأَنَّهُ وَلَّى الأَمْرَ بَعْدَهُ فروجع حتى نجز ، وذلك بحضرة أمير المؤمنين (٢)

(١) الخبر في «النجوم الزاهرة» (١٦ / ١٥٦) ، و «بدائع الزهور» (صفحات لم تنشر) (٨٣) .

(٢) كان في ذلك الوقت المستنجد بالله يوسف بن المتوكل على الله أبي عبد الله محمد العباسي تولى الخلافة يوم الخميس ٣ رجب سنة ٨٥٩ هـ ، بعد خلع أخيه المستكفي بالله أبي الربيع سليمان .
«النجوم الزاهرة» (١٦ / ٩٠) .

والقضاة والأمراء والمباشرين لما غلب على الظن من أن السلطان لا يُرجى من هذا المرض^(١).

ومن أغرب الأمور أنه شاع في هذا اليوم في مكة المشرفة، أنه مُحَضَّرٌ، وسيأتي ذلك في العشر الأوسط من رَجَب.

ولما شهدوا عليه أنه نجز الأمر لولده، المقام الشهابي أحمد، أتاك العساكر سيد في ذلك، فَوَيْلَ أمر الناس، وبايعة الخليفة على الحكم بسنة الله ورسوله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدَّبَّ عن المسلمين، وقَمَعَ المفسدين، وحلف الأمراء على مُنَاصَحَتِهِ ومواليته ومؤازرته على ذلك، ولُقِّب المؤيد، وهو في ذلك الحين من أبناء الثلاثين.

وحَدَّثني القاضي كَاتِبُ السَّرِّ، محب الدين بن الشُّحْنَة، أَنَّهُ دَخَلَ إليه هو والأمير بُرْدُ بَك الدُّوَيْدَار. قال: فقلت له: يا مولانا السلطان، قد طَلَعَ أمرُ أمير المؤمنين والقضاة والأمراء، وهم منتظرون ما يأمر به. قال: فسكت. فَجَأًا الأميرُ بُرْدُ بَك بين يديه، ثم قال: يا مولانا السلطان، إنهم منتظرون أن تُوَصِّيَهُم بولدك. فقال ابني ابني ابني، هكذا ثلاثاً، إِلَّا أَنَّ صَوْتَهُ بذلك خاف، وهو مستند إلى شخص جالساً. قال: فخرجنا وأَعْلَمْنَاهُمْ أَنَّهُ أَذِنَ في ولاية ولده، فأجاب الكلُّ بالسمع والطاعة.

فقال ولده: أَنَا لَا أَقْبِلُ إِلَّا نِيَابَةً عنه. فقال الأمراء: لَا إِلَّا اسْتِقْلَالاً، أَنْتَ اسْتَأْذَنَّا، وَابْنُ اسْتَأْذَنَّا، وَنَحْنُ سَامِعُونَ. فَأَصَرَ عَلَى الْامْتِنَاعِ إِلَّا مِنَ النِّيَابَةِ عَنْ أَبِيهِ، فَدَخَلْنَا ثَانِيًا، وَدَخَلَ مَعَنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، فَكَلَّمَ الْأَشْرَفَ

(١) الخبر في: «النجوم الزاهرة» (١٦ / ١٥٦)، و«بدائع الزهور» (صفحات لم تنشر) (٨٣).

في ذلك ، ثم قيل له : يلبس وَلَدُكَ . قال : فَعَضَّ على سَبَّابته ، وأطرق طويلاً ، ثم أشار برأسِهِ أَن نعم . فقال الخليفةُ : يكفي هذا . ثم خَرَجْنَا . فَأَخْبَرْنَا بذلك ، فَأَصْرَ ولده على الامتناع ، فقام الامراءُ كُلُّهم ، وقالوا : ليس لنا سلطانٌ إِلَّا أَنْتَ ، وَقَبَلُوا الأرض ، فحيثُ قَبْلَ الولاية استقلالاً .

وكننت سألت النور الأنباي عن جلوسه بَعْدَ السلطنة ، بحضرة الخليفة ، فقال : العادة أن يجلس على التَّخْتِ ، ويجلس الخليفةُ تحت التَّخْتِ ، قال : فاستنكرت ذلك ، فقال : العادة كذا . قال : فلما جلس وأتاه الخليفةُ نَزَلَ ، فقلنا : العادة أن تجلس مكانك ، فأبى وجلسا تحت التَّخْتِ . قال : فسألني البرهانُ ^(١) الرقي عن هيئة جلوسه ، فأخبرته فقال : نَعَمْ ما فعل ، ما ترك لِأَحَدٍ عليه كلاماً ، فقلت : قال لي هذا : إن العادة كذا ، فقال : فعل ذلك المنصور عثمان ، وأنكر الناس عليه ، وأما الأشرف إِيْنال والده ، فما جلس إِلَّا مع الخليفة تحت التَّخْتِ . فقلت : الحمد لله الذي وفقه . انتهى .

وذلك كُلُّه في قاعة الدَّهْيَشَةِ ، ثم خرج من هناك رَاكِباً ، وعليه اللباس السَّوَادُ الخَلِيفَتِي ، وأمير سلاح خُشْ قَدَمَ المؤيدي حامل على رأسِهِ القُبَّة والطَّير ، وَقُدَّامَهُ النَّفِيرُ ^(٢) يزعق به ، والشَّبَابَةُ ^(٣) السلطانية ، والجنائِبُ

(١) هو : إبراهيم بن أحمد بن عثمان بن علي بن عثمان بن سعد ابن أبي المعالي ، البرهان بن الشهاب ، الدمشقي القاهري الشافعي الموقع ، المعروف بالرقي - نسبة للرقعة من أعمال حَلَبَ ، ولد في رجب سنة ٨١٢هـ بالقاهرة ، ونشأ بها ، وأخذ عن علماءها ، مات وهو مخْرِمٌ عشية عرفة سنة ٨٨٤هـ .

له ترجمة في «الضوء اللامع» (١/ ١٦-١٧) .

(٢) النَّفِيرُ : بوق يُنْفَخ فيه ، لفظة فارسية .

«صبح الأعشى» (٥/ ١٤٣) ، و«محيط المحيط» (٩٠٧) .

(٣) الشَّبَابَةُ : آلة مَتَّخَذة من القصب المجوّف ، ويُقال لها : البراع ؛ لأنها تُتَخَذ من القَصَب ، وربما عُبِّرَ عنها بالمِزمار العراقي .

«صبح الأعشى» (٢/ ١٥٢) .

تُقَاد بين يديه ، إلى أَنْ دَخَلَ الْقَصْرَ ، ثُمَّ ذَهَبْنَا إِلَى هُنَاكَ ، فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ فِي الْقَصْرِ الْأَعْلَى فِي الْخَرْجَةِ ، فَتَلَقَّيَ بِالرَّحْبِ ، فَقَرَأْنَا الْفَاتِحَةَ ، وَدَعَوْنَا لَهُ بِالتَّوْفِيقِ وَالنَّصْرِ ، وَكَانَ إِذْ ذَاكَ مِنْ أَبْنَاءِ الثَّلَاثِينَ .

وَحَدَّثَنِي كَاتِبُ السَّرِّ ، أَنَّهُ أَرْسَلَ مَنَادٍ يَنَادِي بِوَلَايَتِهِ ، فَقَالَ بَعْدَ أَنْ نَزَلَ : لَمْ تَذْكُرُوا لِلْمَنَادِي كُنْيَةً ، فَقُلْتُ : ذُهِلْتُ وَاللَّهِ فَمَا تَرِيدُونَ مِنْ الْكُنْيَةِ ؟ فَاطْرَقَ ، فَقَالَ : كُلُّ أَحَدٍ شَيْئًا ، فَقَالَ هُوَ : أَبُو الْفُقَرَاءِ ، فَاسْتَسَبَّهَ فِي ذَلِكَ ، فَصَمَّمَ عَلَيْهَا ، نَسَأَلَ اللَّهَ تَوْفِيقَهُ وَنَصْرَهُ آمِينَ .

وَعَلَّمَهُ عَلَى مَرَاثِيمٍ وَمَنْشُورٍ ، وَكَتَبَ عَلَى قِصَّةٍ يَكْتُبُ ، وَشَكَرَ النَّاسُ ثَبَاتَهُ وَعَدَمَ ارْتِياعِهِ مِنَ الْمَنْصَبِ ، ثُمَّ رُجِعَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي الْكُنْيَةِ ، وَأَشَارُوا عَلَيْهِ بِتَغْيِيرِهَا ، فَأَجَابَ فَكُنِّي بِأَبِي الْفَتْحِ (١) .

وَذَكَرُوا لَهُ تَرْقِيَةَ الْأُمَرَاءِ ، فَقَالَ : يُفْعَلُ ذَلِكَ بِالرُّتْبَةِ ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا (٢) ، وَلَّى أَمِيرَ سِلَاحٍ خُشْنَ قَدَمِ الْأُمَرَةِ الْكُبْرَى ، فَكَانَ أَتَابِكُ الْعَسَاكِرِ ، وَوَلَّى شَرِيبَاشَ أَمِيرَ مَجْلِسِ إِمْرَةِ السِّلَاحِ ، وَوَلَّى قَرْقَمَاشَ الْجَلْبَ رَأْسَ نَوْبَةِ النَّوْبِ إِمْرَ الْمَجْلِسِ ، وَوَلَّى قَانَمَ التَّاجِرِ الْمُؤَيَّدِي ، أَحَدَ الْأُمَرَاءِ الْمُقَدَّمِينَ رَأْسَ نَوْبَةِ النَّوْبِ ، وَكَانَ جَانِبُكَ الظَّرِيفِ وَهُوَ الْخَزَنَدَارُ الثَّانِي ، أَحَدُ الْأَشْرَفِيَةِ بَرْسَبَايَ قَدْ قَبَّلَ الْأَرْضَ لِلسُّلْطَانِ عَلَى تَقْدِيمَةِ قَانَمَ ، وَأَنْعَمَ لَهُ بِهَا ، فَأَفْسَدَ عَلَيْهِ الْأَمِيرُ يُونُسَ الدَّوْنِدَارَ الْكَبِيرَ ؛ أَرَادَ تَحْوِيلَهَا إِلَى يَشْبُكُ الْفَقِيهِ شَادَ

(١) لِلْمَزِيدِ مِنْ مَعْلُومَاتِ عَمَّا صَاحِبَ جُلُوسِ الْمَلِكِ الْمُؤَيَّدِ أَحَدَ فِي السُّلْطَةِ مِنْ مَظَاهِيرِ وَاحْتِفَالَاتٍ ، رَاجِعُ « النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ » (١٦ / ٢١٧ - ٢٢٠) ، وَ « بَدَائِعُ الزَّهْوَرِ » (طَبْعَةُ بُولَاق) (٢ / ٦٥ - ٦٦) ، وَ « بَدَائِعُ الزَّهْوَرِ » (صَفْحَاتُ لَمْ تَنْشُرْ) (٨٦ - ٨٧) .

(٢) فِي « النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ » (١٦ / ٢٢١) صَبِيحَةُ الْخَمِيسِ ١٥ جُمَادِي الْأُولَى

المؤيدية ، فلم يوافق على ذلك ، فتكلّم ليشبّك الذي كان دُوَيْدار الأشرف ، لما كان نائباً في بعض البلاد^(١).

وقيل لما اختلفوا ، ذكّر السلطان يشبّك ؛ وذلك أنه كان قدم على والده ، وأهدى له هديّة كثيرة ، وكان له في نية حسنه ، ثم بثّ أمره ، وأعطاه ذلك ، وأعطى الأمرية الكبرى بحلب تمرّاز الأشرفي ، الذي كان نفاه أبوه إلى طرابلس ، وأعطى أمرية تمرّاز لاشين الظاهري ، الذي كان منقياً بها أيضاً ، وأعطى أمرية لاشين سُتْقَر الظاهري أيضاً ، فبارزه جانبك لذلك ، وأسمعه ما يكره .

ونادى المنادي عنه قدّام الوالي إينال الأشقر بالتحذير من إظهار المنكر ، أو سكّنى أعزب عند مزوجين ، أو بروز أمرّد على هيئة منكرة ، أو تسليط مملوك أو غلام على أحد من الناس ، ونحو هذا مما الناس في غاية الضرر إليه ، فدعا له الناس ..

ثم فهموا عن عبد الوهاب الرّملي التّخيل على ولده سالم ، فنادى منادي أن شيخ السطوحية الشيخ سالم لا أبوه ، ووصل المنادي بذلك إلى الزاوية التي للسطوحية ، خارج باب النّصر .

لكن مما نقم الناس عليهم أنّ عيسى المغربي ، وحاله في المجاهرة بالكفريات معروف ، عاد السلطان الأشرف في مرضه ، فرسم له بهائة دينار ، ولما مات دعى ولده المؤيد ، الشّمس بن حامد ، ورسم له بتخليّة سبيل ابن القف ، بتّروط أن لا يجتمع بأحد في صفّد ، ورسم له بثلاثين ديناراً ،

(١) خبر هذه التعيينات في : « النجوم الزاهرة » (١٦ / ٢٢١) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (٢ / ٦٦) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٨٧ - ٨٨) .

وعكوفه على كلام أهل الوحدة معروف ، ونُسب ذلك كله إلى الأمير بُردُبك ، بل شاع أنه اشترى الأشرف من عيسى بألف دينار ، أو نحوها ، وكان أشد الناس إنكاراً لذلك ، لما سمعه الشيخ أمين الدين الأقصري ، وسألني عن ذلك ونحن راجعون من السلام على السلطان ، فقلت له : سمعتُ كما سمعت ، ولا أدري صح أم لا . فقال : هَذَا خُلِّلٌ فِي الدِّينِ ! فقلت : نعم ، لكن عليكم فيه الملامة ، لِأَنِّي لما أنكرت على عيسى وخاصة بالتكفر لم أسمع أَنَّ أَحَدًا منكم أتيا العلماء لَوَحٍّ للأمير بُردُبك ، ولا صَرَّحَ بتصويب إنكاري له ، فربما ظنَّ الأميرُ خطأي ، وَأَنَّ لا مُتَابِعَ لي ، فينبغي أن تُلَوِّحَ له إذا اجتمعت به ، بإنكار مثل هذا ، فقال : سأُصَرِّحَ له أَيَّ تصريح .

ثم بلغني أن الأمير بُردُبك بلغه أَنَّ النَّاسَ أنكروا ذلك ؛ فَأَنكَرَ وقوعه ، وكَذَّبَ فقد بحثت عن ذلك حَتَّى صَحَّ عِنْدِي مِنْ طَرَفٍ ، منها ما حدثني به النَّاصِرِي محمد بن جمال الدين ، عن مجد الدين إِسْتَدَار بُردُبك ، أن [الأمر] ^(١) كان بحضوره ، وَأَنَّ القَدْرَ كان أَلْفِي دِينَار ، ولو لم يكن في قلبه مَرَضٌ ما عاشر عيسى بعد ذلك .

وفي يوم الخميس نصف شهر جمادي الأولى هذا ، مات الأشرف إِيْنال قَبِيلَ العَصْرِ ، وصلى عليه ابنُه الملك المؤيَّد ، وجميع الأمراء المباشرين ، في السَّاحَةِ التي بين خرائب الطَّطَر ، وجامع القلعة ^(٢) ، وكان مُغَطَّى في نَعْشِهِ بِمُرَقَّةٍ ^(٣) عتيقة ، وتقدَّم للصلاة عليه أمير المؤمنين ، وحَضَرَ مِنْ

موت الأشرف
إِيْنال

(١) في الأصل (للأمر) ، والتصحيح من مفهوم السياق .

(٢) في « النجوم الزاهرة » (١٦ / ١٥٧) صُلِّيَ عليه بباب القلعة من قلعة الجبل .

(٣) مُرَقَّة : من لباس الصوفية ، لما فيها من الرَّقْع .

« المعجم الوسيط » (١ / ٣٦٥) .

القضاة المالكي والحنبلي ، ولم يُذكر الشافعي والحنفي وشيعة إلى قبره جميع من صَلَّى عليه ، غَيْر ولده المؤيَّد ، ولم يتخلَّف بالقاهرة كبيرٌ أحد ، بل خرج الرِّجَال والنِّسَاء ، وَصَفُوا له مِنَ الْقَلْعَةِ إلى تربته قرب قَبَّة النَّصْر ، فَدُفِنَ هناك بين العصر والمغرب ، ولعلَّه مات عن نحو ثمانين سنة (١) ، وَوَجَدَ النَّاسُ عليه وجداً شديداً ، وتذكروا محاسنه ، وما كان فيه مِنَ الْجَلَدِ والصَّبْرِ والاختِمَال والكَفِّ عن الشرِّ ، والسُّتْرِ [٢٥٢] لِلزَّلَّات ، والإِقَالَةِ لِلْعَثَرَات ، حتى أَنَّ تَسَلُّطَ مَمَالِيكِهِ على النَّاسِ ما نشأ إِلَّا عن شِدَّة كَفِّهِ عن الشرِّ ، وهو وإن كان أمراً لا يستحسنه أحدٌ ممن يعتدُّ به ولكن هو أخفَّ شراً ممن يَنْشَأُ الشرُّ عن دَاعِيَةٍ مِنْ نَفْسِهِ إِلَيْهِ ، ببعثه عليه ومحبه فيه .

وكان عزيزَ العَقْلِ ، مِنْ أُنْبَطَالِ الْمُسْلِمِينَ ، قَلَّ أَنْ رَأَيْتُ أَشْجَعَ مِنْهُ ، مع عَدَمِ التَّكْثُرِ بِذَلِكَ ، وأخبرني لما رافقته في الجهادِ سنة ثمانٍ وأربعين (٢) ، أَنَّهُ قَطَّ ما حاربَ السُّلْطَانُ أَحَدًا إِلَّا كَانَ مع السُّلْطَانِ ، ولم يخرج على السُّلْطَانِ قَطَّ ، ولا كان مع البُغَاة ، ولا حَدَّثَتْهُ نَفْسُهُ بهذا ، واستمرَّ على ذلك إلى أَنْ أُلْزِمَ بالخروج على المنصور عثمان ، بعد تَحَقُّقِ ما كان عليه مِنَ الفساد ، واختلَّ في أَيَّامِهِ مِنْ أَمْرِ الْبِلَادِ ، وكان مِنْ ذَوِي المِروءَات ، قليل الكلام ، عديم الفُحْشِ بالكَلِمَةِ ، لا بداءة عنده .

غير أنه لم يكن مشهوراً بتعظيم العلماء وأهل الخير ؛ لعدم معرفته بهم ، ولا كان [مهتماً] (٣) بإقامة منار الشرع ، وكان يُنْبِزُ بالأخذاث مع تمام الانقياد لزوجته ، فكانت هي تحبب في أحكامه مِنْ داخل ، ومِلَّاح أَجْلَافِهِ

(١) في « النجوم الزاهرة » (١٦ / ١٥٧) . وقد ناهز الثمانين من العمر .

(٢) وثمانمائة .

(٣) إضافة اقتضاها السياق .

مِنْ خَارِجٍ ، فَأَفْسَدَ ذَلِكَ جَمِيعَ مُحَاسِنِهِ ، وَأَطْبَقَ النَّاسُ عَلَى بُغْضِ دَوْلَتِهِ
وَالدَّعَاءِ عَلَيْهِ .

وكان أكثر الناس وُجْدًا عليه صِهْرُهُ وَمَمْلُوكُهُ الأمير بُرْدُ بَك دَوِيْدَارِهِ
الثاني ، بحيث خيف عليه انفطار الكبد ، لكنه بالغ ، فَشَقَّ ثِيَابَهُ ، وفعل
نحو ذلك ، ثم تَبَيَّنَ أَنَّ كُلَّ ذَلِكَ تَصْنَعٌ ، فَأَنْكَرَ النَّاسُ فِعْلَهُ .

وَمِنْ غَرَائِبِ الْإِتِّفَاقِ أَنِّي كُنْتُ فِي الْمِيعَادِ فِي الْجُمُعَةِ الَّتِي كَانَتْ تَاسِعَ
هَذَا الشَّهْرِ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ [وَ] لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا
يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (١) ، وَخَطَرَ فِي خَاطِرِي أَنَّ السُّلْطَانَ
يَمُوتُ ، فَإِنَّهُ قَلَّ أَنْ اتَّفَقَتْ حَالَةٌ تَسْتَحِقُّ أَنْ تُذَكَرَ إِلَّا وَكُنْتُ وَاقِفًا فِي
الْمِيعَادِ عَلَى مَا يُنَاسِبُهَا كَمَا هُوَ مُبَيَّنٌّ فِي مَوَاضِعِهِ ، مَعَ أَنَّ مَشْيِي فِي الْمِيعَادِ
فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ عَلَى التَّوَالِي ، وَمِنْ بَرَكَاتِ هَذَا الْمِيعَادِ ، أَنَّهُ فُتِحَ عَلَيَّ
بَسْبِيهِ مَنَاسِبَاتِ الْآيَاتِ ، وَهُوَ فَنٌّ لَمْ أُسَبِّقْ إِلَيْهِ مَعَ كَوْنِهِ مِنْ أَجَلِّ الْعُلُومِ
وَأَدْقُهَا ، كَمَا يَعْرِفُ ذَلِكَ مَنْ طَالَعَ كِتَابِي فِيهِ (نَظْمُ الدَّرَرِ مِنْ
تَنَاسُبِ الْآيِ وَالسُّورِ) ، وَكَانَتْ طَرِيقَتِي فِي الْمِيعَادِ عَلَى غَيْرِ طَرِيقَةِ
الْوَعَازِ فِي اعْتِمَادِ مَجْرَدِ الْقَصَصِ وَالْأَخْبَارِ ، بَلْ كُنْتُ أَطَالِعُ الْكُشَافَ (٢) ،
وَتَفْسِيرَ الْبَيْضَاوِيِّ (٣) ، وَأُبَيِّنُ لِلْحَاضِرِينَ مَا فَهَمْتَهُ مِنْهَا أَحْسَنَ بَيَانٍ

(١) مَا بَيْنَ الْحَاضِرَتَيْنِ غَيْرِ مُوجُودٍ فِي الْأَصْلِ .

(٢) الْأَعْرَافُ / ٣٤ .

(٣) هُوَ كِتَابُ « الْكُشَافِ عَنْ حَقَائِقِ التَّنْزِيلِ » ، لِأَبِي الْقَاسِمِ جَارِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ زَنْخَشَرِيِّ
الْخَوَارَزْمِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٥٣٨ هـ ، فَرِغَ مِنْ تَأْلِيفِهِ ضَحْوَةَ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ ٢٣ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ ٥٢٨ هـ .
« كَشَفُ الظُّنُونِ » (٢ / ١٤٧٥) .

(٤) هُوَ كِتَابُ « أَنْوَارِ التَّنْزِيلِ وَأَسْرَارِ التَّأْوِيلِ » فِي التَّفْسِيرِ ، لِلْإِمَامِ نَاصِرِ الدِّينِ أَبِي سَعِيدِ عَبْدِ اللَّهِ
بْنِ عَمْرِو بْنِ الْبَيْضَاوِيِّ الشَّافِعِيِّ ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٦٨٥ هـ ، وَقِيلَ : ٦٩٢ هـ .
« كَشَفُ الظُّنُونِ » (١ / ١٨٦) .

وسهل الله على إيصال ذلك إلى أذهان العامة مع ما أطرز به محفوظي من الأحاديث والسير ونحوها ، ولذلك فتح الله علي بما فتح والله الموفق .

وفي يوم الجمعة ، قال السلطان لإكابر الأجلاب : إنه لا يسعني إهمالكم كما كان أبي يفعل ، ولا يسعني إلا الانتقام منكم ، فإن رجعتم وأحسنتم كان في ذلك صلاحي وصلاحكم ، وإن استمررتم على الإساءة كان ذي ذلك خراب ديارِي ، وفي خراب ديارِي خراب دياركم ، فإني إن زلت لا يَنْفَع منكم أحدٌ يأتي بعدي بدون القتل ؛ لما في قلوبهم عليكم من الحنق .

وفي هذه الأيام ، أراد السلطان أن يرسل البهّار الذي جرت العادة بإرساله إلى دمشق ، فأشار عليه ناظرُ الجيش البدر بن المزلق بتأخير ذلك إلى أن تستقر الأمور ، ويتحقّق أمن الطرق ، وذلك بعد أن هُيئت الأحوال ، فقبل السلطان ذلك ورأى أنّه هو الرأي ، فبلغ الأشرَفية أنه حيلة من نائب الشام فاشتاتوا لذلك غضباً ، فلما بلغ ابن المزلق ذلك ، عظمت مشقّته عنده ، ثم اعتذر إليهم بأنّ نائب الشام صهره ، فلا يتخيّل فيه مثل هذا ، وحلف لهم على مثل ذلك .

ولما شدّد على الأجلاب ، ظهر عليهم الذلّ والانكسار ، لكن بقيت فيهم بقايا الجهل ، فنازع شخصٌ منهم ، يُقال له : بكّ بلاط شخصاً من الناس في شيء ليأخذه منه مجّاناً على عادتهم فيما نعه ؛ لما حصل في قلوب العامة من الاجترأ عليهم ؛ لما سمعوا عن السلطان من توعدّهم على الفساد ، ف ضرب السوقي فجرّحه ، فقام عليه الناس ، فهرب ، فذكر له ذلك ، فطلب إخضاره من مقدّم الممالك ، فهرب ، فزادت محبة الناس له ، فلما خطب باسمه على المنابر يوم الجمعة سادس عشر الشهر ، ضجّ

النَّاسُ بالدَّعَاءِ لَهُ ضَجَّةٌ يُرْجَى لَهُ بِهَا الْخَيْرُ ، وَلَهَجَ النَّاسُ بالدَّعَاءِ لَهُ فِي
الْأَسْوَاقِ ، حَتَّى سَمِعَتْ بَعْضُ السَّوْقَةِ يَنَادِي عَلَى بِضَاعَةٍ : كُلْ كَذَا
بِحُدَيْدِ اللَّهِ يَنْصُرُ الْمَلِكَ الْمُؤَيَّدَ .

وَفِي يَوْمِ السَّبْتِ ، سَابِعِ عَشَرَ الشَّهْرِ جَلَسَ عَلَى التَّخْتِ الَّذِي فِي
الْحَوْشِ ، وَأَنْشَدَهُ الْقَاضِي كَاتِبُ السَّرِّ ، الْمَحَبُّ بْنُ الشُّحْنَةِ لِنَفْسِهِ يَمْدَحُهُ :

أَنْتَ الْمُؤَيَّدُ صِدْقاً وَوَارِثُ الْمُلْكِ حَقّاً
وَعَمْرُ الْأَشْرَفِ طِبْقاً فِي الْمُلْكِ تَبَقَى وَتَرَقَى

وَفِي هَذَا الْيَوْمِ ، وَصَلَ إِلَيْهِ أَرْبَعَةٌ مِنَ الْعَرَبِ قَبَضَ عَلَيْهِمْ « بَنُ شُعْبَانَ ،
وَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ مَفْسُدُونَ ، فَسَأَلَ عَنْ حَالِهِمْ ، فَأَخْبَرَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْجُنْدِ أَنَّهُمْ
قَتَلُوا مَنْ يَسْتَحِقُّونَ بِهِ الْقَتْلَ ، فَاعْتَمَدَ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ فَسُمُّوا ،
وَضُرِبَتْ أَوْسَاطُهُمْ فِي بَابِ النَّصْرِ ؛ وَبَرَزَ النَّدَاءُ بِإِنْكَارِ الْمُنْكَرَاتِ
وَالْتَشْدِيدِ فِي أَمْرِهَا ، وَأَنْ لَا يَحْتَمِي أَحَدٌ بِمَمْلُوكٍ .

وَفِي هَذَا الْحَدِّ ، وَصَلَ الْخَبَرُ أَنَّ نَائِبَ الشَّامِ الْأَمِيرَ جَانِمَ ، ضَرَبَ
الْقَاضِي .. (١) ابْنَ عَلَاءِ الدِّينِ عَلِيَّ بْنِ قَرْقِينَ ، وَيَعْرِفُ أَيْضاً بِابْنِ النُّقِيبِ
(مَصْغُوراً مَثَقِلاً) قَاضِي بَعْلَبَكِ ؛ بَاغِرَاءَ الْوَلِيِّ الْبُلْقِينِي ، قَاضِي الشَّافِعِيَّةِ
بِدِمَشْقَ ، فَكَانَ ذَلِكَ مِنْ غَرَائِبِ صَنْعِ اللَّهِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ أَكْبَرَ الْمَرْيُوتَيْنِ لِلْوَلِيِّ
الْمَذْكُورِ لِلْسَّعِيِّ عَلَى الْبَاعُونِي ، الْعَلَاءِ ابْنَ قَاضِي بَعْلَبَكِ أَرَادَهُ لَقَهْرَ
الْجَمَالِ الْبَاعُونِي لِلسَّلَامَةِ مِنْ أَذَاهُ لَهُمْ ، وَمَا دَرَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى [٢٥٣] يَقِيمُ

(١) بِيَاضُ فِي الْأَصْلِ ، لَمْ نَجِدْ مَا يَصَحِّحُهُ فِي الْمَصَادِرِ الْمَتَوَفَّرَةِ .

لردع المُبْطِل أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَيْهِ ، وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَسَعَرَ الْبِلَادَ ، وَأَبَادَ الْعِبَادَ ﴿ [وَلَوْ لَا] ^(١) دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضُهُمْ يَبْغِضُ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ ^(٢) .

وسبب ذلك أنه لما استخلص ابنُ دَنْكُزُبُغا الإقطاع الذي تقدّم أن العلاء ابن قاضي بَعْلَبَك كان بَغَى عليه فيه ، ووصل إلى دمشق ، طلب النائب أن يأمر ابن قاضي بَعْلَبَك برفع يده عنه والإشهاد على نفسه بأنه لا حَقٌّ له فيه ، كما فعل بأبيه في القاهرة ، فلما وصل ابنُ قاضي بَعْلَبَك إلى دمشق دار على من يظنّ به مساعدته ، منهم الحاجب وقاضي الشافعية وغيرهما ، فوعده بذلك ، فلما اختبَك المجلسُ في دار السَّعَادَةِ ، حضر ابنُ دَنْكُزُبُغا ، فشكا أمره ، فتقدّم ابنُ قاضي بَعْلَبَك يُدَافِعُهُ ، فطلب النائبُ مِنَ الْقَضَاةِ الْكَلَامَ فِي أَمْرِهِمَا ، فبدر الشَّافِعِيُّ وقال : يا مولانا ، هذا وأبوه فَاتَمَّ التَّوَسُّيْتُ مِنْ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ ؛ لما يشتملان عليه مِنَ الشَّرِّ والأذى للمسلمين ، وما شاع عنهم مِنَ الْأُمُورِ الْمُعْضِلَةِ ، التي منها قَتْلُ النفوس ، فاضْرِبْهُ بِالْمِقَارِعِ ، وافْعَلْ مَا يَزِدُّعَهُ عَنْ أَذَى الْخَلْقِ ؛ فَجَبُنْ مِنْ كَانَ وَعَدَهُ بِالْمُسَاعَدَةِ عَنِ الْكَلَامِ .

فلما انفصل المجلسُ أَرَادَ النَّائِبُ ضَرْبَهُ بِالْمِقَارِعِ ، ثُمَّ شَفَعَ فِيهِ مِنَ الْمِقَارِعِ ، فَضْرِبَهُ عَلَى مَقَاعِدِهِ إِلَى أَنْ كَادَ يُتْلِفُهُ ، بحيث أنه قيل : أَنَّ عِدَّةَ الضَّرْبِ ، كَانَتْ خَمْسَمِائَةٍ ، وَسُرَّ بِذَلِكَ أَهْلُ الْخَيْرِ ، زَادَ اللَّهُ سُرُورَهُمْ .

وفي يوم السبت المذكور ، أُمِرَ بِالْقَبْضِ عَلَى شَخْصٍ مِنْ أَعْتِيَاءِ الْأَجْلَابِ ، يُسَمَّى بَرْسَبَايَ الثَّوْرَ ، فَقَبِضَ عَلَيْهِ مَقْدَمُ الْمَالِكِ وَأَمْرُهُ إِلَى الْبُرْجِ ، فَأَبْدَى مِنَ الذَّلِّ وَالْانْكَسَارِ مَا يَفُوقُ الْوَصْفَ ، وَتَشَفَّعَ بِجَمَاعَةٍ مِنْ

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل .

(٢) البقرة / ٢٥١ .

الأمراء كانوا خارجين من عند السلطان ، فشفعوا فيه ، فأبى مقدم الممالك ، وقال : إني أخافُ على نفسي ، فما زال يتذلل ، وما زالوا هم بمقدم الممالك إلى أن سَمَحَ بأنه يتركه موكلًا به في طبقته ، ولا يذكره للسلطان ، فإن نسيه تركه ، وإلا أحضره إليه .

وفي يوم الأحد ثامن عشره ، أحضر إليه بك بلاط ^(١) ، فضربه ضرباً كثيراً ، وأمر بنفيه إلى حلب ، فشفع فيه ، فبعد جهد سُمِحَ بأن يتركه في البرج حتى يتأدب .

وفي هذا اليوم حُسِمَ شرّ النفر ^(٢) ، وهم خدام جمال السلطان ، وذلك بأنهم لا رزق لهم على خدمة الجمال ، وهم راضون في ذلك بأن لا يعاقبوا إذا سرقوا ، ومن عَرَفَ شيئاً عندهم أعطاهم شيئاً ، فردّوه عليه ، وهم أعرفُ الناس بالاختلاس ، بحيث أنهم يقدرون على أخذ عِمَامَةِ المُسْتَقِظ وهو لا يشعر ، ويشقون الجيب يأخذون ما فيه ، وتارة يُدْخِلُ أحدهم يده فيه فيأخذ ما فيه ولا يذري به ، وربما كان في الجيب لا شيئاً غير صرة الدراهم ، فيأخذ الصرة فقط ، وربما كانت تحت تلك الأشياء .

(١) هو الأمير سيف الدين بك بلاط بن عبد الله الأشرفي إينال ، نُفِيَ بعد استاذة إلى طرابلس على إمرة بها إلى أن قُتِلَ في وقعة شاه سوار ، وهو شاب في سنة ٨٧٢هـ .

له ترجمة في : « حوادث الدهور » (٦٦٢) ، و « الضوء اللامع » (٣ / ١٧ رقم ٧٦) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٨٧) .

(٢) النفر : « من ثلاثة إلى عشرة من الرجال ، ويُقال : هم نفر فلان : نافرته ، والمجمع من الناس ، والفرد من الرجال ، محدثة » .

« المعجم الوسيط » (٢ / ٩٤٠) .

ولهم في ذلك من الحكايات ما هو أشد من العَجَب ، بحيث حَدَّثني شهابُ الدِّين أحمد ^(١) الحجازي ، الأديب الشافعي ، السَّكِين بالقراسنقرية قال : كان عندنا في البيبرسيَّة شخصٌ عَجَمي ، فجاءنا يوماً وهو في غاية العَجَب ، فقلنا : مالك ؟ فقال : اشتريت فِجْلَةً فإذا هي ، ونظر في كُمِّه ، وقال : فِجْلَةٌ ، وظهر عليه الحَجَلُ ، فقلنا : ما هذا ؟ اشتريت فِجْلَةً فإذا هي فِجْلَةٌ ! فماذا كنت تريدُها تكون ؟ فسكت ، فقلنا : اخبرنا بِقِصَّتِكَ ، فقال : أخشى أن تقولوا أنني جُنِنْتُ ، أو سَكِرْتُ وطنناً أنه اتفقت له [٢٥٤] مع النَّفَرِ قِصَّةٌ ، فقلنا : قل لنا وأنت آمِنٌ من ذلك ، فقال : شَرَيْتُ هذه الفِجْلَةَ لِأُعْجِبْكُمْ منها ، فلأني قط ما رأيت أكبر منها ، فمشيت قليلاً ، ونظرت إليها في كُمِّي فإذا هي أُتْرَجَّة ^(٢) ، والله رأيتها بعيني أُتْرَجَّة فازددت عَجَباً ، فنظرت الآن فإذا هي الفِجْلَةُ التي اشتريتها ، فقلنا : الأمر في هذا سهلٌ وما هو عندنا عَجَبٌ ، فتعجَّب من قَوْلنا ، فقلنا : في بلدنا هذه قومٌ يُقال لهم : النَّفَرُ ، لهم في مثل هذا عجائب ، رأوا كُمَّكَ ثَقِيلاً ، فظنُّوا فيه مُحَفَظَةً ^(٣) فيها نَقْدٌ ، فخافوا أن

(١) هو : أحمد بن محمد بن علي بن حسن بن إبراهيم ، الزَّكِي ثم الشهاب أبو الطيب ، الأنصاري الخزرجي السعدي العبادي الشافعي ، المعروف بالشهاب الحجازي ، ولد في ٢٧ شعبان سنة ٧٩٠ هـ في الدرب الأصفر قرب باب النصر من القاهرة ، عُني بالأدب كثيراً حتى صار أَوحد أهل زمانه ، وله تصانيف منها : « التذكرة » نحو سبعين جزءاً ، و « كتاب النيل » ، و « روض الأدب » ، و « حبيب الحبيب » ، ونديم الكتيب ، مات يوم الأربعاء ٧ رمضان سنة ٨٧٥ هـ .

له ترجمة في : « عنوان الزمان » (مخطوط) (٨٦ - ٨٩) ، و « الضوء اللامع » (٢ / ١٤٧ رقم ٤١٦) ، و « نظم العقيان » (٦٣ رقم ٤٢) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (١٢٥ - ١٢٦) ، و « شذرات الذهب » (٧ / ٣١٩) .

(٢) أُتْرَجَّة : ثمرة كالليمون الكبار ، ذهبي اللون ، ذكي الرائحة ، حامض الماء .

« المعجم الوسيط » (١ / ٤) .

(٣) مُحَفَظَةٌ : كيس يحفظ به النقود ، (مُحَدَّثَةٌ) .

« المعجم الوسيط » (١ / ١٨٥) .

يأخذوها فَتُخَفُّ كُمُكَ فَتَعْرِفَ ، فأخذوا ما في كُمِّكَ ، ووضعوا لك
الأنزجة لذلك ، فلما رأوه فجلة عرفوا أَنَّ صَفَقَتَهُمْ خَسِرَتْ ، فأخذوا
أَنْزَجَهُمْ وأعادوا فِجْلَتَكَ ، فسمع شيئاً ما ظنه يكون قط ، فصار
كالمبهُوت .

إذا عُلِمَ ذلك فَلْيُعْلَمَ أَنَّ الظاهرَ جَقَمَقَ كان رَزَقَهُمْ في كُلِّ شهر خمسة
عشر ألف درهم ، واستراح الناس في أيامه من فساد الأجلاب وغلماهم
والنقر والبرادرة وقطاع الطريق ، يكون عنها خمسون ديناراً ، وأخذَ عليهم
أَنْ لا يؤذوا أَحَدًا ، فخفت شرُّهم ، وذلك أنهم صاروا إذا أخذوا شيئاً
يخافون العقوبة .

فلما [جاء] ^(١) الأشرف إينال قطعها ، فعادوا إلى الجزأة ، فلما جاء
وَلَدُهُ أعادها بزيادة ألفين ، فجعلها في كل شهر سبعة عشر ألف درهم ،
وشدّد النكير عليهم ، فزاد الدعاء له .

ثم في يوم الاثنين تاسع عشره برز النداء عن المقام الشريف ، بأنه لا
يحتمي أَحَدٌ على الشرع الشريف ، ولا يُعارض مَنْ يَتَمَسَّكُ به بأبواب
قضاة الشرع الشريف ، ومن ظلم أو قهر فعليه بالمقام الشريف ، يَنْظُرُ
قَضِيَّتُهُ ، وَيُخْلَصُ ظَلَامَتُهُ ؛ وسبب ذلك أَنَّ الوالي إينال الأشقر أخذ من
بيت قاضي الشافعية العَلَمَ البُلْقِينِي شخصاً كان في دعوى ، فَضْرَبَهُ
ووضعه في المَقْشَرَةَ سِجْنِ أَهْلِ الجرائم ، فتكَلَّمَ ناظرُ الجيش الزين ابن
مُزْهَر ربيب الشافعي في ذلك .

(١) ما بين الحاصرتين في الأصل (جاف) والتصحيح من مفهوم السياق .

وحدَّثني القاضي كاتبُ السِّرِّ ، أنَّ جماعةً من أكابر الجند كانوا مشتركين في بَلَدٍ فَشَكُوا مِنْ شَخْصٍ مِنْ فَلَاحِيهَا ، فذَكَرَ الأَمِيرُ بُرْذَبَكَ السلطانَ به ، فقال : بحثت عنه فوجدته مظلوماً ، فقال له : أَهِنَّه لِأَجْلِ المَقطَعين . فقال : لا أَهينَ مظلوماً ، فقال : اضربه لِأَجْلِهِمْ خَمْسَ عَشْرَةَ عَصِي . فقال : لا آخِذٌ فِي ذِمَّتِي وَلَا عَصَى ، فَكَثَرَ الدُّعَاءُ لَهُ بِالتَّوْفِيقِ ، وَلِرِعِيَّتِهِ بِأَنْ يوزَعُوا شُكْرَ هَذِهِ النُّعْمَةِ ، لِتَدْوَمَ وَيَجْعَلَ الْمُقَرَّبِينَ مِنْهُ بِطَائِنِ خَيْرٍ ، كَمَا وَفَّقَهُ لِمِثْلِ هَذَا .

وفي يوم الاثنين هذا ، أُرْسِلَ السلطانُ إِلَى أمير المؤمنين ، وَإِلَى بَقِيَّةِ الأُمَرَاءِ الكبارِ عَادَتِهِمْ مِنَ النُّفَقَةِ (١) .

وفي يوم الثلاثاء العشرين مِنَ الشَّهْرِ ابْتَدَأَ النُّفَقَةُ عَلَى الأَجْلَابِ (٢) ، وَفَرَّرَ أَنْ كُلَّ يَوْمٍ سَبْتٍ ، أَوْ ثَلَاثَاءَ لَطَبَقَ عَلَى تَرْتِيبِهِمْ ، وَلَمْ يَطْلُبْ مِنْ أَحَدٍ مِنَ المَبَاشِرِينَ وَلَا غَيْرِهِمُ المَسَاعِدَةَ بِشَيْءٍ ضِدَّ مَا فَعَلَهُ المَنْصُورُ عُثْمَانُ بْنُ الظَّاهِرِ جَقَمَقَ ، فَكَثَرَ الدُّعَاءُ لَهُ .

وَتَأَخَّرَ النَّجَابَةُ الَّذِينَ جَرَتْ عَادَتُهُمْ بِالسَّفَرِ إِلَى نَوَابِ البِلَادِ ، عِنْدَ تَجَدُّدِ السلطانِ إِلَى هَذَا اليَوْمِ ، فَكُتِبَ لَهُمْ مَا جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ (٣) ، وَسَافَرُوا .

(١) تفصيل ذلك في : « النجوم الزاهرة » (١٦ / ٢٢٢ - ٢٢٣) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٨٨) .

(٢) في « النجوم الزاهرة » (١٦ / ٢٢٣ - ٢٢٤) فأُخِذَ مِنْ أَخْذِ مِائَةِ دِينَارٍ ، وَأَدْنَى مِنْ أَخْذِ ثَلَاثِينَ دِينَاراً ، وَأُعْطِيَ لِكُلِّ عَمَلٍ مِنَ الكِتَابِيَةِ عَشْرَةُ دَنَانِيرٍ . رَاجِعْ أَيْضاً « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٨٨) .

(٣) كَانَ ذَلِكَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ ١٩ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، وَكَانَ جَمِيعُهُمْ خَاصَكِيَّةً ، مَا عَدَا مُغْلَبَايَ طَازَ ، وَيُورِيسَ الْأَشْقَرِ .

« النجوم الزاهرة » (١٦ / ٢٢٣) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٨٨) .

وأما الترك الذين جرت عادتهم أن يتوجهوا إلى الثواب بالخلع ، فبلغني أنه لم يذهب منهم أحد ، بل طلب كل من رسم له يبلد من وجده بالقاهرة من إلزام نائبها وصالحه على ما كان يصل إليه من صاحبه ، ودفع إليه خلعتة ؛ وكان ذلك خوفاً من أن يقع في غيبتهم تغير لا يحضرونه ، خيب الله مأمولهم ، وأجرنا على أجهل عوائده .

ثم بلغ السلطان ما فعلوه ، فبرز أمره أن يذهبوا بالخلع بأنفسهم ، ولا يُصالح في القاهرة ، وكلمهم في ذلك كلاماً حسناً ، فقال : إن المقصود حصول الطمأنينة لأهل البلد برؤية من أرسل من عند السلطان ، ويخبروا هم عما يشاهدونه من أحوال الجند والناس ، وهذا وأمثاله من الأغراض ، لا يحصل إلا بتوجهكم بأنفسكم ففعلوا .

وفي هذا اليوم ، رُفِعَ إليه بزدار ، وهو من خدام الطير التي يُصاد بها في فساد أفسده ، فجرده ليضربه ، فاعترف بالقتل ، فأمر بقتله فقتل ، فزاد دعاء الناس له ؛ لأنهم كانوا ينسبونه قبل السلطنة إلى حمية البرادة .

وكان قد وقع في هذه الأيام قصة غريبة ، وهي أن نصرانياً غريباً ، قيل : أنه أرميني ، وأنه راهب ^(١) تردد إلى بيت قاضي الشافعية العَلَمَ البلقيني يسألهم أن يجمعوه بالقاضي ليناظره ، فلم يفعلوا ، ثم ذهب إلى بيت قاضي المالكية الحسام ابن حُرَيْر ، فاجتمع ببعض نوابه ، فسأله عن عيسى ، فقال : هو عبد الله ورسوله ، فقال : بل هو الله . فدخل به إلى مستنبيه ، وشرع يقول لهم : ما فعل نبيكم ؟ ولو أنه حق لأخبر به عيسى ، ونحو هذا من الكلام ، فوضعوه في زنجير (وهو السلسلة) ، ثم ضربوا عنقه

(١) زَاهِب : « الزَّاهِب ، المتعبّد في صومعته من النصارى ، يتخلّى عن أشغال الدنيا وملاذها ، زاهداً فيها ، معتزلاً أهلها » .

« المعجم الوسيط » (١ / ٣٧٧) .

بعد عَصْرِ يوم الأربعاء ، حادي عشر الشهر ، وَجَرَّوهُ إِلَى الْكَوْمِ (١)
الذي خارج باب النَّصْرِ فَأَخْرَقُوهُ هُنَاكَ .

وَحَدَّثَنِي الْقَاضِي محيي الدين عبد القادر بن عبد الوارث ، وهو
الحَاكِمُ فِيهِ أَنَّ ضَرْبَةَ السَّيَافِ وَقَعَتْ فِي قَفَاهُ فَخَرَجَتْ مِنْ فَمِهِ ، وَاسْتَمَرَ
حَنَكُهُ الْأَسْفَلَ مَعَ جِثَّتِهِ ، وَلَمْ يَعْجِبْنِي كَوْنُهُمْ قَتَلُوهُ ، وَلَمْ يُوَضِّحُوا لَهُ
[٢٥٥] زَيْفَ مَقَالَتِهِ قَبْلَ ضَرْبِهِ ، وَلَيْتَهُمْ إِذْ عَجَزُوا عَنْ ذَلِكَ ، رَفَعُوهُ إِلَى
مَنْ يَعْرِفُ ؛ حَتَّى بَيَّنَّ لَهُ ذَلِكَ وَأَوْفَقَهُ عَلَى مَا يُكَذِّبُ قَوْلَهُ مِنَ الْإِنْجِيلِ ،
وَكَشَفَ لَهُ عَمَّا فِيهِ مِنَ الْبَشَائِرِ بَيْنَنَا ﷺ ، بَعْدَ أَنْ يُخَضَّرُ لَهُ مَنْ يَثِقُ بِهِ مِنَ
النَّصَارَى ، وَيَشْهَدُ أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ الْإِنْجِيلُ الَّذِي يَتَنَاقَلُونَهُ إِلَى هَذَا
الزَّمَانِ ، لَكِنْ مَنَعَهُمْ مِنْ ذَلِكَ أُمُورٌ مِنْهَا تَهَافَتَ الْمَالِكِيُّ هَذَا عَلَى إِرَاقَةِ
الدَّمَاءِ ، فَلَقَدْ ظَهَرَ مِنْهُ ذَلِكَ غَيْرَ مَرَّةٍ ، وَعُورِضَ فِي كُلِّ مِنْهَا ، فَكَأَنَّهُ
خَشِيَ أَنْ يُؤَخَّرَ هَذَا ، فَيَمْنَعُهُ مِنْ ضَرْبِ عُنُقِهِ مَانِعٌ ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ
الْعَظِيمِ .

وَشَكََا شَخْصٌ طَحَّانٌ إِلَى السُّلْطَانِ ، أَنَّ شَاذِ بَكَ آصَ ، أَحَدُ
الْأَجْلَابِ الْجَبَابِرَةِ عَلَى أَيَّامِ أَبِيهِ أَفْسَدَ جَارِيَّتَهُ ، فَأَخْضَرَهُ وَكَانَ مِنْ رُؤُوسِ
فَجَّارِهِمْ ، فَحَضَرَ وَمَعَهُ لَفِيفُهُ ، فَسُئِلَ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ ، وَادَّعَى أَنَّ الشَّكَايَةَ
فَلَاحِهِ ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا قَالَ هَذَا ؛ إِرَادَةَ الْخُلَاصِ مِنْ فَلَاحَتِهِ ، وَسَاعَدَهُ بَعْضُ
الْأَكَابِرِ ، وَسَأَلَ السُّلْطَانُ أَنْ يُسَلِّمَهُ إِلَيْهِ ، لِيَسْتَمِرَّ عَلَى فَلَاحَتِهِ ، فَقَالَ لَهُ
السُّلْطَانُ : أَخْضَرُ مُسْتَنْدَابٌ بِأَنَّهُ فَلَاحَكُ ، فَلَمْ يُوجَدْ مَعَهُ لَهُ مُسْتَنْد ، فَسَأَلَهُ
الْأَمِيرُ بُرْذُوكَ أَنْ يُسَلِّمَهُ لَهُ وَيُوصِيَهُ بِهِ ، فَقَالَ : لَا أَفْعَلُ ، فَتَكَلَّمَ لَفِيفُهُ

(١) الْكَوْمُ : كُلُّ مَا ارْتَفَعَ مِنْ تَرَابٍ أَوْ رَمْلٍ أَوْ حِجَازَةٍ ، وَالْمَوْضِعُ الْمُشْرِفُ كَالْتَّلِّ .

«المعجم الوسيط» (٢ / ٥٨٠) .

وكان فيما قالوه أَنَّ العامَّةَ قد صاروا يصفعوننا ، فانتهرهم وقال : أتجاهرون بالعصبية ؟! ونظر إليهم نظرةً المغضب ، فنكصوا ، ثم ألحَّ عليه الأميرُ بُرْدُ بَك في تسليم الطَّحَّانِ لِشَاذِ بَك لِئلا تكون فتنة ، فلم يفعل ، وقال في آخر الأمر : خذهم أنت عِنْدَكَ وَحَرِّزْ الأمرَ بينهما واعلمني بما يتضح لك فأخذهم إلى بيته ، فضرب الطَّحَّانَ ضرباً كثيراً ، وأمر بأن يُطاف به ويُنادى عليه ، هذا جزاء من يجترىء على ممالك السلطان ، ثم كان خاف أن يطلع السلطانُ على ذلك ، فلم يزل يتلطَّف بِشَاذِ بَك وَحَزَبِهِ ، حتى تركوا إطفائه فأطلقه ، فلَمَّا خرج من بيته أخذوه إلى إصطبلِ شَاذِ بَك وضربوه ، وشَدَّدُوا في إهانتِهِ ، بحيث تَبَعِدَ حَيَاتُهُ ؛ لما فعلوا به من أنواع العقوبة ، فَشَقَّ ذلك على النَّاسِ ، وقالوا : دولة يحكم فيها الفِرَنج في المسلمين لاصلاح فيها ، ثم دعوا بزوالها ، فَشَقَّ ذلك على أهل الخير .

وتبيَّن أن ما كان بُرْدُ بَك يعتذر به عن الأشرف إِيثَال في الاستحسان عليهم كان باطلاً ، وأن هُجَّةَ إِذْ ذَاكَ بِتَقْيِيح ما يفعلونه كان رياءً وسمعه ، وكذا كان فعله دائماً ، ما هَمَّ السُّلْطَانُ المؤيَّد بالإنصاف من مملوك إلا خفَّضه عن ذلك وخيَّله ، فنجم نفاقه ، وتبيَّن لَعَمْرِي شِقَاقُهُ .

وفي يوم الجمعة [ثالث] ^(١) عشري جمادي الأولى هذا ، احتال موسى البدوي زكاب السلطان على الذي كان يُفسد بقطع الطريق في ناحِيَةِ كُوم الرِيش ^(٢) ، وقناطر الوَزِّ ، والمنية وما قارب تلك لأراضي ، واسمه علي ابن شيخ بهتيم ، فقبَضَ عليه ، ثم أحضره إلى السلطان ، فأمره بِاتْلَافِهِ

(١) ما بين الحاصرتين في الأصل (حادي) ، والتصحيح من مفهوم السياق ، حيث جاء أن يوم الثلاثاء قبله يوافق العشرين منه ، والأربعاء بعده يوافق ثامن عشري الشهر .

(٢) كُوم الرِيش : بلد فيما بين أرض البعل ، ومنية الشيريج ، كان النيل يمرُّ بغربيَّها ، كان من أجل متزهات القاهرة .

«المخطط التوفيقية» (١٥ / ١٣) .

ففعّل ، وعُلّق بعد عصر هذا اليوم على شجرة مُجَمِّز^(١) في النّوَاحِي التي كان يقطع الطريق فيها ، وخلع السلطان على موسى ركايبه وأكرمه ، وكان هذا المُفْسَد شابّاً مشهوراً بالشجاعة ، فارساً معروفاً في الفرسان .

وفي هذا الحدّ وصل كتابٌ من جاكمو الذي قصد تَمْلِيكَه قبرس أنّه ظفر بسُلُورَة لأهل شِرِيْنَة فأخذها ومن فيها ، وانكسر لهم أيضاً غِرَاب فأخذ من فيه ، ومن فيه أَمِيرَان من أكابر مَنْ كَانَ بها ، وأخذ قلعة الباف ، وهو منتظر أن تأتيه من السلطان نجدةٌ ، ليأخذ شِرِيْنَة ؛ لَقَلَّة من بقى بها ، فرُسِم بأن يُكتب لنوَاب بلاد الشّام [أَنْ]^(٢) يجهزوا إليه من العَشيَر .

[٢٥٦] وفي هذا الحدّ أيضاً وصل الخبرُ بأنْ مُجَمِّل بن يوسف ، أمير العرب بالسّخاوية والبرُّس وما بينهما مات^(٣) ، وكان من عقلاء الرّجال وشجعانهم ، وكان سنّه نحو السّبعين وقَدِم أولادُه للسّعي في إمرته ، فألْزَمُوا بهال كبير ، ثم ولّى السلطان ابنه عَميره بن مُجَمِّل مكانه^(٤) .

وفي يوم الأربعاء ، ثامن عشري الشهر تشكّى منصور الإستدّار ، فأمره السلطان بعمل حساب البلاد ، فعمل ذلك وادّعى أنّ عجزه^(٥) في كل

(١) شجرة مُجَمِّز : أصل هذا الشجر من بلاد النوبة ، وهو يتكاثر بسهولة بواسطة العُقل زمن حصاد القمح ، متى بدأت أوراقه الحديثة في الظهور ، وإذا بلغت الجُمُيزَة ١٥ عاماً أثمرت ثلاث مرات في السنة ، ثمراً يشبه التين .

« إحياء التذكرة » (٢١٨) ، و « المعجم الوسيط » (١ / ١٣٤) .

(٢) ما بين الحاصرتين ، إضافة اقتضاها السياق .

(٣) راجع (ص ٣٨٢) من القسم الثاني .

(٤) في « النجوم الزاهرة » (١٦ / ٢٢٤) كان ذلك في يوم الأربعاء ٢٨ من جمادى الأولى ، راجع

أيضاً « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٨٩) .

(٥) في الأصل « وادعى أنّ عجزه في كل شهر إلى اثنا عشر ألف دينار » ، فصَحّحت الجملة ، بحذف كلمة (إلى) حتى يستقيم السياق ، وكان المؤلف قد كتب هذه الجملة كما يلي : « وادعى أنّه يحتاج إلى ستة .. » فعَدّها عند مراجعته في المرة الثانية لما كتبه في المرة الأولى ، واستبدل كلمة (أنّه) ب (أن) وشطب كلمة (يحتاج) واستبدلها بكلمة (عجزه) ، وشطب كلمة (ستة) ، ويبدو أنّه غَفَلَ عن شَطْبِ (إلى) حتى يستقيم سياقه .

شهر اثنا عشر ألف دينار ، فقال : مجد الدين بن البقري ، (وكانت بينه وبين منصور شحنة شديدة ، وكان يعتضد بالأمير بُرْدَك) : أنه يسد ويقنع في كل شهر بستة آلاف دينار ، فَوُلِّيَ ^(١) الإِسْتَدَارِيَّة يوم الخميس تاسع عشري الشهر وعُزِل منصور ، وحوسب ، فبقي عليه اثنان وثلاثون ألف دينار ، فَعُوَّق عليها في القَلْعَةِ لِيَحْزَرَ أمرها .

جمادي الآخرة سنة
خمس وستين
وثمانمائة

وفي يوم السَّبْت ، مستهل جمادي الآخرة سَلَمْتُ على السلطان الملك المؤيد ، وكان معي الشيخ نجم الدين محمد بن الشيخ ولي الدين عبد الله بن قاضي عجلون ، والشریف علي القصيري ، وقلت : « إنا نهنتك بمحبة الله تعالى لك ، وذلك أَنَّهُ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّهُ قَالَ : « إِنْ اللَّهُ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جَبْرِيلَ : أَنِّي أُحِبُّ فُلَانًا ، فَيُحِبُّهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام ، ثُمَّ يُنَادِي جَبْرِيلُ أَهْلَ السَّمَاءِ : أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأُحِبُّوهُ ، فَيُحِبُّوهُ ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ » ^(٢) . وقد حَصَلَ لَكُمْ مِنَ الْقَبُولِ عِنْدَ النَّاسِ مَا يَجِلُّ عَنِ الْوُصْفِ ، بحيث أنه لا يُرَى أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ يَدْعُو لَكُمْ ، حَتَّى إِنَّهُمْ لَمَّا سَمِعُوا اسْمَكُمْ يَذْكُرُ عَلَى الْمَنْبَرِ فِي أَوَّلِ جُمُعَةٍ ، ضَجُّوا بِالْدَّعَاءِ ضَجَّةً شَمَمْتُ مِنْهَا رَائِحَةُ الْإِجَابَةِ ، وَبَكَيْتُ ، وَكَانَ دَعَاؤُهُمْ عِنْدَمَا سَمِعُوا النِّدَاءَ عَنْكُمْ بِأَنَّهُ لَا يَحْتَمِي أَحَدٌ عَلَى الشَّرْعِ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ .

فنشتهي أَنْ يَسْتَمِرَّ هَذَا الدَّعَاءُ ؛ بِدَوَامِ تَعْظِيمِكُمْ لِلشَّرْعِ ، وَثَبَاتِكُمْ عَلَى الْحَقِّ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ هَذَا الشَّرْعَ لِيُعَظَّمَهُ النَّاسُ ، فَمَنْ عَظَّمَهُ ،

(١) في « النجوم الزاهرة » (١٦ / ٢٥٥) « ووعده بأنه يلبس خلعة وظيفة الإِسْتَدَارِيَّة في يوم السبت أَوَّلَ جمادي الآخرة ، فوقع ذلك » ، راجع أيضاً « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٨٩) .

(٢) أخرجه (البخاري) في « صحيحه » (٧٨ - كتاب الأدب - باب ٤١ المَلَقَةُ مِنَ اللَّهِ / ج ٧ ص ٨٣) بلفظ « .. إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جَبْرِيلُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأُحِبُّهُ فَيُحِبُّهُ جَبْرِيلُ فَيُنَادِي جَبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأُحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ » .

عَظَّمَهُ اللهُ ، ولا بد في الوقوف معه من شدايد ، فإن الله تعالى يقول : ﴿وَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ (١) . وقال تعالى : ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (٢) . فلا بُدَّ مِنَ الصَّبْرِ في عمل الحق ، ولا يُبالي بإغصاب أحد ، فإن الحاكم من حيث هو ، فضلاً عن أن يكون ملكاً ، لا بُدَّ أن يُغضب فريقاً من الناس ، وإذا لم يكن من إغصاب بعضهم فليكونوا الظالمين ، ولا يلتفت إلى تخييل أحد ، بأن أخذاً منهم يدعوا ، فإنه إنما يُبالي بدعوة المظوم ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال : وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ (٣) . وأما دعوة الظالم ، فإنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخْبَرَ أَنَّهُ لَا تُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، فإذا لم تجد لها مسلكاً رَجَعْتَ عَلَى صَاحِبِهَا .

ومن قال لمولانا أن الأمر يكون [٢٥٧] بالتدرّج فقد صدق ، لكن لا بُدَّ مع ذلك من شِدَّةِ عناية السُّلْطَانِ بإزالة المفاسد في جميع أحواله نَوْماً وَيَقْظَةً ، فإذا كان كذلك أَعَانَهُ اللهُ وَيَسَّرَ عَمَلَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، فقد كان عمر بن عبد العزيز كذلك يعمل ، وكانت مدّة ولايته ستين وخمسة (٤) ، وكان المفاسد قبله قد كَثُرَتْ ، حتى ملأت الأرض ، ومع ذلك فلم يمت ، ومنها شيء ، بل زالت كلّها في هذه المدّة اليسيرة .

(١) لقمان / ١٧ .

(٢) العصر .

(٣) أخرجه (البخاري) في « صحيحه » ٤٦ كتاب المظالم - باب ٩ الإتياء والحذر من دعوة المظلم / ج ٣ ص ٩٩ .

(٤) في « سمط النجوم العوالي » (٣ / ٢٠٨) ستان وخمسة أشهر وأربعة عشر يوماً .

ومن قال : أَنَّ الزَّمانَ غير قابلٍ لذلك فهو غَيْرُ مصيب ، فلم يزل الله سبحانه يبعث للناس من يَرْحمهم به حتى كان آخرهم أخوكم الملك المؤيَّد شيخ ، وأمره في محبَّة العلماء ، وتعظيم الشَّرع عَزَّ حَفِيّ ، والمرجو من الله تعالى أنه كما اختار لكم لَقَبه أَنْ يَمُنَّ عليكم من سِيرَتِه في تعظيم الشريعة وتوقير أهلها ما يعزكم به وينصركم على كلِّ مفسد ، ويثبت به قواعدَ دولتكم .

فأظهر القبولَ لذلك والسَّروَر به ، وكان ذلك في خلوةٍ ما كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ مثلها يتيسر في مثل هذه الأيام ، فالمرجو من الذي سَرَّها أَنْ يُظْهِر ثمرات هذا الوَعظ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ ، ثم قرأنا الفاتحةَ ، ودعوْنَا له أَنَّ الله تعالى يُوفِّقَه لما يُرْضِيهِ عنه ، ويعزَّ به الدين ويَقْمَع به المفسدين .

وفي هذا اليوم أمر السلطان بتحرير المالِ الذي بَقِيَ على منصور ، فَحَوَّقَ على ذلك في جامع الحَوْش بالقَلْعَة ، فأظهر خصوماً لبعض المال ، وَبَقِيَ عَلَيْهِ أحد عشر ألف دينار ، عجز عن إبداء ما يَهْدِمُها ، فَسَلَّمُ لِلوَالِي ، ثم ضَمِنَ الأميرُ بُرْدُ بَك إحضاره ، ونقله إلى بيته ليوردها .

وفي يوم الاثنين ثالث جمادي الآخرة هذا ، مات مقدم الممالك ، مَرْجان ^(١) المحمودي ، وهو زنجي ، شديد السَّواد ، طويلٌ جَدًّا ، سمين كأنه جاموس ، وكان أولاً لصاحب حِصْن كَيْفَا ^(٢) ، وكان اسمه هناك لَاقِفاً ، وورث السلطانُ عنه مالاً كثيراً ، يُقال : أَنَّهُ ثلاثون ألف دينار . وَوُلِّيَّ

(١) راجع « هامش ٢ » من (ص ٣٦٢) من القسم الأول .

(٢) حِصْنُ كَيْفَا : ويقال (كَيْفَا) ، وهي بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن

عمر من ديار بكر .

« معجم البلدان » (٢ / ٢٦٥) ، و « بلدان الخلافة الشرقية » (١٤٤ - ١٤٥) .

تَقْدِمة المِمالِكِ عَنْهُ جَوْهَر (١) مِنْ شَرْقَطْلِي (٢).

وفي هذا اليوم اسْتَبْطَأَ السُّلْطَانُ عَمَلَ عَهْدِهِ ، فَقَالَ لِكَاتِبِ السَّرِّ مَا تَنْتَظِرُونَ بِالْعَهْدِ ؟! فَانْزَعَجَ كَاتِبُ السَّرِّ مِنْ ذَلِكَ كَثِيراً ، وَقَالَ : يَوْمَ الْخَمِيسِ يُقْرَأُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ نَزَلَ ، وَكَانَ قَدْ أَعْلَمَ الْمُوقِّعِينَ أَنََّّهُ هُوَ الَّذِي يُنْشِئُهُ ، وَذَلِكَ لِمَا تَقَدَّمَ فِي جَوَابِ ابْنِ عَثْمَانَ فِي أَوَاخِرِ سَنَةِ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ (٣) ، فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ فَرِغَ ، وَأَمَرَهُمْ بِكَتَابَتِهِ ، فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُمْ مِنَ الْوَرَقِ الَّذِي جَرَتْ الْعَادَةُ بِأَنْ يُكْتَبَ فِيهِ مِثْلُهُ ، وَهُوَ عَرِيضٌ جِدًّا ، فَاسْتَدَّ انْزِعَاجُهُ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَسْرَعُوا فِيهِ ، فَفَرِغَ مِنْهُ فِي ثَامِنِ الشَّهْرِ ، وَرَامُوا إِقْرَاءَهُ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ عَاشِرِهِ ، فَلَمْ يَقْدِرِ الدُّوَيْدَارُ الْكَبِيرُ يُونُسُ عَلَى الرُّكُوبِ ؛ لِمَرَضٍ كَانَ بِهِ ، فَأَخَّرَ إِلَى يَوْمِ الْخَمِيسِ كَمَا يَأْتِي .

وفي هذا الحد بلغنا وفاة شمس الدين محمد (٤) بن [أحمد بن علي] (٥) الدِّيَسْطِي فِي قَرْيَتِهِ دِيَسْطَ قَرَبِ دِمْيَاطَ ، مِنْ نَاحِيَةِ الْبُرْطُسِ ، وَهُوَ ذَلِكَ الَّذِي تَقَدَّمَ أَنَّهُ فَارَ فَوْزَةَ قَتَلَ فِيهَا ذَلِكَ الْكِيَاوِي بُولَايَةَ مِنَ السُّلْطَانِ ، ثُمَّ مَا لَبَثَ أَنْ غَارَ غَوْرَةً ذَهَبَ فِيهَا إِلَى قَرْيَتِهِ هَذِهِ ، فَعَادَ فَلَاحًا كَمَا كَانَ ، وَأَظْلَنَهُ كَانَ مِنْ أَبْنَاءِ الْأَرْبَعِينَ ، وَكَانَ فَاضِلًا فِي الْفَقْهِ وَالْمَنْطِقِ وَالنَّحْوِ ، وَكَانَ آيَةً فِي الْجُرْأَةِ وَقِلَّةِ الْعَقْلِ وَسُرْعَةِ التَّقَلُّبِ ، وَأَوْجَبَ خَوْلُهُ عِنْدَ غَالِبِ

(١) هو : جَوْهَرُ النَّوْرُوزِيِّ نَوْرُوزِ الْحَافِظِي صَفِيِّ الدِّينِ الْحَبَشِيِّ ، خَدَمَ بَعْدَ نَوْرُوزِ الْحَافِظِي جَمَاعَةً كَالْأَتَاكِ جَارِ قَطْلِي .
له تَرْجُمَةٌ فِي « الضَّوْءِ الْاَلَامِعِ » (٣ / ٨٢ رَقْم ٣٢٤) ، رَاجِعْ أَيْضًا « النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ » (١٦ / ٥٢٢) .

(٢) خَبَرُ تَوَلِيَّتِهِ فِي : « النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ » (١٥ / ٢٥٥) ، وَ « بَدَائِعُ الزَّهْوَرِ » (صَفَحَاتٌ لَمْ تَنْتَشِرْ) .
(٨٩) .

(٣) رَاجِعْ « ص ٤٣٦ » مِنْ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ .

(٤) رَاجِعْ « هَامِشٌ ٢ » مِنْ (ص ٢٥٥) مِنْ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ .

(٥) مَا بَيْنَ الْخَاصَرَتَيْنِ بَيَاضٌ فِي الْأَصْلِ ، وَالتَّصْحِيحُ مِنْ مَصَادِرِ الْهَامِشِ السَّابِقِ .

الناس اعتقاد أنَّ ذلك الكيماوي كان شريفاً ، وأَنَّهُ ظلمه ، وليس كذلك ، فقد تواترت الأخبارُ عن الكيماوي أَنَّهُ كان أَرْمِيّاً ، وانه كان مُفْسِداً ، حَدَّثني الإمام كمال الدين بن أبي شريف القدسي ، عن العلامة القدوة الشيخ سراج الرُّومي أَنَّهُ قال : إِنَّهُ يوشِكُ أن يُفسد مملكة مصر .

وفي هذا الحد ، رَسَم السلطانُ للذين عَيَّنهم بِخَلْعِ النَّوَاب أن يتوجَّهوا بأنفسهم ولا يُصالح أحدٌ منهم أحداً مِنْ أصحاب النَّوَاب عن سفرته ؛ لما يحصل بسفرهم من الفوائد ، من الطَّمانينة لِأهل البلاد ومُشاهدة أحوالِ الناس ، وغير ذلك فتوجَّهوا إلى أن كان آخرهم مُغْلِباي طاز (١) ، وهو الذي عَيَّن لِإمرة المِخْمَل في هذا العام ، وكان عَيَّن لِنائب دِمَشق ، فتوجَّه بِخِلْعَتِهِ ليلة الثلاثاء حادي عشر الشهر .

وفي يوم الثلاثاء ، حادي عشر الشهر ، مات سعد الدين فرج (٢) ، الشهير بِكاتب الممالك ، الذي وَلَّى الإِسْتِدَارِيَّة والوزَرَ ، وقد قارب الستين ، وكان سىء الخلق ، لكنه كان أَخَفَّ شَرّاً مِنْ غَيْرِهِ ، وكان باسمه وظيفة الاستيفاء (٣) في الشيخونية ، فقرَّر السلطانُ فيها شهاب الدين بن موفق الذي كان ديوانه قبل السِّلْطَنَةِ ، وأرسله إلى قَانَم رأس نَوِيَّة ، وهو

(١) هو : مُغْلِباي طاز الأبو بكري المؤيَّدِي شيخ ، من صغار عماليكه ، ثم صار بعده خاصكياً ، ثم تأمر عشرة في أوائل دولة إينال الأشرفي ، ثم أمير طبلخاناة ، ثم أمير حاج المِخْمَل ، ثم مُقَدِّماً ، ثم نُفِّي إلى دِمَياط فاستمر فيها إلى أن مات في العشر الأول من صفر سنة ٨٧٣هـ ، وهو في عشر الثمانين له ترجمة في : « حوادث الدهور » (٧١٧ - ٧١٨) ، و « الضوء اللامع » (١٠ / ١٦٤ رقم ٦٦٧) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (١٠١ / ٢) .

(٢) راجع « هامش ٥ » من (ص ٢٤٧) من القسم الأول .

(٣) المستوفِّي : جاء في « صبح الأعشى » (٥ / ٤٦٦) وهو الذي يَضْبُط الديوان وينبئه على ما فيه مصلحته ، من استخراج أمواله ونحو ذلك ، وقد ينقسم إلى مستوفي أصل ، ومستوفي مباشرة . « صبح الأعشى » (٥ / ٤٦٦) .

الناظر على الشَّيْخُونِيَّة ، فقال : قرَّرت شمس الدين محمد ^(١) الجوجري الذي كان من الخائكة ، فروجع في ذلك ، وقيل له : لا يَنْبَغِي مخالفة السلطان ، فصمَّم ، وقال : أنا قد فعلتُ ذلك ، فإن كنت ناظراً ، فقد نَفَذ ، فأُعْلِم السُّلْطَانُ ، فأمر ابن موفق بالإغراض عن ذلك ، وقال : أنا أُعَوِّض عليك ، فَعَدَّ ذلك من عقل السلطان وَحُسْنِ سياسته ، وعِيب على قَانَم بِقِلَّةِ الأدب في ذلك .

وفي يوم الخميس ثالث عشره ، قُرِئ تقليدُ السلطان الملك المؤيد أبي الفتح أحمد بالعهد إليه من أمير المؤمنين ، وأهل الحلِّ والعقد ، وذلك بحضرة الجميع : أمير المؤمنين ، والقضاة ، والأمراء ، وغيرهم في القصر الكبير ، ولما جاء السلطان ، سأله أمير المؤمنين أن يجلس على تخت الملك فأبى ، فألح عليه ، فأصرَّ على الامتناع أدباً معه ، ثم جلس على مقعد هُتِىء له ، وجلس أمير المؤمنين إلى جانبه على بساطٍ صغير ، وكلُّ منهما منحرف إلى جهة الآخر قليلاً تأدباً معه ، والقضاة عن يمين أمير المؤمنين ويسار السلطان ، ثم الأمراء ، وتجاه السلطان وأمير المؤمنين كرسي ، قد عليه القاضي كاتبُ السرِّ المحب بن الشُّخْنة [٢٥٨] وهو الذي أنشأ نثراً ونظماً فأؤله : ... ^(٢) ومن اثنا عشر نظماً :

أَيَا مَلِكًا بِالْعَدْلِ أَصْبَحَ ظَاهِرًا	ووَخَادِمُهُ النَّصْرُ الْعَزِيزُ الْمَجْدُدُ
وَأَمْسَى بِأُفْقِ الْمَلِكِ بَدْرًا مُكَمَّلًا	وَأَضْحَى شِهَابًا بِالسَّيْنِ يَتَوَقَّدُ
لِيَهْنِكَ إِقْبَالٌ وَمَلِكٌ مُخْلَدٌ	وَسَعْدٌ وَإِسْعَادٌ وَعِزٌّ مُؤَبَّدُ
وإِنَّكَ مَنْصُورٌ لَكَ اللَّهُ نَاصِرُ	عَدُوَّكَ مَقْهُورٌ وَضِدُّكَ مُكَمَّدُ
وإن شَيْدَ الأعداءِ أَبْوَابَ عَذْرِهِمْ	فأنت أبو الفتح المبين المؤيدُ

(١) هو : محمد بن علي بن عبد الله بن إبراهيم بن سليمان ، الشمس الجوجري ، ثم الخانكي الشافعي ، المعروف بالجوجري ، ولد سنة ٨١٣ هـ بجوجر ، ثم تحول مع أبيه إلى خانقاه سرياقوس ، اختص بقائم التاجر ، وتكلم عنه في الشيخونية والصرغتمشية والبيهارستان ، مات في رجب سنة ٨٩٧ هـ .

له ترجمة في «الضوء اللامع» (٨/ ١٩٢ رقم ٥٠٠) .

(٢) بياض في الأصل بمقدار ثلثي السطر .

وكان يوماً مشهوداً ، أخبرني من حَضَرَهُ أَنَّهُ شاهدَ الْبِشْرَ والسُرورَ في وجوه جميع من حَضَرَهُ وسمعه مِنَ التَّرْكِ وغيرهم ، فكان ذلك مَكْذُوباً إِنْ شاء الله ما هو شائعٌ على ألسِنَةِ جميع الْعَامَّةِ ، أَنَّ الْعَسْكَرَ يريدون الْبَغْيَ والمُنَابَذَةَ لِلسُّلْطَانِ (١) .

وخلَعَ على الخليفة والقضاة وكاتب السِّرِّ وابنه [سري] (٢) الدين عبد البر ، وحفيده نائبه في كِتَابَةِ السِّرِّ ، لسان الدين أحمد بن ابنه قاضي القضاة أثير الدين محمد ، وخلع أيضاً على ناظر الجيش ولم تجرِ بذلك عادة فيما سلف .

وفي هذا اليوم وصل بعضُ الْمُهْجَانَةِ الَّذِينَ كانوا تَوَجَّهُوا إلى بلادِ الشَّامِ بإذعانِ النُّوَّابِ وسرورهم ، وأخبرني شخصٌ ممن رافقهم مِنْ أصحابي المقدسة أَنَّ النَّاسَ في غَايَةِ السُّرورِ به ، والدِّعَاءُ له ، وَأَنَّهُ كان في بلادهم ناسٌ يقطعون الطريقَ ، فانكفؤا عن فسادِهِمْ بمجرد سماعِ ولايته ، ونزل على النَّاسِ الْأَمْنُ ، وأمطرت بلادُهُمْ حين بلغ خبره سبعة عشر يوماً ولاءً (٣) (٤) .

ثم أخبرني شخصٌ مِنْ أَهْلِ دِمَشْقَ بمثل ذلك ، مِنْ أَنَّهُمْ كانوا يحتاجون المطرَ ، فمطروا يوم وصولِ الْخَبَرِ بسلطنته ، فاشتدَّ سرورُهُمْ به ودعاؤُهُمْ له ، وصارت البلاد كلها إلى خير كبير .

وهذا كما وقع في بلاد مصر ، وسارت الرُّكْبَانُ بالدِّعَاءِ له وحسن الشَّاءِ عليه ، وجاءت الْأَخْبَارُ بِذلك مِنْ كُلِّ جِهَةٍ ضِدَّ ما وَقَعَ لِأَيِّهِ أَوَّلَ ما وُلِّيَ ،

(١) خبر تقليد السلطان في : « النجوم الزاهرة » (١٦ / ٢٢٦) ، « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٨٩ - ٩٠) .

(٢) ما بين الحاصرتين بياض في الأصل ، والتصحيح من « هامش ٤ » من (ص ١٦٠) .

(٣) ولاء : أي متباعدة .

« لسان العرب » (٢٠ / ٢٩٤) .

(٤) راجع الخبر في : « النجوم الزاهرة » (١٦ / ٢٢٦) .

وما هو إلا لحسن نيّته وجميل طويّته في تعظيمه للشرع ، وقيامه في أمر الله ،
نسأل الله إدامه ذلك .

وسمعتُ أنّه لما بلغه ما يُزجفُ به الناسُ من الركوب عليه قال : لا
تخبروني بشيء من ذلك فإنّي لم أفعل شيئاً يصلح أن يكون سبباً لذلك ،
فأرجع عنه إذا سمعت فما بقي في سماع ذلك إلا تعجيل الهَمِّ ، فالله
المستعان .

وفي يوم الاثنين سابع عشر الشهر ، وصل مسند البلقاوي البدوي ،
أخو القطب الخنيزي لأمه ، وكان قد أرسله يُعلم بأنّه في كتابيّة السرّ ،
ويعمل الضروري من أمره .

ثم تواترت الأخبارُ من جميع البلاد برّاً وبحراً أنّهم لم يسمعوا بولايته
إلا مقرونةً بالعدل والخير ، وأنّه حصل في بلادهم الرخاء والأمن عند
ذلك من غير أسباب يعرفونها ، فكان ذلك كلّه دالاً على صلاح نيّته ، منّ
الله بإدامه ذلك .

وفي هذا الحد ، أرسل إلى حميد الدين ابن قاضي بغداد المشهور بابن
أبي حنيفة أن يحضر إلى القاهرة ، وقيل : إنّهُ أرسل أيضاً إلى الحُسام بن
بريطع ، وذلك أنّ العلاء بن قاضي عجلون كان أرسل هديّة والأشرف
مريضاً إلى أركان الدوّلة ، وأرسل يطلبُ وظيفةَ النظّر على المدرسة الركنية
الشافعيّة^(١) ، وكان أبوه قد نزل عنها لإخيه الولي عبد الله وابنه النجم

(١) المدرسة الركنية الشافعية : شمالي الإقباليّتين شرقي العزية الجوانية والفلكية غربي المقدمة ،
واقفها ركن الدين منكورس عتيق فلك الدين سليمان العادلي ، وهي اليوم في زقاق بني مفلح أمام
المقدمة ، وبينهما الطريق ، ويعرف بدخلة بني عبد الهادي في العمارة ، وهي منظمة إلى دار بني
العمري ، ولم يبق لها أثر .

« الدارس » (١/ ٢٥٣) ، و « خطط الشام » (٦ / ٧٨ - ٧٩) .

محمد بن الولي عبد الله ، والشيخ زين الدين خطّاب الغزاوي ، ثم مكر عليهم علي المذكور ، فأغرى بها ناظر الخاص يوسف .

فَحَضَرَ الشَّيْخَ نَجْمَ الدِّينِ وَأَرْضَاهُ إِلَى أَنْ أَمَضَى لَهُمْ نَزُولَهُمْ ، فَادَّعَى عَلِيٌّ هَذَا الْآنَ أَنَّ أَبَاهُ تَوَفَّى عَنْهَا ، وَأَنَّ عَمَّهُ الْوَلِيَّ غَضَبَهُ بِإِيَّاهَا ، فَكَانَ لَطْفُ اللَّهِ بِهِمْ أَنْ كَانَ وَلَدُهُ النَّجْمُ بِالْقَاهِرَةِ ، فَعَلِمَ بِذَلِكَ ، فَبَيَّنَ لِلْأَكَابِرِ الْأَمْرِ ، فَعَجَبُوا مِنَ الْعِلَاءِ الْمَذْكُورِ ، وَاسْتَقْلَوْا هَدْيَتَهُ مَعَ جَهْلِهِ وَنَحْسِهِ ، وَعَدِمَ اسْتِحْقَاقَهُ لِمَنْصِبِ الْقَضَاءِ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ ، فَزَأَوْا إِحْضَارَ مَنْ كَانَ مُتَوَلِّيًا قَبْلَهُ مِنَ أَهْلِ الْعِلْمِ ؛ لِيَصِلُوا بِذَلِكَ إِلَى أَغْرَاضِهِمْ مِنْهُ ، أَوْ مِنْهُمْ ، فَحَسَّنُوا لِلسُّلْطَانِ ذَلِكَ فَأَمَرَ بِهِ .

وفي يوم الأربعاء ، تاسع عشر جمادي الآخرة هذا ، سُلِّخَ رَجُلٌ مِنَ الْمُفْسِدِينَ وَحُشِيَ جُلْدُهُ تَبْنًا ، وَطِيقَ بِهِ فِي الْقَاهِرَةِ ، وَيُقَالُ أَنَّ اسْمَهُ جَرِيوَاتُ أَوْ ابْنُ جَرِيوَاتٍ وَأَنَّهُ أَخُو الْفَضْلِ الَّذِي مَضَى أَنَّهُ فَعَلَ بِهِ هَكَذَا .

وكان السلطان قد بلغه عن هواره وقتيل وفزّاره عَرَبِ الصَّعِيدِ ، ولبيد عَرَبِ الْبُحَيْرَةِ ، أَنَّهُمْ تَحَرَّكُوا لِلْفُسَادِ ، وَكَانَ قَدْ ظَهَرَ عَلَيْهِ كَمَا تَقَدَّمَ أَنَّهُ فِي غَايَةِ الْيَقَظَةِ لِلْمُفْسِدِينَ ، وَالْإِرَادَةِ لِأَصْلَاحِ الْبِلَادِ ، فَعَيَّنَ لِذَلِكَ أَرْبَعَةً مِنَ الْأُمَرَاءِ ، مِنْ كُلِّ طَائِفَةٍ وَاحِدٌ ؛ لِثَلَا يُقَالُ أَنَّهُ خَصَّ طَائِفَةً بِالسَّفَرِ لِعِلَّةِ ، فَعَيَّنَ مِنَ النَّاصِرِيَّةِ شَرِيبَاشَ أَمِيرَ سِلَاحٍ ، وَمِنْ الْمُؤَيَّدِيَّةِ قَانَمَ رَأْسَ نُوْبَةِ ، وَمِنْ الْأَشْرَفِيَّةِ بَيْرُوسَ حَاجِبَ الْحِجَابِ ، وَمِنْ السَّيْفِيَّةِ بَرْسَبَايَ الْبَجَاسِي أَمِيرَ آخُورِ صَهْرِهِ ، فَأَظْهَرُوا الطَّاعَةَ ، ثُمَّ عَيَّنَ الْمَالِيكَ الَّذِينَ يَصْحَبُونَهُمْ ، وَكُتِبُوا فِي قَوَائِمٍ ، فَلَمَّا حَضَرَ لِلْعَرْضِ كَانَ الْفَارِسُ يَذْكُرُ اسْمَ الْمَمْلُوكِ فَيُنَادِي

به من نُدِب لذلك ، فلا يُجيب ولا يتقدّم مع حضوره وسماحه للمناداة باسمه ، فحصل بذلك وهنٌ ، فلما رأى السلطان ذلك أخطر ذلك ، واعتلّ بعلّة .

ثم بلغنا عن شرباش ، أنه تكلم بكلام يدلّ على كراهته للسّفر ، بل يُفهم عدم الطّاعة ، فَحَصَلَ بذلك اضطرابٌ كبير ، لكنه لم يظهر ، لما عند السلطان من العقل والاحتمال . ثم ثبت عن شرباش أنّه أطوعهم للسّفر ، وأنّه جهّز جميع ما يحتاجه ، وعيّن من يصحبه ، وتبيّن أنّ ما أُشيع عنه كذب .

ثم قيل : أنّه أتى الخبرُ بأنّ عرب البُحيرة مُطيعون ، لم يحصل منهم ما يُوجب فساداً .

ثم نجم نفاقُ أغلبِ الجند ، لا سيّما الشراكسة ، وهم الجند ، وكانوا يسمرون غالب الليل في أنّ المملكة فسدت ، فصار رأسها ابن ناشيء ودُوّنداره رومي وفرنجي .

وفي هذا الحدّ قال السلطان للمحتسب ، وهو الأمير تَنَم رصاص : لا تأخذ من السّوق شيئا مما كان يأخذه أمثالك ، واجتهد في إصلاح البضائع والنّصيحة لجميع الرّعيّة ، وإن كان رزقك ضِعِيفاً فأخبرني حتى أزيده ، فكفّ عن الأخذ للرّشى ؛ فانصلح أمرُ الناس ، ورخصت جميع الأسعار ، وصار الرّطل المصري من الخُبز بدرهم من الفلوس ، يكون نسبته من الدّهرم الشرعي قيراطاً ، فارتجت الأسواق ، وجميع المحالّ بالدعاء للسلطان ، وسرى حُبّه في دواخل الأجسام .

[٢٥٩] وفي يوم الأربعاء هذا ، قدّم برّسباي الدّوئدار الثاني لِنائب

الشام جَانَم أَخِي الْأَشْرَف ، وكان معه عبد الرحمن دُونْدَار خَزَنَدَار نَائِب
الشام الجمال يوسف الصبيبي ، وذلك بَعْدَ أَنْ كَانَتْ وَصَلَتْ مَكَاتِبَات
نَائِب الشام مع الهَجَّان الذي تَوَجَّهَ إِلَيْهِ وَغَيْرِهِ ، أَنَّهُ حَصَلَ لَهُ مِنَ السُّرُورِ
بِوَلَايَةِ السُّلْطَان مَا خَفَّفَ عَنْهُ أَسْفَهُ عَلَى وَالِدِهِ ، وَأَنَّهُ عَتِيقُ وَالِدِهِ وَمَمْلُوكُهُ ،
وَأَنَّهُ أَمَرَ بِالزُّيْنَةِ فُزِّنَتْ دِمَشْقُ لَوْلَايَتِهِ .

وَبَلَّغْنِي أَنَّ رَسُولَ الْحَمِيدِ ابْنَ أَبِي حَنِيفَةَ الذي تَوَجَّهَ بِالِإِذْنِ لَهُ فِي
الْحَضُورِ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، لَقِيَ بَرَزْبَايَ هَذَا فِي الطَّرِيقِ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ مَسْنَدًا ، أَخَا
الْقُطْبِ الْخَيْضَرِيِّ الذي وُلِّيَ كِتَابَةَ السَّرِّ فِي دِمَشْقٍ تَكَلَّمَ فِي نَائِبِ الشَّامِ
بِكَلَامٍ يُفْهِمُهُمْ عَدَمَ انْقِيَادِهِ ، فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَأَرْسَلَ مِنَ الطَّرِيقِ إِلَى
النَّائِبِ يُعَلِّمُهُ بِذَلِكَ ، وَشَاعَ أَنَّ قَدُومَ هَذَا الدُّوَيْدَارِ لَطَلَبَ الْبَيْتِ
الْمُخَلَّفَ عَنْ امْرَأَةِ الْحَمَزَاوِيِّ ، وَأَنَّ تُضَافَ إِلَيْهِ الْقُدُسُ ، وَبِירוْتِ
وَحْمَصِ .

وَفِي هَذَا الْحَدِّ ، وَقَعَ عِنْدَ الْأَمِيرِ قَانَمَ ، رَأْسُ نَوْبَةٍ قَضِيَّةٍ فِيهَا شَهَادَةُ
شَخْصٍ مِنْ أَكْبَارِ الْفَضَلَاءِ الْأَعْفَاءِ الْخَيْرِينَ ، يُقَالُ لَهُ : زَيْنُ الدِّينِ
عَبْدُ الْقَادِرِ ابْنُ شُعْبَانَ ، فَحَصَلَ لِلْأَمِيرِ رِيْبَةٌ فِي شَهَادَتِهِ ، بِحَسَبِ مَا
أَوْصَلَ إِلَى فَهْمِهِ بَعْضُ قَضَاةِ السُّوءِ ، فَضَرَبَهُ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ مِنْ قُلُوبِ
أَعْيَانِ الْفُقَهَاءِ أَعْظَمَ مَبْلَغٍ ، وَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا عَنِيبَ بِهِ قَانَمَ وَعُدَّ مِنْ جَرَأَتِهِ ،
وَحَقَّقَ ذَلِكَ مَا كَانَ يُنْقَلُ عَنْهُ مِنْ أَنَّهُ يَحْتَقِرُ الْفُقَهَاءَ .

وَذَلِكَ مِنْ أَعْجَبِ الْأُمُورِ ؛ فَإِنَّهُ مِنْ مَمَالِكِ الْمُؤَيَّدِ شَيْخٍ ، وَمَرْبُوتَةٍ فِي
حَبِّ الْفُقَهَاءِ وَاعْتِقَادِ عَظَمَتِهِمْ لَا تُلْحَقُ ، فَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

وَلَمَّا وَقَعَ ذَلِكَ ضَمَّهُ النَّاسُ إِلَى أَمْثَالِهِ مِنْ قَتْلِ الظَّلَمَةِ بِهَذِهِ الطَّائِفَةِ ،
بَلْ بِذَوِي الْفَضَائِلِ مِنْهُمْ ، لَمَّا يَرُونَ مِنْ قَبَائِحِ الْأَفْعَالِ مِنَ الْجَهَالِ

الْمُتَلَبِّسِينَ بهذا الرِّيِّ مِنَ الْقَبْطِ وَغَيْرِهِمْ ، فَأَطْمَعَهُمْ ذَلِكَ فِي هَذِهِ الْعَصَابَةِ
وَأِثْرَهُمْ بَغْضَهُمْ ، فَصَارُوا يَرِيدُونَ إِهَانَتَهُمْ وَلَا يُمْكِنُهُمْ ذَلِكَ إِلَّا فِي
مَنْ رَأَوْهُ رَثَّ الْهَيَاةِ زَرِيَّ الْحَالِ ، وَلَا يَعْرِفُونَ أَنَّ هَؤُلَاءِ هُمُ الْفُقَهَاءُ ،
وَأَهْلُ الْحَيْرِ ، وَهُمْ أَبْعَدُ النَّاسِ مِنْ أَوْلَئِكَ ، فَأَوْجِبَ أَنَّ زَيْنَ بَعْضٍ مِنْ فِي
قَلْبِهِ غَيْرَةُ الْإِسْلَامِ أَنَّ يَسْأَلَ الْقَضَاءُ السُّلْطَانَ فِي أَنْ لَا يَحْكُمَ فِي الْفُقَهَاءِ ،
وَمَنْ تَزَيَّأَ بِهِمْ إِلَّا قَضَاءُ الشَّرْعِ ، فَأَجَابَ إِلَى ذَلِكَ ، وَكُتِبَ بِهِ مَرْسُومٌ
شَرِيفٌ .

وَفِي هَذَا الْحَدِّ أَيْضًا ، بَلَّغْنَا أَنَّ نَائِبَ طَرَابُلُسَ ، ضَرَبَ ابْنَ حَمَادَةَ ،
وَأَهَانَهُ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ قَدْ سَعَى فِي أَنْ يَنْوِبَ فِي مَدِينَةِ طَرَابُلُسَ بِنَفْسِهِ ،
وَيُضَافُ إِلَيْهِ بَعْضُ جِهَاتِهَا ، يُؤَيِّ فِيهِ مَنْ يَرِيدُ ، وَأَخْرَجَ بِذَلِكَ تَوْقِيعًا عَنْ
الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ إِيْنَالِ ، وَبَدَلَ عَلَيْهِ مَالًا كَبِيرًا .

فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى طَرَابُلُسَ ، وَأَظْهَرَ مَا مَعَهُ ، عَظَّمَ ذَلِكَ عَلَى قَاضِيهَا تَقِي
الدين ابن عز الدين ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ، وَيَعْلَمُ مَا عَلَيْهِ ابْنُ حَمَادَةَ هَذَا
مِنَ الْجَهْلِ الْمُقْرِطِ ، وَقَلَّةِ الدِّينِ وَسُوءِ السَّيَرَةِ فِي كُلِّ مَكَانٍ تَوَلَّاهُ ، فَقَالَ
لِلنَّائِبِ : إِنَّ هَذَا لَا يُحْسِنُ شَيْئًا مِنَ الْعِلْمِ . فَعَجِبَ النَّائِبُ مِنْ ذَلِكَ ،
وَأَمَرَهُ أَنْ يَسْأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ ، فَقَالَ : إِنَّهُ لَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ أَسْأَلَهُ أَنَا ، وَإِنَّمَا
رُبُّنْتُهُ أَنْ يَسْأَلَهُ الْأَصَاغِرُ . وَأَمَرَ بَعْضَ مَنْ لَا يُشْهَرُ بِعِلْمٍ أَنْ يَسْأَلَهُ ، فَلَمْ
يَذَرِ مَا يُجِيبُ بِهِ ، ثُمَّ سَأَلَهُ ، فَكَذَلِكَ ، فَفَعَجَأَ النَّائِبُ أَمْرًا لَمْ يَكُنْ يَخْطُرُ فِي
بَالِهِ ، فَضَرَبَهُ ثُمَّ أَمَرَ بِإِحْضَارِ الْمُشَاعِلِيِّ لِيَضْرِبَ وَسْطَهُ فَلَمْ يَخْلُصْهُ مِنْ
مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بَعْدَ جَهْدٍ ، فَوَقَعَ ذَلِكَ فِي مَحَلِّهِ ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ يَكْفِيهِ عَنِ السَّعْيِ
فِيمَا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ .

وَفِي هَذَا الْحَدِّ أَيْضًا قَدِمَ نَاسٌ مِنَ الْمَدِينَةِ الشَّرِيفَةِ ، وَكَانَتْ لَهُمْ عَادَةٌ

أن يأخذوا من قاضي الشافعية شيئاً يُسمونه قُدوماً يرتفقون (١) به ، فلم يعطهم العَلَمُ صَالِحٌ ، وهو القاضي يومئذ شيئاً ، فطلعوا إلى القلعة وشكّوا ذلك إلى السلطان ، ورموه بأنه باع أكثر من مائة وقفٍ من أوقافهم ، وسألوا في أمره بعمل حساب المتحصّل من أوقافهم ، والمصرف ؛ ليعلموا حقيقة الحال في ذلك ، فشَقَّ ذلك على السلطان ، وكان قبل السُّلْطَنَة معروفاً بالإنكار عليه ؛ لما يبلغه من سوء أفعاله ، ورأى الوقت غير مساعد لما يريده منه ، فقال للدُّوَيْدَار : قل له : إنّه لا ينبغي وهو رأس المسلمين أن يدع أحداً يشكو منه ، وينبغي أن يُحَسِّن إلى هؤلاء الضعفاء ، فأرسل إليه بذلك ، وبلغني أنه أمر مباشري أوقاف الحرمين ، بعمل الحساب ، وأرسل الأمير بُردُ بك من عنده إلى الشيخ أمين الدين مالا يُفَرِّق على الحجازيين .

[٢٦٠] وفي هذا الحد بلغنا أنّ نائب الشام جَانَم أَخَا الْأَشْرَف بَرَسْبَاي ، لما أَمَرَ أَنْ تُزَيَّن أسواقُ دمشق سبعة أيام ؛ لِأجل ولاية السلطان على العادة في مثل ذلك ، كان يدور ليلاً في ناسٍ قليلٍ في غير زِيَّه ، ويأمرُ الْوَالِي أَنْ يكون وراءه على بعض البُعْدِ منه ، فكان إذا رأى ناساً مجتمعين على فسادٍ وقف قريباً منهم ، فإذا وصل إليه الْوَالِي أمره بالقبض عليهم ، ويأمره بما يراه من تعزيرهم ، فَحَذَرَهُ النَّاسُ ، فَقَلَّ فسادُهم جِدّاً .

وفي هذا الحد ، سُئِلَ السُّلْطَانُ في تعيين أميرٍ لركب الحاج الدمشقي ، وآخرٍ للحلبّي ، فقال : مَنْ ترون أن نُؤَيِّ ؟ فقال أَحَدُ دُوَيْدَارِيَّةِ بُردُ بك ويُونُس : فلاناً . فقال الآخر : لا ، بل فلاناً . وكان هذا دأبهما في غالب

(١) يرتفقون : يستعينون به ويستفعلون .

«المعجم الوسيط» (١ / ٣٦٢) .

الأمر ؛ لما بينهما مِنَ التَّبَاغُضِ ، نَسَأَلَ اللهُ أَنْ يَقِيَهُ شَرَّهُمَا ، وَشَرَّ كُلِّ مَنْ لَا يُرِيدُ بِكَلَامِهِ الْخَيْرَ ، فَأَطْرَقَ طَوِيلًا ، ثُمَّ قَالَ : نَحْنُ نُزِيلُ مَا جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ مِنَ الرَّسْمِ ، وَيَقُولُ لِكُلِّ مَنْ نَائِبِي الْبَلَدَيْنِ : إِنَّا قَدْ جَعَلْنَا تَعْيِينَ ذَلِكَ إِلَيْهِ ، لِيُعَيَّنَ مِنْ إِمْرَاءِ بَلَدِهِ ، مَنْ يَرَى فِيهِ كِفَايَةً لَذَلِكَ ، وَشَفَقَةً عَلَى الْمُسْلِمِينَ .

وَفِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ ، سَادِسَ عَشْرِي جُمَادِي الْآخِرَةِ هَذَا ، أَرْسَلَ السُّلْطَانُ إِلَى أَهْلِ الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَفُرِّقَتْ فِيهِمْ ، لِكُلِّ شَيْخٍ سِتَّةَ دَنَانِيرٍ ، وَلِكُلِّ طَالِبٍ ثَلَاثَةَ ؛ فَكَثُرَ الثَّنَاءُ عَلَيْهِ ، وَالِدَعَاءُ لَهُ ، ثُمَّ تَتَبَعَ كَثِيرًا مِنْ الْجَوَامِعِ وَالزَّوَايَا وَالْفُقَرَاءَ بِالْعَطَاءِ ، وَشَاعَ أَنَّ ذَلِكَ عَمَّا كَانَ لَهُ فِي حَالِ الْإِمْرَةِ ، لَا مِنْ خِزَانَةِ السُّلْطَانِ .

وَفِي يَوْمِ الْخَمِيسِ سَابِعِ عَشْرِيهِ ، أَخْرَجَ بَرَسْبَايَ دُوَيْدَارَ نَائِبِ الشَّامِ جَانَمَ ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ دُوَيْدَارَ خَزَنَدَارَهُ الْجَمَالَ يَوْسُفَ قِصَّةً عَلَى لِسَانِ النَّائِبِ بَطْلِبَ إِضَافَةِ نَابُلُسَ وَالرَّمْلَةَ إِلَيْهِ ، وَأَنَّ لَا يُؤَلِّي أَحَدٌ مِنْ مَشَائِخِ الْعَشِيرِ بِنَابُلُسَ وَمَا وَالَاهَا ، وَلَا أَمْرَاءَ الْعَرَبِ بِتِلْكَ النَّوَاجِي كُلِّهَا إِلَّا هُوَ ، فَلَمْ يُجِبِ السُّلْطَانُ إِلَى ذَلِكَ ، وَوَافَقَهُ يُونُسُ الدُّوَيْدَارُ ، وَنَاطَرَ الْجَيْشَ ابْنَ مُزْهِرٍ ، وَشَدَّدَ التَّحْذِيرَ مِنْ ذَلِكَ ؛ بِسَبَبِ مَا لَهُ مِنَ الْمَالِ ، الْمُتَعَلِّقُ بِالذَّخِيرَةِ السُّلْطَانِيَّةِ فِي بِلَادِ نَابُلُسَ ، وَقَالَ : هَذَا الْأَمْرُ يَكُونُ سَبَبَ عِضْيَانِ إِسْمَاعِيلَ شَيْخِ جَبَلِ نَابُلُسَ ، وَتَحْرِبِ تِلْكَ الْبِلَادِ ، وَيُضِيعَ الْمَالُ . وَأَشَارَ بِرُذْ بَلْكَ بِجَانَبِهِ ، وَأَشَارَ كَاتِبُ السَّرِّ الْمَحَبِّ بْنِ الشُّعْبَةِ بِأَمْرِ وَسَطٍ ، وَهُوَ أَنْ يُكْتَبَ لَهُ : أَنَّهُ لَا يُلْبَسُ أَحَدٌ مِنَ الْمَشَائِخِ ، وَأَمْرَاءَ الْعَرَبِ خِلْعَةً مِنْ السُّلْطَانِ بَوْلَايَةً وَلَا غَيْرِهَا ، إِلَّا عِنْدَهُ ، فَأَخْرَجُوا ذَلِكَ ؛ لِيَنْظُرُوا فِيهِ ، فَشَرَعَ بَرَسْبَايَ ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ يَتَكَلَّمُونَ كَلَامًا عَظِيمًا غَلِيظًا ، يُشْمُ مِنْهُ

رائحة الشرِّ ، وأنها ما أخرّا هذه القصة عن قدومها إلى هذا الحد ، إلاّ
ليخسبنا أمر الجند ، وأنه ما جرّأهما على مثل هذا الكلام إلاّ أنها اطلّعا
على أنّ بواطنهم سيّئة وأنّ قصدهم الشرِّ ، والله المسؤول أن يردّ كيّد كلّ
مفسدٍ في نحره ، ويجعل الدائرة عليهم آمين .

وفي هذا الحد ، رَفَعَ إليه مستحقوا مدرسة ^(١) إينال ، التي هي خارج
باب زُوَيْلَة ، بعد المحمودية ^(٢) أنّ محمد بن إينال ، تولى على الوقفِ بغير
حق ، ومنعهم حقوقهم من مدّة طويلة ، فرسم بإحضاره ، فلما حَضَرَ أراد
التَرَفُّعَ عليهم في الموقف ، فأمره بمساواتهم ، فادّعوا عليه ، فسأله ، فقال
: هذا وقف أبي . فقال : أجِب عن قولهم . فاعترف بصحة مدّعاهم .
فقال : أعطهم حقّهم . فقال : ليس معي شيء . وكان قد اتَّفَقَ له مثل
هذا في أيام الأشرف أبي المؤيّد هذا ، وأجاب بهذا الجواب ، وشَفَعَ له
بَعْضُ مَنْ يتعصّب له مِنَ التَّركِ منفعة له ، فظن أنّ هذا كذاك ، فقال له :
بِغِ ما عِنْدَكَ وأعطهم ما لهم . فقال : ما عِنْدِي شيء ، فقال : تكون في
السجن حتى تُرضيهم . ثم أمر نقيب الجيش أن يأخذه إلى أيّ قاضي
أرادوه وكان هذا في الحوش .

(١) مدرسة إينال : تقع خارج باب زُوَيْلَة بالقرب من باب حارة الهلالية ، بخط القمّاحين عمّرها
الأمير الكبير إينال السيفي ، أحد المماليك اليلبغاوية ، وابتدأ في عمارتها سنة ٧٩٤ هـ ، وفُرج منها
سنة ٧٩٥ هـ ، عُرِفَت بجامع إينال ، ثم بالجامع الأبراهيمي ، وهي عامرة إلى الآن ، وتقام فيها
الشعائر .

«خطط المقرئ» (٢/٤٠١) ، و«الخطط التوفيقية» (٢/٣٤) .

(٢) المدرسة المحمودية : تقع بخط الموازين ، خارج باب زُوَيْلَة ، تجاه دار القردمية ، أنشأها
الأمير جمال الدين محمود بن علي الإستدّار في سنة ٧٩٧ هـ .

«خطط المقرئ» (٢/٣٩٥) ، و«الخطط التوفيقية» (٢/٣٤) .

فلما طلع إلى إيوان الدهيشة شفع فيه الأمير بُرْذ بك الدؤيدار صهر المؤيد ، وجانبك شاذ الشربخانة ، وجمع من الأمراء يزيدون على عشرة ، فكان جوابه لهم أن قال : أين هو ؟ فقالوا : ها هو . فقال لنقيب الجيش : أنا أمرك بحمل أحد إلى الشرع فلا تفعل ! والله لئن لم تحمله إلى القاضي الذي يريده أخصامه وهو ماش لأفعلن بك . فجزه بيده ، ثم ذهب ، وشرع أولئك الأمراء يلحفون ^(١) عليه في الشفاعة فيه ، فقال : لا سبيل إلى ترك حقوق المستحقين . فقالوا : ليس معه شيء وهذا صدقة عنك . فقال : أنا لا أملك التصديق عليه بهال الغير . يسأل أخصامه ، فإن تصدقوا عليه فلهم ذلك ، وأمّا أنا فلا يحل لي منعهم عن حقهم ، فكان ذلك من أعظم المناقب .

وأخذه نقيب الجيش ، فلما نزل من القلعة أراد أن يركب فمنعه ورماه عن فرسه ، ثم سألهم فاختاروا المالكي ، فأناهؤه إليه ما شيئاً ، فكف يده عنهم ، وجعل النظر إلى غيره ، وثبت لهم في جهته ما يزيد على ثلاثة آلاف دينار ، فصالحهم على دون الخمسمائة .

واستهل شهر رجب من سنة خمس وستين ^(٢) هذه ليلة الأحد ^(٣) ، وفي ذلك اليوم عرض الممالك ؛ لأنه أتهم الكتاب وغيرهم في تسمية أسماء لا حقيقة لها ، وأخرى مسمياتها غير ممالك ، فكان من يعرفه أجازة ، ومن لم يعرفه سأل عن اسمه وفي أي جلبة قدم ، ومن كان في الجلبة من الممالك ، فإن توقف عرف كذبه ، وإن ذكر أحداً أحضرهم وسألهم عنه ، فتبين بذلك كذبهم في شيء كثير فأسقطه .

(١) يلحفون : يلحفون .

« المعجم الوسيط » (٢ / ٨١٨) .

(٢) وثمانمائة .

(٣) في « حوادث الدهور » (٣٩٥) أوله الأحد .

وفي هذا العرض كلمه قانصوه الإسحافي ، (وهو من رؤوس فجرة الأجلاب) بكلام فيه قلة أدب ، فأغضى عنه ، فأعاده فزجره زجرة ارتعدت فرائضه منها وتأخر ذليلاً .

وفي هذا اليوم ، كلم تمرأز السافي أحد الأشراف القاضيين المالكي ، والحنفي بكلام خشن ، نسبهم فيه إلى تعايطي الأحكام الباطلة والتهاون بحدود الله ، واشتد غضب الحنفي لذلك ، ولم يظهر لغضبه أثر .

وفي هذا اليوم أراد أبو السعادات البلقيني أن يباشر صرف خبر خائفاه سعيد السعداء بنفسه ، ولا يعطي أحدا خبره إلا بيده ، لاتبامه لكاتب الغيبة في اسماء الصوفية وعدتهم ، وجلس عند الخبر ، فتكاثف عليه الناس ، فاشتد زحامهم ، فنادوا : ما يحل يا مجنون ، وشرعوا يسبون ، ثم رجمه بعضهم ، ورفع بعضهم ورقة في رأس عصى كأنها قصة ، ووقف على حافة الفسقية ، وشرع يمدّها إلى ناحيته ، ويقول : هشت هشت ، ونحو هذا من الهزؤ ، وأراد بعضهم قتله فلم يمكنه ، وأراد ناس أن يحملوه بسجاده فيرموه في الفسقية ، فحماء بعضهم وأخذوه وهم محدقون به حتى أغلقوا عليه باباً وتركوه حتى انصرف الناس ، ثم شيعوه وهو لا يصدق بالحياة .

ولما وقعت هذه الضجة ، نهب الأقوياء الخبر ، ولم يحصل لكثير من أهل الخير ، ولم يشق ذلك عليهم ؛ بسبب ما حصل لهم من الرؤية المقرحة ، وصار سبة ليس للناس كلام إلا فيه .

وفي هذا الحد ، وصل كتاب نائب طرابلس ، أن تمرأز الأشرفي استأذنه في أن يقسم بلاداً في ناحية الرملة بنفسه ، قال : فأذنت له ، ولم أدر ما مراده بذلك ، فأرسل تمرأز من هناك يسأله في الحضور ، فسكت السلطان عن جوابه ولم يعد .

وفي أواخر جمادي الآخرة ، أظهر السلطان الإنكارَ على القُطْب الخيْضري ، كاتب سِرِّ دِمَشق [بسبب]^(١) تأخره عن السَّفرِ وأرسل إليه من يأمره بالإسراع ، فأجاب بالطَّاعة ثم تأخر إلى عاشر رجب .

وفي يوم الاثنين ثاني شهر رجب هذا ، سافر إبراهيم بن البدر حسن بن المزلق ، ناظر الجيش بدمشق ؛ ليجمع مآل الجَوَالِي ، ومالهم من التَّعلُّقات في بلاد الشام .

وفي يوم الثلاثاء ثالثه أرسل فيروز الخَزَندار يستعفي من الخَزَندارية والزَّمامية ؛ وذلك أنه كان حَصَلَ له فالجٌ ، وطال به المرضُ ، فخاف على نفسه ، فأراد أن يوصي ، فبلغ السُّلطان ذلك ، فمِنع الشهودَ من تحمُّل الشهادة عليه ، فلما جاء رسوله بذلك امتنع السلطانُ منه وقال : نحن نصبرُ عليه إلى أن يُعافيه الله ، فإنه بركتُنا ، وزَيْنُ مملكتنا ، وأرسل إليه الأميرُ بُرْدَبَك صهره ، فبلغه ذلك .

[٢٦٢] وفي يوم الأربعاء ، رابع شهر رجب هذا ، مات فخر الدين بن الغنَّام^(٢) ، ناظر الموارِيث^(٣) .

(١) ما بين الحاصرتين إضافة اقتضاها السياق .

(٢) قال عنه (السخاوي) في « الضوء اللامع » (١١ / ١٦٤) : « ابن الغنَّام القبطي ، مات في جمادي الآخرة سنة خميس وتسعين ، وكان في جهات دينية ، كالتصوف بسعيد السعداء ، والبيرسية ، مع قراءة الشباك بها ، عفا الله عنه » ، ويبدو أن خطأ طباعياً في تحديد سنة وفاته ، حيث رسمت (تسعين) بدل (ستين) .

(٣) ناظر الموارِيث : نَظَر الموارِيث ، من الوظائف الديوانية ، وموضوعها : التحدُّث على ديوان الموارِيث الحُشْرِيَّة ، ممن يموت ولا وارث له ، أو له وارث لا يستغرق ميراثه ، مع التحدُّث في إطلاق جميع الموتى من المسلمين وغيرهم .

« صبح الأعشى » (٤ / ٣٣) .

وفي هذا اليوم وَصَلَ تَمْرَاز ^(١) الأشرفي مِن غير طلب ولا إذن ، بل هجم قبل أن يُعاد إليه جوابُ سؤاله في طلب الحضور ظناً منه أنَّ السلطان لا يتمكن مِن منعه مِن ذلك ؛ لقوة طائفته الأشرفية ، وما جرت به العادةُ من ضعف الملوك في أوَّل الدُّول ، ونزل لما وصل في بيت الأمير الكبير خُشَقْدَم المؤيدي ، فلما سمع بذلك السُّلطانُ لم يحصل عنده جُبْنٌ ولا هَلَعٌ ، بل غَضِبَ غَضَباً شديداً ، ثم أمرَ به أن يُخْرَجَ في الحال ، فَيَرْجِعَ مِن حيث جاء ، فنزل إليه الأمرُ بذلك ، فلم يجد له مانِعاً ، فما وَسِعَهُ إلا الطَّاعة ، فخرج بعد الظهر وجاوز التُّرْب ، لا صَحْبَهُ الله ولا حَيَّاه ؛ فإنه لم يأتِ إلا للفساد وتسعير نار الحرب ، أعاد الله مِن شَرِّهِ .

ثم لما طلع الأمراءُ إلى الخُدْمَةِ بالمبيت في القصر في آخر هذا اليوم شفعوا كُلُّهم فيه ، في أن يَرْجِعَ فَيُقِيمَ ثلاثة أَيَّام فقط ، وَيَلْبَسَ خِلْعَةً السلطان ويخرج مجبور الخاطر ، واعتلوا كَذِباً بأنه ما جاء إلا لإِهانةٍ وقعت له مِن نائب طرابُلُس ، فاستمرَّ السلطانُ على المنع ، فأَحْوَا عليه القريب منهم والبعيد ، فلم يَجِدْ بُدّاً مِنَ الإجابة ؛ لِأَنَّ الأمرَ كما قال عَلِيُّ رضي الله عنه : « لا رَأْيَ لِمَنْ لا جَماعَةَ له » ، فرجع في صبيحة يوم الخميس ، خامِس الشهر ^(٢) .

(١) هو : تَمْرَاز بن عبد الله ، الجركسي ، الأينالي الأشرفي ، جلبه الأمير إينال المحمدي ، المعروف بـ (إينال ضُضَغ) ، فاستراه المؤيد شيخ ، ثم انتقل إلى الأشرَف بَرُشباي فأعتقه ، وجعله زردكاشاً ، ثم صار من حزب الظاهر جُفْمَق ، ثم أبعده إلى البلاد الشامية ، وقاسى في أيامه أنواعاً من الذل ، ثم رجع إلى القاهرة وأنعم عليه بإمرة عشرة ، ثم نقله الأشرَف إينال إلى الدَّوِيدارية الثانية ، فساءت سيرته ونفى إلى البلاد الشامية ، مات مقتولاً بسيف الشرع بقلعة المرقب يوم السبت ١٩ جمادي الأولى سنة ٨٧١ هـ .

له ترجمة في : «الدليل الشافي» (١ / ٢٢٧) ، و «حوادث الدهور» (٥٩٦-٥٩٨) ، و «النجوم الزاهرة» (١٦ / ٣٥٣) ، و «الضوء اللامع» (٣ / ٣٦ رقم ١٥١) ، و «بدائع الزهور» (صفحات لم تنشر) (١٧٢-١٧٣) .

(٢) الخبر في : «النجوم الزاهرة» (١٦ / ٢٢٦) ، و «بدائع الزهور» (صفحات لم تنشر) (٩٠-٩١) .

وفيه سافر برُسبای دُویدار نائب الشام ، وترك عبد الرحمن دُویدار الجمال يوسف خَزَندار النائب ، وسأل الأمراء لِتَمَرَّاز أن لا يُعاد إلى طرابُلُس فأجیبوا .

وفي يوم الجمعة سادِسَه ، خَلَعَ السُّلطان على تَمَرَّاز خِلْعَةً للرُّمى والسَّفَرِ معاً وقَبَلَ الأرضِ مراراً ، فلم يَرَفَعْ به السُّلطانُ رأساً ، ثم قَبَلَ رُكْبَتَهُ فوضع السُّلطانُ يَدَهُ على ظهره ، فلما نزل أرسل السُّلطانُ إليه خمسائة دينار ، يَتَجَهَّزُ بها ، وأرسل إليه جِمالاً وِبِغَلاً ، وأمرَ بالإسراع في التَّجْهِيز ، وخَيَّرَه في إمْرَتَيْنِ ، إحداهِما الأُمْرَةُ الكُبرى بحلَبَ ، والأُخرى إمْرَةٌ في دمشق إعفاءً له مِنَ العَوْدِ إلى طرابُلُس ، فاختار التي بدمشق ، فأجيب إلى ذلك وأمرَ باللاحاق بها^(١) .

وفي هذا الحَدِّ جاء الحَبْرُ عن جزيرة قُبرس ، بأن جاكُمُو ، ومَن معه مِن عَسْكَر الإسلام فتحوا شِريئَةَ والمَا غوصه ، وغلبوا عليهما ، وأراح الله مِن إرسال عَسْكَرٍ لذلك ، وهذا مِن مَرَكِبٍ جاء مِن هناك ، وأخبر أن رسل جاكُمُو تَقْدُمُ بذلك عن قُزْب .

وفي يوم الاثنين تاسِعَ شهر رَجَب هذا ، سافر القُطْبُ الحِضْرِي ، كاتب سَرِ دِمَشق بِالْإِزام مِنَ السُّلطان له بذلك ، وذلك أَنَّهُ سمع أَنَّهُ يُفْسِدُ الجند عليه ، وَأَنَّهُ صالَحَ بين الظَّاهِرِيَّةِ والأَشْرَفِيَّةِ لِيَتَّفِقُوا على إِزالة دَوْلَتِهِ لِنائب الشَّام جَانَم .

وفي يوم الثلاثاء عاشرَه ، أُلِيسَ تَمَرَّاز الأَشْرَفِي ، الفاجر خِلْعَةً السَّفَرِ وأمرَ بالخروج عَنِ القَاهِرَةِ في ذلك اليوم ، فاعتَلَّ بتوعكٍ في بَدَنِهِ فلم يُقْبَلْ ،

(١) راجع « النجوم الزاهرة » (١٦ / ٢٢٧) .

فاعتَلَّ بأنَّه لم يجد غُلْمَانًا لِلخَيْلِ وَالْجِهَالِ الَّتِي أَتَتْهُ مِنْ عِنْدِ السُّلْطَانِ وَغَيْرِهِ ، فلم يُقْبَلْ ، فاعتَلَّ بأنَّ غُلْمَانَهُ مَحْبُوسُونَ فِي قُطْيَا ، وسأل في أَنَّ يُؤَدَّنَ لَهُمْ فِي الْقُدُومِ ، فلم يُجِبْ ، ونزل معه الْمُهِمَّنْدَرُ ؛ لِيَعَجِّلَ تَشْيِيعَهُ ففعل ولم يَبُتْ إِلَّا فِي الْخَانُكَةِ ، بعد أَنَّ فَلَقَلَ كُلَّ مُقْلَقِلٍ ، فلم يجد مَنْ يَخْفَ معه وَلِلَّهِ الْحَمْدُ ، واستمر بالخَانُكَةِ يَتَأَفَّضَى مَا بَقِيَ مِنْ احتِياجِهِ إِلَى يَوْمِ السَّبْتِ ثَالِثِ عَشْرِ الشَّهْرِ (١) .

وفي هذا الْيَوْمِ ، وَقَفَ أَهْلُ الْبُرُتُسِ لِلسُّلْطَانِ ، فسألوه في أَنَّ يَحِطَّ عَنْهُمْ مَظْلَمَةٌ كَانَتْ أُحْدِثَتْ فِي أَيَّامِ الظَّاهِرِ جَعَمَقَ ، يُوْخِذُ مِنْهُمْ فِيهَا كُلَّ سَنَةٍ [ستة] (٢) آلَافِ دِينَارٍ ، ثم زِيدَ عَلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ أَبِيهِ أَلْفَا دِينَارٍ ، فَوَضَعَ عَنْهُمْ مَا حَدَّثَ فِي أَيَّامِ أَبِيهِ ، ثم اجتمع به نَاطِرُ الْخَاصِ ، الزَّيْنُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ الْكُوزِ ، وهو الْمُتَكَلِّمُ فِي هَذِهِ الْجِهَةِ فَخَيَّلَهُ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى أَوْقَفَهُ عَنْهُ ؛ فِسَاءَ النَّاسِ ذَلِكَ .

وفي آخِرِ يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ حَادِي عَشْرِهِ وَصَلَ شَاهِينَ غَزَالِي الْحَصْنِي ، بِتَرْكَةِ امْرَأَةِ الْحَمَزَاوِيِّ [٢٦٣] ، الَّذِي كَانَ نَائِبَ الشَّامِ ، وَقَدْ كَانَ سَافِرًا لِأَجْلِهَا مِنْ قَبْلِ الْأَشْرَفِ إِيْنَالِ (٣) ، فَمَاتَ وَهُوَ فِي دِمَشْقَ ، وَأَرْجَفَ النَّاسُ بِأَنَّ نَائِبَ الشَّامِ عَوَّقَهُ وَمَنْعَهُ مِنْهَا ؛ لِيَكَاتِبَ السُّلْطَانَ فِي أَخْذِهِ إِيَّاهَا ، فَكَفَى اللَّهُ ذَلِكَ ، وَنَامَ فِي الثَّرْبَةِ الْأَشْرَفِيَّةِ فِي لَيْلَةِ الْخَمِيسِ ثَانِي عَشْرِهِ (٤) .

(١) راجع « النجوم الزاهرة » (١٦ / ٢٢٧) .

(٢) في الأصل (ست) .

(٣) راجع « ص ١٩٧ » .

(٤) الخبر في : « النجوم الزاهرة » (١٦ / ٢٢٧) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٩١)

وفي هذا الحَدِّ وصل إلى القاهرة حِجَازِيُون كَثِيرٌ مِنْ مَكَّةَ والمدينة ،
 منهم إبراهيم وزكي الدِّين ابنا أبي الفتح بن صالح ، خطيب المسجد
 النَّبَوِي الشريف ، ومنهم محمد بن عيسى القرشي المَكِّي ، فأخبرني أَنَّ
 سَفَرَهُ مِنْ مَكَّةَ المُشْرِفَةِ كان يوم الخميس ، وكان عندهم رابع عشر جمادي
 الأولى ، وأنَّهم سمعوا يوم الأربعاء ثَالِثَ عَشْرِهِ أَنَّ السُّلْطَانَ مُحْتَضِرٌ ، قال :
 وأشار على بعض ذوي العَقْل أَنَّ لا أسافر لجزْمِهِم بموته ، وهذا الخبرُ
 وصل إلى مَكَّةَ المُشْرِفَةِ في اليوم الذي كان قد وَصَلَ إلى حالةِ أيس معها ،
 ووُلِّيَ ابنُه المؤيَّد أبو الفتح فيه ، وهذا مِنْ أَعْجَبِ العَجَبِ ، وكأنه مِنْ
 الجِنِّ والله أعلم .

وفي يوم الخميس ثاني عشر رجب هذا ، وُلِّيَ الشرفُ موسى الأنصاري
 نظر الجوالي عن النَّاصِرِ بن أَصِيل (١) .

وفيه أنشَدَت السلطانُ ما نَظَّمَتْه في مَدْحِهِ وورَّيْتُ فيه باسمه وأسماء ملوك :
 يا ناصِراً لِلدِّينِ أَنْتَ مُظَفَّرُ
 بالمعتدين وظَاهِرُ وَمُؤَيَّدُ
 لا زِلْتَ منصوراً عزيزاً قاهراً
 فَلَأَنْتَ أَشْرَفُ مِنْ سِوَاكَ وَأَحْمَدُ

وأيضاً :

أَنْتَ الْمُؤَيَّدُ أَشْرَفَا وَمُظَفَّرَا
 والقَاهِرُ الْمُعْتَزُّ ثُمَّ الظَّاهِرُ
 وَالْكَامِلُ الْمَنْصُورُ دُمْتَ مُعْظَمًا
 يا عَادِلًا أَنْتَ الْعَزِيزُ النَّاصِرُ

(١) الخبر في : « النجوم الزاهرة » (١٦ / ٢٢٧) .

وفي هذا الحد ، وصل رسول للعلاء بن قاضي عجلون ؛ يسأل له في الحضور ، فأجيب إلى ذلك ، وذلك أنه شاع عنه من البلايا في هذه المدة ، وتجدد له من الأخصام ما خشي عاقبته ، وعلم أن غيره لا يسد فيه مسده .

وفي بكرة يوم الجمعة ^(١) ثالث عشره ، ركب السلطان ومعه صهراؤه : أمير أخور برزباي البجاسي ، وبرذ بك دويداره الثاني ، فخرجوا من باب القرافة ، ثم أخذوا نحو الصحراء من ناحية قبة الهوى ، ثم رجعوا نحو المرستان المؤيدي ، فدخل السلطان إلى القلعة من الباب الذي إلى جانب الخوض دون باب المدرج ، فكان ذلك أعظم مما فعله أبوه ، لما ولي السلطنة ؛ فإنه خرج بعد شهرين من سلطته من باب الميدان ، ثم دخل من باب السلسلة ، وهو مدى قريب جداً ، وما ذاك إلا لشدة محبة الناس لهذا ، حتى النساء في البيوت ، والفلاحون ، وأهل البلاد النائية ، حتى أنني سمعتُ أن امرأة قالت لزوجها : اشتر لي سكينة ؛ حتى أقاتل بها عن السلطان ، إن قصده أحد بسوء ، وما ذاك إلا لما ظهر منه في هذه المدة اليسيرة من العدل ، والخير ، والشفقة على عباد الله ، والثبات ، والرزانة ، أدام الله ذلك آمين .

وفي هذا اليوم عقد لابن يشبك الفقيه شاد المؤيدية على ابنة لكاتب السر ، المحب بن الشحنة .

وفي يوم السبت [رابع] ^(٢) عشر الشهر وصل الحميد ، المذعو بابن أبي حنيفة ، الذي طلب بمرسوم السلطان .

(١) في «النجوم الزاهرة» (١٦ / ٢٢٨) في يوم الجمعة ٢٠ من شهر رجب ، راجع أيضاً بدائع الزهور «صفحات لم تنشر» (٩١) .

(٢) في الأصل (ثالث) ، والتصحيح من مفهوم السياق .

وفي آخر هذا اليوم سافر تَمَرَّاز الأشرفي مِنَ الخانِكَةِ ، وأراح الله مِنْ شرِّه وله الحمد .

[٢٦٤] وفي أواخر يوم الأحد ، خامس عشر الشهر ، مات محب الدين محمد ^(١) بن الشيخ تقي الدين عبد الرحمن بن القطب القَرْقَشَنْدِي ، عن نحو خمس عشرة سنة وحصل لأبيه عليه وجدُّ شديد ، وصُلِّي عليه بكرة يوم الاثنين سادس عشره في جامع الأزهر ، ودُفِنَ في تربتهم ، خارج الباب الحديد .

وفي هذا اليوم ^(٢) لَبَسَ السلطان الأبيض .

وفي هذه الأيام ^(٣) تواترت الأخبار أَنَّ العرب أفسدوا في بلاد البُحَيْرَةِ فأعاد السلطان الكلام في التجريدة ، فاعتلوا ، بِقَلَّةِ الجمال ، فرسم لهم بِجِمال ، فلما طَلَبُوا لِأَخْذِهَا أساءوا القول ، فلما طلع الأمراء إلى الخِدْمَةِ فباتوا في القصر ليلة الخميس تاسع عشر شهر رجب هذا ، قال لهم السلطان : قد علمتم ما بلغنا مِنْ أَمْرِ العرب بالبُحَيْرَةِ ، وهي بلادُ الإسلام ، ما مِنْ أَحَدٍ مِنْكُمْ ، إلَّا وله بها تَعَلُّقٌ ، وكذلك هؤلاء الأجنادُ ، الذين يَتَمَنَّعُونَ ، ويجب علينا الذبُّ عن الرِّعْيَةِ ، وأنا واحدٌ مِنْكُمْ ، فإن لم تعينوني ، لم أقدر على منعهم ، وحيثُ يطمع العربُ ، وكأنَّا بهم ، وقد تَقَدَّمُوا حتَّى وصلوا إلى الجِيْزَةِ ، وهؤلاء المتَمَنَّعُونَ إنما يأكلون الإقطاعات للذَّبِّ عَنِ الرِّعْيَةِ ، فأنا أطلبهم يوم الجمعة لِأُعْطِيَهُم الجِمالَ ، فإن لم يأخذوا

(١) ترجم له (السخاوي) في «الضوء اللامع» (٧ / ٢٨٢ رقم ٧٢٩) ، وذكر أَنَّهُ مات ظناً بعد السبعين [والثمانمائة] .

(٢) في «النجوم الزاهرة» (١٦ / ٢٢٧) في يوم الجمعة ٦ رجب .

(٣) في «النجوم الزاهرة» (١٦ / ٢٢٦) في يوم السبت ١٥ جمادي الآخرة .

جَمَعْتُ أُمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْقُضَاةَ يَوْمَ السَّبْتِ وَاسْتَفْتَيْتَهُمْ عَنْهُمْ ، وَمَهْمَا أَفْتَوْنِي بِهِ أَنْقَذْتُهُ فِيهِمْ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

ثم إنه طلبهم يوم الجمعة العشرين منه ، فلما حَضَرُوا إِلَى الْمِيْدَانِ الَّذِي إِلَى جَانِبِ بَابِ السُّلْسَلَةِ أَغْلَظُوا لِأَعْوَانِ السُّلْطَانِ ، ثُمَّ ضَرَبُوا شَخْصاً مِنَ الطُّوَاشِيَةِ الَّذِينَ كَانُوا هُنَاكَ ، فَأَعْلَمُوا السُّلْطَانَ ، فَقَالَ : سَلَوْهُمْ ، مَا الَّذِي يَرِيدُونَ ؟ فَقَالُوا : نُرِيدُ أَنْ يُعَيِّنَ مَعَنَا عَمَالِكَ أَبِيهِ الَّذِينَ لَهُمُ الْإِقْطَاعَاتُ الثَّقَالُ ، وَيَكُونُ بِأَشْهُمِ^(١) الْأَمِيرُ بُرْذُوكَ الدُّوَيْدَارُ .

فَعَلِمَ أَنَّهُمْ مُعَانِدُونَ ، فَلَمَّا حَضَرَ النَّاسُ لِلْجُمُعَةِ ، وَخَطَبَ الْخُطْبَاءُ ، زَادَ ابْتِهَالُ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِنُصْرَتِهِ وَخِذْلَانِهِمْ .

فلما كان يوم السبت حادي عشره ، رَأَى الدُّوَيْدَارَانِ ، أَنَّ اسْتِمْرَارَ الْكَلَامِ فِي هَذَا السَّفَرِ يَفْتَحُ بَابَ الشَّرِّ وَرَأْيَا إِغْلَاقَهُ بِإِبْطَالِ ذَلِكَ ، فَأَشَارَا عَلَى السُّلْطَانِ بِهِ فَفَعَلَ .

وفي ليلة هذا اليوم وَقَعَ فِي نَاحِيَةِ الْقَلْبُوبِيَّةِ ، وَبَعْضِ الْعَرَبِيَّةِ بَرْدٌ كِبَارٌ ، بَعْضُهُ لَهُ شُعْبَتَانِ ، زِنَةٌ بَعْضُهُ أَكْثَرُ مِنْ رِطْلٍ بِالْمِصْرِيِّ ، وَذَلِكَ نَحْوُ مِائَةِ وَخَمْسُونَ دِرْهَمًا ، فَأَفْسَدَ زُرُوعًا كَثِيرَةً ، لَمْ يَبْقَ لَهَا أَثَرٌ ، وَقَتَلَ بَعْضَ الْحَيَوَانِ كَالْغَنَمِ^(٢) .

وفي هذا الحَدِّ ، أَرَادَ قَاضِي الْقُضَاةِ عَلَمُ الدِّينِ صَالِحُ الْبُلْقِينِي أَنْ يَبْرَزَ بَيْتَ لَه فِي الْبَحْرِ ، وَيُلْزَمَ مِنْ بَرُوزِهِ أَنْ يَسُدَّ بَابَ الْهَوَاءِ الطَّيِّبِ ، وَهُوَ الشِّمَالِي عَلَى مَنْ فِي بَيْتِ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ الْبَارِزِيِّ ، وَسَاعَدَهُ عَلَى ذَلِكَ

(١) بأشهم : صاحبهم .

(٢) الخبر في « النجوم الزاهرة » (١٦ / ٢٢٨) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٩١) .

زوجته وابنها ناظر الجيش الزَّيْنِي أبو بكر بن مُزْهَر ، واعتلوا بأن ابن البارزي كان برز على بيتهم في الجانب الجنوبي ، فقلق من ذلك ابن البارزي ، وتَعَصَّب له صَهره الأمير يُزُوك الظاهري ، فسأل السلطان أن يكون الحاكم بينهم قاضي الحنفية السَّعد بن الدَّيْرِي ، وأن يكون الأمر بحضرته ، فأجابته إلى [٢٦٥] ذلك ، فاجتمعوا يوم الاثنين ثالث عشر شهر رجب هذا ، ثم انتظم الحال بينهما على أن يستمرَّ بناء ابن البارزي على حاله ، والتزم ابن مُزْهَر أن لا يقع بُرُوزٌ من القاضي عَلَم الدين ، ونزلوا على ذلك ، ونقلوا عن الشافعي ، أنه رسم على ابن البارزي عشرة رجال ، فبلغ السلطان ذلك ، فاغتاظ منه ، فأطلقه من التَّريسيم .

وفي هذا اليوم ، وصل قاصِد من عند الحُسام محمد بن العِماد ، والشهير بابن بُرَيْطِع الغزاوي الحنفي ، يخبر أنه وصل إلى الخانكة ، وأنه يريد منزلاً ، فهىء له منزل في ناحيتنا ، برجة ^(١) العيد ^(٢) .

وفي يوم الثلاثاء رابع عشره وصل ، وفي يوم الخميس سادس عشره سلَّم على السلطان ، واجتمع بالحميد بن أبي حنيفة ، واصطلحا ، وتعاهدا على الاتفاق على ابن قاضي عجلون .

(١) رجة : جاء في « خطط المقرئ » (٢ / ٤٧) ، الرجة بإسكان الحاء وفتحها ، الموضع الواسع ، وجمعها رحاب ، وهي كثيرة لا تتغير إلا بأن يبنى فيها ، فتذهب ويبقى اسمها ، أو يبنى فيها ويذهب ويجهل ، وربما انهدم بانيان وصار موضعه رجة أو داراً أو مسجداً .

(٢) رجة العيد : أو رجة باب العيد ، كان أولها من باب الريح إلى خزانة البنود ، وهي رجة واسعة في الطول والعرض ، يقف فيها العساكر في أيام مواكب الأعياد ، ينتظرون ركوب الخليفة ، وخروجه من باب العيد ، ويذهبون في خدمته لصلاة العيد بالمصل خارج باب النصر ، ولم تزل هذه الرجة خالية من البناء إلى ما بعد سنة ٦٠٠ هـ ، فاخطأ بها الناس ، وبنوا فيها الدور والمساجد ، وصارت خطة من أجل أخطاط القاهرة .

« خطط المقرئ » (٢ / ٤٧) .

وفي هذا الحدّ مرض بعض الأمراء ، فطلب بعض فَجَرَةِ الظاهريّة جَقَمَقَ مِنَ السُلطان تعيينهم لِأَمْرَتِهِ ، فأبى أَنْ يُعَيِّنَ أَحداً لِرِزْقِ حَيٍّ ، وقال : إِيَّيْ [لا] (١) أَوْقَرُ أَحداً إِلَّا بِاتِّفَاقِ الْأُمراءِ عَلَيْهِ ، فَأَرْضَى الْأُمراءُ بِذَلِكَ ، وَتَنَمَّرَ أَوْلُثُكَ الْأَشْرارُ ، وَداروا على أمثالهم ، وشاع أَنهم اتفقوا على أَنْ يركبوا عليه أَوَّلُ شُعْبَانٍ ، ثُمَّ أَكْذَبَهُمُ اللَّهُ .

وفي آخِرِ شهر رجب هذا ، أَكْمَلْتُ مدرسة الْأَمير بُرْدُ بَكَ (٢) الدُّوَيْدَارِ الثَّانِي ، الَّتِي أَنشأَهَا بِرَحْبَةِ الْأَيْدُمُرِيِّ (٣) .

شعبان

وفي يوم الثَّلاثاءِ مُسْتَهْلُ شُعْبَانِ سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِّينَ (٤) هَذِهِ جَمَعَ بِهَا أَصْحَابُهُ ، وَطَبَخَ أَطْعَمَةً كَثِيرَةً جَدًّا ، وَدَعَى لِقَضَاةَ وَالْأَكابرَ ، وَقُرِئَ بِهَا الْقُرْآنُ ، وَمُدَّتْ أَسْمِطَةٌ هَائِلَةٌ ، وَفُرِّقَ عَلَى الْفُقَرَاءِ مِنْ تِلْكَ الْأَطْعَمَةِ ، وَأَوْقِدَتْ بِهَا قَنَادِيلُ مُتَكَاثِرَةٌ ، وَفِي الرَّقَاقِ الَّذِي عَلَى بَابِهَا ، أُخْبِرْتُ أَنَّهُ كَانَ رَاتِبُ الزَّيْتِ لَذَلِكَ فِي كُلِّ يَوْمٍ قَنْطَارٍ مِصْرِي .

وَاجْتَمَعَ هُنَاكَ مِنَ الْخَلْقِ رِجَالًا وَنِسَاءً ، وَكِبَارًا وَصِغَارًا ، مَا يَغِيرُ ضَبْطَهُمْ ، وَاسْتَمَرَ هَذَا دَائِبَهُ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ وَالْخَمِيسِ ، وَجَعَلَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ مَجْلِسُ الْبُخَارِيِّ ، الَّذِي كَانَ فِي بَيْتِهِ بِهَا ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ رَابِعَهُ خَطَبَ بِهَا الْقَاضِي كَاتِبُ السَّرِّ مُحَمَّدُ بْنُ الدِّينِ بْنِ الشُّحْنَةِ الْحَلَبِيُّ الْحَنْفِيُّ .

(١) ما بين الحاصرتين ، غير واضح الرسم في الأصل ، والتصحيح من مفهوم السياق .

(٢) مدرسة بُرْدُ بَكَ : تقع بخط قناطر السباع ، تجاه الجامع الزيني ، فوق الخليج الحاكمي ، وهي جامع المحكمة .

«الخطط التوفيقية» (٤ / ٦) .

(٣) رُحْبَةُ الْأَيْدُمُرِيِّ : من جملة رُحْبَةِ بَابِ قِصْرِ الشُّوقِ ، عُرفت بِالْأَيْدُمُرِيِّ ؛ لِأَنَّ دَارَهُ هُنَاكَ ، وَهُوَ مَمْلُوكُ عِزِّ الدِّينِ الْأَيْدُمُرِيِّ الْخَلِيِّ نَائِبِ السُّلْطَانَةِ فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَيْبَرَسَ ، وَتَرَقَّى حَتَّى تَأَمَّرَ فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَيْبَرَسَ ، وَعَلَتْ مَنْزِلَتُهُ فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ ، وَمَاتَ سَنَةَ ٦٨٧ هـ .

«خطط المقرئ» (٤٨ / ٢) .

(٤) وثانمائة .

وقيل أن المرقى دعا لواقف المكان ، فقال : رحمه الله ، وهي في عُرْف
النَّاسِ دَعْوَةٌ تَخْصُ الْمَيِّتَ ، وَذُكِرَ عَنِ الْخَطِيبِ أَنَّهُ تَوَقَّفَ فِي الْخُطْبَةِ ، وَأَنَّهَا
(مع كونها مناسبة في نفسها) ليست في البلاغة والمناسبة لمقتضى الحال ،
كما كان يُظَنُّ به ، وَأَنَّهُ غَلَطَ فِي الْقِرَاءَةِ فِي الصَّلَاةِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ قَرَأَ فِي الرُّكْعَةِ
الْأُولَى : ﴿ إِنَّمَا يَعْزُمُ مَسْجِدَ اللَّهِ مِنْ أَمَنِ اللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ ^(١) ، فَلَمَّا
وَصَلَ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ أَجْعَلْنَاهُ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ أَمَنَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ ^(٢) ، فَارْتَجَّ عَلَيْهِ ، فَرَجَعَ إِلَى مَا قَبْلَهَا ، لَعَلَّهُ يُفْتَحُ
عَلَيْهِ ، فَقَالَ شَخْصٌ مِنْ وَرَاءِهِ : ﴿ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَعَاتَى الزَّكَاةَ ﴾ ^(٣) .
فَأَخْطَأ ، فَظَنَّهُ الْمَحْبُوبُ مُصِيبًا فَأَخَذَهَا مِنْهُ ، فَلَمْ تَنْتَظِمْ لَهُ ، فَردَّ عَلَيْهِ غَيْرُهُ
الصَّوَابَ قَائِلًا : ﴿ وَجَاهِدْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ^(٤) ، وَشَخْصٌ مُحْطًا كَالْأَوَّلِ ،
فَسَبَقَ إِلَيْهِ صَوْتُ الْمُخْطِئِ ، وَاسْتَمَرَ هَكَذَا مِرَارًا ، حَتَّى سَمِعَ الصَّوَابَ ،
فَمَضَى عَلَيْهِ ، وَقَدْ انْفَعَلَ فَأَكْمَلَ الرُّكْعَةَ ، ثُمَّ قَرَأَ فِي الثَّانِيَةِ : آيَةَ النُّورِ
﴿ فِي بُيُوتِ الَّذِينَ أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ مِنَ الْبَلَدِ وَغَيْرِ
رُؤْسَانِهَا ، وَاشْتَدَّ الزُّحَامُ ، حَتَّى لَمْ يَتِمَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ مِنْ تَصْحِيحِ
صَلَاتِهِ ، وَحَكَمَ الْقَاضِي الْحَنْفِيُّ السَّعْدُ بْنُ الدَّيْرِيِّ عَقِبَ الصَّلَاةِ ،
بِصَحَّةِ التَّجْمِيعِ بِهَا ، وَخَلَعَ الْأَمِيرُ عَلَى الْخَطِيبِ ، خِلْعَةً حَسَنَةً ، فَلَبَسَهَا ثُمَّ
الْبَسَهَا ابْنُهُ عَبْدُ الْبَرِّ .

وفي يوم الأربعاء ثاني الشهر ، لعب السلطانُ بِالْكُرَةِ عَلَى الْعَادَةِ ،
فَحَصَلَ فِي لِحَامِ فَرَسِهِ مَا يَنْبَغِي تَغْيِيرَهُ ، فَلَمَّا خُلِعَ حَمَلُ بِهِ قَبْلَ وَضْعِ
اللِّجَامِ فِي فَمِهِ ، وَاسْتَمَرَ يَجْرِي إِلَى طَرَفِ الْحَوْشِ أَشَدَّ الْجَرْيِ ، فَضَرَبَهُ
بِالصُّوْبَانِ ^(٦) عَلَى وَجْهِهِ لِيَنْكُفَّ فَاذْدَادَ جَرِيًّا ، وَرَجَعَ فُسَّاقٌ مَنْ كَانَ

(١) التوبة / ١٨ .

(٢) التوبة / ١٩ .

(٣) التوبة / ١٨ .

(٤) التوبة / ١٩ .

(٥) النور / ٣٦ .

(٦) الصُّوْبَانُ : عصا معقوف طرفها ، يُضْرَبُ بِهَا الْفَارَسُ الْكُرَّةَ ، وَمِنْهُ صَوْبُكَانُ الْمَلِكِ ، وَهِيَ

عصا يحملها الملكُ ترمز لسلطانه . « المعجم الوسيط » (١ / ٥١٩ - ٥٢٠) .

حاضراً ليرُدَّوه ، فازداد ، فحَضَنَ عَنْقَهُ فَضَعَفَ بَعْضُ الضَّعْفِ ،
واجتمعوا عليه ، فضاقت عليه المجال ، فقام به على رجليه ، فصاح كُلُّ
مَنْ هُناك : يا مولانا ، انزل ، فنزل ، ووصل إلى الأرض واقفاً ؛ فهابه كُلُّ
مَنْ حَضَرَ ، ورأوا من فروسيته وثبات قَلْبِهِ ما عَرَفَهُمْ مِقْدَارَهُ .

[٢٦٦] وفي هذا الحد ذكر [حسن بن علي] ^(١) بن المرجوشي ^(٢)
التاجر ، لقاضي المالكية الحسام بن حُرَيْز ، أَنَّ لَهُ حَقّاً عِنْدَ نَاصِرِ الدِّينِ
الغَزِّيِّ الشهير بابن غُزِّي ، فأرسل إليه لِيَحْضُرَ ، فعصى على الرُّسُلِ ،
فأَمَرَ بِإِحْضَارِهِ غَضَباً فَأُحْضِرَ ، فعزَّزَهُ على امتناعه عن مجلس الشَّرْعِ ،
فيقال أَنَّهُ ضَرَبَهُ سِتْمَاةَ عَصَا ، وَعَلَّقَ خُفَّيْهِ فِي رِقْبَتِهِ ، وأمر به إلى سِجْنِ
الدَّيْلَمِ ^(٣) ، فَشَقَّتْ بِهِ الْقَصَبَةَ ، وهو كذلك إلى السجن ، وكان ابن غُزِّي
هذا يُبَاشِرُ لِلسُّلْطَانِ قَبْلَ السُّلْطَنَةِ على مَالِهِ في دِمَشْقٍ مِنَ التَّعَلُّقَاتِ ،
وكان مُضْحَكاً ، فكان يتمسخر له فيضحكه ، فكان يخف عليه ، فلما وليَ
السلطنة أَبْقَى تِلْكَ التَّعَلُّقَاتِ فِي دِيْوَانِهِ ؛ لِأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ تَتَعَلَّقُ بِالْأَمْرِ
الكُبْرَى ، وأبقى هذا مباشراً عليها ، فَقَدِمَ لَذَلِكَ ، فلما بلغ السلطانَ ما
فَعَلَ بِهِ عَظُمَ ذَلِكَ عَلَيْهِ جِدّاً ، فَأَعْلَمَ ابْنُ الْمَرْجُوشِيِّ بِذَلِكَ فَأُخْرِجَ مِنَ
السَّجْنِ .

(١) ما بين الحاصرتين بياض في الأصل ، والتصحيح من « الضوء اللامع » (٣ / ١١٩ رقم
٤٥٨) ، وهو : حسن بن علي البدر المرجوشي ، كان شيخاً تاجراً في الشرب ، ونحوه ، خيراً مقرباً
لِلصالحين وأهل الفضل ، مات عن أزيد من سبعين سنة بعد ٨٥٠ هـ .

(٢) نسبة لسوق أمير الجيوش .

(٣) « الضوء اللامع » (١١ / ٢٢٦) .

(٣) ذكر (المقرئ) في « خطه » (٢ / ١٨٧) بأنه بقلعة الجبل من مصر .

وفي هذا الحدّ ، بلغنا أنّ الإمام العلامة القدوة سراج بن مسافر ^(١) بن زكريّا الرّومي الحنفي مات ، وكان مجاوراً بالقدس الشريف من مدة تُقارب ثلاثين سنة ، وكان عالماً بالعلوم العقليّة والفقه ، وكان ورعاً زاهداً ، في قلبه النّار من اعتقاد أهل بلاد الرّوم ، لكلام ابن عربي ، وإقبالهم على كتبه ، مهتماً بأمر الدّين ، مُتخلّياً عن الناس وكان قد قارب السبعين رحمه الله .

وفي يوم السّبت ، ثاني عشر شعبان سنة خمس وستين ^(٢) هذه ، وصل رسولٌ من عند بنت ابن عثمان عمّة السلطان محمد ، صاحب الرّوم الآن يُخبرُ أنّها وصلت إلى دمشق حاجّة .

ورسول ^(٣) من عند ابن قرمان الذي كان أخذ طرسوس ، وأفسد في هذه المملكة على أيّام الأشرف ، يُخبرُ أنّه محبٌ للسلطان ، وراغبٌ في القرب من خاطره ، وهذه من أسباب السّعادة لهذا السلطان ، وهي الخضوع في أوّل سنة ملكه من استخفّ بأبيه عند تمكّنه ، والله المسؤول في حسن التّمام .

وفي يوم الثلاثاء [خامس] ^(٤) عشره ، وقعت البطاقةُ بوصول يحيى بن جاتم ، نائب الشّام .

(١) هو : سراج بن مسافر بن زكريّا بن يحيى بن إسلام بن يوسف ، سراج الدين القيصري الرّومي ، ثم المقدسي الحنفي ، ولد سنة ٧٩٠ هـ ، أو ٧٩٥ هـ ، بالمشهد من الرّوم ، ونشأ هناك ، ثم ارتحل إلى بلاد العجم ، فقرأ بها العلوم العقليّة ، وسلك طرق التصوف ، قدم بيت المقدس سنة ٢٨٨ هـ فأقبل عليه الناس .

له ترجمة في «الضوء اللامع» (٣/ ٢٤٣ رقم ٩١٨) .

(٢) وثانئة .

(٣) جاء في : «النجوم الزاهرة» (١٦ / ٢٢٨) أن قدوم رسل السلطان إبراهيم بن قرمان كان في

يوم الاثنين ٧ شعبان .

(٤) في الأصل (رابع) ، والتصحيح من مفهوم السياق .

وفي يوم الأربعاء سادس عشره وَصَلَ^(١) ونزل عند الأمير قانصوه الأشرقي، زوج أُخْتِهِ، ثم سلّم على السلطان بكرة يوم الخميس، وذكر أنه أتى من عند والده للشفاعة في الأميرين : تَمَّ المؤيدي، وقائباي الشركسي أحد أتباع الظاهر جَقَمَق، المسجونين في إسكندرية.، فقال : نعم، ولكن اصبروا قليلاً، وعَلِمَ كُلُّ ذِي لُبٍ أَنَّ المقصود من هذا، إثارة فتنة، نسأل الله العافية بخذلان كل خائن؛ وذلك أَنَّ الأشرقيّ لما رَأوا تَقَاعُسَ الظَاهِرِيَّةِ والمؤيديَّةِ عن الاتفاق معهم على ما يريدون من إثارة الشر، أرادوا بهذا تَأَلَّفَ الفريقين، لِيَصِلُوا منها إلى ما يريدون.

وسأله أيضاً في أَنَّ يُضَيَّفَ إلى أبيه الرَّمْلَةَ والقُدُس على العادة القديمة لثائب الشام، وأن يزيد تمرّاز على إقطاعه زُرْع؛ فَإِنَّ إقطاعه لا يكفيه، فأجيب عن الأول بأنَّ له أُسُوَّةً مَن تَقَدَّمه، مِن قَائِبَايَ الحَمَزَاوي، وجُلْبَان، وأمثالهما من مدّة طويلة، وعن الثاني بأن تمرّاز اختار هذا الإقطاع بعد أن عَرَفَه، وَعُرِضَ عليه في حَلَب ما فيه فوق الكفاية فأبى، هذا إلى ما ينضم إلى ذلك من أَنَّ زُرْع في الدَّخِيرَةِ السلطانية، وأنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَعْلَمُ احتياج الدَّخِيرَةِ من سِنين متطاولة؛ لكثرة ما عليها من الكلف التي يكاد المتحصّل يعجز عنها.

وفي يوم الخميس، سابع عشره أَلْبَسَ السلطانُ الحسام بن حُرَيْز قاضي المالِكِيَّةِ [٢٦٧] خِلْعَةً؛ لَأَنَّهُ وَفَى ما عليه من تَعَلُّقِ بِلَادٍ في الصَّعِيد، يباشرها للسلطان، وكانت العادة أن يُرْسَلَ إليه الخِلْعَةُ، ولكنّه في هذا العام لبسها لما كان تحدث به من غيظ السلطان مما فَعَلَ بَابن غُزِّي، فأزال ما كان ظنّه بعضُ الناس من تَزَلُّزِهِ بذلك، والله المسؤول في أَنَّ يُؤَيِّدَ به الدِّينَ، وَيَعِزَّزَ به المسلمين.

(١) في النجوم الزاهرة (١٦ / ٢٢٨) أنه وصل في يوم الخميس ١٧ شعبان، راجع أيضاً

«بدائع الزهور» (صفحات لم تنشر) (٩١-٩٢).

وفي هذا الحدّ، كفى الله شرَّ العرب، وهم لبيد الذين كان السلطان أراد تجهيز العسكر إليهم بالبَحِيرَةِ، فأبى أهل الشَّرِّ، فطمع العرب حتّى وَصَلَ أذاهم إلى الجِيزَةِ، فَالْقَى قَيْوَمُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ في قلوبهم ما أَوْجَبَ أَنْ طلب كبيرهم محمد بن سعدان، الحضورَ إلى السلطان، فأرسل السلطان أَحَدَ الدَّوَيْدَارِيَّةِ، الأمير كَسْبَايَ المؤيَّدي، فأخَصَرَهُ، فخلع عليه السلطان، فلما رأى ذلك خَصَمَهُ الأميرُ مؤمن، طلب الحضورَ، فَأُذِنَ له، فَحَضَرَ، وَجِبِرَ، ثم طلب كلُّ منهما صلح الآخر، وكان لهما مُدَدٌ متطاولة على غَايَةِ الشَّرِّ والحرب، بحيث لا يُطْمَع في صلحهما، فالله المسؤول في إِصْلَاحِ النَّيَّاتِ، وتمهيد الأمور بغالب المقدور على أحسن وَجْهٍ .

وفي يوم السَّبْتِ تاسع عشر الشهر، تُوفِّيَ أَقْضَى القضاة، الفقيه الفاضل المَقْنَنُ الْمُقْتَبِي وَلِي الدِّين عبد الله ^(١) بن الزَّيْن عبد الرَّحْمَنِ بن محمد بن محمد بن شرف بن منصور بن محمود بن توفيق بن محمد بن عبد الله الزَّرْعِي الأصل الدمشقي الشافعي الشهير بابن قاضي عجلون، عن نحو ستين سنة، عن مَرَضٍ طويل امتدَّ به نحو ثلاثة أشهر .

وكان عَيْنُ نَوَّابِ الشَّافِعِيَّةِ بِدَمَشَقٍ وأكثرهم تَفَنُّنًا في العلوم، وأبصرهم بالقضاء، وأعظمهم تَحَرُّيًا، وأحسنهم شُكْلًا، وأغلاهم هِمَّةً، وأنقاهم عَرَضًا، وكان رفيقي في الطَّلَبِ على الشيخ تاج الدين بن بهادر، ولم يكن في إِخْوَتِهِ وَأَقَارِبِهِ مثله، وما خَلَفَ في النُّوَّابِ بِدَمَشَقٍ مثله في مجموع فضائله . وحَفِظَهُ للسانِهِ، وَقَمَعَهُ للجَبَّارِينَ، بعدم المشي في أَغْرَاضِهِمْ، والدَّبَّ عن عَرَضٍ مَنْ أَرِيدَ تَنَاوُلُهُ بحضورهم .

(١) له ترجمة في « الضوء اللامع » (٥ / ٢٤ رقم ٨٤)، وجاء فيه أن مولده كان في رمضان سنة

٨٠٥ هـ بعجلون، وهي من أعمال دمشق .

وَحَلَفَ ثَلَاثَةَ أَوْلَادٍ ذُكُوراً رَجَالاً ، علماء ، مُفَنِّينَ ، أَغْلَاهُمْ سِنّاً وَقَدَرًا
 الشيخ نجم الدين أبو الفضل محمد ، وكان غائباً عنه بالقاهرة ، قَدْ أَرَادَ
 اسْتِيطَانَهَا وَتَأَثَّلَ ^(١) بِهَا وَظَائِفَ تَدَارِيسَ ، وَإِفْتَاءَ دَارِ الْعَدْلِ ^(٢) وَذَلِكَ
 بِرِضَى وَالِدِهِ ، بَلْ بِأَمْرِهِ ، وَيَلِيهِ الْقَاضِي زَيْنُ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ^(٣) ، ثُمَّ
 الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ أَبُو بَكْرٍ ^(٤) ، خَلَفَهُ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرَ الْخُلَفَاءِ .

وَفِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ ، حَادِي عَشْرِي الشَّهْرِ ، أُلْبَسَ الْأَمِيرُ مُحَمَّدُ بْنُ جَانَمَ ،
 نَائِبُ الشَّامِ خَلْعَةَ السَّفَرِ ، وَسَافَرَ يَوْمَ السَّبْتِ ^(٥) سَادِسَ عَشْرِيَّةً ، وَلَمْ
 يُجِبْ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا جَاءَ فِيهِ ، وَأُقِيمَتِ الْحُجَّةُ فِي الْمَسَائِلِ الثَّلَاثِ الَّتِي سَأَلَهَا ،
 وَجَهَّهَ أَكْثَرُ النَّاسِ ، وَعَلِمُوا سُوءَ ضَمِيرِهِمْ .

(١) تَأَثَّلَ : تَأَصَّلَ وَثَبِتَ .

«المعجم الوسيط» (١ / ٦) .

(٢) دار العدل : هو الإيوان الكبير الذي يجلس فيه السلطان في أيام المواعيد ؛ للخدمة العامة ،
 وإقامة العدل في الرعية .

«صبح الأعيان» (٣ / ٣٦٩ ، و ٤ / ٤٤) .

(٣) هو : عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن محمد ، الشرف بن اللؤلؤي
 الدمشقي الشافعي ، المعروف بابن قاضي عجلون ، ولد سنة ٨٣٩ هـ بدمشق ونشأ بها ، وأخذ عن
 علمائها ، كما أخذ عن علماء القاهرة ، وناب في القضاء ، ومات في دمشق في ربيع الآخر سنة ٨٧٨ هـ .
 له ترجمة في «الضوء اللامع» (٤ / ٨٧ رقم ٢٥٠) .

(٤) هو : أبو الصدق أبو بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن محمد ، النقي الدمشقي
 الشافعي ، المعروف بابن قاضي عجلون ، ولد في شعبان سنة ٨٤١ هـ بدمشق ونشأ بها ، وأخذ عن
 علمائها ، وقدم القاهرة سنة ٨٦٠ هـ فأخذ عن عدد من علمائها ، وصار رئيس الشام والمشار إليه
 فيها في الأفتاء ، وتكرر قدمه إلى القاهرة ، وتصدى للإقراء بالأزهر ، مات ضحوة الاثنين ١١ رمضان
 سنة ٩٢٨ هـ .

له ترجمة في : «الضوء اللامع» (١١ / ٣٨ رقم ١٠٣) ، و «شذرات الذهب» (٨ / ١٥٧ -
 ١٥٨) .

(٥) في «النجوم الزاهرة» (١٦ / ٢٢٩) كان سفره يوم الجمعة ٢٥ شعبان .

وكان من لطف الله بالعباد في تمهيد الله لهذا السلطان أن جَانَم نائب الشام أساء عشرته مع أكثر أمراء دمشق ، لا سيما الحاجب ، ومع أهل دمشق ؛ بعدم ولاية ابن شبل للحسبة ، مع تفويض الأمر ذلك إليه بسؤاله ، هذا مع ما ألقى الله في قلوب جميع الناس من محبة السلطان ، فكان أهل دمشق يقولون : مهما خالف نائبنا وأذن السلطان لنا فيه كفينا إرسال عسكر ، ولم نبت له أثرا .

ومن ذلك أنه أساء إلى جميع من حوله من شيوخ البلاد ، العشير ، والعرب ؛ وذلك بأن خزن داره مئتي على اللوم ، وعنده هو غاية القابلية لذلك ، فشنع من البقاع مقدم حارة ^(١) ، وأفسد أهل الزبداني ، وشنت عليهم ، وأغضب مقلد أمير عرب حوران ، وابن متروك أمير حارثة ، وابن عبد القادر ، وابن مشاق ، شيخ جبل نابلس ، وألح في طلبهم ، وأن لا يلبس أحد منهم خلعة السلطانية إلا من بين يديه ، فأجابه السلطان لذلك ؛ فخافه كل هؤلاء ، وألقي في قلوبهم ، أن من قابله قتل ، فصاروا كلهم [أعداؤه] ^(٢) يحيطون به ، وكان ذلك من الألفاظ الخفية ، فإنه لو أراد أن يعصي ، منعه خوف هؤلاء من ذلك ، أو أخره إلى استصلاحهم ، فيمضي على ذلك زمان تثبت فيه أوتاد السلطان .

وكان السلطان أرسل إليه مالا ميرا ركب الشامي ، للحج من العادة ، وجعل تعيينه إليه ؛ لأنه أعرف بمن يصلح ، فعين الأمير محمد ^(٣) بن

(١) حارة : بطن من الإبراهيم ، من الأبي حسن ، من عشيرة السبخة التي تلتحق بالحديدين ، من عشائر الشام .

«معجم قبائل العرب» (١ / ٢٩٣) .

(٢) ما بين الحاصرتين في الأصل (أعداؤهم) ، والتصحيح من مفهوم السياق .

(٣) هو : محمد بن الأمير مبارك شاه الأتالي ، ناصر الدين الدمشقي ، حاجب الحجاب ، المعروف بابن مبارك ، ولد في حدود سنة ٨١٠ هـ ، عمل داوداً عند زوج اخته سودون النوروزي حاجب الحجاب بدمشق ، واستقر في عدة وظائف منها : مشددة الأغنام ببلاد الشام ، وحاجب =

مبارك الذي وُكِّلَ إليه أَمْرُ الْأَغْنَامِ السُّلْطَانِيَّةِ فِي كُلِّ سَنَةٍ ، فَأَرْسَلَ يَشْكُو مِنْ ذَلِكَ ، وَيَقُولُ : إِمَّا أَمِيرَ رَكْبٍ ، وَإِمَّا جَمْعَ الْغَنَمِ ، فَإِنَّهُمَا مَعًا لَا يَتَّقَانِ ، فَإِنَّ الْأَضْحَى قَدْ قَرُبَ ، وَلَا يُمْكِنُنِي جَمْعُ الْغَنَمِ مَعَ الْأَشْتَغَالِ بِالْحَجِّ .

فَبَانَ أَنَّ تَعْيِينَهُ لَهُ ؛ لِسَوْءِ طَوِيَّةٍ يُرَادُّ بِهَا تَعْطِيلُ أَمْرِ مَهْمٍ مِنْ أُمُورِ السُّلْطَانِ ، يَثِيرُ تَعْطِيلُهُ جَمِيعَ الْجُنْدِ ؛ لَمَّا يُؤَدِّي إِلَيْهِ مِنْ قَطْعِ عَوَائِدِهِمْ فِي [٢٦٨] الْأَضْحَى .

وَشَاعَ بَيْنَ النَّاسِ أَنَّ هَذَا إِنَّمَا هُوَ تَكَالِبٌ عَلَى الْعُضَيَّانِ ، طَمَعًا فِي الْمُلْكِ ؛ لَمَّا قَرَّرَ فِي ذِهْنِهِ أَبُو الْفَضْلِ التَّوَيْرِي ، خَطِيبَ مَكَّةَ ، مِنْ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ سُلْطَانِيَّةٍ ، وَزَادَ رُبُطُهُ فِي ذَلِكَ بِأَنْ عَاهَدَهُ أَنَّ ذَلِكَ إِذَا صَارَ يَكُونُ الْمَالُ الْمُتَحَصِّلُ لِلْخِزَانَةِ ثَلَاثًا ، بَيْنَهُ ، وَبَيْنَ خَزَنَدَارِهِ يُوسُفَ ، وَبَيْنَ أَبِي الْفَضْلِ ، وَهَذَا دَأْبُهُ ، مَعَ كُلِّ مَنْ يَصْحَبُهُ مِنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ ، كَذُولَاتِ بَايِ الْمُؤَيَّدِيِّ ، وَتَمْرُبُغَا الظَّاهِرِيِّ ، وَكَذَا كَانَ يُؤَكِّدُ ذَلِكَ قَاسِمُ الْمُعَرِّي ، شَيْخُ زَاوِيَةِ ابْنِ دَاوُدَ (١) ، وَكَانَ مِنْ شَيَاطِينِ الْمُتَصَوِّفَةِ ، قَدْ ضَمَّ إِلَى مَكْرِهِمْ ، جُرْأَةَ أَهْلِ بِلَادِ الشِّمَالِ عَلَى الْعِظَائِمِ .

فَلَمَّا جَاءَتْ مَكَاتِبُهُ ابْنُ مَبَارَكٍ بِذَلِكَ ، أَعْفَاهُ السُّلْطَانُ ، وَعَيَّنَ لِأَمْرَةِ الْحَجِّ

= الْحِجَابُ فِيهَا ، وَنِيَابَةُ حَمَّاءَ ، وَنِيَابَةُ طَرَابُلُسَ ، مَاتَ فِي رَجَبِ سَنَةِ ٨٧٩ هـ .

لَهُ تَرْجُمَةٌ فِي : «الضَّوءُ اللَّامِعُ» (٨/ ٢٩٦ رَقْم ٨٣٢) ، وَ«الدَّارِسُ» (١/ ٥٠١ - ٥٠٢) .

(١) زَاوِيَةُ ابْنِ دَاوُدَ : وَيُقَالُ لَهَا : الزَاوِيَةُ الدَّاوُدِيَّةُ ، بِسَفْحِ قَاسِيُونِ تَحْتَ كَهْفِ جَبْرِيلَ ، أَنْشَأَهَا الشَّيْخُ زَيْنُ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بَيْنَ دَاوُدِ الْقَادِرِيِّ الصُّوفِيِّ ، الْمَوْلُودِ سَنَةِ ٧٨٣ هـ ، وَالْمُتَوَفَّى لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ ٢٩ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ ٨٥٦ هـ ، وَقِيلَ أَنَّ الَّذِي أَنْشَأَهَا وَالِدُهُ أَبُو بَكْرٍ الْمُتَوَفَّى سَنَةِ ٨٠٦ هـ ، وَكَانَتْ مِنَ الزَّوَايَا الَّتِي لَا نَظِيرَ لَهَا بِدِمَشْقَ .

«الدَّارِسُ» (١/ ٢٠٢ - ٢٠٣) .

سَيِّدِي إِبْرَاهِيمَ (١) بن مَنْجُك وهو أَخْصُ أَهْلِ دِمَشْقِ بَنَاتِبِ الشَّامِ إِشَارَةً إِلَى أَنْ مَكْرَهَهُ قَدْ عَلِمَ ، فَقَوِيلَ بِمَثَلِهِ بَعْدَ إِبْطَالِهِ ، بِمَرْسُومٍ لَا يُمَكِّنُهُ رَدُّهُ .
وَفِي هَذَا الْحَدِّ شَكَا سُلْطَانُ الْخِرَافِيشِ بِمَصْرٍ شَخْصاً مِنْ مُعَامِلِي اللَّحْمِ لَهُ عَلَيْهِ ذَيْنَ ، فَرَسَمَ لَهُ بِخِلَاصِهِ ، وَكَانَ رَئِيسَ الْمُعَامِلِينَ (وَهُمْ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ لَحْمَ الْجَنْدِ لِلْوَزِيرِ) يُقَالُ لَهُ : الْبَيَّائِي (بِمَوْحَدَتَيْنِ وَمَد) وَهُمْ قَوْمٌ لَا يُمْكِنُ مُعَارَضَتُهُمْ ؛ لِأَنَّهُمْ يَجْتَمِعُونَ ، فَيُنَالُوا بِمَنْ شَاءُوا ، وَلَا يُقَدَّرُ أَنْ يُنَالَ مِنْهُمْ ، فَإِنْ أَغْيَاهُمْ أَمْرٌ اسْتَعَانُوا بِالْمَالِكِ الْأَجْلَابِ ، فَلَا يُقَاوِمُهُمْ أَحَدٌ ، وَإِنْ اشْتَدَّ الْخَطْبُ عَطَّلُوا يَوْماً مِنَ اللَّحْمِ ، وَاعْتَلَّوْا بِأَنَّ غَرِيمَهُمْ عَاقَهُمْ عَنْ ذَلِكَ ، فَيَحِلُّ بِهِ ، مَا يَحِلُّ عَنِ الْوَصْفِ .

وَكَانَتْ عَادَةُ الْمُلُوكِ مُدَارَاةَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ وَالْإِغْضَاءَ عَنْ مُسَاوِيئِهِمْ ، وَأَعْتَائَهُمْ رِئِيسَهُمُ الْبَيَّائِي ، فَمَنْعَ سُلْطَانِ الْخِرَافِيشِ حَقَّهُ ، وَخَلَّصَ خَصْمَهُ مِنَ الثُّبَاءِ ، وَقِيلَ : إِنَّهُ ضَرَبَ صَاحِبَ الْحَقِّ ، فَطَلَبَهُ السُّلْطَانُ ، فَأُخْضِرَ إِلَيْهِ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ ثَلَاثَ عَشْرِي شَعْبَانِ هَذَا ، فَأَحْضَرَ مَعَهُ جَمِيعَ الْمُعَامِلِينَ ؛ لِيُصَيِّحُوا قُدَّامَ السُّلْطَانِ كَمَا هِيَ عَادَتُهُمْ ، فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا أَنَّ حَضَرَ ، فَأَمَرَ بِضَرْبِهِ ، فَصَارَ يُضْرَبُ ، وَهُوَ يَقُولُ لَهُ : عَطَّلَ اللَّحْمَ غِداً ، وَتَبَدَّدَ جَنْدُهُ مِنَ الْمُعَامِلِينَ ، فَكَانَ الْفَائِزُ مِنْهُمْ الَّذِي يَرَى أَنَّهُ قَدْ نَجَا ، فَلَمْ يَزَلْ يَضْرِبُهُ إِلَى أَنْ سَلَخَ جِلْدَهُ ، وَهُوَ يَقُولُ لَهُ : أَنَا لَا أَضْرِبُكَ إِلَّا لَتَعْطِيلِ اللَّحْمِ غِداً عَلَى عَادَتِكَ ، حَتَّى تَرَى مَا يَكُونُ ، وَتَعْرِفَ إِنْ كَانَ اللَّحْمُ مِنْ مَالِكَ ، أَوْ مِنْ مَالِي ، فَوَصَلَ صَاحِبُ الْحَقِّ إِلَى مَا أَرَادَ ، وَامْتَلَأَتِ الْقَاهِرَةُ بِهَذَا الْحَدِيثِ ، وَحَصَلَ لَهُمْ بِإِهَانَةِ هَذِهِ الطَّائِفَةِ وَخُصُوصاً هَذَا الرَّجُلِ مِنَ السُّرُورِ مَا لَا يُوصَفُ ، وَكَانَ لَهُمْ مِنَ الدَّعَاءِ لِلْسُّلْطَانِ أَمْرٌ عَظِيمٌ ، زَادَهُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ .

(٢) هو : الأمير العوفي الغياثي المهامي الصارمي إبراهيم بن الأمير سيف الدين منجك اليوسفي الناصري ، قتل بوقعة الأمير نعيم سنة ٨٨٨ هـ .

له ترجمة في «بدائع الزهور» (طبعة بولاق) (٢/ ٢١٧) ، و«الدارس» (٢/ ٤٤٤) .

وفي يوم الثلاثاء ، ثاني عشري الشهر ، وصل قاضي الحنفية بدمشق ،
العلاء علي ابن قاضي عجلون ، الجاهل ، السفاسق ، العاق ، لا صحبه
الله .

وفي يوم الخميس رابع عشريه ، سلم على السلطان ، وقد دار على
المباشرين والأمراء ، وأرضى الجميع بالمال ، لما يعلم من أنه لا مروج له
غير ذلك من سن ، ولا علم ، ولا دين ، ولا سابقة خير .

ثم أخرج كتاباً من نائب الشام يُثني عليه فيه بالعفة والعلم ، هذا مع
أنه لا يعرف مسألة من المسائل مطلقاً لا مُتقنة ولا غير مُتقنة ، ولا أظنه
قط طالع في كتاب ، فلا جزى الله الكل خيراً ، ولما قرىء كتاب نائب
الشام دعمه المباشرون بما سيلقونه يوم تبيض وجوه ، وتسود وجوه ، وكان
متولي كبر [٢٦٩] ذلك كاتب السر ، فبان بذلك مضموماً إلى قرائن
أخرى أنه لا غرض له في تقديم مستحق ، وبان أنهم لم يطلبوا الحميد
والحسام ؛ إلا لأكل هذا الجاهل .

وكان مع كتاب نائب الشام ، وتأيد من أيده ، قد جعل للسلطان
ألفي دينار ، فراج حاله ، وأتقن له ذلك سوء تصرف الحميد والحسام ،
فانتهما كانا يُظهرا الاتفاق ، وهما أشد شىء تخالفاً ، وكل منهما يلوس^(١)
الأخر ، وأشدهما في ذلك الحميد ؛ فإنه أظهر أول ما قدم أنه لا غرض له
في القضاء بوجه من الوجوه ، ولو غرض عليه ما قبله ، ثم صار يغار
عليه ممن يذكر اسمه فقط .

(١) يلوس الآخر : ينال من الآخر .

« المعجم الوسيط » (٢ / ٨٤٦) .

وكان الحسام لا يسعى إلا في مدارس بيد ابن قاضي عجلون أنظارها ،
وتدريسها ، وكاننا مع ذلك يجتمعان بالسلطان بغير واسطة كاتب السر ،
ولا يسمحان بالتردد إليه ، فتخيّل منهما .

ثم طلعا يوم الخميس هذا ؛ ليسألّا السلطان في عقد مجلس لامتحان
ابن قاضي عجلون ، فصادفا السلطان قد دخل ليستريح ، وذلك في حرّ
شديد ، فرجعا ، فصادفا كاتب السر في القلعة ، فراقاه ، وتكلّم في ابن
قاضي عجلون ، فهما في ذلك ، وإذا هو قد طلع عليهما ، فكذّبا ،
فكذّباه ، وصاروا يتشامتون ، فصاروا سبّة .

ثم إنهما طلعا في عصر يوم الخميس هذا مع كاتب السر ، فسألا
السلطان في عقد مجلس لما تقدّم ، فأجابها ، بعد أن علّم أنّ كلام الحميد
بهوى نفس ، وواجهه بذلك ، وقال في غيته : إذا كان هذا يتكلّم هكذا
بحضرتي ، فكيف يكون كلامه في غيرها ؟ ! ، وعيّن للمجلس يوم الأحد ،
سابع عشري الشهر .

وكان في ليلة الخميس هذا ، أغني رابع عشري شعبان ، مات فيروز
النيروزي عن نحو تسعين سنة ، وكان في يده مع الخزندارية الزمامية ،
فسعى فيهما لؤلؤ [الرومي الأشرفي برّسبای الطواشي] ^(١) بخمسة عشر
ألف دينار فأجيب إلى ذلك .

وكان فيروز ظلماً ، غاشماً ، جماعاً ، مناعاً ، قليل الخير جداً ، فيقال :
أنّه وجد له مائة وخمسون ألف دينار ذهباً عينا ، وخلف من الجواهر ،
والقماش ، والخيول ، والغلال ، والآلات ، ما يعسر ضبطه .

(١) ما بين الحاصرتين بياض في الأصل ، والتصحيح من « هامش ٣ » من (ص ٣٦٢) من
القسم الأول .

وفي هذا الحد ، أنكر التاج إسماعيل بن الزهري البقاعي ، الذي كان إمام المنصور عثمان بن الظاهر جَقَمَق ، على بعض المجترئين مِنَ الرَّافِضَةِ في المدينة الشريفة أُمَرَأً ، وكان ذلك الرَّافِضِي مِنْ بلاد جَبَلِ عَامِلِه ، مِنْ معاملة صَفَد ، وكان يُنسب إلى عِلْم ، وكان غالياً في الرَّفُض ، مُعَظَماً عِنْدَهُمْ ، فذهب إلى نائب أمير المدينة ، فَذَكَرَ لَهُ ذلك ، فَأَحْضَرَ ابْنَ الزَّهْرِي ، وَضَرَبَهُ حَتَّى مَات .

وكان ابن الزهري هذا ، ساكِناً ، كثر الإنجماع عن النَّاسِ رَحِمَهُ اللهُ ، وأصله من قرية تُسمى بيت فار ، في بلادِ الْبِقَاع ، وكان قد انتقل إلى الْقَاهِرَةِ مِنْ مَدَّةٍ طَوِيلَةٍ ، وكان يسكن قلعة الجبل ، ويوم في جامع الخوش وأخبرني مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَنْ كَانَ يَسْمَعُهُ فِي هَذِهِ الْمَحَاوِرَةِ يَقُولُ فِي دَعَائِهِ : اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي شَهَادَةً فِي سَبِيلِكَ ، وَمَوْتاً فِي بَلَدِ نَبِيِّكَ ﷺ ، كَمَا كَانَ عَمْرُ الْفَارُوقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَدْعُو ، فَاسْتَجِيبْ لَهُ ، فَعَظُمَتْ مَشَقَّةُ ذَلِكَ عَلَى أَهْلِ السُّنَّةِ ، وَلَكِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ يَكْدٌ يَنْتَصِرُونَ بِهَا فِي الْمَدِينَةِ الشَّرِيفَةِ ؛ لِغَلْبَةِ الرَّافِضَةِ بِهَا ، فَلَمَّا حَجَّ النَّاسُ قُتِلَ خَصْمُهُ بِمَكَّةَ الْمَشْرِقَةِ كَمَا يَأْتِي .

وَبَلَغَ السُّلْطَانُ الظَّاهِرَ خُشْقَدَمَ ذَلِكَ فِي وَقْتِ تَوَجُّهِ الْحَاجِّ ، فَعَزَلَ أَمِيرَ الْمَدِينَةِ زُبَيْرِي ، وَوَلَّى شَخْصاً مِنْ آلِ جَمَّازٍ يُسَمَّى زَهِيْرًا ^(١) ، وَهُمْ يُظْهِرُونَ أَنَّهُمْ مِنَ السُّنَّةِ ، فَقَبَضَ زُبَيْرِي عَلَى قِضَاةِ الْمَدِينَةِ ، وَقَالَ : إِنَّ صَحَّ

(١) هو : زهير بن سليمان بن هبة بن حجاز بن منصور الحسيني ، أمير المدينة ، وليها بعد زبيري ، واستمر حتى مات في صفر سنة ٨٧٣هـ .

له ترجمة في «الضوء اللامع» (٣ / ٢٣٩ رقم ٨٩٥) ، و «بدائع الزهور» (طبعة بولاق) (١١٨ / ٢) .

أَيَّ عُرْزَلْت قَتَلْتَكُمْ ، فَإِنَّهُ لَمْ يُكَاتِبْ فِي شَأْنِي غَيْرَكُمْ ، فَاسْتَمَرَّتْ الْمَدِينَةُ
أَيَّامًا لَمْ يُصَلَّ فِيهَا جَمَاعَةٌ ، بَلْ وَلَا جُمُعَةٌ ، فَأَتَتْهُ أُمُّهُ ، فَشَفَعَتْ فِيهِمْ ، فَلَمْ
يَشْفَعْهَا ، فَأَغْلَظَتْ لَهُ ، وَحَلَفَتْ أَنَّهُ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ ، أَخْرَجَتْ ثُدَيَاهَا ،
وَخَرَجَتْ بَيْنَ الْعَرَبِ تُشَنِّعُ ، وَوَالَاهَا عَلَى ذَلِكَ ابْنُ عَمِّهِ ضُغَيْمٌ ^(١) أَخُو
الْأَمِيرِ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ ، وَقَالَ لَهُ : لَنْ فَعَلْتَ فِيهِمْ شَيْئًا ، لِيَكُونَ آخِرُ
عَهْدِ آلِ مَنْصُورٍ مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَنَحْنُ هَذَا فَأَطْلَقَهُمْ .

وَفِي لَيْلَةِ السَّبْتِ ، سَادَسَ عَشْرِي الشَّهْرِ ، سَافَرَ يَحْيَى بْنُ نَائِبِ الشَّامِ
رَاجِعًا إِلَى أَبِيهِ ، وَقَدْ ظَنَّ بِهِمْ وَبِجَمَاعَتِهِمُ الْأَشْرَفِيَّةَ الظَّنُونِ ، وَتَفَرَّتْ
الْخَوَاطِرُ مِنْهُمْ .

[٢٧٠] وَفِيهِ دَارُ كَلَامٍ بَيْنَ بَعْضِ النَّاسِ ، بِأَنَّ أَبَاهُ نَائِبَ الشَّامِ عَصَى
عَلَى السُّلْطَانِ .

وَفِيهِ لَمْ يَطْلُعِ الْأَمِيرُ بُرْدُوكُ إِلَى الْقَلْعَةِ ، وَلَمْ يَجْتَمِعْ فِي بَيْتِهِ بِأَحَدٍ ، وَوَكَلَ
بِالْبَابِ ، مَنْ يَقُولُ : إِنَّهُ لَيْسَ بِالْبَيْتِ ، وَلَمْ يُعْرِفْ سَبَبُ ذَلِكَ ، ثُمَّ عُرِفَ
أَنَّ سَبَبَهُ كَانَ عَارِضًا فِي بَدَنِهِ ، مَنَعَهُ الرُّكُوبَ ، وَخَشِيَ أَنْ يَكْثُرَ الْعَائِدُونَ لَهُ .

وَاسْتَغْنَمَ كَاتِبُ السَّرِّ غَيْبَتَهُ ، فَأَخَّرَ عَقْدَ الْمَجْلِسِ بَيْنَ قَضَاةِ الشَّامِ ؛
تَخْفِيفًا عَنْ ابْنِ قَاضِي عَجَلُونَ ، لِمَا يَعْلَمُ مِنْ جَهْلِهِ وَظُلْمِهِ ، فَعَجَّلَ لَهُ عَلَى

(١) هُوَ : ضُغَيْمُ بْنُ خَشْرَمِ بْنِ نَجَادِ بْنِ ثَابِتِ بْنِ نَعِيرِ بْنِ مَنْصُورِ الْحُسَيْنِيِّ ، أَمِيرُ الْمَدِينَةِ ، وَلِيَهَا
فِي شَوَالِ سَنَةِ ٨٦٩ هـ ، فَأَقَامَ نَحْوَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ثُمَّ انْفَصَلَ بِزَهْرِ بْنِ سَلْيَانَ ، ثُمَّ أُعِيدَ بَعْدَ مَوْتِهِ فِي سَنَةِ
٨٧٤ هـ فَاسْتَمَرَ إِلَى رَمَضَانَ سَنَةِ ٨٨٣ هـ ، فَانْفَصَلَ بِقَسِيْطِلَ بْنِ زَهْرِ بْنِ سَلْيَانَ .

تَرْجَمَ لَهُ (السَّخَاوِيُّ) فِي : « الضَّوْءُ اللَّامِعُ » (٤ / ٢ رَقْم ١) ، وَ « التَّحْفَةُ اللَّطِيفَةُ » (٢ /
٢٥٢ رَقْم ١٨٤٤) وَلَكِنَّهُ لَمْ يَحْدِّدْ تَارِيخَ وَفَاتِهِ إِلَّا أَنَّهُ ذَكَرَ بَعْضَ أَخْبَارِهِ فِي سَنَةِ ٨٩٨ هـ .

ذلك من العقوبة ، أنه وقف بفرسه عند البيسرية ، ليسلم على ناظر الجيش عند افتراقهما كلاً إلى بيته ، فوقعت به الفرس ، فطاح عنها ، فانصدع زنده ، وطارت عمامته عن رأسه إلى مدى بعيد ، وكانت وقعة هائلة .

فذكرتُ الأمير يوم الأحد سابع عشري الشهر بذلك ، وبيّنت له أنّ كاتب السر له غرض في تزكّه ، وهو ساع في ذلك بأنواع الحيل ، ليسم أمر ابن قاضي عجلون ؛ لأغراض ذكرتها له ، وأوضحته له ما يثمر ذلك من فساد الصورة ، وانهدام ما بناه السلطان من أوّل أمره ، إلى هذا الوقت ، من طيب الذكر ، واستجلاب الخواطر ، والله وليّ التوفيق .

وذلك لأن الحميد ، والحسام ، يدوران على الناس ، ويقولان : نحن عالمي الحنفية بدمشق ، وهذا ابن الإمام ، فأرسلوا إلى كلّ منّا مرسوماً ليخضّر ، فيُنصف ، فما كان حضورنا إلّا ليسنوا بنا هذا الجاهل ، ونحو هذا ، فعلم صحة ذلك ، فقام في إبرام المجلس وقبح على من أراد إبطاله .

ثم علم أنّ ابن قاضي عجلون وعد على إبقائه في منصبه للسلطان بألفي دينار ، ولكتاب السر بأربعمائة ، ولكل من المباشرين بشيء ، فالتزم الحميد ، بأن يقوم للسلطان بما وعد به ، فذكر ذلك له ، فأجابه إلى الولاية بذلك .

وفي يوم الأربعاء ، مستهل شهر رمضان من السنة ، وصل الخبر ، ب وفاة القاضي ولي الدين عبد الله بن قاضي عجلون الشافعي في تاسع عشر شعبان بدمشق ، كما مضى في موضعه (١) .

(١) راجع ص ٢٥٩ .

وفيه وصل المقدم محمود بن الحاج أبي بكر بن باكله العامري ، الذي كان مقدم بلاد الزَّبْدَانِي ، هَارِباً مِنْ خَزَنْدَار نَائِب الشَّام ، الْجَمَالِ يَوْسُف الصُّبَيْي ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يَعْمَل عَلَى شَنْقِهِ ، كَمَا فَعَلَ بِأَصْرَائِهِ ، فَإِنَّهُ صَحَّ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يُغْرِي إِسْمَاعِيلَ بْنَ يَوْسُف ، رَفِيقَهُ فِي التَّقْدِمَةِ عَلَى قَتْلِهِ ، وَذَلِكَ بِتَحْسِينِ قَاسِمِ الْمَعْرِي ، شَيْخِ زَاوِيَةِ ابْنِ دَاوُد ، فَإِنَّ إِسْمَاعِيلَ كَانَ صَاحِبُهُ ، وَهُوَ مِنْ شَيَاطِينِ الْمُتَقَرَّرَةِ ، وَكَانَتْ لَهُ قُدْرَةٌ عَلَى الدَّخُولِ فِي الظُّلْمَةِ ، وَالتَّقَرُّبِ إِلَى خَوَاطِرِهِمْ ، فَكَانَ لَهُ عِنْدَ جَانَمِ نَائِبِ الشَّام ، وَجَمِيعِ مَنْ يَلُودُ بِهِ وَصَلَةٌ تَزِيدُ عَنِ الْحَدِّ ، وَهُمْ مَعَ دَخُولِهِ فِي مَظَالِمِهِمْ وَحَمَلِهِمْ عَلَى كَثِيرٍ مِنْهَا وَتَرْبِئِهِ لَهُمْ ، يَعْتَقِدُونَ فِيهِ الْخَيْرَ ، بَلْ وَمَعَ مَشَاهِدَتِهِمْ لَهُ يُبَاشِرُ الظُّلْمَ لِنَفْسِهِ ، حَتَّى لَقَدْ بَلَغْنِي أَنَّهُ كَانَ يَشْتَرِي غَنَمًا هَزِيلًا ، وَيَذْبَحُهَا وَيُزِمُّهَا عَلَى الْحَامِي الصَّالِحَةِ .

فَلَمَّا قَتَلَ اللَّهُ الْمُقَدِّمَ إِسْمَاعِيلَ عَلِيَّ يَدِ جَمَاعَةِ مُحَمَّدٍ كَمَا مَضَى ، وَخَرِبَتْ بِلَادُ الزَّبْدَانِي عَلَى يَدِ قَاسِمٍ ، وَفَرََّ مُحَمَّدٌ ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ ، شَرَعَ يُظْهِرُ الْحُلُمَ عَنْهُمْ ، بِإِقَامَةِ مَعَاضِيرِهِمْ ، وَلَمْ يَزَلْ حَتَّى وَرَدَ كُلُّ مَنْ كَانَ مَعَ مُحَمَّدٍ هَارِباً ، وَزَادَ فِي إِكْرَامِهِمْ ، وَلَآنَ لِمُحَمَّدٍ حَتَّى كَادَ أَنْ يَقَعَ .

ثُمَّ اسْتَمَرَ إِلَى أَنْ نَزَلَ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ بَعْضُ أَصْحَابِ شَرِبَاشِ أَمِيرِ سِلَاحٍ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ جَارِيَةِ خَوْنَدِ شَقْرَاءِ بِنْتِ النَّاصِرِ فَرَجَ (١) ، زَوْجَةُ

(١) جاء في «الضوء اللامع» (١٢ / ٦٨ رقم ٤١٥) شقراء ابنة الناصر فرج بن برقوق وأم محمد بن جرباش ، زوجها أبوها للملوك جرباش .
وجاء في «بدائع الزهور» (طبعة بولاق) (٢ / ٢١٤) أنها ماتت في جمادي الأولى سنة ٨٨٧ هـ ، وقد كانت من مشاهير الخواندات .

شَرِبَاش ، فطلب محموداً إليه في شهر شعبان من هذه السَّنة فأخْضَرَه
على نائب الشام وَخَزَنَدَارِه ، فأظْهَرَ قَبُولَه ، وَأَنَّهُمَا يُعِيدَانِه إِلَى التَّقْدِمَةِ
كَعَادَتِه ، ثم عَلِمَ مِنْهَا الْعَدْر ، فَفَرَّ مِنْ دِمَشْقَ قَبْلَ خُرُوجِ الْأَمِيرِ الْمَذْكُورِ ،
وَانْتَظَرَه فِي غَزَّةَ إِلَى أَنَّ قَدِمَ ، فَقَدِمَ مَعَه عَلَى أُمِّه ، وَكَانَتْ عِنْدَ مَوْلَاتِهَا
شَقْرَاءَ زَوْجَةِ شَرِبَاش ، فَأَحْسَنَ تَلْقِيَهَ وَإِكْرَامَه ، وَاسْتَمَرَّ مُقِيمًا عِنْدَه .

وفي يوم الجمعة ثالث شهر رمضان هذا سافر الشيخ نجم الدين محمد
ابن القاضي وَلِي الدِّين عبد الله بن قاضي عجلون ؛ لعمل مصالح ما
خَلَّفَه أبوه ، وَمُؤَاسَاةَ عِيَالِه عَلَى مَا طَرَقَهُمْ مِنَ الْمُصِيبَةِ بِمَوْتِه .

ثم بلغنا أَنَّهُ مَاتَ فِي هَذَا الْيَوْمِ بِدِمَشْقَ الشَّيْخُ الْمُعْتَقَدُ أَحْمَدُ الْعَدَّاسُ
الدِّمَشْقِيُّ الْقَادِرِيُّ ، وَكَانَ أَمَّارًا بِالْمَعْرُوفِ ، وَلَهُ زَاوِيَةٌ أَنْشَأَهَا بِنَاحِيَةِ قَنَاةِ
الْعَوْنِيِّ^(١) ، خَارِجَ بَابِ الْفَرَادِيسِ مِنْ دِمَشْقَ .

وفي يوم السبت ، رابع الشهر ، وَصَلَ الْأَمِيرُ عبد العزيز بن مغلاق
الرَّمْلِيُّ ، نَاطِرَ الْقُدْسِ وَالْخَلِيلِ ، وَمَعَهُ شَيْخُ الْخَلِيلِ ، السَّرَاجُ عَمْرُ بْنُ
الْجَعْبَرِيِّ ، وَمُبَاشِرُوا أَوْقَافِ الْبَلَدَيْنِ ، وَنَزَلُوا فِي مَدْرَسَةِ السُّلْطَانِ حَسَنَ ،
وَكَانَ عبد العزيز هذا ، مِنْ تِيُوسِ النَّاسِ الْعَرِيقِينَ فِي الْجَهْلِ وَالتَّجَبُّرِ عَلَى
مَنْ يَسْتَضِعُّعُه ، وَالذَّلَّةِ لِمَنْ يَضْعُفُ عَنْهُ ، مَعَ بَعْضِ خِدَاعٍ لَا يَكَادُ يَتَأَتَّى
إِلَّا بَعْدَ مَقَارَعَةٍ .

كَانَ الشَّيْخُ كِمَالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ النَّاصِرِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي شَرِيفِ الْقُدْسِيِّ ،
وَأَخُوهُ الْبِرْهَانُ إِبْرَاهِيمُ أَوْحَدِيُّ أَهْلِ الْقُدْسِ فِي زَمَانِهَا ، عِلْمًا وَدِينًا وَعَقْلًا ،
وَكَانَ الشَّيْخُ كِمَالُ الدِّينِ لَمَّا قَدِمَ الْقَاهِرَةَ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ ، سَأَلَ أَنْ يُزَادَ فِي

(١) قَنَاةُ الْعَوْنِيِّ : أَوْ ابْنُ الْعَوْنِيِّ ، تَقَعُ قَرَبَ جَامِعِ الْجُوزَةِ فِي مَحَلَّةِ الْفَرَازِينِ فِي الْعِمَارَةِ الْبَرَانِيَةِ .

» الدَّارِسُ « (١ / ٣٩٦) (هَامِش ٢) .

معلوم تصديره ، وتصدير أخيه البرهّان ما يبلغ مائتي درهم في كلّ شهر ، وذلك ، لا يبلغ مقدار معلوم بغض من لا يُحسن مسألة ، ولا نفع به من أهل البلد .

فلما أُرْسِلَ المرسوم المربع به ، صَادَفَ الناظر على عَزَمِ السَّفَرِ ، فوعد أنّه يُمضيه بالقاهرة ، فلما قَدِمَ أعطاه الكمالُ قِصَّةً بذلك ، فأكثر الشّاء عليه ، وأنّه مُسْتَحِقٌّ لِأَضْعَافِ ذلك ، وأنّه مما يَسْرُهُ ، وسأل الإمهال في إِمضائِهِ إلى الرجوع إلى القُدُس ، فانخَدَعَ له الكمالُ ، ثم ظهر له أنّ ذلك غير صحيح .

فكَلِمْتُ الأمير بُرْذُوكَ في شأنِهِ ، فأخذ القِصَّةَ ، ووَعَدَ بقضائها ، وكان الكمالُ حَضَرَ عنده في هذه السَّنَةِ مجلسَ البخاري ، وبحث ، فأجاد وأبْدَى فوائدَ كثيرة ، فحضرنا يوماً ، فإذا الناظرُ حاضِرٌ ، وشيخ حرم الخليل السّراج عمر بن الجعبري ، وكان قد نُقِلَ إلى أنّ الشّيخ كمال الدين تَسَبَّبَ في إثبات بلد في بلاد الرَّمْلَةِ ، يُقال لها الأخصاص ، يوقف الخليل ، شركة لغيره ، بعد أن كان البرهّان بن جماعة أثبت لناس ادّعوها مُحَضَّرًا ، وأراد حَسَمَ أمرها من الوقف .

فسألتُ الأمير عن القِصَّةِ ، فرأيتُه كمن انحَلَّ عنها انحلالاً عظيماً ؛ بسبب أنّ الناظر أثبت في ذهنِهِ أنّ باب الزيادة إنّ سُمِحَ بِتَمْشِيَةِ قضية منه ، حَصَلَ شَرٌّ كبيرٌ ، وانفتح به بابٌ لا يكاد يُسَدُّ ، ونحو هذا من الخيالات ، فقلت : إنّ هذا خيالٌ فاسِدٌ ، إذا فُتِحَ بابُ لِأَمِيرِ المؤمنين ، ثم جاء بعده زَبَّالٌ يريد فَتْحَهُ له كما فُتِحَ لِأَمِيرِ المؤمنين أشبعه كل من سمعه صفعاً . سَلِ الحاضرين هل في القُدُس من يَعدِلُهُ ، أو [يَعدِل] ^(١) كلامُهُ

(١) في الأصل (يعد) ، والتصحيح من مفهوم السياق .

كلامه ، إنه استنفد بَلَدَ الْأَخْصَاصِ للوقف ، بَعْدَ أَنْ كَانَ ابْنُ جَمَاعَةَ أَرَادَ انْتِزَاعَهَا مِنْهُ ، وَأَعْطَاهَا لِنَاسٍ ادَّعَوْهَا ، وَأُثْبِتَ لَهُمْ نَسَبًا رَاجَ أَمْرُهُ عَلَى كُلِّ مَنْ حَضَرَ الْمَجْلِسَ مِنَ الْقُضَاةِ ، وَالنَّاطِرِ وَغَيْرِهِمْ ، فَلَمَّا عَجَزُوا أَرْسَلُوا إِلَى الشَّيْخِ كِهَالِ الدِّينِ ، فَلَمَّا حَضَرَ ، كَشَفَ تَلْبِيسَ الْمُحَضَّرِ ، وَأَسْكَتَ ابْنَ جَمَاعَةَ ، فَأَعَذَرَ الْمَدَّعُونَ ، وَهَذَا شَيْخُ حَرَمِ الْخَلِيلِ يَصَدِّقُ عَلَى ذَلِكَ ، وَكَذَا النَّاطِرُ ، سَلَّمَهَا . فَأَمَّا شَيْخُ الْخَلِيلِ ، فَقَالَ : نَعَمْ ، وَأَتْنِي ، وَأَمَّا النَّاطِرُ ، فَسَكَتَ ، فَتَبَيَّنَ مِنْ ذَلِكَ صِحَّةُ الْقَضِيَّةِ .

وقلت غير هذا من الكلام الفصل الذي يؤيد الله به عند المعضلات ، فَأُلْزِمَ الْأَمِيرُ النَّاطِرَ بِإِمضَاءِ ذَلِكَ بِمَا لَمْ يَسْعِهِ مَعَهُ إِلَّا الْإِجَابَةُ ، فَأَمَضَاهُ بَعْدَ أَنْ كَانَ سَأَلَ السُّلْطَانَ فِي إِبْطَالِ ذَلِكَ ، وَاجْتَهَدَ كُلُّ الْاجْتِهَادِ . بِمَا فِي طَبْعِهِ مِنْ بُغْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ ، وَأَغْرَى أَمْثَالَهُ مِنْ مَبَاشِرِي الْوَقْفِ عَلَى ذَلِكَ ، وَاللَّهُ الْمَسْئُولُ فِي أَمْثَالِ ذَلِكَ مِنَ النُّصْرَةِ عَنْ أَهْلِ الْفُسَادِ ، وَإِعْلَاءِ أَهْلِ الرَّشَادِ .

وفي يوم الثلاثاء سابع الشهر ، قَالَ السُّلْطَانُ ، لَكَاتِبِ السَّرِّ : قَدْ طَالَ أَمْرُ الْقَاضِيِ حَمِيدِ الدِّينِ . فَأَعْلَمَهُ ، أَنَّهُ أَذَانَ مِنَ النَّاسِ بِضَائِعٍ ، يَرِيدُ أَنْ يَبِيعَهَا ، وَيُنْفِذَ مَا وَعَدَ بِهِ ، فَقَالَ لَهُ : قُلْ لَهُ : أَنَّهُ لَا وَعْدَ لَهُ عِنْدَنَا ، إِنْ لَمْ يُحْضِرْ ذَلِكَ غَدًا ، وَقُلْ لِلْحَسَامِ : إِنْ كَانَ يَدْفَعُ مَا ذَكَرَ ابْنُ قَاضِيِ عَجَلُونَ ، فَلَا مَعْدَلَ عَنْهُ .

فَأَمَّا [٢٧١] الْحَمِيدُ ، فَقَالَ : لَا يُمْكِنُنِي ذَلِكَ ، وَأَمَّا الْحُسَامُ فَقَالَ : لَا أَقْدِرُ إِلَّا عَلَى أَلْفِ دِينَارٍ ، فَإِنْ قُبِلَتْ مِنِّي افْتَدَيْتُ بِهَا الْمُسْلِمِينَ ، مِنْ هَذَا الْجَاهِلِ الْفَاسِقِ ، وَإِلَّا فَيَأْتِي إِنْ زِدْتَ عَلَيْهَا شَيْئًا دَارَ أَمْرِي بَيْنَ أَنْ

أُخْبِسَ عليه أو أرتشيه مِنَ النَّاسِ ، فأكون قد خسرت الدِّينَ والدُّنْيَا فيما لا أذري عاقِبَتَهُ ، فكان أعقلهما ، مع أَنَّهُ طَوِيلٌ ومُفَرِّطٌ في طول اللحية ، والحميد قصير ، قصير اللحية .

ولما وَرَدَ الجوابُ على السُّلْطَانِ بذلك ، قال : قل لابن قاضي عجلون : يَطْلُعُ يومَ الخُميسِ ، فَطَلَعَ يومَ الخُميسِ تاسِعَ الشهرِ ، فَأُلْبِسَ كَامِلِيَّةَ بِيضَاءِ بِسْمُورٍ ، ثُمَّ بَانَ أَنَّ السُّلْطَانَ كَانَ خُيِّلَ مِنَ الحُمِيدِ ، بِأَنَّهُ كَثِيرُ الشَّرِّ ، فَلَا يُؤْمَنُ أَنْ يُبَيَّرَ عَلَيْهِ فِتْنَةٌ ، يَعْجَزُ عَنْ تَسْكِينِهَا ، وَهُوَ فِي أَوَّلِ دَوْلَةٍ مَا سَكَنَ إِلَى الْآنِ اضْطِرَّائُهَا ، هَذَا مَعَ مَا رَأَى مِنْهُ هُوَ مِمَّا يَصْدُقُ ذَلِكَ ، لَمَّا كَلَّمَهُ فِي ابْنِ قَاضِي عَجْلُونَ ، وَمَعَ مَا يُظَنُّ بِهِ مِنَ الْعَدَاوَةِ لَهُذِهِ الدَّوْلَةِ ؛ لِأَنَّ الْمَلِكَ الْأَشْرَفَ كَانَ نَفَاهُ سَنَةَ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ إِلَى بَغْدَادَ ، وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَّا بِشَفَاعَةِ جَانَمَ ، نَائِبِ الشَّامِ الْآنَ ، فَبَانَ أَنَّهُ مَا أَظْهَرَ قَبُولَ سَوَالِهِ إِلَّا لِيُعْجِزَهُ ، وَبَانَ بِإِيثارِ أَلْفِي ابْنِ قَاضِي عَجْلُونَ ، عَلَى أَلْفِ الْحَسَامِ ، أَنَّهُ مَعَ الدُّنْيَا ، وَمَا عَلَيْهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا دِينٍ ، وَلَا هُوَ مَفَكَّرٌ فِي صَلَاحِ النَّاسِ ، وَأَنْ مَا كَانَ أَظْهَرَ مِنْ تَعْظِيمِ الشَّرِّعِ ، وَإِقَامَةِ مَنَارِ الدِّينِ رِيَاءَ وَسُمْعَةٍ ، لِيَتِمَكَّنَ ، وَاللَّهُ الْمَسْئُولُ فِي صَلَاحِ حَالِهِ ، وَسَدَادِ أَمْرِهِ .

لكنه كان مما بَعَدَ الْأَمْرَ مِنَ الْحَمِيدِ خِفَّةٌ حَصَلَتْ لَهُ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا عَلِمَ أَنَّ قَضِيَّةَ ابْنِ قَاضِي عَجْلُونَ انْتَضَمَتْ ، بَادَرَ إِلَى تَحْصِيلِ أَلْفِ دِينَارٍ عَيْنًا ، وَرَامَ إِبْلَاجَ ذَلِكَ لِلْسُّلْطَانِ ، فَلَمْ يُطْعَ ؛ لَمَّا يَعْلَمُ مِنْ يَسْأَلِهِ ، مِمَّا لَا يُقَالُ لَهُ . فَاتَّهَمَ كَاتِبَ السَّرِّ ، فَأَخَذَ الذَّهَبَ مَعَهُ ، وَطَلَعَ إِلَى السُّلْطَانِ بِنَفْسِهِ ، وَقَالَ لَهُ : يَا مَوْلَانَا السُّلْطَانُ ، إِنَّ الَّذِي بَلَّغَكَ أَنِّي عَجَزْتُ كَاذِبٌ ، وَهَذِهِ أَلْفُ دِينَارٍ فِي كُمِّي قَدْ أَحْضَرْتُهَا لِتَأْمُرَ مَنْ يَقْبُضُهَا فَقَالَ لَهُ

السلطان : مَنْ أمر بإخضار ذهب ، أو سأل في شيء من هذا ؟! وما
مَعْنَى هذا الكلام ؟! ثم أشار بيده إلى الإنصراف ، وظهر عليه الغَضَبُ ،
فانصَرَفَ ، وبه من الحِزْيِ أمرٌ عظيم .

وفي يوم الخميس هَذَا عُزل محمود بن إبراهيم بن الدَّيْرِي من نَظَرِ
الإِصْطَبَلِ ، بسؤال أمير آخور بِرُشْبَاي البَجَاسِي صهر السلطان بِلِقَاعَتِهِ ،
وسوءِ معاشَرَتِهِ ، وَجَهْلِهِ ، مع تعلمه ، ومجازفته كَأْيِهِ ، وَوُلْيِّ عَنْهُ
الشَّرَف بن البَقْرِي ، أخو الأمير الإِسْتَدَار (١) .

منادي البحر وفي يوم السبت (٢) حادي عشر الشهر ، وهو الموافق لسادس عَشْرِي
بُؤْنِهِ ، دار مُنَادِي البحر في شوارع القاهرة ، لِلْبِشَارَةِ بِزِيَادَةِ البحر ،
وَأَخْبَرُوا أَنَّ قَاعِدَةَ المِقْيَاسِ سِتَّةَ أَذْرُعٍ ونصف ذراع ، فهي أعلى منها في
العام الماضي بنصف ذراع ، ثم نادى يوم الأحد ثاني عشره ، بأنَّ الزِّيَادَةَ
خمس أصابع .

وفي هذا اليوم قبض الوالي على مَنَسَّر (٣) نحو عشرين رجلاً كانوا
يفسدون في البلاد .

وفي هذا الحدِّ ، اشتدَّ سَعْيُ الحِجَازِيِّينَ في بيان عَوَارِ العَلَمِ صَالِحِ
البُلُقَيْنِي بِمَا باع من أوقافهم ، وأنها تُقَارِبُ مائتي وَقف ، وبرز الأمرُ بأنَّ

(١) الخبر في : « النجوم الزاهرة » (١٦ / ٢٣٠) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر)

(٩٢-٩٣) .

(٢) في « النجوم الزاهرة » (١٦ / ٢٣١) يوم الجمعة عاشر رمضان .

(٣) مَنَسَّر : لصوص .

« المعجم الوسيط » (٢ / ٩١٧) .

يُكْشَفُ عَنْ ذَلِكَ ، وَيُعْمَلُ حَسَابُهُمْ ، فَأَمَرَ الْقَاضِي مَبَاشِرِي الْحَرَمِينَ لِيَكْتُبُوا مَا يُبَرِّئُ سَاحَتَهُ وَسَاحَتَهُمْ ، فَكُتِبُوا أَنَّ الَّذِي يَبِيعُ مِنْ ذَلِكَ نَيْفٌ وَثِمَانُونَ وَقَفًا ، وَذَلِكَ (زَعَمُوا) قَادِحٌ فِي إِنْهَاءِ الْحِجَازِيِّينَ ، مُكَذِّبٌ لَهُمْ ، فَرَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِفَضِيحَةٍ مَا سُمِعَ بِمِثْلِهَا ، وَظَهَرَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ، وَلَكِنْ مَنَعَ السُّلْطَانُ مِنْ عَزْلِهِ ، أَنَّهُ فِي أَوَّلِ دَوْلَتِهِ .

وَفِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ ثَالِثِ عَشَرَ الشَّهْرِ نَزَلَ شَرِيبَاشُ كُرْدٌ مِنَ الْقَلْعَةِ مَرِيضًا مِنْ قَوْلَنْجٍ ^(١) كَانَ يَعْتَرِيهِ ، فَقَطَعَ النَّاسُ عَلَى الْعَادَةِ أَنَّهُ سُقِي ، ثُمَّ تَمَاطَلَ يَوْمَ الْخَمِيسِ سَادِسَ عَشْرِهِ .

وَفِي لَيْلَةِ الثَّلَاثَاءِ ، رَابِعِ عَشَرَ شَهْرِ رَمَضَانَ هَذَا ، خَسَفَ الْقَمَرُ ، فَأَخَذَ فِي ذَلِكَ وَالنَّاسُ فِي صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ ، وَاسْتَغْرَقَ الْخُسُوفُ جَمِيعَ جُزْأِهِ عَقِبَ الْفَرَاغِ مِنْهَا ، فَصَارَ كَأَنَّهُ قِطْعَةُ سَحَابَةٍ خَمْرَاءَ صَغِيرَةٍ ، ثُمَّ غَابَتْ تِلْكَ الْحُمُرَةُ ، وَصَارَتْ بِلَوْنِ السَّمَاءِ ، وَأَظْلَمَ اللَّيْلُ ، فَكَانَ كَالَّذِي لَا قَمَرَ فِيهِ وَاسْتَمَرَّ مَدَّةَ طَوِيلَةٍ ، أُخْبِرْتُ أَنَّهَا خَمْسُونَ دَرَجَةً ، ثُمَّ بَدَأَ يَنْجَلِي ، فَلَمْ يَكْمُلْ انْجِلَاؤُهُ إِلَّا آخِرَ اللَّيْلِ ، وَصَلَّى النَّاسُ لَذَلِكَ ، وَاجْتَهَدُوا فِي الدُّعَاءِ تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَعَفَى عَنَّا وَعَنْهُمْ ^(٢) .

وَاشْتَدَّتْ قَلَقَلَةٌ مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ فِي ذَلِكَ مِنْ جِهَةِ السُّلْطَانِ ، وَاشْتَدَّ مَكْرُ الْجُنْدِ ، وَسَعَى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ فِي نَقْضِ أَمْرِ السُّلْطَانِ ، رَدَّ اللَّهُ

(١) قَوْلَنْجٍ : مَرَضٌ مَعْوِيٌّ مُؤَلِّمٌ ، يَصْعَبُ مَعَهُ خُرُوجُ الْبَرَّازِ وَالرَّيْحُ ، وَسَبَبُهُ التَّهَابُ الْقَوْلُونُ .

« الْمَعْجَمُ الْوَسِيطُ » (٢ / ٧٦٧) .

(٢) الْخَبَرُ فِي : « النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ » (١٦ / ٢٣١) ، وَ « بَدَائِعُ الزُّهُورِ » (صَفَحَاتٌ لَمْ تُنْشَرِ) (٩٣) .

كَيَدِّهِمْ فِي نَحْرِهِمْ ، فَإِنَّهُمْ لَا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ لَصَلَاحِ دِينٍ ، وَلَا دُنْيَا ، بَلْ نَفَاسَةٌ عَلَى غَيْرٍ مِنْ وَلَدٍ فِي الْأِسْلَامِ أَنَّ يَلِيَّ هَذَا الْمَنْصِبِ ، وَالتَّذِي شَدَّ فِسَادَهُمْ شِفَاعَةُ نَائِبِ الشَّامِ فِي قَانِبَايَ ، وَتَتَمَّ ، وَهُوَ مُرَادُهُ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

وَكَانَ السُّلْطَانُ أَرْسَلَ خِلْعَ بَعْضِ مَشَائِخِ الْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ ، وَأُمَرَاءَ الْعَرَبِ إِلَى جَانَمِ نَائِبِ الشَّامِ ، لِيَلْبَسُوا مِنْ عِنْدِهِ ، أَوْ يَرْسِلَهَا إِلَيْهِمْ ، فَوَصَلَتْ إِلَيْهِ خِلْعَةٌ طَرْبَايَ بْنِ زَيْنِ أَمِيرِ عَرَبِ حَارِثَةَ ، بِنَاحِيَةِ بَيْسَانَ (١) ، وَكَانَ الْبَرِيدِي بِذَلِكَ مَرَّةً عَلَيْهِ ، وَأَعْلَمَهُ بِذَلِكَ ، فَقَالَ : اسْبِقْنِي حَتَّى أَضْحَبَ مَعِيَ تَقْدِمَةً لِلنَّائِبِ ، فَلَمَّا وَصَلَ الْبَرِيدِيُّ ، وَلَيْسَ هُوَ مَعَهُ ، طَلَبَ خَصْمَهُ .. (٢) ابْنَ حُسَيْنٍ ، فَأَلْبَسَهُ الْخِلْعَةَ ، فَلَمَّا سَمِعَ طَرْبَايَ ، هَرَبَ إِلَى جَبَلِ نَابُلُسَ ، فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَبِي غَازِي بْنِ مَشَاقٍ ، وَأَرْسَلَ يَقُولُ : إِنْ لَمْ يَحْمِئْنِي السُّلْطَانُ سِرْتُ إِلَى نَائِبِ الشَّامِ لِأُخِي نَفْسِي وَأَهْلِي ، وَأَرْسَلَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الْقَادِرِ يَقُولُ نَحْوًا مِنْ ذَلِكَ ، وَيَقُولُ : إِنِّي إِنْ ذَهَبْتُ إِلَيْهِ طَلَبَ مِنِّي الْمَالَ ، فَتَلَفْتُ بِلَادُ السُّلْطَانِ ، وَأَرْسَلَ ابْنَ مَشَاقٍ يَسْتَعْفِي مِنْ الْمَشِيخَةِ ؛ لِأَجْلِ ذَلِكَ ، وَحَصَلَ بِذَلِكَ وَهْنٌ ظَاهِرٌ .

[٢٧٢] وَفِي يَوْمِ الْخَمِيسِ سَادِسَ عَشَرَ شَهْرَ رَمَضَانَ هَذَا ، عُزِلَ سَالِمُ الرَّمْلِيِّ عَنْ مَشِيخَةِ مَقَامِ الشَّيْخِ أَحْمَدَ الْبَدَوِيِّ .

(١) بَيْسَانَ : مَدِينَةٌ بِالْأَرْدَنِ بِالغُورِ الشَّامِيِّ ، وَيُقَالُ لَهَا : لِسَانُ الْأَرْضِ . وَهِيَ بَيْنَ حُزْرَانَ وَفَلَسْطِينَ ، تَوْصَفُ بِكَثْرَةِ النَّخْلِ ، وَهِيَ بَلَدَةٌ وَبَنَةُ حَارَّةٍ أَهْلُهَا سُمُّرُ الْأَلْوَانِ جُعْدُ الشُّعُورِ ؛ لَشِدَّةِ الْحَرِّ .

«مَعْجَمُ الْبِلْدَانِ» (١ / ٥٢٧) .

(٢) بَيَاضٌ فِي الْأَصْلِ بِمَقْدَارِ كَلِمَةٍ .

وفي يوم الجمعة سابع عشره ، وَلِيَ عنه أبوه ؛ لكثرة كذبه وَسَعِيهِ ،
ومساعِدة مَنْ لا يخاف الله له ، لتقاربهم في خَبَاثَةِ الأرواح ، وكان السَّبَبُ
الآخِرُ فِيهِ قَرْقَمَاش الجَلَبَ أمير مجلس ، أَهْدَى له جَارِيَةً ومملوكاً ، فكَلَّمَ
السلطانَ فِيهِ ، وكان خائفاً مِنْ إِثَارَةِ شَرِّ ، بَعَدَ قبول شفاعتِهِمْ ، فلمَنَّهُمْ
كانوا قد أَكثَرُوا عليه القَالِ والقليل ، فكان يرتكبُ في شفاعتِهِمْ أَخَفَّ
الضَّرَرَيْنِ .

ثم لم يُفِذه ذلك ، بل ما أَصْبَحَ الصُّبْحُ مِنْ يومِ السَّبْتِ ثَامِنَ عَشْرِهِ ،
حَتَّى ركبوا عَلَيْهِ مُعْتَلِّين بأنه أُرسل إلى الأمراء ، آخِر يوم الخميس مَنْ
يأمرهم بالطلوع إليه بكرة يوم السَّبْتِ بغير شائش ولا قماش ، ليشاورَهُمْ
في أمرِ آتاه عن قُبُرس ، وذلك أَنَّهُ كان أُرسل إلى بلاد الشَّام أن يُغَيِّثُوهُمْ
بالأسلحة والرِّجال ، فجمعوا مِنَ السِّلَاح والبارود والمكاحِلِ وَغَيْرِهَا ما
يَعِزُّ وجودُ مِثْلِهِ ، ثم اِكْتَرَى لها نائِبُ طرابُلُس مَرْكَبَ شَخْصٍ مِنَ الفَرَنْجِ ،
وأُرسل معه نحو الثلاثين مِنَ المسلمين ؛ ليكون آمِنَ له ، فَإِنَّ المَعْهُودَ أَنَّ
الْفَرَنْجَ لا يَغْدِرُونَ ، فَعَدُّرُوا ، وَذُهِبَ بالمركب كما هو إلى رُودس ، فقال
الجنْدُ : ما أُرسل إلى الأمراء إِلَّا لِيَقْبِضَ عَلَيْهِمْ ، فعاجلوه هم بالركوب في
صبيحة هذا اليوم .

فأما أن يكونوا جعلوا ذلك عُذْراً في الركوب عليه ، وهو الأقرب ، وأما
أن يكونوا ظنوا ذلك لما عِنْدَهُمْ مِنَ الرِّيَّةِ ، وأما هو فلم يكن في شيء مِنْ
ذلك عِنْدَ كُلِّ مَنْ لَهُ لُبٌّ ، فَإِنَّ مَنْ يريد الإقْدَام على مِثْلِ هَذَا لا بُدَّ أن
يكون قد تَأَهَّبَ له ، وَالمُتَأَهَّبُ لِيُصْبِحَ قَوْماً شِدَاداً ، لا يبيت خالِياً مِنْ
الرِّجال .

ولمَّا كان صُبْح يومِ السَّبْتِ المذكور ، أَتَى جَانِبَكَ ناظِرُ جُودَةِ إلى الأمير

بُرِدَ بك دويدار السلطان الثاني وَصَهْرِهِ ، وَأَنْصَحَ مَنْ عِنْدَهُ لَهُ لِيَرْكَبَ مَعَهُ إِلَى الْقَلْعَةِ عَلَى مَا يَظْهَرُ ، وَكَانَ قَدْ عَوَّدَهُ بِمِثْلِ هَذِهِ الْعَادَةِ ، لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي حَمَاهُ ، حِينَ أَزَالُوا دَوْلَتَهُمْ ، فَلَمَّا تَوَجَّهُوا إِلَى تَجَاهِ مَدْرَسَةِ حَسَنِ لَقِيَهُمْ طَائِفَةٌ مِنَ الْجُنْدِ فَأَخَذُوهُمَا إِلَى بَيْتِ الْأَمِيرِ الْكَبِيرِ ، وَطَلَعَ طَائِفَةٌ أُخْرَى مِنَ بَابِ السُّلْسِلَةِ ، حِينَ فُتِحَ إِلَى صِهْرِهِ الْآخَرِ بَرَنْسَبَايَ الْبَجَاسِي أَمِيرَ آخَرَ ، فَقَبَضُوا عَلَيْهِ ، وَذَهَبُوا بِهِمَا إِلَى بَيْتِ الْأَمِيرِ الْكَبِيرِ ، الْبَيْتِ الَّذِي أَقَامَ بِهِ أَبُوهُ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ إِنْتَالَ أَيَّامَ رُكُوبِهِ ، وَكَانَ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ قَدْ حَسَبَ هَذَا الْحِسَابَ ، فَسَدَّ بَابَهُ الَّذِي إِلَى الرُّمَيْلَةِ ، وَأَحْكَمَ سَدَّهُ ، وَجَعَلَ هُنَاكَ دَكَائِينَ .

ثُمَّ وَكَلُوا بِهِمَا مِنْ يَحْفَظُهُمَا ، وَأَقَامَ دَاخِلَ بَابِ السُّلْسِلَةِ جَمْعٌ مِنْهُمْ ، وَكَذَا بِالْأَمِيرِ الْكَبِيرِ ، وَبِقَرَّاجَا الطَّوِيلِ ، وَجَانَمِ الْخَزَنْدَارِ ، وَنَحْوِهِمْ مِنْ نَصَحَاءِ السُّلْطَانِ .

فَلَمَّا سَمِعَ السُّلْطَانُ بِهِمْ رَمَى عَلَيْهِمْ حَتَّى بَعَدُوا عَنِ الْبَابِ الَّذِي فَوْقَ بَابِ السُّلْسِلَةِ ، ثُمَّ نَزَلَ إِلَيْهِمْ بِمَنْ مَعَهُ مِنْ مَمَالِيكِهِ ، فَهَزَمُوهُمْ وَسَبَقُوهُمْ إِلَى بَابِ السُّلْسِلَةِ فَأَغْلَقُوهُ ، فَأَلْقَوْا بِأَيْدِهِمْ عَلَى عَوَائِدِهِمْ عِنْدَ الْمَضَائِقِ ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ ، وَلَمَّا رَأَوْا الْقَتْلَ رَمَى بَعْضُهُمْ نَفْسَهُ مِنْ أَعْلَى جِدَارِ بَابِ السُّلْسِلَةِ ، وَسَاعَدَهُ الْعَامَّةُ .

فَهَزَمُوا مَنْ كَانَ فِي الرُّمَيْلَةِ ، وَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى مُدَانَةِ الْقَلْعَةِ ، بَعْدَ أَنْ حَمَلُوا عَلَيْهَا مِرَارًا ، كُلَّمَا حَمَلُوا رَدَّوهُمْ أَقْبَحَ رَدٍّ .

وَأُخْبِرْتُ بَعْدَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَعَ الْمُؤَيَّدِ مِمَّنْ يَصْلُحُ لِلْقِتَالِ غَيْرُ مِائَةِ نَفْسٍ ، كَانَ الْمُبَاشِرُ لِلْقِتَالِ مِنْهُمْ ، الْمُحْسِنُ لِلرَّمْيِ ، نَحْوُ الْخُمْسِينَ ، وَالْبَاقُونَ كِتَابِيَّةٌ صِغَارٌ ، وَأَمَّا أَكْبَرُ مَمَالِيكِهِ ، وَمَمَالِيكُ أَبِيهِ ، فَأَتَتْهُمْ نَزَلُوا مَعَ الْبُعَاةِ .

ثم أخبرني ناصر الدين بن أبي الفرج ، نقيب الجيش ، أنه كان قد طلع إلى القلعة قبل دَوْرَانِ الجُندِ أبلغَ النَّاسِ وكذا كاتب السرِّ ، وأنَّ هذا العدَدَ مِنَ الممالك كان آخرَ النَّهارِ ، وأما أوَّلُ النَّهارِ ، فإنه كان حاضراً ، وكان مع المؤيَّد نحو أربعمئة نفس ، ثم إنهم انضَمُّوا إلى البُغَاةِ ، في آخر النَّهارِ وَخَذَلُوهُ .

وَأَعْجَبَ الأمورِ قِصَّةُ بَرَنْسَبايِ البَجَاسِيِ في خِيَانَتِهِ له في باب السِّلْسِلَةِ ، وبذل جهده في البَغْيِ ، وأمر يَشْبُكُ البَجَاسِيِ الذي وقع الشَّرُّ في أوَّلِ الدَّوْلَةِ على الإقطاع الذي أَخَذَهُ ، لما عَزَّتِ الوظائفُ ، وأرادَه الطَّرِيفُ ، وعارضَه يونسُ الدَّوْنِدَارُ في سؤاله لِيَشْبُكُ الفقيه ، فَرَأَى السُّلْطَانُ أن لا يُرَجِّحَ أحداً منها ، فدفعه لِيَشْبُكُ هذا إصلاحاً بينهما ، وَظَنًّا للخير فيه ، فَبَلَغَنِي أَنَّهُ كان في هذا الحِصَارِ أكبر المتولِّين له ، وأَنَّهُ كان يدور حَوْلَ القَلْعَةِ ، فلا يَدَعُ أَحداً يَصِلُ إلى السُّلْطَانِ بشيء ، وضيق عليه غاية الضِّيقِ . فَتَبَيَّنَ أَنَّهُ لو تَبَّتْ معه خمسمئة ، لأبادهم .

واستدعى الأمراء بعد اجتماعهم بَرَنْسَبايِ البَجَاسِيِ ، فكان جالِساً معهم في جميع ما هم فيه ، فظنَّ النَّاسُ أنَّ قَبْضَهُم عليه ، ما كان إلاَّ برضى مِنْهُ وَتَذْيِيرِهِ ، لذلك ، وَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ خِيَانَتِهِ لَهُمْ ، وهو صهرهم ، وَقَدْ إِيْتَمَنُوهُ على القلعة .

وحكي بعد ذلك ، أَنَّهُ كان ينقل إليهم جميع ما كان المؤيَّد يقولهُ وَقَتَ غَضَبِهِ مِنْ خِلَافٍ يَخَالِفُ منهم ، ونحو ذلك مِنَ الخيانات التي يَبْعُدُ فَلَاحُهَا معها ، لكن الذي نقل هذا غير معتمد ، والذي يُبْعِدُهُ أَنَّ عِيَالَهُ كانوا في القَلْعَةِ إلى حين القبض عليه ، وأنهم أُخْرِجُوا منها مُشَاةً ، والعسكر في الرُّمَيْلَةِ ، وقاسوا جهداً جهيداً ، والعِلْمُ عند الله تعالى ، ولكن

هذا جزء من اعتمد على الأسباب وترك مُسبِّبها ، فإنَّ أباه كان مع سَدِّ باب بيت الأمير الكبير بنى سبيل المؤمَّني الذي كان سبب نَصْرِهِ إحراقه بالحجر النحيت كُلُّهُ ؛ لِثَلَا يُحْرَق ، وَصَاهِر بَرَسْبَاي هذا ، وَيُونُس الدَّوَيْدَار وَفَيْتَبَاي الظَّاهِرِي ، وَرَفَعَ مَنَازِلَهُمْ ، وَجَرَّأ مَمَالِيكَهُمْ عَلَى الْأُمَرَاءِ وَغَيْرِهِمْ ، وَأَكْثَرَ الْإِحْسَانَ إِلَيْهِمْ ، وَهَذِهِ أَسْبَابٌ وَثِيقَةٌ لَوْ صَحَّحَهَا طَاعَةُ اللَّهِ ، لَكُنْتَهُ لَمَّا كَانَ لَا يَنْظُرُ إِلَى جَانِبِ اللَّهِ ، جَعَلَ جَمِيعَ تِلْكَ الْأَسْبَابِ عَلَيْهِ وَأَزَالَ دَوْلَتَهُ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ ، بَمَنْ لَمْ يَقَعْ قَطُّ فِي خَاطِرٍ أَحَدٍ أَنْ يَكُونَ سُلْطَانًا كَمَا سَيَأْتِي .

وما قَرَّبَ أَنَّهُ كَانَ مَعَ الْبُغَاةِ بَاطِنًا أَنَّ الْمُؤَيَّدَ قَدَّمَ عَلَيْهِ ابْنَ مُرْضِعَتِهِ فِي الْأَصْطَبِلِ ، بِحَيْثُ لَمْ يَبْقَ لَهُ مَعَهُ كَلَامٌ ، وَقَدَّمَ أُخْتَهُ مِنَ الرِّضَاعِ عَلَى أُمِّهِ ، وَأَرَادَ طَرْدَ أُمِّهِ مِنَ الْقَلْعَةِ ، وَفَتَحَ لِلْبَزَادِرَةِ ، (وَهُمْ أَصْحَابُ الطُّيُورِ الصَّائِدَةِ) بَابًا يَدْخُلُونَ مِنْهُ إِلَى دَاخِلِ قَاعَاتِ الْحَرِيمِ ، وَكَانَ النَّاسُ يَتَحَدَّثُونَ أَنَّ بِهِ أُنْبَى ، وَأَنَّ تَقْرِيبَهُ لَهُمْ عَلَى كَافَّةِ النَّاسِ لَذَلِكَ ، فَلَمَّا رَأَى مُدَبِّرُو دَوْلَتِهِ هَذِهِ الْأَفْعَالَ أَبْغَضُوهُ ، فَخَلَوْهُ وَرَأَيْهِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِصَحَّةِ ذَلِكَ .

ولمَّا رَأَى الْبُغَاةُ ذَلِكَ^(١) مِنَ الْمُؤَيَّدِ ، أَرَادُوا تَأْلِيفَ الْعَامَّةِ ، فَدَارَ الْوَالِي إِنْتَالَ الْأَشْقَرِ ، يُنَادِي بِالْأَمَانِ وَالِدَعَاءِ لِلْمَلِكِ الظَّاهِرِ حُشَقْدَمَ ، وَهُوَ الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ ، ثُمَّ تَنَازَعُوا فِيهِ ؛ فَإِنَّهُ رَوَّمِي ، وَذَكَرُوا غَيْرَهُ مِنَ الْأَشْرَفِيَّةِ فَمَا وَافَقَ عَلَيْهِ الظَّاهِرِيَّةُ ، وَذَكَرَ الظَّاهِرِيَّةُ مِنْ لَمْ يُوَافَقَهُمْ عَلَيْهِ الْأَشْرَفِيَّةُ ، فَسَأَلُوا شَرْبَاشَ أَمِيرِ سِلَاحٍ ، فَامْتَنَعَ مِنْهُمْ أَشَدَّ امْتِنَاعٍ ، وَقَالَ : أَنَا لِي وَلَدٌ فَلَا أَكُونُ سَبَبَ شَقَائِهِ ، فَلَمْ يَجِدُوا بُدًّا مِنَ الْأَمِيرِ الْكَبِيرِ ، فَحَمَلَهُ حُبُّ الرِّئَاسَةِ عَلَى الْمَوَافَقَةِ ، وَلَوْ تَأَمَّلَ ، لَعَلِمَ أَنَّ الْقِيَاسَ يَقْتَضِي أَنَّهُمْ لَا يُبْقَوْنَ ؛

(١) كلمة غير واضحة الرسم لم نجزم بتصحيحها .

فإنه ليس للمؤيد عنهم ذنب إلا أنه غير شَرَكِي ، اللهم إلا أن يَنْصَمَ إلى ذلك ولادته في الإسلام .

وأرسلوا إلى الخليفة (١) ، فاختمى ، فلم يقدروا عليه ، وأرسلوا إلى القضاة ، فلم يجيبهم منهم أحدٌ إلا العَلَمُ صالح قاضي الشافعية على عادته في الإسراع إلى الفساد ، ثم تبين أن الحنفي والمالكي تبعاه ، فلم يتخلف غير الحنبلي ، وهو العز بن نصر الله جزاه الله خيراً .

ثم تبين أن ركوبهم كان عن مملأة من أمير آخور ، فإنهم لما وصلوا به إلى بيت الأمير الكبير أطلقوه ، فكان معهم في جميع ما هم فيه ، وتبين أن الأمير الكبير لم يكن عالماً بركوبهم في هذا اليوم ؛ وذلك أن الأمير بُرد بك حدثنني أنه أتى إليه جانبك الظاهري ، المعروف بناظر جُدَّة ، وكان من أمكر عباد الله ، وأحدهم ، وأعلاهم همّة ، وكان بُرد بك في غاية النفع له ، فلم يدعه يُنكب ، حين زوال دولتهم ، وولاية الأشرف ، بل زاده خيراً ، ولم يزل يساعده على الزيادة إلى آخر وقت ، قال : فأتى إلى : فركبت معه ظناً أنا نطلع إلى القلعة على العادة ، ثم لقيهم ناس ، فعطفوا بهم إلى بيت الأمير الكبير ، قال : فلما دَقُّوا عليه الباب ، طلع بعض جماعته على وجه الباب ، ورَجَّنا ، فأتتني رَجْمَةٌ كادت أن تقتلني ، فإنها مرَّت عن وجهي ، فكادت أن تُلاصقه ، ثم سَفَلت فأصابَتْ لَحْمَ فَخْذِي ووقى الله شرها .

ثم دام الحرب بين السلطان وبينهم إلى المغرب ، وتبين أنه ما كان معه إلا جَمْعٌ قليل جداً ، وأن غالب ممالكه وممالك أبيه نزولاً مع البُغاة رجاء السَّلامة والأمن على الأرزاق ، وما أبعدهم من ذلك ، ولم يكن معه أميرٌ واحد ، ولم تكن شوكتُه إلا بالزُّعُر ، وكان منهم عبدُ ابن إينال ، فعمل ما تحدث

(١) كان في هذا الوقت المستنجد بالله يوسف بن المتوكل على الله أبي عبد الله محمد العباسي .

« النجوم الزاهرة » (١٦ / ٩٠ ، ١٩٤) .

به الناس [٢٧٣] [ورد] ^(١) البغاة غير مرة وأرسل البغاة إلى السلطان يقولون له : « لا تطل ، نحن لا نرضى بك أبداً ، فإن كنت تريد السلامة فاذهب حيث شئت » فأنت آمن على نفسك ومن معك . فقال : إني لا أفعل ، وسلمهم ما سبب ما فعلوا ، إن كان لشيء كرهوه مني أزلته ، وإلا فعفا الله عما سلف ، وأنا أنفق عليهم نفقة يرضون بها ، ويكون كل أحد على ما هو عليه ، فلم يجيبوه إلا بالحرب ، وقالوا : إن هذا لا يصفوا لنا أبداً ، وقد تأكدت الضعائين ، وانتهكوا حرمة شهر رمضان ، مع البغي وسفك الدماء بالأكل والشرب نهاراً جهاراً ، ولم يدعوا فعلاً يوجب الخذلان ، من نكث الأيمان ، والبغي ، وغير ذلك إلا ارتكبه ، غير أن السلطان أيضاً طرأت منه على ما قيل أمورٌ أوجبت خذلانه ، فقيل : أنه وعد عبد ابن أئبال أن يعطيه شيئاً سماه ، فلم يف له به ، وكان كلما أتاه أحد من العامة قد جرح يعطيه عطاء نزرأ ، ورمى أهل المدافع فأجادوا ، ووعدهم فلم يُنجز ، وكان يُمنّيهم بالخير إذا وقع النصر ، وطلب منه الممالك لبوساً من الزردخانة ، فلم يجيبهم ، وقال : لكل منكم لبس ؛ فانقل عن الناس ،

ونزل نائب القلعة خير بك ، الذي كان والياً ، فقال للبغاة ما مكنكم ها هنا ؟! قوموا إلى القلعة ، فما دونكم حائل ، وكان المؤيد قد حبس جماعة من هجم على باب السلسلة ، فأطلقهم خير بك ، ونزل بهم ، فذكر الناس بخيائته ، وفاء يونس العلائي لما كان إينال العلائي راجباً ، استمر ثمانية أيام لا يبدو منه ميل لإينال ، مع أنه لم يكن يُعرف إلا بأخيه ،

(١) ما بين الحاصرتين لم تكن في أصل المتن ، وإنما ذُيِّل بها آخر الصفحة للدلالة على الكلمة التي تبدأ بها الصفحة التالية ، فأضفناها إلى الأصل حتى يستقيم السياق .

حتى كان كثيرٌ من الناس يظنّه أخاه حقيقة ، فلمّا وَلِيَ إِيْنَال ، ولأه نيابة إسكندرية ، فقال له : عَجَباً تَأْتِمُنِي وأنا عدوك أقاتلك ثمانية أيام . فقال: ولهذا أئتممتك ؛ لأنك نصحت السلطان ، ونعمّ ما فعلت .

وشاع أن مَوْقَعَه ، البرهان الأبناسي ^(١) تَزِيّاً بزيّ العرب الهجّانة ، وذهب إلى البُغَاة ، فقال للأمير الكبير : أنّ نائب الشام جَانَم جَاوَزَ الخائكة ، فقوموا إلى لقائه فكادوا أن يضطربوا ، ثم إن شخصاً منهم عَرَفَه ، فأهين وأمر به إلى السّجْن ، ثم تبين كَذِب ذلك .

وَحُدُثَتْ عنه أنّ أَصْلَ ذَلِكَ ، أنّ المؤيّد أرسله إلى الأمراء ، يسألهم ، ما الموجب لركوبهم ، ويأمرهم بتقوى الله ، والرجوع إلى الطّاعة ، فأهانوه ، وأمروا بتعويضه في المكان الذي فيه الأمير بُرْذُوك ، وقَرَّاجَا الطّويل ومنّ معهما من جماعة السلطان ، وأخبر أنّ أكبر المُحَاجِّجين له كان الأمير بَرَسْبَاي أمير آخور ، ونسب إلى السلطان أنّه صَنَعَ قيوداً للأمراء وغير ذلك مما يوغر الصدور ، فزاد العجب من ذلك ، فإن صَحَّ هذا الخبرُ ، دَلَّ على أنّ قَبْضَ البُغَاةِ عليه إنما كان باتِّفَاقٍ منه ومنهم وَرِضَى ، مع إمكان أن يكون قال ذلك يرضيهم به ، ليدفع عن نفسه وصهره .

قال الناقلُ إلَيّ : قال البرهانُ : ثمّ إِنِّي تَلَطَّفْتُ بمن أعرفه من الجند إلى أن خَلَصْتُ ، وَرَدَدْتُ على المؤيّد الخبر .

(١) هو : إبراهيم بن علي بن أحمد بن محمد بن أحمد بن يزيد ، برهان الدين الطائي الأبناسي الأصل الحُتْنَانِي القاهري الشافعي ، المعروف بالأبناسي ، ولد بأُم حُتْنَان من المتوفية ، وقدم القاهرة ، واهتم بمعرفة الفرائض والحساب ، وجوّد الخطّ ، وتكسب بالشهادة ، وياشر التوقيع ، واختص بالتوقيع عند المؤيّد أحمد ، مات في جمادي الآخرة سنة ٨٧٣هـ ، وقد جاوز الخمسين .

له ترجمة في « الضوء اللامع » (١ / ٨٢) .

وحدّثني الأميرُ بُرْدَبَك أنَّ سبب اجتماع الكلمة على بُغْضِهِ أمران :
أَعْظَمُهُمَا أَنَّ أَكَابِرَ الْأُمَرَاءِ كانوا يقفون بحضرته الزَّمنَ الطويلَ لا يُكَلِّمُهُمْ
كلمةً ، ولا يُقيم لهم وَزناً ، الثاني أَنَّ كُلَّ طائِفَةٍ مِنَ الظَّاهِرِيَّةِ والأَشْرَفِيَّةِ
كانت تريد أن يُرَجِّحَهَا لتَهْلِكَ عَدُوًّا ، فلم يفعل .

واستمر كاتب السر في القلعة إلى قرب العصر لا يَقْدِر على الخلاص ،
فلَمَّا تبيّن له أَنَّ المؤيَّدَ مأخوذٌ أَعْمَلَ الحِيَلَةَ إلى أَنْ نزل مِنْ باب المدْرَجِ ،
فلَمَّا كان قريباً مِنْ تربة قَانِبَايِ الشَّرْكَسِي ، لَقِيَتْهُ طائِفَةٌ مِنَ الجند ، فضربه
أَحَدُهُم بالسَّيْفِ على عمامته ، فقطع منها شيئاً ، وَصَوَّبَ له آخر برمح ،
فقال لهم : ما الذي فعلت مما يوجب هذا ؟! ، فَرَدَّ بَعْضُهُمْ بَعْضاً عنه ،
ثم أَتَوْا به إلى بيت الأمير الكبير ، فَسَلَّمَ وَجَلَسَ ، فقال قَائِمٌ طاز : ما
تنتظرون بهذا المنافق ؟ اقتلوه . قال : فقلت : على أيِّ شيء ؟! لم أفعل إلَّا
ما يجب عليّ ، طلعت إلى الخِدْمَةِ على عادَتِي ، فَعَوَّقْتُ ، ثم نزلت حين
قدرت . فقال لي الأمير الكبير : لا تردّ عليه ، فَسَكَتُ وكَفَّه اللهُ تعالى وله
الحمد .

وأرسل المؤيَّدُ إلى الشَّرَفِ الأنصاري (وكان شديد العناية بِهِ ، والكفّ
للأذى عنه ، لما قصده أبوه وأُمُّه بالأذى كما تقدّم) وَرَقَّةً يسأله فيها أن
يُكَلِّمَ جَانِبِكَ ناظِرَ جُدَّةٍ في هذا الأمر ، ويستعطفه . قال : فسأني
الدّخول في مثل هذا الأمر ، فأرسلت إلى جَانِبِكَ وَرَقَّةً أذكر له فيها ذلك ،
فأرسل : بأنَّ هذا الأمر لا يكون ، ولم يبق في رجوع الجند عنه حِيَلَةٌ أَصْلًا ،
قال : فأرسلت إلى المؤيَّد بكرة يوم الأحد ، أَعْلِمَه بذلك ، فأخبر بعض
مَنْ حَضَرَهُ أَنَّهُ لما قرأ الورقة بكى ، ثم إِنَّهُ رَكِبَ فَرَسَهُ ، وَذَهَبَ كما سيأتي
ذلك .

ثم أخبرني القاضي ، كاتبُ السر ، المحب بن الشُّحَنَةِ ، أنَّ الشَّرَفَ هذا ، وعيسى الغندور المغربي ، والأمير بُرْدَبَك ، كانوا من أعظم الغارِّين للسلطان عن أَخْذِ الأُمَةِ لِمَنْ يكيدُه ؛ فَإِنَّه كانَ كلِّما سمعَ خَبَرًا يسوؤه عن اتفاقهم عليه يقول له الأميرُ بُرْدَبَك : لا تسمع هذا ، فَإِنَّه باطلٌ قطعاً ، وكلما يأتِي من الأشرَفِيَّةِ فهو مِنِّي . ويقول له كل يوم : كنت البارحة أنا والشيخ عيسى ، والقاضي شرف ، وقالوا عن الفقير الفلاني ، والمنجِّم الفلاني أنك منصورٌ ، وأنَّ مَنْ بغى عليك قتيل ، وأنتك لا تكترث بهم أصلاً ، ونحو هذا الكلام .

قال : ونُقِلَ إلَيَّ مِنْ أوجهٍ صحيحة أنَّ شَرَفَ الدين كان يقول لأكابر الجند اركبوا ، وأنا ، والشيخ عيسى نذهب إلى المؤيَّد ، فندعه يسلم الأمر إليكم ، ونأتيكم بالنمشا ، والترس^(١) . قال : وكذا كان ، فإنَّ الشَّرَفَ هو الذي أتاهم بالنمشا والترس يوم الأحد المذكور .

فإن كان الأمير بُرْدَبَك ، كان يقول هذا ، وهو عالمٌ بخلافه ، فقد صحَّ أنَّ الكلَّ أطبَّقُوا على خذلان المؤيَّد ، ولم يثبت أحدٌ على نصحه أصلاً ، وسيعلم الذين ظلموا أَى منقلبٍ ينقلبون وبات كلُّ في مكانه ، والناس في دعاء ما مثله شيء كلهم على كلمة واحدة ، حتَّى الأطفال والنساء ، ولم أرَ ضعيفاً إلا يدعو له بالنصر ، لما رأوا في أيَّامِه مِنَ الأمنِ ، وَمِنْ كَفِّ شَرِّ الجند عنهم ، فلم أشك أنه منصورٌ ، لقول النبي

(١) الترس : من السلاح المتوقِّي به .

« كتاب السلاح » (٣٠ - ٣١) ، و« المخصص » (٦ / ٧٤ - ٧٥) ، و« لسان العرب » (٧ / ٣٣٠) ، و« نهاية الأرب » (٦ / ٢٣٩ - ٢٤٠) .

ﷺ : « إِنَّمَا تُرْزَقُونَ وَتُنْصَرُونَ بِضَعْفَائِكُمْ » ^(١) . ولأنَّ البغاة ليس لهم في بغيهم عليه شبهة أصلاً .

فلما أصبح صباح يوم الأحد ^(٢) ، زحفوا عليه ، فقاتلهم بمن معه ، فردوهم ، ثم تراجعوا يقدّمهم عبدُ ابنِ إينال ، ليمحو ما فعل بهم بالأمس ، فلم يكذب عن باب السلسلة ، فأغلق من كان هناك الباب ، فأحرّقه عبدُ ابنِ إينال .

وتبين أن عَدَمَ إجابة الدعاء ، لقول النبي ﷺ : « لتأمرنَّ بالمعروف ، ولتنهونَّ عن المنكر ، أو ليسلطنَّ الله عليكم شراكم ، ثم يدعوا خياركم ، فلا يستجيبُ له » ^(٣) وذلك أنهم جعلوا شكر نعمة الأمانِ على النفس والعرضِ والمالِ الانهك في المعاصي والخلاعة ، حتَّى أنهم كانوا يعملون في هذا الشهر الشريف من الفساد في القصبة ، بعد العشاء من الفساد باجتماع النساء والرجال والأحداث ما يزيد عن الوصف .

ولما رأى السلطان أخذهم للباب على هذا الوجه ، ركب فرساً ، ثم طلع إلى الحوش ، فنزل به ، ودخل إلى البحْرة ، فأرسلوا من توكّل به ، وأخذوا أخاه محمداً وسنّه دون العشرين فأتوا به إلى البحْرة ، فوضعه عند أخيه ، فتبعتهما أمهما ، تقول ما بقي إلاّ العفو ، ويقال أنّها عثرت ، فوقعت ، وقال غالبُ الناس طالما تجبّرت على عباد الله ، ورَدّت حُكْمَ الحُكّام إليك . وكانت إذا لُوّح لها بشيء من العواقب تقول: نحن لانفعل فِعْلَ مَنْ مَضَى من أولاد الملوك بل نقاتل إلى أن نموت ، أو نتنصر ،

(١) أخرجه (البخاري) في « صحيحه » (٥٦) كتاب الجهاد والسير - باب ٧٦ من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب / ج ٣ ص ٢٢٥) بلفظ : « هل تنصرون وتُرزقون إلاّ بضَعْفَائِكُمْ » .

(٢) تاسع عشر رمضان سنة ٨٦٥ هـ .

(٣) سبق تخريجه في « هامش ٢ » من (ص ٢٤٢) من القسم الثاني .

أو نركب الهجن ونسير في بلاد الله الواسعة ، فلما أتى أمرُ الله ، ذهبَت تلك العزائمُ ، ولانت تلك الشكائمُ ^(١) ، بعدم التعلّق بالملك القدير ، بانعدام شَرَطِهِ مِنَ التَّعَرُّفِ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ .

ثم إنَّ بعض خدّام الظّاهر ، يقال له : خُشْ قَدَمَ ، لا لا المنصور وشاهين غزالي ، قالوا : لأبَدَّ مِنْ أَنْ نُقَيِّدَهُمَا . ففيل لهما : لا تَفْعَلَا فتصير سُنَّةً ، فقالوا : أَنَّ أَبَاهُمَا قَيَّدَ المنصور ، ففيل : ليس كذلك ، فقالوا : لأبَدَّ أَنْ نفعل . ففَقَيَّدَاهُمَا . والحال أن أباهما رَفَقَ بجميع مَنْ قبض عليه غَايَةً الرِّفْقِ ، وما عَنَّفَ أحداً منهم ، ولا أسمعهُ كَلِمَةً يكرهها ، ثم إنه لم يقتل أحداً ، وفرَّج عنهم عَنْ قُرْبٍ وَخَوَّلَهُمْ ^(٢) فِي النِّعَمِ ، ولا عَامَلَهُ بالانتقام ، وردَّ كثيراً منهم إلى القاهرة ، ولم يدع جهداً في تثبيت دولة ابنه ، فنَصَّبَ مِنَ الأسباب ما يَبْعُدُ معه نَقْضُهَا ؛ صاهر بَرُشْبَايَ البَجَاسِي ، ويونس الدَّوَيْدَارَ المؤيَّدي ، المشهور بالبَّوَابِ ، وَقَيْتَبَايَ مِنَ الظَّاهِرِيَّةِ ، وسدَّ باب الأمير الكبير ، الذي يلي الرُّمَيْلَةَ ، وأَحْكَمَ سبيل المؤمني ، فجعله كله بالحجر النحيث ؛ لئلا يُحَرِّقَ وَقْتُ الحِصَارِ ، كما فَعَلَ له ، ولكنه لما أَغْفَلَ مراقبةَ مُسَبِّبِ الأسباب خذل ولده .

ولقد كنْتُ أقول هذا في أَيَّامِهِ ، وأنه يوشك أن يُزِيلَ الله دَوْلَةَ وَلَدِهِ فِي أَسْرَعِ وَقْتٍ لِإِخْكَامِهِ الْأَسْبَابَ مَعَ إِغْرَاضِهِ عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهِ سَبْحَانَهُ .

[٢٧٤] ثم أحضروا القضاة ، وخلعوه ، وبايعوا الأمير الكبير خُشْقَدَمَ ، وسمعت أَنَّ المُسْتَنَدَ فِي خَلْعِهِ شَهَادَةُ بَعْضِهِمْ بِأَنَّ الْبِلَادَ

(١) الشكائم : شدة القلب ، والأثَنَةُ والإِثَاءُ .

« المعجم الوسيط » (١ / ٤٩٢) .

(٢) خَوَّلَهُمْ : أي أعطاهم إياها متفضلاً .

« المعجم الوسيط » (١ / ٢٦٢)

فَسَدَّتْ فِي أَيَّامِهِ ، وَأَنَّهُ كَانَ عَاجِزاً عَنْ تَصْرِيفِ الْجِنْدِ ، وَذَلِكَ مِنْ أَيْتِنِ
الْكَذِبِ ؛ فَإِنِّي لَمْ أَرِ الْجِنْدَ أَكْفَ مِنْهُمْ عَنِ الْفَسَادِ فِي أَيَّامِهِ ، فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ
مِنْهُمْ يَغْرِضُ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ شَيْءٌ مِنَ الْفَسَادِ ، وَأَكْثَرَ الْبِلَادِ صَلُحَ فِي
أَيَّامِهِ ، بَغَيْرِ أَشْبَابٍ مِنْهُ ، وَمَا حَدَّثَ فِيهِ شَيْءٌ نَدَبَهُمْ إِلَى إِزَالَتِهِ فَلَمْ
يَسْمَعُوا لَهُ ، فَمَا كَانَ الْفَسَادُ إِلَّا مِنْهُمْ .

وَلَقَبُوهُ الظَّاهِرَ ، وَكَتَبُوهُ بِأَبِي السَّعَادَاتِ ، بَعْدَ اخْتِلَافِ مِنْهُمْ ، وَفَعَلَ
مَا يَدُلُّ عَلَى خُبْنِ الْبَوَاطِنِ ، وَذَلِكَ جَانِبُكَ الظَّاهِرِيُّ نَازِلٌ جُدَّةً ،
وَجَانِبُكَ شَادَ الشَّرْبِخَانَةِ ^(١) وَجَانِبُكَ الظَّرِيفُ الْأَشْرَفِيَّانِ ، نَزَلُوا إِلَى بِيوتِهِمْ
، قَبْلَ الْبَيْعَةِ ، فَعَرِضَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ ، فَأَبَى أَنْ يَتَمَبَّلَ إِلَّا بِحَضْرَتِهِمْ ، فَأَرْسَلَ
إِلَيْهِمْ ، فَلَمْ يَأْتُوا إِلَّا بَعْدَ جَهْدٍ ، وَصَرَّحَ بَعْضُ الْجِنْدِ بِالْخِلَافِ ، وَقَالَ
بَعْضُهُمْ دَعُوا الْإِمْرَةَ الْكُبْرَى ، حَتَّى يَأْتِيَ نَائِبُ الشَّامِ جَانِمَ ، فَيَلِيَهَا ، فَإِنَّ
الْجَمِيعَ كَاتِبُوهُ لِيَأْتِيَ ، فَأَبَى السُّلْطَانُ ذَلِكَ ، وَوَلَّى أَمْرَهَا لَشَرِبَاشَ ، وَتَرَكَ
غَيْرَهَا .

وَكَانَ سِنُّ الْمُؤَيَّدِ إِذْ ذَاكَ ثَلَاثِينَ سَنَةً ، تَزِيدُ قَلِيلًا ، فَإِنَّ صِهْرَهُ الْأَمِيرَ
بُرْذَبَكَ أَخْبَرَنِي أَنَّهُ وُلِدَ بِغَزَّةَ ، لَمَّا كَانَ أَبُوهُ نَائِبَهَا ، قَبْلَ تَوَجُّهِ الْأَشْرَفِ سَنَةً
سِتٍّ وَثَلَاثِينَ ^(٢) إِلَى أَمِيدٍ ^(٣) ، وَكَانَ ذَا بَسْطَةٍ فِي الْجِسْمِ ، طَوِيلًا ، قَلَّ

(١) الشَّرْبِخَانَةُ : بَيْتٌ يَشْتَمِلُ عَلَى أَنْوَاعِ الْمَشْرُوبِ ، مِنَ الْمَيَاهِ وَخِلَافِهَا ، وَالسَّكَّرِ ، وَالْخُلُوفِ ،
وَالْفَوَاكِهَ ، وَالْعَقَاقِيرَ ، وَلَهَا مِهْنَتًا وَعِدَّةُ شَرَابِدَارِيَّةٍ . وَكَانَتْ عَادَتُهَا طَبْلُخَانَةٌ ، ثُمَّ اسْتَقَرَّتْ تَقْدِمْهُ أَلْفٌ .
« نَهَايَةُ الْأَرْبِ » (٨ / ٢٢٤ - ٢٢٥) ، وَ« صَبِيحُ الْأَعَشَى » (٤ / ٢١) ، وَ« زَيْدَةُ كَشْفِ الْمَالِكِ »
(١٢٤) .

(٢) وَثَلَاثَانَةٌ .

(٣) أَمِيدٌ : مِنْ أَعْظَمِ مَدَنِ دِيَارِ بَكْرَ ، وَأَشْهَرُهَا ذِكْرًا ، تَقَعُ عَلَى جَبَلٍ مِنْ غَرْبِي دَجْلَةَ مَطْلَ عَلَيْهَا
مِنْ نَحْوِ خَمْسِينَ قَامَةً .

« سَفَرُ نَامَةِ » (٤٢ - ٤٣) ، وَ« صُورَةُ الْأَرْضِ » (٢٠١ - ٢٠٢) . وَ« مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ » (١ / ٥٦) ،
وَ« بُلْدَانُ الْخِلَافَةِ الشَّرْقِيَّةِ » (١٤٠ - ١٤٣) .

أَنْ يَكُونَ فِي الْجَنْدِ مَنْ يَسَاوِيهِ فِي الطُّوْلِ ، عَلَى أَنَّهٗ فِي طَوْلِهِ حَسَنٌ مِمَّنْ عَلَى
الْجِسْمِ ائْيُضْ بِسُمْرَةٍ ، أَقْنَى (١) الْأَنْفِ ، حَسَنَ الْوَجْهِ ، حَلَوَ الْحَدِيثِ ،
ثَاقِبَ الْفَهْمِ ، يَغْلِبُ عَلَيْهِ التَّائِي فِي الْأُمُورِ ، وَلَهُ مَعَ ذَلِكَ مَهَابَةٌ ظَاهِرَةٌ (٢) .
وَبَسَطَ الْجَنْدُ أَيْدِيَهُمْ فِي الْعَامَّةِ ، وَقَطَعَ السُّلْطَانُ يَدَ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ، وَأَمَرَ
بِهِ إِلَى الْمُقَشَّرَةِ ، يُنَادِي عَلَيْهِ ، هَذَا جَزَاءُ مَنْ يَمُدُّ يَدَهُ إِلَى الْجَنْدِ .

وَتَرَكَ الْأَمِيرُ بَرَسْبَايَ الْبَجَاسِي عَلَى وَظِيفَتِهِ ، وَتَسَلَّمَ صِهْرَهُ الْأَمِيرِ
بُرْدَبَكْ ، فَجَعَلَهُ فِي قَاعَتِهِ فِي بَابِ السَّلْسَلَةِ ، وَكَذَا قَرَّاجَا الطَّوِيلِ ،
وَوَعَدُوهُمَا بِخَيْرٍ ، وَاتَّهَمَ النَّاسُ حِينَئِذٍ بَرَسْبَايَ ، بِأَنَّهُ كَانَ مُبَاطِنًا لِلْبَغَاةِ ،
وَأَنَّهُمْ مَا تَمَكَّنُوا مِنَ الْقَبْضِ عَلَيْهِ إِلَّا عَنْ مُوَاعَدَةٍ بَيْنَهُمْ ، وَذَمَّ النَّاسُ
لِذَلِكَ ، وَقَالَ بَعْضُ مَنْ لَهُ خِبْرَةٌ : أَنَّ سَلَامَتَهُ ، إِنَّمَا هِيَ لِكَوْنِهِ شَرَكِسِيًّا ،
وَلَهُ مِنْهُمْ أَصْدِقَاءُ ذَبُّوا عَنْهُ .

وَأَسِيفَ النَّاسِ عَلَى مَا كَانَ يَفْعَلُ بُرْدَبَكْ مِنَ الْخَيْرِ : مِنْهُ لِمَجْمَعِ الْأَزْهَرِ ،
فِي كُلِّ لَيْلَةٍ أَلْفَ رَغِيفٍ غَيْرِ الطَّبِيخِ ، وَمِنْهُ لِلْحُبُوسِ ، وَمِنْهُ مَجْلِسُ سَمَاعِ
الْبَخَّارِيِّ فِي بَيْتِهِ كَانَ يَجْتَمِعُ بِهِ مِنَ الْفَضْلَاءِ مَنْ يَحْصِلُ بِهِ إِثَارَةُ فَوَائِدَ ،
يَفْتَحُ اللَّهُ فِيهَا بَمَا لَمْ يُوجَدْ فِي غَيْرِهِ ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ لِلَّهِ ، فَقَدْ فَازَ ، لَكِنْ
الَّذِي يَرْتَشِحُ ، أَنَّهُ رِيَاءٌ وَسَمْعَةٌ ؛ إِنَّهُ قَطُّ مَا أَقَامَ عَلَى صِدْقَةٍ مِنْ ذَلِكَ أَمِينًا
صَالِحًا ، بَلْ كَانَ الَّذِي يُقِيمُهُمْ مِنْ شَرِّ الْعِبَادِ ، وَكَذَلِكَ خَوَاصُّهُ الَّذِينَ
يَأْلَفُهُمْ وَيَأْتَسُّ بِهِمْ ، وَأَحْبَبُهُمْ إِلَيْهِ مَنْ لَوْ رَأَاهُ يَكْفُرُ مَا نَهَاهُ عَنْ كُفْرِهِ إِلَى
غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَبْدُو عَلَى فَلَاتَاتِ لِسَانِهِ وَصَفَحَاتِ أَعْمَالِهِ .

(١) أَقْنَى الْأَنْفِ : ارْتَفَعَ أَعْلَاهُ ، وَاحْدُودٌ وَسَطُهُ ، وَسَبْعُ طَرَفُهُ وَسَطُ قَصْبَتِهِ وَضَاقَ مَنْخَرَاهُ .

«مَحِيطُ الْمَحِيطِ» (٧٦٠) ، وَ«الْمَعْجَمُ الْوَسِيطُ» (٧٦٤ / ٢) .

(٢) رَاجِعْ تَفَاصِيلَ هَذِهِ الْأَحْدَاثِ فِي : «حَوَادِثُ الدَّهْوَرِ» (٣٩٥ - ٣٩٧) ، وَ«النَّجُومُ
الزَّاهِرَةُ» (١٦ / ٢٣١ - ٢٥٢) ، وَ«بَدَائِعُ الزَّهْوَرِ» (طَبْعَةُ بُولَاق) (٦٩ / ٢) ، وَ«بَدَائِعُ
الزَّهْوَرِ» (صَفَحَاتُ لَمْ تُنْشَرِ) (٩٣ - ٩٤) .

وحصل الأسف أيضاً على أنه لم يُكْمَل أمر مدرسته التي برجة الأيذمري، والرباط الملاصق لها، والعمارة التي تليها، وتتعلّق بها، غير أنهم كانوا يذمّونه ويتمنون زواله؛ لتقريب عيسى المغربي، المشهور عند المغاربة بالغندور، لما يَظهر منه من الزندقة وغيرها من أنواع الفساد، ومن ذلك أنه زَيّن لبعض الناس أنه يربي الأيتام لله، فأخضروا له بناتٍ إلى أن اجتمع عنده نحو العشرة، فشاع عنه إلى أن سد الأنساع أنه يُحكِّك لهنّ، ويأتي بَعْضُهُنّ من ورائها، ثم أنه افْتَضَّ واحدةً مِنْهُنّ، قبل الرُكوب بيومٍ أو نحوه، ثم أرضى أهلها ببعض الدنيا التي كان يعطيه إياها بُرد بك، ثم افتض أخرى كما دُكر لي عن ابنة عيسى، ثم صَحَبَه بواسطته جندٌ، منهم جانبك ناظر جُدّة، وقصدوا بذلك أموراً، منها الإطّلاع على سِرِّه منه، فزَيّن لناظر جُدّة السُلْطَنَة، ووَعَدَه بها، فدخل في ذهنه من ذلك ما حمّله على أن كان أعظم الأسباب في هذا الرُكوب، مع أن الأمير بُرد بك نُصِح في هذا غَيْرَ مَرَّة، وقيل له: ما يفعل مع جانبك وأمثاله فلم ينته، مع حُسن عَقْلِهِ، وأصالة رأيه، وتُقُوب فِكْرِهِ، فما ذاك إلّا لِأَنَّ العليم القدير قضى بأن كُلَّ عِبَادِهِ مقهورون تحت مُرادِهِ، ولا يزالون مختلفين إلّا مَنْ رَحِمَ ربُّك، ولذلك خلقهم.

وفي يوم الاثنين تاسع عشر الشهر، وقع الكلام في الإقطاعات والنزاع وكثر الخلافُ، حتّى كاد يكون شرّاً.

وفيه ذهبَ يَشْبُكُ خَزَنَدَار المُوَيْد، حين كان أتابك العساكر إلى الأمير يَزْبُك، فاستجار به؛ خوفاً من أن [٢٧٥] يُضْرَب، لِيُقِرَّ على أموال

المؤيد ، وأخبره أنه لا يعرف له إلا حاصلاً واحداً ، ودلهم عليه فإذا فيه من النقد ما يقارب مائة ألف دينار ، ومن الصيبي والأمتعة شيء كثير (١) .

ونمَّ بعضهم على إماميه : حسن السنباطي الكتبي (٢) ، وعبد القادر بن أبي الفتح (٣) بن الشيخ شمس الدين محمد الحجازي ، وعلى التاج الإخيمي (٤) ، وكان انضم إليه في حجته بالمزح والسُّخريّا ، فقليل : أنَّ عندهم مالٌ ، فأخذوا به ، فإذا هو ثلاثون ألف دينار ، عند كلِّ منهم عشرة ، ثم قيل أن عند الإخيمي أكثر ، فرسم عليه ، فحلف أنه ليس عنده غير ذلك ، وأنه كان عنده غيره ، فردّه وأشهد على المؤيد ، فأفلت . وقبض على يوسف بن رسلان ، وعلى ناصر الدين بن أصيل ، فقليل لهما :

(١) راجع «النجوم الزاهرة» (١٦ / ٢٤٨) .

(٢) هو : حسن بن علي بن معين ، البدر السنباطي ثم القاهري الكتبي الشافعي ، إمام المؤيد أحمد . ولد سنة ٨٣٧ هـ تقريباً ، حفظ كتباً كثيرة ، وقرأ القراءات ، خدم إينال وحظي عنده ، انجمع بعد موت الأشرف ثم زوال دولة ابنه المؤيد ، ولزم الذكر والتلاوة ، مات في العشر الأخير من ربيع الأول سنة ٨٨٥ هـ .

له ترجمة في «الضوء اللامع» (٣ / ١١٨ رقم ٤٥٢) .

(٣) هو : عبد القادر بن محمد بن محمد بن أحمد محبي الدين بن أبي الفتح بن الشمس الأنصاري الحجازي الأصل القاهري ، المعروف بابن الحجازي . ولد بعد صلاة الجمعة في العشر الأخير من ذي القعدة سنة ٨٣٩ هـ ، وحفظ القرآن ، وأخذ من عدة فنون : الفقه ، والنحو ، والأدب نظماً ونثراً ، وكتب الخط الحسن ، وياشر التوقيع ، أم بالمؤيد أحمد في سلطته ، كما أم بوالده الأشرف إينال في إمرته ، مات في دمشق بخلوته من زاوية الشيخ خليل القلعي في ١٢ ربيع الأول سنة ٨٩٣ هـ .

له ترجمة في «الضوء اللامع» (٤ / ٢٩٤ رقم ٧٨٣) .

(٤) هو : محمد بن إبراهيم بن التاج عبد الوهاب ، علق الأكثر ، أو الجمال عبد الله ، تاج الدين الأخيمي الأصل القاهري الشافعي ، المعروف بالتاج الأخيمي ، ولد يوم عاشوراء سنة ٨٠٤ هـ بالقرب من بركة الرطلي من القاهرة . أخذ عن عدد من علماء مصر في عدة فنون . ناب في الحسبة والقضاء ، وجمع ثروة كبيرة ، ومات يوم الخميس ٢٩ رمضان سنة ٨٩١ هـ بالقاهرة .

له ترجمة في : «الضوء اللامع» (٦ / ٢٥٨ رقم ٨٩٣) .

ساعدوا السلطان في النفقة ، وقيل : أنه كان يسيء مرافقة خُشقدم في نظر المرستنان وأنه أمر بنهب خَيْلِهِ ، وكان يقتني الخيل الجياد ، والظاهر صحة ذلك ؛ لِأَنَّ ذلك كان دأبه مع كُلِّ مَنْ يرافقه في شيء ، فهو ثَقِيلُ العِشْرَةِ ، كما أَنَّهُ ثَقِيلُ البَدَنِ ، فَإِنَّهُ مفرط في السَّمَنِ . ثم قُرِّرَ على ابن أَصِيل ثلاثة آلاف دِينَار ، وَعَلَى ابن رسلان ألف وأُطْلِقَا .

واختفى علي بن خليل بن خَضْبَك ابن خال السلطان المؤيَّد ، وكان أقربهم إلى الفتنَةِ ، فَإِنَّهُ كان يُتَّهَمُ بأنَّ جميع مال الأشرَف وزوجته في بيوتِهِ ؛ فإنها مع كَوْنِها أوطانهم قديماً في غَايَةِ الحِصَانَةِ عند المدرسة السابقة داخل دروب كثيرة ، وفي ظهرها قصر بشتك والحجازية ، ثم أصلح أمره صِهْرُهُ الأميرُ قَيْتَباي الظاهري ، ثم كان كَلِّماً أُغْرِيَ السلطانُ عليه ، فأَرادَه بسوء ، طلع معه قَيْتَباي ؛ فيكيف عنه .

وَرُسِمَ للأميرين قَائِبَتاي الشَّرَكْسِي ، وَتَنَمَّ المؤيَّدُ أن يُطْلَقَا إلى دُمِياط ، وشاع أَنَّهُ رُسِمَ بإطلاق العزيز يوسف بن بَرَنْبَاي ^(١) ، والمنصور عثمان بن جَقْمَقَ مِنْ محبسهما إلى منازل ينزلان بها في المدينة (مدينة إسكندرية)

(١) هو : يوسف بن بَرَنْبَاي العزيز الجمال أبو المحاسن بن الأشراف الدقفاقي الظاهري الأصل القاهري . ولد بقلعة الجبل في إحدى الجهادين سنة ٨٢٧ هـ ، وتسلمن بالديار المصرية بعد موت والده في آخر نهار السبت ١٣ ذي الحجة سنة ٨٤١ هـ ، ولم تطل أَيَّامُهُ وتخلع بالظاهر جَقْمَقَ العلاني في يوم الأربعاء ١٩ ربيع الأول سنة ٨٤٢ هـ ، ثم وقعت له أمورٌ ومحن ، وفرَّ واختفى حتى ظَفِرَ به وَحَسَّه الظاهر جَقْمَقَ بالدور السلطانية ، ثم بعثه إلى سجن إسكندرية ، وحُبِسَ بها إلى أن أطلقه الملك الظاهر خُشقدم ، وسكن بدارٍ في الأسكندرية إلى أن مات بها يوم الاثنين ١٩ محرم سنة ٨٦٨ هـ .
له ترجمة في : « الدليل الشافي » (٢ / ٧٩٩ رقم ٢٦٩١) ، و « النجوم الزاهرة » (١٦ / ٣٢٦ - ٣٢٨) ، و « الضوء اللامع » (١٠ / ٣٠٣ رقم ١١٧٤) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٣٤) .

يتصرفان في أرجاء البلد ، كيف أرادوا ، ولا يخرجان منها ، ولم يثبت ذلك إلى الآن ، ثم ثبت وعمل كما يأتي .

وفي بكرة يوم الثلاثاء العشرين ^(١) من الشهر ، لبس الجند السلاح ، ونزلوا بالمؤيد أحمد وأخيه محمد ، وقراجا الطويل ، مقيدين إلى بولاق ، فأنزلوهم إلى المراكب ، وجّهزوا معهم من يحفظهم إلى إسكندرية ، ورجع العامة يقولون : الملك المؤيد راح وهو مُقَيَّد . وكان الجند الذين معه يقولون للعامة : هذا أبوكم الذي كنتم تدعون بنصره ، قولوا : الله ينصره ، ويتهدّدونهم ، وحكي أنه كان نفى شخصاً من مفسدي الغلمان (أي خدام الجند في الخيل) ، فرّد من الخائكة لما سمع بالركوب عليه ، فلما نزل به ، صار يشتمه شتاً فاحشاً ، فأمر شخصاً ممن معه أن يرفع ذلك إلى الظاهر ، ويقول : أتعجبك هذا ؟! ، فغضب السلطان ، وأمر بقطع لسان ذلك الغلام ويده ، فهرب ولم يُمَعِنُوا في طلبه .

وسمعت أن عيال يزبك وهم خوند البارزية وبتهها من الظاهر جقمق ، أظهروا الشامتة بهم ، وأرسلوا من حين النصرة عليه إلى المنصور عثمان بإسكندرية من يُبَشِّرُهُ بالقَبْضِ عليه ، فسبحان من يُعِزُّ وَيُذِلُّ .

وقل أن وقعت قضية ، تستحق أن تذكر إلا كنت في ميعادي فيما يُشَبِّهُهَا شَبْهاً ظاهراً إلا هذه ، فإنني كنت يوم الجمعة سابع عشر الشهر في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهِيَ ظَلِيمَةٌ ﴾ ^(٢) إلى قوله : ﴿ وَإِنَّا لَمَوْفُوهُمْ نَصِيْبُهُمْ ، غَيْرَ مَنْقُوصٍ ﴾ ^(٣) ،

(١) في « النجوم الزاهرة » (١٦ / ٢٥٥) يوم الثلاثاء ٢١ منه .

(٢) هود / ١٠٢ .

(٣) هود / ١٠٩ .

والذي يلي هذا أيضاً شديد المناسبة له إلى أن قال : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (١) ، فإمّا أن يكون الظالم جند أبيه بما كانوا يعملون من انتهاك الحرمات التي لا يمكن بشرّاً أن يشرحها على ما هي عليه ، فأراد الله إهلاكهم ؛ بأن زين لهم لما أخذ المؤيد على أيديهم أن ركبوا عليه ، ليتمكن منهم .

وإمّا أن يكون هو كان على ما كان عليه وهو أتاك العساكر ، فإنه كان قد أفسد غالب البلاد ، وعمّ ظلمه التجار ، وكثيراً من غيرهم ، وكان قبل الركوب عليه قد بدأ فيها يشابه ذلك ، من تقديم الجهال بالرّشوة مجاهرة ، والعمل بالأغراض .

وإمّا أن يكون المقصود من بغي عليه أزاله الله عنهم سائلاً ليلقي بأسهم بينهم ، ويولي بعضهم بعضاً .

وهذا هو الظاهر ، فإنّي كنت أكتب في مسودّتي كتابي (المناسبات بين الآيات) وإذا شخص قد جاء من نحو القلعة آخر يوم السبت وهو يحكي أنهم قد أضعفوه ، ويوشك أن لا يناموا إلّا وقد ملكوا القلعة ، وإذا أنا أكتب في قوله تعالى : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٣) .

وإمّا أن يكون ذلك للناس عامّة ؛ فإنهم قابلوا نعمة الأمن التي أتاهاها الله على يده بالتوسّع في الفساد ، فلا قوة إلّا بالله .

وفي أواخر يوم الثلاثاء هذا ، مات يونس الدؤيدار (٤) الكبير ، فاستراح منه البلاد والعباد ، وكان روميّاً ، فلو عاش ، لكان يُظنّ أنه

(١) في الأصل يعملون .

(٢) هود / ١٢٣ .

(٣) هود / ١٢٣ .

(٤) راجع « هامش ١ » من (ص ٢٩١) من القسم الأول .

يكون عَضْداً للسلطان ، ولم يكن من الأمراء روميّ غيره ، ولكنّه كان شديد القيام في حَظّ نفسه ، لا يتوقّف أن يتوصل إليه بالكذب البحت ، ولو أنّ فيه إذهاب الرّوح ، وكان يجمع القضاة عنده كلّ يوم ، ليقال : أنّه لا يحكم إلّا بالشّرع ، وهو لا يحكم به إلّا إذا وافق هواه كسائرهم ، وكان سنّه نحو سبعين .

وعُيِّنَت الهُجَانَةُ إلى البلاد بالبشارة بولاية الظاهر ، وكتب إلى نائب الشام مرسومان ، أحدهما بالبشارة ، وقيل للهجان إن وجدته في دمشق ساكناً عن الحركة فاقصر على دفعه إليه ، والثاني يأمره بأن يلزم بلده ، ولا يقدّم إلى القاهرة ، لانفصال الأمر ، وأمر الهجان بأن لا يدفعه إليه إلّا إن وجدّه متحرّكاً للمجيء .

وفي أواخر ليلة الأربعاء ثاني عشره ، دقّت المناسير من اللصوص على بعض أطراف البلد وصاح الناس ، فلم يُعْنِهم أحدٌ ، فتيّنت صدق ما قال الجند ، من أنّ المؤيّد كان عاجزاً عن كفّ أهل الفساد ، وقبل القضاة قولهم هذا ، فيا ليت شعري أعنّ قوّة منهم هذا أو عجز .

وفي هذا اليوم ، شاع أنّ عرب لبيد استنقذوا المؤيّد من أيدي الموكلين به بالبحر ، وذهبوا به معهم ؛ فبادر السلطان إلى الكتابة إلى مرزا^(١) ، كاشف البحيرة بالتّحفظ من ذلك ، وملاقة المؤيّد ، والتّوكّل به إلى أن يوصله إسكندرية ، وكان المؤيّد قريب عهد بالإحسان إليه ؛ دفع إليه ألف دينار ، قال كاتب السرّ : فلم يكن بأشجع من أن أرسل بخبر ، أنّه امثل المرسوم الشريف ، وأوصله مقيّداً إلى إسكندرية .

(١) جاء في «اضوء اللامع» (١١ / ١٧٩) مرزا التركماني ، كان كاشفاً بالوجه القبلي ، ثم انتقل لنيابة الكرك ، وهو من الأحياء .

وفي هذا اليوم شرعت خَوْنُدُ في نقل مالها بالقلعة من القماش والأثاث ، فإذا هو شيء كثير ، وحكى بعض الأكابر أنها ما كانت تجد من ينقل لها إلا بعسر ، وأنها في بعض هذه الأيام طلبت من يشتري لها ولأتباعها عشاءً ، فلم تجد ، فخرجت بعض عجائزها ، فاشتريت بطيختين ، وقليلًا من الجبن ، فوجدن البطيختين غير صالحتين للأكل ، فاقصرن على الجبن ، وأصبحن صَوَامًا عليه ، إنَّ في ذلك لعبرة .

وفي هذا اليوم وقع الكلام فيما كان الأشرف أخذَه من الناس ظلمًا من البيوت والعقارات ، فَرَدَّتْ جهاتٌ ناظر الخاص الجمال يوسف على أربابها ، وجهاتُ الشرف الأنصاري عليه ، وكان الزينُ الإِسْتَدَّارُ تكلم في أشياء اشتراها الأميرُ بُرْدُ بكٍ منه ، فأجاب الأميرُ بُرْدُ بكٍ أنه ما اشتراها إلا في دَوْلَةِ المنصور ، وهو يصادره ، كما اشترى منه غَيْرُهُ من الناس ، وهذه تواريخُ المكاتبات شاهدة بأنَّ ذلك قَبْلَ دولة استاذِه ، فلم يُسَمِعْ للإِسْتَدَّارِ ، وعُلمَ كَذِبُهُ (١) .

وفي هذا اليوم طلبوا من محمد بن إينال إحضار عبده ؛ لِيُوسِّطَ ، فأجاب : بأنه ليس عنده ، ولا يَقْدِرُ على تَحْصِيلِهِ ، وأنه عتيقٌ من مُدَّةِ سنين ، فاشتدَّ الزَّامُهم له به ، فدار على بعض الأمراء الظَّاهِرِيَّةِ ؛ يستغيثُ بهم في ذلك .

[٢٧٦] وفي يوم الخميس ثالثَ عَشْرِي شهر رمضان هذا خُلع على الأمير الكبير شَرِبَاشَ بما لِلْإِمْرَةِ الْكُبْرَى من الوظائف ، وعلى جَانِبِكَ ناظرُ جُحْدَةَ بالدُّوَيْدَارِيَّةِ الْكُبْرَى ، وعلى جَانِبِكَ الظَّرِيفُ بالدُّوَيْدَارِيَّةِ

(١) خبر القبض على بُرْدُ بَكٍ ومصادرتِه في « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٩٨) .

الثانية ، وعلى قَانَم طاز بالخَزَنْدَارِيَّة الصُّغْرَى عن الطَّرِيف ، وعلى قَيْتَبَاي الظَاهِرِي بِشَدُّ الشَّرِيحَانَةِ ، وَقَانَم طاز الأَشْرَفِي بالخَزَنْدَارِيَّة الثانية التي كانت بيد جَانِبِكَ الطَّرِيف ، وجعل قَرْقَمَاش الجَلَب أمير السِّلَاح ، وَوَلَّى عنه إِمْرَةً المجلس قَانَم التَّاجِر ، وأخذ عنه إِمْرَةً رَأْس نَوْبَةِ النُّوب ، حَاجِب الحِجَاب بِبِيرَس خَال العَزِيز ، وأخذ الحِجَابِيَّة يَلْبَاسِي أَحَد المؤيَّديَّة (١) .

وفي أَوَاخِرِهِ ، أُفْرِجَ عَنِ الأَمِير بُرْدُ بَك ، على أَنْ يَنْذِل ثَلَاثِينَ أَلْف دِينَار ، فنزل بعد عشاء الآخِرَةِ مِنْ لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ رَابِعَ عَشْرِيَّةً إِلَى بَيْتِهِ بِقَصْرِ الْحِجَازِيَّة .

وكان قد رُسِمَ على خَوْنَد الكَبْرَى زَيْنَب بنت ابن خَصْبِكَ ، امْرَأَةً الأَشْرَفِ إِيثَال ؛ لِتَبْذُلَ مَا عِنْدَهَا مِنْ مَالِ السُّلْطَان ، فَأَنْكَرَتْ أَنْ يَكُونَ تَحْتَ يَدِهَا شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ ، فَوَكَّلَ بِهَا شَاهِينَ ، المعروف بِغَزَالِي ، وَسُرُور الطَّيَّارِي ، وَكَانَتْ تُحْسِنُ إِلَيْهِمَا ، فَكَانَا أَشَدَّ النَّاسِ عَلَيْهَا ، ثُمَّ زِيدَتْ آخِرَ يَوْمِ الْخَمِيسِ هَذَا .

فلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ ، رَابِعَ عَشْرِيَّةٍ رَجَعَ الْهَجَّانَةُ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا بِالْبِشَارَةِ بِوَلَايَةِ السُّلْطَان ، وَمَعَهُمْ هَجَّانٌ مِنْ قَبْلِ جَانَمِ نَائِبِ الشَّام ، أَنَّهُ آتٍ ، وَأَنَّهُ فَارَقَهُ قُرْبُ الْعَرِيشِ ؛ فَاضْطَرَبَ السُّلْطَانُ وَأُفْرِجَ عَنْ خَوْنَد ، فَنَزَلَتْ إِلَى بَيْتِهِمْ بِجَوَارِ السَّابِقِيَّة ، وَأَرْسَلَ السُّلْطَانُ إِلَى الْخَلِيفَةِ وَالْأَمْرَاءِ وَالْمُبَاشَرِينَ وَالْقُضَاةَ ، فَطَلَعُوا وَاسْتَمَرُّوا فِي الْقَلْعَةِ ، وَشَرَعَ فِي تَحْصِينِهَا بِآلَاتِ الْحِصَارِ ، وَفِي نَقْلِ الْبُقْسَاطِ إِلَيْهَا وَالْمَاءِ وَالسُّكَّرِ وَأَنْوَاعِ الْمَأْكُولَاتِ

(١) خبر هذه التعيينات في : «النجوم الزاهرة» (١٦ / ٢٥٦) ، و «بدائع الزهور» (صفحات لم تنشر) (٩٨-٩٩) .

ونحوها ، واضطرب الناس اضطراباً شديداً ، وغلا بعض الحبوب ، فكثر دعاء الناس على الظالمين ، ولما خطب الخطباء للجمعة ووصلوا إلى ذكر السلطان زاد تأسفهم على المؤيد ، وكثر ضجيجهم بالحقولة (١) ، وضرب الأيدي بعضها على بعض ، حتى سُمع لها صوت شديد ، وكانت ساعة مشهودة (٢) .

واستشار السلطان من جمعهم من أهل الحل والعقد ، فاجتمع رأيهم على طاعته ، وأن يُرسل إلى جاتم من يُعلمه بذلك وأن الإرسال إليه ما كان إلا لأجل المؤيد ، وقد فات ، فكتب إليه بذلك ، وعين للرسالة ثلاثة من طوائف مُفرقة : جانبك كوهيه من المؤيدية ، وجكم خال العزيز من الأشرفية ، وتنم رصاص من الظاهرية ، وشاع أن بغض الجند تخرج للقائه ، فبات الوالي خارج باب النصر ، يرد من يجذ منهم .

وفي يوم السبت خامس عشره ، عين إقطاع الأمير يونس الدؤيدار للأمير يزبك صهر الظاهر ، وإقطاع قرقماش الجلب لجانبك شاد الشربخانة ، وإقطاع الأمير برز بك لجانبك الظريف الدؤيدار الثاني ، وذلك زيادة على إقطاع كل منهم ، وكل إقطاع منهم إقطاع تقدمه ، وعين إقطاع ابن الأمير برز بك لابن الأمير شرباش ، وبلغني أنهم لما تكلموا للدؤيدار الثاني في التقدمة ، قال السلطان : هذان أمران متنافيان ؛

(١) الحقولة : قول : لا حول ولا قوة إلا بالله .

«المعجم الوسيط» (١ / ٢٠٨) .

(٢) راجع هذه الأخبار في : «حوادث الدهور» (٣٩٩-٤٠٠) ، و«النجوم الزاهرة» (١٦ /

٢٥٦-٢٥٧) ، و«بدائع الزهور» (صفحات لم تنشر) (٩٩) .

الدَّوْنْدَارِيَّةُ تَقْتَضِي الْقِيَامَ ، وَالتَّقْدِيمَةَ تَقْتَضِي الْجُلُوسَ . فَقَالَ جَانِبُكَ ،
نَاطِرُ جُدَّةَ : أَفْعَلْ هَذَا وَدَعِهِ يَجْلِسُ ، وَيَجْلِسُ فَوْقِي ^(١) .

وَفِي لَيْلَةِ الْأَحَدِ سَادِسَ عَشْرِيهِ ، رَجَعَ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا إِلَى نَائِبِ الشَّامِ ،
وَمَعَهُمْ كِتَابُهُ ، أَنَّهُ حِينَ وَرَدَ عَلَيْهِ الْمَرْسُومُ الشَّرِيفُ فِي الْبَيْرِ الْبَيْضَاءِ ^(٢) ،
بَيْنَ بَلْبَيسَ وَالْخَانِكَةِ ، قَبْلَ الْأَرْضِ ، وَحَصَلَ لَهُ السَّرُورُ التَّامُ ، وَأَنَّهُ مَا كَانَ
جَائِيًا ، إِلَّا لَمَّا كَانَ وَرَدَ إِلَيْهِ مِنَ الْمَكَاتِبَاتِ بِاتِّفَاقِ الْكَلِمَةِ عَلَى اسْتِقْدَامِهِ ؛
لِإِزَالَةِ الْمُؤَيَّدِ ، فَحَيْثُ وَصَلَ الْأَمْرُ إِلَى الظَّاهِرِ ، فَقَدْ وَقَعَ لِأَهْلِهِ وَفِي مَحَلِّهِ ،
وَلَوْ وَرَدَ عَلَيْهِ الْمَرْسُومُ ، وَهُوَ قَبْلَ الصَّالِحِيَّةِ ^(٣) ، رَجَعَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ ، وَهُوَ
الْآنَ مُقِيمٌ بِمَنْزِلِهِ ذَلِكَ ، يَنْتَظِرُ الْمَرْسُومَ الشَّرِيفَ بِالْإِذْنِ فِي دُخُولِ الْقَاهِرَةِ ،
أَوْ الْانْصِرَافِ ، فَيُمَثِّلُ مَا يُرْسَمُ بِهِ ، وَتَظَلَّمُ مِنْ سُودُونِ نَائِبِ قَلْعَةِ دِمَشْقَ ،
وَجَانِبُكَ حَاجِبُ الْحِجَابِ بِهَا فِي أَتَمِّهِمْ لَمْ يَزَالُوا يُؤْذِنُونَهُ ، وَيَعَارِضُونَهُ فِي
أَمْرِهِ ، وَأَنَّهُمْ زَمَوْا عَلَيْهِ مِنَ الْقَلْعَةِ بِالْمَدَافِعِ وَالسَّهَامِ ، وَأَغْرَوْا بِهِ الْعَامَّةَ ،
فَرَجَمُوهُ وَاشْتَدَّ انْتِهَاكُهُمْ لِحَرَمَتِهِ ، وَأَرَادُوا قَتْلَهُ فَمَا خَلَصَ إِلَّا بِنَقَبٍ مِنْ
إِصْطِبَلِ الْبِغَالِ فِي ظَهْرِ دَارِ السَّعَادَةِ ، وَأَخْرَجَ أَعَزَّ عِيَالِهِ ، فَهَجَمَ الْعَامَّةُ
بَعْدَ خُرُوجِهِ عَلَى بَيْتِهِ ، فَنَهَبُوا مَا وَجَدُوا مِنْ نَقْدٍ وَعَرَضَ ، وَهَتَّكُوا الْحُرْمَةَ

(١) جَاءَ فِي « حَوَادِثِ الدَّهْرِ » (٣٩٩) فِي ٢٥ رَمَضَانَ جَدَّدَ السُّلْطَانُ حُتْقَدَمَ الْوِظَانِ ، حَتَّى
تَجَاوَزَتْ عِدَّةَ الدَّوْنْدَارِيَّةِ عَلَى الْعَشْرِينَ بَعْدَ عَشْرَةٍ ، وَكَذَا السُّقَاةُ بَعْدَ سِتَّةٍ وَالْيَجْمَقْدَارِيَّةُ بَعْدَ أَرْبَعَةٍ ،
وَكَذَا الْبَوَائِيْنَ بَعْدَ أَرْبَعَةٍ .

وَرَاجِعْ أَيْضًا خَبَرَ هَذِهِ التَّعْيِينَاتِ فِي « النُّجُومِ الزَّاهِرَةِ » (١٦ / ٢٥٧ - ٢٥٨) .
(٢) الْبَيْضَاءُ : تُطْلَقُ عَلَى أَرْبَعَةٍ قَرَى بِمِصْرَ .

رَاجِعْ : « مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ » (١ / ٥٣٠) ، وَ« الْخَطَطُ التَّوْفِيقِيَّةُ » (١٠ / ٢٥) .

(٣) الصَّالِحِيَّةُ : يَوْجَدُ هَذَا الْاسْمُ ثَلَاثَ قَرَى بِمِصْرَ ، وَالْمَقْصُودَةُ هُنَا بِلْدَةُ بِمَدِيرِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ
مَرْكَزِ الْعَرِينِ فِي نَهَايَةِ بِلَادِ الشَّرْقِيَّةِ بِشَاهَا الشَّرْقِيِّ ، وَاقِعَةٌ بِجَزِيرَةٍ مِنَ الرَّمَالِ ، وَهِيَ جَمَلَةٌ كَفُورُ ذَوَاتِ
نَخِيلٍ كَثِيرٍ أَنْشَأَهَا الْمَلِكُ الصَّالِحُ نَجْمُ الدِّينِ أَيُّوبُ بْنُ الْكَامِلِ مُحَمَّدُ بَارِضُ السَّبَاخِ عَلَى طَرَفِ الرَّمْلِ
سَنَةِ ٦٤٤ هـ - « خَطَطُ الْمَقْرِزِيِّ » (١ / ٢٢٧) ، وَ« الْخَطَطُ التَّوْفِيقِيَّةُ » (٣ / ٦ - ٨) .

واستحلُّوا مِنْهُ ما لم يكن يُظَنُّ أَنَّ كَافِراً يَفْعَلُهُ (١) ؛ فرسَمَ السلطانُ بِعَزْلِ
المذكورين ، وأن يُنْقَلَ عنه الحاجِبُ إلى حِماةٍ نائِباً بها ، ويكون نائب حِماة ،
جانبَكَ التَّاجِي نائِباً لطرابُلس ، وأنَّ إِيَّاس الطَّوِيلَ نائب طرابُلس يُسَجِّن ؛
لما تَكَرَّرَ فيه مِنَ الشَّكَايَةِ ، مِنْ ظَلَمِهِ وظَلَم وَلَدِهِ ، وَرَسَمَ بِقُدُومِ نائب
الشَّامِ إلى القَاهِرَةِ ، لينظر السلطانُ ، وأن ينزل في المِيدانِ ، ورسم له بثلاثة
آلاف دينار ، وبَبَرَك (٢) يونس الدَّوَيْدَار كُله ، يَغْنِي خَيْلَهُ وَجِمالَهُ وَبِغَالَهُ ،
وجميع ما يتبع ذلك مما يكون في السَّفَر ، فقليل إنَّه يساوي عشرين ألف
دينار ؛ فسكن الأمرُ قَليلاً ، واستمرَّ الأمراءُ ، ومن ذُكِرَ مقيمين بالقلعة ،
وظهر أنَّ غَيْرَ الأَشْرَفِيَّةِ مع السلطان قُطْعاً وتألَّفَ أَجْلَابُ الأَشْرَفِ إِنْثال ،
وجميع حواشيه ، فرسَمَ لهم بالطَّلُوعِ إلى أَطْباقِهِم بالقلعة على أرزاقِهِم .
ثم شاع أنَّ سبب ما اتفق لِنائبِ الشَّامِ مع مَنْ بها ، أنَّ جانبَكَ ناظر
جُدَّة ، لَمَّا دار بين جماعته ، وبين الظَّاهِرِيَّةِ ، حتى اجتمعوا على قَلْبِ رجلٍ
واحد في نَقْضِ دَوْلَةِ المؤيَّد ، وكتبوا نائبَ الشَّامِ بالقدوم لذلك ،
وَلِيْمَلُكُواهِ عليهم ، طلع إلى المؤيَّد فأخبرَهُ بأنهم كاتبوه ، وكان هو لم
يكتب شيئاً ، وأشار على المؤيَّد بأن يُرْسَلَ إلى الحاجِبِ ، ونائبِ القلعة
بدمشق أنَّ يركبوا عليه ويَجَرُّوا عليه العوامَ ففعل ، فكان ما ذُكِرَ ، وقصد
بإظهار الرِّضَى لجانَم ، جَمَعَ الأَشْرَفِيَّةِ على رأيهِ في إزالة المؤيَّد ، وبما أشار
به على السلطان قتل جانَم والاشترَاحَةَ مِنْ سُلْطنتِهِ ، فإنَّ الأَشْرَفِيَّةِ أعداء
الظَّاهِرِيَّةِ ، وأعداؤُهُم (٣) ... (٤) .

(١) راجع « حوادث الدهور » (٤٠٢) .

(٢) بَرَك : إبل أهل الحِواءِ كُلُّها ، أو جماعة الأبلِ البَارِكَةِ أو الكَثِيرَةِ .

« محيط المحيط » (٣٧) ، و « المعجم الوسيط » (١ / ٥١) .

(٣) راجع هذه الأخبار وتفاصيل أخرى في : « حوادث الدهور » (٣٩٩ - ٤٠٠) ، « بدائع
الزهور » (صفحات لم تنشر) (٩٩ - ١٠٠) .

(٤) ما يقارب أربع كلمات غير واضحة الرِّسْمِ في الأصل ، ولم نجزم بتصحيحها .

وفي يوم [٢٧٧] الأحد هذا ، خُتِمَ البخاري الذي يُقرأ بالقلعة
للسلطان ؛ فخلع على القضاة على العادة ، ورُسم لهم أن يمكنوا في
البحرَة التي بحوش القلعة ،

وفي أواخره ، وصل بعض من رافق نائب الشام فأيدوا ما أخبر أنه
حلَّ به من أهل دمشق ، وأنَّ الحاجب ، ونائب القلعة رميًا عليه من
القلعة ، وأنَّ دُونْدَارَه الكبير مُغْلِبَاي البجاسي أصابه سهمٌ ، فمات منه
بصالحية القاهرة ، وأنَّ مَقْلِدًا أمير حوزان لما سمع بخروجه ، ركب عليه
في سبعمائة فارس ، فلم يدركوه ، وأنه أتى في نحو ثلاثمائة فارس ، وأنه
نهب قَفْلًا ^(١) من المسافرين في ناحية حَلْحُولية ^(٢) ، فأخذ منه ما يزيد
على أربعة آلاف دينار ، ونهب بلدًا من بلاد الحاجب في بلاد الرَّمْلَة ، وأنه
لما أتى غَزَّةَ وَصَعَ نائبها في زنجير ، وَوَجَدَ زَيْنَ الدين ناظر جَيْشِهَا قَدْ
هَرَبَ منه ، فنهب داره ودار أخيه .

ثُمَّ حَدَّثَنِي الْعَلَّامَةُ كِمَالُ الدين ابن أبي شريف القدسي عن شخص
من فقهاء حلب يُقال له حسين ، أَعْرِفُهُ بِالْجِلَادَةِ وَالْجُرْأَةِ قَالَ : سافرت
إلى بلادِي ، فَلَاقَيْنَا نَائِبَ الشَّامِ بِالزَّعَقَةِ دُونَ غَزَّةَ ، وَكُنَّا مَعَ قَصَادِ بْنِ
قَرْمَانَ ، وَمُتَسَفِّرِي عَلِيٍّ جُوكِي ، نَائِبِ الْمُهِمَّنْدَارِ ، وَمَعَهُمْ مَا أَهْدَاهُ الْمَلِكُ

(١) قَفْلًا : جاء في « لسان العرب » (٧٨ / ٤) الْقَفُولُ الرجوع من السفر ، وقيل : الْقَفُولُ رجوع
الجند بعد الغزو ، قَفَلَ الْقَوْمُ يَقْفُلُونَ بِالضَّمِّ قُفُولًا وَقَفْلًا ، وَاسْمُ الْقَافِلَةِ قَافِلَةٌ تَفَاوَلًا يَقْفُلُهَا عَنْ
سَفَرِهَا الَّذِي ابْتَدَأَتْ بِهِ ، وَالْقَافِلَةُ الرَّفْقَةُ الرَّاجِعَةُ مِنَ السَّفَرِ .

(٢) حَلْحُولِيَّةُ : قرية بين بيت المقدس ، وقبر إبراهيم الخليل ، وبها قبر يونس بن متى عليهما
السلام .

« معجم البلدان » (٢ / ٢٩٠) .

المؤيد لابن قَرَمَان ، ومع علي جوحي هدايا لنفسه يريد أن يهديها إلى النواب ، وإلى ابن قرمان وغيرهم ، ليستفيد منهم بذلك ما يؤمله ، فنهب نائب الشام جميع ما مع القضاة ، وما مع علي جوحي ، ورسم بشنقه . قال : فقصدته في جماعة من الركب ، وكان بيني وبينه معرفة من حلب وأنس كبير ، فشفعنا فيه ، وأطلنا الكلام بالتركي والعربي ، وضرعنا إليه ، فما أغفاه من الشنق إلا بعد جهد شديد ، ولم يظهر أنه يعرفني أصلاً ، فتوافقحت ولم أزل أعرفه بنفسي حتى أظهر المعرفة ، ثم رجعنا معه فحدثنا من كان معه ، أنه ما مرَّ بقفل إلا نهبه ، وأنه لما بلغ المجدل أرسل جريدة (١) بمن معه فيها ابنه ، فطرقوا نائب غزّة ليلاً ، فكسروا عليه باب دار السعادة ودخلوا عليه ، فربطوه ، ونهبوا جميع ما يحويه بيته ، من صاميت وحيوان ، ونهبوا بيت ناظر الجيش ومن يتبعه ، وبيت الحاجب بها ، وصادروا بعض أعيانها ووعد الأمير الكبير بها وهو حزمان نيابتها ، واستقدمه معه ؛ لأنه من طائفة الأشراف ، وكان في رجوعنا أيضاً كلما رأى ركبا نهبهم ، وأخذ جماهم ، ثم وصل إلى قطيا فأحرق الدكة بها (وهي الموضع الذي يمكنون فيه الناس) ، وأحرق بيت المتولي بها ووجده قد هرب منه إلى ناحية الطينة ، فولى بها مملوكاً من ممالكه ثم سار ، قال : فسايرته (٢) ، وقلت : يا مولانا ، أنت ذاهب تروم (٣) المملكة وهذه الأفعال لا تصلح ، إنما يحسن بمن يُريد ما تُريد ، إظهار العدل والخير ، فاعتذر بأن الشاميين نهبوا ماله ، ولم يدعوا له ما يتقوى به ، فهو لا يفعل هذا إلا ضرورة (٤) .

(١) جريدة : خيل لا رجالة فيها .

« المعجم الوسيط » (١ / ١١٦) .

(٢) في « حوادث الدهور » (٤٠٣) إشارة إلى أعمال السلب والنهب التي قام بها نائب الشام وهو في طريقه إلى القاهرة .

(٣) تروم : تطلب .

« المعجم الوسيط » (١ / ٣٨٣ ، ٣٨٤) .

(٤) يذكر (ابن تغري بردي) في « حوادث الدهور » (٤٠٣ - ٤٠٤) أن نائب الشام امتحن =

وكان مُحَقَّقًا أَنَّهُ يَتَسَلَطُن ، وشاع أَنَّهُ يُؤَلِّي تَمَرَّاز الأَمْرَةِ الكُبْرَى بالقَاهِرَةِ ،
ويجمع إلى خَزَنَدَارِهِ يوسف الصُّبَيْبِي مع الخَزَنَدَارِيَّةِ نَظَرَ الجِيشِ والخاص ،
ولا يدع [مع] ^(١) مُتَعَمِّمٍ إِقْطَاعًا .

فلَمَّا وَصَلَ إلى بَلْبَيس ، وجاءه الثلاثة الذين مِن قِبَلِ السُلْطَانِ الظَّاهِرِ ،
وأَعْلَمُوهُ بولايته ، وَجَمِيعَ الأَمْرَاءِ مِنَ الأَشْرَفِيَّةِ وَغَيْرِهِم بِالْقَلْعَةِ ، واجْتَمَاعِهِمْ
على كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ فِي طَاعَتِهِ ، وَقَرَأَ المَرْسُومَ بِالرَّجُوعِ ، رَعَبَهُ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ
مَعَهُ إِلَّا نَحْوُ ثَلَاثِمِائَةِ فَارِسٍ ، لَيْسَ مِنْهُمْ مِمَّا لِيَكُهُ إِلَّا نَحْوُ مِائَةٍ ،
والباقِي مُلَفَّقُونَ ، مَا بَيْنَ خَدَامَةٍ ، وَتَرْكِمَانٍ ، وَعَشِيرٍ .

قال : وَمِنْ هُنَاكَ تَقَدَّمْنَا عَنْهُ . قال : فَلَمَّا كُنَّا عِنْدَ الْخَانِكَةِ إِذَا ثَلَاثَةٌ مِنْ
أَعْيَانِ الأَشْرَفِيَّةِ مُلْتَمِسُونَ ، فَاسْتَوْقَفُونِي ، وَسَأَلُونِي عَنْهُ ، فَارْتَبْتُ مِنْهُمْ ، ثُمَّ
مَشَيْتُ فِي هَوَاهِمِهِمْ ، فَإِذَا هُمْ يَهُوُونَ تَعْظِيمَ أَمْرِهِ ، ثُمَّ سَأَلُونِي هَلْ مَعَهُ نَوَافٍ
بِلَادِ الشَّامِ ؟ [٢٧٨] قال : فَتَحَيَّرْتُ فِي الْجَوَابِ عَنْ ذَلِكَ ، فَأَدْرَكُوا ذَلِكَ
مِنِّْي ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ : أَخْبِرْكُمْ بِالْحَقِّ ؟ فَقَالُوا : نَعَمْ ، فَأَخْبَرْتَهُمْ بِقِلَّةِ مَنْ
مَعَهُ ، وَضَعْفِ أَمْرِهِ ، وَأَنَّهُ مَا خَرَجَ مِنْ دِمَشْقَ إِلَّا هَارِبًا ، وَلَمْ يَكْدِ يَقْلُتْ .
قال : فَارْتَاعُوا ، وَقَصَدُوا الرَّجُوعَ ، فَخَيَّلَهُمْ مِنْهُ أَكْبَرَهُمْ سِنًا ، وَصَارَ
يُشَجِّعُهُمْ عَلَى لِقَائِهِ ، فَلَمْ يَجِيبَاهُ ، وَغَلَبَا عَلَيْهِ ، فَارْجَعُوا . انتهى .

وَأَرْسَلَ السُّلْطَانُ الْوَزِيرَ ؛ لِيُطَبِّخَ لِنَائِبِ الشَّامِ بِالْخَانِكَةِ ، فَلَمَّا وَصَلَ
أَعْلَمَ بِذَلِكَ ، فَقَالَ : لَسْتُ مُحْتَاجًا إِلَى طَعَامِهِ ، أَذْهَبُ فَانْصَبْ مَطْبَخَكَ

= فِي مَالِهِ وَدِينِهِ ، وَوَقَعَتْ مِنْهُ أُمُورٌ كَانَتْ يُسْتَبَعَدُ وَقُوعُهَا مِنْهُ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ دِينًا عَفِيفًا ، مُحِبًّا فِي الْفُقَرَاءِ
وَالْفُقَهَاءِ وَأَهْلِ الصَّلَاحِ .

(١) مَا بَيْنَ الْحَاصِرَتَيْنِ غَيْرِ وَاضِحِ الرَّسْمِ فِي الْأَصْلِ ، وَالتَّصْحِيحُ مِنْ مَفْهُومِ السِّيَاقِ .

في قُبَّة النَّصْرِ هناك أكل . فحمل المطبخَ ورجع به ، ثم تواصل إليه ممن
يثق به ، وأعلموه أنَّ هذا خطأ ، فإنَّ السلطان قد جمع القُضاة والأُمراء
بالقلعة ، وشقَّ العصى غير مُمكن فأرسل مَنْ رَدَّه .

وفي هذا الحدَّ رجع الذين شيعوا المؤيَّد أحمد إلى إسكندرية ، ومدحوه
بالإحسان إليهم ، وتبينَ كَذِب ما شاع عن لبيدٍ من إنقاذِهِ ، وأشاع الذين
كانوا معه ، ومنهم بيبرس الطويل ، وهو من رؤوس الأشرافية أنَّ الأميرَ تَنَمَّ
قال : أما وجدتم غَيْرَ هذا الخِراً تَوَلُّونه عليكم سلطاناً ! وكأنهم أرادوا
بهذا توغير قلب السلطان عليه لثلاثِ مُحْضِرِهِ إلى القاهرة ، فيصير عَضْداً له ،
فإنَّه مِنْ إِخْوَتِهِ المؤيَّدية ، فيَقْوَى جانبُهُ ، فتصعب عليهم إزالته ، والله
أَعْلَم .

وفي يوم الاثنين ، سابع عَشْرِ الشهر ، تواصل إرسال السلطان إليه بالأموال والتُخَفِ والأطعمة والخيام ، ليرْجِع ، فأَصَرَ على إرادة القُدوم ، فأرسل يَشْبُكُ الفقيه من المؤيَّدَةِ ، فلم يُفِدْ ، فأرسل إليه يوم الثلاثاء ثامن عَشْرِ الشهر من النَقْدِ ما وَفَى أربعة عشر ألف دينار ، وأرسل إليه ثلاثة رؤوس من الخيول المَسَوَّمة بآلاف الذهب ، وإحداً له ، وآخر لولده ، وآخر لتمرّاز ، ومع ذلك سبعة بغير الآت ^(١) ، ثم لم يُفِدْ شيء من ذلك ، فكَلَّمَ السلطانُ وَبَعْضُ الظَاهِرِيَّةِ مَنْ بالقلعة من الأشرَفِيَّةِ في استرجاعه ، فأظهروا أنه لا يسمع منهم ، وأنَّه غير مُنْتَظَم المَزَاج ، ولا يرجع إلى أحد ، فَنسَبَ بَعْضُ الظَاهِرِيَّةِ جانِبَكَ المعروف بالمِشْدُ إلى أنه لو أراد لرجع نائب الشام ، فبلغه هذا ، فدخل إلى السلطان ، فقال : من يَنْسُبُنِي إلى كذا ؟! ، أنا لا أنا مملوكك ، ولا مملوك جَانَم ، ومالككم عِنْدِي إلا الإمرة التي أعطيتُموني ، لا حاجة لي بها ، ونحو هذا من الكلام الغليظ ، ثم خرج من عِنْدِهِ غضبان .

ونزل من القلعة ماشياً ، وربما قيل حافياً ، فارتاع النَّاسُ لذلك ، وأشاعوا أنَّ السلطانَ قبض على الأشرَفِيَّةِ ، وأنْضَمَّ إلى ذلك أنَّ كاتب السر لما نزل من الخِدْمَةِ ، لم يَسْتَقِرَّ في بيته حتَّى جاء مَنْ رَدَّه إلى القلعة ، فأغْلَقَت بعض أسواقِ البَلَدِ ، وصار النَّاسُ في كَرْبٍ ، ثم شاع أنَّ السلطانَ أرسل كاتب السر إلى جَانَم ليَحْلِفَه في مُناصحة السلطان ، ويردّه إذا حَلَفَ ، ثم بان أنَّ ذلك لاحقيقة له ، والله المسؤول في إصلاح الحال .

(١) راجع « حوادث الدهور » (٤٠٠)

وأظهر بَعْضُ مَنْ يَنْظُرُ فِي الْمَلَا حِم ، وَخُرَافَاتِ الْمُنْجِّمِينَ أَنَّ مَدَّةَ هَذَا السُّلْطَانِ إِنَّمَا هِيَ أَيْامٌ مَعْدُودَةٌ ، وَأَنَّ الَّذِي يَلِي بَعْدَهُ شَخْصٌ أَوَّلُ اسْمِهِ (جِيم) ، وَأَنَّهُ مُكْحَلٌ ، فَقَضَى النَّاسُ بِذَلِكَ ، وَبِأَنَّهُ جَانِمٌ ، فَإِنَّهُ لَا يَزَالُ يَتَكَحَّلُ ، وَيُظْهَرُ عَلَيْهِ أَنَّ الْكُحْلَ ، وَكَثُرَ الْارْتِجَاجُ بِسَبَبِ ذَلِكَ ، ثُمَّ تَرَادَفَ الْإِرْسَالُ إِلَيْهِ بِالْمَنْعِ مِنَ الْإِقَامَةِ ، وَالْعَزِيمَةِ فِي الرَّجُوعِ ، وَالشَّامُ لَهُ ثَلَاثُ سِنِينَ ، وَمَنْ أَرَادَهُ مِنَ الْمَشَائِخِ ، فَهُوَ بَاقٍ عَلَى حَالِهِ ، وَمَنْ كَرِهَهُ ، فَلْيَرْاجِعْ فِيهِ لِيُفْعَلَ مَا يُرِيدُ ، فَأَبَى ذَلِكَ ، وَقَالَ : أَنَا أَرْضَى مِنْ ذَلِكَ بِأَنْ أُعْطِيَ أَرْبَعُ قُرَى زُرْعٍ ^(١) ، وَطُقُسٍ ^(٢) ، وَالطُّرَّةَ ^(٣) ، وَلَدٌ . فَأُجِيبَ إِلَى ذَلِكَ ، وَزِيدَ مِنَ الْمَالِ ، مَا بَلَغَ ثَمَانِيَةَ عَشْرِ أَلْفِ دِينَارٍ ، عَشْرَةٌ لَهُ ، وَاثْنَانِ لَوْلَدِهِ ، وَسِتَّةٌ لِنِسَائِهِ ، عِوَضَ مَا تُهِبُ لَهُ ، وَأُرْسِلَ إِلَى تِمْرَازِ أَلْفَانَ وَوُيٍّ نِيَابَةِ صَفَدٍ ، وَأُرْسِلَ لَهُمْ مِنَ الْخَيُْولِ شَيْءٌ كَثِيرٌ ، وَكَذَا مِنَ الْهَدَايَا ، وَحَصَلَ الْوِفَاقُ عَلَى أَنْ يَرْجِعَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ ثَانِي شَوَّالٍ مِنَ الْخَانِكَةِ ، وَكَانَ الْوَزِيرُ فِي طُولِ هَذِهِ الْأَيَّامِ فِي الْخَانِكَةِ ، يَطْبِخُ لَهُ مِنْ مَالِ السُّلْطَانِ .

وَلَمَّا اسْتَقَرَّ الْحَالُ عَلَى الرَّجُوعِ أَذِنَ لْجَمَاعَتِهِ ، فَقَدِمَ مِنْهُمْ مَنْ أَرَادَ إِلَى الْقَاهِرَةِ لِمُضَرَّتِهِمْ ، فَكَانَ مِنْهُمْ عِثْمَانُ بْنُ الْحَاجِّ مُحَمَّدُ بْنُ بَاكُلُهُ الزُّبْدَانِي [٢٧٩] كَانَ قَدْ انْضَمَّ إِلَى خَزَنَدَارِهِ وَاخْتَصَّ بِهِ ؛ لِيُخِمِّي نَفْسَهُ

(١) زُرْع : بِلْدَةٌ كَانَتْ مِنْ أَعْمَالِ دِمَشْقَ ، مِنْ بِلَادِ حَوْرَانَ .

» مَسَالِكُ الْأَبْصَارِ - دَوْلَةُ الْمَمَالِكِ الْأُولَى « (١٩٠) ، وَ« الْمَصْطَلَحُ الشَّرِيف » (٢٢٨) .

(٢) طُقُس : يُفْهَمُ مِمَّا جَاءَ فِي « التَّعْرِيفِ » (٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧) أَنَّهَا بِلْدَةٌ مِنْ أَعْمَالِ غَزَّةٍ مِمَّا يَلِي دِمَشْقَ ، بَعْدَ بِلْدَةِ إِزِيدٍ .

(٣) الطُّرَّة : بِلْدَةٌ مِنْ قُرَى حَوْرَانَ .

» الدَّارِسُ « (١/٣٥٨ هَامِشُ ٦) .

مِنْ جَمَاعَةِ إِسْمَاعِيلَ ، فَحَدَّثَنِي : أَنَّ أَصْلَ بُغْضِ الشَّامِيِّينَ لَهُ ،
 وَزِيَادَةَ حَنَقِهِمْ عَلَيْهِ ، أَنَّهُ نَادَى بِأَنْ لَا يَتَفَرَّجَ أَحَدٌ فِي الرَّبْوَةِ وَالْجَبْهَةِ ،
 فَانْتَهَوْا ثُمَّ أَتَوْا إِلَى خَزَنَدَارِهِ وَجَمَعُوا لَهُ ثَلَاثُمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ يَدْعَهُمْ
 وَعَادَتِهِمْ ، فَاخْذَهَا وَفَعَلَ ، وَنَادَى لَهُمُ بِالْأَمَانِ فِي فِعْلِ ذَلِكَ ، بِشَرَطِ أَنْ لَا
 يُظْهِرُوا مُنْكَرًا ، وَرَبَّمَا قَالَ : إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عَلَى يَدِ قَاسِمِ الْحَلْبِيِّ الْمَعْرِيِّ
 الْقَادِرِيِّ ، شَيْخِ زَاوِيَةِ ابْنِ دَوَادٍ ، فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ شَرَعُوا فِي التَّبَسُّطِ فِي ذَلِكَ
 عَلَى عَادَتِهِمْ ، فَحَسَّنَ قَاسِمٌ لِلنَّائِبِ أَنْ يُغَيِّرَ عَلَيْهِمْ ، فَأَطْلَعَ إِلَى زَاوِيَتِهِ
 خَيْلًا ، وَأَغَارَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ هُنَاكَ ؛ لِيَكُونَ أَسْتَرٌ لَهُمْ ، فَفَعَلُوا فِيهِ مِنْ لَقْوِهِ
 هُنَاكَ ، مِنْ سَلْبٍ مَا مَعَهُمْ ، حَتَّى مَا فِي آذَانِ النِّسَاءِ ، وَرَبَّمَا قِيلَ أَنَّهُمْ
 قَطَعُوا بَعْضَ آذَانِهِنَّ ، وَمِنْ الْفُسْقِ فِي النِّسَاءِ ، وَافْتِضَاضِ الْأَبْكَارِ مَا يَجِلُّ
 عَنِ الْوُضْفِ ، وَلَا يُظَنَّ أَنَّهُ يَرْضِيهِ كَافِرٌ ، فَضَلَّ عَنْ مُسْلِمٍ ، فَعَلِمَ النَّاسُ
 أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ بَصْنَعٍ مِنْ قَاسِمٍ ، لَمَّا انْضَمَّ إِلَيْهِ مِنْ قَرَائِنِ دُخُولِهِ مَعَهُ فِي
 أَبْوَابِ الظُّلْمِ ، وَتَنَاوُلِ الرِّشَا ، كَمَا تَقَدَّمَ ، حَتَّى كَانُوا لَا يُسَمُّونَهُ إِلَّا قَاسِمِيًّا
 الْبُرْدَدَارَ (وَالْبُرْدَدَارُ هُوَ الْمَقَامُ فِي بَيْوتِ أَرْبَابِ الشُّوْكَةِ لِتَصْرِيفِ الْأَعْوَانِ
 فِي الْمَظَالِمِ) فَهَجَمَ النَّاسُ عَلَى قَاسِمٍ فِي زَاوِيَتِهِ ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ ، ثُمَّ
 تَوَعَّدُوهُ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي شَعْبَانَ هَذِهِ السَّنَةِ ، فَلَمْ يَقْدِرْ بَعْدَهَا أَنْ يَجْتَمَعَ
 بِالنَّائِبِ .

فَلَمَّا قَدِمَ يَحْيَى ابْنُ النَّائِبِ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، وَرَجَعَ بِخُطُوطِ جُنْدِ الْقَاهِرَةِ
 بِالرُّضَى بِأَبِيهِ كَانَ الْجَمَالُ يَوْسُفَ الْخَزَنَدَارِ فِي بِلَادِ نَابُلُسَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَنْ
 يَلْحَقَهُ سَرِيعًا ، لِأَنَّ الْأَمْرَ انْتَضَمَ لِأَبِيهِ ، وَهُمْ سَائِرُونَ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، فَدَخَلَ
 ابْنُ النَّائِبِ فِي ثَامِنِ شَهْرِ رَمَضَانَ عَلَى هَيْئَةٍ فِيهَا بَعْضُ النَّكْرَةِ ، ثُمَّ لَحِقَهُ
 الْخَزَنَدَارُ ، وَلَمْ يَكُنْ أَكْمَلَ مَا تَوَجَّهَ لَهُ ، فَأَنْكَرَ الْأَمْرَاءُ ذَلِكَ ، فَدَخَلَ

جَانِبِكَ حَاجِبِ الْحِجَابِ إِلَى الْقَلْعَةِ لَيْلًا فَارْتَاعَ النَّائِبُ بِذَلِكَ ، فَأَرْسَلَ إِلَى الْأُمَرَاءِ وَالْقُضَاةِ ، فَجَمَعَهُمْ ، وَقَالَ : مَا لِهَذَا دَخَلَ الْقَلْعَةَ ، وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا لِعُضَيَّانِ مِثْلِي ، مَا الَّذِي رَابَكُمْ مِنِّي ؟! أَنَا مُطِيعٌ لِلْمُسْلِمَانِ فَاصْتَبَا بِذَلِكَ مَخْضَرًا ، فَكُتِبَ لَهُ بِهِ ، وَوُضِعَ مَنْ حَضَرَ مِنَ الْأُمَرَاءِ خُطُوبُهُمْ بِالشَّهَادَةِ لَهُ بِالطَّاعَةِ إِلَّا قَبِيكَ ، رَأْسَ الْمَيْسَرَةِ ، وَهُوَ أَحَدُ الْمُؤَيَّدِيَةِ ، فَامْتَنَعَ مِنَ الْكِتَابَةِ ، فَقَامَ إِلَيْهِ تَمْرَازُ فَلَكَّمَهُ ، فَقَامَ هُوَ إِلَى تَمْرَازِ فَلَكَّمَهُ فَجَاءَ مَمَالِيكَ النَّائِبِ لِمَعَاوَنَةِ تَمْرَازِ ، فَخَافَ الْأُمَرَاءُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، فَسَأَلُوا النَّائِبَ فِي تَسْكِينِ الْفِتْنَةِ ، بِأَنْ يَخْلَعَ عَلَى قَبِيكَ فَعَفَلَ ، ثُمَّ خَرَجُوا فَاسْتَمَرُّوا مِنْ قَوَرِهِمْ طَالِعِينَ إِلَى الْقَلْعَةِ كُلُّهُمْ ، ثُمَّ رَمَوْا عَلَيْهِ مِنْهَا بِالْمَدَافِعِ وَالنَّبْلِ ، وَأَغْرَوْا بِهِ الْعَوَامَ ، وَهُمْ فِي غَايَةِ الْحَقِّ ، فَمَا أَلْبَثُوهُ أَنْ دَخَلُوا عَلَيْهِ . قَالَ : فَلَمَّا هَرَبَ مِنَ الْبَابِ الَّذِي نُقِبَ لَهُ فِي ظَهْرِ دَارِ السَّعَادَةِ ، وَفَرَّغُوا مِنْ نَهَبِ دَارِهِ ، تَبِعُوهُ ، فَأَتَوْا إِلَى بَيْتِ الْخَزَنَدَارِ . قَالَ : فَظَهَرْتُ أَنَا وَجَمَاعَةٌ مَعِيَ ، فَرَدَدْنَاهُمْ بِالنَّشَابِ ، فَغَابُوا وَأَتَوْنَا بِأَبْوَابِ يَزْحَفُونَ وَرَاءَهَا ، وَمَعَهُمُ الْمُقَالِيعُ ^(١) وَغَيْرُهَا مِمَّا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ ، فَمَا كِدْنَا أَنْ نَخْلُصَ مِنْهُمْ .

ثُمَّ رَكِبْنَا عَلَى الصَّعْبَةِ وَالذَّلُولِ ، وَخَرَجْنَا مِنْ دِمَشْقَ هَارِبِينَ ، ثُمَّ كَانَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ نَهَبِ كُلِّ مَنْ مَرُّوا بِهِ مِنَ الْمَسَافِرِينَ ، وَكَانَ خُرُوجُهُمْ رَابِعَ عَشْرِ الشَّهْرِ أَوْ خَامِسَ عَشْرِهِ ، وَوَجَدُوا الشَّيْخَ نَجْمَ الدِّينِ ابْنَ قَاضِي عَجَلُونَ فِي وَعْرَةٍ سَعَسَعِ فِي نَاسٍ [٢٨٠] فَانْتَهَبُوا مَا مَعَهُمْ .

هَذَا مَا كَانَ مِنْ خُرُوجِهِمْ عَلَى غَيْرِ مُرَادِهِمْ بِتَدْبِيرِ اللَّهِ ، وَأَمَّا تَدْبِيرُهُمْ

(١) الْمُقَالِيعُ : مَا يُرْمَى بِهَا الْحَجَرُ

« الْمَعْجَمُ الْوَسِيطُ » (٢/ ٧٥٥) .

فإنه كان غير هذا ؛ كانوا عَزَمُوا أَنْ يُعَيِّدُوا عِيدَ الْفِطْرِ ، ثم يقولوا لِلْأُمَرَاءِ أَنَّ إِسْمَاعِيلَ بْنَ عَبْدِ الْقَادِرِ شَيْخَ جَبَلِ نَابُلُسٍ قَدْ عَصَى وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَقْصِدَهُ فَتَجَهَّزُوا لِذَلِكَ ، فإذا سار بهم إِلَى قُرْبِ بِلَادِهِ قَبَضَ عَلَى مَنْ خَافَ مِنْهُ وَسَارَ بِالْبَاقِينَ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، لِأَنَّ الَّذِينَ كَاتَبُوهُ وَافَقُوا عَلَى الرُّكُوبِ عَلَى السُّلْطَانِ بَعْدَ الْعِيدِ ، ففعل الله غير ما دبروه فِي الْبَلَدَيْنِ لِأَمْرِ يَرِيدُ سُبْحَانَهُ ، نَسَأَلُهُ أَنْ يَجْعَلَ عَاقِبَتَهُ لَنَا خَيْرًا ، قَالَ : هَذَا مَا كَانَ مِنْ عَوَامِ الشَّامِ فِي بُغْضِ النَّائِبِ ، وَقَاسِمِ لِنَفْتِيقِهِ الظُّلْمَ عَلَيْهِمْ ، وَأَمَّا جَمَاعَةُ النَّائِبِ فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا يَقُولُ : هَذَا كُلُّهُ فِعْلُ قَاسِمِ ذَاكَ الشَّيْطَانِ وَاللَّهُ لَنْ رَأَيْنَاهُ دَخَلَ إِلَى النَّائِبِ لِنَقْتُلَنَّهُ . نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ الدَّائِرَةَ عَلَيْهِ قَرِيبًا وَعَلَى أَشْبَاهِهِ مِنْ أَكَلِي الدُّنْيَا بِدَعْوَى الدِّينِ آمِينَ .

ثم إنَّ الْأَمِيرَ قَبْلَكَ الَّذِي تَقَدَّمَ أَنَّهُ كَانَ سَبَبَ الدَّائِرَةِ عَلَى نَائِبِ الشَّامِ ، قَدِمَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ سَلَخَ شَهْرَ رَمَضَانَ ، وَقِيلَ إِنَّ عَلَى يَدِهِ مُحَاضِرٌ بِمَا فَعَلَهُ نَائِبُ الشَّامِ ^(١) .

وَفِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ هَذَا ، رَسَمَ السُّلْطَانُ لِقَاضِيِ الْحَنْفِيَّةِ ، السَّعْدِ بْنِ الدَّيْرِيِّ أَنْ يَنْزِلَ إِلَى بَيْتِهِ إِنْ شَاءَ ، ثُمَّ يَطْلُعُ فِي يَوْمِ الْعِيدِ ، لِيَلْبَسَ خِلْعَتَهُ ، وَإِنَّمَا خَصَّهُ مِنْ بَيْنِ الْقَضَاةِ ، لِأَنَّهُ أَعْلَاهُمْ سِنًا ، عَمَرُهُ يَوْمئِذٍ سَبْعٌ وَتِسْعُونَ سَنَةً وَشَيْءٌ ، مِائَةً إِلَّا نَحْوَ ثَلَاثِ سِنِينَ ، فَاسْتَضَعَبَ الْحَرَكَةَ ، فَاسْتَمَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ ، فَرُويَ الْهَلَالُ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ ، فَصَلَّى فِي جَامِعِ الْقَلْعَةِ ، وَلَبَسَ الْخِلْعَةَ ، وَنَزَلَ إِلَى بَيْتِهِ ، فَاسْتَأْذَنَ بَقِيَّةَ الْقَضَاةِ ، فَلَمْ يُؤْذَنَ لَهُمْ ، وَاسْتَمَرُوا مَعَ الْأُمَرَاءِ فِي الْجَامِعِ وَكَانَ أَطْوَعُهُمْ وَأَعْقَلُهُمْ الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ شَرِيبَاشَ ، حُكِّيَ لِي أَنَّ الْأُمَرَاءَ كَانُوا فِي حَرَكَةٍ زَائِدَةٍ يَذْهَبُ

(١) رَاجِعْ خَبَرَ جَنَيْتِكَ مَعَ جَنَانِمْ نَائِبِ الشَّامِ فِي « حَوَادِثِ الدَّهْوَرِ » (٤٠٢) .

بعضهم إلى بَغِضٍ ، ويتحدَّثون ، [وأما هو فلم يكن يذهب إلى أحد ، وإن جاءه أحدٌ وأطال عنده] ^(١) ، وَضَعَ رأسه على وسادته ، واضطجع ، يُظْهِرُ أَنَّهُ نَامَ ، فَعَدَّ النَّاسُ ذَلِكَ مِنْ عَقْلِهِ وَضُمُّهُ إِلَى امْتِنَاعِهِ مِنْ قَبُولِ السَّلْطَنَةِ .

وفي يوم الخميس مستهل شَوَّال ، نُودِيَ لِأَتْبَاعِ جَانَمٍ بالخروج من القاهرة للسَّفر ، وأرسل إليه حاجِبُ الحَجَّابِ بيَّرس خال العزيز ، لِيُسَفِّرَهُ .

وفي ليلة الجمعة ثانية ، رحل نائب الشام جَانَمٌ مِنَ الْخَائِنَةِ ، فنزل في حَوْضِ قَرَاجا ، ثم رحل ليلة السَّبْتِ إلى بَلْبَيسَ ، فوجع حاجب الحجاب ، وَتَرَكَ عِنْدَهُ دُولَاتَ ^(٢) بَايِ النَّجْمِيِّ يُسَفِّرُهُ ، كَفَى اللَّهَ النَّاسَ شَرَّهُ ^(٣) .

ولما أَمَنَهُمُ اللَّهُ مِنْ شَرِّهِ جَعَلُوا شُكْرَهُمْ أَنْ تَتَّبَعُوا مَنْ لَهِمْ عَلَيْهِ شُبْهَةٌ ، فَرَسَّمُوا عَلَيْهِمُ ، وَالزَّمُّوهُمْ بِمَا قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنَ الْمَالِ ، وَهُمْ وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ مَنْ يَسْتَحِقُّ النَّكَالَ ، فَهُمْ مَسِيؤُونَ فِي وَجْهِ تَنْكِيلِهِ لَا فِي أَصْلِهِ ، فَمِنْهُمْ : نَازِرُ جَيْشِ دِمَشْقِ الْبَدْرِ بْنِ الْمَزْلُوقِ ، وَنَازِرُ جَيْشِ غَزَّةِ الزَّيْنِ الْفَنْطِي ، وَقَاضِي الْحَنْفِيَّةِ بِدِمَشْقِ الْعَلَاءِ ابْنِ قَاضِي عِجْلُونَ ، وَالْعَزِيدُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ

(١) ما بين الحاصرتين في الأصل (وأما هو فلم يكن يذهب إلى أحد وإن جاءه إلى أحدٍ وأطال عنده ..) فحذفت إلى الثانية حتى يستقيم السياق .

(٢) هو : دولات بَايِ النَّجْمِيِّ الْأَشْرَفِيِّ بِرَسْبَايَ ، أَحَدُ الْعَشْرَاتِ ، وَرُؤُوسِ النُّوبِ ، ثُمَّ أَحَدُ الْمُقَدَّمِينَ بِالشَّامِ وَحَاجِبُ الْحَجَّابِ بِهَا ، وَفَزَّ إِلَى بِلَادِ ابْنِ عَثْمَانَ ، وَحَضَرَ مَعَهُ بَعْضُ الْوَقْعَاتِ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْقَاهِرَةِ ؛ بَعْدَ أَنْ رَاسَلَهُ السُّلْطَانُ ، وَطَيَّبَ خَاطِرَهُ ، وَمَاتَ بِالطَّاعُونَ سَنَةَ ٨٨٢ هـ . لَهُ تَرْجُمَةٌ فِي «الضوء اللامع» (٣/ ٢٢١ رقم ٨٢٩) .

(٣) راجع خبر سفره في « النجوم الزاهرة » (١٦/ ٢٥٨) ، و«بدائع الزهور» (صفحات لم تنشر)

معلق الرَّمْلِي ناظر القدس ، والبَذَر حسن الكتبي السنباطي إمام المؤيد وغيرهم فبعضهم أخذوا منه ألف دينار ، وبعضهم ألفين وبعضهم ثلاثة ، وجعل على خَوْنَد أُمّ المؤيد ثلاثون ألف دينار ، فأما ابن قاضي عجلون ، فالَّذِي حَرَّكَ عَلَيْهِ [٢٨١] ذلك ، أَنَّهُ دَفَعَ فِي أَنْظَارِ مَدَارِسٍ وَتَدَارِيسِهَا مَعَ حُسَامِ الدِّين مَالاً لِيَأْخُذَهَا هُوَ ، فَفَتَّقَ عَلَيْهِ الحُسَامُ فُتُوقاً أَوْ جَبَّتْ ذَلِكَ ، وَأَخْرَجَ عَنْهُ إِقْطَاعٌ كَانَ فِي يَدِهِ ، وَجُعِلَ عَلَيْهِ مَالٌ كَبِيرٌ ، بَعْضُهُمْ يَقُولُ : أَلْفَا دِينَارٌ ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ : أَكْثَرُ ^(١) ، ثُمَّ تَبَيَّنَ أَنَّ السَّبَبَ أَنَّهُ كَانَ ذَهَبَ إِلَى الدَّوَيْدَارِ الثَّانِي جَانِبَكَ الظَّرِيفِ الْأَشْرَفِي ، فَوَعَدَهُ عَلَى وَظَائِفِ حُسَامِ الدِّين وَنَفْيِهِ ، وَنَفَى حَمِيدُ الدِّين بِخَمْسِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ لَهُ وَأَلْفٍ لِلْمُلْطَانِ ، فَذَهَبَ حُسَامُ الدِّينَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : هَذَا جَاهِلٌ ، جَعَلَ فِي وَظَائِفِي لِلْمُلْطَانِ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَأَنَا أَدْفَعُ فِي وَظَائِفِهِ أَلْفَ دِينَارٍ مَعَ كَوْنِي عَالِماً فَلَمْ يُقْبَلْ ذَلِكَ مِنْهُ بِوَاسِطَةِ شَخْصٍ مِنْ رُؤُوسِ النُّوبِ مِنَ الْأَشْرَفِيَّةِ يُقَالُ لَهُ تَنَمٌ ، صَدِيقُ ابْنِ قَاضِي عَجْلُونَ ، فَسَمِعَ بِذَلِكَ جَانِبَكَ نَاطِرَ جُدَّةِ الظَّاهِرِيِّ ، فَقَالَ لَهُ جَمَاعَتُهُ إِنَّ تَمَّتْ هَذِهِ الْقَضِيَّةُ عَلَى يَدِ الظَّرِيفِ لَمْ تَكُنْ لَكَ كَلِمَةٌ فِي بِلَادِ الشَّامِ مَعَ مَا يَبِينُ مِنْ أَمْرِكَ هُنَا فَقَالَ لِلْمُلْطَانِ : ابْنُ قَاضِي عَجْلُونَ جَاهِلٌ ، وَمَتَى أَجَبْتُهُ إِلَى مَا سَأَلَ كَثْرَةَ الشَّنَاعَةِ عَلَيْكَ ، وَالَّذِي يَنْبَغِي أَنْ تَرْسُمَ عَلَيْهِ ؛ فَإِنَّ فِي جِهَتِهِ مَالاً كَثِيراً يَزِيدُ عَلَى عَشْرَةِ آلَافِ دِينَارٍ ، فَرَسَمَ عَلَيْهِ عَلَى ذَلِكَ ، وَأَخْرَجَ إِقْطَاعٌ فِي يَدِهِ ، فَسَمِعَ الحُسَامُ وَالْحَمِيدُ ، فَذَهَبَا إِلَيْهِ ، وَاتَّخَذَا جِرَاحَاتِهِ ، فَقَالَ لَابْنِ

(١) في « حوادث الدهور » (٤٠٤ ، ٤٠٥) ، و « بدائع الزلاهور » (صفحات لم تنشر (١٠١)

إشارات مقضية إلى هذه المصادر .

قاضي عجلون : كَيْفَ تَتَوَلَّى الْقَضَاءَ وَأَنْتَ جَاهِلٌ ؟! فقال : ياخوند، يجوز في مذهبنا ولاية القاضي الجاهل ، فقال له : قبحك الله وترضى بالإقرار على نفسك بالجهل ؟!

وأما ناظر القدّس ، فَجُعِلَ عَلَيْهِ أَلْفَا دِينَار ، فقام في تحصيلها ، بشرط أن يلزم بمباشرة النظر ولا وظيفة غيره .

وشرع يتكلّم من غيظه بما هو كُفْرٌ ، فإنّه في غاية الحمق والجهل ، وصار يُقَلُّ : الرَّحْمَةُ عَلَى الْأَشْرَفِ إِنْئَالَ فِي تَوَلِيَّتِهِ لِهَذِهِ الْوُظَيْفَةِ ، ثم سعى كما يأتي في النَّظَر .

وفي يوم الاثنين خامس الشهر خُلِعَ على الشمس بن المرّحم بنظر المرستّان عن الناصر بن أصيل ^(١) .

ورسم للقضاة والأمراء بالتزول من القلعة إلى بيوتهم ، وَأَنْ يَسْتَمِرَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْقَلْعَةِ ^(٢) ؛ لأن السلطان كان يخاف من عود جأنم لمساعدة حزبه الأشرفية .

وكانت ولاية ابن المرّحم للمرستّان بواسطة الأمير الكبير ^(٣) ، وكان له

(١) في « حوادث الدهور » (٤٠٤) « وأمعن في تفرقة الإقطاعات مصرّاً وشاماً ، وصار لا يكلّ من ذلك ولا يملّ ، وهو سامع لما يطلبه الجند منه » .

وفي « النجوم الزاهرة » (١٦ / ٢٥٩) ، « ولما كان يوم الاثنين خامس شوال أنعم السلطان بالخلع على جميع أمراء الألف ، وأنعم على كلّ واحد بفرس بسرج وكُنبوش زركش » . راجع أيضاً ما جاء في « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٠٠ ، ١٠١) حول تفرقة تلك الإقطاعات ، وتوزيع الخلع ؟ .

(٢) في « النجوم الزاهرة » (١٦ / ٢٥٩) ، « فنزل الجميع إلا الخليفة ، فإنه دام بقلعة الجبل إلى يوم تاريخه ، وأظن ذلك صار عادة من يلي الملك بعده » .

كما جاء في « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٠١) « وصارت هذه عادة من بعده من الخلفاء » .

(٣) وهو شرباش (جرياش) كرد .

راجع « ص ٣٠٩ »

إليه تردد ، فلما نزل إلى بيته أرسل إليه الدويدار الكبير جانبك ناظر جدة من أحضره إليه وأهانته ؛ لكونه ما سعى من بابه .

وكان الملك المؤيد أرسل مع الذين توجّهوا به إلى إسكندرية أن قيده شديداً الأذى له من ضيقه وغير ذلك ، بحيث أنه لا يتمكن معه من السجود ، وأرسل نائب إسكندرية الأمير كسباي أيضاً في ذلك ، وبأنه لم تجر عادة بقاء الملوك في إسكندرية ، فكلم السلطان في هذا الأمر ، فأبى ، ثم رُوجع ، وسُئل في إطلاق العزيز يوسف بن الأشرف برّ سباي ، والمنصور عثمان بن الظاهر جقمق ، فأجاب وأرسل محمداً ^(١) النشاي بأمر المؤيد ، واثنان من الخدم في شأن العزيز ، والمنصور ، في إسكانهما في المدينة ، والإذن لهما في الركوب يوم الجمعة إلى الجامع ، ونحو ذلك داخل البلد ^(٢) .

وفي هذه الأيام بث الزين بن الكوايز الإستدّار رسله في البلد ، فحشروا له كلّ مَنْ يَتَجَرُّ في البهّار ، فرمى عليهم فلفلاً ، وتعدّى الضّرر إلى غيرهم حتّى قيل أنهم يرمون على المدارس ، ويأخذون مالها من مال ، ومَدَّ الجنْدُ أطعاهم إلى الأوقاف ، فأخذوا شيئاً كثيراً من ذلك ، وأمّا أوقاف الأشرف وأتباعه فلم يُبقُوا منها شيئاً ، والله المسؤول أن يكفى شرهم .

وفي يوم الثلاثاء سادس الشهر ، وصَل دُولَات باي النّجمي من عند نائب الشّام جانم ، وكان قد أُمر أن يكون معه مُسَفِّراً له ، فأخبر أنه في بلبّيس ، وأن ابن شعبان منعه من السّير ، وحصل بينهما حركةٌ قُتِل

(١) جاء في « الضوء اللامع » (١١ / ٢٣٠ - ٢٣١) ، الشمس محمد بن صاحب الزمام .

(٢) الخبر في : « النجوم الزاهرة » (١٦ / ٢٥٩) ، و« بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٠١) .

فيها اثنان من جماعة جَانَم ؛ وسبب ذلك أَنَّ السُّلْطَانَ كان أُرْسِلَ إلى ابن شعبان وَغَيْرِهِ مِنَ الْعَرَبِ ، أَن يَمْنَعُوا نَائِبَ الشَّامِ مِنَ الْقُدُومِ ، فَكَأَنَّهُ لَمَّا فَاتَهُمْ ذَلِكَ أَرَادُوا أَن يُرَوِّهُ بَعْضُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَهُ ، وَأُرْسِلَ يَقُولُ : إِنَّهُ عَبْدُ السُّلْطَانِ ، وَأَنَّهُ يَمْتَثِلُ مَا يَأْمُرُ بِهِ ، وَلَوْ أَمَرَ بِأَنْ يُجْبَسَ فِي إِسْكَندَرِيَّةِ أَطَاعَ .

وفي هذا اليوم قُبِضَ عَلَى عِيسَى الْغَنْدُورِ الْمَغْرِبِيِّ ، وَسُحِبَ إِلَى بَيْتِ الْحُسَامِ بْنِ حُرَيْرِ بْنِ قَاضِي الْمَالِكِيَّةِ ؛ وَسَبَبُ ذَلِكَ ، مَا تَحَرَّرَ بَعْدَ أَيَّامٍ ، وَهُوَ أَنَّ الْأَمِيرَ بُرْذَبَكَ كَانَ أَوْدَعَ عِنْدَهُ عَشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَأَرَادَ أَنْ يَغْلِبَهُ عَلَيْهَا ، فَقَالَ لَهُ عِنْدَمَا أُطْلِقَ مِنَ التَّرْزِيمِ يَنْبَغِي أَنْ تَتَصَدَّقَ لِهَذَا الْفَرَجِ الْعَظِيمِ بِأَلٍ كَبِيرٍ . فَقَالَ لَهُ : تَتَصَدَّقُ مِمَّا عِنْدَكَ بِمِائَةِ دِينَارٍ . فَقَالَ لَهُ : مَا وَقَعَ لَهُ أَمْرٌ عَظِيمٌ لَا يُقَابَلُ بِهَذَا النَّزَرِ . فَقَالَ : مِائَةٌ وَخَمْسِينَ . وَلَمْ يَسْمَحْ لَهُ بِأَكْثَرٍ ، وَكَانَ كَمَا تَقَدَّمَ مِنَ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ ، وَكَانَ الْأَنْصَارِيُّ مِثْلَهُ فِي الشَّيْطَانَةِ ، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بُرْذَبَكَ عَدَاوَةٌ كَبِيرَةٌ ، فَلَمَّا وَلِيَ اسْتَاذَهُ السُّلْطَانَةَ ، وَسَعَى الْأَنْصَارِيُّ فِي مَصَاهِرَةِ يُونُسَ الدُّوَيْدَارِ لَهُمْ ؛ لِيَحْمِيَهُ مِنْ بُرْذَبَكَ ، لَقَّهَ بُرْذَبَكَ فَانْتَهَزَهَا الْأَنْصَارِيُّ ، وَكَانَ كُلُّ مَنِهَا يَمْكُرُ بِصَاحِبِهِ ، فَعَلِبَهُ الْأَنْصَارِيُّ . فَأَوْتَقَهُ إِلَى أَنْ امْتَحَنَ بَعْدَ نَظَرِهِ لِلْجَيْشِ مِنَ الْأَشْرَفِ بِمَا تَقَدَّمَ ، فَبَذَلَ بُرْذَبَكَ جَهْدَهُ فِي الذَّبِّ عَنْهُ ، وَسَاعَدَهُ بِخَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ ، ثُمَّ رَتَّبَ لَهُ بَعْدَ أَنْ خَلَصَ - وَكَانَ لَا زِمًا بَيْتَهُ - فِي كُلِّ شَهْرٍ عَشْرَةَ آلَافِ دِينَارٍ ، فَصَارَ إِلَيْهِ فِي غَايَةِ الْأَمْنِ ، وَكَانَ يُطْلَعُهُ عَلَى أَسْرَارِهِ ، وَالْأَمْرُ كَمَا قِيلَ :

لَا تَأْمَنَنَّ امْرَأً أَسْكَنتَ مُهْجَتَهُ

غَيْظًا وَإِنْ قُلْتَ إِنَّ الْجَرْحَ يَنْدَمِلُ

فلما انحرف عيسى من كونه لم يطعمه ما أودعه أو أكثره استشار الأنصاري فيما يفعل ، فوقع مكرهما على فتح باب الشر عليه بها ، فأرسل

بُرْدَدَارِهِ إِلَى الْوَالِي فَأَحْضَرَ جَبَلِيَّيْنِ مِنْ أَعْوَانِهِ ، فَأَمَرَا بِالْقَبْضِ عَلَى صَهِرِ عَيْسَى زَوْجِ ابْنَتِهِ ، وَأَنْ يُدْعَى عَلَيْهِ عِنْدَ الْوَالِي بِأَنَّهُ سَرَقَ ثِيَابَهَا ثَمَنًا دِينَارٍ مِنْ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ هِيَ عِنْدَهُ فِي سِتَّةِ أَكْيَاسٍ فِي كُلِّ كَيْسٍ أَلْفَا دِينَارٍ [٢٨٢] ، وَهِيَ وَدِيعَةٌ لِلْأَمِيرِ تَمْرَازِ السَّاقِي الْأَشْرَفِيِّ الَّذِي تَلَمَّذَ لَهُ ، فَسُئِلَ تَمْرَازُ ، فَأَنْكَرَ ، فَقَالَ : هِيَ لِلْأَمِيرِ بُرْدَبَكْ ، وَسُجِنَ صِهْرُهُ فِي تِهْمَتِهِ ، فَتَعَصَّبَ بَعْضُ الْمَغَارِبَةِ لِصِهْرِهِ ، وَرَفَعُوا أَمْرَهُ إِلَى الْمَالِكِيِّ ، وَكَانَ يَسْمَعُ عَنْهُ مَا يَتَعَمَّدُهُ مِنَ الْأُمُورِ الْمُؤَذَّةِ بِالزَّنْدَقَةِ ، مَعَ مَا شَاعَ عَنْهُ مِنْ قَرَبِ أَنَّهُ جَمَعَ عِنْدَهُ بَنَاتٍ أَبْكَارًا نَحْوَ عَشْرِ لِيُرِيَهُنَّ ، ثُمَّ إِنَّهُ افْتَضَّ مِنْهُنَّ عِدَّةً ، وَلاَطَ بَبَعْضَهُنَّ ، وَذَكَرَتْ ابْنَتُهُ أَنَّهُ يَرَاوِدُهَا عَنْ نَفْسِهَا .

وَكَانَ عَيْسَى قَدْ تَزَوَّجَ قَبْلَ ذَلِكَ امْرَأَةً الْبَدْرِ مُحَمَّدَ الْعَيْنِيِّ ، ثُمَّ أَطْلَعَتْ عَلَى أَنَّهُ مَا تَزَوَّجَهَا إِلَّا لِأَخْذِ مَا لَهَا ، فَتَسَبَّتْ فِي فِرَاقِهِ ، بَعْدَ الْعِلْمِ بِعَدَمِ دِينِهِ ، وَكَانَتْ خَوْنَدَ امْرَأَةِ الظَّاهِرِ هَذَا مِنْ أَلْزَامِهَا ، فَأَتَتْ ابْنَتُ عَيْسَى إِلَى امْرَأَةِ أَبِيهَا ، زَوْجَةِ الْعَيْنِيِّ ، فَشَكَتَ إِلَيْهَا مَا حَلَّ بِزَوْجِهَا مِنْ أَبِيهَا ، وَذَكَرَتْ لَهَا قَبَائِحَهُ ، فَأَوْصَلَتْهَا إِلَى زَوْجَةِ السُّلْطَانِ ، وَأَخْبَرَتْهَا بِذَلِكَ ، وَلَمَّا أَحْضَرَ إِلَى بَيْتِ الْمَالِكِيِّ ، كَانَ غَائِبًا فِي مِصْرَ ، فَلَمَّا أُخْبِرَ أُرْسِلَ يَمْنَعُ نَوَابَهُ مِنْ سَمَاعِ الدَّعْوَى عَلَيْهِ ؛ لِيَكُونَ هُوَ الْمُتَوَلَّى لَذَلِكَ ، فَجَاءَ تَمْرَازُ إِلَيْهِمْ ، وَتَهَدَّدَهُمْ عَنِ الْقَبْضِ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : إِنَّهُ هُوَ الَّذِي سَجَنَ صِهْرَهُ ، وَأَنَّهُ هُوَ الْغَرِيمُ .

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ أَخُو الْأَنْصَارِيِّ ، وَالْقَاضِي عَبْدِ الْغَفَّارِ ، وَالشَّيْخُ ^(١)

(١) هُوَ: إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَمْرِ بْنِ يَوْسُفَ بْنِ عَطِيَّةَ (أَوْ عَطِيَّةَ بْنِ يَوْسُفَ) ، الْقَاضِي بَرْهَانَ الدِّينِ ، اللَّفْظَانِي ثُمَّ الْقَاهِرِيُّ الْأَزْهَرِيُّ الْمَالِكِيُّ ، وَلِدَ فِي أَوَائِلِ سَنَةِ ٨١٧ هـ فِي الْقَاهِرَةِ مِنْ أَعْمَالِ لِقَانَةِ وَنَشَأَ بِهَا ، ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، وَانْتَفَعَ بِعَدَدٍ مِنْ عُلَمَائِهَا فِي فُنُونٍ مُخْتَلِفَةٍ :

برهان الدين اللَّقَّانِي ، وَشَخْصٌ يُقَالُ لَهُ : ابْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ مِنْ أَصْحَابِ
الْأَنْصَارِيِّ ، قَدْ ذَهَبُوا إِلَى بَيْتِ الْمَالِكِيِّ لِيُثْخِنُوا جِرَاحَ عِيسَى ، وَيَشْهَدُوا
عَلَيْهِ بِمَا سَمِعُوهُ مِنْهُ ، فَذَهَبَ الْأَنْصَارِيُّ إِلَى بَيْتِ الْمَالِكِيِّ ، فَخَشَنَ لِحِمَاةِ
الْقَوْلِ ، وَسَبَّهَمُ ، وَقَالَ : مَنْ شَهِدَ مِنْهُمْ عَلَى عِيسَى بِشَيْءٍ فَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّ
بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ تَمْنَعُ قَبُولَ الشَّهَادَةِ فَجَبُنَ الْمَالِكِيُّ لَذَلِكَ ، ثُمَّ أَوْصَلُوا
الْأَمْرَ بِالسُّلْطَانِ ، وَتَبَيَّنَ بَعْدُ أَنَّ عِيسَى هُوَ الَّذِي أَوْصَلَ ذَلِكَ بِالسُّلْطَانِ ؛
وَذَلِكَ أَنَّهُ أَمَرَ امْرَأَةً أَنْ تُخْبِرَ السُّلْطَانَ أَنَّ عِنْدَهُ لِبُرْدَبَكٍ عَشْرَةَ آلَافٍ دِينَارٍ
فَفَعَلَتْ ، فَطَلَبَهُ السُّلْطَانُ ، بِسَبَبِ الْمَالِ ، وَسَأَلَهُ عَمَّا قَالَتْ الْمَرْأَةُ ، فَقَالَ :
هِيَ عَشْرُونَ أَلْفَ دِينَارٍ لَا عَشْرَةَ ، فَأَعْجَبَ السُّلْطَانُ ذَلِكَ مِنْهُ ، وَرَسَّمَ
عَلَيْهِ فِي طَبَقَةِ الْخَزَنَدَارِ ، وَتَلَطَّفَ بِهِمْ إِلَى أَنْ مُكِّنَ مِنَ النُّزُولِ إِلَى بَيْتِهِ بِغَيْرِ
تَرْسِيمٍ ، فَأَخَذَ مِنْهَا سِتَّةَ آلَافٍ دِينَارٍ ، وَأَحْضَرَهَا إِلَى الْأَمِيرِ بُرْدَبَكٍ إِلَى
الْمَكَانِ الَّذِي سَكَنَ بِهِ بِقَصْرِ الْحِجَازِيَّةِ ، جَوَارِ حَاجَتِهِ ، وَنَامَ عِنْدَهُ ؛ يَنْفِي
بِذَلِكَ التُّهْمَةَ عَنْ نَفْسِهِ عِنْدَهُ ثُمَّ فِي بَكْرَةِ يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ سَابِعِ الشَّهْرِ ، نَزَلَ
الْخَزَنَدَارُ بِمَنْ يَتَّبِعُهُ ، فَاحْتَاطُوا عَلَى بَيْتِهِ ، وَضَبَطُوا مَا وَجَدُوا فِيهِ ، فَإِذَا هُوَ
ثَلَاثَةُ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ وَمِائَةِ دِينَارٍ ، فَطَالَبُوهُ بِالْبَاقِي ، فَقَالَ : كَانَ صَاحِبِهِ
قَدْ أَخَذَهُ مِنِّي ، فَطَلَعُوا بِهِ وَبِالْمَالِ بَعْدَ أَنْ فَرَّقَ عَلَيْهِمْ ذَهَبًا وَفُضَّةً ، وَقَلَى
زَلَايَةَ ، وَفَرَّقَ عَلَى بَعْضِ النَّاسِ ، وَلَمْ يُظْهَرِ الْإِكْتِرَافُ بِذَلِكَ فَلَمَّا أَعْلَمُوا
السُّلْطَانُ بِذَلِكَ أَمَرَ بِقَبْضِ الْمَالِ وَإِطْلَاقِ عِيسَى .

= فِي الْأَصْلَيْنِ ، وَالْفَقْهَ ، وَالْعَرَبِيَّةَ ، وَنَابَ فِي الْإِفْتَاءِ وَالتَّدْرِيسِ ، مَاتَ فِي آخِرِ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ ٩ مُحَرَّمِ
سَنَةِ ٨٩٦ هـ .

له ترجمة في : «الضوء اللامع» (١٦٠/١) ، و«نظم العقيان» (٢٩ رقم ١٤) .

وسمعتُ أنه كان رُسم أن يُعاد إلى المالكى بعد فراغه من المال ،
فتقدّم إليه وسارّه بشيء ، فرسم بإطلاقه مُكرّماً ، فكانه تنصّح له بشيء
من جهة بُردبك أيضاً فأثمر ذلك ما سيأتي .

ثم سمعتُ أنّ الذي قال له : أنكم غافلون عن بُردبك ، فإنّ عنده من
المال العين ما يسع نفقة العسكر ، مع أنّه يعرف جميع حواصل الأشرف
وزوجته وولده فرصوه وانظروا .

وأما الأمير بُردبك ، فإنّه كان في هذا اليوم في حكم الأموات ، بل
المجانين ، لا يعي ما يقول ، وذلك أنهم كانوا قرّروا عليه للسلطان ثلاثين
ألف دينار ليغفيه من النقي ، فكان يوردها لهم قليلاً قليلاً ، إظهاراً
للفقر، منها نقدٌ ، أو أنّه يبيع ما عنده من الأمتعة ، فهتّك بما كان عند
عيسى ، وظنّ أنّ له أضعاف ذلك عند غيره سوى ما في حواصله ، مع ما
تكلم الناس به في موجب مصاحبته له ، بعد طول تحذيره منه ببيان
زندقته ، فكان يعتذر بأن يقول : إنّّه خبيرٌ بأحوال الدنيا فلم يطلّ الزمان
حتّى أذهبت خبرته بديناه ، دنيا المغرور به ودَيْنه ، فحقّ له أن يتلو
لعُمري إن كان عاقلاً ﴿ يَتَوَلَّى ﴾ (١) لَيْتَنِي لَمْ أَخْذُ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿ (٢)
وسمعت أنه إلى الآن يتكلّم بما يدل على استصحابه الغرور به ، فلا أدري
هل ذلك تصنع ، أو أنّه على حقيقته ؟! وهو الأقرب ؛ لأنّ أهل الدنيا
وإن اشتدّ ذكاؤهم مطبوع على قلوبهم في كلّ أمر يباعد من الله .

وفي يوم الأربعاء هذا اجتمع الممالك السيفيّة ، وذهبوا إلى الأمير

(١) في الأصل (يا ليتني لم اتخذ فلاناً خليلاً) .

(٢) الفرقان / ٢٨

قَاتَمَ رَأْسَ نَوْبَةِ الثُّوبِ ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يُنْفِقَ السُّلْطَانُ عَلَيْهِمْ ، كَمَا يُنْفِقُ عَلَى مَمَالِيكَ السُّلَاطِينِ ، فَلَطَفَ بِهِمْ إِلَى أَنْ دَفَعَهُمْ إِلَى الدَّوْيَدَارِ الْكَبِيرِ ^(١) ، فَذَهَبُوا إِلَيْهِ ، وَوَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ مَخَاشِنَةٌ ، فَيَقَالُ : أَنَّهُ هَرَبَ مِنْهُمْ .

وَفِي يَوْمِ الْخَمِيسِ ثَامِنَةٍ ، جَاءَ إِلَى الْأَمِيرِ بُرْدَبَكُ بَعْضُ الْخَدَّامِ ، فَاجْتَمَعَ بِهِ . وَأَطَالَ الْمُكْثَ عِنْدَهُ ثُمَّ خَرَجَ مُغْضَبًا .

وَفِي صَحْوَةِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ تَاسِعِ شَهْرِ شَوَالٍ هَذَا ، أَمَرَ السُّلْطَانُ بِإِخْضَارِ بُرْدَبَكِ ؛ لِلتَّوَكِيلِ بِهِ [٢٨٣] وَاسْتِخْلَاصِ مَالِهِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ : إِنَّ بُرْدَبَكُ حَلَفَ لِي ، لَمَّا أَلَزَمْتُهُ بِالثَّلَاثِينَ أَلْفًا ، أَنَّهُ لَيْسَ مَعَهُ نَقْدٌ ، وَلَكِنَّهُ يَبِيعُ مَا عِنْدَهُ مِنْ خَيْلٍ وَمَا يَتْبَعُهَا وَأَثَاثَ وَبَهَارَ ، وَنَحْوَ ذَلِكَ فَصَدَّقَهُ ، فَلَمَّا ظَهَرَ مَا عِنْدَ عَيْسَى قَالَ : هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَعَهُ مِنَ النَّقْدِ مَا لَا يُحْصَى فَإِنَّ مَنْ يُودِعُ عِنْدَ فَقِيرٍ غَرِيبٍ عَشْرِينَ أَلْفًا ، يَكُونُ الْمُظَنُّونَ بِهِ أَنَّ وَدَائِعَهُ عِنْدَ خَوَاصِّهِ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ وَغَيْرِهِمْ وَحَوَاصِلِهِ وَدَفَائِنُهُ لَا تُحْصَى ، وَكَانَ يَتَحَرَّقُ عَلَيْهِ .

فَأَتَاهُ الْمُحْتَسِبُ ، وَهُوَ الْأَمِيرُ تَنْمَ رِصَاصُ ، وَمَعَهُ جَمْعٌ مِنْ إِخْوَتِهِ مِنْ مَمَالِيكَ الظَّاهِرِ فَأَخَذُوهُ مِنْ قَصْرِ الْحِجَازِيَّةِ أَخْذًا عَنِيفًا ، ثُمَّ وَكَّلَ بِهِ فِي مَكَانٍ ضَيِّقٍ مِنَ الْبَحْرَةِ الَّتِي بِالْقَلْعَةِ ^(٢) .

وَفِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ تَاسِعِهِ ، أُلْبِسَ الزَّيْنَ بِجَبِيِ الْإِسْتَدَارِ خِلْعَةً بِالرِّضَى ، ثُمَّ أُذِنَ لَهُ فِي الْإِسْتَدَارِيَّةِ ، ثُمَّ أُلْبِسَ خِلْعَتَهَا بَعْدُ ، وَكَانَ مِنْ أَكْبَابِ

(١) وَهُوَ جَانِبُكَ الظَّاهِرِيُّ نَائِبُ جُدَّةَ .

(٢) الْخَبَرُ فِي « حَوَادِثِ الدَّهْوَرِ » (٤٠٥) . وَ« بَدَائِعُ الزَّهْوَرِ » (صَفَحَاتُ لَمْ تَنْشُرْ) (١٠١) -

(١٠٢) ، وَفِيهَا أَنَّ السُّلْطَانَ قَرَّرَ عَلَيْهِ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ يَرُدُّهَا إِلَى الْخَزَائِنِ الشَّرِيفَةِ .

القائمين على الأمير بُرْدَبَك (١).

وفي يوم السَّيِّئِ عَاشِرِهِ ، طُلِبَ مِنَ الأميرِ بُرْدَبَك مائتا أَلْفَ دِينَارٍ ،
وَهَدَّدَ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ ، فَلَمْ يُجِبْ إِلَى شَيْءٍ ، فَأَحْضَرَ لَهُ الْوَالِي بَالَاتٍ ،
الْعَقُوبَةَ ، وَدَخَلَ ، وَأَغْلَقَ الْبَابُ ، فَلَمَّا لَمْ يَبْقَ إِلَّا الْفِعْلُ ، حَضَرَ بَعْضُ
الْخُدَّامِ يَأْمُرُ بِالْكَفِّ عَنْهُ ؛ لِأَنَّ خَوْنَدَ شَقْرَاءَ بِنْتَ النَّاصِرِ فَجَّجَ ، امْرَأَةً
شَرِّبَاشَ ، الأميرِ الْكَبِيرِ ، طَلَعَتْ إِلَى السُّلْطَانِ ، فَشَفَعَتْ فِيهِ ، وَقَالَتْ :
مَهْمَا طُلِبَ مِنْهُ ، أَنَا أُبَيِّعُ أُمْتِغَتِي وَأَزِنُهُ عَنْهُ . فَقَالَ السُّلْطَانُ : يُعْطِي
مَائَتِي أَلْفَ ، وَلَمْ تَزَلْ تُرَاجِعُهُ حَتَّى أُنْزَلَتْهُ إِلَى سَبْعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، أَوْرَدَ مِنْهَا
عِشْرِينَ يَتَأَخَّرُ خَمْسُونَ .

وَشَرَعَ الأميرُ بُرْدَبَك يَسْأَلُ فِي نَزْوَلِهِ إِلَى بَيْتِ جَانِبِكَ الدُّوَيْدَارِ الْكَبِيرِ ،
لِيَحْتَالَ فِي أَنْ يَكْفَ عَنْهُ شَرُّهُ ، فَإِنَّهُ عَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ صُنْعُهُ ، وَكَانَ
الْمَذْكُورُ مِمَّنْ لَا يُخْدَعُ .

فَعَلِمْتُ أَنَّ ذَلِكَ غَلَطٌ ، وَذُكِرَ لَهُ ذَلِكَ فَلَمْ يَنْفَعَهُ ، وَاسْتَمَرَّ عَلَى عَادَتِهِ
مِنَ الْاِسْتِبْدَادِ بِعَقْلِهِ إِلَى أَنْ أُجِيبَ ، فَوَضَعَهُ فِي رُوقٍ لَهُ يَشْرَفُ عَلَى بَسْتَانٍ
وَعَمِلَ مَعَهُ مَا كَانَ يُظَنُّ ، فَلَمْ يَنْفَعْ فِيهِ شَيْءٌ ، وَكَانَ كُلَّ يَوْمٍ تَأْتِيهِ شِدَّةٌ
جَدِيدَةٌ ، حَتَّى أَكَلَ يَدَيْهِ ؛ نَدَمًا عَلَى النِّزُولِ إِلَيْهِ ، وَكَانَ الدُّوَيْدَارُ الْكَبِيرُ
وَالشَّرَفُ الْأَنْصَارِيُّ يَتَرَادَفَانِ عَلَى أَذَاهُ ، مَعَ إِظْهَارِ النَّفْعِ ، وَطَابَقِ الْوَاقِعِ
حِينَئِذٍ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

لَا تَأْمَنَنَّ امْرَأً أَسْكَنْتَ مُهْجَتَهُ

غِيظًا وَإِنْ قُلْتَ إِنَّ الْجُرْحَ يَنْدَمِلُ

(١) الخبر في : « حوادث الدهور » (٤٠٦) ، و« بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) . (١٠٢) .

وكنْتُ إِذَا حَدَّثْتَهُ مِنَ الْأَنْصَارِيِّ يَقُولُ : سَتَنْظُرُ وَتَكْتُبُ فِي تَارِيخِكَ ، يُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَغْلِبُ ، فُغْلِبَ وَانْقَلَبَ صَاغِرًا ، لِتَقْرِيْبِهِ الْعَدُوَّ ، فَيَطْلُعُ عَلَى عَوْرَاتِهِ وَيَأْخُذُهُ مِنَ الْمَأْمَنِ ، ثُمَّ صَارَ بَعْدَ نَكْبَةِ الْأَشْرَفِ لَهُ ، وَمُسَاعَدَتِهِ إِيَّاهُ إِذَا حُذِّرَ مِنْهُ قَالَ : أَنَا سَاعَدْتُهُ ، وَأَرْسَلْتُ لَهُ خَمْسَ مِائَةِ دِينَارٍ ، وَرَتَّبْتُ لَهُ كُلَّ شَهْرٍ عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ ، وَذَلِكَ قِيَمَةُ نَيْفٍ وَثَلَاثِينَ دِينَارًا ، وَلَمْ يَزَلِ الْأَمْرُ بِهِ يَتَزَايَدُ إِلَى أَنْ كَانَ آخِرَ مَا قَالَ السُّلْطَانُ : أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ بَذْلِهِ مِائَةِ آلْفٍ دِينَارٍ ، خَارِجًا عَمَّا أُخِذَ مِنْ عِنْدِ عَيْسَى ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ ، وَلَمْ يُبَادِرْ وَيُعْطِي مِنَ الْمَدْفُونِ تَحْتَ الْأَرْضِ أَسْلَمَهُ لِلْوَالِي لِيُعَاقِبَهُ .

وَكَانَ النَّاسُ يَرْحَمُونَهُ ، وَيَدْعُونَ لَهُ ، فَلَمَّا نَفَقَتْ قِصَّةُ عَيْسَى ، قَسَتْ عَلَيْهِ الْقُلُوبُ ، وَمِنْ أَغْرَبِ الْأُمُورِ أَنَّ كَاتِبَ السَّرِّ حَدَّثَنِي : أَنَّهُ كَلِمًا وَقَعَ تَحْذِيرُ الْمُؤَيَّدِ مِنْ أَمْرِ مِنَ الْأُمُورِ وَهِيَ لَهُ بُرْدُ بَكَ ذَلِكَ الْأَمْرُ ، وَسَعَى فِي غُرُورِهِ بِكُلِّ مَحْكَمٍ ، وَيَقُولُ : مَهْمَا أَتَى مِنَ الْأَشْرَفِيَّةِ مِنْ ضَرَرٍ كَانَ مِنِّي ، مَعَ أَنَّهُ كَانَ فِي غَايَةِ التَّعْظِيمِ لِبُرْدُ بَكَ ، بِحَيْثُ أَنَّهُ لَا يُسَمِّيهِ إِلَّا أَغَا^(١) ، وَلَا يَقْطَعُ أَمْرًا دُونَهُ ، فَإِنْ وَافَقَهُ فَذَاكَ ، وَإِلَّا رَجَعَ عَنْ رَأْيِهِ إِلَى رَأْيِ بُرْدُ بَكَ ، وَأَنَّهُ مِنَ أَغْرَبِ مَا أُطْلِعَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ أَنَّ جَانِبَكَ حَاجِبَ الْحَجَّابِ بِدِمَشْقٍ أَرْسَلَ دُؤَيْدَارَهُ إِلَى السُّلْطَانِ بِرِسَالَةٍ وَحَمَلَهُ مَشَافَهَةً بِأَنَّ جَانِمَ خَارِجٌ عَنِ الطَّاعَةِ ، فَلْيَبْزُزْ أَمْرُهُ فِيهِ بِمَا أَرَادَ فَإِنَّهُ وَأَمْرَاءُ دِمَشْقٍ يَصِيرُونَ إِلَيْهِ ، فَمَنْعَهُ مِنْ إِيصَالِ هَذَا ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى كَاتِبِ السَّرِّ ، ثُمَّ إِلَى الدُّؤَيْدَارِ الْكَبِيرِ يُونُسَ وَهُوَ مَرِيضٌ ، فَأَرْسَلَ إِلَى كَاتِبِ السَّرِّ ، وَأَمَرَهُ أَنْ

(١) أَغَا : فِي اللُّغَةِ التَّرْكِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ الْأَخْ الْأَكْبَرُ ، وَيَعْنِي بِهَا أَيْضًا الْأَبَ أَوْ الْجَدَّ أَوْ الْعَمَّ ، وَمَعْنَى أَغَا فِي التَّرْكِيَّةِ الْعُثْمَانِيَّةِ الرَّئِيسَ أَوْ الشَّيْخَ أَوْ السَّيِّدَ ، وَكَانَ يَحْمِلُ هَذَا اللَّقَبَ صُغَارُ الضَّبَاطِ إِلَى رَتْبَةِ يُوْزْبَاشٍ ، كَمَا يَطْلُقُ هَذَا اللَّقَبُ عَلَى خَصِيَانِ الْقُصُورِ السُّلْطَانِيَّةِ ، كَمَا كَانَ قَائِدَ الْإِنْكَشَارِيَّةِ يَطْلُقُ عَلَيْهِ أَغَا ، «الموسوعة العربية الميسرة» (١٧٤) .

يُبَلِّغُ السلطان عن أمر الرسول ، قال : ففعلتُ ذلك ، فكان كلما طَلَعَ يَرْجُرُهُ بُرْدُكَ ، ولا يَدْعُهُ يَصِلُ إلى السلطان . قال : وَحَدَّثَنِي نَازِرُ الجيش عن دُولَاتِ بَايِ المعروف بِسَكْسَنِ^(١) ، وهو من رؤوس الأشرَفِيَّةِ أَنْ بُرْدُكَ قال لَمَّا ضَيَّقُوا عَلَيْهِ بعد أمر عيسى : هَكَذَا يُفَعَّلُ بِي ، وَلَوْ أَنَا لَمْ تَصِلُوا إلى مُرَادِكُمْ ، وَنَحْوُ هَذَا مِمَّا هُوَ صَرِيحٌ فِي أَنَّهُ هُوَ الَّذِي غَرَّ الْمُؤَيَّدَ .

وَأَخْبَرَنِي عَنْهُ قَاضِي الْقَضَاةِ ، عَزَّ الدِّينَ الْحَنَبِيُّ ، أَنَّهُ قَالَ : عَاشَرْتُ اسْتَاذِي الْأَشْرَفَ خَمْسًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، فَكَانَتْ فِيهِ أَرْبَعُ خِصَالٍ هِيَ مِنْ أَقْبَحِ الْخِصَالِ ، وَهِيَ : الْبُخْلُ وَالْفِسْقُ ، وَالْجُبْنُ . قَالَ : وَنَسِيتُ الرَّابِعَةَ . وَرَأَيْتُ الْمُنْشَارَ إِلَيْهِ يَتَعَجَّبُ مِنْ ذَلِكَ ، وَلَا سِيَّامًا مَعَ شِدَّةِ إِكْرَامِ الْأَشْرَفِ لَهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : عَلَى أَنَّهُ وَاللَّهِ كَاذِبٌ فِي أَمْرِ الْجُبْنِ ، فَإِنِّي وَاللَّهِ عَاشَرْتُ الشُّجْعَانَ مِنْ أَكْثَرِ أَصْنَافِ النَّاسِ وَمَا رَأَيْتُ فِي زَمَانِنَا أَشْجَعَ مِنَ الْأَشْرَفِ ، وَلَقَدْ خَبِرْتُ هَذَا غَايَةَ الْخَبَرِ فِي وَقْعَةِ رُودُسَ .

وَفِي أَوَاخِرِ يَوْمِ السَّبْتِ^(٢) هَذَا ، وَصَلَ الْأَمِيرُ تَمْرُبُغَا ، أَحَدُ الظَّاهِرِيَّةِ وَصُولَ تَمْرُبُغَا مِنْ مَكَّةَ الْمَشْرِقَةِ ، وَكَانَ مُنْفِيًا بِهَا ، فَتَزَلَّ فِي تَرْبَةِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَرْقُوقَ بِالصَّخْرَاءِ ، وَسَلَّمِ النَّاسُ عَلَيْهِ هُنَالِكَ ، ثُمَّ طَلَعَ إِلَى السُّلْطَانِ بِكَرَةِ يَوْمِ الْأَحَدِ ، حَادِي عَشْرَةَ ، فَأَلْبَسَهُ كَامِلِيَّةً ، ثُمَّ نَزَلَ إِلَى بَيْتِهِ الَّذِي بَيْنَ مَدْرَسَةِ حَسَنِ ، وَمَدْرَسَةِ الْجَائِي^(٣) ، فِي جَانِبِ مَدْرَسَةِ حَسَنِ ، الَّذِي كَانَ

(١) هو : دُولَاتِ بَايِ سَكْسَكَانِ الْأَشْرَفِيِّ بَرْزَنْبَايِ ، تَوَفَّى فِي شَعْبَانَ سَنَةِ ٨٨٣ هـ بِحَاجَةِ ، وَكَانَ أَتَابَكَ الْعَسَاكِرَ بِهَا ، وَكَانَ مِنْ أَعْيَانِ الْأَشْرَفِيَّةِ ، وَلَا بَأْسَ بِهِ « بِدَائِعِ الزُّهَرِ » (طَبْعَةُ بُولَاق) (٢/١٨٤) (٢) « فِي النُّجُومِ الزَّاهِرَةِ » (١٦/٢٦٠) فِي يَوْمِ الْأَحَدِ ١١ مِنْهُ .

(٣) مَدْرَسَةُ الْجَائِي : تَقَعُ فِي سَوِيقَةِ الْعَزَى مِنْ سَوَاقِ السِّلَاحِ عَلَى يَسَرَةِ الذَّاهِبِ مِنَ الدَّزَبِ الْأَحْمَرِ يَرِيدُ جَامِعَ السُّلْطَانِ حَسَنِ ، أَنْشَأَهَا الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ الْجَائِي فِي سَنَةِ ٧٦٨ هـ ، وَتَعْرِفُ الْيَوْمَ بِجَامِعِ الْجَائِي .

« خَطُّ الْمَقْرِيزِيِّ » (٢/٣٩٩) ، وَ« الْخَطُّ التَّوْفِيقِيُّ » (٤/٧١-٧٢ ، وَ٥/٥) .

[بُرْدَبَك] ^(١) دُوَيْدَار الْأَشْرَف ، وتردّد الناس للسلام عليه ، فسبحان
المُدِّل المَعَزَّ ^(٢).

وبلغني أنّ الجند كانوا أرسلوا إليه حين اتَّفَقُوا على إزالة المؤيّد في
أواخر شعبان فوصل الخبرُ إليه في نصف رمضان ، ثم سافر هو في ثامن
عشره .

وفي هذا الحد ، رُسم بأن يخرج القاضيان الحَفَيَّان ، الحميد بن قاضي
بغداد ، والحُسام بن بُرَيْطِع ، بأن يُسافِرا مِنَ القَاهِرَةِ لإجل العلاء بن
قاضي عجلون ، قاضي الحنفية بدمشق ، فإنّه لما أورد لهم ما ألزموه به ،
وهو زيادةٌ على أربعة آلاف دينار للسلطان وغيره ، سأل في ذلك ،
فأجيب بمساعدة تنم الأشرفي ، أحد رؤوس النوب .

وفي يوم الاثنين ثاني عشر الشهر أُلِّس الزين يحيى الإستدّار ، خلعة
بالإستدّارية ، وجانبك الطرّيف الدُوَيْدَار الثاني خلعة بنظر الخانقاه
الصّلاحية ، المعروفة بسعيد السعداء ، وجُعِل الأمير قَرَاجَا الذي كان
والياً رأس نوبة ثانياً ، وقرئ تقليد السلطان ^(٣).

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشره ، خُلِع على الزّين ناظر جيش غزّة ،
وأخيه السَّعد ، وكان [لهما] ^(٤) في ذلك أمر عظيم ، [وتبعهما] ^(٥) خلق

(١) في الأصل (بُردَبَك) والتصحيح من مفهوم السياق .

(٢) الخبر في : « النجوم الزاهرة » (١٦ / ٢٦٠) ، و«بدائع الزهور» (صفحات لم تنشر)
(١٠٢).

(٣) الخبر في « حوادث الدهور » (٤٠٦) ، و«بدائع الزهور» (صفحات لم تنشر) (١٠٢) .

(٤) في الأصل (لهم) والتصحيح من مفهوم السياق .

(٥) في الأصل (وتبعهم) والتصحيح من مفهوم السياق .

كثيرٌ ، يطلبون رَفْدَهما ، وكانا مشهورَيْن ، بالمكارِم ، وبلغني أنها تكلفا خمسة عشر ألف دينار .

وفي هذا اليوم ^(١) وَلَّى السلطانُ ، الأنصاري وكالته الخاصة ، وهي وظيفة الظُّلم التي كان النَّحَّاسُ يعملها ، فذهب إلى خَوْنَد امرأة الأشرف ، وأخبرها أن السلطانَ ، يطلبُ منها مالاً ، وأسمَعها ما لم يكن في حِسَابِها من الكلام الغليظ ، وشفى بعضَ غَلِيلِهِ مِنْهَا ؛ فَإِنَّا هي التي كانت سبب محتته لحَظِّ نَفْسِي كان بينها وبين زوجته خَوْنَد بنت شَرَبَاش التي كانت زوجة الظاهر ، وشرعت تعاملها معاملة مَنْ ليس في قلبه رَحْمَةٌ ، ولا يُحْسِبُ زوال النِّعْمَةِ ، فلهذا باشر خِطَابَها بالإساءة وتهديدها إن لم تُورِدْ ما قُرِّرَ عليها الضَّرْبُ والسَّجْنُ وأنواع الإهانات ، ولقد كانت جديرةً بهذا ؛ فَإِنَّا ما أبقت شيئاً من أمور الملك إلا دَخَلَتْ نَفْسُهَا فيه ، بحيث أَنَّها كانت هي السلطان لا إِنِّال .

وبلغني من غير طريق أنها كانت قليلة الصلاة جداً ، تشاغَل عنها إلى أن تفوت ، وَصَحَّ عَنْ ابن أخيها علي بن خليل بن خَضْبِكَ أنه لا يُصَلِّي شيئاً حتَّى أنه لا يصلي الجمعة إلا قليلاً ، ولقد صَحَّ أَنَّ غُلَامانه يفرشون سجادته في بعض أيام الجُمُع في الجامع ، فلا تزال كذلك ، حتَّى يفرغ الناس من الصَّلَاة ، فيأتي الغلمان فيَطْوُونها ، فلا يكون في ذلك إلا تعطيل البُقْعَةِ من مَضَل وثبوت فضيحتة ، بعدم الصَّلَاة .

وبلغني عن ابن الأمير بُرْدَبَك ، وهو ابن بنت خَوْنَد أَنَّهُ قليل الصلاة ، قال القائل ، وهم كُلُّهم (يَعْنِي بني خَضْبِكَ) أهل بيت معروفون بِقِلَّة الصَّلَاة ، نسأل الله العافية .

(١) في « حوادث الدهور » (٤٠٦) في يوم الأحد ١١ شوال .

وفي يوم الأربعاء ، رابع عشره ، اختفى ناظرُ الخاص ، الأمير زين الدّين عبد الرّحمن بن العلّم بن الكُويز ، ورمى السلطانُ على المرستّان المنصوري فلفلًا^(١) ، فأبى الأميرُ الكبير شرباش ، فقال : إمّا تأخذوا الفلفل ، وإمّا أن تُقرضونا مِنَ المرستّان ألفي دينار ، وصمّم على ذلك ، فرأى ابنُ الجيّعان ، وهو أخذُ المباشرين به أنْ أخَذَ الفلفل بالثمنِ أولى ، فأخذه ، فعَلِمَ الناسُ أن ابن الكُويز كان في رمي الفلفل على التّجار مُكرّها ، وأن ذلك إنما هو مِنَ السلطان نفسه .

وعين الشرف موسى الأنصاري لنظر الخاص ، وختم على بيوت الزّين ابن الكُويز وحواصله^(٢) .

وفي يوم الخميس ، خامس عشره ليس الشرف الأنصاري خِلعةً بنظر الخاص والكسوة للكعبة الشريفة ، ووكالة بيت المال ، وابنه البدر محمد خِلعةً بنظر الجوالي ، ولبس الدّويّدار الكبير جانبك ناظرُ جُدّة بأنّه صندفًا في جانب المحلّة الكبّري .

وفي يوم الخميس هذا ، سافر الحميد بن قاضي بغداد ، الشهير بابن أبي حنيفة .

وفي يوم الأربعاء رابع عشره ذهب خادم المدرسة الجماليّة محمد بن عبد الدائم ابن اخت مَدّين ؛ ليزور قَبْر [٢٨٦] خاله في زاويته ، وأخذ معه ناساً كانوا التفوا عليه ، فعمل فتنةً كبيرةً ، وذلك أنّه لما مات خاله أراد أن يقوم مقامه في الزاوية ، فلم يمكّنه أصحابُ الشيخ ، وأقاموا

(١) في « حوادث الدهور » (٤٠٦) البّهار .

(٢) راجع الخبر في : « حوادث الدهور » (٤٠٦) ، و« النجوم الزاهرة » (١٦ / ٢٦٠) ، و« بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٠٢) .

ولده، لما يعملون من هذا من الحزني والمكز مع إظهار المسكنة والاستانة، ووضع الدفن على الصدر، فجاء إلى الجمالية، وفتح فيها باب ذكر، فالتفت عليه ناس، وكثروا، ثم انفضوا عنه، ثم لم يزل يتألف بعضهم حتى لازموا وتلمذوا له، ثم انتقل إلى مدرسة استحدثتها خوند زينب في ناحية الكافوري، ولم تكملها، ولم يزل حتى ظن أن أصحابه اشتد ارتباطهم عليه، ثم ذهب بهم في هذا اليوم إلى الزاوية، مظهرًا الزيارة، فتبين على ما نقل عن أهل الزاوية أنه ما جاء إلا للانتقام ممن كانوا منعه، فإنه ضرب واحدًا منهم يقال له: عبد ربنا، وبالغ في ذلك، فأعانه بعض الفقراء، فضربه أتباعه، فتجمع الفريقان، فإذا أتباعه متسلحون بعصي وقباقيب^(١) وسكاكين، فوقع بين الفريقين ضرب كبير أفضى إلى جراح وشجاج، ثم أغلق أهل الزاوية باب الدرب وأبواب الزاوية، فأحس هو قبل ذلك فهرب، فلما رأى أصحابه أنهم قد حصرُوا تجمعوا وعالجوا باب الدرب، ففكوا مسامير صبته، وذهبوا.

فأرسل الفقراء إلى الناظر وهو سيدي عبد الرحيم بن البارزي، فحضر، فقصوا عليه ذلك، فذهب إلى صهره الأمير يزبك، وكان يعتقد الشيخ محمد الشويمي، وهو من أكابر فقراء الشيخ مدين، فأرسل إلى ابن اخته، فغيب وظفروا ببعض أتباعه، فضربهم الأمير يزبك ضرباً كثيراً.

هذا ما أخبر به أهل الزاوية عن سبب الفتنة، وأما هو وأتباعه، فأخبروا أنهم دخلوا، فسلموا وتأدبوا مع أهل الزاوية، فأجابوهم بالكلام

(١) قباقيب: زغال تتخذ من خشب.

«محيط المحيط» (٢/ ٧١٢).

القيح ودار الكلام حتى قَبَضَ ابنُ أخت الشيخ على حَيَّةِ عَبْدِ رَبَّنَا ، فجاء أصحابه فضربوا ابنَ أخت الشيخ ، وأصحابه ، والعلم عند الله . ولما هرب واتَّفَقَ لِأَصْحَابِهِ مِنَ الضَّرْبِ فِي بَيْتِ الْأَمِيرِ يَزِيدُكَ مَا اتَّفَقَ ذهب هو إلى بيت المالكي فكان جهد المالكي أن لا طف الأمير يَزِيدُكَ حتى أطلقهم من سِجْنٍ كان سجنهم به ، واستمر هو مختفياً خوفاً من الأمير يَزِيدُكَ .

وفي هذا الحد ، أتى الخبرُ إلى القاهرة أنَّ إسماعيل بن عبد القادر ، شيخ جبل نابلس بيَّتَ ابنَ الجيوسي (بفتح الجيم ، وتشديد التَّحْتَانِيَّةِ وبعد الواو سين مهملة) وهو شيخ بعض الجبل ، فقتل من جماعته نحو أربعين نفساً وهرب كلُّ منهما من بلاده ؛ وسبب ذلك أنَّ ابنَ الجيوسي ، كان يُظهرُ في أوَّلِ أمرِهِ الجَوْدَةَ ، ثم أبان عن مَكْرٍ وَحَرَكَةٍ كبيرة تَدُلُّ على أَنَّهُ يريد العلوَّ ، فأخذت على تلك البلاد مَظْلَمَةً وَجَبَّاهَا ، ثم غار لذلك الشَّيْخُ كمال الدين بن أبي شريف عالم القدس في زمنه ، وكان بالقاهرة ، فأخرج مرسوماً مربَّعاً بإبطال ذلك ، ثم لما استحكمت الفِتْنُ بين أهل الدَّوْلَةِ ، وتمرَّد نائبُ الشَّامِ ، وأراد إذلال بني عُبيد المشهورين الآن ببني عبد القادر ، لم يطعه إسماعيلُ ، وحذَّر منه ، وخاف غائلته ، فخطَّ ابنُ الجيوسي إلى نائب الشَّامِ ، وصاحب خَزَنَدَارِهِ ، واستمال من أعيان بني عُبيد شخصاً يُقال له صَعْبٌ ، فجمعه بنائب الشَّامِ ، فخلع عليه خِلْعَةَ المَشيخة لما تحرَّك إلى نحو القاهرة ، فلما عَلِمَ إسماعيلُ أَنَّهُم قد ولَّوا بلاده ظُهُورَهُمْ صَبَرَ حَتَّى ظَنَّ أَنَّهُم اشتغلوا بفتنتهم ، ثم طَرَقَ ابنُ الجيوسي ، فكان ما ذُكِرَ ، وهرب ابنُ الجيوسي إلى الرَّمْلَةِ ، وغاب إسماعيل عن البلاد.

ثم حَدَّثَنِي مَنْ كَانَ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ أَنَّ الْبِيَّاتِ لَمْ يَكُنْ لِابْنِ الْجَبْيُوسِيِّ ؛
وَذَلِكَ أَنَّهُ أَظْهَرَ لِإِسْمَاعِيلِ الْوَدَّ وَالرَّقَّةَ ، وَإِنَّمَا الْمَبِيتُ لِأَهْلِ وَادِي بَنِي زَيْدٍ
(بَيْنَ نَابُلُسَ وَبَيْنَ الْقُدْسِ) ، وَأَنَّهُمْ هَرَبُوا مِنْهُمْ ، فَأَفْسَدُوا بِلَادَهُمْ ،
وَقَتَلُوا مِنْهُمْ اثْنَيْنِ مِنْ أَكْبَارِهِمْ ، وَلَمْ يَزَالُوا يَطْرُدُونَهُمْ إِلَى قُرْبِ الْقُدْسِ ،
فَخَرَجَ نَائِبُ الْقُدْسِ فِي أَهْلِ الْقُدْسِ ، وَكَانَ يُبْغِضُ إِسْمَاعِيلَ ، فَقَالَ لَهُمْ :
هَذَا يَرِيدُ بِلَدَكُمْ ، فَهَزَمُوهُ ، وَشَدَّتْ مِنْ جَمَاعَةِ إِسْمَاعِيلِ فِرْقَةٌ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ
مَا بَيْنَ عَشْرِينَ إِلَى سَبْعِينَ ؛ وَسَبَبَ ذَلِكَ أَنَّ الْجَمَالَ يَوْسُفَ الصُّبَيْبِيَّ
خَزَنَدَارَ نَائِبِ الشَّامِ كَانَ دَارَ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ فِي شُعْبَانَ قَوْلَى شَخْصًا يَقَالُ
لَهُ : عَلِيُّ بْنُ حَسَنِ بْنِ وَادِي بَنِي زَيْدٍ شَيْخًا عَلَى الْوَادِي ، وَكَانَ مِنْ جِبَالِ
نَابُلُسَ جَمَاعَاتٍ مَفْرُقُونَ فِي لُدٍّ وَالرَّمْلَةِ وَغَيْرِهَا ، فَنَادَى لَهُمْ : مَنْ أَرَادَ
الْجَمَاعَةَ وَالرَّعَايَةَ وَالنُّصْرَةَ ، فَعَلِيهِ بَوَادِي بَنِي زَيْدٍ ، فَقَصَدَ إِلَيْهِ كُلُّ مَنْ كَانَ
مَطْرُودًا مِنْ بِلَادِهِ ، ثُمَّ قَصَدُوا بَعْضُ أَغْدَانِهِمْ فِي جَبَلِ نَابُلُسَ ،
فَقَاتَلُوهُمْ ، فَأَرَادَ إِسْمَاعِيلُ قِتَالَهُمْ ، ثُمَّ خَشِيَ عَوَاقِبَ السُّلْطَانِ ، فَصَبَرَ
لِيَرْفَعَ الْأَمْرَ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا سَارَ نَائِبُ الشَّامِ إِلَى مِصْرَ أَرَادَ هُوَ وَخَلِيلُ بْنُ أَبِي
غَازِي بْنِ مِشَاقَ بِيَّاتِهِ ، ثُمَّ خَافُوا عَوَاقِبَ الْأَمْرِ ، وَلَمْ يَكُنْ بَلْغُهُمْ أَمْرُ
الْمِصْرِيِّينَ ، فَكَفُّوا . [فَلَمَّا] ^(١) جَازَ غَزَّةَ سَائِرًا إِلَى مِصْرَ ، بَيَّتَ إِسْمَاعِيلُ
هَؤُلَاءِ ؛ بَمَا كَانُوا أَفْسَدُوا فِي بِلَادِهِ ، ثُمَّ هَرَبَ هُوَ وَخَلِيلُ بْنُ مِشَاقَ ،
لَا أَنَّهُمَا كَانَا يَخَافَانِ نَائِبَ الشَّامِ ، وَكَانَ لَا يَرْضَى مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِالْوَفُودِ عَلَيْهِ ،
وَلَوْ أَرْسَلَ لَهُ مِنَ الْمَالِ مَا يَمْلَأُ الْأَفَاقَ .

وَفِي هَذَا الْحَدِّ ، عُيِّنَ خَيْرِبَكَ الَّذِي كَانَ وَالِي الْقَاهِرَةِ ، ثُمَّ نَائِبُ الْقَلْعَةِ

(١) مَا بَيْنَ الْحَاصِرَتَيْنِ إِضَافَةٌ إِقْتِفَاهَا السِّيَاقُ .

لِنِيَابَةِ غَزَّةَ ، وَعُيِّنَتْ نِيَابَةُ قَلْعَةِ الْجَبَلِ لِسُودُونِ^(١) الْقَصْرَوِيِّ .

[٢٨٥] وفي هذا الحد ، بلغنا أَنَّ جَانَمَ ، نَائِبَ الشَّامِ كَانَ يُفْسِدُ فِي رَجُوعِهِ ، بَقْطَعَ الطَّرِيقَ ، وَإِخَافَةَ السَّابِلَةِ ، حَتَّى أَنَّهُ لَقِيَ جَمَاعَةً مِنْ كَرْكِ الشُّوبِكِ قَاصِدِينَ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَخْدُمُوا مَعَهُ ، فَأَعْتَلُّوا بِأَنَّ لَهُمْ أَشْغَالًا هُمْ مُتَوَجِّهُونَ [إِلَيْهَا]^(٢) فَاسْتَلَبَهُمْ . وَبَلَّغْنَا أَنَّ إِسْمَاعِيلَ بْنَ عَبْدِ الْقَادِرِ جَمَعَ عَلَيْهِ أَهْلَ جَبَلِ نَابُلُسَ لِيُحَارِبَهُ .

وفي هذا الحد ، جَدَّدَ السُّلْطَانُ مِنَ الْعَوَائِدِ أَنْ يُرْسَلَ إِلَى كَاتِبِ السَّرِّ ، وَنَظَرَ الْجَيْشُ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّتَيْنِ يَطْلُبُ حُلُومَ ، فَيُرْسَلُ إِلَيْهِ بِمَا يَكُونُ ثَمَنُهُ نَحْوَ خَمْسَةِ وَثَلَاثِينَ دِينَارًا ، فَعَظُمَتْ مَسَقَّةُ ذَلِكَ جِدًّا ، وَعُرفَ مِنْ فِعْلِهِ هَذَا ، وَلَمْ يَتِمَّكَنْ مَقْدَارُ غَرَامِهِ بِالظَّلْمِ وَعِشْقِهِ لَهُ ، فَاللهُ الْمُسَوِّلُ فِي كِفَايَةِ شَرِّهِ وَحَسْمِ مَادَّةِ أَمْرِهِ . ثُمَّ قِيلَ : إِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنْهُ وَإِنَّمَا هُوَ مِمَّنْ يَنَامُونَ عِنْدَهُ ، يَحْرُسُونَهُ ، وَهُوَ مَغْلُوبٌ مَعَهُمْ .

وفي يومِ الْاِثْنَيْنِ تَاسِعِ عَشَرَ شَوَالِ هَذَا ، خَرَجَ الْمِحْمَلُ مِنَ الْقَاهِرَةِ إِلَى الْبَرَكَةِ ، وَرَكِبَ قُدَّامَهُ الْقَضَاةُ وَالْأُمَرَاءُ وَالْفُقَرَاءُ عَلَى الْعَادَةِ^(٣) .

وفي لَيْلَةِ الْأَرْبَعَاءِ حَادِي عَشْرِيهِ ، سَافَرَ الرُّكْبُ الْأَوَّلُ مِنَ الْبَرَكَةِ

(١) هو : سُودُونُ الْقَصْرَوِيِّ قَصْرُهُ مِنْ تَمْرَازِ نَائِبِ الشَّامِ ، كَانَ خَاصَكِيَا ، ثُمَّ مِنَ الدُّوَيْدَارِيَّةِ الصَّغَارِ ، ثُمَّ أَمِيرَ عَشْرَةٍ ، ثُمَّ نَائِبًا لِقَلْعَةِ الْجَبَلِ ، ثُمَّ رَأْسَ نَوْبَةِ النَّوْبِ ، وَكَانَ فِي تَجْرِيدَةِ سَوَارٍ ، فَجَرَحَ فِي الْوُقُوعَةِ ، وَجُمِلَ إِلَى حَلَبِ مَيَاتِهَا سَنَةَ ٨٧٣هـ ، وَقَدْ قَارَبَ السَّبْعِينَ .

لَهُ تَرْجُمَةٌ فِي : « الْضَوْءُ اللَّامِعُ » (٢٨٥ / ٣) رَقْمُ ١٠٨٠ ، وَ« بَدَائِعُ الزَّهْوَرِ » (طَبْعَةُ بُولَاق) (١١١ / ٢) .

(٢) مَا يَمِينُ الْخَاصِرَتَيْنِ غَيْرِ وَاضِحَةِ الرَّسْمِ فِي الْأَصْلِ ، وَالتَّصْحِيحُ مِنْ مَفْهُومِ السِّيَاقِ .

(٣) الْخَبَرُ فِي « حَوَادِثِ الدَّهْوَرِ » (٤٠٧) .

وأمرهم تَبَنِكَ [الأشرفي^(١) البَوَّاب^(٢)] .

وفي يوم الأربعاء هذا ، سافر الحُسام بن بُرَيْطع الغُزَي ، الذي كان قاضي الحنفية بدمشق ، بعد أن أراد أن يدَّعي على الأمير بُرْدَبَك بهالٍ أُهْدِي إليه ، وشاعت له أخبار عجيبة من مثل هذا ، وشكى على حقوقٍ عليه ، وعُوقٍ عن السَّفَرِ أَيْاماً ، وتَبَيَّنَ أَنَّهُ ذُو مَظَلٍّ لِلْحَقُوقِ ، ثم إنَّ العلاء ابن قاضي عجلون مَظَلَّ بما تَأَخَّرَ عنده مِنَ المال الذي أُلْزِمَ به حتى يخرج الحُسام مِنَ القَاهِرَةِ ، فَرُسِمَ بإخراجه ، فَأَتَاهُ دُوَيْدَارُ نَقِيب الجِيشِ ، ورأس نَوْبَةِ النُّقْبَاءِ عنده ونقيباً فأخرجوه ، وتوَكَّلُوا به إلى الخانِكَةِ ، فَتَسَلَّمَهُ خَفِيرُهَا وَهَلَمَّ جِراً إلى أنْ يَجُوزَ قَطِياً .

وفي ليلة الخميس ثاني عَشْرِيه ، سافر المِحْمَلُ وأميرهُ مُعْلَباي طاز ، وقَسَمَ المَمَالِكُ الذين يُسَافِرُونَ لِلإِقَامَةِ بِمَكَّةَ سُنَّةً بَيْنَ الرِّكْبَيْنِ الأوَّلِ والثَّانِي ؛ لضعف الأميرين .

وفي هذا الحد ، وُلِّيَ القَطْبُ الحَيَضَرِي ، كَاتِبَ السَّرِّ بدمشق قضاءً الشَّافِعِيَّةَ بها عن الولي أحمد البُلْقِينِي ، المشهور بابن تَقِيِّ الدِّينِ ، وَكُتِبَ لَهُ أَنَّهُ عَلَى قَاعِدَةِ النَوَائِي ، أَيَّ أَنْ جَمِيعَ مَا كَانَ يَتَصَرَّفُ فِيهِ النَوَائِي فَهُوَ لَهُ ،

(١) ما بين الحاصرتين بياض في الأصل ، والتصحيح من مصادر الهامش التالي .

(٢) هو : سيف الدين تَبَنِكَ بن عبد الله الأشرفي بُزْنَبَاي المعروف بالصَّنْعَرِ أو البَوَّاب ، كان في دولة استأذنه خاصكياً ، ثم في أيام ولده دُوَادَاراً ، ثم نكب بعده ، وأُخْرِجَ إلى البلاد الشامية ، ثم تأمر عشرة في أيام الأشرف إِيْنَال ، وصار من جملة رُؤُوسِ الثُّوبِ ، واستمر كذلك إلى أن ندبه الظاهر حُشَقْدَمَ إلى تجريدة البحيرة مع من نَدَبَ من الأمراء والجند فقتل هناك بيد عرب الطاعة في ذي القعدة سنة ٨٦٦هـ .

له ترجمة في : « حوادث الدهور » (٧٩٢) ، و« النجوم الزاهرة » (٣١٧/١٦) ، و« إنباء المصّر » (١٣٥) ، و« الضوء اللامع » (٤٢/٣) رقم (١٧٢)

مِن الرَّمْلَةِ وَبَعْلَبَكْ وَنَحْوَهُمَا ، وَذَلِكَ مِضَافٌ إِلَى كِتَابَةِ السَّرِّ ، وَوَكَالَةِ بَيْتِ
الْمَالِ ، وَبَذَلَ عَلَى ذَلِكَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَكَانَ قَدْ بَذَلَ عَلَى أَيَّامِ الْمُؤَيَّدِ ثَلَاثَةَ
فَلَم يُقْبَل .

عزل صالح البلقيني وفي يوم الخميس هذا وُلِّي ، الشرف يحيى بن محمد المناوي قضاء
شوال ثاني عشرية الشَّافِعِيَّة بِالذَّيَّارِ الْمَصْرِيَّةِ ^(١) ، وَلُبَّسَ خِلْعَةً بِذَلِكَ ، وَرَكِبَ مَعَهُ كَاتِبُ
السَّرِّ ، الْمُحِبُّ بْنُ الشَّخْنَةِ ، وَنَاطَرَ الْجَيْشَ النَّقِّيَّ بْنِ مُزْهَرٍ ، وَبَقِيَّةَ قِضَاةِ
الشَّافِعِيَّةِ ، السَّعْدُ الدَّيْرِيُّ الْحَنْفِيُّ ، وَالْحُسَّامُ ابْنُ حُرَيْزِ الْمَالِكِيِّ ، وَالْعَزْ
بَنَ نَصَرَ اللَّهِ الْحَنْبَلِيَّ ، إِلَى الصَّالِحِيَّةِ ، وَمِنَ الْخَلَائِقِ غَيْرَهُمْ مَا لَا يَحْصَى ،
وَسَرَّ النَّاسُ بَوْلَايَتَهُ ، وَعَزَلَ الْعَلَمُ الْبُلْقِينِيَّ ، وَكَانَ هَذَا الْأَمْرُ قَدْ دُبِّرَ مِنْ
حِينَ وَلَايَةِ الظَّاهِرِ حُشَقْدَمَ ، وَإِنَّمَا أُخِّرَ لِيَصْرَ الْبُلْقِينِيَّ صُرَّرَ الْحَرَمِينَ ، وَلَمَّا
أَحْسَ الْبُلْقِينِيَّ بِذَلِكَ ، طَلَعَ إِلَى السُّلْطَانِ يَشْكُو مِنْ أَمْرِ الصَّرِّ ؛ أَنَّهُ لَا
يُوقِي الْمُتَحَصِّلَ مِنَ الْأَوْقَافِ بِهِ ، وَيَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يَرْسُمَ بِصَرْفٍ مَا اسْتَحَقَّ
قَبْضُهُ مِنَ الْمُسْتَأْجِرِ لِلذَّخِيرَةِ السُّلْطَانِيَّةِ ، مِنْ أَوْقَافِ الْحَرَمِينَ ، وَكَانَ
الْحِجَازِيُّونَ قَدْ أَثْبَتُوا فِي ذَهْنِ كُلِّ كَبِيرٍ فِي مِصْرٍ خِيَانَتَهُ ، وَأَنَّهُ بَاعَ نَيْفًا
وَمِائَةَ وَقْفٍ مِنَ أَوْقَافِهِمْ ، فَقَالَ لَهُ السُّلْطَانُ : صَرَّ لَهُمْ مِنْ مَالِكَ .

ثُمَّ حَدَّثَنِي الْقَاضِي كَاتِبُ السَّرِّ ، ابْنُ الشَّخْنَةِ أَنَّ الْأَنْصَارِيَّ ، وَعَدَ
عَنِ الْمَنَاوِيِّ بِخَمْسَةِ آلَافِ دِينَارٍ نَاجِزَةٍ ، وَثَلَاثَةِ نَسِيئَةٍ ، وَوَعَدَ أَنْ يُحْصَلَ
مِنَ الْبَلَاقِنَةِ عَشْرَةَ آلَافِ دِينَارٍ ، وَأَنَّ الْخَلِيفَةَ أَرْسَلَ إِلَى السُّلْطَانِ يَشْفَعُ
عِنْدَهُ فِي الْعَلَمِ عَلَى أَنْ يَخْدُمَ بِخَمْسَةِ آلَافِ دِينَارٍ ، وَكَانَ الْخَلِيفَةُ فِي الْبَحْرَةِ
بِالْقَلْعَةِ ، مِنْ حِينَ جَاءَ نَائِبُ الشَّامِ لَمْ يُؤْذَنَ لَهُ فِي بَيْتِهِ ، فَأَجَابَهُ السُّلْطَانُ ،
وَأَرْسَلَ إِلَى الْمَنَاوِيِّ بِأَمْرِهِ بِالْكَشْفِ عَنْ ذَلِكَ .

فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْخَمِيسِ هَذَا ، وَسَمِعَ الدُّوَيْدَارَ الْكَبِيرَ ، شَقَّ عَلَيْهِ أَنْ

(١) الخبر في : «حوادث الدهور» (٤٠٧) ، و«بدائع الزهور» (صفحات لم تنشر) (١٠٣) .

يُقْطَعُ أَمْرٌ دُونَهُ ، فَأَظْهَرَ الْغَيْظَ مِنْ ذَلِكَ ، وَقَالَ : يَلْزَمُ مِنْهُ أَنْ أَصِيرَ عِنْدَ النَّاسِ كَذَّابًا ، فَانْزَعَجَ السُّلْطَانُ لَانْزِعَاجِهِ ، وَكَانَ ضَعِيفًا ، لَا أَمْرَ لَهُ مَعَ الظَّاهِرِيَّةِ ، فَقَدَّمَ رِضَاءَ عَلِيِّ رِضَى الْخَلِيفَةِ ، وَأَرْسَلَ إِلَى الْمَنَاوِي فَتَمَّمَ أَمْرَهُ .

ثُمَّ أَخْبَرَنِي غَيْرُ كَاتِبِ السَّرِّ ، أَنَّ الَّذِي سُمِّيَ لِلْسُّلْطَانِ مِنْ جِهَةِ الْمَنَاوِي إِنَّهَا هُوَ الْفَانُ فَقَطْ ، وَلَيْسَ بِبَعِيدٍ ؛ فَإِنَّ كَاتِبَ السَّرِّ مُبْغَضٌ لِلْمَنَاوِي ، فَلَعَلَّهُ اعْتَمَدَ فِي الَّذِي ذَكَرَ أُمُورًا غَيْرَ مُحَرَّرَةٍ .

وَكَانَ هَذَا خَاتِمًا لِدَوْلَةِ الْبِلَاقِنَةِ ، فَعُزِلَ الْعَلَمُ مِنْ قِضَاءِ مِصْرَ ، وَالْوَلِيُّ مِنْ قِضَاءِ الشَّامِ ، وَأَبُو السَّعَادَاتِ مِنْ نَظَرِ سَعِيدِ السَّعْدَاءِ ، فِي عَشْرَةِ أَيَّامٍ ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ رَأْسٌ قَائِمٌ ، أَدَامَ اللَّهُ ذَلِكَ ، فَإِنَّهُمْ خَرَّبُوا ، فَلَمْ يَوْجَدْ فِيهِمْ صَالِحٌ .

لَقَدْ ، أَخْبَرَنِي قَاضِي الْقَضَاةِ عَزَّ الدِّينَ أَحْمَدُ بْنُ نَصْرِ اللَّهِ الْحَنْبَلِيُّ ، أَنَّ الْعَلَمَ هَذَا أُريدَ مِنْهُ تَنْفِيزُ مَكْتُوبِ الْجَمَاعَةِ نَاطِرِ الْخَاصِ الْجَمَالِ بْنِ كَاتِبِ شِكْمِ ، لَيْلَةَ الْأَرْبَعَاءِ هَذِهِ لَيْلَةَ عِزْلِهِ ، فَخَلَفَ أَنَّهُ لَا يَفْعَلُ إِلَّا بِثَلَاثِينَ دِينَارًا ، فَأَعْطَاهَا ، وَكَانَ لَهُ مِنْ مِثْلِ هَذَا أُمُورٌ يَقْبَحُ ذِكْرُهَا ، وَلَهُ مَعَ نَوَائِبِهِ حِكَايَاتٌ فِي طَلَبِ الرِّشَى لَا يَرْضَى بِهَا الْحَجَّابُ ، وَكَذَا جَمِيعُ أَقَارِبِهِ .

وَفِي هَذَا الْيَوْمِ نُقِلَ الْأَمِيرُ بُرْدُوكُ مِنْ بَيْتِ الدَّوِيدَارِ الْكَبِيرِ جَانِبَكَ نَاطِرِ جُدَّةٍ إِلَى الْقَلْعَةِ مَعَ الْوَالِي إِيْنَالِ الْأَشْقَرِ ، وَالْمَحْتَسِبِ تَنْمَ رِصَاصِ ، فَاعْتَبَرُ بِمَا فِي هَذَا الْأَمْرِ مِنَ الْعِبَرِ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَرْفَعُ عَيْسَى الْمَغْرِبِي ، وَيَنْوِّهُ بِذِكْرِهِ ، وَيَجْتَهِدُ فِي تَشْيِيدِ أَمْرِهِ وَإِعْلَاءِ قَدْرِهِ ، مَعَ مَعْرِفَتِهِ بِزَنْدَقَتِهِ ، وَتَكَرُّرِ نِسْبَةِ أَهْلِ الدِّينِ لَهُ إِلَى ذَلِكَ بِحَضْرَتِهِ ، وَكَذَا كُلِّ مَنْ كَانَ قَبِيحَ السَّيِّئَةِ ، وَكَلِمَا كَانَتْ سِيرَتُهُ أَقْبَحَ كَانَ إِلَيْهِ أَمِيلٌ ، مَعَ أَنَّهُ يَفْعَلُ فِي أَصْحَابِهِ

الأقدمين مِمَّنْ لَا يَشْكُ هُوَ فِي عِلْمِهِ وَدِينِهِ وَحَسَنَ سِيرَتِهِ ، وَأَنَّ فِعْلَ
الجميل معه شَرَفٌ ، والإِخْلَالُ به عار ، ضِدُّ ذَلِكَ ، مِنَ السَّعْيِ فِي إِخْهَادِ
ذِكْرِهِ ، وَسُقُوفِ أَمْرِهِ ، وَالْأَخْذُ عَلَيَّ يَدِهِ إِذَا أَرَادَ الْإِنْتِصَارَ مِمَّنْ آذَاهُ ، فَذَانِهُ
الدِّيَانُ ، بَأَنَّهُ أَدْخَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْخِزْيِ وَالضَّرَرِ أَضْعَافَ مَا كَانَ يُدْخِلُهُ عَلَى
ذَلِكَ الزُّنْدِيقِ وَأَمْثَالِهِ مِنَ السُّرُورِ ، وَكَذَا كَانَ يَفْعَلُ اسْتَاذَهُ ، فَلَقَاهُ اللَّهُ فِي
وَلَدِهِ وَعِيَالِهِ .

[٢٨٦] ولقد كان عيسى يُسَمَّى بُرْذَبَكَ الْبَهْلُولُ ، وَهُوَ فِي عُرْفِ أَهْلِ
الزَّمَانِ الْمُغْفَلِ الَّذِي لَا فِطْنَةَ لَهُ ، وَلَا دِرْبَةَ بِالْأُمُورِ ، فَهُوَ الْآبَلُ ، وَكَانَ هُوَ
يَصِفُ عِيسَى بِاللَّهَاءِ ، وَغَزَاةِ الْمَعْرِفَةِ بِأُمُورِ دُنْيَاهُ ، فَتَبَيَّنَ بِأَمْرِ الْعَشْرِينَ
أَلْفَ دِينَارٍ قَوْلَ كُلِّ مِنْهُمَا ، وَكَانَ يَنْبِزُ كُلَّ مَنْ يَصْحَبُهُ وَيَعْتَقِدُهُ بِلِقَبِ ،
فَكَانَ يُلَقَّبُ نَاطِرَ جُدَّةَ (الشُّكَيْلِ) (بِمَعْجَمَةِ مُصَغَّرٍ مُثْقَلًا) ، وَخَوْنَدُ
امْرَأَةِ الْأَشْرَفِ (الْقَارُوشَةِ) ، وَلَمْ تَكُنْ تَعْتَقِدُهُ ، وَالْأَنْصَارِي (الزَّعْفَرَانِي) ،
ثُمَّ لَمَّا اشْتَهَرَتْ سِمَاهُ (السَّالِكِ) إِشَارَةً إِلَى اعْتِقَادِهِ لَهُ ، وَيُسَمَّى نَفْسَهُ
(الْجَذْبَةَ) .

وفي هذا اليوم أيضاً ، رافع بعضُ المفسدين حَسَنَاءَ السُّنْبَاطِي إِمَامَ
الْمُؤَيَّدِ ؛ بِأَنَّهُ عِنْدَهُ مَالٌ كَبِيرٌ لِلْمُؤَيَّدِ ، فَأُخِذَ إِلَى الْقَلْعَةِ وَأُهِنَ وَقِيلَ أَنَّهُ
وُضِعَ فِي عُنْقِهِ زَنْجِيرٌ .

وفي هذا الحد ، ذهبت خَوْنَدُ زَيْنَبُ إِلَى بَيْتِ الدَّوَيْدَارِ الْكَبِيرِ ،
وَبَالِغَتِ فِي التَّدَلُّلِ لَهُ ، وَالتَّرَقُّقِ وَالْخُضُوعِ ، حَتَّى أَنَّهُ أَمْسَكَتْ ذَيْلَهُ ،
وَوَضَعَتْهُ عَلَى رَأْسِهَا ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ ، قَامَ لَهَا وَقَبَلَ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهَا ، ثُمَّ
لَمْ يُغْنِهَا ذَلِكَ شَيْئاً ، بَلْ اسْتَمَرَّ عَلَيْهَا طَلَبُ مَا أُزِمَتْ بِهِ .

وفي هذا الحد ، رَسَمَ السُّلْطَانُ أَنَّ يُكْتَبَ إِلَى حَاجِبِ الْحِجَابِ
بِدِمَشْقَ ، وَالْأَمِيرِ الْكَبِيرِ بِهَا ، وَنَائِبِ الْقَلْعَةِ ، وَبَقِيَةِ الْأَمْراءِ أَنْ يُلَاقُوا جَانِمَ

نائب الشام عند قدومه إليهم ، ويمشوا في خِدمته ، ويُطِيعوا أمره ، وهذا بواسطة الدَّوَيْدَار الثاني جانِبِك الظُّرَيْف ، أحد رؤوس الأشرَفِيَّة ، مع أنَّ نائب الشام وَلَّى على الرَّمْلَة ونابُلُس كاشِفاً من جهته ، يُقال له : خضر الكردي ، وَوَلَّى صَعْباً ^(١) بن عبد القادر على جبل نابُلُس ، مكان إسماعيل الشيخ ، كان من جهة السلطان ، وشبانة بن مشاق مكان خليل ، وحسين بن حسين على عَرَب حارِثة ، مكان طَرَبَاي ، وأوهن كل من كان من جهة السلطان ، وطَرَدَهُم عن بلادهم ، ولم يُكفِه ذلك ، حتَّى أرسل ابنه في جمع كثيف في طلب إسماعيل أين كان ، فوصلوا إلى كفر يهود في بلاد الصَّلْت ، وكان فيها ، فعزم أهلها على قتالهم عنه ، ثم رأوا الدَّفْع بالتي هي أحسن ، فخرجوا إلى يحيى بن النائب فتلَّقَوْه ، وضيَّقَوْه ، وجمعوا له نحو ثلاثمائة دينار ، وحلفوا أنَّ إسماعيل ليس عندهم ، فَرَجِع عنهم ، فدَلَّ هذا المرسوم من السلطان بعد هذا كله على غاية الضَّعْف ، فإنَّ الذي يُظنُّ بنائب الشام أنه يصير مَلِك الشام كلَّها ، ولا يعطيه سمْعاً ولا طاعةً بغير هذا المرسوم ، فصار بهذا المرسوم آمناً من المعارِض وله الحجة .

وأخبرني بعض خَوَاصِّ السلطان أنَّه ربما أراد خلوه ببعض أصحابه ، فلا يَقْدِر ، فيأمر بإغلاق باب القاعة التي بالدهيْشَة فيُدَقُّ عليه الباب ، فإنَّ أبطأوا بالفتح دُقَّ الباب دَقّاً عنيفاً ، فلا يسعه إلَّا الفتح ، قال : فسمعتة يدعو على نفسه بالموت .

وفي هذا الحدِّ ، رجع محمد بن النُّشَاطي من سفر إطلاق المؤيِّد من

(١) في « الضوء اللامع » (٣ / ٣٢٢ رقم ١٢٣٨) صعب بن أحمد بن حسن بن علي بن عبد

القادر ، شيخ جبل نابُلُس .

قَيْدِهِ ، والحادِمان اللذان سافراً باطلاق العزيز والمنصور ، وشاع أنَّ المؤيَّد لم يجد معه إلا ثلاثمائة دينار فأوسع الحيلة في مائتين ، ودفع الخمسمائة إلى النُّشَابي ، فأبى أن يأخذها ؛ استقلالاً لها ، فأرسلها إلى المنصور عثمان ، وسأله أن يشفع له إلى النُّشَابي في الرِّضى بها ، واعتذر له ففعل ذلك ، وأعطى النُّشَابي من عنده ألف دينار .

وسمعنا أن العزيز والمنصور اجتمعوا ، فقال العزيز للمنصور : جزاك الله عني خيراً يا أخي ، فإنِّي في فضلك بيّض الله وجه ممالك أهلك ، فإنهم سعوا في إطلاقك ، فكنت أنا في ذلك تبعاً ، وسودَّ الله وجوه ممالك أبي فإن لي ثيفاً وعشرين سنة في السجن ما فعلوا معي ما فعل ممالك أهلك .

وفي هذا الحد ، سافر ناظرُ القُدُس والخليل عبد العزيز بن معلاق ، ثم أرسل له الأمير قَلَمْطاي أحدُ الأشرَفِيَّة هَجَّاناً ليرُدَّه ؛ بسبب أمر ادعاه عليه من أجل سكَّنه في بيت الست بالقدس ، ولم يثبت له شيء ، لما كان بالقاهرة ، فلما أرسل له الهجَّان ليرُدَّه دفع إليه مائة دينار ، فرجع بها وحلَّى سبيله .

وفي هذا الحد ، استخلص الدُّوَيْدار الكبير ، جانِيكَ ناظرُ جُدَّة ، من البدر محمد بن الشهاب أحمد المحلِّي قاضي إسكندرية ثلاثة آلاف دينار بسبب أنه كان مستأجراً شيئاً من تعلُّق خائفاه سِرِّيا قوس في إسكندرية وكان يُعطي فيه دون أجره المثل ، هذا السبب الظاهر ، وأمَّا الباطن [٢٨٧] فإنه كان مقدِّماً عند الأشرَف وولده المؤيَّد ، وكان بذلك يَنْكِي^(١) ناظرَ الخاض ، الجمال يوسف ، وكان ناظرُ الخاض شديد الميَل

(١) يَنْكِي : يُوقع به .

« المعجم الوسيط » (٢ / ٩٥٣) .

إلى الظَاهِرِيَّةِ ، وكان ابن المحلِّي قد سعى في قضاء القاهرة في مَرْضَةٍ مِنْ مَرْضَاتِ الْعَلَمِ الْبُلْقِنِيِّ ، بسبب أَنَّهُ رَأَى أَنَّ السُّلْطَانَ غَيْرَ مُسَائِلٍ فِي الْقَضَاءِ وَلَا غَيْرِهِ ، عَنْ غَيْرِ الْمَالِ ، مِنْ عِلْمٍ وَلَا دِينٍ ، فَاشْتَدَّتْ نَكَايَةُ النَّاسِ مِنْ ذَلِكَ ، وَعَمَّرَ لِنَفْسِهِ بَيْتًا فِي نَاحِيَةِ خَانَ الْخَلِيلِيِّ ، شَاعَتْ الْأَحَادِيثُ بِأَخْبَارِهِ فِيمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِحْكَامِ وَالسَّعَةِ وَالْحُسْنِ ، وَكَانَ يَسِيرُ بِأَضْعَافٍ مُضَاعَفَةٍ فَوْقَ مَا يَسْتَحِقُّهُ ، مَعَ قَبَاحَةِ الشَّكْلِ ، وَعَدَمِ الْمَعَانِي مِنْ عِلْمٍ ، أَوْ فَصَاحَةٍ ، أَوْ مَكَارِمٍ ، أَوْ حِلَاوَةٍ مَنْظَرٍ ، أَوْ سَبَبٍ مِنْ أَسْبَابِ التَّقَدُّمِ ، فَلَمَّا وَقَعَ لْجَانِبِكَ هَذَا السَّبَبُ أَوْ سَعَهُ شَرًّا وَذَلًّا ، وَضَرَبَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وَبَكَتْهُ بِجَمِيعِ ذَلِكَ ﴿ وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (١) .

ثم إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ ، حَتَّى تَخْلُصَ ، فَاخْتَفَى ، ثُمَّ أَرْضَى جَانِبَكَ ، وَسَعَى لَهُ عِنْدَ السُّلْطَانِ فِي قَضَاءِ إِسْكَندَرِيَّةَ ، وَنَظَرَهَا ، وَمَضَى إِلَيْهَا .

وَفِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ سَادِسَ عَشْرِي شَوَالِ هَذَا ، شَفَعَ الْأَمِيرُ قَانَمَ التَّاجِرِ الْمُؤَيَّدِي أَمِيرِ مَجْلِسِ فِي الْأَمِيرِ بُرْذَبَكَ لِأَخْذِهِ عِنْدَهُ ، حَتَّى يُورَدَ مَا بَقِيَ عَلَيْهِ مِنَ الْمِائَةِ أَلْفِ الدِّينَارِ الَّتِي أُلْزِمَ بِهَا ، فَقَبِلَ ، فَتَزَلَّ إِلَى بَيْتِهِ فَأَخْلَى لَهُ مِنْهُ قَاعَةً ، وَأَمِنَ بِذَلِكَ عَلَى نَفْسِهِ ؛ فَإِنَّ الْمَذْكُورَ مِنْ أَكْبَارِ أَتْبَاعِ الْمُؤَيَّدِ شَيْخٌ ، وَهُوَ مَنْ يُذَكَّرُ لِلسُّلْطَنَةِ ، وَلَهُ عَقْلٌ وَافِرٌ ، وَحُرْمَةٌ وَمَرْوَةٌ يُرْجَعُ إِلَيْهَا .

وَحَدَّثَنِي أَنَّهُ حَصَلَ عَلَيْهِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي كَانَ بِهَا بِالْقَلْعَةِ مِنَ الشَّدَّةِ ، مَا يَجِلُّ عَنْ الْوَصْفِ .

(١) الأنعام / ١٢٩ .

وكانت خَوْنَد قد وَرَدَتْ ما أُلْزِمَتْ به ^(١) ، ثم عَزَمَتْ في هذه الأيام أن تتوجّه إلى ابْتِنْيَها إلى إسْكَندرية ، فَعُوَّقَتْ ، وطُلب منها شيء آخر .

وفي هذا الحد ^(٢) ، وصل مِنْ نائب الشام كتابٌ ، بأنّه مطيعٌ للسلطان ، وأنّ الذي بلغ المسماع الشريفة أنه عَزَلَ ابنَ عبد القادر ، وخلييل [بن] ^(٣) أبي غازي ، وَوَلَّى غيرهما كَذِبٌ ، ولكنّ المذكورين أفسدا في البلاد ، وتركاها ، فَخَلَعْتُ على من يحفظ البلادَ إلى حين تأتية خِلْعَةِ السلطان ونحو هذا الكلام ، مِنْ الخِداع بتسمية ما يتوصّل به إلى مقاصده عِبرَ الأسماء التي هي عنده .

واللذان ولّاهما صعب مِنْ بني عبد القادر ، وطُوغان بن شبانة مِنْ بني مشّاق ، هذان في جبل نابُلُس ، وَوَلَّى حسين بن حسين إمرةً عرب حارثة عن طَرَباي ، وَوَلَّى شخصاً على عرب حَوْران ، عن مَقْلَد ، فلما وقف السلطان على هذا ، عَلِمَ هو ونصحاؤه مُرَادَه ، ثم أرسل خِلْعاً لمن أَخْبَرَ أنّهم عصاةٌ ، وهم : إسماعيل ، وخلييل بن مشّاق ، وطَرَباي ، ومَقْلَد ، بتوليتهم على ما كانوا عليه ^(٤) .

وحَدَّثني بعضُ المسافرين أنّ الدَّرْبَ إلى الشّام في غاية الخراب ، وأنّ المسافرين محبوسون بِغَزّة وغيرها مِنَ البلاد الكبار ، لا يَجْتَرِئون على التَّوجّه إلى مقاصدِهِم مِنَ القُطّاع ، منهم أم العلاء بن الأهناسي وزير

(١) في « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) « ١٠٢ - ١٠٣ » خمسين ألف دينار .

(٢) في « حوادث الدهور » (٤٠٧) في يوم الأحد ٢٥ من شوال .

(٣) في الأصل (س) والتصحيح مما جاء في « ص ٣٢٧ » .

(٤) الخبر في « حوادث الدهور » (٤٠٧) وجاء فيه أن هذه الفعلة أوّل معاكسة لجائِم .

السلطان في غَزَّةَ ، وأنَّ نائب الشام أفسدَ في كُلِّ بَلَدٍ مَرَّ بِهِ ، وأنَّه نهبَ في الرَّمْلَةِ بَيْتَ ابنِ معلاق ، وصادر ووضع قاضِيها العلاء بن السَّائِح في زنجير ، وكذا البرهَّان بن جماعة ، قاضي القُدُس ، ووَلَّى كاشِفاً في الرَّمْلَةِ والقُدُس وأعمالهما يُقالُ له خضر الكردي .

وأغرى الخلقَ بالخلقِ ، فكلُّ مَنْ نهبَ شيئاً فازَ به ، وإنَّ رُفِعَ إليه لم يأخذ بيدَ المظلوم ، وهو يتصرَّف في جميع بلاد الشام ، تصرَّف مَنْ لا يخاف الله ، ولا يرى فوقه أحدٌ مِنَ الناس والأمر في غاية الاختلال ، والله المسؤول في صلاح الحال .

وسبَّبَ أمر ابن جماعة ، أنَّه كان في بلاد القُدُس ، بلدٌ قد استأجرها هو مِنْ تِمْرَاز لما كان دُوَيْدَاراً بمبلغ معروفٍ ، فلما نُفِيَ تِمْرَاز كما مضى ، ووُلِّي بُردُبَك عنه أرسل البرهَّان بن جماعة يَتَّخِذُ عِنْدَ بُردُبَك يَدًا ، فسأله أن يكتبَ له مرسوماً مِنَ السلطان ؛ ليدفعَ له رِيْعَها ، وكان بُردُبَك معروفاً بالطَّمْع ففعل ، فلما أُطلق تِمْرَازُ مِنَ السَّجْنِ إِلَى القُدُس ، طالبَ ابن جماعة ، فلم يلتفتَ إليه ، فأعلمه أنَّ ذلك لا زِمَ له بالشرِّع ، وأنَّ دَفْعَهُ إِلَى بُردُبَك وَغَيْرِهِ لا يُغْنِيهِ ، فلم يسمع ، فسكت عنه ، فلما رَجَعَ هو ونائب الشام هذه المَرَّةَ ، أعلمه بهذا ، فدبَّرَ في الحِيلَةِ عَلَى القَبْضِ عَلَيْهِ إنَّ أَرْسَلَ نائب الشام إِلَى النَّائِبِ يسأله أنْ يحضُرَ له قضاة القُدُس كلَّهم ، ليكتبوا له مَحْضَرًا بأمرٍ يريدُه ، فلم يسعهم إِلَّا الحضور ، وجَوَّزَ ابنُ جماعة أن يَذْكُرَ لَهُ تِمْرَازُ شيئاً مِنْ ذلك ، فأخذَ المرسومَ معه ، فلما حَضَرُوا عِنْدَهُمْ ، طلبَ تِمْرَازُ مِنْهُ مَالَهُ ، فأخرجَ المرسومَ ، فقال تِمْرَازُ ، اختر لك أَحَدًا مِنْ رفاقك يَحْكُمُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ . فاختار ابنُ تاج الدين بن الدَّيْرِي قِرابته ، فأخرجَ له تِمْرَازُ الإجارة ، فقال : كما هو الحقُّ أنَّ هذا المرسوم لا يَدْفَعُ هذه الإجارة .

فأجابَ إلى دَفْعِ المَالِ ، وأراد الذَّهابَ إلى القُدُسِ لذلك ، فلم يَمَكَّنْهُ
تَمَرَّازُ ، وأخذه معه ، فلما ركبوا إذا فرسه سَابِقٌ ، فقال له : لو هَرَبْتَ
لأتعبت مَن يُردك ، فَأَنزَلَهُ عن الفرس ، وكانت عادته أن يلف على رأسه
شاشين ، فانتزع منها واحداً وأبقى واحداً ، وأركبه إكْدِيشاً^(١) ، وَوَضَعَ في
عنقه سلسلة ، وأخذه على هذه الحالة إلى صفد .

فرجع ابنه إلى القُدُس ، ليجمع المَال ، وهو أكثر من أَلْفِ دِينَار ،
فأفكروا في أن يطلبوها مِن بُرْدَبَكِ مادام في هذا الضَّيْق ، فَأَتَى رسولُهُم
لذلك ، وكان بُرْدَبَكِ في بيت قَانَمِ أمير مجلس ، فكَلَّمَهُ في ذلك ، فَأَذِنَ له
في طلب ذلك منه ، وكان بُرْدَبَكِ قد صارَ أضعفَ قَلْباً مِن صافر ، فبادر
إلى الإجابة إلى ذلك ، فدفع لهم نحو خمسمائة دينار .

واستمر تَمَرَّازُ متوجَّهاً مع نائب الشَّامِ إلى دِمَشق ، وأرسل ابنَ جماعة
بزنَجيره مُوكِّلاً بِهِ إلى صَفد .

وحدَّثني من أثق به أن^(٢) ... الدين^(٣) .. بن قاضي الحنفية بالقُدُس
تاج الدين عبد الوهاب بن السعد بن الدَّيرِي ، وكان نائبَ أبيه وملازماً
للفِئْسَق ، مِن إدمان الخَمَرِ واللواط مِن خَلْفِهِ وَقَدَامِهِ ، وغالب القبايح ،
قد فعل بعض مصائبه في حارة المغاربة ، وخرج وهو ثَمَلٌ ، فوجدَ ناساً
مِن أعيان المغاربة ، فهاش عليهم بسيف ، فتكاثروا عليه ، فقبضوا

(١) إكْدِيشاً : فرس غير أصيل .

« المعجم الوسيط » (٧٧٩ / ٢)

(٢) بياض في الأصل بمقدار كلمة .

(٣) بياض في الأصل بمقدار كلمة .

عليه، وضربوه، واستغاثوا بأهل الخير من طول ما يفعل هذا من مُحَادَّةِ الله ورسوله وكان ملاذ الناس يومئذ هناك في الأمر بالمعروف، الشيخ عبد القادر^(١) النَّووي، وهو من أهل العلم والزهد والورع والعقل الوافر، فجلس في بعض النَّوَاحِي من المكشوف من المسجد، وجلس معه جَمْع من العامة، فجاء البرهانُ ابنُ جماعة المذكور إليهم، وهو ابنُ عمَّة ابن الدَّيرِي، فقال للعامة: كَأَنِّي بكم وقد وردت مراسيمٌ من مِضرٍ بِقَطْع أيديكم، وتشريم مناخيركم، ونحو هذا من العقوبة، فَقَتَّ ذلك في أَعْضَادِهِمْ، فافترقوا. ثم قال للشيخ عبد القادر: وأنت يا عبد القادر صار من أمرِكَ أَنَّكَ تجمع لك جَمْعاً وتكلمون في الأمور العظام ونحو هذا من الكلام الفاحش. فقال له: ينتقم الله مِنْكَ. وقام، قال الحَاكِي: فلم يمض على ذلك خمسة أَيَّام حَتَّى طَلَبُوا إلى الرَّمْلَةِ، ووقعت له هذه المحنة.

وأرسل المغاربة إلى القاهرة بالقضية، وأرادوا مُطَالَعَةَ السلطان بذلك، فبلغ السَّعْدُ، فأرسل إليهم مَنْ سَكَّنَهُمْ، وَضَمَّنَ لَهُمْ سداد الحال، ومنَعِهِ من الحكم. بين الناس، فسكتوا.

ثم حَدَّثَنِي الْعَلَّامَةُ البرهانُ بنُ أَبِي شَرِيف أَنَّ الضَّرْبَ ما كان إِلَّا بَعْدَ الانفصال عن مجلس الشَّرَاب، وَأَنَّ سَبَبَهُ أَنَّهُ أُرْسِلَ جَمَاعَتُهُ لِيُحْضِرُوا لَهُ

(١) هو: عبد القادر بن محمد بن حسن، الزَّيْنِ النُّووي الأصيل المقدسي الشافعي، المعروف بالنُّووي، ولد في أول القرن التاسع تقريباً ببيت المقدس، ونشأ به، وأخذ عن علمائه في العربية، والفقه، وعلوم القرآن، وتصدَّى لإقراء الطلبة فانتفعوا به، مات في شعبان سنة ٨٧١ هـ ببيت المقدس، له ترجمة في «الضوء اللامع» (٤ / ٧٦٤).

أَمَرَدَ مِنْ حَارَةِ الْمَغَارِبَةِ ، فَلَمْ يُطْعَهُمُ ، وَاسْتَجَارَ بَابِنَ ^(١) الشَّيْخَ خَلِيفَةَ ^(٢) ،
 شَيْخَ الْمَغَارِبَةِ وَابْنَ شَيْخِهِمْ فَأَجَارَهُ وَكَانَ شَجَاعاً ، ثَابِتاً ، كَثِيرَ التَّلَاوَةِ
 لِكِتَابِ اللَّهِ ، مُظْهِراً لِلتَّبَرُّءِ مِنْ ابْنِ عَرَبٍ ، خِلَافاً لِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَبُوهُ ، فَرَدَّ
 أَصْحَابُ الدَّيْرِ إِلَيْهِ فَأَعَادَهُمْ ثَانِياً ، فَقَالُوا : إِنَّ شَخْصاً لَهُ عَلَيْهِ دَعْوَى ،
 وَلا بَدَ مِنْ حُضُورِهِ بَيْنَ يَدَيِ الْقَاضِي ، فَمَنَعَهُ ابْنُ خَلِيفَةَ ، فَلَمَّا بَلَغَ ابْنُ
 الدَّيْرِ ، حَمَلَتْهُ الشَّهْوَةُ ، وَحُمِقَ الشَّبَابُ ، وَجَهَلَ الْغَرَّ ^(٣) عَلَى أَنْ رَكِبَ
 فَرَسَهُ ، وَجَاءَ بِنَفْسِهِ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ خَلِيفَةَ : لِي مَعَكَ كَلَامٌ ، ثُمَّ دَنَا مِنْهُ
 فَقَبَضَ عَلَيْهِ ، وَجَذَبَهُ عَنْ فَرَسِهِ ، فَرَمَاهُ ، ثُمَّ وَقَعَ فِيهِ يَضْرِبُهُ وَيَجْرَهُ ،
 وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ جَمْعٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمَغَارِبَةِ ، فَضَرَبُوهُ إِلَى أَنْ كَادُوا يُثْلِفُونَهُ ،
 وَكَانَ يَجْرُهُ وَهُوَ يَتَقَيَّاءُ الْخُمْرَ إِلَى أَنْ مَلَأَ تِلْكَ الْبُقْعَةَ .

وَجَاءَ الصَّرِيخُ إِلَى أَبِيهِ ، فَقَامَتْ قِيَامَتُهُ ، وَأَزْبَدَ وَأَرْغَى ، وَلَمْ يَجْسِرْ عَلَى
 شَيْءٍ ، غَيْرَ أَنَّهُ أَرْسَلَ إِلَى النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ الْهَمَّامِ ، وَهُوَ أَخُوهُ لِأُمِّهِ ، وَإِلَى

(١) هو : محمد بن عبد الرحمن ، المدعو خليفة بن مسعود بن محمد بن موسى ، الشمس أبو
 عبدالله المغربي الجابري - نسبة لبني جابر قبيلة من المغرب - المقدسي المالكي ، المعروف بابن خليفة ،
 ولد في ١١ رمضان سنة ٨٠١ هـ ببيت المقدس ونشأ بها ، وأخذ تلاوة القرآن ، والحديث عن بعض
 علمائها ، وولى مشيخة المغاربة ببيت المقدس ، ومشيخة الفقهاء المنتسبين لأبي مدين ، مات ليلة
 الخميس منتصف جمادى الثانية سنة ٨٨٩ هـ .

له ترجمة في « الضوء اللامع » (٨ / ٤٤) .

(٢) هو : خليفة بن مسعود بن موسى المغربي الجابري المالكي ، ويسمى عبد الرحمن أيضاً ،
 ولكنه بخليفة أشهر ، وقيل : خليفة بن مسعود بن محمد بن عبد الرحمن بن علي ، ولى مشيخة المغاربة
 ببيت المقدس ، وصارت له وجاهة ، وتزايد اعتقاد الناس فيه ، وكان يقرئ كلام ابن عربي ، مات ليلة
 السبت مستهل ذي القعدة سنة ٨٣٣ هـ ببيت المقدس .

له ترجمة في « الضوء اللامع » (٣ / ١٨٧) .

(٣) الْغَرُّ : من ينخدع إذا خُذِعَ .

« المعجم الوسيط » (٢ / ٦٤٨) .

ابن جماعة ، فَأَتَوْهُ وَقَدْ حَلَّ بِهِ مَا كَفَاهُ ، فَأَخَذُوهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ ، وَوَضَعُوهُ فِي بَعْضِ الْأَمَاكِنِ حَتَّى زَالَ حَمَارُهُ ، وَاجْتَمَعَ الْجَمْعُ الَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرَهُمْ ، ثُمَّ تَهَدَّدَهُ ابْنُ الشَّيْخِ خَلِيفَةُ وَالْمَغَارِبَةِ بِالْقَتْلِ ، إِنَّ حَكَمَ بَيْنَ اثْنَيْنِ ، فَلَمْ يَجْسُرْ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى حُكْمٍ ، ثُمَّ سَافَرَ إِلَى الْقَاهِرَةِ كَمَا سَيَأْتِي ، قَطَعَ اللَّهُ دَابِرَهُ آمِينَ .

[٢٨٨] وفي هذا الحدِّ ، وصل الخبرُ ، بأنَّ عَرَبَ لَيْدٍ أَفْسَدُوا فِي الْبَحِيرَةِ ، فَوْقَ اتِّفَاقِ السُّلْطَانِ وَمَنْ يَلِيهِ مِنْ أَوْتَادِ الدَّوْلَةِ عَلَى أَنْ يُجَهَّزَ لِذَلِكَ مِنَ الْخَوَنَةِ ، مَمَالِيكَ الْأَشْرَفِ إِيْنَالِ جَمْعًا كَبِيرًا نَحْوَ الْأَلْفِ مَعَ أَمِيرِ آخُورِ بَرْسَبَايِ الْبَجَاسِيِّ ، وَرَأْسِ نَوْبَةِ النَّوْبِ ، وَبَيْرِسِ خَالِ الْعَزِيزِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأُمَرَاءِ الْعَشْرَوَاتِ ، فَأَجَابَ الْكُلُّ خَاضِعِينَ ^(١) .

وفي هذا الحدِّ ، هُجِمَ عَلَى بَيْتِ صَلاَحِ الدِّينِ ، أَمِيرِ حَاجِ بْنِ بَرْكُوتِ الْمَكِينِيِّ ابْنِ امْرَأَةِ الْعَلَمِ صَالِحِ الْبُلْقِينِيِّ بِطَوَاشِيٍّ ؛ مِنْ أَجْلِ بِنْتِ ^(٢) السُّبْرَبَايِ ^(٣) ، زَوْجَةِ الْأَمِيرِ بُرْذُبَكِ التَّاجِيِ الَّتِي كَانَتْ فُسِّخَ نِكَاحِهِ مِنْهَا ، بِحُكْمِ أَنَّهُ أَبْرَصٌ ، وَتَزَوَّجَهَا ، وَكَانَ زَوْجُهَا غَائِبًا بِالْحِجَازِ ، ثُمَّ قَدِمَ فَلِذَا لَيْسَ بِهِ بَرَصٌ ظَاهِرٌ ، وَقِيلَ : إِنَّهُ أُثْبِتَ أَنَّهُ لَا بَرَصَ بِهِ ، وَأُثْبِتَ عَلَى

(١) الخبر في : « حوادث الدهور » (٤٠٨) ، و« بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٠٣) .

(٢) هي : سعادات ابنة البدر محمد بن الزين عبد الرحمن ابنة السبرباي القاهري ، تزوجها بُرْذُبَكِ التاجي ناظر الحرم ، ثم فسخ عليها وتزوجها الصلاح المكي ، وحصلت قلاقل ، وفنكت معه ، وأتلفت أموالاً جزيلة ، وسارت سيرة شهيرة .

ترجم لها (السخاوي) في « الضوء اللامع » (١٢ / ٦٣ رقم ٣٧٩) ولم يذكر تاريخ وفاتها .

(٣) في « الضوء اللامع » (١١ / ٢٥١) ابن السبرباي (بكسر أوله وثانيه ، ثم راء ساكنة ، بعدها موحدة مفتوحة) .

تقدير أن الذي به برص ، أنها كانت معه زماناً وهو به ، وسافرت معه إلى الحجاز وهي راضية ، بل وأنها أسقطت حقها من الفسخ بالبرص ، كذا شاع ، ثم لم يُثبت ذلك وكان الذي صدّه عن ذلك في أيام الأشرف إينال ، أنه كان فيها غير مقدّم ، وكان البُلقيني ومن يلوذ به رائجين ، وكان المرأة حسناً فكان صلاح الدين يَرْضَى بالمال ، فلما كانت هذه الأيام ثار بُردبُك ، فلم يَتِمَّ له أمرٌ حتّى عُزل العَلَم ، فأحسَّ الصَّلَاحُ بالفساد فاختفى ، فلما هُجم عليه بيته لم يوجد غير المرأة فأخذت لِيعْمَل فيها حكمُ الله ، وهي لغمري من أغرب القضايا ، لعلّه ما سُمع بمثلها ، أن مَنْ يكون بِزَيِّ الفقهاء ، وفي عدادهم مجتريء على مثل هذا في حق أمير ، ولم يزل الأمرُ يَتَبَادَى إلى نصف ذي الحِجَّة ، فقُضِيَ بما يتضمَّن بطلان نكاح صلاح الدين كما يأتي .

شهر ذي القعدة وفي يوم السَّبْت ، مستهل ذي القعدة سنة خمس وستين ^(١) هذه ، حدّثني ناصرُ الدين محمد بن نور الدين بن هلال الدولة الرَّبْدَانِي ، أنه رافقه من ناحية غزّة غلامٌ ، فحدّثه أن مخدومه من الخاصِكيّة ، وأنه أرسل إلى نائب الشام لما كان بالخانكة ، ومعه مَراسيم السلطان الظاهر إليه ، ليستخلص من علي بن الصُّوفي نحو ثلاثين ألف دينار عنده من مال الدَّخيرة ، فقال : ذلك بالسمع والطاعة ، وأمره بالسفر معه ليخلص له ذلك . قال : فلما كان بالرَّمْلَة أراد الجمالُ يوسف خَزَنداره التعجّل إلى دمشق . قال : فجاء الخاصِكيُّ إلى النائب ، فقال له : يبرز أمرُكم إلى الأمير الخَزَندار بأن أتوجّه معه ، فيقضي شُغلي . قال : فَرَجَرَنِي ، وقال : أَنَا أَخَذْتُ بلادَ الشام أحكم فيها بما أريد ، فقلت : يامولانا ، لكم المستقبل ، وهذا مال قديم عند ابن الصُّوفي . فقال : أخضر المرسوم ،

(١) وثمانمائة .

فأحضرتة إليه فأخذه في يده ، وشرع يَقْطَعُه بسكين معه سيوراً سيوراً ، وهو يشتم السلطان ، ويقول : « مِرَاترِكَمَانِي قَوَاد » إلى أن تَرَكَه قِدْدَاً ، ثم زَجَرَنِي ، قال : فقمّت مِن عنده ، وأنا لا أُصَدِّقُ أَنِّي تَجَوْتُ منه . قال : ثم رَكِبَ هَجِينَاً معه ، وتوجَّه وهو لا يَأْمَنُ أَنْ يَلْحَقَه من يردّه ، قال : وتركني على هذه الخيل لِإِلْحَاقِهِ بها .

وفي أوائل هذا الشهر ، وصل نائبُ الشام إليها ، فلاقاه مِن بها من الأمراء ، فأظهر العفو عنهم ، ونادى بدمشق بالأمان ، وَأَنَّهُ قد عَفَى عَمَّا سَلَفَ ، ووصل معه تَمْرَازُ إلى دِمَشق ، واستمرّ مقيماً بها كما يأتي ، ونزل نائبُ الشام بيت الأمير جانِبِك حَاجِب الحُجَّاب ؛ لِأَنَّهُ وَجَدَهُ قد هَرَبَ منه ، ودار السعادة خَرَابُ .

ولما زالت الدولة الأشرفيّة . تزلزل غَالِبُ المباشرين وغيرهم مِن أَهْلِ الدَّوْلَةِ ولاسيما الزين أبو بكر مُزْهَر ناظر الجيش ، فإنه لم يكن يروّجه إلَّا أُمُّهُ وعمُّهُ العَلَمُ زوجها ، وأما هو فليس فيه ما يُقَدِّمُهُ لا مِن كَرَمٍ ، ولا مِن عُصْبِيّةٍ ، ولا دِينٍ ولا ثَبَاتٍ على أَمْرِ مِنَ الأمور ، وهو مع ذلك كله فاقِدُ ما يفارق به الإنسانُ بقيّةَ الحيوانات العُجَم ، وهو اللسان ، فإنَّ صِدْقَهُ عَزِيزُ الوجود ، فكان أوّل زلزلته العُظْمَى مُصَاوِلَتِهِ لِلأَمِيرِ يَزْبُك ؛ مِن أَجْلِ إِرَادَةِ البروز في بناء البيت المقدّم ذِكره ^(١) ، بما يؤذي جاره عبد الرَّحِيم بن البارزي ، صهر يَزْبُك ، كما تقدّم ، ثم ازداد وَهْنُهُ بزوال المؤيّد ، ثم قُطِعَ ظَهْرُهُ بِعَزَلِ زَوْجِ أُمِّهِ [٢٨٩] ، ثم قَدِمَ دُوَيْدَارُهُ يُونُسُ مِن جبل نابُلُسُ بخبر ذِهابِ إِسْمَاعِيلِ هَارِباً مِن نائب الشام ، وله في جهته نحو ستة آلاف دِينَار ، وكان يرجو وصولها إليه لِيُوَفِّيَ بها ما عَلَيْهِ مما استدانته ؛

(١) راجع « ص ٢٥٢ » .

لأجل التَّقْدَةِ التي وُضِعَتْ عليه للوزير ، وهي كل يوم سبعون دِينَارًا ؛ فخارت قُوَّاهُ ، وَضَعُفَ قَلْبُهُ ، فاستقال مِنْ نظر الجيش ، وبَالَغَ في ذلك ، فَعَرِضَتِ الوظيفةُ على الزَّيْنِ أَبِي بكر بن عبد الباسِط لِيَلْبِيها ، وَيُعْطِي السُّلْطَانَ ثَلَاثَةَ آلافِ دِينَارٍ فَأَبَى ، ووعد أَنَّهُ يَبْذُلُ للسُّلْطَانَ على إِعْفائه مِنْ ذلك أَلْفَ دِينَارٍ ، فَأَلَحَّ عليه ، فَكَأَنَّهُ أَلَانَ الكلامَ ، ثُمَّ أَصْرَرَ على الامتناع ، فقال السُّلْطَانُ : كيف يليق هذا التَّلَوُّنُ ، تَارَةً يَرْضَى ، وتَارَةً يَأْبَى ، إِمَّا أَنْ يَلِي وَيَبْذُلَ الثَّلَاثَةَ الأَلْفَ مَجَّانًا ، وإِمَّا أَنْ يمتنع فَيَبْذُلُها قَرْصًا . فقال بعضُ مَنْ حَضَرَ مِنَ الأُمراءِ يُخَفِّفُ عَلَى ابن عبد الباسِط : مَوْلانا السُّلْطَانُ ، لا يَهْتَمُّ بذلك ، فَإِنَّ سَيِّدِي يَحْيَى بن حُجِّي يَلِي ، وَيُعْطِي ثَلَاثَةَ آلافٍ كما أَراد السُّلْطَانُ . فقال : اخْضِرُّوه ، فطلع يوم الاثنين ثَلَاثُ ذِي القعدة هذا ، فَأُلِّسَ خِلْعَةً لذلك ، وجمع له الشَّرَفُ المناوي جميعَ النواب ، لينزلوا معه ، كما فعل العَلَمُ مع رَبِيِّهِ الزَّيْنِ المَزْهَرِيِّ ، وركب معه أيضاً الأَمير يَزِيدُك ومن لاقَه والمباشرون وقضاة القُضاة وغيرهم مِنَ الأَعْيَانِ (١) .

ثم بلغني أَنَّهُ دار في عَصْرِ هذا اليوم على الأُمراءِ والمباشرين الذين رَكِبُوا معه ، لِيَسْلَمَ عليهم ، ويشكر لهم جَبَرَتَهُمْ لَهُ ، فلما دخل إلى الدويدار الكبير جَانِبَكَ ناظر جُدَّةً ، إِذَا عِنْدَهُ كاتِبُ السَّرِّ ، وابنُ مُزْهَرٍ ، فذهب مِنَ الجَانِبِ الذي فيه ابنُ مُزْهَرٍ ، ودخل بينه وبين الدَّوَيْدَارِ بَغَايَةَ الجُرْأَةِ ، بحيث أَنَّهُ كاد أَنْ يَجْلِسَ عَلَى ابنِ مُزْهَرٍ ، وهو أَقْوَى مِنْ ابنِ مُزْهَرٍ ، فإنه طويل شَن (٢) الأَعْضاء ، وله قُوَّةٌ عَظِيمَةٌ ، وهو فاقد قُوَّةِ الجِمَاعِ ، فكان ما فَقَدَهُ مِنْ هذه القُوَّةِ كان سَبباً في مضاعَفَةِ قُوَّتِهِ .

(١) راجع الخبر في « النجوم الزاهرة » (١٦ / ٢٦١) ، و« بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر)

(١٠٣) ، وقد ورد فيها موجزاً .

(٢) شَن الأَعْضاء : غليظ خشن « المعجم الوسيط » (١ / ٤٧٢) .

وكان ابنُ مُزَهرٍ مربوعاً إلى القِصرِ وإلى الضَّالَّةِ ، وكانت
بَيْنَهُمَا مُبَاغَضَةٌ عظيمة ، على أَنَّ ابنَ مُزَهرٍ زَوْجُ أخت النِّجمِ يحيى ، فلما
جلس على هذه الكَيْفِيَّةِ زادت نكايَةُ ابنِ مُزَهرٍ ، ولم يتزخج له ، فقال
كَاتِبُ السِّرِّ : أحذكما يأتِي إلى جانبي ولا تَزِدْهُمَا . فقام ابنُ مُزَهرٍ فجلس
إلى جانبِهِ ، ثم ذكر الدُّوَيْدَارَ كلاماً فيه نَقَّده الوزير ، فقال ابنُ مُزَهرٍ :
لولا نَقَّده الوزير ما وصل النَّاسُ إلى ما وَصلُوا إليه ، فَذَلَّ ذلك على عِظَمِ
نكايته مما وقع .

وثبت ابنُ حَجِّي ، فلم يُظْهِرْ لذلك انزعاجاً ، ولا أَجَابَ عنه جواباً ،
وكان ثابتاً فاضِلاً في فنونِ مِنَ العلم ، دار على المشائخ وَحَصَّلَ مع ماله
مِنَ الْأَصَالَةِ مِنَ الطَّرَفَيْنِ .

وقد كان بَعْضُ مَنْ نَصَحَ ابنَ مُزَهرٍ في دنياه أشار عليه بالتَّجَلُّدِ ، وأنَّ
لا يستعفي ، وحَذَّرَهُ عواقِبَ ذلك ، فلم يتدبَّرْ ذلك ، ولا ذاق طَعْمَهُ إِلَّا
في هذا المجلس ، ثم ذَهَبَ كَاتِبُ السِّرِّ وتركهما على تلك الحال .

فلما رأى الدُّوَيْدَارُ أَنَّ ابنَ حَجِّي لا يتكلَّمُ بحضرة ابنِ مُزَهرٍ قال له :
قم إلى تلك الطاق فاجلس هناك حتَّى نتحدَّثَ ففعل .

وفي يوم الاثنين هذا ، سافر خيربك نائب غَزَّةَ إلى محلِّ ولايته ، وسافر
معه ناسٌ كثيرٌ ، كانوا محبوسين عن السَّفَرِ بالقاهرة ، يخشون من قطع
الطريق .

وفي هذا ^(١) الحد ، سافر المعَيَّنُونَ إلى عَرَبِ البحيرة مع أمير آخور

(١) في « حوادث الدهور » (٤٠٨) في يوم الأحد ثاني ذي القعدة ، راجع أيضاً « بدائع الزهور »
(صفحات لم تنشر) (١٠٣) .

بَرْسَبَايِ الْبَجَاسِي ، ورأس نَوِيَّةِ التُّوبِ بِيْبَرْسِ خال العزيز .

[٢٩٠] وأقام السلطانُ في باب السلسلة في مقام أمير آخور حاجب الحجاب يَلْبَايِ ، فغضب أمير آخور الثاني وهو بُرْدَبَكُ الْهَجِينِ ؛ لأن العادة أن يكون الثاني نائباً عن الكبير ، وَغَضِبَ له طَائِفَتُهُ ظَاهِرِيَّةُ جَقْمَقْ ، فعتب على السلطان ، فقال السلطان : هذا أمرٌ يرجع إلى نظر السلطان من رآه أهلاً لذلك أقامه . فقال بُرْدَبَكُ : فهل عِلْمُ السلطان مِنِّي ضَعْفًا أو خِيَانَةً ؟ فقال : لا ، ولكنِّي اخترتُ ذلك ، فَسَكَتَ .

وفي هذا الحدّ ^(١) ، تُكَلِّمُ في تعيين أربعائة مِنْ أَشْرَفِيَّةِ إِيْنَالِ إِلَى قُبْرُسَ ؛ لِيَحْفَظُوهَا وَيُعِينُوا مَنْ بِهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فعلم أَشْرَفِيَّةُ بَرْسَبَايِ أَنَّ مُرَادَ الظَّاهِرِيَّةِ الْإِسْتِرَاحَةَ مِنْ أَشْرَفِيَّةِ إِيْنَالِ ؛ لِأَنَّهُمْ أَعَدَّ النَّاسَ لَهُمْ ، خَوْفًا مِنْ أَنْ يَكُونُوا مَعَ مَنْ يَنَاوِزُونَهُ ، فَعَلِمَ أَنَّ مَرَادَهُمْ شَرًّا ، فَازْدَادَاتِ الْقُلُوبُ تَنَافُرًا ، وَاللَّهُ تَعَالَى الْمَسْئُولُ فِي أَنْ يَدَبِّرَنَا بِأَحْسَنِ تَدْبِيرٍ .

وفي يوم الأربعاء ، خَامِسُ ذِي الْقَعْدَةِ هَذَا ، وَهُوَ الْمُوَافِقُ لِتَاسِعِ عَشْرِ مَسْرِيٍّ مِنْ أَشْهُرِ الْقَبْطِ أَعْلِمَ السُّلْطَانُ أَنَّ الْبَحْرَ أَوْفَى زِيَادَةً سِتْ عَشْرَةَ ذِرَاعًا ، وَزَادَ أَرْبَعَةَ أَصَابِعٍ مِنَ الذِّرَاعِ السَّابِعَةِ عَشْرَةَ ، فَرَسَمَ لِلْأَمِيرِ الْكَبِيرِ شَرِبَاشْ كَرْدَ بَأَنْ يَنْزِلَ فَيَفْتَحَ السَّدَّ ، لِيَجْرِيَ الْمَاءُ فِي خُلْجَانِ الْبَلَدِ ، ثُمَّ يَسْقِي أَرَاضِي الشَّرْقِيَّةِ فِي مَوَاقِيْتِهِ الْمَعْرُوفَةِ ، ففعل ذلك ، وَازْدَحَمَ النَّاسُ عِنْدَ السَّدِّ ؛ حَتَّى قُتِلَ مِنْهُمْ اثْنَانِ ^(٢) .

وفي هذا الحدّ ، غَلَقَ الْأَمِيرُ بُرْدَبَكُ مَا ضُرِبَ عَلَيْهِ ، وَهُوَ مِائَةُ أَلْفِ دِينَارٍ ، فَرَأَى أَنَّهُ يَسْتَمِرُّ فِي بَيْتِ الْأَمِيرِ قَانَمَ ؛ يَحْتَمِي بِهِ مِنْ أَنْ يَفْتَحُوا عَلَيْهِ

(١) في « النجوم الزاهرة » (١٦ / ٢٦١) في ١٥ ذِي الْقَعْدَةِ عَيْنَ السُّلْطَانِ تَجْرِيدَةً إِلَى قُبْرُسِ نَجْدَةً لِمَنْ بِهَا مِنَ الْعَسَاكِرِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، ثُمَّ بَطَلَ ذَلِكَ بَعْدَ أَيَّامٍ .

(٢) رَاجِعِ الْخَبَرَ فِي « حَوَادِثِ الدَّهْوَرِ » (٤٠٨) ، « بَدَائِعِ الزَّهْوَرِ » (صَفَحَاتُ لَمْ تَنْشُرْ) (١٠٣)

باباً آخر من الظلم ، فاستمرّ فيه إلى عَند الأضحى ، فعيد في بيته الذي بقصر الحجازيّة ، واستمر به مدّة ، فأرسل إليه الأمير يزبك ، أن يُرسل مملوكاً كان أهدها إليه ، وهو في القدس ، بمقتضى أنّه كان اعتقه قبل أن يهديه إليه ، وأرسل إليه ورقة العتق ليقف عليها فأحضر شهوداً وأشهدهم عليه ، أنّه لا دافع له ولا مطعن في إعتاق الأمير يزبك له ورده إليه .

وفي يوم السبت ، ثامن الشهر غلّقت النّفقة من جهة السلطان على الجند وخُلِع على من جرت العادة بالخلع عليه ، من كاتب الممالك وغيره من الدواوين ، والكتبة ، وأخبرني القاضي كاتب السرّ ، المحب بن الشّحنة أنّ منها من الملك المؤيد نحو مائة وسبعين ألف دينار ، ومن أمّه نحو ستين ألف ، ومن صهرهم الأمير بُردبك مائة ألف سواء ^(١) .

وفي هذا الحد ، بلغ الخبر أنّ الأمير جانبك حاجب الحجاب بدمشق لما سمع بإقبال جانم نائب الشام خرج من دمشق فلم يُعلم أين وجهه ، ثم تحرّر أنّه صار إلى مدينة طرابلس ، ثم انتقل إلى حماة ؛ لأنّ نائبها له حرم ، وأشهم ، وجانبه أُمِنع .

وفيه أُخرجت بلد المدرسة الشّريفيّة المجاورة للجامع عمرو ، وهي من وقف الملك صلاح الدين يوسف ^(٢) بن أيوب ، رحمه الله ، فأعطيت

(١) راجع : « حوادث الدهور » (٤٠٨ - ٤٠٩) و« بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٠٣)

(٢) هو : أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شاذي ، الملقب الملك الناصر صلاح الدين ، صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية والفراتية واليمينية ، ولد في سنة ٥٣٢ هـ ، واتفق أهل التاريخ على أن أباه وأهله من (دوين) بلدة في آخر عمل أذربيجان من جهة أرزن وبلاد الكرج ، وأنهم أكراد زوّادية ، كان من خيار الملوك وأشجعهم ، فتح الفتوحات ودحر الصليبيين ، وعلى يده سقطت الدولة الفاطمية في مصر سنة (٥٦٧ هـ) مات ليلة الأربعاء ٢٧ صفر سنة ٥٨٩ هـ وله من العمر ٥٧ سنة تقريباً =

لشخصٍ من الجند ، فقيل للسلطان : إنَّ واقف هذه كان من خيار المسلمين .. فقال: لم أعرف أنها وَقُفْتُ ، ثم قال : وبلغني أنها خَرَابٌ ، فَعَلِمَ مِنْ كَلَامِهِ المتناقض فسادَ طَوَيْتِهِ ، وكان نظرها إلى العَلَمِ صالح البُلْقَيْنِي ، فاجتمع بالأكابر ، ثم أرسل من بها من الفقهاء ، فوقفوا للسلطان يوم السَّبْتِ هذا ، فسألهم عن حالها ، فأخبروه أنها عامرة ، فكذَّبهم في ذلك ، وقال : الفقهاء يأكلون الحرام ، مَعَ أَنَّهُ كَانَ قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهَا مِنْ نَظَرِهَا ، وأخبروه أنها عامرة ، ثم كَلَّمَهُ مَنْ فِي مجلسه في ذلك فَرَسَمَ بَرْدَهَا على ما كانت عليه ، وَعَلِمَ بذلك ، أَنَّهُ لو تَمَكَّنَ لم يسترح به أَحَدٌ ، فאלله المسؤول في حسن العاقبة .

وكان قد بلغ السلطان أَنَّ نائِبَ القُدُس ، حسن بن أيوب التركماني حَصَرَ على نائب الشَّام ، وأهدى إليه وحالفه ، وأرسل نائبُ الشَّام يطلب أن يُضَافَ إِلَيْهِ نَظَرُ القُدُس والخليل ، فأعمل السلطانُ الحِيلَةَ في حضوره إلى القاهرة ليعاقبه ، ثم طلب مَنْ يُوَلِّيه مكانَهُ بالقُدُس ، فلم يجسر على ذلك أَحَدٌ خَوْفًا مِنْ نائِبِ الشَّام ، فاضطرَّ إلى تَبَقِيَّتِهِ ، وأرسل محمد النُّشَاطِي إلى تلك البلاد ، ليوطِّن^(١) إسماعيل بن عبد القادر شيخ جبل نابلس في بلاده ، وينفي صَعْباً الذي وُلَّاه نائِبُ الشَّام ، وذلك لصحبة أكيدة كانت بين محمد النُّشَاطِي ، وبين إسماعيل ، وأرسل معه إلى نائب القُدُس ما يُوطِّن^(٢) خَاطِرَهُ .

= من المتعذر حصر جميع المصادر التي تحدَّثت عنه ، وعن أخباره ، فهي تفوق الحصر ، ويكفي الإشارة إلى « الكامل في التاريخ » ، و « سيرة بن شداد » ، و « كتاب الروضتين » ، و « وفيات الأعيان » (١٣٩ / ٧ رقم ٨٤٦) ، و « سير أعلام النبلاء » (٢١ / ٢٧٨ رقم ١٥١) ، و « سمط النجوم العوالي » (٤ / ١ - ٨) .

(١) يُوطِّن : وَطَّنَ بالبلد ، اتخذهُ مَحَلًّا وسكناً يُقيم فيه .

« المعجم الوسيط » (١٠٤٢ / ٢) .

(٢) يُوطِّن : أَوْطَنَ نَفْسَهُ على كذا ، مَهَّدَ هَالَهُ وَرْضَاها به .

« المعجم الوسيط » (١٠٤٢ / ٢) .

وفي هذا الحد ، سافر العلاء بن قاضي عجلون ، قاضي الحنفية بدمشق ، وقد زادت غرامته ؛ بسبب القضاء ، وبسبب إقطاع كان معه أُخْرِجَ عنه فاستعاده ، وما ضاعفوا غرامته إلا لطمعهم فيه ، لجهله وقِلَّةِ دِينِهِ ، وأخذَ لكثرة ما بذل للنظر والتدريس بمدرستين كانتا بيد القاضي حُسَّام الدين محمد بن بُرَيْطع ، فلما سافر أخرجوا إقطاعه لاثنتين من طائفة الأشرَفِيَّة ممالك بَرَسْبَاي ، لأن الأمير تَنَم الذي يساعده منهم ، ثم أُعِيدَ إلى الحُسَّام وظيفته كما يأتي .

[٢٩١] وفي هذا الحد ، أرسل ناصر الدين بن الهمام القُدُسي ، ناظر مقام سيدي شعيب ، يسعى في نظر القُدُس والخليل ، فأجيب إلى ذلك ، وأمر بأن يُرسل الذهب لِتُجهَّزَ له الخِلعةُ ، ولم يُعْتَبَرُوا ما أخذوا من عبدالعزيز بن معلاق على قُرب العهد ، فعُلم بذلك مع قِلَّةِ الدِّين قلة الشَّفَقَةِ وَعَدَمِ المُسَكَّةِ وسوء التدبير ، بسرعة التقلُّب ، ثم أرسل في أواخر ذي القعدة هذا ، وقَطَعَ عليه خمسة آلاف دينار ، والمعجل منها ألفان .

وفي يوم الثلاثاء حادي عشر ذي القعدة هذا ، وَصَلَ مملوكُ نائب الشام يُخْبِرُ أنه وصل إلى دِمَشق سامِعاً مطيعاً ، ولَبَسَ خِلعةَ السلطان ، ونادى للناس بالأمان ولاقاه يوم دخوله نائبُ القلعة وغيره من الأمراء ، غير الحاجب ، فإنه غاب قبل وصوله .

وفي هذا الحد ، وصل رسولٌ من قُبُوص ، يُخْبِرُ أَنَّ المِلَكَّةَ جمعت الكَيْتِلان وأتت إلى الجزيرة ، فلقبها جاكُمو بِمَن عنده من المسلمين والنصارى ، فهزمها ، وقتل من جمعها قتلى مستكثرة ، وسأل في نجدة ، فشاع أَنَّ السلطان عَيَّن الأميرَ قَرْقَاش أمير سلاح من الأشرَفِيَّة ، فقال : سَمِعَا وطاعةً ، بشرط أن يكون معي جانبك الدُّوَيْدار الكبير من الظاهرية ثم أرسل السلطانُ إلى نائب طرابلس يجمع من قدر عليه من الجند والعشير، وأن يتوجَّه بهم بنفسه لِئُنجِدَهم .

وفي يوم السبت نصف ذي القعدة هذا ، أرسل ناظر الخاص الزين

عبد الرحمن الكُوَيْر يسأل الأمانَ ، لِيَحْضُرَ ، فأرسل له السلطانُ الأمانَ فَحَضَرَ ، فَوَكَّلَ به في البَحْرَةِ التي في القَلْعَةِ لِيَحَاسِبَ على ما كان تحت يده مِن مال السلطان ، واستمروا يعالجهونه يوم الأحد سادس عشر ذي القعدة ، وهو آخر السَّنَةِ القبطية ، ويوم الاثنين سابع عشره ، وأوَّلُ أَيَّامِ النسَاءِ وآخرها الجمعة ثم نُقِلَ إلى بيت الأمير قائم التَّاجِر أمير مجلس ، واستمرَّ مدَّةَ بيع تَعَلُّقاتِهِ ويورد مالاً ، ثم أَفْرَجَ عنه في نصف محَرَّم^(١) سنة ست وستين^(٢) ، وسكن في بيت ابن نصر الله بقرب جامع المغربي^(٣) .

وفي هذا الحد ، شاع أَنَّهُ وُجِدَ في أوراق الجمال يوسف بن كاتب شكْم ورقة . على العَلَمِ صالح البُلْقِينِي بخمسة آلاف دينار ، فطَلِبَ بها ، وجمع القاضي الشافعي الشرف المناوي مِنَ الأوقاف التي باعها العَلَمُ نحو ثلاثين وَقْفاً وأخرج مرسوماً مربَّعاً مِنَ السلطان أَنها على ما كانت عليه مِنَ الوقْفِيَّةِ بجهاَتِها ، وأنَّ مَنْ كان وَضَعَ يَدَهُ عليها يرجع بها أعطاه على من دفعه إليه ، فضوَعِفَ على العَلَمِ البلاءُ ، فما أحسن طاعة الله وأعزَّها .

وفي يوم الأربعاء ، تاسع عشر ذي القعدة هذا ، وردَ الحَبْرُ بموت^(٤) ولي الدين أحمد بن تقى الدين محمد بن بدر الدين محمد بن السراج عمر البلقيني الشافعي ، الذي عُرِّلَ عن قضاء الشافعيَّةِ بدمشق بالقطب

(١) في «حوادث الدهور» (٤٠٩) في يوم الأحد أول ذي الحجة .

(٢) وثمانمائة .

(٣) جامع المغربي : يقع ببولاق القاهرة في شارع درب الكرشة بقرب الجوابر ، وهو مقام الشعائر تام المنافع ، يفصل بينه وبين مطهرته الطريق .

«الخطط التوفيقية» (١٢٢/٥) .

(١) راجع «هامش ٤» من (ص ١٨٥) من القسم الأول .

محمد الخيْضري البلقاوي الشافعي ، فكأنه مات في العشر الأول من الشهر ، ثم تبيّن أنه مات عاشر الشهر . وكان قد أراد السفر لما بلغه العزل ، فأدركته منيته قبل ذلك .

وكان من أبناء الخمسين أو .. يزيد عليها قليلاً ، وكان فاضلاً في الفقه والأصول والنحو ، وكان ذهنه جيّداً ، له بعض سريان في الدقائق ، بخلاف أهل بيته ، فإن الغالب عليهم الخمود ، وكان أيضاً يخالفهم في أنه خفيف الروح ، حلّو الكلام ، مع الكرم وحسن الكتابة والصوت ، لذيد النغمة مطربها ، غير أنه يغلب عليه جنون أهل بيته ، فلا يكاد يثبت على حالة ، وكان ممن حاول العلو في الأرض بكل طريق ممكن إلا طريق الصّدق ، فلم ينل من [٢٩٢] ذلك ما يُريد ، عاجله بعد موت أبيه بطريقة من المجون والتّمسخر والدّخول في الأكابر بنحو هذه الطُّرق ، فراج عند ناظر الجيش عبد الباسط ، وبعده الجمال ناظر الخاص يوسف ، والكمال محمد البارزي كاتب السرّ ، وقارع بجاههم الأكابر ، شيخنا قاضي القضاة ابن حَجَر وغيره ، فبلغ من أذاهم ؛ لانه كان خبيراً بطرق الأذى .

ثم لم يعجبه التّقدّم بمثل ذلك ؛ لأنّه كان مُزْدَرى عند غيرهم وعندهم إذا حُقّق الأمر ، فانقطع عنهم وتصوّف ، وسلك على يد الشيخ مدين لما رأى الكلّ مُقبِلين عليه ، مُعظّمين له .

ثم لم يبلغ به ذلك إلى جميع ما يريد ، فانسلّ منه ورجع إلى قريب من حاله الأول ، ثم بنى مدرسة بجوار بيته من حارة ^(١) بهاء الدين ^(٢) ،

(١) جاء في « خطط المقرئ » (٢/٢) الحارة كل علة دنت منازلها ، والمحلة منزل القوم ، وبالقاهرة وظواهرها عدة حارات .

(٢) حارة بهاء الدين : كانت قديماً خارج باب الفتوح الذي وضعه القائد جوهر عندما بني القاهرة ثم أصبحت داخل باب الفتوح الذي وضعه أمير الجيوش بدر الجمالي ، وكانت تعرف بحارة =

وفتح بابها إلى ظهر رُفَاقِهِمْ ، وحصل بَيْنَهُ وبينهم مقاطعة ، ونَاوَأَهُ صلاحُ الدين أمير حاج بن بَرَكَوْتُ المَكِينِي ابن زوجة العَلَمِ صالح بن السراج البُلُقِينِي ، عم أبيه ، فراج عليه بانضمامه إلى العَلَمِ ، وانقطاع هذا عنه ، فحاولَ هذا الرُّفْعَةَ بالانقطاع في مدرسته والإقبال على عمل الميعاد ، وإظهار الزُّهد والصلاح ، فطال عليه الأَمَدُ ، فرأى أَن يجمع الطَّلَبَةَ عليه وَيُسْغِلَهُم بِالْعِلْمِ ، فعمل بذلك مَدَّةً ، وبذل لجماعةٍ منهم دُنْيَاهُ ، وكان ينظر لنفسه فاضِلًا منهم فَيَسْتَجْلِبُهُ بالدُّنْيَا ويدعه يقرأ عليه ، وإذا حُقِّقَ الأمرُ كان هو القارِئُ .

فلَمَّا طال عليه الأمرُ ، وسبَقَهُ الصَّلاحُ أمير حاج ، بأن وُلِّيَ الحسبة بالقاهرة وتَمَوَّلَ بحيث يسعى في المناصب الكِبَارِ ، سَعَى في قضاء دِمَشقَ ، فصَادَفَ الزَّيْنَ أبا بكر بن مُزْهَرٍ غضبان على قاضيها الجمال الباعوني ، وكان المذكور في غاية الرِّوَاغِ بِأَمِّهِ وزوجها العَلَمِ صالح قاضي الشَّافِعِيَّةِ وغير ذلك ، فسعى له في ذلك كما تقدَّم فبادر إليه ، وقَدَّرَ في نفسه أن يجعله مَقْدَمَةً لقضاء مِصْرَ .

فلَمَّا قَدِمَ دِمَشقَ أظهر العِفَّةَ والتَّوَّاضَعَ والسَّيْرَةَ الحَسَنَةَ ، وكان يُلَازِمُ الميعاد ثم طال عليه الأمرُ ، فمَدَّ يَدَهُ ، وعاد إلى طَبْعِهِ ، وطَبَعَ غالبَ آلِ بيته ، حتى لم يكن أَحَدٌ يَأْمَنُهُ على تَعَلُّقِهِ وما بيده مِن وظائف ، وغير ذلك ، وحَفِظَ عنه في الرُّشَى أَشْيَاءٌ كثيرة .

= الرِّيحِيَانِيَّةُ والوزيرية ، وهما طائفتان من طوائف عسكر الخلفاء الفاطميين ، كانت بها مساكنهم ، وقيل لها أيضاً بين الحارثين ، وبقيت بها هاتان الطائفتان حتى تولى صلاح الدين ، وسميت بحارة بهاء الدين ، لأنه لما تولى صلاح الدين سكن بها بهاء الدين قراقوش ، فسميت به .

« خطط المقرئ » (٢ / ٢) ، و« الخطط التوفيقية » (٣ / ٢١) .

ثم أرسل يستعفي من قضاء دمشق لما سمع أنَّ عم أبيه قاضي الشافعية بمصر مريضاً ، فتهاذى به الحال إلى أن عُزل عن قضاء دمشق ، ثم مات كما شُرح ، الحقَّ الله به أقاربه ، فإني لا أعلم منهم أحداً فيه نفع للإسلام ، والله الموفق .

ثم صُلِّي عليه في يوم الجمعة حادي عشري ذي القعدة هذا في جامع الأزهر والحاكم .

وفي هذا اليوم ، يوم الجمعة هذا ، سافرت خَوْنَدَ زَيْنْبُ بنت خصبك في البحر إلى إسكندرية ؛ إلى ولديها المؤيد أحمد ، وأخيه محمد ، بعد أن صودرت غير مرة وأُهينت إهانة قلَّ أن سُمع بمثلها ألباتها إلى أن دارت على الأمراء وتشققت بهم ، وقلَّ راحها ، لأنها كانت كثيرة الفضول في الدخول في أمور الناس الجليلة والقليلة ، وغالب الفساد كان منسوباً إليها .

ثم شاع أنَّ الولي بن تقي الدين لم يمِت ، وأنه طيب ، وكان خبرُ الموت مستنداً إلى كتابٍ عن القطب الخيْضري إلى الأمير يَزْبُك ، ومنه أنه مات وصار تحت أطباق الثرى ، فكان هذا التناقض من العجائب .

ثم تبين كَذِب هذه الإشاعة ، وأنه مات ضحى يوم الاثنين عاشر ذي القعدة ، وهو يوم لبس الخيْضري خِلعة القضاء ، وكان الخبر قد بلغه من يوم الجمعة سابعه قبل وصول الخبر إلى المتولي ؛ وذلك أنَّ جماعة الولي بالقاهرة استأجروا يوم ولاية الخيْضري بالقاهرة من يُسرِع السير ليصل قبل بشير الخيْضري ، ليخرج من دمشق مُظْهِراً أنه أذن له في القدوم إلى القاهرة ففعل ، فإذا هو لما به من المرض فزَّاده مرضاً ، فمات في اليوم المذكور .

أول السَّنة القبطية [٢٩٣] وفي يوم السبت ثاني عشري ذي القعدة هذا ، كان أول توت
أول السَّنة القبطية .

وفي يوم الأحد ثالث عشري ذي القعدة هذا ، كان ثاني شهر توت أول
شهور سَنة القِبْط ، ووافق أن نودي أن زيادة البحر إصْبَع ، وَفَت إحدى
وعشرين إصْبَعاً ، مِن ثمانى عشرة ذراعاً .

وفي هذا اليوم اشتدَّ البلاء على العَلَم صالح وذويه مِن جهة الأوقاف
التي باعوها ، وأوردوا مِن أثْمَانِهَا لِمَنْ بيعت له جملة ؛ لأنها رجعت إلى ما
كانت عليه مِن الوقْف ، ورفعت أيديهم عنها .

وفي هذا الحد ، قدم الخَبْرُ أَنَّ خِضْرًا الكردي الذي أقامه نائبُ الشَّام
كاشفًا في الرِّمْلَةِ ونابُلُس جمع جمعًا كبيرًا مِن تلك البلاد مع ابن الجيُوسي
وغيره مِمَّن يبغيض إسماعيل بن عبد القادر ، ثم ساروا إليه ، وقد كان
بلغهم أَنَّهُ كان في كفر يهودا ، لَمَّا قصدوه مع يحيى بن نائب الشَّام ، وأنهم
خدعوه عنده ، فلمَّا تحركوا له ، صادف أَنَّهُ كان قد وصل إلى إسماعيل ما
جُهِزَ له مِن الخِلْعَةِ والمرسوم مِن السلطان ، أَنَّهُ على عادته ، فَقَوِيَ بذلك ،
فجمع من قَدِر عليه ولقيهم وهم في خمسة آلاف ، وهو في دون ألفين ،
فكان الظَّفَرُ له ، فَقَتَلَ منهم جَمْعًا ، نحو مائة مِن خيارهم ، منهم : خضر
الكردي ، وابن الجيُوسي ، وكُتِبَ إلى السلطان بذلك .

وقال : إن رَسَم السلطانُ لي كفيته كلَّ من يتَحَرَّك إليه بسوءٍ مِن بلاد
الشَّام أنا وَمَن لاقيني ، من مَقْلَد وابن أبي غازي ، وطَرَباي ، وَمَن انضمَّ
إلينا فأعجب السلطان ذلك ، وكذا من يكره نائب الشَّام ، من الظَّاهِرِيَّة
وأشباههم ، وَعَظُمَت مَشَقَّتُهُ على الأشرافيَّة ، وأخذ السلطانُ وَمَن شايعه
يَنْصِبُونَ لنائب الشَّام مِن حبائل المَكْر ما يشرع هلاكه ، وبلغهم أَنَّهُ أذى
بعض الأمراء الذين بدمشق ، وأنَّ تِمْرَاز وصل معه إلى دِمَشق ولم يطلع إلى
محل ولايته مدينة صَفَد ؛ فَكُتِبَ له مرسومٌ بإِكْرَام مَن عنده مِن الأمراء ،

والتعجب من التعرض لهم ، وأمره باحتمال حاجب الحجاب جانبك ، ولادة ابني أبو اللطف وأن الذي ينبغي له العفو عنه ولو وقع منه ما وقع ؛ للعلم بأنه مناصح للسلطان ، وأنه أحد أعيان من يثق به ، وأن تمارز إن لم يُبادر إلى محل ولايته ولّى السلطان غيره .

وفي يوم الأربعاء سادس عشري ذي القعدة هذا ، عقب صلاة العصر منه ، الموافق لخامس توت وثاني أيلول من أشهر السريان ، ولد ابني أبو اللطف أحمد الثاني من فتاتي حسبي الله الزنجية المسلاتية بنت سلطانهم خلصه (بفتح المعجمة وكسر اللام ، ثم صاد مهملة) وكان حملها بهذا أربعة عشر شهراً وقد تقدم أنها حملت بأخيه تسع سنين وزيادة .

وكان ميعادي في الجمعة الماضية في قوله تعالى في سورة يوسف : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٌ ﴾ ^(١) إلى قوله : ﴿ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ ^(٢) . وفي الجمعة التي تليه من قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ اسْتَوْي بِهِ ﴾ ^(٣) إلى قوله : ﴿ وَلَا جُرْ الْآخِرَةَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ ^(٤) . أسأل الله أن يجعل طلعتة مقرونة بالسعادة واليمن والبركة في الدنيا والآخرة .

وكانت ولادته من أسهل ما سمعت به ، لعلها كانت في دون عشر درج وكان اشتدادها دون درجتين ، فأذنت في أذنه اليمنى ، وأقمت في اليسرى ، وحنكته بتمر حجازية لكتها ، وأضفت إليها ماء زمزم

(١) يوسف / ٤٣

(٢) يوسف / ٤٩

(٣) يوسف / ٥٠

(٤) يوسف / ٥٧

رجاء البركة والخير ممن لا يجيب راجيه ، وهو عند ظن عبده به ، وهو المسؤول في إبلاغ المأمول .

ثم عملت عقيقتة يوم الأربعاء ، رابع ذي الحجة من السنة ، وقرئت على جميع أهل جارتنا ، فقراء وأغنياء مرة ، ثم أعدنا التفرقة ثانياً مع خير وفضل ، بعد أكل من أتى من غير دعوة بكرة وعشياً ما وسع أهل سجن الرحبة خبزاً وطبخاً ، وحلقت رأسه في هذا اليوم ، وفعلت فيه السنة وختته بكرة يوم الخميس ، خامس ذي الحجة المذكور ، نشأ الله نشأة حسنة ، وأحياه حياة طيبة آمين^(١) .

[٢٩٤] وفي هذا الحد ، وصل الخبر أن السلطان محمد بن عثمان ، قارب هذه البلاد ؛ وذلك أنه لما تغلغل في بلاد الكفر وأبادهم ، وفرق جموعهم ، وقتل ملوكهم ، واستباح ممالكهم ، سألوه في صلح ولم يزالوا به حتى فعل ، وهادن بني الأصف^(٢) والأفلاق^(٣) على مدّة معلومة ، ثم رجع إلى بلاد الإسلام بعد أن استتاب في حدّ أرضهم من أصحابه من يثق به ، وضم إليه من الجند من يكفيه على تقدير الصلح ، فلم يشعروا إلا والأفلاق قد ذهّبهم ، فحصل بينهم قتال كبير ، ثم نصر الله أهل

(١) في هامش الأصل الأيسر ، وضع المؤلف حاشية عن ابنه أبو اللطف نصها : « لم يمش حتى جاوز الستين وكذا ابتداءه بالكلام ، لكنه كان يفهم ما يقال له ، ولا يقدر على الكلام ، وكانت له قوة عظيمة ، ولا يجسر على المشي ، ومشى قليلاً بعد فطامه ، بعد الستين ، واستمر كذلك حتى جاوز ثلاثة أشهر وهو يمشي وحده خطوات يسيرة ولا يجسر على الإطالة ، لكنه كان كثير الأمراض لاسيّما بقروح نبتت في وجهه وبعض بدنه » .

(٢) بنو الأصف : جاء في « صبح الأعشى » (٥ / ٣٨٢ ، ٦ / ٨٧) أنه من الألقاب التي تصلح للملوك الروم والفرنج بالمالك العظام ، والمراد ببني الأصف الروم ، فإنهم من ولد صوف بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام ، والمؤرخون يعبرون عن صوف بالأصف .

(٣) الأفلاق : ويقال : (الفلاخ) إمارة ب سهل الدانوب الأدنى من أهم مدنها بوخارست ، تشتهر بالزراعة وبها آبار بترول غنية ، وكانت تؤلف جزءاً من فالشيا الرومانية ، وخضعت لغزاة كثيرين ، وأصبحت منذ سنة ١٣٩٦ م تابعة للدولة العثمانية ، استقلت سنة ١٨٥٦ م واتحدت مع مولدافيا سنة ١٨٥٨ م ، وكونتا معاً الدولة الرومانية الحاضرة .

« الموسوعة العربية الميسرة » (١٨٢) ، « تاريخ الدولة العلية العثمانية » (١٣٠ - ١٣١ هامش ٤)

الإسلام نَصْرًا مُؤَزَّرًا ، وَقُتِلَ مِنَ الْكُفَّارِ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَقُبِضَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ عِظَمَائِهِمْ ، فَسُئِلُوا مَا حَمَلَكُمْ عَلَى الْغَدْرِ ؟ فَقَالُوا : هَذَا الْكِتَابُ ، فَإِذَا هُوَ مِنْ ابْنِ قَرْمَانَ يَحْتَمُّهُمْ عَلَى قِتَالِهِمْ وَالْمُشْيِ عَلَى الْبِلَادِ الْعِثْمَانِيَّةِ مِنْ نَاحِيَّتِهِ ، لِيَمْشِيَ هُوَ عَلَيْهَا مِنْ نَاحِيَّتِهِ ، فَيَأْخُذُوهُمْ وَسْطًا .

فَأُبْلَغَ ابْنُ عَثْمَانَ هَذَا الْخَبْرُ فَاسْتَشَاطَ غَضَبًا ، وَحَلَفَ لِيَمْشِيَنَّ عَلَى ابْنِ قَرْمَانَ حَتَّى يَسْتَأْصِلَهُ أَوْ يَهْلِكَ دُونَهُ ، ثُمَّ جَاءَ لِهَذَا السَّبَبِ ، وَقِيلَ : إِنَّهُ لَا يَتِمَكَّنُ مِنْ بِلَادِهِ إِلَّا مِنْ نَاحِيَةِ مَلْطِيَّةَ ، لَوُغُورَةِ الْجِبَالِ الَّذِي فِي بِلَادِ الْقَرْمَانِيَّةِ مِنْ نَاحِيَةِ بِلَادِهِ .

ثُمَّ قِيلَ : إِنَّ السَّبَبَ إِنَّمَا هُوَ أَنَّ حَسَنَ بَكْ بْنِ قِرَالُوكَ آذَى فِي بِلَادِهِ ، فَقَصَدَ مُحَارَبَتَهُ ، وَحَطَّ عَلَى أَمَدٍ يَحَاصِرُهَا ، فَفَرَّ مِنْهُ حَسَنُ بَكْ ، وَشَاعَ أَنَّهُ أَخَذَ مَلْطِيَّةَ ، لِأَنَّهَا كَانَتْ مَعَ بَعْضِ أَسْلَافِهِ .

فَاضْطَرَبَ مَلِكُ مِصْرَ لِهَذَا الْخَبَرِ ، وَاسْتَشَارَ أَمْرَاءَهُ ، فَمِنْ قَائِلٍ : نَرْسِلْ إِلَيْهِ هَدِيَّةً ، وَكِتَابًا يُسْتَغْفَرُ بِهِ ، وَمِنْ قَائِلٍ : هَذَا ذُلٌّ . ثُمَّ حَطَّ أَمْرُهُمْ عَلَى إِرْسَالِ بِلَاطِ دُونْدَارِ نَائِبِ حَلَبِ بِهَدِيَّةٍ لِأَنَّ ذِلَّهُمْ عَنْهُ ظَاهِرٌ وَلَا سِيَّامًا الْآنَ ، فَإِنَّهُمْ يَرُدُّونَ يَدَ لَا مِسَ ؛ لِاخْتِلَافِهِمْ وَقِلَّتِهِمْ ، وَتَعَوُّدِهِمُ الرِّفَافِيَّةَ .

وَأَمَّا ابْنُ عَثْمَانَ ، فَزَجَلُ مَا نَشَأَ إِلَّا فِي الْحَرْبِ ، وَلَا تَرَكَهُ سَنَةٌ ، بَلْ وَلَا نِصْفَ سَنَةٍ ، وَرَجَالُهُ كُلُّهُمْ مُقَتَّلُونَ ^(١) فِي ذَلِكَ ، فَحَرَبَهُمْ دَائِمًا الْحَرْبُ الْعَوَانَ ^(٢) ، وَلَهُمْ فِي اللَّقَاءِ حِيلٌ وَصَنَائِعٌ ، لَا تَنْحَصِرُ ، مِنْهَا أَنَّ الْمَشَاةَ

(١) مُقَتَّلُونَ : مَجْرَبُونَ .

« المعجم الوسيط » (٧١٥ / ٢) .

(٢) الحرب العوان : التي قُوتِلَ فِيهَا مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى .

« المعجم الوسيط » (٦٣٨ / ٢) .

الذين معه ، وهم عشرون ألفاً مع كل منهم خاروق (وهو عصى طويلة
ممدّة الرأس) فإذا لاقوا غَرَزَ كل منهم خاروقه أمامه ، فصاروا وراء سور
من خواريق ، ثم يَرْمُونَ مِنْ ورائه ، وهم رماة ^(١) الحَدَق ، فلا يقوم لهم
عسكرٌ ، ولا يُقَدِّم على ذلك السور فرسٌ ولا غيرُها .

وفي يوم الأربعاء المذكور ، وهو سادس عشري ذي القعدة هذا وصل
الخبر أن الجمال عبد الله بن جماعة شيخ الصلاحية بالقدس مات بالرّملة
بكرة يوم الجمعة حادي عشري ذي القعدة هذا ، ونُقِل إلى القدس ،
فَدُفِن بها ^(٢) ، وكان شيخاً كبيراً ، لعلّه جاوز الثمانين ، وكان معيداً
بالصلاحية لما كنتُ مقيماً بها وُلِّي مشيختها ، ولم يكن فيه أهلية للإعادة ،
فضلاً عن المشيخة ، وولي قضاء القدس ، وكان ينسب عند الأتراك
ونحوهم من المباشرين إلى دينٍ ، ولم يكن كذلك ، فإنّ ابنه أثَلَف
الصلاحية على زمنه ، ولو شاء لمنعه ، وزاد في بيتهم من المسجد الأقصى ،
ولو شاء لمنعه ، إلى غير ذلك من المصائب .

وسبب موته في الرّملة أنّه كان ذهب إلى دمشق ؛ لأجل ابنه لما أخذه
تَمَرَّاز ، وتوجّه مع نائب الشام إلى دمشق على ما كان ادّعى له من المال
قبْلَه ، فدارت جماعته في القدس ، فسألوا النَّاسَ القَرَضَ والمعونة ،
فجمعوا منهم نحو أربعمئة دينار معونة ، وبقية المال قرضاً ، ثم ذهبوا
فافتكّوه ، وعادوا ، فلمّا كانوا بالرّملة مات الأبُّ ، فأرسل البرهان ابنه
شخصاً للسّعي في مشيخة المدرسة الصّلاحية ونظرها .

(١) رماة الحَدَق : الحَدَق ، السواد المستدير وسط العين ، ويُقال : هو من رماة الحَدَق : حاذقٌ

ماهرٌ في النّضال .

(٢) راجع « هامش ٥ » من (ص ١٤٥) من القسم الأول .

فوصل في اليوم المُسمَّى ، ثم توصل إلى الأمير قانم ، فأعطاه القِصَّة ،
وفيها أنَّ الجمال كان نزل له عنها ، فأخذَ له قانم عليها يكتب من
السلطان .

والحال أنَّ البرهانَ هذا ، لا يُحسِن شيئاً من العلم ، ولاله إليه قابليَّة
بوجهه ، ولو أنَّه من أهل العلم ، ما شاع إعطاؤه إيَّاه ، لما هو عليه من
الفساد ، وقلة الدِّين ، والجُرأة المُفرطة ، فإنه أفسد الصَّلاحية في حياة
أبيه حتَّى لم يبق بها ساكنٌ بعدَ أن كان الاثنان والثلاثة من الطَّلبة
يشتركون في الخلوة الواحدة ، وأنا أدركتها بعد سنة ثلاثين وثمانائة وأكثر
خلاويها مسكون وبلغني أنها الآن مع ذلك مُغلقة مُسكَّرة من الخارج ،
ليس بها بواب .

ولقد بلغني من بعض ثقات أقاربه ، وهو أحدُ الوجهاء في القدس ،
وهو أبو الوفاء بن أبي الوفاء ، أن البرهان هذا يُسرُّ إذا قيل : إنه جبار .
وأنَّ شخصاً من ثقات الفقراء بالقدس أخبره أنه اضطرَّ إليه في أمر ،
فدفع إليه سبعَ دنانير ، وقال له : هذا أمرٌ بيني وبينك ، والله لا أذكره
لأحدٍ وأعني في كيت وكيت . فقال : سأفعل ، وأمَّا أنت فلا تُخفِ هذا
الأمر ، بل أظهره لكل أحدٍ ، ولكن لا تقل : أنه سبع دنانير ، لئلاَّ أُستهان
بأخذ القليل ، بل قلَّ إنه عشرون أو ثلاثون ، أو نحو ذلك . والأخبار من
مثل هذا كثيرة ، وتواتر بالثقات أنَّه أخذ قطعةً من المسجد الأقصى
فحوط عليها وأدخلها في بيت الخطابة الذي هم ساكنون به ، بحيث صار
من المسكن الذي تدخله الحائض والنفساء ، ومن في بيتهم ، ويمنع منه
غيرهم .

هذا مع أنَّ تزويره على السلطان الملك الظَّاهر جَمَقَ ، ومحاكاته لخطِّه
مذكور في تاريخ شيخنا الحافظ بن حَجَر سنة ست وأربعين ، أو
خمس^(١) ، وله من المخازي ما لا تسعه الدفاتر .

ثم إنَّ بَعْضَ أَهْلِ الْعِلْمِ استغاثَ مِنْ وَصُولِ هَذَا الْحِمَارِ الْجَرَىءِ الْجَبَّارِ
إِلَى هَذَا الْأَمْرِ ، فَأَبْلَغُوا الْأَمِيرَ قَانَمَ أَنَّهُ لَا يَصْلُحُ لشيءٍ مِنْ ذَلِكَ ،
وتواردت عليه الْأَخْبَارُ ، فَتَدِمَ .

ثم سعى قاصِدهُ بِخَالِيهِ ، ابن الشمس الدَّيْرِي سعد الدين قاضي
الْحَنَفِيَّةِ ، وبرهان الدين ناظر الجيش بها كان ، فأرسل السَّعْدَ وهو في
السابعة والتسعين مِنْ عَمْرِهِ ، ولم يبقَ مِنْهُ إِلَّا الرُّسُومُ^(٢) يخبر أَنَّهُ أَهْلُ
مكابرةٍ لِلْمَحْسُوسِ ، وهو والله لَا يَعْرِفُ شيئاً مِنَ الْعِلْمِ ، وكان إذا لامه
مَنْ يَعْرِفُ الْمَذْكُورَ ، يقولُ مُعْتَذِراً : وَأَيْنَ [٢٩٥] الْأَهْلُ فِي هَذَا الزَّمانِ ،
يريدُ أَنَّ أَكْثَرَ الْوظَائِفِ مع غير أَهْلِهَا ، فله بهم أَسُوءَ ، ولا يحسبُ مع قربه
مِنْ الْأَجَلِ بِحَسَبِ الْعَادَةِ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يُخْلَصُهُ عِنْدَ اللَّهِ ، فيالله
العجب ، ولَمَّا رَأَوْا تَوَقُّفَ الْأَمِيرِ قَانَمَ قَوَّوْا أَمْرَهُم بِالذَّهَبِ ، فبذلوا
لِلسُّلْطَانِ خَمْسَمِائَةِ دِينَارٍ ، وَلِقَانَمَ وَغَيْرِهِ مَا يُقَارِ بِهَا .

وَرَكِبَ السَّعْدُ إِلَى قَانَمَ ، وَشَهِدَ عِنْدَهُ أَنَّ الْبِرْهَانَ أَهْلٌ لِلتَّدْرِيسِ ،

(١) أشار (ابنُ حَجَر) في كتابه « إنباء العُمر » (٩ / ١٢٢) إلى ذلك في حوادث سنة ٨٤٤ هـ
وقال : « وفيها كائنةُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ خَطِيبِ الْقُدُسِ وقاضيه جمال الدين بن جماعة ، رُفِعَ إِلَى السُّلْطَانِ : أَنَّهُ
زَوَّرَ عَلَيْهِ مَرْسُوماً بِمَرْتَبٍ ، فَأَخْضَرَ إِلَى الْقُدُسِ ، وَصُرِفَ أَبُوهُ عَنِ الْقَضَاءِ وَحُوقِقَ عَلَى ذَلِكَ » .

(٢) الرُّسُومُ : الرُّسْمُ ، الْأَثَرُ الْبَاقِي مِنَ الدَّارِ بَعْدَ أَنْ عَفَّتْ .

« المعجم الوسيط » (١ / ٣٤٥) .

وأَنَّهُ مِنْ كِبَارِ أَهْلِ الْعِلْمِ ، وَكَانَ يَمُنُّ أَثِيرٌ عَلَى ابْنِ جَمَاعَةِ الْأَمِينِ
الْأَقْصَرَانِيِّ ، وَكَانَ مَقْبُولَ الْكَلَامِ ، فَاجْتَمَعَ بِهِ السَّعْدُ ، وَقَالَ لَهُ : هَذَا مِنْ
بَيْتٍ كَبِيرٍ ، وَهُوَ ابْنُ أُخْتِي وَصَهْرِي ، فِيرْعَى لِلْعُلَى .. وَقَالَ لَهُ : إِنَّهُ أَهْلٌ
لِلتَّدْرِيسِ ، وَأَنَّ لَهُ أَخَا أَهْلَ لِلتَّصْنِيفِ . فَقَالَ لَهُ : فَأَخُوهُ يَقْرُبُ لَكَ ؟
فَقَالَ : لَا . فَقَالَ : لَا شَكَّ أَنَّ الَّذِي هُوَ أَهْلٌ لِلتَّصْنِيفِ أَعْلَى مِنْ أَهْلِ
التَّدْرِيسِ ، فَسَاعِدْهُ دُونَ ابْنِ أُخْتِكَ ، لَتَتَنَفَّى عَنْكَ الرَّيْبَةُ . قَالَ : فَلَمْ يَرِدْ
إِلَى عَنْ هَذَا جَوَاباً ، وَلَا أَظْهَرَ أَنَّهُ سَمِعَهُ . فَيَا اللَّهَ الْعَجَبُ يَمُنُّ نَاهِزَ الْمِائَةِ ،
وَهُوَ يَسْعَى فِي إِهَانَةِ الدِّينِ فِي ثَالِثِ الْمَسَاجِدِ ، وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْقُدُسِ ،
يَغْلِبُ فِيهِمُ الشَّرُّ وَالْبَاطِلُ ، وَمَا هُنَاكَ مَنْ يُرْجِعُ إِلَيْهِ عِنْدَ التَّنَازُعِ إِلَّا شَيْخَ
الْصَّلَاحِيَّةِ ، فَإِذَا كَانَ شَيْخَهَا هُوَ اللَّصُّ ، فَمَا ظَنُّكَ !

فَكَفَّ الْأَمِينُ خَوْفاً مِنْ أَنْ يُقَالَ لَهُ : أَهْلِيَّةُ هَذَا لِهَذَا الْأَمْرِ ، مِثْلَ أَهْلِيَّةِ
ابْنِكَ لِتَدْرِيسِ الْجَمَالِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ ، وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ .

وَفِي هَذَا الْحَدِّ ، نَقَصَ الْبَحْرُ ، بَعْدَ وَصُولِهِ إِلَى إِحْدَى وَعِشْرِينَ إِصْبَعاً
مِنَ الدَّرَاجِ الثَّامِنَةِ عَشْرَةَ ، فَوَصَلَ نَقْصُهُ فِي عِدَّةِ أَيَّامٍ ، إِلَى تِسْعِ عَشْرَةِ
إِصْبَعاً ، وَذَلِكَ أَنَّهُ فُتِحَ كُلُّ سَدٍّ فِي بَرِّ الشَّرْقِ ، سَدُّ الْأَمِيرِيَّةِ ، وَبَنِي مَنْجَا
وغيرهما ، فَهُلِعَ النَّاسُ ، فَارْتَفَعَ سَعْرُ الْحَبُوبِ ، فَكَانَ الْقَمْحُ يُبَاعُ الْإِرْدَبَ
مِنْهُ بِمِائَةِ وَعِشْرِينَ وَنَحْوَهَا ، فَارْتَفَعَ إِلَى مِائَةِ وَسَبْعِينَ ، وَعَلَيْهِ قِيَاسُ
الْبَقِيَّةِ ، ثُمَّ زَادَ الْأَرْبَعَاءُ ، رَابِعُ ذِي الْحِجَّةِ ثَلَاثَ أَصَابِعٍ مِنَ النَّقْصِ ، وَفِي
كُلِّ مِنْ يَوْمِ الْخَمِيسِ وَالْجُمُعَةِ إِصْبَعَانِ ، فَاطْمَأَنَّ النَّاسُ إِلَى ذَلِكَ ، وَلَمْ يَزَلْ
يُنْكَدَى عَلَيْهِ بِالزِّيَادَةِ مِنَ النَّقْصِ فِي كُلِّ قَلِيلٍ إِلَى أَنْ كَانَتْ آخِرُ زِيَادَتِهِ فِي
آخِرِ يَوْمٍ مِنْ تَوْتِ ، وَهُوَ الْمَوَافِقُ لِيَوْمِ الْاِثْنَيْنِ ثَالِثِ عَشْرِي ذِي الْحِجَّةِ
الْمَذْكُورِ .

ولمَّا أرسل ابنُ جماعه رسوله بما تقدَّم علِم أنَّ الناس ينعون عليه الجهل، لمعرفتهم ببعده عن العلم ، وكان له ابنٌ يُسمَّى محمداً ^(١) ، ويُلقَّب نجم الدين ، يفوقُه بأنَّه ينظر في الكتب ، ويضمُّ إليه بعض الطلبة الفقراء ، فيقرأون في بعضها ، مع أنَّه لم يقرأ على شيخ من المشائخ إلاَّ أنَّه سمع بقراءة أخ له يُسمَّى إسماعيل ^(٢) شرح الجلال المحلِّي على جَمع الجوامع ، قرأه رواية في مجالس سيره ، وكتب لهما على آخره أنه أجاز لهما رواية الكتاب ورواية جميع ما يجوز له روايته ، فرأى أنه أقرب إلى الإجابة منه، فقدَّم يوم الخميس خامس ذي الحجة .

ذو الحجة

فأخبرني العلامة ، كمال الدين محمد بن أبي شريف القدسي ، وكانوا يقطعون بأنَّ المتكلمين في جَهْل البرهان إنَّما أرادوا بتأخيرِ تقديم ابن أبي شريف، فأراد النّجم أن يُظهر له علماً ؛ ليصدِّه عن الكلام في ذلك، فقال له : رأيت لما قدِّمنا دمشق تصنيفاً للبدر بن قاضي شُهبة ، فتوجَّه لي عليه اعتراض ، وذلك أنَّ الأصحاب قالوا : أنَّ الطُّحْلُبَ ^(٣) لا يضرُّ

(١) هو : محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ، النجم بن البرهان المقدسي الشافعي ابن جماعة ، ولد في صفر أو آخر ربيع سنة ٨٣٣هـ ببيت القدس ، وتفقَّه بجده قليلاً ثم ارتحل إلى القاهرة وأخذ عن علمائها وأجازوا له في التدريس ، واستقر في مشيخة الصلاحية ببيت المقدس ، وحدث بالمسجد الأقصى وخطب ودرَّس وأفتى ، مات سنة ٩٠١هـ .

له ترجمة في « الضوء اللامع » (٦/ ٢٥٥ رقم ٨٨٨) ، و« شذرات الذهب » (٨/ ١٠٩-١٠٠) .

(٢) راجع « الضوء اللامع » (٦/ ٢٥٦) .

(٣) الطُّحْلُبُ : « حُضْرَةٌ تعلو الماء الآسن ، وهي نباتات بسيطة لا زهرية غير مُميَّزة إلى سوق ، أو أوراق ، أو جذور ، منها الأخضر ، والأصفر ، والبني ، والأحمر ، والأزرق ، تعيش في الماء العذب والملح ، وفي الأرض الرطبة » .

« المعجم الوسيط » (٢/ ٥٥٢) .

الماء الذي نبت فيه ، فإذا نُزِعَ مِنْهُ ثم أُعِيدَ إِلَيْهِ ضَرَّ ، فزاد ابنُ قاضي شُهْبَةً عَلَيْهِمْ أَنْ قَالَ : إِنَّ صُورَةَ ذَلِكَ أَنْ يُدَقَّ الطُّحْلُبُ نَاعِمًا ، وَيُطْرَحَ فِيهِ فَيْعَيْرُهُ ، وهذا كما ترى مُخَالَفٌ لِكَلَامِ الْأَصْحَابِ ، فَانْظُرْ ، وَتَعَجَّبْ مَنْ يَسْعَى فِي تَدْرِيسِ الصَّلَاحِيَّةِ الَّتِي هِيَ أَجْلُ مَدَارِسِ الشَّافِعِيَّةِ بِالذَّنْبِ ، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّ مُجَرَّدَ إِعَادَةِ الطُّحْلُبِ إِلَى الْمَاءِ تَسْلُبُ طَهْوَرِيَّتَهُ مِنْ غَيْرِ مُخَالَطَةٍ وَلَا تَغْيِيرٍ ، وَمَا يُكْفِهِ جَهْلُهُ ، حَتَّى أَنَّهُ يَعْتَرِضُ عَلَى الْمُصَنِّفَيْنِ ، ثُمَّ مَا يَكْفِيهِ ذَلِكَ حَتَّى يُخْبِرَ بِهِ مَنْ أَهْلَهُ النَّاسُ لِلْمَدْرَسَةِ الْمَذْكُورَةِ ، يَرِيدُ أَنْ يَصِدِّدَهُ بِذَلِكَ عَنْهَا ، فَإِنَّا لِلَّهِ ، وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، ثُمَّ ادَّعَى أَنَّ هَذَا الْوَلَدَ لَا نِزَاعَ فِي أَهْلِيَّتِهِ .

وَأَخْبَرْتُ عَنْ الْأَمِينِ الْأَقْصِرَائِيِّ أَنَّهُ قَالَ : أَنَّ النَّجْمَ هَذَا ، اجْتَمَعَ بِهِ وَقَالَ لَهُ : إِنَّهُ يَدْرُسُ ، وَلَهُ تَلَامِيذٌ ، وَأَنَّ مِنْهُمْ الشَّيْخَ زَيْنَ الدِّينِ مَاهِرٌ . فَلَمْ يَدَّعِ لِلْفُجُورِ وَالْبُهْتِ مَوْضِعًا فَسَلَّ نَفْسَكَ أَيُّهَا الْآتِي بَعْدَنَا إِذَا نَزَلَتْ بِكَ نَازِلَةٌ ، فَإِنَّ الزَّيْنَ الْمَذْكُورَ أَحَدَ التَّوَابِعِ مِنَ الْمَشَائِخِ بِالْقُدْسِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُولَدَ هَذَا بَعَثَرِينَ سَنَةً ، ثُمَّ إِنَّهُ الْآنَ يَجِلُّ عَنْ أَنْ يُقَالَ : أَنَّهُ لَيْسَ بِالْقُدْسِ مِثْلُهُ ، بَلِ الْعَدْلُ فِيهِ أَنْ يُقَالَ : أَنَّهُ لَيْسَ بِالْمَمْلَكَةِ شَافِعِيٍّ مِثْلُهُ فِي السَّنِّ وَالْعِلْمِ وَالتَّقْنِ فِي غَالِبِ الْفُنُونِ وَالزَّهْدِ وَالْوَرَعِ .

ثُمَّ إِنَّ الْقِصَّةَ حُوِّلَتْ بِاسْمِ النَّجْمِ هَذَا ، فَكَانَ ذَلِكَ إِقْرَارًا بِجَهْلِ أَبِيهِ الْمَشْهُودِ لَهُ ، وَقُرِّرَتِ الْوُضُفَةُ لَهُ : ثُمَّ سَافَرَ فِي نِصْفِ ذِي الْحِجَّةِ هَذَا لَا أَوْصَلَهُ اللَّهُ ، وَلَا أَنْجَحَ لَهُ قَصْدًا .

وَفِي هَذَا الْحَدِّ أَوْ قَبْلَهُ ، وَصَلَ دُوَيْدَارُ جَانَمَ ، نَائِبَ الشَّامِ ، وَمَعَهُ كِتَابُ اسْتِازِهِ إِلَى السُّلْطَانِ . [٢٩٦] ، يَسْتَعِثُ مِنْ أَمْرِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ الْقَادِرِ ، وَأَنَّ أَمْرَهُ إِنْ دَامَ انْكَسَرَتْ حُرْمَتُهُ ، وَانْحَطَّتْ مَنَزَلَتُهُ ، وَتَضَعُضَعَ

أمره ، ولا يَقْدِر على كفاية أمور دِمَشق وأَعْمَالِهَا ، وأنه ما كان فارَقَ السُّلطان على ذلك ، بل على أَنَّ أمرَ مشائخ البلاد إليه ، فلمَّا فعل ما أذن له السلطانُ إليه ، نقضَ عَلَيْهِ بما يَهْدِم مكانته ، فإن كان بدأ للسلطان فيه بدءاً ، فهو مملوك السلطان ، فَلْيَرْسَم به إلى حيث أراد من سجنٍ وَغَيْرِهِ مِنَ الْقُدُس ومَكَّة وغيرهما ، وإن كان عِنْدَه في مناصحته شكٌ واقتضى رأيه الشريفُ أَنْ يُرسل مَنْ يثق به لِيُحْلِفَه على ما يُريد من الإخلاص للسلطان والوقوف عِنْدَما يرسم به ، والقصدُ أَنْ يكون ملحوظاً بِنَظَرِ السلطان ، مشمولاً بِظَلَالِهِ وصدقَاتِهِ ؛ لتقوى حُرْمَتُهُ ، وتنفذَ كَلِمَتُهُ فيما إليه مِنَ السياسة ، ونحو هذا مِنَ الكلام .

وقوله : إِنَّ هذا السلطان أذن له في عَزْل المشائخ ، وَوَلَايَتِهِمْ تَذْلِيلِيس ، إِنَّمَا رَسَم له أَنَّ الشَّام له ثلاث سنين ، بِمَعْنَى أَنَّهُ على عَادَةٍ مَنْ تَقَدَّمَهُ ، إِلَّا أَنَّهُ لَا كُفْلَةَ عَلَيْهِ بِتَقْدِيمِهِ وَلَا غَيْرِهَا .

فَلَمَّا وقف دُوَيْدَارُهُ للسلطان ، قال له : ما لِإِسْتَادِكَ يسر سَيْر أمثاله ، مِنَ الْحَمَزَاوِي وَجُلُبَّان ، وَغَيْرِهِمَا مِنْ نَوَابِ الشَّام ؟ فقال : يا مَوْلَانَا السلطان ، بل يكون أَقَلَّ مِنْهَا . فقال : لا ، بل مثلهما .

وَأرسل جَانِمٌ كِتَاباً لِإِخْوَانِهِ مِنَ الْأَشْرَفِيَّةِ يَشِيرُهُم لِلغضب له ، بأن قال : إِنَّ أُمراءَ دِمَشق أَهَانُوهُ ، وَأَذَوْهُ غَايَةَ الْأَذَى ، وَأَوْهَنُوا كَلِمَتَهُ ، وَأَنْ نَائِبَ القلعة رمى عليه بِالْمِدْفَع ، بَعْد رجوعِهِ إِلَى دِمَشق ، وأنه لَا يَقْدِر على الإِقَامَةِ بِدِمَشق على هذا الحال .

ووصل الخَبَرُ مع هذا الدُّوَيْدَار أَنَّ السلطانَ مُحَمَّد بن عثمان أرسل إلى نَائِبِ حَلَب ، يقول له : إِنِّي عَازِمٌ على زيارة الْقُدُس ، ولا طريقَ إِلَّا مِنْ

بلادكم ، فإن كانت الطريق للمسلمين فأنا منهم ، ولا يحل منعها ،
فليؤذن لي ، وإن لم يؤذن لي قديمْتُ بالسيف ، فراعهم هذا ، واضطربوا له .
ثم ورد كتاب في عيد الأضحى من نائب مَلَطِيَّة أَنَّ ابن قرالوك ، لم يزل
يتَلَطَّفُ بابن عثمان ، ويترقُّق له ، إلى أن عَفَى عنه ، ورَحَلَ إلى نَاحِيَةِ بلادِ
بَعْضِ الكُفَّارِ المجاورين للبحر ، بالقرب من بلاد ابن قَرَمَانَ .

وفي عيد الأضحى ، أُجِيبَ نَائِبُ الشَّامِ بأنَّه ليس في وِدِّهِ ونُصْحِهِ
شكٌّ ، وأَمَّا أمر إسماعيل وَغَيْرِهِ مِنَ المشائخ ، فَإِنَّ للسلطان قِبَلَهُمْ أموالٌ
فما أُعِيدُوا إِلَّا لذلك ، وأَمَّا أمر الحَلَفِ ، فالسلطانُ غَيْرُ محتاجٍ إلى الإرسال
بسببه ؛ لأنَّه لا شكَّ عِنْدَهُ فِي النَّصِيحَةِ وإن كان لا بدَّ للجنابِ من ذلك
فليفعل ذلك بِحَضْرَةِ مَنْ يريد من القضاة والأمرء ، ويرسل صورة ذلك ،
وأنَّه جَبَرَ أمره بِفَرَسٍ ، أُرْسِلَ إليه بِسَرَجٍ ذهب وكُنْبُوشٍ وخَلْعَةٍ بِطُرُزٍ
عريض له ، وأُعْطِيَ دُوَيْدَارَهُ مائَةَ دِينَارٍ وَخَلَعَ عليه ، وأكْرَمَ بِأنواعِ
الإكرام ، ونحو هذا مِنَ الكلام .

وكان قد رُفِعَ إلى قاضي الشَّافِعِيَّةِ ، الشَّرَفِ بِحَيِّ المَنَاوِي ؛ أَنَّ الشريف
[محمد] ^(١) بن أبي المكارم بن قاسم ، تزوج امرأةً مِنْ أَهْلِ المَحَلَّةِ
الكُبْرَى ^(٢) ، وأولدها وَلَدًا هو الآن مَرَاهِقٌ ، وأنَّه أنكر الآن أَنَّ يكون تزوج
بالمرأة المذكورة ، فَضْلًا عَنْ أَنَّ يكون هذا ولده ، وشاع أَنَّ ذلك مراعاة

(١) بياض في الأصل بمقدار كلمة ، والتصحيح من « هامش ٥ » (ص ١٤١) .

(٢) المَحَلَّةُ الكُبْرَى : ويُقال لها في مشترك البلدان : مَحَلَّةُ الدَّقْلَا ، وهي قصبة كورة الغربية وأكبر

مدنها ، تقع على ترعة الملاح فرع من فروع بحر شيبين .

« الخطط التوفيقية » (١٥ / ١٨) .

لخاطر امرأته التي هي معه الآن ، وهي أخت الأُوحد محمد بن الشهاب العجيمي البُلُقيني ، قاضي المحلّة ، وذكر أهل الخبر بالمحلّة أنّ عليه بالزواج شهوداً ، غير أنهم يخافونه ، ويخافون صهره أُوحد الدين البُلُقيني قاضي المحلّة ، الشهير بابن العجيمي ، وأنّ لهم أتباعاً يُخِفُّون النَّاسَ ، وأنه لا قِبَلَ لأحدٍ بهم .

وكان الأُوحد لما بلغه عزله من إسكندرية ، قدّم القاهرة ، والتجأ إلى الدَّوَيْدَار الكبير جانبك ناظر جدّة كما هي عادة المفسدين في زماننا ، فأظهر الشرف المناوي عدَمَ المبالاة بذلك ، وولّى شخصاً يسمى .. (١)

الدين بن الكبير [٢٩٧] وهو من أهل تلك البلاد ومن أكبر المناحيس ، وأهل الشرّ ، لكن قصد بذلك رفع ما يخشاه الشهود على ابن القاسم ، لأنّ ابن الكبير مُبَغِّضٌ له ولأتباعه .

ورسم الشافعيّ على الأُوحد ، فخلّصه الدَّوَيْدَار ، ثم لم يمكث ابن الكبير جمعة في الولاية حتّى عمّلت مصلحة الأُوحد ورُضي عنه فوُلّي قضاء المحلّة ، وأسرع ابن قاسم إبلاغ الخبر قبل وقوع الولاية ، فرجع خوفُ الشهود كما كان وأشد ، وطالت القضية ، ثم أقدم جماعة من الشهود ، فشهدوا ، فقام الأنحصام واجتهدوا في التخييل منهم ، وكان القاضي الذي نُدب لذلك نور الدين البليسي الشافعي ، فتوقّف في قبولهم ، ونُسب في ذلك إلى الغرض ، فإنهم ما أقدموا مع الخطر الشديد إلاّ إرادة الحق ، مع ما هناك من القرائن الدالّة على صدقهم ، وشُبّه الصبيّ بالشرف المذكور ، حتّى بلغني عن كثير [من] (٢) الأفاضل

(١) بياض في الأصل بمقدار كلمة ، لم نجد ما يصححه في المصادرة المتوفرة .

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة اقتضاها السياق .

أَتَمُّهُمْ قَالُوا : لَوْ كُنَّا قَافَةً ^(١) الْحَقْنَاهُ بِهِ ، ثُمَّ طَلَبَ ابْنُ قَاسِمٍ الْمَصَالِحَةَ عَلَى مَالٍ .

وفي يوم الأحد ، منتصف ذي الحجة ، قامت عند أبي حامد القُدسي ، أحد نواب الشافعية بيّنةً بأنَّ الشمس محمد بن الأسيوطي ، الشهرير بابن خيرة ، الفاسخ لنكاح بُرْدَبَك التاجي عن بنت السَّبْرَبَاي رجع عن حكمه بالفسخ المذكور ، بمقتضى رِيَّةٍ قَوِيَّةٍ ظهرت له في الشهود بِقَادِحٍ ظهر فيهم ، وثبت كَوْنُهُمْ كانوا مُتَلَبِّسِينَ به عِنْدَ الشَّهَادَةِ عنده بمقتضى الْفَسْخِ ، وثبت ذلك عند أبي حامد ، وحكم بموجبه ، وكان قد جرى في هذا الأمر فصولٌ تطول وتَعْصَّبُ بعضٌ من يُنسب إلى الْعِلْمِ لِلصَّلَاحِ مع غَيْبَتِهِ ، وأفتوا بأنه لا يحلُّ التَّعَرُّضُ لعقده ، والحال أنه لم يخف عن أحد أَنَّهُ لَمَّا كَانَ بُرْدَبَكُ التَّاجِي غَائِبًا بِمَكَّةَ أَخْضَرَ الصَّلَاحُ زَوْجَتَهُ وكانت لِيِنَّه الجَانِبِ ، فأقامت عنده ليلةً أو أكثر ، ثم شرع في تعاطي أمرِ الْفَسْخِ إلى أَنَّ فَعَلَ وعقد عليها ، فكيف يسعُ مسلماً السكوتُ عن هذا ، فضلاً عن نصره .

واجتهد القاضي الشافعي في أَنَّ كَلَامَ مِنْ صَلَاحِ الدِّينِ ، وَبُرْدَبَكُ يُشْهَدُ عَلَيْهِ بِطَلَاقِهَا ، ثم تصير الخيرة لها في نفسها تختار من شاءت ، ومن المقطوع به أنها لا تختار إلا الصلاح ، لأنه شابٌ ، وَبُرْدَبَكُ شَيْخٌ ، وكانت في طول هذه المدة تقول : إِنْ رَجَعْتُمُونِي إِلَى بُرْدَبَكُ قَتَلْتُ نَفْسِي ، فلمَّا لم يوصل إلى هذا ، وَقَامَتِ الْبَيِّنَةُ بِهَا قامت عند أبي حامد هذا ، وهو غريبٌ من البلد ، وماله بها كبيرٌ تَعَلَّقُ يَخْشَى عليه ، وهو مع ذلك جاهلٌ

(١) قَافَةٌ : جَمْعُ (قَائِفٍ) ، وَهُوَ مَنْ يُحْسِنُ مَعْرِفَةَ الْأَثَرِ وَتَتَبِعَهُ .

«المعجم الوسيط» (٢ / ٧٦٦)

الذِّكْر ، سَخِيفُ الْعَقْلِ ، يريد الشهرة بشيءٍ مِنَ الأشياء ، اجترأ على ذلك مع إجحام جميع التَّوَاب عنه ، حتى أعداء البلاغة .

وكان السراج العبادي الشافعي قد أفتى بأنَّ هذا الفسخ لا يُتَعَرَّض إليه ، عِلْمًا منه بأنَّ هذه المجازفة تمشي له ، لكثرة المتعرِّضين ، فإنَّ الحنفية بأسرهم كانوا على المناوي ، ومع العلم بعد أن كانوا أشدَّ النَّاس تشنيعاً عليه ، إذ كان مُتَوَلِّياً ، فَعُلِمَ أنَّ ذلك إنما بغض لأهل هذا المذهب ، وإرادة للغض منهم ، فهم يتوصلون إلى أذاهم بإعانة بعضهم على بعض . وستعلم الحق في هذه المسألة إن شاء الله تعالى .

وفي هذا الحد ، تواصل قدوم الممالك الذين كانوا في البحيرة ، ثم وَصَلَ الأمراء إلى بَرِّ الْجِيْزَةِ ثامن عشر الشهر ، وعدوا إلى مصر القديمة بكرة يوم الأربعاء ثامن عشر الشهر ، وَسَلَّمُوا على السلطان ، وَلَبِسُوا ما جرت لهم العادةُ به ، مِنَ الخَلَع ونزلوا إلى محالهم .

وفي هذا الشهر ، أو الذي قَبْلَهُ وُلِّيَّ الشرف موسى بن مفلح الغزي ، قضاء الشافعية بغزة عن أبي الوفاء شمس الدين بن الحمصي .

وفي هذا الحد ، وَصَلَ الجلال محمد بن الحُسام محمد بن العماد الغزي ، الشهر بابن بُرَيْطَع (بالتصغير) يَسْعَى في المدرستين اللتين أخذهما العلَاءُ بن قاضي عجلون [منه] ^(١) .

[٢٩٨] وفي يوم الخميس تاسع عشر ذي الحجة هذا وُلِّيَّ الأمير محمد بن مبارك عداد الغنم ، حِجَابَةَ الحجاب بدمشق عن جانبك الذي فرَّ مِنَ النَّائب .

(١) في الأصل (منها) ، والتصحيح من مفهوم السياق .

وفي هذا اليوم ^(١) ، مات أفضل الدين ^(٢) القرمي ، أحد النواب الحنفية بالقاهرة ، وعلى يده كان أكثر حل الأوقاف بالاستبدال ، وتوسع في هذا الباب إلى أن خرج عن الحد ، وفسد الأمر ، وكان يُنسب إلى التساهل في الأحكام ، وكان كثير الحج والمجاورة ، فلعل ذلك يكفر عنه وكان من أبناء الستين فيما أظن ، وكان من أهل الفضل في الفقه وله مشاركة في غيره رحمه الله .

وكان لما حكم أبو حامد القدسي في أمر امرأة بُردبك التاجي بما تقدّم ، بلغت النكايّة من العلّم صالح بن امرأته الصلاح الذي كان أغار عليها بفسخ النكاح ، والزواج ، فأرسل العلّم إلى صهره أمير المؤمنين ، فأرسل إلى السلطان يطلب أن يُعقد لذلك مجلس بالقضاة الأربعة ، ومشائخ العلّم ، وكان السراج عمر العبادي قد أفتى بأن نكاح الصّلاح لا يُتعرّض إليه ، فرسم السلطان بذلك ، وأن يحضروا يوم الأربعاء في الصّالحية ، ثم تكلم الأمير يشبّك الفقيه شاد المؤيديه في أن يدفع الصّلاح بن بركوت مالا لبُردبك ويعذر له ، وسأل السلطان في تأخير عقد المجلس إلى يوم الخميس هذا إن لم يجيبوا إلى الصّلح ، فأمر بذلك ، وكان الذي سأل فيه ألف دينار ، ثم تنزل إلى خمسمائة ، وكان السفير في ذلك كاتب السر فإنه كان ميله إلى البلاقنة ، فتكلم في ذلك ، فلم يجيبوا إلا إلى ثلاثمائة ، بعد

(١) في « النجوم الزاهرة » (١٦ / ٣١٤) ، و « الضوء اللامع » (١٠ / ١٤٢) ، مات ليلة الثلاثاء ١٧ ذي الحجة .

(٢) هو : محمود بن عمر بن منصور ، أفضل الدين أبو الفضل بن السراج القرمي الأصل القاهري الحنفي ، نشأ في القاهرة ، ولازم عدداً من علمائها في عدة فنون ، وناب في القضاء .
له ترجمة في « النجوم الزاهرة » (١٦ / ٣١٤) ، و « الضوء اللامع » (١٠ / ١٤٢ رقم ٥٧٠) .

أمور ، فأرسل إلى القضاة أَنَّ المجلس أُخِّرَ إلى يوم السَّبْتِ ، وكأنَّه لم يُرْسَل إلى الشافعي ، فحَضَرَ ، فانتظر ساعة ، ثم ذهب ، ثم طلع بُرْدَبَكُ ومعه جماعةٌ مِنْ أَعْيَانِ الْأُمَرَاءِ ، فتظَلَّم إلى السلطان بِأَنَّهُ أُخِذَتْ زَوْجَتُهُ قَهْرًا ، وهي مَنْ عَلِمَ كُلُّ مَنْ يَعْرِفُهُ إِحْسَانَهُ إِلَيْهَا وَكَلَفَهُ عَلَيْهَا ، ثم خانت بعد ذلك وأحضرها الصلاح إليه للفساد ، فأقامت عنده أَيَّامًا ، فوقع له عندها ، فَفَسَخَ عَقْدَهَا ، ثم فعل ما فعل ، فَإِنَّ لم يحصل لي نِصْفَةٌ انتصرت لِنَفْسِي ، ولم أترك قِتْلًا ، ولا مادونه ، وأهلك نفسي وَغَيْرِي ، وكان الذين معه يتعمَّمون له .

وقال : إني ذهبت اليوم في خِدْمَةِ الْقَاضِي الشافعي ، لما رَسَمَ به السلطان مِنْ عَقْدِ الْمَجْلِسِ فلم يحضر أحدٌ ؛ فَفَرَّقَ له السلطان ، فقال كَاتِبُ السِّرِّ : ما تُرِكَ الْحُضُورُ إِلَّا بِسُؤَالِ الْأَمِيرِ يَشُبُّكَ عَلَى لِسَانِكَ التَّأْخِيرَ إِلَى أَنْ يَتَحَرَّرَ أَمْرُ الْمَالِ ، فقال : أَنَا لَا أَرْضَى بِخَمْسَائِهِ . فقال السلطان : أَنَا أَعْرِفُ أَنَّهُ أَنْفَقَ عَلَى هَذِهِ الْمَرْأَةِ أَمْوَالًا كَثِيرَةً ، دَعَهُمْ يَعْطُونَهُ سَبْعِمِائَةَ دِينَارٍ . قال : كَاتِبُ السِّرِّ : فقلت : إنهم لم يصلوا إلى ثَلَاثِ مِائَةٍ إِلَّا بَعْدَ الْجُحْدِ . فقال : لَا بُدَّ مِنْ سَبْعِمِائَةٍ ، وَلِيَفْرَضُوا أَنَّهُمْ أَعْطَوْا مَا وَعَدُوا بِهِ رِشْوَةً ، أَنَا وَعَدُونِي عَلَى نَصْرَةِ بَأْلِيفِ دِينَارٍ ، وَأَخْضَرُوا إِلَيَّ شَخِصٍ مِنْ أَرْكَانِ الدَّوْلَةِ خَمْسِمِائَةَ دِينَارٍ ، وَأَوْدَعُوهَا عِنْدَ شَخِصٍ وَوَعَدُوهُ عِنْدَ تَمَامِ الْأَمْرِ بِخَمْسِمِائَةِ أُخْرَى . فدعهم يذبلون لِبُرْدَبَكُ مِنْ ذَلِكَ سَبْعِمِائَةَ ، فَأَظْهَرَ بُرْدَبَكُ عَدَمَ الرِّضَى بِذَلِكَ ، فقال له السلطان : خُذْ هَذَا ، وَإِذَا ظَهَرَ صِلَاحُ الدِّينِ قَبِضْتُ عَلَيْهِ ، وَشَفِيتُ خَاطِرَكَ فِيهِ ، ثم دعاه فَسَارَهُ بِأَمْرِ أَظْهَرَ الرِّضَى بِهِ ، ثم نزلوا على ذلك .

وفي هذا الحدِّ جَاءَتْ مَكَاتِبَاتُ الْمَغَارِبَةِ مِنَ الْقُدُسِ ، بِأَنَّ نَاصِرَ الدِّينِ بَنَ النَّاجِ بْنِ الدَّيْرِيِّ الْقُدْسِيَّ ، قَاضِيَّ الْحَنْفِيَّةِ بِهَا عَادَ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ .

المجاهرة بالفِسق ، وتصدَّى لِلْحَكْم ، فقام عليه المغاربة ، وحصلت كائنةً فاحشةً ، وأوصِلَتِ القضيةُ بالأمير الكبير شَرَبَاش ، فأُرسل إلى السَّعد الدَّيْرِي قاضي الحنفية بالقاهرة من بَشع عليه ما يفعله ابنُ ابنه ، وأنَّه لا يحل له إقرار مثل ذلك ، فحصل له من ذلك ذلٌّ ، بعد أن كان أظهر مساعَدة ابن ابنه ونصره على مَنْ يُناوئه .

[٢٩٩] وفي أواخر يوم السبت حادي عشري ذي الحجة هذا ، ماتت بنت ^(١) الأمير الكبير شَرَبَاش على حالة هائلة ؛ وذلك أنَّه كان زَوْج ابْنَتِه من بعض بناته بالأمير خَيْرِ بك ^(٢) البهلوان ، وعملت جدَّتها خَوْنَد شقراء بنت الناصر للفرح من الأمور : الأطعمة والأشربة والشموع وغيرها ما تُسبوا فيه إلى الإشراف والافتراق ، فلما كانت ليلة الزَّفَاف حُمِلت إلى زوجها ، فلما فَرَغَ الجلاء ، ولم يبق إلا إخلاؤه بها نفست هذه وهي خالتها ، فاشتغلوا بها فولدت ، ثم ماتت ، فانقلب سرورُهم حزنًا ، وهناؤهم عزاءً ، ثم نقلوها إلى بيتهم وعملوا في الحزن من النوح واللطم وغيرهما من أنواع التَّعدِّي نظير ما كان في الفرح من التَّعدِّي ، ودفنوها في تربة جدِّها الملك الظاهر في الصحراء ، وأقاموا هناك أيامًا .

وفي يوم الثلاثاء رابع عشري ذي الحجة هذا ، عُقد مجلسٌ بسبب بنت السَّربَاي التي يتنازعها الصَّلاحُ بنُ بركوت ، وبيتُ العَلَم صالح ،

(١) وهي خديجة ، أمها خَوْنَد شقراء ابنة الناصر ، تزوجها خير بك من حيت الأشرفي بَرَشَباي .

لها ترجمة في «الضوء اللامع» (١٢/٢٧ رقم ١٥٠) .

(٢) خير بك الأشرفي بَرَشَباي البهلوان ، تأمر عشرة في دولة إينال ، ثم نفاء الظاهر خُشَقَدَم إلى البلاد الشامية ، ثم صار من مقدمي دمشق ، ومات في وقعة سوار في شوال سنة ٨٧٣هـ وهو في عشر الستين . له ترجمة في : «حوادث الدهور» (٧٢٨) ، و«الضوء اللامع» (٣/٢٠٨ رقم ٧٧٩) .

وَبُرْدَبِكَ التَّاجِي بعد أن استمالوا السلطانَ ، والدُّوَيْدَارَ الكبيرَ جَانَبِكَ
 ناظِرَ جُدَّةَ ، وكَاتِبَ السرِّ المحبِّ بنِ الشُّحْنَةِ ، وَأَنْظَارِهِم ، بالمال ، وكان
 السراج العبادي الشافعي قائماً في معارضة الشرف يحيى المناوي قاضي
 الشافعية ؛ لإظهار نفسه ومال معه الحنفية بِأَسْرِهِمُ بُغْضاً في الشَّافِعِيَّةِ ،
 وَحَسْداً لهم في أَنْ يكونَ لهم رأسُ هو أهلُ للرئاسة ، فحضرَ القضاةُ
 والعبادي والأمين الأقصرائي ، والبدر محمود بن عبيد الله الحنفِيَّانِ
 وغيرهم ، فكان من أَوَّلِ ما وَقَعَ أَنْ أظهرَ الحُكْمُ بالْفَسْخِ لنكاحِ بُرْدَبِكَ ،
 فَأُعْطِيَ للشمس محمد بن [أحمد ^(١)] بن حسن بن إسماعيل بن يعقوب
 بن إسماعيل [العتابي الأصل ، المصري ، الشهير بالأَمْشَاطِي ، فأخذه
 ونظر فيه ، فإذا هو مُنْقَذٌ على القضاة الأربعة ، فقال : هذا مُسْتَنَدٌ مُجْمَعٌ
 عليه . يَعْنِي لتنفيذ مَنْ نَفَّذَهُ ، ثم شرع كُلُّ منهم يتكلم بنحو هذا مِنْ
 الكلام الذي لا يَحِلُّ سَمَاعُهُ ، فقال الشافعي : هذا أَمْرٌ التعصبُ فيه
 ظاهرٌ ، فَإِنْ أُريدَ أَنِّي أَتَكَلَّمُ في هذه القضية ، فأنا لا أَتَكَلَّمُ إِلَّا بما يظهر لي
 مِنْ مذهبي ، وَإِنْ كان يُرادُ مِنِّي شَيْءٌ غَيْرَ هذا فأنا قد دفعتُ هذه
 القضيةَ عَنِّي ، فيأمر السلطان مَنْ أراد بالكلام فيها . فَاغْتَنَمَهَا كَاتِبُ
 السِّرِّ ، وكان مائلاً مع البلاقة بوجهين : أحدهما أنهم كانوا صادقوه حال
 ولايتهم ، والثاني أَنَّ المناوي كان حَكَمَ عليه أَيَّامَ الظاهر جَفَمَقَ بثلاثين
 أَلْفَ دينار ، أثبت القاضي... ^(٢) ، الدين النويري أَنَّ تَغْرِي ^(٣) وَرَمْشَ نائب

(١) ما بين الحاصرتين بياض في الأصل ، والتصحيح من « هامش ٥ » من (ص ٢٨٥) من
 القسم الأول .

(٢) بياض في الأصل بمقدار كلمة .

(٣) هو : تَغْرِي وَرَمْشَ ، أو تَغْرِي بَرَمْشَ بن أحمد ، واسمه حسين ، وكان يُدعى بابن المصري ،
 ولد ببَهْسَنَا قبل سنة ٨٠٠ هـ ، وكان له ملك بها فخرت أُملاكهُ وافقر ، خدم الأمير طوخ ، وحضر
 معه إلى حلب ولما قُتل طوخ خدم جَفَمَقَ دَوَادَارَ المؤيد ، وعمل دَوَادَارَهِ وعندما استقر في السلطة =

حَلَبَ أَوْ دَعَاهَا عِنْدَهُ ، فَادَّعَى الظَّاهِرُ أَنَّهُ يَسْتَحِقُّ أَخْذَهَا مِنْهُ ، وَالْحَالُ أَنَّ
لَتَغْرِي وَرْثُشَ وَارثاً ، وَأَنَّ التَّوْبِيرِيَّ مَعَ [كونه] ^(١) فاسقاً متهوراً هو عَدُوٌّ
لِابْنِ الشُّخْنَةِ ، فَقَدَحَ ابْنُ الشُّخْنَةِ فِي ذَلِكَ ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ الْمَنَاوِي ؛ لِأَنَّ
الظَّاهِرَ كَانَ عَلَيْهِ ، وَنَاطَرَ الْخَاصَّ الْجَمَالَ يَوْسُفَ ، وَغَالِبَ أَهْلِ الدَّوْلَةِ
تَبْعاً لَهَا ، فَلَمَّا كَانَ مَغْرُضاً لِهَذَا ، وَدَفَعَ الْمَنَاوِي الْقَضِيَّةَ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ
حَسَنَ لَهُ كَاتِبَ السَّرِّ فِعْلَهُ ، وَسَأَلَ السُّلْطَانَ أَنْ يَجْعَلَ ذَلِكَ إِلَى الْحَنْفِيِّ ،
فَأَجَابَ ، فَقَالَ الْحَنْفِيُّ : قَدْ اسْتَخَرْتُ اللَّهَ تَعَالَى ، وَحَكَمْتُ بِتَقْرِيرِ نِكَاحِ
صَلَاحِ الدِّينِ هَذَا مِنْ غَيْرِ أَنْ تَكُونَ دَعْوَى وَلَا سَائِلَ فِي ذَلِكَ ، وَلَا الْحُكْمَ
مِمَّا يَمْشِي عَلَى مَذْهَبِهِ ، فَإِنَّهُ حَكَمَ عَلَى غَائِبٍ .

نعم نُقِلَ عَنْهُمْ أَنَّ الْحَاكِمَ مِنْهُمْ إِذَا أَقْدَمَ عَلَى الْحُكْمِ بِهِ لَمْ يَكُنْ لَهُ
ذَلِكَ ، وَلَكِنَّهُ يُنْفَذُ حُكْمُهُ بِهِ ، فَأَقْلَ مَا فِي ذَلِكَ أَنَّ الْحَاكِمَ الْحَنْفِيَّ بِهِ مُقَدِّمٌ
عَلَى مَا لَا يَجُوزُ ؛ لِأَنَّهُ حَاكِمٌ عَلَى غَائِبٍ ، فَإِنَّ صَوْرَةَ الْمَسْأَلَةِ ، أَنْ بُرِّدَ بَكَ
كَانَ غَائِباً فِي الْحِجَازِ ، فَأَرْسَلَ زَوْجَتَهُ إِلَى مِصْرَ ، فَاجْتَمَعَتْ بِالصَّلَاحِ بْنِ
بَرْكُوتِ الْمَكِينِيِّ [٣٠٠] فَأَعْجَبَتْهُ ، وَكَانَ يُنْقَلُ أَنَّ بَرَّوَجَهَا بُرِّدَ بَكَ بَرَصاً ،
وَكَانَتْ مُطْلَعَةً عَلَيْهِ سَاكِتَةً عَنْهُ ، فَحَسَّنَ لَهَا الْفَسْخَ عَلَيْهِ لِيَتَزَوَّجَهَا ،
وَأَرْغَبَهَا بِالْمَالِ ، وَهُوَ شَابٌّ ، فِمَالَتْ إِلَى ذَلِكَ ، وَكَانَ الْعَلَمُ زَوْجَ أُمِّهِ قَاضِي
السَّافِيعَةِ ، وَهُوَ الْمُتَصَرِّفُ عَنْهُ ، لَيْسَ لَهُ مَعَهُ كَلِمَةٌ أَضْلاً ، وَكَانَ لَهُ مَكْرٌ
وَدَهَاءٌ وَصَوْلَةٌ عَلَى جَمِيعٍ مِنْ لَهُ تَعَلَّقَ عِنْدَهُمْ ، وَكَانَ الشَّمْسُ بْنُ خَيْرَةٍ

= رَقَاهُ فَصَارَ أَحَدَ الْمُقَدَّمِينَ ، ثُمَّ أَمِيرَ آخُورِهِ ، ثُمَّ نَائِباً لِحَلَبَ سَنَةَ ٨٣٩ هـ ، وَقَتْلَهُ الظَّاهِرُ جَفَمَقُ
بَعْدَ خُرُوجِهِ عَنْ طَاعَتِهِ يَوْمَ الْاِحْدِثِ ١٧ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ ٨٤٢ هـ .

لَهُ تَرْجُمَةٌ فِي « إِنْبَاءِ الْعُمَرِ » (٨٠ / ٩) ، « وَالْمَنْهَلِ الصَّافِي » (٥٨ / ٤) رَقْمُ (٧٦٧) ، وَالدَّلِيلُ
الشَّافِي » (١ / ٢١٨ رَقْمُ (٧٦٥) ، وَالنَّجْمُ الزَّاهِرَةُ » (١٥ / ٤٧٢ - ٤٧٣) ، وَ« الضَّوْءُ اللَّامِعُ » (٣ /
٣٥ رَقْمُ (١٤٧) .

(١) مَا بَيْنَ الْحَاصِرَتَيْنِ غَيْرِ وَاضِحِ الرَّسْمِ فِي الْأَصْلِ ، وَالتَّصْحِيحُ مِنْ مَفْهُومِ السِّيَاقِ .

الأسيوطي منسوباً إلى الجرأة في الأحكام والإقدام على مالا يُقَدِّم عليه
غَيْرُهُ ، وكانت عِنْدَهُ فضيلةٌ ، فَنَدَبَهُ لهذا الأمر ، واستشهد باثنين ممن في
مجالس الفسق ، أحدهما تَبِعَ لشرف الدين الفيومي ، المعروف بالشَّريف
(مصغراً مخففاً) وَفَسَقَهُ بالخمر وغيره ، والتَّزْوِيرُ أشهر من الشَّمْسِ ،
فخافه ابنُ خَيْرِهِ ، فلم تسعه مخالفتُهُ ، ففسخَ نكاح بُرْدَبَك بشهادة ذَيْنِكَ
الفاسيقين بأنَّه أبرصٌ ، وأنها اختارت الفُسْخَ .

ثم جاء بُرْدَبَك هذا من الحجاز ، والعَلَمُ صالحُ البُلْقِينِي مُتَوَلَّى ،
وطلب الكلامَ غيرَ مَرَّةٍ على أَيَّام الأَشْرَفِ إِيْنال ، فلم يُجِبْ ، فلما انقضت
أَيَّامُهُ وأيام ابنه وعُزِلَ العلمُ ، تكلَّم ، فكان ما مَضَى ، فقد عُلِمَ بهذا
أنَّ هذا حكمٌ على غائبٍ ، فَمَنْ أين للحنفي الدَّخُولُ في إِمضاءه ، ثم
على تقدير أنَّ ذلك شائعٌ عِنْدَهُ ولا خِلافٍ في أنَّ الغائبَ باقٍ على حُجَّتِهِ
ومن حُجَّتِهِ أن يقول : احضروا لي الشهودَ الذين شهدوا علىَّ بما شهدوا
حَتَّى انظر فيهم ، وما مستندهم في شهادَتِهِمْ ، فلم يُلْتَمَسَ إلى قولِهِ هذا ؛
على تقدير أنَّ الحُكْمَ بالفُسْخِ باقٍ ، وأما بَعْدَ الغاءِ الحَاكِمِ لَهُ فلا شكَّ في
لغوه ؛ لِإِنَّ مذهب الشافعي ، أَنَّهُ إذا قَضَى القاضي بشهادة شاهِدَيْنِ ، ثم
تَبَيَّنَ أَنَّهُما كانا فاسقين عند الحُكْمِ ، نُقِضَ الحُكْمُ على الصحيح من
القولين ؛ لأنه إذا نُقِضَ فيما إذا تَبَيَّنَ أنَّ الشاهدَ عَبْدٌ ، مع جواز رواية
العَبْدِ ، ولا نص في رَدِّ شهادته ، ففي الفاسقِ أُولَى ؛ لأنَّ رَدَّ شهادته ثابتٌ
بالنَّصِ : ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ ^(١) ، ﴿مِنْ تَرَضُّونَ مِنَ
الشُّهَدَاءِ﴾ ^(٢) ، ﴿وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ ^(٣) .

(١) الحجرات / ٦

(٢) البقرة / ٢٨٢

(٣) الطلاق / ٢

وروايته مردودة ، بل أنكر جمهورُ الشافعية على ما حكاه الماوردي (١) الخلاف في هذه المسألة ، ثم إذا سلّمنا الخلاف ، فمحلّه على ما قال الإمام فيما إذا كان المحكوم عليه حاضراً قادراً على النطق بحجته ، أمّا الصبيّ والمجنون والغائب فيُنقَضُ الحكم عليهم ببيان فسق الشهود قطعاً.

فقد ظهر بهذا أن تقريرها مع ابن بركوت بهذا الفسخ لا يقوله أحدٌ من أهل المذاهب ، ولا يُقدِّم عليه عالمٌ يخافُ الله ، هذا مع مواقع آخر ، لو دُكرت ، لأبكت مَنْ له غيرةٌ على الدّين وميلٌ إلى المهتدين ، وخيل المعارضون بأن القاضي ليس له الرجوع عن حكمه ، لأن الحق انتقل إلى غيره ، وأخرجوا النُّقُولَ بذلك ، وليس النزاع فيه ، وقالوا محلّ الإلغاء بالفسق ما إذا كان ظاهراً أو لا يحتاج في دَرْكِه إلى اجتهاد ، فإن كان الفسق مُجْتَهِداً فيه لم ينقض بلا خلاف .

قلنا أولاً ، ومَنْ قال إنَّ هذا الفسق ليس مُجْمَعاً عليه ؛ أليس يمكن ذلك ؟ فأقلُّ ما يوجب لكم التوقُّف خوفاً من الله . وثانياً ، أنّه ليس منكم أحدٌ إلّا وهو يَعْرِفُ أن الشَّاهِدَيْنِ المَحْدَثَ عنهما ملازمان [٣٠١] لابن بركوت في مجالسه الفاجرة ، مع شريف والمرأة المذكورة ، وهما من جملة مَنْ يُعْنَى وَيَمْجُن ، فإن لم يكونا شارِبَيْنِ ، فهما حاضِران مُحَسَّنان . وثالثاً ، أنّ مسألة الاجتهاد المذكورة إنّما هي على تقدير أن يكون القاضي من أهل الاجتهاد ، كما هو أصل الباب ، فإنَّ الشافعي شَرَطَ في القاضي

(١) هو : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي ، كان من وجوه الفقهاء الشافعيين ، وله عدة تصانيف ؛ في أصول الفقه وفروعه ، من مؤلفاته : « أدب الدنيا والدين » و« لأحكام السلطانية » و« قانون الوزارة وسياسة الملوك » ، مات في يوم الثلاثاء سلخ شهر ربيع الأول من سنة ٤٥٠ هـ .

له ترجمة في : « تاريخ بغداد » (١٢ / ١٠٢ رقم ٦٥٣٩) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٨ / ٦٤ رقم ٢٩) ، و« طبقات السبكي » (٥ / ٢٦٧-٢٨٥) ، و« طبقات الأستوي » (٢ / ٣٨٧-٣٨٨) .

الاجتهاد وتَبِعَهُ الأصحابُ على ذلك ، وتجوزهم لمن دونه إنما هو للضرورة، فغالبُ مسائل القضاء مبنيةٌ على ما هو أصل الباب ، وأما إذا كان مقلداً ، فإذا كان ما ارتكبه الشاهدُ مُفسِقا عند مقلده كفاه ذلك .

وغايته أَنَّ الحُكْمَ إذا ضاع به على المحكوم عليه مالٌ ، لا يغرمه الشهودُ وعليه ينزل ما نقله الزَّركشي^(١) عن الإمام ، مِنْ أَنَّهُ قال في باب حد الخمر : « متى كان الفسق مُجتهداً فيه ، فلا رجوع للحاكم بعد النَقْضِ على الشهود ، فقد أثبت النقص ونَفَى الرجوعَ بالمال ، وذلك لأنَّ نص مقلده في حَقِّه ، كنص الشارع ، وذلك كافٍ في نقض ما وقع به الإلزام ، وأما الرجوع بالمال ، فأمر آخر ينفيه أَنَّ الأصل براءة ذمتهم منه » . ورابعاً ، أَنَّ هذا الحاكم كان في صورة المُكْرَه من له عليه سلطان ، وأَيُّ سلطانٍ وهو مُؤَلِّيهِ ، وقد قال الغزالي : « ولو قال : أكرهني السلطان على الحكم بقبولهما ، وكنت أعرف فسقَهما ، قُبِلَ قوله مِنْ غير بَيِّنَةٍ بالإكراه » .

ولما انفصل المجلس سُئِلَ السلطانُ في رَدِّ المرأةِ إلى بيت ابنِ بَرَكوت ، فأجابَ فَقِيلَ إِلَيَّْ أَنَّ بُرْذَبَكَ أَخَذَ مِنْ أَطَاعِهِ ، وَجَلَسُوا على الباب الذي كان موكلاً بها فيه ، ومعهم أَطْبَار^(٢) ، فلم يجسر أَحَدٌ على نَقْلِها . فالويلُ لِأهلِ الأعراضِ مِنْ يومِ الحُشْرِ ، يوم تُظهرُ المخبَّاتُ ، وتُكشَفُ

(١) هو : محمد بن بهادر بن عبد الله المصري الزَّركشي الشافعي ، بدر الدين أبو عبد الله ، ولد سنة ٧٤٥ هـ ، وبرع في عدة فنون : الفقه ، والأصول ، والحديث والأدب ، ومات في سنة ٧٩٤ هـ ، من مصنفاته : « البحر المحيط » في أصول الفقه ، و« الدباج في توضيح المنهاج » في الفقه ، و« شرح جمع الجوامع - للسبكي » .

له ترجمة في : « شذرات الذهب » (٦ / ٣٣٥) ، و« الأعلام » (٦ / ٢٨٦) ، و« معجم المؤلفين » (٩ / ١٢٢ - ١٢١) .

(٢) أَطْبَار : جمع طَبَر ، وهو نوع قديم من السلاح ، يشبه الفأس .

« محيط المحيط » (٢ / ٥٤٩) .

السرائر، وتبرز الضمائر ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(١) وإني والله لأخشى من عموم العذاب لهذه الفعلة التي أبيع فيها الزنا على رؤوس الأشهاد، وقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا، فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾^(٢).

وفي ليلة الخميس سادس عشري ذي الحجة هذا، اجتمعتُ بكتاب السرّ، المحب بن الشُّحْنَة وسألته عن المجلس، فأخبرني بنحو ما تقدّم. فقلت: كيف يكون هذا المجلس بحضوركم؟ كيف يُقال في شيء حَكَمَ به ونَفَذَه القضاة الثلاثة، هذا مُجْمَعٌ عليه؟! أَيْحُلُّ السكوت على هذا؟! وهل صار الإجماع عبارة عن اجتماع أربعة أنفس على شيء مع مخالفة من لا يُخصى لهم؟ ودار بيني وبينه في ذلك كلام كثير، ودفعتُ الشُّبُه التي أبداها بعضُ المعارضين من الشافعية، ففهمتُ منه أنه عالمٌ بجميع ما ذكرته، غير أنه شديدُ الحُتْق على المناوي بخصوصه، مع ما يَنْضُمُّ إلى ذلك من محبة انتصار أهل مذهبه، وعلو أمرهم، فأخبر ما اعتذر به أن قال: لولا انفضل المجلس على هذا الأمر جرت أمور [٣٠٢] فقلت: يئنها؛ ليزول ما عندي. فقال: كان العامة وغيرهم يقولون: إن الفقهاء لا دين لهم؛ لأنهم حكموا بنكاح باطل، واستمروا ساكتين عليه بضع سنين. فقلت أهذا فقط؟! فحيثُتد نظرتهم إلى جانب الناس، وتركتهم ماهو الأقرب إلى رضي الله، فلم يُجب عن ذلك بجواب شافٍ، فقلت: والله إني لأخشى أن يقول الناس هذا؛ لتقرير هذا الأمر، والله إني لأخشى غائلة هذه القضية على الناس عموماً.

وَبُتُّ مهموماً لذلك، شديد الدُعر، فلما أصبح صُبْحُ الخميس

(١) الشعراء / ٢٢٧.

(٢) الإسرائيليات / ١٦.

المذكور وثب الظاهريَّة الجَمْعِيَّة على أَشْرَفِيَّة بَرْسَباي ، فقبضوا على أعيانهم : قَرَقَمَاش أمير سِلَاح ، وجانبك المشد وجانبك الطَّرِيف وهو الدُّوَيْدار الثاني ، وبَرْسَباي خال العزيز وهو رأس نَوْبَةِ النُّوب ، وقَانَم طاز وهو الخَزَندار الثاني وغيرهم ، ثم أمرهم السلطان بإطلاق أمير سِلَاح فأطلقوه فَفَرَّ الباقون واستلأموا ، وذهبوا إلى الأمير الكبير شَرِبَاش وهو مقيمٌ في تَرْبَةِ الملك الظاهر بَرْقُوق لأجل ابْنَةِ ابنته ، فلما أَحَسَّ بالأمرِ اختبأ ، وأمر بإغلاق أبواب التَّربَةِ وهي حصينة ، فلم يزلوا حتَّى فتحوها ، وأزهبوا مَنْ هناك ، فدلُّوا عليه ، فأزكبه هو وابنه ، ودخلوا بها مِنْ باب النَّصْرِ وهم يقولون للناس : ادْعُوا للملك النَّاصِر ^(١) بالنَّصْرِ . وكان منهم : قانصوه صهر نائب الشام ، وَتَمَرَّاز السَّاقِي تلميذ عيسى الغندور ، وَسُنْقَرَقَّ شَبَق الزَّرَّ ذكَّاش ، وَدَهبوا به إلى البيت الذي اعتادوا الرُّكُوبَ مِنْهُ ، وهو الذي كان له بابٌ يُفْتَحُ إلى الرُّمَيْلَةِ فَسَدَهُ الأَشْرَفُ إِيْنال ، وأخذقوا به ، ليجعلوه رأساً لهم ، يقاتلون به ، فبينما هم على ذلك ، ذهب معظمهم إلى بيت ناظِرْ جُدَّة لينهبوه أو إلى غَيْرِهِ ، فذهبت عيونُ الظاهريَّة فأخبروهم ، فنزل منهم فريقٌ ، فتسَوَّروا مِنَ العِمارة التي بناها الأَشْرَفُ في بابهِ الذي كان يُفْتَحُ إلى الرُّمَيْلَةِ ، ثم رَمَوْا على مَنْ داخلِ الحَوْشِ ، فكشفوهم ، فلما انحازوا منهم إلى الجنب دَخَلَ فريقٌ آخرٌ مِنَ الباب ، فناوَشوهم ، فهزموهم ، ثم أَخَذُوهُ وابنه وطلعوا بهم إلى القَلْعَةِ وقتلوا جماعته فانْقَضَ ذلك الجمع ، وَهَرَبَ كُلُّ منهم إلى جهة ، وكان يُظَنُّ بِشَرِبَاش الكراهة لما فُعِلَ بِهِ ، فتبين ما يَدُلُّ على خِلَافِهِ ؛ وذلك أَنَّ

(١) يقصدون الأمير الكبير شَرِبَاش ، وهو لقب استأذه الناصر فرج بَرْقُوق .

أَضْهَارَهُ كُلَّهُمْ أَشْرَفِيَّةٌ وَلَيْسَ مِنْهُم مِّنَ الظَّاهِرِيَّةِ إِلَّا بُرْدَبَكُ الْبَسْمَقْدَارُ ،
وَكَانَ عِنْدَهُ فِي الثُّرْبَةِ ، فَلَمَّا بَلَغَهُمُ الْخَبَرُ قَالَ لَهُ : قُمْ بِنَا إِلَى الْقَلْعَةِ . فَقَالَ :
فِي رِجْلِي وَجَعٌ يَمْنَعُنِي مِنَ الرُّكُوبِ . فَقَالَ لَهُ : أَنَا أَعِينُكَ وَلَوْ أَنِّي أَهْمَكَ
عَلَى عُنْقِي . وَكَانَ بُرْدَبَكُ شَدِيدَ الْأَسْرِ ، قَوِيَّ الْبَدَنِ ، طَوِيلَ الْقَامَةِ ،
قَادِرًا عَلَى أَكْثَرِ مِمَّا قَالَ لَهُ ، مَعَ أَنَّ بُرْدَبَكُ أَيْضًا كَانَ بِرَجْلِهِ وَجَعٌ ، فَلَمْ
يُطْعَمْ ، فَارْتَكَبَ بُرْدَبَكُ ، وَطَلَعَ إِلَى الْقَلْعَةِ ، فَلَمَّا وَقَعَ مَا وَقَعَ . قَالَ لَهُ : لَوْ
وَأَفَقْتَنِي لَاسْتَرَحْتُ [٣٠٣] مِنْ هَذِهِ الْفَضِيحَةِ .

وَلَمْ يُظْهَرْ لَهُ السُّلْطَانُ شَيْئًا ، بَلْ قَالَ : أَنَا أَعْرِفُ أَنَّ هَذَا مَا فُعِلَ إِلَّا
وَأَنْتَ كَارِهِ لَهْ ، ثُمَّ بَاتَ الْأَمْرَاءُ وَالْمُبَاشِرُونَ فِي الْقَلْعَةِ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ يَوْمُ
الْجُمُعَةِ سَابِعَ عَشْرِ الشَّهْرِ قُبِدَ رُؤَسَاءُ الْمَقْبُوضِ عَلَيْهِمْ ، وَهُمْ : جَانِبُكَ
الْمِشْدُ ، وَجَانِبُكَ الظَّرِيفُ ، وَبَيْبَرَسُ ، وَقَاتَمُ طَازُ وَهُوَ الْخَزْنَدَارُ الثَّانِي
وَكُرْتَبَاسُ ، وَبَيْبَرَسُ ، أَحَدُ رُؤُوسِ النُّوبِ ، وَأَبْرِكُ ، وَأَنْزَلُوهُمْ عَلَى الْهَيْئَةِ
الْمُعْتَادَةِ لِمَنْ يُسَجَّنُ فِي إِسْكَانْدَرِيَّةٍ ، وَأَمَّا قَانُصُوهُ ، صِهْرُ نَائِبِ الشَّامِ
فَاسْتَجَارَ بِقَاتَمِ التَّاجِرِ أَمِيرِ مَجْلِسٍ ، فَشَفَعَ لَهُ عِنْدَ السُّلْطَانِ ، وَأَمَّا تَمْرَازُ
وَقَرَقُ شَبَقُ ، وَخَيْرِبَكُ الْبَهْلَوَانُ صِهْرُ شَرِبَاشَ وَغَيْرِهِمْ ، فَإِنَّهُمْ اسْتَخَفُّوا .

وَأَمَّا بُرْدَبَكُ التَّاجِي ، فَكَانَ مُوَكَّلًا بِالْبَيْتِ الَّذِي فِيهِ امْرَأَتُهُ الْمَخْلُوعَةُ بُرْدَبَكُ التَّاجِي
يَحْفَظُهَا مِنْ أَنْ تَذْهَبَ إِلَى صِلَاحِ الدِّينِ ، فَلَمَّا وَقَعَتْ هَذِهِ الْحَرَكَةُ أَمَرَ
غُلَامًا نَهَ بِحِفْظِهَا ، وَاسْتَلَامَ وَذَهَبَ إِلَى الْقَلْعَةِ ، وَلَمَّا سَمِعَتْ الْمَرْأَةُ الْأَخْبَارَ
تَزَيَّتْ بِزِيِّ الْقَوَائِلِ ^(١) وَخَرَجَتْ مُسْتَعْجِلَةً ، فَقَالَ لَهَا غُلَامُهَا : مَا لَكَ ؟
فَقَالَتْ إِنَّهَا تَوَجَّعَتْ لِلنَّفَاسِ وَأَنَا ذَاهِبَةٌ أَحْضِرْ لَهَا مَا يُصْلِحُهَا ؛ فَمَكَّنُوها

(١) الْقَوَائِلُ : جَمْعُ قَائِلَةٍ ، وَهِيَ الْمَرْأَةُ الَّتِي تَسَاعِدُ الْوَالِدَةَ ، تَتَلَقَّى الْوَلَدَ عِنْدَ الْوِلَادَةِ .

« الْمَعْجَمُ الْوَسِيطُ » (٧١٢/٢) .

فذهبت إلى المجالس التي هي معروفة بها عند الخاص والعام ، حتّى لقد
أنشدني كاتبُ السرّ ، المحب بن الشحنة المذكور قال : أنشدني ناظرُ
الجيش الزّين أبو بكر بن مُزهر لبَعْض بنات العَلَم صالح البلّقيني زوج
أمّه على لسان بنت السّيرباي هذه ، تُخاطب الشّرف الفيّومي المذكور :

يا حبيبَ القلبِ يا سيّدي شريف

قم بنا نَسْكُر ونضربُ بالدُّفیف

وإن تكَلَّم ذا الهِندي ذا الخِرا

قم بنا نَصْفَعُ عُنيقَه بالكُفیف

أو قال : بالخفيف . وهي تعني بالهندي زوجها الصّلاح المذكور ؛ إمّا
لأنّ وجهه يُشبه وجوه الهنود ، وإمّا لأنّ أباه بركوت عبدٌ معتوقُ المكين
هندي .

وأما الرّزّدكاش فكانوا شديدي الحقّ عليه ، فذهبوا إلى بيته ،
فناوشهم عنه مماليكه فحرّقوه ونهبوا ما قدروا علّيه منه ، ثم تتبّعوه إلى أن
قبضوا عليه من القِرافة ، وقبضوا على جماعةٍ مستكثرةٍ من الأشرقيّة غير
من تقدّم ^(١) .

ونزل المباشرون بعد عصر يوم الجمعة المذكور ، بعد أن كُتب إلى
الأمراء بسائر البلاد ، من الحجاز وينبُع والشام ، يخبرونهم بهذا الأمر ،
ومنهم نائب الشام ، كتبوا إليه : « أنّ جماعةً من أشرقيّة إنبال انضمّوا إلى

(١) راجع تفصيلات أخرى عن هذه الحوادث في : « حوادث الدهور » (٤١٠ - ٤١١) ،

و« النجوم الزاهرة » (١٦ / ٢٦١ - ٢٦٢) ، و« بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٠٥ - ١٠٦) .

بَعْضِ أَشْرَفِيَّةِ بَرْسَبَايَ ، وَحَسَنُوا لَهُمُ الْفِتْنَةَ فَأَطَاعُوهُمْ فِيهَا فَكَبَّتْنَا فِي الْأَمْرِ
وَأَحْسَنًا فِي تَتَبْعِهِ ، فَلَمَّا صَحَّ عِنْدُنَا قَبْضُنَا عَلَى رُؤُوسِ أَهْلِ الْفِتْنَةِ ، فَلَانَ
وَفَلَانَ ، فَلَتَحَطَّ الْعُلُومُ الْكَرِيمَةُ بِذَلِكَ » . وَنَحْوُ هَذَا مِنَ الْكَلَامِ .

وَقِيلَ : إِنَّهُمْ أَرْسَلُوا إِلَى النَّوَابِ وَالْأَمْرَاءِ بِالْقَبْضِ عَلَى جَانَمِ نَائِبِ الشَّامِ
وَيَمْرَازِ نَائِبِ صَفَدَ .

ثُمَّ إِنَّهُمْ شَفَعُوا فِي خَيْرِ بَكِ الْبَهْلَوَانِ ، فَأُعْطِيَ خَبْرًا فِي طَرَابُلسَ ، وَنُفِيَ
إِلَيْهَا ، ثُمَّ بَلَغْنِي أَنَّهُ لَمَّا وَصَلَ إِلَى غَزَّةٍ قِيدَ وَذَهَبَ بِهِ إِلَى قَلْعَةِ الصُّبَيْيَّةِ ،
فُسْجِنَ بِهَا .

وَأَمَّا يَمْرَازُ ، وَهُوَ صَهْرُ قَرْقَاشِ أَمِيرِ سِلَاحَ ، فَاسْتَمَرَ مُخْتَفِيًا ، وَكَذَا
بَيْرَسِ الطَّوِيلِ وَغَيْرَهُمَا .

وَاسْتَمَرُّوا عِدَّةَ أَيَّامٍ فِي الْقَبْضِ عَلَى مَنْ يَعْرِفُونَ عَنْهُ شَرًّا مِنْ طَائِفَتِي
الْأَشْرَفِيَّةِ وَمَنْ وَالَاهُمْ ، فَتَقَوْا بَعْضًا ، وَسَجَنُوا بَعْضًا ، وَغَرَّقُوا ^(١) كَثِيرًا ،
وَكَنتُ فِي شَكٍّ مِنَ التَّغْرِيقِ إِلَى أَنْ أَخْبَرَنِي مَنْ لَمْ أَشْكُ فِي صِدْقِهِ مِنَ
الْمَسَافِرِينَ فِي الْبَحْرِ أَنَّهُ رَأَى عَلَى الشَّطْوَطِ أَرْبَعَةَ مُقَرَّنِينَ فِي حَبْلِ غَرْقِي
وِثْلَاثَةٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَأَخْبَرَهُ غَيْرَهُ أَنَّهُمْ رَأَوْا كَثِيرًا .

وَأَخْبَرَنِي كَاتِبُ السَّرِّ أَنَّهُ نُفِيَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ إِلَى الْغَرْبِ ، وَجَمَاعَةٌ إِلَى
الْوَحِ ^(١) ، هَذَا مَا وَقَعَ فِي ثَالِثِ ذَلِكَ الْيَوْمِ .

(١) الواح : مفرد (الواحات) وهي خَطَّةٌ فِي غَرْبِ بِلَادِ مِصْرَ ، بَيْنَ مِصْرَ وَالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ وَالصَّعِيدِ
وَالنُّوبَةِ وَالْحَبِشَةِ ، بَعْضُهَا دَاخِلُ بَعْضٍ ، وَهِيَ عَلَى قِسْمَيْنِ ، وَاحِدَاتٌ دَاخِلَةٌ وَوَاحِدَاتٌ خَارِجَةٌ ، وَجَمَلَتُهَا
أَرْبَعُ وَاحِدَاتٍ ، كَثِيرَةُ التَّمْرِ وَالنَّخْلِ ، وَفِيهَا أَرْضٌ شَبِيهَةٌ زَوَاجِيَّةٌ ، وَعَيُونٌ حَامِضَةٌ تُسْتَعْمَلُ كَاسْتِعْمَالِ
الْخَلِّ ، وَعَيُونٌ مُخْتَلِفَةٌ بَيْنَ مَرٍّ وَحَامِضٍ وَحَرِيفٍ وَمِلْحٍ ، وَلِكُلِّ مِنْهَا مَنَفْعَةٌ وَخَاصِيَّةٌ .
رَاجِعْ « مَعْجَمُ الْبِلْدَانِ » (٥ / ٣٤١ - ٣٤٢) ، وَ« خَطُّ الْمَقْرِيزِيِّ » (١ / ٢٣٤) ، وَ« الْخَطُّطُ
التَّوْفِيقِيَّةُ » (٢٩ / ١٧) .

ثم لم تمض السَّنةُ وأَحَدٌ مِنْ رُؤُوسِ الْمُتَعَرِّضِينَ بِخَيْرٍ ، أَمَّا ابْنُ الدَّيْرِي
فَعَزَلَ مِنَ الْقَضَاءِ ، وَأَمَّا كَاتِبُ السَّرِّ فَعَزَلَ عَنْ كِتَابَةِ السَّرِّ وَأَخَذَ مِنْهُ مَالٌ
كَثِيرٌ ظُلْمًا ، وَزُلْزِلَ زَلْزَالًا شَدِيدًا ، وَأَمَّا الشَّيْخُ أَمِينُ الدِّينِ ، فَإِنَّهُ طَلَعَ إِلَى
السُّلْطَانِ فِي أَمْرِ ابْنِ الْقَايَاتِي فَأَغْلَظَ لَهُ السُّلْطَانُ ، ثُمَّ رُجِمَ وَهُوَ خَارِجٌ
مِنْ بَابِ الْقَلْعَةِ ، فَلَمْ يَقْلَتْ إِلَّا بِالْجَهْدِ ، وَسَيَّأَتِي كُلُّ ذَلِكَ مُفَصَّلًا فِي
مَجَالِهِ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ .

وفي يوم الاثنين ، سلخ ذي الحجة سنة خمس وستين وثمانمائة ، خُلِعَ
على الأمير تَمْرُبُغَا الظَاهِرِي ، بَأَنَّهُ رَأْسُ نَوْبَةِ النُّوبِ ، وَعَلَى جَانِبِكَ كُوْهِيَّةٌ ،
الْمُؤَيَّدِي بِأَنَّهُ الدَّوْيَدَارُ الثَّانِي مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ فِي إِقْطَاعِهِ (١) .

جعل تمربغا
رأس نوبة

وفي هذا الحد ، أُعِيدَ إِلَى الْحُسَامِ بْنِ بُرَيْطَعِ الْحَنْفِيِّ الْمُدْرِسَتَانِ اللَّتَانِ
كَانَ أَخَذَ الْعِلَاءُ بْنُ قَاضِي عَجَلُونَ ، قَاضِي الْحَنْفِيَّةِ بَدْمَشَقَ نَظَرَهُمَا
وَتَدْرِيْسَهُمَا عَنْهُ .

يليه القسم الرابع
إن شاء الله تعالى

(١) راجع الخبر في : « النجوم الزاهرة » (١٦ / ٢٦٣) ، و« بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر)

(١٠٦ - ١٠٧) .

الفهارس العامة

- ١ - فهرس الآيات القرآنية
- ٢ - فهرس الأحاديث
- ٣ - فهرس القوافي
- ٤ - فهرس الأعلام
- ٥ - فهرس الفرق والطوائف والأئمة والقبائل
- ٦ - فهرس الأماكن والمواضع والبلدان
- ٧ - فهرس المصطلحات الإدارية والعسكرية
- ٨ - فهرس المصطلحات الفنية
- ٩ - فهرس الغزوات
- ١٠ - فهرس أسماء الكتب
- ١١ - فهرس مصادر ومراجع التحقيق
- ١٢ - فهرس الموضوعات

١ . فهرس الآيات القرآنية

السورة رقمها	الآية	رقمها الصفحة
البقرة ٢	﴿ وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾	٢٥١ ٢١٩
البقرة ٢	﴿ وَمَنْ رَضَوْا مِنْ الشَّهَادَةِ ﴾	٢٨٢ ٣٧٤
النساء ٤	﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾	٧٦ ٤١
النساء ٤	﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ﴾	١٧٦ ٥٥
الأنعام ٦	﴿ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾	٢٦ ٢٩
الأنعام ٦	﴿ وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعُضِّ الظَّالِمِينَ بَعْضًا ﴾	١٢٩ ٣٣٥
الأنعام ٦	﴿ وَجَمَلُوا إِلَهِمْ فَرَأَوْهُ الْحَزَنُ وَالْأَنَامُ نَصِيبٌ ﴾	١٣٦ ٢١
الأنعام ٦	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾	١٤٤ ٢١
الأعراف ٧	﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ ﴾	٣٤ ٢١٦
الأعراف ٧	﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفََكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾	١٢٩ ٥٦
الأعراف ٧	﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ ﴾	١٣٣ ٥٥
الأعراف ٧	﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي النَّارِ لَمْ يَلْقَ صَوْلًا ﴾	٢٠٢، ٢٨، ٧٦

السورة	رقمها	الآية	رقمها	الصفحة
الأنفال ٨	﴿ ٢٥ ﴾	وَأَنْقَرُوا فَنَنْزِلُ السَّمَاءَ الْهَيْكَلَ	٢٥	٨٧
الأنفال ٨	﴿ ٢٩ ﴾	وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ	٢٩	٨٧
الأنفال ٨	﴿ ٣٠ ﴾	وَأَذِيعْكَ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا	٣٠	٨٧
الأنفال ٨	﴿ ٣٥ ﴾	فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ	٣٥	٨٧
الأنفال ٨	﴿ ٣٦ ﴾	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ	٣٦	٨٩ -
الأنفال ٨	﴿ ٣٦ ﴾	ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ ثُمَّ يَغْلِبُونَ	٣٦	٨٩
الأنفال ٨	﴿ ٤٠ ﴾	يَسْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ	٤٠	٨٩
الأنفال ٨	﴿ ٤٥ ﴾	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا الْفِتْنَةُ فَكَأَنَّهُمْ لَا مُصْرَبَ لَكُمْ	٤٥	٨٩
الأنفال ٨	﴿ ٥١ ﴾	وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرَ	٥١	٨٩
التوبة ٩	﴿ ١٧ ﴾	مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ	١٧	١٥٧
التوبة ٩	﴿ ١٨ ﴾	إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ	١٨	٢٥٥
التوبة ٩	﴿ ١٨ ﴾	وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ	١٨	٢٥٥
التوبة ٩	﴿ ١٩ ﴾	أَجَعَلْتُمْ سِقَاةَ الْحَاجِّ وَبَنَاءَ الْمَسْجِدِ لِلزَّكَاةِ كَمَا آمَنَ بِاللَّهِ	١٩	٢٥٥
التوبة ٩	﴿ ١٩ ﴾	وَالْيَوْمِ الْآخِرِ	١٩	٢٥٥
التوبة ٩	﴿ ١٩ ﴾	وَجَهَنَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ	١٩	٢٥٥

السورة رقمها	الآية	رقمها	الصفحة
التوبة ٩	﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُشْعِرَهُ ﴾	٣٢	٩٦
التوبة ٩	﴿ لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى ﴾	٩١	١٢٦
هود ١١	﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ﴾	١٠٢	٢٩٣
هود ١١	﴿ وَإِنَّا لَمَوَدُّهُمْ نَصِيبُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ ﴾	١٠٩	٢٩٣
هود ١١	﴿ وَمَا رُبَّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَصْمَلُونَ ﴾	١٢٣	٢٩٤
يوسف ١٢	﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ ﴾	٤٣	٣٥٥
يوسف ١٢	﴿ فِيهِ يَغَاتُ الْتَّاسُ وَفِيهِ يَمْصَرُونَ ﴾	٤٩	٣٥٥
يوسف ١٢	﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَنْتَنِي بِهَؤُلَاءِ ﴾	٥٠	٣٥٥
يوسف ١٢	﴿ وَلَا تَجْرُ الْأَخِرَةَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَنْقُرُونَ ﴾	٥٧	٣٥٥
يوسف ١٢	﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴾	٨٩	١٣٤
إبراهيم ١٤	﴿ لَقَدْ كُنَّا لِلظَّالِمِينَ * وَلَنَسُكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ * مِن بَعْدِهِمْ * ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدَ *	١٣ - ١٤	٥٦
النحل ١٦	﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ كَاتِبًا * فَاتَّبَعْنَاهُ عِزًّا وَرَوَيْنَا عَنْ شِرْكِهِ * ١٢٠ - ١٢١ *		
الإسراء ١٧	﴿ وَإِذْ أَرَدْنَا أَنْ نُبْلِكَ قَرْيَةً أَمْرًا مَّرْفُوعًا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾	١٦	٣٧٧
النور ٢٤	﴿ فِي بُيُوتٍ إِذْنُ اللَّهِ مَرْفُوعٌ ﴾	٣٦	٢٥٥
الفرقان ٢٥	﴿ يَنْتَقِلُنَّ لَيْسَ لَهُمُ الْاِخْتِذَالُ فَلَا تَحْزَنْ لَآخِلِيكَ ﴾	٢٨	٣١٧

السورة	رقمها	الآية	رقمها	الصفحة
الشعراء	٢٦	﴿ وَسِعِلُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾	٢٢٧	٣٧٧
لقمان	٣١	﴿ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ﴾	١٧	٢٢٩
الزمر	٣٩	﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾	٢٣	٩٨
الحجرات	٤٩	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَتَىٰ فَيَأْتِيَنَا فَنُحَكِّمُكُمْ فِيهَا وَلَكُمْ فِيهَا حُكْمٌ ﴾	٦	٣٧٤-٢٩
الطلاق	٦٥	﴿ وَأَشْهَدُوا ذَنبِي عَذَّبْتُكُمْ ﴾	٢	٣٧٤
الشمس	٩١	﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَّاهَا ﴾	٩	٥٧
العصر	١٠٣	﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَشِيرٌ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾	٣، ٢، ١	٢٢٩

٢ - فهرس الأحاديث النبوية

الراوي	الحديث	الصفحة
أبو هريرة	- إذا أحب الله عبداً نادى جبريل : إنَّ الله يحب فلاناً ؛ فأحبه ..	٢٢٨
أبي طلحة	- إن الملائكة لا تحضر بيتاً فيه كلب ولا صورة	١٦٧
مصعب بن سعد	- إنما تُرْزَقُونَ وتُنْصَرُونَ بِضُعْفَائِكُمْ	٢٨٦
اليمان	- لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم	٢٨٦
جابر بن عبد الله	- ماء زمزم لما شُرب له	١٢٤
ابن عباس	- ماء زمزم لما شرب له فإن شربته تستشفى به شفاك الله	١٢٤
مصعب بن سعد	- هل تنصروهن وترزقون إلا بضعفائكم	٢٨٦
ابن عباس	- واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب	٢٢٩

٣ - فهرس القوافي

القفافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
سود	السريع	-	٩	٣٨
المجدد	الطويل	المحب ابن الشحنة	٥	٢٣٣
ومؤيد	الكامل	البقاعي	٢	٢٤٩
بقيصرا	الطويل	امرىء القيس	٢	١٧٩ ، ١٠٤
الظاهر	الكامل	البقاعي	٢	٢٤٩
ممرض	المتقارب	-	٨	٣٦ - ٣٥
بالدفيف	الرمل	إحدى بنات العلم صالح البلقينى	٢	٣٨٠
حقا	المجث	المحب ابن الشحنة	٢	٢١٨
المعدلة	السريع	-	١١	١٩١
بغرامى	الكامل	البقاعي	٤	١١٩
أودى	الطويل	البقاعي	٣	١١٨
يسعى	الخفيف	-	١	٢٩

٤ . فهرس الأعلام

(أ)

- أبا سنجر : ١٩٥
أبا عبد القادر : ٦
إبراهيم بن أحمد بن عثمان بن علي ، البرهان الشافعي الموقع : ٢١١
إبراهيم (أخو الشرف الأنصاري) : ٣١٥
إبراهيم (أخو كمال الدين محمد بن أبي شريف القدسي) ،
البرهان : ٢٠٤
إبراهيم الجبرقي : ٧٠
إبراهيم بن البدر حسن بيم المزلق (ناظر جيش دمشق) : ٢٤٥
إبراهيم بن خطيب القدس : ٣٦٠
إبراهيم بن الخطيب جمال الدين عبد الله بن جماعة ، القدسي
الشافعي : ٢٠٤
إبراهيم بن عبد الغني بن الجيعان القبطي : ١٥٧ ، ١٥٦ ، ١٠٩
إبراهيم بن عبد الله بن عبد المنعم بن علي بن أبي الدم ، الشهاب أبو
إسحاق : ٣١
إبراهيم بن علي بن أحمد بن محمد ، البرهان الأبناسي : ٢٨٣
إبراهيم بن علي بن عمر ، البرهان الأنصاري المتبولي : ١٩٤
إبراهيم بن قرمان : ٢٥٧

- إبراهيم بن محب الدين بن الأشقر : ٥٣
- إبراهيم بن غراب (القاضي الأمير سعد الدين) : ٤٥
- إبراهيم بن محمد بن عثمان بن سليمان بن الأشقر الحنفى : ٤٩
- إبراهيم بن الناصر محمد القدسي البرهان : ٢٧٠
- إبراهيم بن محمد بن محمد بن عمر بن محمود ، السعد بن المحب الحنفى : ١٦٣
- إبراهيم بن محمد بن محمد بن عمر بن يوسف ، البرهان اللقاني المالكي : ٣١٥
- إبراهيم بن الشيخ محيي الدين (شيخ الطائفة الرفاعية) : ١٦
- إبراهيم بن منجك ، الأمير العوني الغيائي الهمامي الصارمي : ٢٦٣
- أبرك : ٣٧٩
- الأبشيهي (نائب القاضي الشافعي) : ٦٧
- الأبناسي = إبراهيم بن علي بن أحمد بن محمد ، البرهان ابن ابن قاضي عجلون (قاضي الحنفية بدمشق) : ٢٦٤
- ابن أبي بكر بن مزهر : ١٥١
- ابن أبي حنيفة (حميد الدين قاضي بغداد) : ٢٣٥ ، ٢٣٨ ، ٢٥٠ ، ٣٢٤ ، ٢٥٣
- ابن أبي الدم = إبراهيم بن عبد الله بن عبد المنعم بن علي ، الشهاب أبو إسحاق ابن أبي السعود : ١٩٠
- ابن أبي شريف البرهان : ٣٣٩
- ابن أبي شريف ، الكمال : ١١٣ ، ١٦٤ ، ٢٠٤ ، ٢٣٢ ، ٢٧٠ ، ٣٢٦ ، ٣٠١
- ابن أبي غازي بن مشاق : ٢٦٧ ، ٣٥٤

ابن أبي الفرج ، ناصر الدين : ٢٧٩

ابن أبي المكارم = الشرف محمد بن محمد بن قاسم بن عبد الله
المالكي : ١٤١

ابن أخت الشيخ مدين : ٣٢٦

ابن الأربلي (جمال الدين الشاهد) : ٩٤ ، ٩٥

ابن أسنبغا الطياري : ١٣٠ ، ١٥١

ابن الأسود = محمد : ٩٠

ابن الأشقر = إبراهيم بن محمد بن عثمان بن سليمان ، السعد بن المحب
الحنفي : ٤٩

ابن الأشقر = أحمد بن محمد بن عثمان بن سليمان ، الشهاب بن المحب
الحنفي : ٥٣

ابن الأشقر = محمد بن عثمان بن سليمان بن رسول : ٤٦ ، ٥٣ ، ٩٢

ابن الأشقر = معين الدين عبد اللطيف ، سبط بن العجمي : ٦٨ ، ٧٠

ابن أصيل = محمد بن محمد بن عثمان الشرف الإسماعيلي الأصيلي : ١٢٠

ابن أصيل الناصر : ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٤٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٣١٢

ابن أقبرس = يحيى بن النور : ١٨٨

ابن الأقساسي = غعمر بن قاسم : ٦٩ ، ١٦٩

ابن الأقساسي = قاسم : ٦٩

ابن الأقساسي (المخلع) : ١٦ ، ٥٨

ابن الأقصرائي (الشيخ أمين الدين) : ٩٦

ابن الأقصرائي = محب الدين محمد

ابن امرأة الفيسي ، علاء الدين المحتسب : ١٦ ، ٦٧

ابن الأهناسي = علي بن الحاج محمد : ٦٠ ، ٦٨ ، ٧١ ، ١٠٤ ،
١٠٥ ، ١٦٠ ، ٢٠٧ ، ٣٣٦

ابن الأهناسي = محمد بن أبي بكر بن محمد بن حسين الشمس
الوزير : ١٠٥

ابن أوحده (ناظر الخانكة) : ٩١ ، ٩٢

ابن أيوب التركماني (نائب القدس والخليل) : ١٣ ، ٥٩

ابن البارزي = عبد الرحيم : ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٣٢٥

ابن البامي (الشمس) : ٩٦

ابن البقري (الشرف) : ٢٢٨ ، ٢٧٤

ابن بنت خوند : ٣٢٣

ابن بردبك : ٢٩٨ ، ٣٢٣

ابن برقوق = الملك الناصر فرج : ٣١

ابن بركوت = أمير حاج الصلاح المكي : ٨٥ ، ١٣٢ ، ١٨٨ ،

٣٦٩ ، ٣٧١ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦

ابن بريطع (الحسام محمد بن العماد الغزي بن حريز ، قاضي المالكية

بالقاهرة) : ٢٣٥ ، ٢٥٣ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٨٢

ابن بريطع = الجلال محمد بن الحسام محمد بن العماد الغزي : ٣٦٨

ابن بشارة : ١٣٧

ابن بشكوال : ٦١

ابن البطخاسي = ناظر الجيش بصفد : ١٦٣

ابن بهادر (تاج الدين) : ٢٥٩

ابن البوشي (بدر الدين) : ١٦

ابن تاج الدين بن الديري : ٣٣٧

- ابن تقي الدين البلقيني : ٣٢٩
- ابن التنسي (بدر الدين) : ٦٤
- ابن جبارة (خليل) : ١٢٩
- ابن جريوات : ٢٣٦
- ابن الجزري : ١٠٨
- ابن جماعة = البرهان إبراهيم : ٢٠٤ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ،
٣٣٩ ، ٣٤١ ، ٣٦٢
- ابن جماعة = محمد بن إبراهيم : ٣٦٢
- ابن الجيعان = إبراهيم بن عبد الغني القبطي : ١٠٩ ، ١٥٦ ، ٣٢٤
- ابن الجيوسي (شيخ بعض جبل نابلس) : ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٥٤
- ابن الحاجب = الجمال أبو عمر وعثمان بن عمر : ١٩٦
- ابن حامد الشمس : ٢١٣
- ابن الحجازي = عبد القادر بن محمد بن محمد بن أحمد بن أحمد : ٢٩١
- ابن حجر = أحمد بن علي بن محمد : ٥٣ ، ١٤٠ ، ١٩٧ ، ٣٥١ ، ٣٦٠
- ابن حجي = يحيى بن محمد بن عمر ، البهاء الحسباني : ٨ ، ٩ ، ٧٤ ،
٣٤٤ ، ٣٤٥
- ابن حريز = الحسام بن بريطع ، قاضي المالكية بالقاهرة : ١٦ ، ١٥٨ ،
١٩٢ ، ٢٢٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٣٣٠
- ابن حمادة : ٢٣٩
- ابن الحمصي = أبو الوفاء شمس الدين محمد : ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٩
- ابن الخشاب = محمد بن أحمد بن إبراهيم المخزومي الشافعي : ٦٣
- ابن خصبك = علي بن خليل : ٧ ، ٢٩٢ ، ٣٢٣
- ابن خطيب قرطيا : ٩

ابن خطيب القدس : إبراهيم : ٣٦٠
ابن خليفة = محمد بن عبد الرحمن المدعو خليفة بن مسعود الشمس
الملكي : ٣٤٠ ، ٣٤١
ابن خليل = عبد الرحمن بن خليل بن سلامة الأذري القابوني : ٣٤
ابن خيرة = الشمس محمد الأسيوطي : ٣٦٧
ابن دنكربغا = الناصر محمد بن محمد الحافظي : ١٧٢
ابن الديري (البرهان) : ٥٧ ، ٩٤ ، ١٢٨ ، ١٤٨
ابن الديري (السعد) : ٤٦ ، ٤٧ ، ٨٦ ، ٢٠٩ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٣٠٩
ابن الديري (الشمس) : ١٧١
ابن الديري = عبد الوهاب بن السعد : ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٨٢
ابن الديري = محمود بن إبراهيم : ٢٧٤
ابن الديري (ناصر الدين بن التاج) : ٣٧٠
ابن دويم = الفخر أبو بكر بن علي بن محمد التاجر : ١٩٧
ابن الرازي = محمد بن يوسف بن محمد ، الشمس الحنفي : ٨٠
ابن رسلان : ٢٩٢
ابن الزمن = الخواجا شمس الدين محمد :
ابن سالم = محمد بن علي بن سالم بن معالي : ١٣٣
ابن السائح (العلاء) : ٣٣٧
ابن السلطان = المقام الشهابي أحمد
ابن سلمون : ٩٤
ابن سند = محمد بن موسى بن محمد اللخمي الشافعي : ١١٦
ابن سودون (شخص بريدي) : ٨ ، ٩

ابن سيد الناس : ١١٦

ابن سينا = الحسين بن عبد الله بن الحسن ، الشيخ الرئيس : ٤٤

ابن شبل (شبلي ناصر الدين المحتسب) : ١٥٤ ، ٢٦١

ابن الشحّام = بدر الدين محمد : ١٧٧ ، ١٧٨

ابن الشحنة = أحمد بن محمد بن محمد . . لسان الدين بن أثير الدين :
٧٠ ، ٢٣٤

ابن الشحنة = عبد البر بن محمد بن محمد بن محمد بن محمود :
١٦٠ ، ٢٣٤ ، ٢٥٥

ابن الشحنة (أثير الدين محمد ، قاضي الحنفية بحلب) : ١٣٨ ،
١٧٣ ، ١٧٨

ابن الشحنة = محمود بن المحبي محمد : ١١٧

ابن الشحنة (محب الدين أبو المعالي ، كاتب السر) : ٤١ ، ٤٦ ، ٥١ ،
٥٨ ، ٦٠ ، ٧٠ ، ٩٤ ، ٩٧ ، ١٢٨ ، ١٣٢ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ،
١٦٤ ، ١٧١ ، ٢٠٣ ، ٢١٠ ، ٢١٨ ، ٢٣٣ ، ٢٤١ ، ٢٥٠ ،
٢٥٤ ، ٢٥٨ ، ٣٣٠ ، ٣٤٧ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٧ ، ٣٨٠

ابن شرباش : ٢٩٨

ابن شعبان = زين الدين عبد القادر ، أمير العرب : ٢٠٧ ، ٢١٨ ،
٢٣٨ ، ٣١٣ ، ٣١٤

ابن الشاع = محمد بن محمد بن علي الشافعي الصوفي : ٨٨

ابن الشمس (الديري سعد الدين) : ٣٦٠

ابن شهري (شاه منصور) : ٥٨ ، ٥٩

ابن شيخ المصطبة : ٣٩

ابن الصابوني التاجر : ٥٠

ابن الصواف = القاضي البدر الحسن بن علي بن محمد بن أحمد الحنفي
الحموي : ١٦٠

ابن الصوفي = علي : ٣٤٢

ابن الطرابلسي = القاضي الكمال عبد الرحيم بن القاضي
معين الدين : ٢٠٧

ابن الطماوي (من المفسدين في الشرقية) : ٥١

ابن عبد القادر (إسماعيل ، شيخ جبل نابلس) : ٢٦١ ، ٣٣٦

ابن عبد القادر (جلال الدين) : ١٤

ابن عبد الحميد : ٣١٦

ابن عبية = أحمد بن محمد بن محمد بن عبية الشهابي الشافعي : ١٢

ابن عثمان (السلطان) : ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٥٠ ، ١٩٣ ، ٢٣١ ،
٢٥٧ ، ٣١٠ ، ٣٥٧ ، ٣٣٥

ابن السيد عجلان : ٩٤

ابن العجمي (المحتسب) : ١٧١

ابن العجمي = الأوحى محمد بن الشهاب البلقيني : ٣٦٦

ابن عرب شاه = التاج محمد بن الشهاب أحمد الحنفي : ١٣٨

ابن عربي = محمد بن علي بن محمد محيي الدين الطائفي المرسي : ٦١ ،
٨٨ ، ٢٠٣ ، ٢٥٧ ، ٣٤٠

ابن عنقود : ٣٩

ابن العوني : ٢٧٠

ابن العيني : ١٢٧

ابن غريب (زعيم عرب هواره) : ١١٣ ، ١٤٦ ، ١٤٩

ابن عز الدين تقي الدين : ٢٣٩

- ابن غزي (ناصر الدين الغزي) : ٢٥٨ ، ٢٥٦
- ابن الغنام (فخر الدين القبطي ، ناظر المواريث) : ٢٤٥
- ابن الفاوى = علي الجوهري : ٥٤
- ابن الفتاح : ١٨
- ابن الفيسي : ٢٠٤
- ابن القاسم (محمد بن أبي المكارم) : ٣٦٦ ، ٣٦٧
- ابن قاضي أذرعات : ١٠٦
- ابن قاضي بعلبك (العلاء علي بن أبي بكر) : ١٧١ ، ١٧٢ ، ٢١٨
- ابن قاضي بغداد (حميد الدين بن أبي حنيفة) : ٢٣٥
- ابن قاضي شهبة = البدر محمد بن أبي بكر بن أحمد : ١٩٨
- ابن قاضي عجلون (البرهان ، أحد نواب الشافعية بدمشق) : ١٨
- ابن قاضي عجلون = زين الدين عبد الرحمن ، أخو النجم : ١٠
- ابن قاضي عجلون = ولي الدين عبد الله بن الزين عبد الرحمن بن محمد بن محمد الزرعي : ٩٤ ، ٢٥٩
- ابن قاضي عجلون العلاء علي (قاضي الحنفية بدمشق) : ١٣٨ ، ٢٣٥ ، ٢٥٠ ، ٢٥٣ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣٢٢ ، ٣٢٩ ، ٣٦٨ ، ٣٨٢ .
- ابن قاضي عجلون (نجم الدين محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الشافعي) : ٧٥ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٤٨ ، ١٦٥ ، ١٧٣ ، ١٧٨ ، ٢٢٨ ، ٢٧٠ ، ٣٠٨
- ابن قزالوك (حسن بك) : ٥٣ ، ٣٥٧ ، ٣٦٥
- ابن قرقين (العلاء علي بن أبي بكر) : ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٧١ ، ٢١٨
- ابن قرمان (إبراهيم) : ٢٥٧ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٥٧ ، ٣٦٥

ابن القطان = محمد بن محمد بن محمد بن علي البدر

ابن القف (القاضي بدر الدين) : ١١ ، ١٥٩ ، ٢٠٣ ، ٢١٣

ابن قلاوون = الملك الناصر محمد : ١٩ ، ٨٤

ابن قليب (شهاب الدين إستاندار السلطان) : ١٥٠ ، ١٦٤

ابن كاتب جكم = الجمال يوسف

ابن الكبير : ٣٦٦

ابن الكويز = الزيني عبد الرحمن ناظر الخصاص : ٤٧ ، ٥١ ، ٥٧ ،

٥٨ ، ٦٥ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٦ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ١٦٣ ، ١٩٧ ، ٢٠٥ ،

٢٤٨ ، ٣١٣ ، ٣٢٤

ابن مبارك = محمد بن الأمير مبارك : ٢٦١ ، ٢٦٣

ابن متروك (أمير حارثة) : ٢٦١

ابن المحلي = البدر محمد بن الشهاب أحمد قاضي إسكندرية : ٣٣٤ ،

٣٣٥

ابن المخلع : ١٧

ابن المرجوشي = حسن بن علي التاجر : ٢٥٦

ابن المرخم = الشمس محمد بن علي بن محمد بن قاسم الشافعي : ٩٦ ،

٣١٢

ابن المزلق = البدر حسن بن الشمس محمد ، ناظر جيش الشام : ٢٢ ،

١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ٢١٧ ، ٢٤٥ ، ٣١٠

ابن مزهر (أبو بكر الزين ناظر جيش مصر) : ٩ ، ٣٠ ، ٥١ ، ٥٧ ،

٥٨ ، ١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٤٨ ، ١٥١ ، ١٥٥ ، ١٦٥ ، ١٨٩ ،

٢٢٢ ، ٢٤١ ، ٢٥٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٨٠

ابن مزهر (التقي) : ٩٣ ، ٣٣٠

ابن مشاق خليل بن أبي غازي = شيخ جبل نابلس : ٢٦١ ،
٣٢٧ ، ٢٧٦

ابن المصري = تغري برمش بن أحمد : ٣٧٢

ابن مصطفى = عبد القادر : ٨ ، ٧ ، ٥

ابن معزى = الشريف دراج : ١٥

ابن معلاق الرملي = العزيز عبد العزيز ناظر القدس : ٣١٠ ،
٣٣٧ ، ٣٣٤

ابن المغير = أبو بكر ، أحد فلاحي الأمير الكبير : ٢٣

ابن مفلح (شرف الدين) : ١٣٩ ، ١٤٩

ابن مفلح = العلاء علي الدمشقي قاضي الحنابلة بدمشق : ١٥ ،
٢٠١ ، ١٩٢

ابن المقسي (تاج الدين) ٥

ابن الملطي (حاجب غزة) : ١٣

ابن الملقن = السراج عمر بن علي الأنصاري : ١١٦

ابن ملك قبرس : ١٣٠

ابن منجك = إبراهيم العوفي الغياثي : ٢٦٣

ابن موفق (الشهاب) : ٢٣٢ ، ٢٣٣

ابن نفيس = علي بن أبي الحزم القرشي الدمشقي المصري الشافعي : ٤٣

ابن النقيب = علي بن قرين : ٢١٨

ابن هجان = عساف : ١٥

ابن الهكاري : ١٤

ابن الهمام = الناصر محمد : ٣٤٠ ، ٣٤٩

ابن هوازن (أحد أكابر العربان) : ٢٠٨
 ابن الهيصم : ٩٣
 ابن يشبك الفقيه : ٢٥٠
 ابن عيسى المغربي الغندور : ٣١٥
 ابنة كاتب السر المحب بن الشحنة : ٢٥٠
 أبو البركات (من أعيان نواب الشافعية) : ٥١
 أبو بكر شمس الدين بن الحمصي : ١٣٨
 أبو بكر (في خدمة بردبك) : ١٩٨ ، ١٩٩
 أبو بكر بن داود القادري الصوفي : ٢٦٢
 أبو بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن ، التقي بن الولي بن الزين بن قاضي
 عجلون : ٢٦٠
 أبو بكر بن علي التاجر بن دويم : ١٩٧
 أبو بكر بن علي بن الفاوي الجوهري : ٥٤
 أبو بكر شرف الدين بن القاضي ضياء الدين محمد بن عمر الحلبي
 الشافعي : ٧١
 أبو بكر بن شمس الدين محمد بن الحلبي : ١٢٧
 أبو بكر بن مزهر : ١٢٩ ، ٣٤٣ ، ٣٥٢
 أبو بكر بن المغير (أحد فلاحى الأمير الكبير) : ٢٣
 أبو الجود البني المالكى : ٢١
 أبو حامد القدسي (أحد نواب الشافعية) : ٣٦٩
 أبو حفص (مغامر أندلسي) : ١٧٤
 أبو الخير النحاس : ٦ ، ١٨ ، ٤١ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ،
 ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ١٥٥

أبو زيد = محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد المروزي الفاشاني : ٣١
 أبو السعادات = محمد بن التاج البلقيني : ١٦١ ، ١٦٩ ، ١٨٩ ،
 ١٩٠ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ٢٠٧ ، ٣٣٠
 أبو السعود ابن الشيخ أمين الدين يحيى الأقصرائي الحنفي : ١٣٧
 أبو العباس (النحاس) : ٦٣
 أبو العباس الوفائي (شاد العماثر) : ٦٢ ، ٩٩
 أبو فارس = عبد العزيز بن أحمد بن محمد بن أبي بكر الهنتاتي ملك
 المغرب : ٨٣
 أبو الفتح = المقام الشهابي أحمد بن السلطان إينال : ٢٤٩
 أبو الفضل بن أبي الفضل = النويري خطيب مكة المكرمة : ١٣٦
 أبو الفضل المغربي البجائي المشدالي : ٤٣ ، ١٤٢ ، ١٧٦
 أبو الفضل النويري : ١٣٩
 أبو الفقراء = الملك المؤيد أحمد بن إينال : ٢١٢
 أبو اللطف = أحمد بن إبراهيم بن عمر البقاعي : ٤٢ ، ١٢٣
 أبو محمد = أمير علي : ١٩
 أبو الوفاء بن أبي الوفاء : ٣٥٩
 أبو الوفاء = الشمس محمد الحمصي الشافعي قاضي غزة : ١٣٨ ، ١٤٩
 أبو اليسر = محمد بن إبراهيم البقاعي : ١١٨ ، ١٢٧
 أبي بكر بن عبد الباسط : ٣٤٤
 أبي بكر = الزين بن مزهر : ٩ ، ٥١ ، ٥٧ ، ١٢٩
 أبي حامد القدسي : ٣٦٧
 أبي الخير الزفتاوي : ٥

أبي الخير النحاس : ٧٣ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ١٢٨
أبي السعادات = خشقدم : ٢٨٨
أبي الفتح = الملك المؤيد أحمد : ٣١٢
أبي الفضل (المغربي البجائي المشدالي) : ٩ ، ١٧٨
أبي الفضل (النويري خطيب مكة المكرمة) : ٥٠
أبي الوفاء (شمس الدين الحمصي) : ٣٦٨
أحمد بن إبراهيم المعروف براجح بن عبد الرحيم : ١٦
أحمد بن إبراهيم بن عمر البقاعي أبو اللطف : ١٢٧
أحمد الثاني بن إبراهيم بن عمر البقاعي : ٣٥٥
أحمد بن إبراهيم بن نصر الله العسقلاني العزقاضي الحنابلة : ١٠
أحمد بن الإخميمي (إمام السلطان) : ٦٢
أحمد بن إينال ، المقام الشهابي ، الأمير الكبير ، الملك : ١٣ ، ٢٣ ،
٧٤ ، ٨٠ ، ١٢٧ ، ١٤٣ ، ١٤٩ ، ١٩٦ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ،
٢٣٣ ، ٢٨٢ ، ٢٩٣ ، ٣٥٣
أحمد البدوي : ٢٠٠ ، ٢٠٨ ، ٢٧٦
أحمد بن التاج المصري (الموقع في دمشق) : ١٦٣
أحمد الولي بن التقي محمد بن البدر محمد بن السراج عمر البلقيني :
١٥٦ ، ٣٢٩ ، ٣٥٠
أحمد بن حسن بن علي بن محمد ، الشهاب بن البدر الأذري : ١٠٦
أحمد بن الطوباشي ، الشهاب الدمشقي الحنبلي : ٩٠
أحمد العداس ، الشيخ المعتقد الدمشقي القادري : ٢٧٠
أحمد بن علي بن محمد بن سليمان ، البهاء الأنصاري التتائي
الشافعي : ٢٤

أحمد بن محمد بن صالح الأشليمي : ٦٢
 أحمد بن محمد بن عثمان بن سليمان ، الشهاب بن المحب بن الأشقر : ٥٣
 أحمد بن محمد بن علي بن حسن ، الشهاب الحجازي : ٢٢١
 أحمد بن محمد بن محمد بن حسن التقي : ١٩٦
 أحمد بن محمد بن محمد بن عبيدة الشهابي الحلبي الشافعي ابن عبيدة : ١٢
 أحمد بن محمد بن محمد بن عمر ، الولي بن التقي بن البدر بن السراج
 البلقيني : ١٣١ ، ١٥٦
 أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمود ، لسان
 الدين بن أثير الدين بن الشحنة : ٧٠ ، ٢٣٤
 أحمد بن نصر الله العز الحنبلي قاضي القضاة : ٣٣١
 الإخيمي = محمد بن إبراهيم بن التاج عبد الوهاب : ٢٩١
 أخو الضفدع : ١٠٦
 أخي أبي الوفاء : ١٤٩
 أرقطاي النائب : ١٩
 إسحاق إبراهيم بن إسماعيل القرمي ، النجم الحنفي (قاضي
 العسكر) : ٧٩
 إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الله بن جماعة : ٣٦٢
 إسماعيل بن الزهري بن البقاعي التاج : ٢٦٦
 إسماعيل بن عبد القادر (شيخ جبل نابلس) : ١٢٨ ، ٢٤١ ، ٢٧٦ ،
 ٣٠٧ ، ٣٠٩ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ ، ٣٣٣ ، ٣٤٣ ، ٣٤٨ ، ٣٥٤ ،
 ٣٦٣ ، ٣٦٥
 إسماعيل بن يوسف (مقدم بلاد الزبداني) : ١٣٦ ، ١٩٢
 الأسيوطي (الشمس بن خيرة) : ٣٧٤

- الأسيوطي = الولي محمد بن الشهاب أحمد : ١٦١ ، ١٩٢
- الأسيوطي = محمد بن محمد بن أحمد ، الفخر القاهري الشافعي : ١٧٠
- الأشقر = إينال اليحياوي الظاهري جقمق : ٢٠٢
- الإشليمي = أحمد بن محمد بن صالح : ٦٢
- أصلم بن عبد الله الناصري : ٨١
- الأقساوي : ١٩٩
- الأقصرائي (الشيخ أمين الدين) : ٢٠ ، ١٣٧ ، ١٦٣ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٩٩ ، ٢١٤ ، ٢٤٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٣ ، ٣٧٢ ، ٣٨٢
- إلياس خواجا : ١٢٩ ، ١٣٠
- امرأة أخي الشيخ برهان الدين : ١١٣
- امرأة الأشرف إينال (السلطان) : ٣٢١ ، ٣٢٣ ، ٣٣٢
- امرأة الحمزاوي : ٢٣٨ ، ٢٤٨
- امرأة الظاهر خشقدم : ٣١١
- امرأة البدر محمود العيني : ٣١٥
- امرىء القيس : ١٠٤ ، ١٧٩
- الأمشاطي = محمد بن أحمد بن حسن بن إسماعيل العنتابي الحنفي : ٣٧٢ ، ٧٥
- أم الكرام = جويرية بنت عبد الرحيم بن الحسين العراقي : ١٠
- أم المؤيد : ٢٩٩
- أم ناظر الجيش بن مزهر زوجة العَلَم صالح البلقيني : ١٨٩
- أمير حاج بن بركوت المكياني بن امرأة العلم صالح البلقيني : ١٣٢ ، ١٨٨ ، ٣٤١ ، ٣٥٢

أمير علي أبو محمد (أخو ذرية السلطان حسن) : ١٩

الأنبائي = عبد العزيز بن يوسف العز الشافعي : ٧٥

الأنبائي = النور : ٢١١

الأنصاري = أحمد بن علي بن سليمان ، البهاء التتائي الشافعي : ٢٤

الأنصاري = البرهان نائب الشافعي بالقدس : ٧٠

الأنصاري = شمس الدين محمد بن إبراهيم بن أحمد : ١١٥

الأنصاري = الشرف موسى : ٥٠ ، ٧ ، ٩ ، ٢٠ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٥٢ ،

٥٧ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٧٥ ، ٩٦ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٢١ ، ١٢٨ ، ١٣٢ ،

١٨٨ ، ٢٤٩ ، ٢٨٤ ، ٢٩٦ ، ٣١٦ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢٣ ،

٣٢٤ ، ٣٣٠ ، ٣٣٢

الأوحد = محمد بن الشهاب العجيمي البلقيني : ٣٦٦

إياس البجاسي : ١٤ ، ٥٨

إياس الطويل (نائب حماة) : ٢٤ ، ٣٠٠

أيدمر عز الدين الحلبي : ٢٥٤

إينال الأشرف السلطان : ١٩ ، ٢٣ ، ٥٢ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ١٢٢ ،

١٤٠ ، ١٧٨ ، ١٨٦ ، ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢٢٢ ، ٢٢٦ ، ٢٣٢ ،

٢٣٥ ، ٢٣٩ ، ٢٤٢ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٥٧ ، ٢٦١ ، ٢٧٣ ،

٢٧٨ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٨ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٦ ، ٣٠٠ ،

٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣١٧ ، ٣٢٩ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٦ ، ٣٧١ ،

٣٧٤ ، ٣٧٨ ، ٣٨١

إينال الأشقر والي القاهرة : ٢٠٢ ، ٢١٣ ، ٢٢٢ ، ٢٨٠ ، ٣٣١

إينال الحاج البشكي الحكمي : ٢٤ . ٦٨ ، ١٧٥

إينال السيفي الأمير الكبير : ٢٤٢

إينال المحمدي المعروف بـ (إينال ضضع) : ٢٤٢ ، ٢٤٦
أيوب الملك الأشرف نجم الدين بن الكامل محمد : ٢٩٩

(ب)

بابر (من المقدمين الناصرية) : ٩٣
البارزي = عبد الرحيم بن أحمد بن محمد : ٧٤
البارزي : القاضي كمال الدين : ٩
البارزي = القاضي ناصر الدين محمد : ٣٠ ، ٣١
الباعوني (البرهان) : ٣٢ ، ١٣٤
الباعوني = الجلال محمد بن عبد القادر : ٢٥ ، ٣٢ ، ٣٩ ، ٤٧ ،
٩٦ ، ١٣٢ ، ١٩٩ ، ٢٠٢
الباعوني = محب الدين : ٤٧ ، ١٥٢
الباعوني = الجمال يوسف : ١٤ ، ٢٥ ، ٣٢ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ،
١٦٥ ، ١٩٩ ، ٢٠٢ ، ٢١٨ ، ٣٥٢
بارير : ٢١
البياني = محمد شمس الدين : ١١٢ ، ٣٦٢
البجائي = الشيخ أبو الفضل محمد بن أبي عبد الله محمد بن أبي
القاسم : ٤٣ ، ١٠٢
البخاري : ٢٥٤
بدر الدين ابن البوشي : ١٦
بدر الجمالي أمير الجيوش : ٣٥١

بدر الدين = حسن بن محمد بن أيوب الشريف النسابة : ١١ ، ١٤

بدر الدين = محمد بن حسن الشافعي : ٩

البدر المحلي (قاضي إسكندرية) : ١٧

البدوي = الشيخ أحمد : ٢٧٦

برد بك الأشرفي إينال ، صهر السلطان ، ودوداره : ١٣ ، ٢٣ ،

٢٦ ، ٤٢ ، ٥٢ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٦ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٨١ ،

١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٦ ، ١١٠ ، ١١٤ ، ١٢٥ ، ١٣١ ، ٢٤٣ ، ٢٤٥ ،

٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ٢٦٧ ، ٢٧١ ، ٢٧٨ ، ٢٨١ ، ٢٨٣ ،

٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣١٤ ،

٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٩ ،

٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٥ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ،

٣٧٤ ، ٣٧٦

برد بك التاجي الأشرفي برسباي ، ناظر الحرم : ٣٤١ ، ٣٦٧ ، ٣٦٩ ،

٣٧٠ ، ٣٧٢ ، ٣٧٩

برد بك العبد الرحماني : ٢٤

برد بك المحمدي الظاهري جقمق ، الهجين : ٣٤٦

برسباي الأشرف السلطان : ٥٣ ، ٨٦ ، ١٤٠ ، ٢٤٦ ، ٣٤٩ ، ٣٨١ ،

برسباي البجاسي : ١٥ ، ٢٠ ، ٧٠ ، ١٠٦ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٦ ،

٢٥٠ ، ٢٧٤ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٣ ، ٢٨٧ ، ٢٨٩ ،

٣٤١ ، ٣٤٦

برسباي خال العزيز : ٣٧٨

برسباي دويدار نائب الشام : ٢٤٧

برقوق = الملك الظاهر : ١٢١ ، ٣٢١ ، ٣٧٨

البرقي ، القاضي نور الدين : ٢٠

- البرماوي = محمد بن إسماعيل بن أبي الحسن الشافعي : ١١٧
- برهان الدين = إبراهيم بن الناصر محمد بن أبي شريف : ٢٧ ، ١١٣ ، ٢٧١
- برهان الدين ، بن جماعة ناظر الجيش : ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١
- برهان الدين الشامي : ١٤٠
- برهان الدين بن قاضي عجلون الزرعي الشافعي : ٨
- بركوت : ٣٨٠
- بشتك : ١٢١
- بشير كرد بن عبد الله الحبشي الهندي الشافعي : ١٢١
- البقاعي = إبراهيم بن عمر : ١٣١
- البقاعي = محمد بن البعباع : ١٠٧
- بكتمر بن عبد الله السعدي الأمير سيف الدين : ٤٥
- البكري (جلال الدين الشافعي) : ١٤١
- بلاط = (دويدار نائب حلب) : ٣٥٧
- البلاطنسي = محمد بن عبد الله شمس الدين : ١٨ ، ٢٨ ، ٣٤
- البليسي = نور الدين علي بن محمد الشافعي : ٩٨ ، ٣٦٦
- البلقيني = أبو السعادات بن التاج ابن ابن أخي العَلَمَ وزوج ابنته : ١٨٩ ، ٢٤٤
- البلقيني = أحمد بن محمد بن محمد بن عمر ، الولي بن التقي : ٩٠ ، ٣٥٠ ، ١٣١
- البلقيني (البهاء بن عز الدين) : ٨٦
- البلقيني (التاج بن الجلال بن السراج) : ٨٦
- البلقيني = العلم صالح قاضي الشافعية : ٨ ، ١٠ ، ٢١ ، ٤٩ ، ٦٢ ، ٢٥٢ ، ٢٧٤ ، ٣٣٠ ، ٣٣٥ ، ٣٤٢

- البلقيني = السراج عمر : ١١٦
- البنبي (أبو الجود المالكي) : ٢١
- البنبي = بدر الدين محمد بن الإمام بدر الدين حسن الشافعي : ٩
- بنت ابن البارزي (الكمال) : ٧٤
- بنت ابن خصبك (بدر الدين) : ١١٤
- بنت ابن عثمان (عمه السلطان محمد صاحب الروم) : ٢٥٧
- بنت اليسري أم أبي ابن مزهر : ١٣٢
- بنت السبرباي = سعادات ابنة البدر محمد بن الزين عبد الرحمن القاهري
: ٣٨٠ ، ٣٧١ ، ٣٤١
- بنت شرباش (زوجة الظاهر جقمق) : ٢٠ ، ٣٢٣
- بنت الصارم : ٣٩
- بنت ططر : ٢٠ ، ١٢٨
- البهاء أخو الأشرف الأنصاري : ٢٤
- البهاء بن حجي : ٩
- البوشي (نور الدين) : ١١١
- بيبرس : ٣٧٩
- بيبرس (أحد رؤوس النواب) ٣٧٩
- بيبرس خال العزيز : ٢٩٧ ، ٣١٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٦
- بيبرس الطويل : ٣٠٤ ، ٣٨١
- بيبرس = الملك الظاهر : ٢٥٤
- البيجوري : ١٢٠
- البيدموري = أبو عبد الله التريكي المغربي التونسي : ٩٢

(ت)

- تاج الدين ابن المقسي : ٥
تر = خوند الحجازية بنت الملك الناصر محمد بن قلاوون ، زوجة
بكتمر الحجازي : ١٥٦
التركمانى = ابن أيوب ، ناظر القدس والخليل : ١٣
الترىكي = أبو عبد الله البيدموري المغربي التونسي : ٩٩
تغري بردي : ١٠٥
تغري بردي (دويدار أسنبغا الطياري) : ١٣٠
تغري بردي : عبد الله الكردي : ١٤٧
تغري برمش ، أو (ورمش) = حسين بن أحمد بن المصري :
٣٧٣ ، ٣٧٢
التفهني = عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن علي الزين : ١٤٠
التكريتي (نجم الدين) : ١٦
التلمساني (الشهاب) : ٣١ ، ٣٢
التلواني = علي بن سليمان بن يوسف : ٢٠٠
تمراز (أحد أعيان الأشرفية) : ٧٥
تمراز الأشرفي الزردكاش : ٢١٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦ ، ٢٥٨ ، ٣٠٣ ،
٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣٨١ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٥٤ ، ٣٥٨
تمراز الأشرفي الساقى : ٢٤٤ ، ٣١٥ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩
تمراز (صهر قرقماش أمير سلاح) : ٣٨١
تمراز بن عبد الله الجرکسي الإينالي الأشرفي : ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٥١

تمرباي بن عبد الله من حمزة الناصر القرمي ، المعروف بـ (تمرباي ططر) :
١٧٢ ، ١٤٥

تمربغا (أحد ممالك الظاهر جقمق) : ٣٨٢ ، ٣٢١ ، ٢٦٢ ، ٥٠ :
تنبك بن عبد الله الأشرفي برسباي المعروف بـ (الصغير أو البواب) : ٣٢٩
تنبك (مملوك نائب الشام الحمزاوي) : ١٩٣
تم الحسيني ، أو الحسنی الأشرفي (أحد رؤوس النوب) : ١٤٥ ،
٣٢٢ ، ٣١١

تم رصاص المحتسب ١٨٤ ، ٢٣٧ ، ٢٩٨ ، ٣١٨ ، ٣٣١
تم المؤيدي : ٢٥٨ ، ٢٩٢ ، ٣٠٤ ، ٣٤٩

(ث)

ثريا الهندية الدابلية (فتاة البقاعي) : ١٢٠ ، ١٢٧

(ج)

الجاحظ : ١٨١
جار قطلي = الأمير ثار قطلي : ٢٣١
جاكمو بن جوان الفرنجي (ابن صاحب قبرس) ٨١ ، ١٤٣ ، ١٧٤ ،
١٨٠ ، ١٨٣ ، ٢٠٥ ، ٢٢٧ ، ٢٤٧ ، ٣٤٩
جانبك التاجي (نائب صفد) : ٢٤ ، ٣٠٠
الجائي (سيف الدين) ٣٢١
جانبك (حاجب الحجاب) : ١٥٣ ، ١٥٤ ، ٢٩٩ ، ٣٠٨ ، ٣٢٠ ،
٣٤٣ ، ٣٤٧ ، ٣٥٥
جانبك حبيب : ١٤٩ ، ١٥٩ ، ١٨٩

جانبك شاد جدة : ١٦٨ ، ١٨٤ ، ١٩٣ .

جانبك شاد الشريخانة : ٢٤٣ ، ٢٨٨ ، ٢٩٨

جانبك الظريف : ٢٨٨ ، ٢٩٦ ، ٣١١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٢ ، ٣٣٣ ،
٣٧٨ ، ٣٧٩

جانبك قرا : ١٨٤

جانبك القصري : ٧٥ ، ١٢٦

جانبك كوهيه : ٢٩٨ ، ٣٨٢

جانبك المشد : ٣٠٥ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩

جانبك ناظر جدة (الدويدار الكبير) : ١٥ ، ٥٢ ، ٩٥ ،
١١٥ ، ٢٧٧ ، ٢٨١ ، ٢٨٤ ، ٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ،
٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣١١ ، ٣١٣ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٤ ، ٣٣١ ، ٣٣٤ ،
٣٣٥ ، ٣٤٤ ، ٣٤٩ ، ٣٦٦ ، ٣٦٨ ، ٣٧٢

جانبك نائب إسكندرية : ١٨١ ، ١٨٤

جانبك الوالي : ١٢٢

جانم الأشرفي برسباي (نائب حلب ، ودمشق ، والشام) : ٢٤ ،
٤٩ ، ٨٨ ، ١٣٦ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ٢١٨ ، ٢٣٨ ،
٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٧ ، ٢٦١ ، ٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٢٧٦ ،
٢٨٣ ، ٢٨٨ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ،
٣١٢ ، ٣١٣ ، ٤١٣ ، ٣٢٠ ، ٣٢٨ ، ٣٣٢ ، ٣٣٦ ، ٣٤٧ ،
٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٨١

جانم الخزندار : ٢٧٨

جربوان (رجل من المفسدين) : ٢٣٦

جعفر بن عمر : ١١٤

جقمق الظاهر العلاني (السلطان) : ١٨ ، ١٩ ، ٤١ ، ٥٠ ،
٥٢ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٧٥ ، ٨٦ ، ٩٩ ، ١١٥ ، ١٢١ ،
١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٦٧ ، ٢٠٤ ، ٢٢٢ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٥٨ ، ٢٩٢ ،
٢٩٣ ، ٣٤٦ ، ٣٦٠ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣

جكم خال العزيز : ٢٩٨

جلال الدين = عبد القادر الباعوني : ١٤ ، ٢٥ ، ٣٠ ، ٣١

جلبان (نائب الشام) : ٢٥٨ ، ٣٦٤

جمال الدين الإستاذ : ٦٨

جمال الدين (الباعوني) : ١٤ ، ٣١

الجمالي = يوسف بن كاتب جكم : ٧ ، ١٣

جميل بن يوسف (أمير العرب بالسخاوية) : ٢٢٧

جوهر الصقلي : ٣٥١

جوهر بن عبد الله القنقبائي الخازندار والزمام : ٦٢ ، ٩٩

جوهر بن النوروزي نوروز الحافظي الحبشي : ٢٣١

جويريه بنت عبد الرحيم بن الحسين العراقي (أم الكرام) : ١٠

(ح)

الحجازي = الشهاب أحمد بن محمد بن علي : ٢٢١

ابن حريز (الحسام قاضي المالكية بالقاهرة) : ٦٦

حزمان (الأمير الكبير بغزة) : ٣٠٢

الحسام بن بريطع الحنفي : ٣٢٢

الحسام بن حريز قاضي المالكية بالقاهرة : ٦ ، ١٦ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ،

٢٦٨ ، ٢٧٢ ، ٣١١ ، ٣١٤

الحسابي = القاضي بهاء الدين محمد بن القاضي نجم الدين عمر بن
حجي الشافعي : ٨

حسي الله الزنجية المسلاتية بنت سلطان بلاد المسلات (خَلَصَة) :
٣٥٥، ٤٢

حسن بن أيوب التركماني (نائب القدس) : ٣٤٨
حسن السنباطي :

حسن بك بن قرالوك : ٣٥٧

حسن بن علي بن البدر المرجوشي التاجر : ٢٥٦

حسن بن علي بن محمد بن أحمد ، ابن الصواف الحنفي الحموي : ١٦٠
حسن بن علي بن معين البدر السنباطي الكتبي الشافعي :
٣٣٢، ٣١١، ٢٩١

حسن بن محمد بن أيوب ، البدر أو الحسام الشريف النسابة : ١٤، ١١

حسن بن محمد بن قلاوون (السلطان) : ١٩

حسن بن محمد بن المزلق ، البدر بن الخواجا (ناظر حيش
الشام) : ١٤٨

حسين (أحد فقهاء حلب) : ٣٠١

حسين بن حسين (شيخ عرب حارثة) : ٣٣٦، ٣٣٣

حسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا البلخي ، الشيخ
الرئيس : ٤٣

حسين بن منصور بن محمي أبو مغيث الحلاج : ١٥٨

الحصني = العلاء الشافعي : ٧٥

الحصني = الشيخ عمر : ٦١

الحلاج = الحسين بن منصور بن محمي أبو مغيث : ١٥٨

الحلي = نور الدين محمود : ٣٠

حلوة الحبشية (فتاة البقاعي) : ١١٨

الحمزاوي = سودون الظاهري : ٢٣

الحمزاوي = قانباي نائب الشام : ١٩ ، ٢٣ ، ١٩٣ ، ٣٦٤

الحمصاني : ٣٩

الحميد بن قاضي بغداد الحنفي الشهير بابن أبي حنيفة : ٢٦٤ ، ٢٦٨ ،

٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٣١١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤

(خ)

خال العزيز = الملك العزيز يوسف بن الأشرف برسباي : ١٤٧

خديجة بنت الأمير الكبير شرباش : ٣٧١

خشقدم : ٢٩٢

خشقدم (أحد خدام الظاهر ولالا المنصور) : ٢٨٢

خشقدم المؤيدي أمير سلاح ، ثم السلطان : ٥٠ ، ١١٩ ، ١٤٥ ،

١٤٦ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٤٦ ، ٢٦٦ ، ٢٨٠ ، ٢٨٧ ، ٢٩٢ ،

٣٠٣ ، ٣٢٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١

خضر الكردي : ٣٣٣ ، ٣٣٦ ، ٣٥٤

الخضري = محمد بن أيتمش : ١٩٦

خطاب الغزاوي ، الشيخ زين الدين : ٢٣٦

خلصة (سلطان المسلات) : ٤٢ ، ٣٥٥

خليفة بن مسعود بن محمد بن عبد الرحمن بن علي : ٣٤٠

خليفة بن مسعود بن مرسى المغربي الجابري المالكي : ٣٣٧

خليل بن أبي غازي بن مشاق : ١٧٣ ، ٣٢٧ ، ٣٣٣ ، ٣٣٦

خليل أخو بن مفلح : ٣٩

خليل بن جبارة : ١٢٩

خليل بن مفلح : ١٣٩ ، ١٤٩

خوند البارزية : ٢٩٣

خوند = زينب بنت خصبك (خوند الكبرى زوجة الأشرف إينال) :

٥٢ ، ٧١ ، ٧٤ ، ١١٤ ، ١٥١ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٣٣٦

خوند = بنت الأمير الكبير شرباش (زوجة الظاهر جقمق) : ٥٢ ،

١٢١ ، ٦١

خوند بنت ططر (زوجة الأشرف برسبائي) : ١٢٢

خير بك أمير آخور الثاني : ٦٠

خير بك من حتيات الأشرفي برسبائي البهلوان (صهر السلطان) :

٣٧١ ، ٣٧٩ ، ٣٨١

خير بك (نائب غزة) : ٢٤ ، ٣٤٥

خير بك (والي القاهرة ، ونائب القلعة) : ٥١ ، ٨٤ ، ٢٨٢ ، ٣٢٧

الخيضري (القطب) : ١٤ ، ١٥ ، ١٩٥ ، ١٩٨ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ،

٢٣٥ ، ٢٣٨ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٣٥٣

(د)

دارج (دراج) بن معزى الحسنى أمير الينبوع : ١٥

دبوس (أحد أقارب زيري أمير المدينة) : ١٦٧ ، ١٦٨

الدجال : ٣٦ ، ١٣١

دنكريغا : ٢١٩

دولت باي = سكسن الأشرفي برسباي : ٣٢١
دولت باي المؤيدي (الدويدار الكبير) : ٤٧ ، ٧٤ ، ١٠٨ ، ٢٦٢
دولت باي النجمي الأشرفي برسباي : ٣١٠ ، ٣١٣
الديري = السعد الحنفي قاضي الحنفية : ١٠ ، ١٢ ، ٦٦ ، ٨٠ ،
١٢٨ ، ١٦٦ ، ١٦٩ ، ٣٤٠ ، ٣٧١

(ر)

ابن الريان : ٣٩
راجح بن عبد الرحيم = أحمد بن الشيخ إبراهيم : ١٦
الرجبي (زين الدين) : ١١٦
الرسال : ١٨٦
الرقبي = البرهان إبراهيم بن أحمد بن عثمان بن علي الشافعي : ٢١١
الرملاوي = سالم بن عبد القادر : ١٣١ ، ٢٧٦
الرملي : عبد العزيز بن معلاق : ٢٧٠
الرملي = عبد القادر : ٢٠٨
الرملي = عبد الوهاب : ٢٠١ ، ٢١٣
الرومي (السراج) : ٢٣٢

(ز)

زبيري (أمير المدينة) : ١٦٧ ، ١٦٨ ، ٢٦٦
الزبداني = الناصر محمد بن النور بن هلال الدولة : ٣٤٢

- الزرعي = البرهان بن قاضي عجلون الشافعي : ٨
- الزركشي = محمد بن بهادر بن عبد الله المصري الشافعي : ٣٧٦
- الزفتاوي (أبو الخير) : ٥ ، ٧
- زكي الدين بن أبي الفتح بن صالح : ٢٤٩
- الزنجشري = أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي : ٢١٦
- زهرة (أمة البقاعي) : ١١١
- الزهري = التاج إسماعيل البقاعي : ٢١٦
- زهير بن سليمان بن هبة بن جهاز (أمير المدينة) : ٢٦٦
- الزين = أبي بكر بن مزهر : ٩
- الزين (الإستدار) : ٥ ، ١٠٥
- زينب بنت خصبك، خوند الكبرى ، امرأة الأشرف إينال : ١١٤ ، ٢٩٧ ، ٣٢٥ ، ٣٣٢ ، ٣٥٣
- زين الدين = عبد الرحمن بن قاضي عجلون أخو النجم : ١٠
- زين الدين (ناظر جيش غزة) : ٣٠١ ، ٣٢٢

(س)

- سارة بنت ملك قبرس : ٨١
- سالم بن عبد القادر الرملي (الرملاوي) : ١٣١ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩
- سالم بن عبد الوهاب الرملي المجد بن التاج ، خليفة المقام الأحدي بطتنتدا : ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢١٣ ، ٢٧٦
- السبكي : ٣٥ ، ١٢٠

ست الملك ابنة العزيز بالله نزار بن المعز لله أبي تميم معد : ٦٣
السراج = عمر بن حسين بن حسن العبادي الشافعي : ١٢٠
سراج بن مسافر بن زكريا بن يحيى ، السراج القيصري الرومي الحنفي :
٢٥٧

سرور الطياري : ٢٩٧

سعادات ابنة البدر محمد بن الزين عبد الرحمن باي القاهري : ٣٤١
السعد (أخو الزين ناظر جيش غزة) : ٣٢٢
سعد الدين الديري (قاضي القضاة الحنفي) : ١٠ ، ١٢ ، ٥٧ ، ٢٠٩ ،
٣٦١ ، ٣٣٩

السفطي : ٩٩

سكسن = دولات باي الأشرفي برسباي : ٣٢١

السنباطي ، الولي (قاضي المالكية) : ١٧١

سنطباي (رجل من الأجلاب) : ٤٨

سنقر الظاهري : ٢١٣

سنقر فرق شبق الزردكاش : ٤٨ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٨٠ ، ٣٧٨

سودوت الحمزاوي الظاهري : ١٣

سودون بن عبد الرحمن : ٢٤

سودون قرقش (قرقاش) : ١١٥ ، ١٤١ ، ١٨٣ ، ١٨٦

سودون القصري ، قصره من تمارا نائب الشام : ٣٢٨

سودون (نائب قلعة حلب) : ٢٩٩

سودون النوروزي : ٢٦١

(ش)

شاذ بك دويدار السلطان : ١٩

شاذ بك آص : ٢٢٥ ، ٢٢٦

شاكر (علم الدين) : ١٠٩

شاه منصور بن شهري : ٥٨

شاهين دويدار الأتابكي الشهابي ولد السلطان : ٤٥

شاهين غزالي الحصني : ١٢٢ ، ١٩٣ ، ١٩٧ ، ٢٤٨ ، ٢٨٧ ، ٢٩٧

الشباسي (شمس الدين) : ٦

شبانة بن مشاق : ٣٣٣

الشجاعى (علم الدين) : ٦٣

شرباش كرد (أمير سلاح) : ٢١ ، ١١٥ ، ١٩٢ ، ٢١٢ ،

٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٥ ، ٢٨٠ ، ٢٨٨ ، ٢٩٨ ،

٣٠٩ ، ٣١٢ ، ٣١٩ ، ٣٢٤ ، ٣٤٦ ، ٣٧١ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ .

شرف الدين أخو بهاء الدين : ٢٥

الشرف الأنصاري : ٥ ، ٩ ، ٢٨٥

الشرواني = محمد بن مراهم الدين ، الشمس : ١٩٦

الشرىف شرف الدين الفيومى : ٣٧٤ ، ٣٧٥

الشرىف النسابة = حسن بن محمد بن أيوب : ١١

شعيب : ٣٤٩

شقراء ابنة الناصر فرج بن برقوق أم محمد بن جرباش : ٢٦٩ ، ٢٧٠ ،

٣١٩ ، ٣٧١

الشمي = أحمد بن محمد بن محمد بن حسن : ١٩٦

الشمي = محمد : ١٩٦

الشهاب = أحمد بن محمد . . بن عية : ١٢

الشهابي = أحمد ولد السلطان (الأمير الكبير) : ١٣

شهيدة امرأة عمرو (فتى إبراهيم البقاعي) : ١١٧

شيخ = الملك المؤيد : ٢٣١

الشيرجي (أحد الشهداء) : ٦٧ ، ٢٣٠ ، ٢٣٨ ، ٢٤٦ ، ٣٣٥

(ص)

صالح البلقيني (العلم ، قاضي الشافعية) : ١٠ ، ٢١ ، ٦٢ ،
٨٥ ، ٩٥ ، ١٣٢ ، ١٥١ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦١ ، ١٦٩ ، ١٨٨ ،
١٨٩ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٢٤ ، ٢٤٠ ، ٢٥٢ ، ٢٧٤ ،
٢٨١ ، ٣٤١ ، ٣٤٨ ، ٣٥٠ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤ ، ٣٦٩ ، ٣٧١ ،
٣٧٤ ، ٣٨٠ .

صدقة الضرير : ١٠٨

صعب بن أحمد بن حسن بن علي بن عبد القادر (شيخ جبل نابلس) :
٣٣٣ ، ٣٣٦ ، ٣٤٨

الصغير = محمد : ١٠٩

الصفدي = الشمس محمد بن حامد : ٢٠٣

صلاح الدين = أمير حاج بن بركوت المكني ، ابن زوجة صالح
البلقيني القاضي الشافعي : ٦٧ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ٣٦٧ ، ٣٧٠ ،
٣٧٣ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠

صوف بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام : ٣٩٦

(ض)

الضرير = صدقة : ١٠٨

الضرير = علي بن أبي بكر بن أحمد ، العلاء البرلسي الشافعي : ١٠٠

ضغيم بن خشرم بن نجاد بن نعيم . . الحسيني (أمير المدينة) : ٢٦٧

(ط)

طرباي بن زين الدين (أمير عرب حارثة) : ٢٧٦ ، ٣٣٣ ،
٣٥٤ ، ٣٣٦

الطوباشي = الشهاب أحمد الدمشقي الحنبلي : ٩٠

طوخ (الأمير) : ٣٧٢

الطوخي = عبد القادر : ٦٥

طوغان بن شبانة : ٣٣٦

طوغان العثماني : ١٤

(ظ)

الظافر بنصر الله (الخليفة الفاطمي) : ٨٦

الظاهر جقمق (السلطان) : ٩٠ ، ٩٤ ، ١٥٦ ، ٣٢٣ ، ٣٧٣

الظاهر خشقدم (السلطان) : ٢٨٨ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ ، ٢٩٩ ،
٣٤٢ ، ٣٠٣
الظريف : ٢٧٩

(ع)

العبادي = السراج عمر الشافعي : ١١ ، ١٢٧ ، ١٦٢ ، ٢٠٠ ،
٢٠٨ ، ٣٦٨ ، ٣٧٢
العبادي (محب الدين) : ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٩٦
عبد بن إينال : ٢٨٢ ، ٢٨٦ ، ٣٩٦
عبد الباسط (ناظر الجيش) : ٣٥١
عبد البر بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمود ، السري
أبو البركات المحب : ١٦٠ ، ٢٣٤ ، ٢٥٥
عبد ربنا : ٣٢٥ ، ٣٢٦
عبد الرحمن بن أبي بكر بن داود ، الزين القادري الصوفي : ٢٦٢
عبد الرحمن بن خليل بن سلامة بن أحمد الأذري القابوني (الشيخ
خليل) : ٣٤
عبد الرحمن دويدار خزندار نائب الشام يوسف الصبيبي : ٢٣٨ ، ٢٤١ ،
٢٤٧ ،
عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن ، الزين بن الولي الزرعي الشافعي
بن قاضي عجلون = ١٠ ، ٢٦٠
عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن علي ، الزين التفهني : ١٤٠
عبد الرحمن بن الكويز (العلم) : ٥٧ ، ٧٠ ، ١٦٣ ، ١٩٧ ، ٢٤٨ ،
٣٢٤ ، ٣٥٠

- عبد الرحمن بن محمد بن حسن بن سعد ، الزين الفاقوسي : ١٤٠
- عبد الرحيم بن أحمد بن الناصري محمد البارزي : ٣٤٣ ، ٧٤
- عبد الرحيم أخو عبد الوهاب الرملي : ٢٠٠
- عبد الرحيم بن البارزي : ٣٢٥ ، ٢٥٢
- عبد الرحيم بن محمود ، الزين بن البدر العيني الحنفي : ١١٩
- عبد العزيز بن يوسف ، العزيز الأنباي الشافعي : ٧٥
- عبد الرحيم ، الكمال بن معين الدين بن تاج الدين : ٢٠٧
- عبد العال (خادم البدوي) : ١٣١
- عبد العزيز بن معلاق الرملي (ناظر القدس والخليل) : ٣١٠ ، ٢٧٠ ، ٣٤٩ ، ٣٣٤
- عبد العزيز بن يوسف ، العز الأنباي الشافعي : ٧٥
- عبد الغفار (القاضي) : ٣١٥
- عبد القادر : ٣٥
- عبد القادر الرملي : ٢٠٨
- عبد القادر بن شعبان (زين الدين) : ٢٣٨
- عبد القادر الطوخي : ٦٥
- عبد القادر بن عبد الوارث (محيي الدين) : ٢٢٥
- عبد القادر بن محمد بن حسن ، الزين النوى الشافعي : ٣٣٩
- عبد القادر بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد القادر اليونيني الحنبلي : ١٤٤
- عبد القادر بن محمد بن محمد بن محمد بن أبي الفتح بن الحجازي : ٢٩١
- عبد القادر بن مصطفى : ٥

عبد الله بن جماعة ، الجمال (شيخ الصلاحية بالقدس) : ٣٥٨ ،
٣٥٩ ، ٣٦٠

عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن شرف ، الولي الزرعي
الشافعي بن قاضي عجلون : ٩٤ ، ٢٣٥ ، ٢٥٩ ، ٢٦٨

عبد الله بن عمر البيضاوي الشافعي ناصر الدين أبي سعيد : ٢١٦

عبد الله بن عمرو الزنجي الكوكائي : ١١١

عبد الله الكروي ، المعروف بتغري بردي : ١٤٧

عبد اللطيف القاضي معين الدين بن القاضي شرف الدين أبي بكر
الأشقر الحلبي سبط ابن العجمي : ٦٨

عبد الوهاب ، التاج الدمشقي الشافعي (خليفة المقام الأحدي
بطتندا) : ٢٠٠

عبد الوهاب الرملي أبي سالم : ٢٠١ ، ٢١٣

عبد الوهاب بن السعد الديري : ٣٣٨

عثمان بن جقمق (الملك المنصور) : ٨٤ ، ٢١١ ، ٢١٥ ، ٢٢٣ ،
٢٦٦ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٦ ، ٣١٣

عثمان بن الحاج محمد بن باكلة الزبداني : ٣٠٦

عثمان بن محمد بن عبد العزيز بن أحمد الهنتاتي الحفصي (ملك
تونس) : ٨٣

العجمي = أوحده الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر ، أبو الخير البلقيني
: ١٤١

العز = أحمد بن إبراهيم بن نصر الله العسقلاني (قاضي الخنابلة) :
١٠ ، ٩٢ ، ٣٢١ ، ٣٣٠

العز = الكتاني المالكي : ١٦٦

العز المحلي (أحد نواب الشافعية بالقاهرة) : ٨ ، ٩

العزیز : ٣٣٤

عساف بن هجان : ١٥

علاء الدين = علي بن أبي بكر بن أحمد ، البرلسي البلطيمي
الشافعي : ١٠١

علاء الدين = علي بن أبي بكر بن علي بن قرقين (ابن قاضي
بعلبك) : ١٧١

علاء الدين = علي بن امرأة الفيسي : ١٩٧

علاء الدين = علي بن الأهناسي : ٢٠٧

علاء الدين = علي بن بلبان (شيخ كرك نوح) : ١٥٣ ، ١٥٥

علاء الدين = علي بن قاضي عجلون : ١٣٨ ، ٢٣٦

علاء الدين = علي بن قرقين : ١٤٤

علاء الدين = علي بن مفلح الحنبلي (قاضي الحنابلة بدمشق) : ١٥ ،
١٩٢ ، ٢٠١

علان (رجل من الأشرفية) : ٤٨

علان شلق (جلق - أحد أكابر امراء دمشق) : ١٩ ، ١٠٥

العلم = صالح البلقيني (قاضي الشافعية) : ٨ ، ١٠٠ ، ١٥٦ ،
٣٣١ ، ٣٤٣ ، ٣٧٣

علي بن أبي بكر بن أحمد بن شاور ، العلاء البرلسي البلطيمي
الشافعي : ١٠٠

علي (من ذرية ابن أوحناظر الخانكة) : ٩١

علي بن أبي الحزم القرشي الدمشقي المصري الشافعي ، العلاء بن النفيس
: ٤٣

- علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ٢٤٦
- علي بن أحمد الأخيمي : ٦٢
- علي بن امرأة الفيسي : ١٦
- علي البرصاوي (الخواج) : ١٩٣
- علي بن بهاء : ١٩٠
- علي التواني : ٣٩ ، ٣٢
- علي جوكي (نائب المهمندار) : ٣٠٢ ، ٣٠١
- علي بن الحاج بن محمد بن الأهناسي (النور) : ١٨٧
- علي بن حسن (من وادي بني زيد) : ٣٢٧
- علي بن خليل بن خصبك : ٧ ، ٢٩٢ ، ٣٢٣
- علي بن سليمان بن يوسف التلواني (النور) : ٢٠٠
- علي بن شيخ بهتيم : ٢٢٦
- علي بن الصوفي : ٣٤٢
- علي بن غريب (شيخ عرب هواره) : ٨٤ ، ١٥٢
- علي بن الفاوي الجوهرى : ٥٤
- علي بن قاضي عجلون (قاضي الحنفية بدمشق) : ٢٦٤
- علي القصيري (الشريف) : ٦٤ ، ٢٨٨
- علي بن محمد بن فخر الدين ، النور البليسي الشافعي : ٩٨
- علي الشريف الناصر محمد : ١٨٧
- علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادى الماوردي (أبو الحسن) : ٣٧٥
- علي بن محمد بن محمد بن حسين البرقي : ١٩٢
- علي بن المقسي (النور) : ١٣٣

عمر بن الجعبري (السراج - شيخ حرم الخليل) : ٢٧٠ ، ٢٧١
عمر بن الحارة (الزين) : ٩٤

عمر بن حسين بن حسن بن أحمد العبادي الشافعي : ١١٩
عمر الحصني : ٦١

عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ١٦٧

عمر العبادي (السراج الشافعي) : ١٦٢ ، ٢٠٠ ، ٣٦٩

عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : ٢٢٩

عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الواديائي (ابن الملقن) : ١١٦

عمر بن قاسم بن جمعة (ابن الأقساسي) : ٦٩ ، ١٦٩

عمرو بن العاص رضي الله عنه : ٩٦

العمريطي = محمد بن إسماعيل بن عمر بن مزروع : ١٣٣

عميرة بن جميل بن يوسف (شيخ عرب السخاوية والبرلس) : ٢٢٧

عيسى عليه السلام : ١٣١ ، ٢٢٤

عيسى المغربي الغندور : ٦١ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٢٠١ ، ٢٠٦ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ،

٢٩٠ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٣١ ،

٣٣٢ ، ٣٧٨

العيني = عبد الرحيم بن البدر محمود الحنفي : ١١٩

العيني = البدر محمود الحنفي : ٣١٥

(غ)

غالية بنت عمرو الزنجي الكوكائي : ١١٣ ، ١١٧ ، ١١٩

غزالي = شاهين الحصني : ١٢٢ ، ٢٤٨ ، ٣٧٦

الغندور = عيسى المغربي : ٦١ ، ٢٩٠

(ف)

فارس المحمدي الركني فيروز (نائب مقدم الممالك) : ١٠٤

الفاسي = عبد الرحمن : ١٤٠

فاطمة أم هاني (ابنة إبراهيم البقاعي) : ١٢٠ ، ١٢٧

الفاقوسي = عبد الرحمن بن محمد بن حسن الزين : ١٤٠

الفاقوسي = محمد بن محمد بن حسن الشافعي : ٥٩

الفاوي = علي الجوهري : ٥٤

الفربري (أحد رواة صحيح البخاري) : ٣١

فرج بن برقوق (الملك الناصر) : ٣١ ، ١٤٥ ، ٣٧٨

فرج (سعد الدين كاتب الممالك - الوزير) : ١١٢ ، ١٨٧ ، ٢٣٢

فرج (فتى المشدالي) : ١٧٥ ، ١٧٨

فرعون : ٥٥

الغنطي (الزين ناظر جيش غزة) : ٣١٠

الفوي = محمد : ١٧٢

فيروز النيروزي الخصي (الخزندار - الزمام) : ١٦٠ ، ٢٤٥ ، ٢٦٥

الفيسي = الأمير علاء الدين : ١٨٤ ، ٢٠٢

الفيومي (الشرف) : ٣٨٠

الفيومي (العز) : ٧٦

(ق)

قاسم بن الأقساسي : ٦٩

قاسم الحلبي المعري القادري البرد دار (شيخ زاوية داود) : ٢٦٢ ،
٣٠٩ ، ٣٠٧ ، ٢٦٩

قانباي : ٢٧٦

قانباي الشركسي : ٢٥٨ ، ٢٨٤

قانباي بن عبد الله الحمزاوي (نائب الشام) : ١٩ ، ٢٣ ، ١٩٧ ،
٢٩٣ ، ٢٥٨

قانسوة الإسحافي الأشرفي إينال : ١٧١ ، ٢٤٤ ، ٢٥٨

قانسوه (الدويدار الثالث) : ١٨١

قانسوه (صهر نائب الشام) : ٣٧٨ ، ٣٧٩

قانم : ١٠٥ ، ٢١٢ ، ٣٤٦ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠

قانم التاجر المؤيدي (أمير مجلس) : ٢١ ، ١١٥ ، ١٤٣ ، ١٨٢ ،
٢٣٣ ، ٢٩٧ ، ٣٣٥ ، ٣٣٨ ، ٣٥٠ ، ٣٧٩

قانم (رأس نوية) : ٢٣٢ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٣١٧

قانم طاز (الأشرفي الخزنदार الثاني) : ٢٨٤ ، ٢٩٧ ، ٣٧٩

قانم نعمة الأشرفي برسباي : ١٨٤

القاياتي : ٣٨٢

قايتباي (من أمراء الأشرفية) : ٧ ، ٨

قايتباي الظاهري : ٢٨٠ ، ٢٨٧ ، ٢٩٢ ، ٢٩٧

قايتباي = الملك الأشرف المحمودي : ٥٠ ، ١٥٩

- القيباتي = محمد بن أحمد ، الشريف الشمس الحسيني : ١٦٥
قراجا : ٣١٠
- قراجا الأعرج الطويل (رأس نوبة) : ١٨٥ ، ٢٧٨ ، ٢٨٣ ، ٢٨٩ ،
٢٩٣ ، ٣٢٢
- قراجا (خزنदार الظاهر) : ١٩
- قراسنقر ، الشمس المنصوري (نائب السلطنة) : ١٩٠
- قراقوش (بهاء الدين) : ٣٥٢
- قرق شبق : ٣٧٩
- القرقشندي (التقي الشافعي) : ٦٥ ، ٧٥
- القرقشندي = المحب محمد بن التقي عبد الرحمن بن القطب : ٢٥١
- قرقماش بن عبد الله الأمير سيف الدين المعروف بالجلب : ١٤٧ ،
١٧٢ ، ٢١٢ ، ٢٧٧ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٤٩ ، ٣٧٨ ، ٣٨١
- قرقماش النصراني : ١١٧
- القرمي (القريمي) النجم إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل : ٧٩ ، ٨٠
- قسطليل بن زهير بن سليمان : ٢٦٧
- القصيري = الشريف علي : ٦٤ ، ٢٢٨
- القطب الخيضي : ١٤
- القطماوي = شمس الدين محمد الحنفي الحلبي : ٤٦
- قلاوون (الملك المنصور) : ٦٣ ، ٢٥٤
- قلمطاي (أحد الأشرية) : ٣٣٤
- قماري (الملك الناصر سيف الدين : ١٩
- قنبردي الحسيني : ٨٩
- قنبك : ٣٠٨ ، ٣٠٩

(ك)

- الكافيجي = الشيخ محيي الدين الرومي : ٨٠
الكتبي = حسن بن علي بن معين ، البدر السنباطي : ٢٩١ ، ٣١١
كرتباس : ٣٧٩
كسباي الششماني المؤيدي : ٤٢ ، ٧٤ ، ١٨٥ ، ٢٥٩
كسباي (نائب قلعة الجبل ثم إسكندرية) : ١٨٤ ، ٣١٣
كليوات أخو الفضل (من المفسدين في الشرقية) : ٥١
الكمأخي = البرهان إبراهيم بن المحب محمد بن محمد بن عمر
الحنفي : ١٦٣
الكمأخي = المحب محمد بن محمد بن عمر الحنفي : ١٦٣
كمال الدين البارزي : ٩ ، ٣١
كمال الدين بن القاضي معين الدين عبد اللطيف بن الأشقر سبط بني
العجمي : ٦٨
كمال الدين = محمد بن الناصر محمد بن أبي شريف القدسي : ٢٧٢
الكناني (العز قاضي الحنابلة) : ٦٦
الكيماوي : ٢٣٠ ، ٢٣١

(ل)

- لاشين الظاهري : ٢١٣
لآيفا : ٢٣٠

اللمخي = شمس الدين محمد بن موسى بن سند الشافعي
(محدث): ١١٦

اللقاني = إبراهيم بن محمد بن محمد بن عمر ، البرهان المالكي : ٣١٦
لؤلؤ الرومي الأشرفي برسباي الطواشي : ٢٦٥
لويز الكيتلاني (زوج ملكة قبرس) : ١٧٩

(م)

ماهر (الشيخ زين الدين) : ٣٦٣
الماوردي = أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري : ٣٧٥
المتبولي = إبراهيم بن علي بن عمر ، البرهان الأنصاري : ١٩٤
مئقال الخزندار (لا لا المقام الناصري محمد) ٩١
مجد الدين (استدار برد بك) : ٢١٤
محب (من إكابر التجار في مصر) : ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨
محب العبادي : ٥
محب الدين = محمد بن عبد الرحيم : ١٤
محب الدين بن محمد بن عصفور المكتب : ٩
المحلي (البدر محمد بن أحمد قاضي إسكندرية) : ١٧ ، ٧٠
المحلي (الجابي) : ١٩٠
المحلي (العز ، أحد نواب الشافعية بالقاهرة) : ٨ ، ٩
الحلي = جلال الدين محمد بن أحمد الشافعي : ٩٥ ، ١٧٥ ، ٣٦٢
محمد بن إبراهيم بن أحمد بن داود بن عمر ، الشمس الأنصاري
الشافعي: ١١٥

محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ، النجم بن البرهان
بن جماعة : ٣٦٢

محمد بن إبراهيم بن عبد الوهاب ، التاج الأخيمي : ٢٩١
محمد بن إبراهيم بن عمر أبو اليسر البقاعي : ٥٤ ، ١١١ ، ١١٨ ،
١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٧

محمد أبو الوزير : ١١١
محمد بن أبي بكر بن أحمد ، البدر بن قاضي شهبة : ١٩٨
محمد بن أبي بكر بن الحسين بن عمر الناصر أبو الفرج المراغي العثماني :
١٦٤ ، ١٦٧

محمد بن أبي بكر ناصر الدين القدسي : ١٦٤
محمد بن أبي بكر بن محمد بن حسين بن الأهناصي الوزير : ١٠٥
محمد بن أبي شريف الكمال القدسي : ١١٣ ، ١٦٤ ، ٢٠٤ ، ٣٦٢
محمد بن أبي عبد الله ، أبو الفضل المشدالي البجائي المغربي : ١٧٥
محمد بن أحمد بن إبراهيم بن الخشاب ، الشرف بن الصدر بن البدر
المخزومي الشافعي : ٦٣
محمد بن أحمد بن أبي بكر بن رسلان ، أوجد الدين البلقيني العجمي :
١٤١ ، ٣٦٣

محمد بن أحمد الأخيمي الناصر : ٦٢
محمد بن أحمد ، الأسيوطي الولي بن الشهاب : ١٦١ ، ١٩٢
محمد بن أحمد بن حسن بن إسماعيل ، الشمس الحنفي الأمشاطي :
٧٥ ، ٣٧٢

محمد بن أحمد بن حسين ، الناصر بن الشهاب النبراوي الحنفي : ٤٧
محمد بن أحمد الحلبي ، المحب بن الشهاب (موقع كاتب السر) : ١٢٧

محمد بن أحمد ، الشمس الحسيني القبيباتي الدمشقي : ١٦٥ ، ١٧١
محمد بن أحمد بن عبد الله بن بدر ، العامري رضي الدين الغزي : ١٠٧
محمد بن أحمد بن عبد الله المروزي الفاشاني : ٣١
محمد بن أحمد بن عرب شاه ، التاج بن الشهاب الحنفي : ١٣٨
محمد بن أحمد بن علي ، الشمس الديسطي : ٢٣١
محمد بن أحمد المحلي ، البدر بن الشهاب (قاضي إسكندرية) : ٣٣٤
محمد بن أحمد المحلي ، الجلال الشافعي : ٦٥
محمد بن إسماعيل بن أبي الحسن علي بن عبد الله البرماوي
الشافعي : ١١٧
محمد بن إسماعيل بن عمر بن مزروع العمرطي الشافعي : ١٣٣
محمد بن الأسود : ٩٠
محمد بن الأسيوطي ، الشهير بابن خيرة : ٣٦٧
محمد بن الأقصري ، المحب : ١٦٧
محمد بن أيتمش الحضري : ١٩٦
محمد بن إينال (المقام الناصري) : ٨٧ ، ٩١ ، ١٤٣ ، ٢٤٢ ، ٢٨٦ ،
٢٩٣ ، ٢٩٦ ، ٢٩٣ ،
محمد بن البارزي ، الكمال (كاتب السر) : ٣٥١
محمد بن البارزي القاضي ناصر الدين : ٣٠
محمد البياوي ، الشمس : ١١٢
محمد البتنوني : ١٩٠
محمد الناصر بن الأمير بردبك : ١٨٧
محمد بن بريطع ، الحسام : ٣٤٩

- محمد بن البعباع ، الشمس البقاعي الشافعي : ١٠٧
- محمد بن بهادر بن عبد الله المصري الزركشي الشافعي : ٣٧٦
- محمد بن التاج البلقيني (أبو السعادات) : ١٩٤
- محمد بن جرياش : ٢٧٠ ، ٢٩٦
- محمد الجعفري ، التقي : ٢٠٧
- محمد بن جمال الدين (الناصري) : ٢١٤
- محمد بن حامد ، الشمس الصفدي : ٢٠٣
- محمد بن حسن النبي ، البدر بن البدر الشافعي : ١٨٦
- محمد الحمصي ، الشمس : ١٤٩
- محمد الخيضي ، القطب البلقاوي الشافعي : ٣٥١
- محمد بن سعدان (كبير عرب لبيد) : ٢٥٩
- محمد بن الشحام ، البدر : ١٧٧
- محمد بن الشحنة ، أبو البقاء (قاضي الشافعية بحلب) : ١٧٧
- محمد بن الشحنة ، أثير الدين (قاضي الحنفية بحلب) : ١٣٨ ، ١٧٣ ، ١٧٧ ، ١٧٩
- محمد بن الشحنة ، الجلال بن الأثير بن المحب : ١٦٠
- محمد بن الشحنة ، المحب (كاتب السر) : ١٧٩ ، ٢٠٣
- محمد الشريف ، الناصر (نقيب الأشراف بدمشق) : ١٨٧
- محمد الشويمي : ٣٢٥
- محمد الصغير : ١٠٩ ، ١٥٢
- محمد بن عبد الدايم (ابن أخت مدين) : ٣٢٤
- محمد بن عبد الرحمن = خليفة بن مسعود بن محمد بن موسى ، الشمس

المغربي المالكي ابن خليفة : ٣٤٠

محمد بن عبد الرحمن ، المحب بن التقي بن القطب القرقشندي : ٢٥١

محمد بن عبد الرحيم (محب الدين) : ١٤

محمد بن عبد الرحيم بن محمد الهيثمي ، المحب أبو البركات : ٤٩

محمد بن عبد القادر ، الجلال الباعوني : ٤٧ ، ١٩٩

محمد بن عبد القادر بن محمد ، الصدر بن الصدر اليونيني : ١٤٥

محمد بن عبد الله ، الشمس البلاطيسي الشافعي : ١٨

محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن ، النجم بن الولي بن الزين بن قاضي

عجلون الشافعي : ١٠٣ ، ١٤٨ ، ١٦٥ ، ١٧٣ ، ١٧٨ ، ٢٢٨ ،

٢٣٦ ، ٢٦٠ ، ٢٧٠

محمد بن عثمان (السلطان) : ١٠٣ ، ١٣٠ ، ١٩٩ ، ٢٠٧ ،

٢٥٦ ، ٣٦٤

محمد بن عجلان ، السيد الشمس : ٩٤

محمد بن عصفور ، المحب المكتب : ٩

محمد بن علي بن خلد المحلي الشافعي : ١٣٣

محمد بن علي بن سالم بن معالي ، المحب الشافعي (ابن سالم) : ١٣٣

محمد بن علي بن عبد الله بن إبراهيم الجوجري الخانكي ، الشمس

الشافعي : ٢٣٣

محمد بن علي بن عبد الله بن أبي القاسم أبو الفضل البجائي المشدالي

المغربي المالكي : ١٠٢

محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله ، محبي الدين الطائي الحاتمي

المرسي ابن عربي : ٦١

محمد بن علي بن محمد بن قاسم ، الشمس بن المرخم الشافعي : ٩٦

محمد بن العمد بن بريطع ، الحسام الغزاوي الحنفي : ٢٥٣
 محمد بن عمر بن حججي ، البهاء بن النجم الحسابي الشافعي : ٨
 محمد بن عمر بن محمد ، الخواجا الشمس بن الزمن : ١٣١
 محمد العمريطي : ١٣٥
 محمد بن عيسى القرشي المالكي : ٢٤٩
 محمد بن الفوي : ١٧٢
 محمد القطاوي ، شمس الدين الحنفي الحلبي : ٤٦
 محمد بن قلاوون (الناصر) : ١٩ ، ٨٤
 محمد بن مبارك شاه الإينالي الناصر الدمشقي (ابن مبارك) : ٢٦١
 محمد بن مبارك (عداد الغنم) : ٣٦٨
 محمد بن محمد بن أحمد بن محمد ، الفخر الأسيوطي الشافعي : ١٧٠
 محمد بن محمد بن حسن بن سعد ، المحب الشافعي الفاقوسي : ٥٩
 محمد بن محمد بن دنكر بغا الناصر الحافظي : ١٧٢
 محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عمر ، أبو السعادات بن التاج بن
 الجلال البلقيني : ١٥٥
 محمد بن محمد بن عبد السلام بن موسى العز المغربي المنوفي
 الشافعي : ٩١
 محمد بن محمد بن عثمان بن أيوب بن عثمان ، الشرف الأشليمي
 الأصيلي : ١٢٠
 محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن الشماع الحلبي الشافعي الصوفي : ٨٨
 محمد بن محمد بن عمر بن محمود ، المحب الكماخي الحنفي : ١٦٢
 محمد بن محمد بن العمد ، الجلال بن الحسام الغزي بن بريطع : ٣٦٨

محمد بن محمد بن قاسم بن عبد الله الشرف بن أبي المكارم المالكي : ١٤١
محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد ، البدر بن الفخر الأسيوطي
الشافعي : ١٧٠

محمد بن محمد بن محمد بن علي بن محمد ، البدر بن القطان : ٧١

محمد مراهم ، الشمس الشرواني القاهري الشافعي : ١٩٦

محمد بن موسى الأنصاري ، البدر بن الشرف : ٣٢٤

محمد بن موسى بن محمد بن سند اللخمي الشافعي : ١١٦

محمد النحريري الشمس : ٢٠٧

محمد النشاب : ٣١٣ ، ٣٣٣ ، ٣٤٨

محمد بن النور بن هلال الدولة الزنداني : ٣٤٢

محمد بن الهمام (الناصري) : ٣٤٠

محمد بن يوسف بن محمود بن محمد ، الشمس الرازي الحنفي : ٨٠

محمود بن إبراهيم بن الديري : ٢٧٤

محمود بن الحاج أبي بكر بن باكلة العامري (مقدم بلاد الزبداني) : ٢٦٩

محمود بن باكلة (أحد مقدمي بلاد الزبداني) : ١٣٧

محمود بن جارية خوند شقراء بنت الناصر فرج (زوجة شرباش) : ٢٦٩

محمود بن علي ، الجمال الإستدار : ٢٤٢

محمود بن عمر الزمخشري ، أبو القاسم جار الله الخوارزمي : ٢١٦

محمود بن عمر بن منصور أفضل الدين القرمي الحنفي : ٣٦٩

محمود بن عبيد الله ، البدر الحنفي : ٣٧٢

محمود العيني (البدر) : ٣١٥

محمود بن المحبي محمد بن الشحنة : ١١٧

- محمود نور الدين الحلبي : ٣٣ ، ٣٠
- المخلع بن الأقساسي : ٥٨ ، ١٦
- مدين (الشيخ) : ٣٥١ ، ٣٤٠ ، ٣٢٥ ، ٧٥
- المراغي = محمد بن أبي بكر بن الحسين بن عمر ، الناصر المراغي
العثماني : ١٦٧
- مرجان الطواشي العادلي الحصني المحمودي (مقدم الممالك) :
٢٣٠ ، ١٤٩
- مرز التركماني (كاشف البحيرة) : ٢٩٥
- المزهرى (الزين) : ٣٤٤
- المستكفي بالله أبو الريح سليمان (الخليفة العباسي) : ٢٠٩
- المستنجد بالله يوسف بن المتوكل على الله محمد (الخليفة العباسي) : ٢٠٩
- مسند بن محمد بن عبد الله البلقاوي (أخو القطب الخيزري لأبيه) :
٢٣٨ ، ٢٣٥ ، ١٤
- المشدالي = أبو الفضل محمد بن أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم ،
البجائي المغربي المالكي : ١٧٥ ، ١٠٢
- مصطفى أبا عبد القادر : ٦
- المغربي = الشيخ أبو الفضل المشدالي : ٩
- مغلباي الأقطش : ١١٧
- مغلباي البجاسي (دويدار نائب الشام) : ٣٠١
- مغلباي طاز الأبوبكري المؤيدي ثنيخ : ٣٢٩ ، ٢٣٢
- مغلطاي : ١١٦
- المقام الأتابكي الشهابي بن المقام الشريف : ٢٥
- المقام الشهابي = أحمد بن السلطان إينال : ٧١ ، ٧٣ ، ٧٤ ،
٢١٠ ، ٢٢٣

المقام الناصري = محمد بن السلطان إينال : ٩١

المقسى : ١٣٥

مقلد (أمير عرب حوران) : ٤٩ ، ٢٦١ ، ٣٠١ ، ٣٣٦ ، ٣٥٤

المكتب = محب الدين محمد بن عصفور : ٩

الملك المؤيد = أحمد بن إينال : ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٩ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ،

٢٩٤ ، ٣٠٢ ، ٣٠٤ ، ٣١٣ ، ٣٣٤ ، ٣٤٧

المناري = يحيى الشرف (القاضي الشافعي) : ٦٥ ، ٦٦ ، ٣٣١ ،

٣٤٤ ، ٣٥٠ ، ٣٦٦ ، ٣٦٨ ، ٣٧٣ ، ٣٧٧

المنصور = عثمان بن جقمق : ٢٨٧ ، ٣٩٦ ، ٣٣٤

منصور صهر الزين الإستدار : ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٤٧ ، ١٦٠ ، ٢٢٧ ،

٢٣٠ ، ٢٢٨

المنوفي = محمد بن محمد بن عبد السلام بن موسى العز : ٩١

الموسكي (أحد الجبابة) : ٢٠٧

موسى الأنصاري الشرف : ١٥٥ ، ٢٤٩ ، ٣٢٤

موسى البدوي : ٢٢٦ ، ٢٢٧

موسى (ناظر حبيش طرابلس) : ١٧

موسى (الشرف القاضي بغزة) : ١٤٩

موسى بن محمد ، الشرف بن المحب بن الزين الحلبي (موقع كاتب

السر) : ١١٨

موسى بن مفلح الغزي : ٣٦٨

مؤمن (أمير عرب البحيرة) : ١٠٦ ، ٢٥٩

المؤيد = الملك أحمد بن إينال : ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ،

٢٨٥ ، ٢٨٨ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٥ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ،

٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٣٠ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٤٣

المؤيد شيخ : ١٩ ، ٣٧٢

(ن)

- الناصر = محمد بن قلاوون : ١٩ ، ٨٤
النبراوي = محمد بن أحمد بن حسين الحنفي : ٤٧
نجم الدين التكريتي : ١٦
النجم = محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن جماعة : ٣٦٣
النجم = محمد بن الولي عبد الله بن قاضي عجلون : ٢٣٦
النحاس (أبو الخير) : ١٨ ، ٤١ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ،
٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٢٨ ، ١٥٥ ، ٣٢٣
النشابي = محمد : ٣٣٤
نوح عليه السلام : ١٥٣
نور الدين ، الحافظ (قريب أبي البركات محمد بن عبد الرحيم
الهيثمي) : ٤٩
نور الدين = محمود الحلبي : ٣٢
نوروز الحافظي : ٢٣١
النووي = عبد القادر بن محمد بن حسن الزين : ٣٣٩
النويري أبو الفضل (خطيب مكة) : ٥٠ ، ١٣٦ ، ١٤٦ ، ٢٦٢ ،
٣٧٢ ، ٣٧٣

(هـ)

- هجان (قريب والي ينيع دراج بن معزى) : ١٥
الهيثمي = محمد بن عبد الرحيم بن محمد : ٤٩

(و)

الوفائي = أبو العباس شاد العمائر : ٦٢ ، ٩٩
الولي بن التقي = أحمد بن محمد بن محمد بن عمر البلقيني
الشافعي : ٣٥٣
الولي = عبد الله الباعوني : ٣٣١
الولي = عبد الله بن قاضي عجلون : ٢٣٦
الونائي : ٣٢٩

(ى)

يحيى الإستدار (الزين) : ١٥٩ ، ٣١٨ ، ٣٢٢
يحيى بن نائب الشام جانم : ١٩٣ ، ٢٥٧ ، ٢٦٠ ، ٢٦٧ ، ٣٠٧ ،
٣٥٤ ، ٣٣٣
يحيى بن سبع (أمير الينبع) : ١٥
يحيى بن محمد بن عمر أو أحمد بن حجي ، البهاء بن النجم الشافعي بن
بنت الكمال البارزي : ٨ ، ٩ ، ٧٤ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥
يحيى بن محمد المناوي (قاضي الشافعية بالديار المصرية) : ٣٣٠ ،
٣٧٢ ، ٣٦٥
يحيى بن محمود بن المحبي محمد بن الشحنة : ١١٧
يحيى بن موسى بن محمد الحلبي : ١١٨
يحيى بن النور بن أقبرس : ١٨٨
برشباي بن عبد الله الإينالي المؤيدي شيخ سيف الدين (أمير
المالك) : ٧٤

يزبك (صهر الظاهر جقمق وصهر ابن البارزي) : ١٥ ، ٧٤ ،
٢٥٣ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ ، ٢٩٨ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ،
٣٥٣ ، ٣٤٧

يشبك البجاسي : ٢٧٩

يشبك خزندار المؤيد : ٢٩٠

يشبك دويدار الأشرف : ٢١٣

يشبك الصوفي المؤيدي (أتابك العساكر بدمشق) : ١٩

يشبك الفقيه (شاد المؤيدية) : ١٤١ ، ٢١٢ ، ٢٥٠ ، ٢٧٩ ، ٣٠٥ ،
٣٧٠ ، ٣٦٩

يعقوب كرد (الخواج) : ١٢١

يلباي الإنلي المؤيدي : ٦٠ ، ١٨٦ ، ٢٩٧ ، ٣٤٦

يوسف بن أيوب بن شاذي (صلاح الدين) : ٣٤٧

يوسف الجمال بن الشهاب الباعوني : ٢٥ ، ٣٢ ، ١٣٤ ، ١٩٩

يوسف بن الأشرف برسبائي خال العزيز (الملك العزيز) : ١٤٧ ،
٣١٣ ، ٢٩٢

يوسف بن رسلان : ٢٩١

يوسف الصبيبي الجمال (خزندار نائب الشام) : ٢٣٨ ، ٢٤١ ،
٢٤٧ ، ٢٦٢ ، ٢٦٩ ، ٣٠٣ ، ٣٠٧ ، ٣٢٧ ، ٣٤٢

يوسف بن كاتب جكم (شكم) الجمالي (ناظر الخاص) : ٧ ، ٤١ ،
٧٠ ، ٩٠ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٧ ، ١٢٦ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ،
١٧١ ، ١٩٣ ، ٢٣٦ ، ٢٩٦ ، ٣٣٤ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٧٣

يوسف المستنجد بالله بن المتوكل على الله أبي عبد الله محمد العباسي :
٢٨١ ، ٢٠٩

يونس العلائي (الدويدار الكبير) : ٥ ، ٧ ، ١٧ ، ١٨ ، ٤٦ ، ٥٣ ،

٥٧ ، ٧٤ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٩٦ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٤١ ،
١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٧٠ ، ١٨٠ ، ١٩٥ ، ٢٠٨ ، ٢١٢ ، ٢٣١ ،
٢٤١ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٢٨٧ ، ٢٩٤ ، ٢٩٨ ، ٣٠٠ ،
٣١٤ ، ٣٢٠ ، ٣٤٣

يونس كفك (أحد الأجلاب) : ٩١

اليونيني = عبد القادر بن محمد بن محمد بن محمد الحنبلي : ١٤٤

٥ - فهرس الفرق والطوائف والأسمم والقبائل

(أ)

آل ججاز : ٢٦٦

آل منصور : ٢٦٧

الإبراهيم : ٢٦١

الأبي حسن : ٢٦١

الأترك : ١٠٤

الأجلاب : ١٥ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٥٨ ، ٦٠ ،

٦٧ ، ٦٨ ، ٧٢ ، ٧٨ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٩٢ ،

١٠٨ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٧١ ،

١٧٤ ، ١٨٤ ، ١٨٩ ، ١٩٢ ، ١٩٧ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢١٥ ،

٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٤٤ ، ٣٠٠

أجلاب السلطان : ١٠٨ ، ١٨٤ ، ١٨٩ ، ٢٠٤

أجلاب الأشرف إينال : ٣٠٠

الأجناد : ١٥٣

الأحداث : ٢١٥ ، ٢٨٦

أرباب النصير : ١٩٥

أرمن (أرمني) : ٢٢٤ ، ٢٣٢

الأشرقية : ٤٨ ، ٧٥ ، ٢١٧ ، ٢٣٦ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٧ ،

٢٨٠، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٩٨، ٣٠٠، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥،
٣١١، ٣١٢، ٣٢٠، ٣٣٤، ٣٤٩، ٣٥٤، ٣٦٤، ٣٧٨، ٣٨٠
٣٨١

أشرفية برسباني : ٤٨، ٢١٢، ٣٤٦، ٣٧٨، ٣٨١

أشرفية إينال : ٣٤٦، ٣٨١

الأطباء : ٤٣، ٦٣

الأعراب : ٣٢، ١٩٢

أعيان الشافعية : ١٠٧

أعيان الظاهرية : ١٢٦

أعيان القاهرة : ١٩٤

الأغريق : ٣١

الأفلاق : ٣٥٦

إكابر الأجلاب : ٢١٧

إكابر الجند : ٢٢٣

أكراد راودية : ٣٤٧

الأندلسيين : ١٧٤

أهل الإسلام : ٩٠

أهل أشرينة (شرينة) : ١٨٠، ٢٠٥

أهل البر : ١٤٢

أهل بلاد الروم : ٢٥٧

أهل بلاد الشمال : ٢٦٢

أهل البلاد النائية : ٢٥٠

أهل التاريخ : ٣٤٧

أهل جامع الأزهر : ٢٤١

أهل جبل نابلس : ٣٢٨

- أهل جدة : ١٠
أهل الجراح : ٦٣
أهل الجزيرة : ١٨٢
أهل حلب : ١٠ ، ٦٨
أهل الحل والعقد : ٢٩٨
أهل الخانقاه (الخانكة) : ٨٤ ، ١٨٨
أهل دمشق : ١٣٦ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ ، ٣٠١
أهل الدولة : ٣٢٦
أهل الذمة : ٧٢ ، ١٧٠
أهل رودس : ١٢٩
أهل الزاوية : ٣٢٥
أهل الزيداني : ٢٦١
أهل السنة : ٢٦٦
أهل السيف : ٣٠
أهل الشام : ١٠ ، ٢٤ ، ١٠٣
أهل الشرقية : ٦٧ ، ١٤٢
أهل الصعيد : ١٥٣
أهل العراق : ١٠
أهل العلم : ٩٥
أهل القاهرة : ٨٤
أهل القدس : ٢٧٠ ، ٣٢٧ ، ٣٦١
أهل القلعة : ١٦١
أهل الكحل : ٦٣
أهل المحلة الكبرى : ٣٦٥

أهل المدينة : ١٤٢ ، ٢٦٦

أهل مصر : ٦١

أهل مكة : ١٠ ، ٥٠

أهل وادي بني زيد : ٣٢٧

أهل اليمن : ١٠

أوزيع (أوزيعة) : ٨٤

أولاد البقري : ١٦٨

أولاد العزقي : ١٣٧

(ب)

البربر : ٣٢ ، ٨٣ ، ٨٤

البرنس : ٨٤

البلاقنة : ١٥٦ ، ١٩٠ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣١ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٢

البنادقة : ١٥٠

بني إسرائيل : ٥٦

بني الأصفر : ٣٥٦

بني جابر : ٣٤٠

بني الجنيعان : ١٣٤ ، ١٤٨

بني حرام : ٢٠ ، ١٤٢

بني الحريس : ١٥٣

بني حسن : ٩٢

بني خصبك : ٣٢٣

بني زيد : ٣٢٧

بني عبد القادر : ٣٣٦

بني مشاق : ٣٣٦

(ت)

التجار : ١٥ ، ١٣٧ ، ١٦٥ ، ٢٩٤ ، ٣٢٤

تجار الشام : ٩٥

الترك : ٦٧ ، ٧٣ ، ٨٤ ، ٢٠٢ ، ٢٢٤ ، ٢٣٤

التركمان : ٣٠٣

(ج)

الجاووشية : ١٩

الجلبان : ٤٧

جلبة المماليك : ١٧٠

جمهور الشافعية : ٣٧٥

الجنند : ١٨ ، ٦٤ ، ٧٢ ، ٧٨ ، ٨٢ ، ٩١ ، ١٤١ ، ١٤٦ ، ١٧٠ ،

١٨٠ ، ١٨٤ ، ٢١٨ ، ٢٢٤ ، ٢٣٧ ، ٢٤٢ ، ٢٤٧ ، ٢٦٢ ،

٢٧٥ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٨ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٨ ،

٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ ، ٢٩٨ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣٢٢ ،

٣٢٩ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٦ .

جند القاهرة : ٣٠٧

جند مصر : ٨٢

الجنويين : ١٢٩

الجواري : ١٢٢

(ح)

حارثة : ٢٦١

الحجازيين : ٣٩ ، ١٨٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤٩ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٣٣٠

حدّاث الترك : ٧٣

حديدين : ٢٦١

حمارة : ٢٦١

الحنفية : ١٠ ، ٦٨ ، ٣٧٢

(خ)

الخولة : ١٥٩

خولة بلييس : ١٥٩

(ر)

الرافضة : ٢٦٦

الروادسة : ١٣٠

الروم : ٣٥٦

الريحيانية : ٣٥٢

(ز)

الزعر : ٢٨١ ، ١١١ ، ٤٨

زنارة : ٨٤

(س)

سعد : ٢٠

السريان : ٣٥٥

السطوحية : ٢١٣

السودان : ١١١

السوق : ٢٣٦ ، ٢١٨

السيفية : ٢٣٦

(ش)

الشافعية : ٣٧٧ ، ٣٧٢ ، ٩٦ ، ١٠

الشاميين : ٣٠٧ ، ٣٠٢ ، ١٦٥ ، ٩٠ ، ١٨

الشراكسة : ٢٣٧ ، ١٧٠ ، ١٦٦

(ص)

الصوفية : ٧٠ ، ١٥٨ ، ٢١٤ ، ٢٤٤

(ط)

الطاهرية : ٣٥٤

الطحانين : ٨٥

طبقة الزمامية : ٨٩

(ظ)

الظاهرية : ٧٥ ، ٢٠٤ ، ٢٨٠ ، ٢٨٤ ، ٢٩٨ ، ٣٣١ ، ٣٣٥ ،

٣٧٩ ، ٣٤٩

الظاهرية الجقمقية : ١٤١ ، ٢٥٤ ،

(ع)

العامة : ١٣٨ ، ٢١٧ ، ٢٢٦ ، ٢٣٤ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٢٨٩ ،

٢٩٣ ، ٢٩٩ ، ٣٣٩ ، ٣٧٧ .

العييد : ١٦ ، ١٢٢ ، ١٥٩

العرب : ١٨ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٤٩ ، ٨٥ ، ١٠٦ ، ١٠٩ ، ١١٤ ،

١٣٦ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٥٢ ، ١٩٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٧ ،

٢٤١ ، ٢٥١ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٧ ، ٢٧٦ ، ٢٨٣ ، ٣١٤

العربان : ٥٣ ، ١١٣ ، ١٥٢ ، ١٩٥ ، ٢٠٨
عرب البحيرة : ٨٤ ، ١٠٦ ، ٣٦ ، ٢٣٧ ، ٣٤٥
عرب حارثة : ٩٢ ، ٢٧٦ ، ٣٣٣ ، ٣٣٦
عرب حوران : ٢٦١ ، ٣٣٦
عرب الصعيد : ٢٣٦
عرب الطاعة : ٣٢٩
عرب قتيل : ١١٤
عرب لبيد : ١٨ ، ٢١ ، ٢٩٥ ، ٣٤١
عرب مصر : ١٩٥
عرب هواة : ٨٤ ، ١٤٩
عرب ينبع : ١٥
عشائر الشام : ٢٦١
العشير : ٣٨ ، ٢٢٧ ، ٢٤١ ، ٢٦١ ، ٣٠٣ ، ٣٢٩
عشير السبخة : ٢٦١
العقليين : ١٠
العلماء : ٢١٤
العوام : ٣٠٨
عوام الشام : ٣٠٩

(غ)

الغلمان : ٢٠٤ ، ٢٤٨ ، ٢٩٣

(ف)

الفرس : ٣١

الفرنج : ٨٢ ، ٩٠ ، ٩٨ ، ١٠٤ ، ١٢٩ ، ١٥٠ ، ١٧٣ ، ٢٢٦ ،
٢٧٧

فزاره : ٢٣٦

الفقراء : ٧٧ ، ٩٥ ، ١٦٨ ، ١٧٦ ، ٢٠٠ ، ٢٤١ ، ٢٥٤ ، ٣٠٣ ،
٣٤٠ ، ٣٢٨ ، ٣٢٥

الفقراء السطوحية : ١٩٩

فقراء الشيخ مدين : ٣٢٥

(ق)

القبط : ٤٢ ، ٥٠ ، ٧٣ ، ١٠٧ ، ١٣٧ ، ١٤٣ ، ١٥٢ ، ١٦٤ ،
١٦٥ ، ١٧١ ، ١٨٥ ، ٢٣٩ ، ٣٤٦ ، ٣٥٤

قتيل : ٢٣٦

قوم نوح : ٢٢

(ك)

الكفار : ١٥٠ ، ٣٥٧

الكيثلان : ٨١ ، ١٣٠ ، ١٥٠ ، ٣٤٩

(ل)

ليبد : ٢٣٦ ، ٢٥٩ ، ٣٠٤

(م)

المتصوفة : ٢٦٢

المتفجرة : ٢٦٩

المجاهدين : ١٣٨

المسلمين : ٥ ، ٦٤ ، ٨٢ ، ٩٠ ، ١٠٦ ، ١٨٣ ، ٢١٠ ، ٢٢٦ ،

٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٥ ، ٢٥٨ ، ٢٧٢ ، ٢٧٧ ، ٣٤٦ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩

المباشرين : ١١١

المصامدة : ٤٢

المصريين : ٥٦ ، ٧٦ ، ١٧٣ ، ١٨٢ ، ٣٢٧

المغاربة : ١٧٧ ، ٣١٥ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٧٠ ، ٣٧١

المماليك : ١٧ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٧٤ ، ٧٧ ، ١٠١ ، ١٠٥

مماليك بكتمر السعدي : ٤٥

مماليك الظاهر جقمق : ٥٠

مماليك السلطان : ١٧ ، ٢٢

مماليك سودون الحمزاوي : ٢٣

مماليك طنتا : ٨٨

منسر (مناسر) : ٢٧٤ ، ٢٩٥

المؤرخون : ٣٥٦

المؤيدية : ١٤١ ، ٢٣٦ ، ٢٤٨ ، ٢٩٨ ، ٣٠٠ ، ٣٠٤ ،
٣٠٨ ، ٣٠٥

(ن)

الناصرية : ٢٣٦
النصارى : ٧٢ ، ١٧٠ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٣٤٩
نصارى القدس : ١٢
النفر : ٢٢١ ، ٢٢٢

(هـ)

الهمتاتي : ٨٣
هواره : ٨٤ ، ١٠٦ ، ٢٣٦

(و)

الوزيرية : ٢٠
وائل : ٣٥٢

(ى)

اليهود : ٥٥ ، ٧٢ ، ١٧٠

٦ - فهرس الأماكن والمواضع والبلدان

(أ)

آذربيجان : ٣٤٧

آمد : ٢٣٠ ، ٢٨٨ ، ٣٥٧

أبراج السفن : ١٧٣

أبراج القلعة : ١١٢ ، ١٧٤

أبواب التربة (تربة الظاهرية) : ٣٧٨

أيبار : ١٨٩

الأخصاص : ٢٧١ ، ٢٧٢

أخطاط القاهرة : ٢٥٣

أدرنة (من بلاد الروم) : ١٧٧

أدكو : ١٣٣

إربد : ٣٠٦

أراضي الشرقية : ٣٤٦

أران : ٣٤٧

الأردن : ٩٢ ، ٢٧٦

أرض أشرينة : ١٨٠

أرض البعل : ٢٢٦

أرض مصر : ٦٤

الأزهر : ٢٦٠

الأسدية (مدرسة) : ٨

الإسكندرية : ١٨ ، ٧٤ ، ٨٤ ، ١٢٩ ، ١٤٠ ، ١٥٢ ، ١٨١ ،

١٨٤ ، ١٨٦ ، ١٩٦ ، ٢٥٨ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ ، ٣٠٤ ، ٣١٣ ،

٣١٤ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٥٣ ، ٣٦٦ ، ٣٧٩ ، ٣٨٢

الأسواق : ٢١ ، ٧٢ ، ٨٥ ، ١١٣ ، ٢١٨ ، ١٢١ ، ٢٣٧

أسواق البلد : ٣٠٥

أسواق دمشق : ٢٤٠

إشبيلية : ٦١

الأشرفية (مدرسة) : ٧٨

أشرينة : ١٧٤ ، ١٨٢

أشميم : ١٢٠

إصطبل البغال : ٢٩٩

إصطبل شاذ بك : ٢٦٦

الأطباق : ٣٠٠

الأعمال الإخيمية : ٨٤

الأعمال البهنساوية : ٨٤

أعمال حلب : ٢١١

أعمال دمشق : ٤٩ ، ٢٥٩ ، ٣٠٦

أعمال الشرقية : ١٢٢

أعمال الغربية : ٨٧ ، ١٢٢

أعمال غزة : ٣٠٦

- الأعمال القليوبية : ٢٠٧
أعمال القناة : ٣١٥
الأفقسية : ١٧٩
الأفلاق (إمارة) : ٣٥٦
الإقباليين : ٢٣٥
أقاليم مصر : ٦٧
الألجهمية (مدرسة) : ٩٦
أم أخنان : ٢٨٣
الأهرامات : ١٢٥
أيلة : ٧٨
إيوان الدهيشة : ١٦١ ، ١٦٦ ، ٢٤٣
الإيوان الشرقي : ١٢٢
الإيوان الكبير : ١٢٢

(ب)

- باب الأمير الكبير : ٢٧٨
باب بيت الأمير الكبير : ٢٨٠
باب جامع الزاهد : ٩٣
باب حارة الهلالية : ٢٤٢
باب الحديد : ٢٥١

- باب الخرق : ٨٤
- باب دار السعادة : ٣٠٢
- باب الدرب : ٣٢٥
- باب الريح : ٢٥٣
- باب الزهومة : ٥٩
- باب زويلة : ٧٨ ، ٩٢ ، ١٨٨ ، ٢٤٢
- باب الستارة : ١٩٧
- باب السلسلة : ٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٢ ، ٢٨٦ ، ٣٤٦ ، ٢٨٩
- باب الصغير : ٩٤
- باب العيد : ٢٥٣
- باب الفتوح : ٣٥١
- باب الفرديس : ٢٧٠
- باب الفرج : ٩٥
- باب القاعة : ٣٣٣
- باب القرافة : ٢٥٠
- باب قصر الشوق : ٢٥٤
- باب القلة : ٢١٤
- باب القلعة : ٣٨٢
- باب المحروق : ٨١
- باب المدرج : ٢٨٤ ، ٢٥٠
- باب المسجد : ٢٥٤

باب الميدان : ٢٥٠

باب النصر : ٢١ ، ٤٩ ، ٥٣ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٩٦ ، ٨٥ ، ٩٥ ،
١٢٠ ، ١٣٩ ، ١٦٨ ، ١٩٠ ، ١٩٥ ، ٢١٣ ، ٢١٨ ، ٢٢١ ، ٢٢٥ ،
٢٥٣ ، ٢٩٨ ، ٣٧٨ .

الباسطية (مدرسة) : ٧٥ ، ١١٩

بام (بلدة بالصعيد) : ٩٦

ببا الكبرى : ١١٢

بجاية : ١٠٤

البحر : ٦٤ ، ٦٥ ، ٧٣ ، ٧٩ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩١ ، ١٣٦ ،
١٣٧ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ،
١٧٩ ، ١٨٢ ، ٢٥٢ ، ٢٧٤ ، ٢٩٥ ، ٣٤٦ ، ٣٥١ ، ٣٥٤ ،
٣٨١ ، ٣٦٥ ، ٣٦١

البحر الأعظم : ١٢٥

البحر الحلو : ٩٧

بحر الروم : ٢٠١

بحر شين : ٣٦٥

بحر سيف : ١٨٩

بحر القلزم : ٢٠١

البحر المتوسط : ٤٢

بحر النيل : ٦٢

البحرة : ١٤٧ ، ٢٥١ ، ٢٨٦ ، ٣٠١ ، ٣١٨ ، ٣٤١ ، ٣٤٥ ،
٣٦٨ ، ٣٥٠

بحرة فسقية الدهيشة : ١٦٦

بخارا : ٤٣
البرابخية (مدرسة) : ١٥٦
البرج : ١٣ ، ٩٨ ، ٢٠١ ، ٢١٩ ، ٢٢٠
برج السلطان : ١٨٣
بر الجيزة : ٥٣ ، ٦٠ ، ١٠٦ ، ٣٦٨
بر الشرق : ١١٤ ، ٣٦١
البر الشرقي : ١٠٦
برصة (من بلاد الروم) : ١٧٧
بر قبرص : ١٨١
البرقوية (مدرسة) : ٩٦ ، ١١٩ ، ١٢٢
البركة : ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٨٤ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ،
٣٣٠ ، ٣٢٨
بركة الحاج : ٧٤ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١٤٥ ، ١٩٤
بركة الرطلي : ٩١ ، ١٤٨ ، ٢٩١
بركة الكلاب : ١٧
بركة الفيل : ١٢٢
البرلس : ١٠٠ ، ٢٢٧ ، ٢٢٧ ، ٢٤٨
البرية : ١٠٦
بعلبك : ١٠٠ ، ١٤٤ ، ١٥٣ ، ١٨٤ ، ٢١٨ ، ٢١٩
بغداد : ٣١ ، ٦١ ، ١٥٨ ، ٢٧٣
بطن مر : ٥٠
البقاع : ٢٦١ ، ٢٦٦
بقاع بعلبك : ١٥٣

- البلاد : ٢٩٥
- بلاد الإسلام : ٣٥٦ ، ٢٥١
- بلاد ابن بشار : ١٣٧
- بلاد ابن عثمان : ٣١٠ ، ١٢٩
- بلاد ابن قرمان : ٣٦٥
- بلاد البحيرة : ٢٥١
- بلاد بعض الكفار : ٣٥٦
- بلاد البقاع : ٢٦٦
- بلاد الجاركس : ١٤٧
- بلاد جبل عاملة : ٢٦٦
- بلاد الجليل : ٣٨
- بلاد الحاجب : ٣٠١
- بلاد حلب : ٥٨
- بلاد حوران : ٣٠٦ ، ٤٩
- بلاد الخليل : ١١
- بلاد دمشق : ٥٨
- بلاد الرملة : ٣٠١ ، ٢٧١
- بلاد الروم : ٦١ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٧٧ ،
١٧٨ ، ١٩٩ ، ٢٥٧
- بلاد الزبداني : ١٣٦ ، ٢٦٩
- بلاد السلطان : ١٤
- بلاد الشام (البلاد الشامية) : ١٩ ، ٣٠ ، ١٠٧ ، ١٦٣ ، ١٨١ ،

١٩٩ ، ٢٢٧ ، ٢٣٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٦١ ، ٢٦٩ ، ٢٧٧ ، ٣٠٣ ،
٣١١ ، ٣٢٩ ، ٣٣٧ ، ٣٤٢ ، ٣٤٧ ، ٣٥٤ ، ٣٧١

بلاد الشرق : ٥

بلاد الشرقية : ٢٩٩

بلاد الشمال : ٢٦٢

بلاد الصعيد : ١٠٦ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٤٩ ، ١٩٢

البلاد الصفدية : ٣٥

بلاد الصلت : ٣٣٣

بلاد طرابلس : ٥٨ ، ١٧٤

البلاد العثمانية : ٣٥٧

بلاد العجم : ٢٥٧

بلاد فارس : ١٥٨

البلاد الفراتية : ٣٤٧

بلاد القدس : ١١ ، ٣٣٧

البلاد القرمانية : ٣٥٧

بلاد الكرج : ٣٤٧

بلاد الكرك : ١٧

بلاد الكفر : ٣٥٦

بلاد المسلات : ٤٢

بلاد مصر : ١٠٧ ، ١٠٨ ، ٢٣٤ ، ٣٨٢

بلاد المغرب : ١٠٤

بلاد نابلس : ٢٤١ ، ٣٠٧

- البلاد النائية : ٢٥٠
بلاد النوبة : ٢٢٧
البلاد اليمنية : ٣٤٧
بلاد اليونان : ١٧٤
بلييس : ٥١ ، ٨٤ ، ١٠٧ ، ١٥٩ ، ٢٩٩ ، ٣٠٣ ، ٣١٠ ، ٣١٣
بلد الأخصاص : ٢٧٢
بلدة إربد : ٣٠٦
بلد الخليل : ١٤
بلد المدرسة الشريفة : ٣٤٧
بلطيم : ١٠٠
بلقس : ١٤٢
البندقية : ١٥٠
بهنسا : ١٤٧ ، ٣٧٢
بوخارست : ٣٥٦
بولاق : ٧٥ ، ١٤١ ، ١٦١ ، ٢٠١ ، ٢٩٣ ، ٣٥٠
البياطرة : ١١٦
البيرسية (مدرسة) : ١٩٠ ، ٢٢١ ، ٢٦٨
بيت ابن التنسي : ٦٤
بيت ابن معلاق : ٣٣٧
بيت ابن نصر الله : ٣٥٠
بيت أحمد البلقيني (الولي) : ٣٥١
بيت أمير حاج بن يركوت : ٣٤١ ، ٣٧٦
بيت الأمير الكبير : ٢٨٧ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٤

بيت بردبك (الأمير) : ٥٨ ، ٢٥٤ ، ٢٦٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩٧ ، ٣٤٧

بيت بني الجيعان : ١٤٨

بيت تمرغا : ٣٢١

بيت جانبك : ٣٤٣

بيت حاجب الحجاب : ٨٧

البيت الحرام : ١٣١

بيت الحسام بن حريز : ٣١٤

بيت خشقدم (الأمير الكبير) : ٢٤٦

بيت الخضري : ١٩٧

بيت الخطابة : ٣٥٩

بيت الخطيري : ١٦٤ ، ١٧١ ، ١٩٧

بيت الديري (السعد بالقدس) : ٨١ ، ٣٠٩

بيت الست بالقدس : ٣٣٤

بيت الشافعي : ١٨٨

بيت صالح البلقيني (العَلَم) : ٢٥٢

بيت عبد الباسط : ١٤٨

بيت عبد الرحيم البارزي : ٢٥٢

بيت عيسى المغربي : ٣١٦

بيت فار : ٢٦٦

بيت قاضي الشافعية : ٢٢٢ ، ٢٢٤

بيت قائم التاجر : ٣٣٥ ، ٣٣٨ ، ٣٤٦

- بيت قراجا : ٤١
- بيت القرقشندي (التقي) : ١٢
- بيت كاتب السر : ١٧١ ، ١٩٠
- بيت المالكي : ٣١٥ ، ٣١٦
- بيت المتولي بقطيا : ٣٠٢
- بيت المقدس : ١٣١ ، ٢٥٧ ، ٣٠١ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٦٢
- بيت ناظر جدة : ٣٧٨
- بيت ناظر الجيش : ١٩٠ ، ٢٦٨
- بيت ناظر جيش غزة : ٣٠٢
- بيت ناظر الخاص : ٤١
- بيت نوبا : ١٣
- البئر البيضاء : ٢٩٩
- بيروت : ١٨٢ ، ٢٣٨
- بيسان : ٢٧٦
- بئر السدة : ١١٤
- البيضاء : ١٥٨
- البيمارستان : ٦٣
- بين البرجين : ١٨٣
- بين القصرين : ٦٣ ، ٧٨ ، ١٢١ ، ١٨٧
- بيوت ابن خصبك : ٢٩٢
- بيوت ابن الكويز (الزين) : ٣٢٤
- بيوت الأعراب : ١٩١

(ت)

- تتا : ٢٤
تحت الملك : ٢٣٣
الترب : ١٢٧ ، ٢٤٦
التربة : ٣٧٩
تربة الأشرفية : ٢٤٨
تربة أصلم : ٨١
تربة أيتمش الخصري : ١٩٧
تربة إينال : ٢١٥
تربة برقوق (الملك الظاهر) : ٣٢١ ، ٣٧٨
تربة جمال الدين (الأمير) : ٦٩
تربة شيخ الظاهرية : ٦٢
تربة الصوفية : ٦٢
التربة الطويلية : ٦٥
تربة قانباي الشركسي : ٢٨٤
تربة القرقشندي : ٢٥١
ترعة الملاح : ٣٦٥
تستر : ١٥٨
تفهنا : ١٤٠
تلمسان : ٨٣
تونس : ٨٣
التيه : ٥٦

(ث)

الثغر : ٧٠

ثغر الإسكندرية : ١٤١ ، ١٥٧

(ج)

الجامع : ١٩٧ ، ٢٠٩ ، ٣٠٩ ، ٣١٣ ، ٣٢٣

الجامع الإبراهيمي : ٢٤٢

جامع الأزهر : ٤١ ، ٦٣ ، ٩٨ ، ١٠٩ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٧١ ،

١٩٦ ، ٢٤١ ، ٢٥١ ، ٢٨٩ ، ٣٥٣

الجامع الأموي : ١٣٤ ، ١٩٨

جامع إينال : ٢٤٢

جامع بني أمية : ٣٤

جامع بشتك : ١٢١

الجامع الجديد بمصر : ٧١

جامع الجوزة : ٢٧٠

جامع الحاكم : ١٠ ، ٤١ ، ٩٩ ، ٢٠٦ ، ٣٥٣

جامع السلطان حسن : ٣٢١

جامع الحوش : ٢٣٠ ، ٢٦٦

جامع الخطيري : ٧٥

جامع الزاهد : ٩٣

الجامع الزيني : ٢٥٤

- جامع الظافر : ٨٦
- جامع الظاهرية بالحسينية : ٢١
- جامع عمرو بن العاص رضي الله عنه : ٦٥ ، ٦٦ ، ٩٦ ، ٣٣٧
- جامع الفاكهين : ٨٦
- جامع الفاكهاني : ٨٦
- جامع القلعة : ٢٠٩
- جامع المحكمة : ٢٥٤ ، ٣٠٩
- جامع المغربي : ٣٥٠
- الجبانات : ١٣٧
- جبل الأردن : ٣٨
- جبل عاملة : ٢٦٦
- جبل نابلس : ١٢٨ ، ١٧٣ ، ٢٦١ ، ٢٧٦ ، ٣٠٩ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٣ ، ٣٣٦ ، ٣٤٣ ، ٣٤٨
- الجهة : ٣٠٧
- جدار القرشندي : ١٢
- جدة : ١٥ ، ١٠٢ ، ١٣٧ ، ٢٧٧
- الجزائر : ٨٣
- الجزيرة : ٨١ ، ٨٢ ، ١٥٠ ، ١٧٤ ، ١٨٣ ، ٣٤٩
- جزيرة ابن عمر : ٢٣٠
- جزيرة البحر المتوسط : ١٧٤
- جزيرة قبرس : ٨١ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٧٩ ، ٢٤٧
- الجزيرة الوسطى : ١٢٥
- الجسور : ٧٩

الجليل : ٣٨
الجمالية (مدرسة) : ١١٩ ، ١٥٦ ، ٣٢٥ ، ٣٦١
جنوة : ١٢٩
الجوامع : ٢٤١
الجوانية : ٦٧
جوجر : ٢٣٣
الجون : ٥ ، ٨٢ ، ٩٠ ، ٩٧ ، ٩٨
جون البنادقة : ١٥٠
الجزيرة : ٢٥٩ ، ٢٥١

(ح)

حارة بهاء الدين : ١٣٣ ، ٣٥١
حارة الريحانية : ٣٥٢
حارة المغاربة : ٣٣٨ ، ٣٤٠
حارة الوزيرية : ٣٥٢
حبس (الحبوس) : ٧٣ ، ٧٦ ، ٢٨٩
حبس الصببية : ٥٠
الحبشة : ٣٨٢
الحجاز : ٦١ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤
الحجازية (مدرسة) : ٢٩٢ ، ٣٨٠
الحجرة الشريفة : ١٦٧
حدرة الكماجين : ٩٥

حرم الخليل : ٢٧٢ ، ٢٧١

الحسينية : ١٢٠ ، ٨٤ ، ٢١

حصن كيفا : ٢٣٠

حلب : ٢٣ ، ٢٤ ، ٥٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٦ ، ٨٨ ، ٩٤ ،

١٠٣ ، ١٢٧ ، ١٤٠ ، ١٤٥ ، ١٥٣ ، ١٦٠ ، ١٧٣ ، ١٧٦ ،

١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٩٢ ، ٢١٣ ، ٢٤٧ ، ٢٥٨ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ،

٣٢٨ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣

حلبولية : ٣٠١

حماة : ٢٤ ، ٣١ ، ٦٩ ، ٧٦ ، ٩٤ ، ١٠٣ ، ١٣٩ ، ١٤٥ ، ١٦٠ ،

٢٦٢ ، ٣٠٠ ، ٣٢١ ، ٣٤٧

حمص : ٣٨ ، ١٠٠ ، ٢٣٨

حوانيت : ٧١

حوران : ١٩٨ ، ٢٦١ ، ٢٧٦ ، ٣٠١ ، ٣٠٦ ، ٣٣٦

الحوش : ١٠٩ ، ٢١٩ ، ٢٤٢ ، ٢٥٥ ، ٢٨٦ ، ٣٧٨

حوش القلعة : ٣٠١

حوض قراجا : ٨٤ ، ٣١٠

(خ)

الخان : ١٣٧

خان بردبك : ٣١٦

خان الخليلي : ٣٣٥

خان الفندق : ٨٩ ، ١٣٦

الخائقاء : ١٥٨ ، ١٦٩ ، ١٨٨

خائقاء بيبرس (الملك المظفر ركن الدين) : ١٦٤

خائقاء سعيد السعداء : ٥٧ ، ٥٨ ، ١٥٥ ، ١٦٩ ، ١٨٨ ،
٢٤٤ ، ١٩٠

خائقاء : ١٥٨ ، ١٨٨

خائقاء سرياقوس = سعيد السعداء : ٥٣ ، ١٠٧ ، ٢٣٣ ، ٣٣٤

الخائقاء الصلاحية : ٣٢٢

خائقاء اللجون : ٩٣

خائقاء الملك : ١٦٤

الخائقاء : ٨٤ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١٣٩ ، ١٧٩ ، ١٩٤ ، ٢٣٣ ، ٢٤٨ ،
٢٥١ ، ٢٥٣ ، ٢٨٣ ، ٢٩٣ ، ٢٩٩ ، ٣٠٣ ، ٣٠٦ ، ٣١٠ ،
٣٢٩ ، ٣٤٢

خان المجلد : ١٨٤

خرائب الططر : ٢١٤

خرميشن : ٤٣

الخروبية : ٩٦

خزانة البنود : ٢٥٣

الخزانة الشريفة : ٣١٨

خط الجمالية : ١٥٦

خط القماحين : ٢٤٢

خط قناطر السباع : ٢٥٤

خط الموازين : ٢٤٢

الخلاوي : ٣٥٩
الخليجان : ٣٤٦
خليجان القاهرة : ٧٣
الخليج : ١٥٠ ، ١٧١
الخليج الأدنى : ١٤٣
الخليج الحاكمي : ٢٥٤
خليج الزربية : ١٢٥
خليج الزعفران : ٦٦ ، ١٩٥
خليج قناطر الوز : ٨٤
الخليج الكبير : ٨٤
الخليل : ١٣ ، ٥٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٣٣٤ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩
خندق : ١٨٢

(د)

دار بني العمري : ٢٣٥
دار جهار كس : ٦٣
دار السعادة : ١٥٤ ، ١٩٨ ، ٢١٩ ، ٢٩٩ ، ٣٠٢ ، ٣٠٨ ، ٣٤٣
دار العدل : ٧١
الدار القبطية : ٦٣
دار القردمية : ٢٤٢
دار المرضى : ٦٣
دار موسك : ٦٣

دجلة : ٢٣٠ ، ٢٨٨

دخلة بني عبد الهادي : ٢٣٥

درب الأحمر : ٣٢١

درب الأصفر : ١٦٤ ، ١٧١ ، ٢٢١

درب السلسلة : ٥٩ ، ٦٠

دكان (دكاكين) : ٦ ، ٢٧٨

الدكة بقطيا : ٣٠٢

دمشق : ٨ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٣٤ ، ٣٨ ،

٤٩ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٦١ ، ٦٩ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ،

١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٦ ، ١٢٦ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ،

١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ،

١٦٥ ، ١٨٧ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ،

٢٠٨ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٣٤ ، ٢٣٨ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ،

٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٨ ،

٢٧٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٥ ، ٣٠٣ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣١٠ ، ٣٢٠ ، ٣٢٢ ،

٣٢٩ ، ٣٣٢ ، ٣٣٨ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٧ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ،

٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٨ ، ٣٦٢ ، ٣٦٤ ، ٣٦٨ ، ٣٧١ ، ٣٨٢ ،

دمياط : ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ،

٢٠١ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٩٢

الدهيشة : ١٩٧

الدور : ٢٥٣

الدو المصرية : ٢٩٢

دوين : ٣٤٧

ديار بكر : ٢٨٨ ، ٢٣٠
الديار المصرية : ٤١ ، ٤٦ ، ٧٠ ، ٨١ ، ١١٤ ، ١٤٧ ، ٢٩٢ ،
٣٤٧ ، ٣٣٠
ديروط : ١٥٧
ديسط : ٢٣١

(ر)

رأس الجسر : ١٥٨
الرباط : ٢٩٠
الربوة : ٣٠٧
الرجبة : ٢٥٣
رجبة الأيدمرى : ٢٩٠ ، ٢٥٤
رجبة باب العيد : ١٩٠
رجبة باب قصر الشوق : ٢٥٤
رجبة العيد : ٢١ ، ٢٥٣
الرقى : ٢١١
الرملة : ١٢ ، ٩٢ ، ٢٤١ ، ٢٤٤ ، ٢٥٨ ، ٣٠١ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ،
٣٣٠ ، ٣٣٣ ، ٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٤٢ ، ٣٥٤ ، ٣٥٨
رملة لد : ١٣١
الرميلة : ١٤٩ ، ١٩٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٧ ، ٣٧٨
رواحية (مدرسة) : ٨
رواق ابن الديري : ٨٦

رودس : ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٧٤ ، ٢٧٧ ، ٣٢١

الروضة : ٦٤

الريدانية : ١٩٥

ريف مصر : ٥

(ز)

الزاوية : ٣٢٥

زاوية ابن داود : ٢٦٢ ، ٢٦٩ ، ٣٠٧

زاوية أحمد العداس : ٢٧٠

زاوية تقي الدين : ١٥٧

زاوية الحجازية : ١٥٦

زاوية خليل القلعي : ٢٩١

زاوية الدودية : ٢٦٢

زاوية السطوحية : ٢١٣

زاوية مدين : ١٥٧ ، ٣٢٤

الزبداني : ٢٦١

زرع : ٣٠٦

الزعقة : ٣٠١

الزمامية (مدرسة) : ٨٠

الزوايا : ٢٤١ ، ٢٦٢

(س)

- ساحل الشام : ٣٨
ساحل بحر الشام : ١٢٩
السابقية (مدرسة) : ٢٩٧ ، ٥٩
السبيل : ٦٧
سبيل قايماز : ١٩٥
سبيل المؤمني : ٢٨٧ ، ٢٨٠ ، ١٩٧ ، ١١٦
السجن : ١٤٢ ، ١٥٢ ، ١٧٢ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ٢٤٢ ، ٢٥٦ ،
٢٨٣ ، ٣٢٣ ، ٣٢٦ ، ٣٣٤ ، ٣٣٧ ، ٣٦٤
سجن إسكندرية : ١٥٢ ، ٢٩٢
سجن بلييس : ٥١
سجن الديلم : ٢٥٦
سجن الرحبة : ١٧٢ ، ١٨٨ ، ٣٥٦
سجن المقشرة : ٢٠٧
السخاوية : ٢٢٧
السد : ٧٣ ، ١٤٣ ، ٣٤٦ ، ٣٦١
سد الأميرية : ١٥٢ ، ١٦١
سد بني منجا : ٨٢ ، ٨٥ ، ٣٦١
سد قناطر بني منجا : ٧٩
سعيد السعداء (خانقاه) : ١١٩ ، ١٨٩ ، ٢٠٧ ، ٢٤٥ ، ٣٢٢
سفح قاسيون : ٦١ ، ٢٦٢
سهل الدانوب : ٣٥٦

سوسة : ١١٤
السوق : ٨٦
سوق الخيل : ٢٠٧
سوق السراجين : ٨٦
سوق السلاح : ٣٢١
سوق الشوايين : ٨٦
سوق مرجوش : ١٨٧
سويقة العزي : ٣٢١
السيفية (مدرسة) : ٧٢

(ش)

شارع درب الكرشة : ٣٥٠
شاطيء البحر : ١٧٤ ، ١٨٢
شاطيء النيل : ١٥٦
الشاغور : ٩٤
الشافعية البرانية (مدرسة) : ٨
الشام : ٣٣ ، ٣٥ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠٣ ، ١٣٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ،
١٤٨ ، ١٥٣ ، ١٦٣ ، ٢٠٨ ، ٢٤١ ، ٢٤٧ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ ،
٢٨٣ ، ٣٠٦ ، ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣٣٦ ، ٣٦٤ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١
شباك الدهيشة : ١٧
شبرا : ١٨٥ ، ١٣٢
الشرقية : ٢٠ ، ٢٣ ، ٥١ ، ٥٩ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٤٢ ، ١٥٣ ، ١٨٦

الشريفية (مدرسة) : ٩٦

شرينة : ٢٢٧ ، ٢٤٧

شمالى مصر : ٢٣

شبهة : ١٩٨

شوارع القاهرة : ٢٧٤

الشيخونية (مدرسة) : ٢٣٢ ، ٢٣٣

(ص)

الصاحية : ٦٠ ، ٢٩٩ ، ٣٣٠ ، ٣٦٩

صاحية دمشق : ١٤٤

صاحية القاهرة : ٣٠١

الصحرء : ١١ ، ٩٩ ، ١٩٧ ، ٢٥٠ ، ٣٢١

صرخد : ٤٩

الصرغتمشية : ٢٣٣

الصعيد : ٩٦ ، ١٠٨ ، ١١٤ ، ١٤٦ ، ١٥٣ ، ٢٥٨ ، ٣٨٢

صعيد مصر : ٨٤

صفد : ٢٤ ، ١٠٠ ، ١١٠ ، ١٦٣ ، ٢٠٣ ، ٢١٣ ، ٢٦٦ ، ٣٣٨ ،

١٨١ ، ٣٥٤

الصلاحية بالقدس : ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣

صندلا : ٨٧

صهاريج الماء : ١٧٣

الصومعة : ٢٢٤

(ض)

ضواحي القاهرة : ١٠٧

(ط)

الطبايق : ٦٧ ، ٧٣ ، ٢٠٤

طبرية : ٩٢

طرابلس : ١٤ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٤١ ، ٩٤ ، ١٠٠ ، ١٣١ ، ١٥٣ ،

١٦٤ ، ١٧٩ ، ٢١٣ ، ٢٢٠ ، ٢٣٩ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ،

٢٦٢ ، ٢٧٧ ، ٣٠٠ ، ٣٤٧ ، ٣٤٩ ، ٣٨١

طرابلس الغرب : ٤٢

الطرة : ٣٠٦

طرسوس : ٢٥٧

طريق الحج الشامي : ٨٨

الطفس : ٣٠٦

طنتتا : ٨٨ ، ١١٩ ، ١٨٩ ، ١٩٩ ، ٢٠٠

الطور : ١٠٢

الطينة : ١٧٣ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ٢٠٦ ، ٣٠٢

(ظ)

الظاهرية (مدرسة) : ٧٢ ، ٩٦ ، ١٦٣ ، ١٩٨ ، ٢٥٨ ، ٢٧٨ ،

٣٧٨ ، ٣٠٥ ، ٣٠٠

الظاهرية الجقمقية (جقمق) : ٢٥٤ ، ٣٤٦ ، ٣٧٨

الظاهرية العتيقة : ١٦٢

الظاهرية القديمة : ٦٣

ظاهر المدينة (مدينة دمشق) : ٩٤

(ع)

عجلون : ٢٥٩

عرفات : ١٠

العريش : ١٨٢ ، ٢٩٧

العزية الجوانية : ٢٣٥

العصرونية (مدرسة) : ١٢

العقبة : ٧٩

العقبة الكبيرة من برقة : ٨٤

العمارة البرانية : ٢٧٠

عمريط : ١٣٣

عينتاب : ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٤٢ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨

(غ)

الغرب : ٣٨١

الغربية : ١١٩ ، ٢٥٢

غزة : ٢٤ ، ١٠٣ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٩ ، ١٨٢ ، ٢٧٠ ، ٢٨٨ ،

٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣١٠ ، ٣٢٢ ، ٣٢٨ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٤٢ ،

٣٨١ ، ٣٦٨ ، ٣٤٥

الغور الشامي : ٢٧٦

(ف)

فاشان (قرية) : ٣١

فاقوس : ٥٩

فاليشا الرومانية : ٣٥٦

الفخرية (مدرسة) : ٧٥

الفرزن : ١٥٣

الفرما : ٢٠١

الفسقية : ٢٤٤

الفلاخ : ٣٦٦

فلسطين : ٩٢ ، ١٣١ ، ٢٧٦

الفلكية : ٢٣٥

فم البحر بدمياط : ١٨٢

فم الخور : ١٢٥

الفواخير : ٩١

الفيروزية (مدرسة) : ٧٥

(ق)

القابون : ٣٤

قاسيون : ٦١ ، ٢٦٢

قاعات الحريم : ٢٨٠

قاعة الدهيشة : ٦٤ ، ٢١١

قاعة ست الملك : ٦٣

القاهرة : ٨ ، ١١ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٣١ ، ٣٢ ،
٣٤ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ٧٠ ، ٧٢ ،
٧٣ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٩١ ، ٩٥ ، ١٠٠ ،
١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٣٠ ،
١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ،
١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٧٠ ،
١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ، ١٨٤ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ،
٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧ ، ٢١١ ، ٢١٥ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ،
٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥٣ ،
٢٦٠ ، ٢٦٣ ، ٢٦٦ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٤ ، ٢٨٣ ، ٢٨٧ ،
٢٩١ ، ٢٩٥ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٦ ،
٣٠٧ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١٥ ، ٣٢٢ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ،
٣٢٩ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٩ ، ٣٤١ ، ٣٤٥ ، ٣٤٨ ، ٣٥٠ ،
٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٦ ، ٣٦٩ ، ٣٧١

قبر إبراهيم الخليل عليه السلام : ٣٠١

قبر يونس عليه السلام : ٣٠١

القبة : ١٢ ، ١٢٢

قبة النصر : ١١١ ، ٢١٥ ، ٣٠٤

قبرس : ٨٢ ، ١٠٤ ، ١٣٨ ، ١٤٣ ، ١٥٠ ، ١٦٤ ، ١٧٤ ، ١٧٩ ،

١٨٥ ، ٢٠٥ ، ٢٢٧ ، ٢٧٧ ، ٣٤٦ ، ٣٤٩

القبطية (مدرسة) : ١٢٠

القدس : ١٣ ، ١٤ ، ٥٦ ، ٧٠ ، ٩٤ ، ١١٠ ، ١١٣ ، ١١٦ ،

١٤٠ ، ١٥٩ ، ١٧٣ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ٢٠٠ ، ٢٠٤ ، ٢٣٨ ،

٢٥٧ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٣١١ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٣٤ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ،

٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٧٠

القراسنقرية (مدرسة) : ١٩٠ ، ٢٢١

القرافة : ٦١ ، ١١٤ ، ٣٨٠

قوتيا : ٩

قرى حوران : ٣٠٦

قريطش : ١٧٤

قرية نصارى : ١١

القصبة : ٦٦ ، ٧٨ ، ٨٣ ، ١٨٧ ، ٢٥٦ ، ٢٨٦

قصبة القاهرة : ٦٦

قصبة قبرس : ١٧٩

القطبية (مدرسة) : ٧١

قطيا : ١٨١ ، ٣٠٢ ، ٣٢٩

القصر : ٦٠ ، ١٦٦ ، ٢١٢ ، ٢٣٣ ، ٢٤٦ ، ٢٥١

قصر بشتك : ٢٩٢

قصر الحجازية : ٢٩٧ ، ٣١٦ ، ٣١٨ ، ٣٤٧

القصر : ٦٠ ، ١٦٦ ، ٢١٢ ، ٢٣٣ ، ٢٤٦ ، ٢٥١

قصر الشوق : ٢٥٤

قصر الشوك : ١٥٦

القلعة (بالقاهرة) : ٤٩ ، ٥٩ ، ٦٤ ، ٦٧ ، ١٢٠ ، ١٢٧ ،
١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٧٤ ، ١٨٠ ، ١٨٤ ، ١٨٧ ، ٢٠٨ ،
٢٠٩ ، ٢١٥ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٤٠ ، ٢٤٣ ، ٢٥٠ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧ ،
٢٧٥ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٩٤ ، ٢٩٦ ،
٢٩٧ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣١٢ ، ٣١٨ ، ٣٣٠ ،
٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٥ ، ٣٥٠ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩

القلعة بدمشق : ٢٩٩

قلعة أشرينة : ١٨٠

قلعة الباف : ٢٢٧

قلعة الجبل : ١٨٤ ، ٢١٤ ، ٢٥٦ ، ٢٦٦ ، ٢٩٢ ، ٣١٢ ، ٣٢٨

قلعة حلب : ٦٩

قلعة الصيبية : ٣٨١

قلعة المرقب : ٢٤٦

قليوب : ١٦٨

القليوبية : ٢٥٢

القمامة : ١٢

قناطر السباع : ١٨٥

قناطر الوز : ٨٤ ، ١٩٢ ، ١٩٥ ، ٢٢٦

قناة العوني : ٢٧٠

قها : ٢٠٧

القهوقية : ٣١٥

قوس : ٨٤

القيطون : ١٢٢

(ك)

الكافوري : ٣٢٥

الكاملية (مدرسة) : ١٢٠ ، ٧٨

الكرك : ١٢ ، ١٠٥ ، ١١٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ٢٩٥

كرك الشوبك : ٣٢٨

كرك نوح : ١٥٣

الكعبة المشرفة : ٣٢٤

كفر الزيات : ١٨٩

كفر يهودا : ٣٣٣ ، ٣٥٤

كفور : ٢٩٩

كلمش (مدرسة) ٧٥

كهف جبريل : ٢٦٢

كورة الغريبة : ٣٦٥

الكوم : ٢٢٥

كوم الريش : ٢٢٦

الكيان : ٩١

(ل)

لد : ٣٢٧ ، ٣٠٦ ، ١٣١

لقانة : ٣١٥

(م)

الماغوسة : ٢٤٧ ، ١٧٩

متحر : ٦

المجدية (مدرسة) : ٩٦

محلة (المحلة) : ٣٦٦ ، ١٨٦ ، ١٤١ ، ١٣٣ ، ٦٤

محلة الجوانية : ٩٥

محلة الدقلا : ٣٦٥

محلة الفزازين : ٢٧٠

المحلة الكبرى : ٣٦٥ ، ٣٢٤

محلة منوف : ١٨٩

مخازن الغلال : ١٧٣

المدرسة (المدرس) : ٣١٣ ، ٢٦٥ ، ١٩٨ ، ١٣١ ، ٩٦ ، ٤٦

مدارس القاهرة : ١٠٩

مدرسة ابن تقي الدين الولي البلقيني : ٩٠

مدرسة ابن الجيعان : ١٥٦

مدرسة أقبغا آص : ٩٦

مدرسة إينال : ٢٤٢

مدرسة بردبك : ٢٥٤ ، ٢٩٠
المدرسة البرقوقية = مدرسة الظاهر برقوق : ٦٢ ، ١٢١
مدرسة بني الجيعان : ١٣٤
مدرسة البيبرسية : ١٦٤
المدرسة الجمالية : ٣٢٤
مدرسة جوهر القبقبائي : ٦٣
مدرسة الجائي : ٣٢١
مدرسة حسن الناصر : ٢٠٧ ، ٢٧٠ ، ٢٧٨ ، ٣٢١
المدرسة الركنية الشافعية : ٢٣٥
المدرسة السابقة : ٢٩٢
المدرسة الشريفة : ٢٣٩ ، ٣٤٧
المدرسة الصلاحية بالقاهرة : ١٢
مدرسة قايتباي : ٧٩
مدرسة قراسنقر : ١٩٠
المدرسة المحمودية : ٢٤٢
المدرسة المنصورية بالقاهرة : ١٦١
المدرسة المؤيدية : ٨١ ، ٨٦
مديرية الشرقية : ٢٩٩
مديرية الغربية : ١٨٩
مديرية القليوبية : ٢٣
مدينة إسكندرية : ٢٩٢
المدينة الشريفة النبوية : ٨٨ ، ١٣١ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ٢٠٠ ، ٢٤٩ ،
٢٦٦ ، ٢٦٧

- مراغة : ١٦٧
- المرستان : ٦٣ ، ٢٠٦ ، ٣٢٤
- المرستان المنصوري : ٦٣ ، ٣٢٤
- المرستان المؤيدي : ٢٥٠
- مرسى الطينة : ٢٠١
- مرسية : ٦١
- مرصفا : ٢٣
- مركز العرين : ٢٩٩
- مركز بنها : ٢٣
- المسجد (المساجد) : ٥٤ ، ١٩٠ ، ٢٥٣ ، ٣٣٩
- المساجد الفاطمية : ٨٦
- المسجد الأقصى : ١٣١ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٢
- مسجد قباء : ١٣١
- المسجد النبوي : ١٣١
- مسلاته : ٤٢
- المشهد : ٢٥٧
- مصر : ٥ ، ١٦ ، ٢٣ ، ٥٦ ، ٦١ ، ٧١ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٩٦ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٤٨ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٨ ، ١٩٥ ، ٢٠١ ، ٢٥٦ ، ٢٩١ ، ٢٩٩ ، ٣١٢ ، ٣١٥ ، ٣٢٧ ، ٣٣٠ ، ٣٣٩ ، ٣٤٧ ، ٣٥٣ ، ٣٧٣ ، ٣٨٢
- مصر التربة : ١٥٨
- مصر العتيقة : ٢٠٧

مصر القديمة : ٨٥ ، ٣٦٨

مصلى باب النصر : ١١٦

معاملة حلب : ١٧٦

معاملة صفد : ٢٦٦

المغرب : ٣٤٠

مغرب إفريقية : ٣٢

المقام : ٢٠٠

المقام الأحدي = أحمد البدوي : ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٧٦

مقام شعيب : ٣٤٩

المقشرة (سجن المجرمين) : ١٦٨ ، ٢٠٧ ، ٢٢٢ ، ٢٨٩

المقياس : ٧٣ ، ٨٢ ، ١٤٣ ، ٢٧٤

مكتب : ١٩٠

مكة المكرمة : ١٥ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٧٤ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٣٦ ،

١٤٦ ، ١٦٧ ، ١٧٩ ، ١٨٦ ، ٢٠٠ ، ٢١٠ ، ٢٤٩ ، ٢٦٦ ، ٣٢٨ ،

٣٦٧ ، ٣٦٤

ملطية : ٣٦٥

مملكة مصر : ٢٣٢

المنابر : ٢١٧

المنحر : ٦٤

منزلة نخل : ٧٨

المنصورية : ٦٦

منظرة : ١٢٥

منكوثرية (مدرسة) : ٧٥

المنوفية : ٢٤ ، ٢٨٣

المنية : ١٣٢ ، ٢٢٦

منية الشيرج : ٢٢٦

منية عباد : ١١٩

منية غمر : ٢٣

الموصل : ٦١

مولدافيا : ٣٥٦

الميدان : ٧٨ ، ١٨٥ ، ٢٥٢ ، ٣٠٠

مئذنة المدرسة المنصورية بالقاهرة : ١٦١

الميناء : ٩٧

(ن)

نابلس : ٦٥ ، ٢٤١ ، ٢٧٦ ، ٣٠٧ ، ٣٢٧ ، ٣٣٣ ، ٣٣٦ ، ٣٤٣ ،

٣٥٤

الناصرية (مدرسة) : ١٨٥ ، ١٩٨

الناصرية البرانية (مدرسة) : ٨

الناصرية الجوانية (مدرسة) : ٨

نخل : ٧٩

نواحي القليوبية : ١٣٢

النوبة : ٣٨٢

النيل : ٢٢٦

(هـ)

همذان : ٤٣

الهند : ١٥٨

(و)

الواح (الواحات) : ٣٨٢

واحات خارجة : ٣٨٢

واحات داخلية : ٣٨٢

وادي بني زيد : ٣٢٧

وادي عارا واللجون : ٩٢

وادي عارة : ٩٣

واسط : ١٥٨

الوجه البحري : ١٨٦

الوجه القبلي : ٨٤ ، ٩٥ ، ١١٢ ، ٢٩٥

وعرة سعسع : ٣٠٨

وقف الأسرى بدمشق : ١٦٤

وقف السيفي : ١٩٢

وقف الشيخونية : ٨٠

(ي)

ينبع (ينبوع) : ١٥ ، ٣٨٠

اليمن : ١٠٢

٧ - فهرس المصطلحات الإدارية والعسكرية والوظائف

(أ)

- آخورية الأجناد : ١٩
أتابك : ٢٣١
أتابك دمشق : ١٩
أتابك العساكر : ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢٩٠ ، ٢٩٤
أتابك العساكر بحمة : ٣٢١
أتابك العسكر بدمشق : ١٩
الأجلاب : ٥٢
الأجناد : ١١٤ ، ١٩٥ ، ٢١٥
الإستاذ : ٧٤
الإستدار : ٥ ، ٥٢ ، ٥٨ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٨٥ ، ٩٣ ، ١٠٥ ، ١٤٧ ،
١٥٩ ، ١٦٠ ، ٢٢٧ ، ٢٣٢ ، ٢٤٢ ، ٢٧٤ ، ٢٩٦ ، ٣٢٢
إستدار برديك : ٢١٤
إستدار السلطان : ١٦٠ ، ١٦٤
الإستدارية : ٢٢٨ ، ٣١٨
الإستيفاء : ٢٣٢
الإصطبل : ٢٨٠
الأطباء : ١٨٧

- أعيان الأمراء : ٣٧٠
- أعيان الموقعين : ١١٦
- أغا : ٣٢٠
- الإفتاء : ٢٦٠
- إفتاء دار العدل : ٧١ ، ٧٢ ، ٢٦٠
- الإقطاع (الإقطاعات) : ١٩ ، ٢٣ ، ٩٤ ، ١٤٧ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٧٩ ، ٢٩٠ ، ٣٠٣ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣٨٢
- إقطاع أمير آخور : ١١٥
- إقطاع ابن الأمير بردبك : ٢٩٨
- إقطاع بردبك : ٢٩٨
- إقطاع مقدمة : ٢٩٨
- إقطاع قرقماش الجلب : ٢٩٨
- إقطاع يونس الدويدار : ٢٩٨
- أكابر الأمراء : ٢٨٤
- أكابر الجند : ٢٨٥
- أكابر فقراء الشيخ مدين : ٣٢٥
- إمام جامع الأزهر : ٩٨
- إمام المؤيد أحمد : ٢٩١ ، ٣١١ ، ٣٣٢
- إمام الظاهر جقمق : ٦٢
- إمام السلطان : ٦٢
- إمام المنصور عثمان بن جقمق : ٢٦٦
- إمامة الجمالية : ١١٩
- إمامي المؤيد أحمد : ٢٩١
- الأمراء : ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٤٧ ، ٦٥ ، ٩١ ، ٩٨ ،

١٠٢، ١٠٩، ١١٠، ١١٢، ١١٤، ١١٧، ١٤١، ١٤٣، ١٤٩،
١٧٤، ١٨٥، ١٨٧، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٨،
٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢٢٠، ٢٣٣، ٢٣٦، ٢٤١، ٢٤٣،
٢٤٦، ٢٤٧، ٢٥١، ٢٥٤، ٢٦٤، ٢٧٧، ٢٨٠، ٢٨٣،
٢٩٧، ٣٠٠، ٣٠٤، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٢، ٣٢٨،
٣٢٩، ٣٣٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٩، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٦٥، ٣٦٨،
٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١

أمرء الأشرفية : ٧، ٣٠٣

أمرء الألوف : ٣١٢

أمرء الحج : ٦٨

أمرء دمشق : ٢٤، ٢٦١، ٣٢٠، ٣٦٤

أمرء البلخانات : ٧٤، ١٧٤، ١٨٦

أمرء الطبلخانات بالقاهرة : ٤٥

الأمراء الظاهرية : ٢٩٦

أمرء العرب : ٥، ٢٤١، ٢٧٦

أمرء العشرات (العشراوات) : ٤٢، ١٧٤، ٣٤١

الأمراء الكبار : ٢٢٣

الأمراء المباشرين : ٢١٤

الأمراء المقدمين : ٢١٢

الأمرة : ٥٠، ٢٤١، ٢٤٧، ٢٥٤

إمرة آخور : ١١٥

إمرة رأس نوبة النوب : ٢٩٧

إمرة الحاج : ٤٢

إمرة الحج : ٧٤

إمرة السلاح : ٢١٢

- إمرة عشرة : ٢٤٦ ، ٧٤
الإمرة الكبرى : ٣٠٣ ، ٢٩٦ ، ٢٨٨ ، ٢٥٦ ، ٢١٢
الإمرة الكبرى مجلس : ٢٤٧
إمرة مجلس : ٢٩٧ ، ٢١٢
إمرة المحمل : ٢٣٢
أمرية تمراز : ٢١٣
أمرية سلاح : ٢٠٢
الأمرية الكبرى بحلب : ٢١٣
أمرية لاشين : ٢١٣
أمرية الينبع : ١٥
أملاك : ٨٧
أمير : ٢٧٤ ، ٢٣٨ ، ٨١ ، ٤٢ ، ١٥
أمير آخور : ٢٥٠ ، ٢٣٦ ، ٢٠٨ ، ١٩٢ ، ١٥٩ ، ١١٤ ، ٩١
٢٧٤ ، ٢٧٨ ، ٢٨١ ، ٢٨٣ ، ٣٤١ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٧٣
أمير آخور ثاني : ١٤٥ ، ٧٤ ، ٦٠
أمير الأول : ١٤٥ ، ٧٤ ، ١٥
أمير البحر : ١٨٢ ، ١٤٣
أمير البر : ١٨٠
أمير الجيوش : ٣٥١
أمير حاج المحمل : ٢٣٢
أمير حارثة : ٢٦١
أمير الحج : ٢٦٣ ، ١٠
أمير حوران : ٣٠١
أمير ركب : ٢٦٢ ، ٧٦
أمير ركب الشام : ٢٦١

أمير سلاح : ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ٢١١ ، ٢٣٦ ، ٢٦٩ ،

٢٨٠ ، ٢٩٧ ، ٣٤٩ ، ٣٧٨ ، ٣٨١

أمير طبليخانات : ٢٣٢

أمير العرب : ٤٩ ، ١٦٨ ، ٢٠٧

أمير عرب البحيرة : ١٠٦

أمير عرب حارثة : ٢٧٦

أمير عرب حوران : ٢٦١

أمير العرب بالسخاوية : ٢٢٧

أمير عشرة : ٢٣٢ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٧١

الأمير الكبير : ١٣ ، ٢٣ ، ٦٤ ، ١٠٥ ، ١٢٨ ، ١٨٦ ، ١٩٦ ،

٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢٤٢ ، ٢٤٦ ، ٢٧٨ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٣ ،

٢٨٤ ، ٢٨٧ ، ٢٩٦ ، ٣٠٩ ، ٣١٢ ، ٣١٩ ، ٣٢٤ ، ٣٣٢ ،

٣٧٨ ، ٣٤٦

الأمير الكبير بغزة : ٣٠٢

أمير مائة : ١٤٥

أمير مجلس : ١٩٢ ، ٢١٢ ، ٢٧٧ ، ٣٣٥ ، ٣٣٨ ، ٣٥٠ ، ٣٧٩

أمير المحمل : ٧٥ ، ١٠١ ، ١٤٥

أمير المدينة : ١٦٧ ، ٢٦٦

أمير الممالك : ٧٤

أمير المؤمنين : ١٩٢ ، ١٩٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٤ ، ٢٢٣ ، ٢٣٣ ،

٢٥٢ ، ٢٧١ ، ٣١٢ ، ٣٦٩

أمير الينبوع : ١٥

أنطار : ٨ ، ٤٦ ، ٢٦٥

أنظار مدارس : ٣١١

الأوقاف : ٨٦ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ١٠٨ ، ٢٧٤ ، ٣١٣ ، ٣٣٠ ، ٣٥٤

أوقاف الأشرف : ٣١٣

أوقاف الحرمين : ٢٤٠ ، ٣٣٠

أوقاف خان الفندق : ٨٩

(ب)

البحمدار = البشمقدار : ١٤١ ، ١٩٩ ، ٢٩٩ ، ٣٧٩

البحرية : ١٤٤ ، ١٨١

البرددار : ٣٠٧ ، ٣١٥

بريدي : ٨ ، ١٧٢ ، ٢٧٦

البزدار (البزادة) : ١٢١ ، ١٢٩ ، ١٨٧ ، ١٩٥ ، ٢٢٢ ،

٢٨٠ ، ٢٢٤

بشير الحاج : ٩ ، ٩٥ ، ١٦٩

بطلال (بطالين) : ١٠٥ ، ١٨٦ ، ١٩٢

بواب (بوابين) : ٢٩٩ ، ٣٥٩

بواب جبانة سعيد السعداء : ١٥٨

بيطار : ١٦٨

(ت)

تاجر الممالك : ١٤٥

التجريدة : ٢٥١

تداريس : ٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦٥ ، ٣١١

التدريس : ٩٦ ، ٣٤٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢
تدريس الجمالية : ٣٦١
تدريس الصلاحية : ٣٦٣
تدريس الظاهرية العتيقة : ١٦٢
تدريس الفقه بالبروقية : ١١٩
تدريس الفقه في القطبية : ٧١
الترسيم : ٢٥٣
التعلق (التعلقات) : ٦٨ ، ١٤٥ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ٢٤٥ ، ٢٥١ ،
٢٥٦ ، ٣٥٠ ، ٣٧٣
تعلق خانقاه سرياقوس : ٣٣٤
التقدمة : ٣٥ ، ٩٣ ، ١٨٦ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٦ ، ٢٩٩ ، ٣٦٤
تقدمة ألف : ٢٨٨
تقدمة الممالك : ٢٣١
تقليد السلطان : ٣٢٢
التوقيع : ١٤٥ ، ٢٨٣ ، ٢٩١

(ج)

جاي عمائر سعيد السعداء : ١٥٨
جبلين : ٣١٥
جَمَال (جَمَالين) : ٧٣
الجوالي : ٥٨ ، ٢٠٢ ، ٢٤٥
جوالي حماة : ٩٤
جوالي دمشق : ٩٤

جوالي طرابلس : ٩٤

جوالي مصر : ٥٨

الجيش : ١٦٤

(ح)

الحاجب (الحجاب) : ١٣ ، ١٥ ، ٨٥ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ٢١٩ ،

٢٦١ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٣١ ، ٣٤٩

حاجب الحجاب : ١٥ ، ٢٠ ، ٧٠ ، ٨٧ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١١٤ ،

١١٥ ، ١٢٦ ، ١٤١ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٨٠ ، ١٨٦ ، ٢٣٦ ،

٢٦١ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠٨ ، ٣١٠ ، ٣٢٠ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٥٥

حاجب الحجاب بدمشق : ٢٦١ ، ٣٣٢ ، ٣٤٣

حاجب دمشق : ١٥٣

حاجب غزة : ١٣ ، ١٠٢

حجاب الحجاب بدمشق : ٣٦٨

الحجوية : ٢٩٧

حجوية الحجاب : ١١٥ ، ١٨٦

الحسبة : ١٨٤ ، ٢١٦ ، ٢٩١

حسبة القاهرة : ٣٥٢

حسبة القاهرة ومصر : ١٦

حكام ريف مصر : ٥

جمال : ٩٤

الحنبلي (القاضي) : ٢١٥ ، ٢٨١ ، ٣٣٠

الحنفي (القاضي) : ٧ ، ٢١٥ ، ٢٨١ ، ٣٣٠ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤

حواصل : ٣١٨
حواصل الأشرف : ٣١٧
حواصل الزين ابن الكويز : ٣٢٤

(خ)

خادم الشيخ البدوي : ١٣١
خادم المدرسة الجمالية : ٣٢٤
خاصكي (خاصكية) : ١٥٩ ، ٢٣٢ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٤٢
خدام : ٣١٨ ، ٣١٩
خدام جمال السلطان : ٢٢٠
خدام الطير : ٢٢٤
خدام الظاهر : ٢٨٧
خدام نائب الشام : ٣٠٣
الخدمة : ٢٥١
خزانة السلطان : ٢٤١
خزندار (خازندار) : ٥٢ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٩١ ، ٩٩ ، ٢٦١ ، ٢٧٨ ،
٣٠٨ ، ٣٤٢
خزندر الأمير الكبير الشهابي أحمد : ١٣
خزندار بلاد نابلس : ٣٠٧
الخزندار الثاني : ٢١٢ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩
خزندار الظاهر : ١٩
خزندار المؤيد : ٢٩٠

خزندار نائب الشام : ٢٤١ ، ٢٤٧ ، ٢٦٢ ، ٢٦٩ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧

الخزاندريّة (الخازندارية) : ٢٦٥ ، ٣٠٣ ، ٣١٦ ، ٣٤٥

الخزندارية الثانية : ٢٩٧

الخزندارية الصغرى : ٢٩٧

الخصيان : ٨٩

خصيان القصور السلطانية : ٣٢٠

الخطابة : ٦٥ ، ٦٦ ، ١٣٤

الخطابة بالجامع الجديد بمصر : ٧١

خطابة جامع عمرو بن العاص : ٦٥

الخطباء : ٢٥٢

الخطيب : ٢٥٥

خطيب قرّيا : ٩

خطيب المسجد النبوي الشريف : ٢٤٩

خطيب مكة : ١٣٦ ، ١٤٦ ، ٢٦٢

الخفّر (خفراء) : ٩٣

الخفير : ٧١ ، ٩٢

خفير شبرا : ١٧

خفير الخانكة : ٣٢٩

الخليفة : ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢٣٤ ، ٢٨١ ، ٣١٢ ، ٣٣٠ ، ٣٣١

خليفة المقام الأحدي بطنتا : ١٩٩ ، ٢٠٠

خوند (خوندات) : ٩٦ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٣١٢

(د)

دار العدل : ٧٢

دلال : ٦

دولة الأشرف برسبائي : ٨٦ ، ٣٢٢

الدولية الأشرفية : ٣٤٣

دولة إينال : ٣٧١

الدويدار : ٧ ، ١٦ ، ٤٨ ، ٥٣ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١٤٣ ، ١٨٠ ،

١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ٢١٠ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤٣ ، ٢٥٢ ،

٢٦١ ، ٢٧٩ ، ٢٩٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٧ ، ٣٤٥ ، ٣٦٦ ، ٣٧٢

دويدار إبراهيم بن غراب : ٤٥

دويدار أسنبغا الطياري : ١٣٠

دويدار الأشرف : ٣٢٢

الدويدار الثالث : ١٨١

الدويدار الثاني : ٢٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ١٠٦ ، ١٧٠ ، ١٩٣ ، ٢٠٧ ،

٢١٦ ، ٢٥٠ ، ٢٥٤ ، ٢٩٨ ، ٣١١ ، ٣٢٢ ، ٣٣٣ ، ٣٧٨ ، ٣٨٢

دويدار جانبك : ٣٢٠

دويدار جانم نائب الشام : ٢٤١ ، ٢٤٧ ، ٣٤٣ ، ٣٦٣ ،

٣٦٤ ، ٣٦٥

دويدار جقمق : ٣٧٢

دويدار جلبان : ١٩

دويدار خزندار نائب الشام : ٢٤١ ، ٢٤٧

دويدار السلطان : ١٩ ، ٥٨ ، ١٥١

دويدار السلطان الثاني : ٢٧٨

الدويدار الكبير : ٥ ، ٧ ، ٤٦ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٧٤ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ،
٨٣ ، ٩٦ ، ١١٢ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٧٠ ، ١٨٥ ، ١٩٥ ، ٢٠٨ ،
٢١٢ ، ٢٣١ ، ٢٩٤ ، ٣١٣ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢٤ ، ٣٣٠ ،
٣٣٢ ، ٣٣٤ ، ٣٤٤ ، ٣٤٩ ، ٣٦٦ ، ٣٧٢

الدويدار الكبير لنائب الشام : ٣٠١

دويدار نائب حلب : ٣٥٧

دويدار نقيب الجيش : ٣٢٩

الدويدارية : ٢٥٩ ، ٢٩٩

دويدارية بردبك : ٢٤٠

الدويدارية الثانية : ٢٤٦ ، ٢٩٦

الدويدارية الصغار : ٣٢٨

الدويدارية الكبرى : ٢٩٦

دويدارية نائب الشام : ١١٤

دويدارية يونس : ٢٤٠

ديوان (دواوين) : ١١٧ ، ١٤٧ ، ٢٣٢ ، ٢٥٦ ، ٣٤٧

ديوان الأحباس : ١٢٧

ديوان الأنشاء : ٥٩ ، ١١٦ ، ١٧٤

ديوان الجيش : ١٧٤

ديوان قانم : ١٠٥

ديوان المواريث الحشرية : ٢٤٥

(ذ)

الذخائر : ٦٢

الذخيرة : ٩٣ ، ٩٤ ، ٣٤٢
ذخيرة الجيش : ١٠٩
ذخيرة السلطان : ٦٥ ، ١٠٩
الذخيرة السلطانية : ٢٤١ ، ٢٥٨ ، ٣٣٠

(ر)

رأس الأجلاب : ١٥٩
رأس الميسرة : ٣٠٨
رأس نوبة (رؤوس النوب) : ١٤٥ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ٢٣٦ ، ٣١٠ ،
٣١١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٩ ، ٣٧٩
رأس نوبة ثاني : ٩٣ ، ١٤١ ، ١٤٥ ، ١٩٩ ، ٣٢٢
رأس نوبة كبير : ٢٠٢
رأس نوبة التقباء : ٣٢٩
رأس نوبة النوب : ١٤٧ ، ١٧٢ ، ١٨٦ ، ٢١٢ ، ٣١٧ ، ٣٢٨ ،
٣٤١ ، ٣٤٦ ، ٣٧٨ ، ٣٨٢
رجال الحلقة : ١٧٤
ركاب السلطان : ٢٢٦
الركب الأول : ١٠١ ، ٣٢٨
ركب الحاج الأول : ٧٤
ركب الحاج الحلبي : ٢٤٠
ركب الحاج الدمشقي : ٢٤٠
ركب الشام : ٢٦١
ركوب الخليفة : ٢٥٣

رماة الحرق : ٣٥٨

رؤوس الأشرفية : ٣٠٤ ، ٣٢١ ، ٣٣٣

رؤوس الموقعين : ١٣٣

رئيس الشام : ٢٦٠

رئيس صفد : ١١٠

رئيس المعاملين : ٢٦٣

(ز)

الزردخانة : ٢٨٢

الزردكاش : ١٣٨ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٨٠ ، ٢٤٦ ، ٣٨٠

الزمام (الزامية) : ٦٢ ، ٦٣ ، ٨٩ ، ٢٤٥ ، ٢٦٥

زمام بيت المال : ٨٩

زمام الدور السلطانية : ٨٩

زمام القصر : ٨٩

(س)

السقا : ١٤٣ ، ٢٢٩

السلح دار : ٨١

سلطان بلاد المسلات : ٤٢

سلطان تونس : ٨٣

سلطان الخرافيش : ٢٦٣

سلطان مصر : ١٧٤

السفير : ١٥٤

السلطنة : ١٩ ، ٥٠ ، ٦٢ ، ١٤٧ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٣٢ ، ٢٥٦

سمسار : ٦

السياف : ٢٢٥

(ش)

الشافعي (القاضي) : ٣١ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ١٧٠ ، ١٧٨ ، ٢١٥ ،

٢٢١ ، ٢٥٣ ، ٣٦٦ ، ٣٧٠ ، ٣٧٢ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥

شاد جدة : ١٣٧ ، ١٦٨ ، ١٨٤ ، ١٩٣

شاد الشربخانة : ٢٤٣ ، ٢٨٨ ، ٢٩٨

شاد الشون : ١٨٤

شاد العمائر : ٦٢

شاد المؤيدية : ١٤١ ، ٢١٢ ، ٢٥٠ ، ٣٦٩

شد الشربخانة : ٢٩٧

شرابدارية : ٢٨٨

الشربخانة : ٢٨٨

شهود الخزانة : ٦٤

الشون : ١٨٤

شونة شرباش كرد : ٩١

شيخ : ٢٤١

شيخ بلاد المغرب : ١٠٣

شيخ بعض جبل نابلس : ١٧٣

شيخ جبل نابلس : ١٢٨ ، ٢٤١ ، ٢٦١ ، ٣٠٩ ، ٣٢٦ ، ٣٤٨

شيخ حرم الخليل : ٢٧١ ، ٢٧٢
شيخ الخليل : ٢٧٠
شيخ زاوية بن داود : ٢٦٢ ، ٢٦٩ ، ٣٠٧
شيخ السطوحية : ٢١٣
شيخ الشاميين : ١٨
شيخ الصلاحية بالقدس : ٣٥٨ ، ٣٦١
شيخ الطائفة الرفاعية : ١٦
شيخ العشير : ٣٨
شيخ الكرك : ١٥٤
شيخ كرك نوح : ١٥٣
شيخ المغاربة : ٣٤٠

(ص)

صاحب جزيرة قبرس : ٨١
صاحب حصن كيفا : ٢٣٠
صاحب ديوان قانم : ١٠٥
صاحب الروم : ٢٥٧
صاحب قبرس : ١٤٣
صاحبة قبرس : ١٥٠
صرر الحرمين : ٣٣٠

(ط)

- طالب (طلبة) : ٣٦٢ ، ٣٥٩ ، ٢٤١ :
الطباخين : ١١٢
الطبخانة : ٢٨٨ ، ١٩٥
طحان : ٢٢٦ ، ٢٢٥
طرخان : ٢٠
الطواشي (الطواشية) : ٣٤١ ، ٢٥٢ ، ١٤٩

(ع)

- عداد الغنم : ٣٦٨
العساكر : ٢٥٣
العساكر الإسلامية : ٣٤٦
العسكر : ٣١٧ ، ٢٧٩ ، ٢٦١ ، ٢٥٩ ، ٢٣٤
عسكر الإسلام : ٢٤٧
عسكر مصر : ١٩٥
العشرات (العشراوات) : ٣١٠ ، ١٧١
عين البساتين : ٩٤
العهد : ٣٣٣

(ف)

- الفارس (الفرسان) : ٣٠١ ، ٢٥٥ ، ٢٢٧

الفتيا : ٩٦

فراش السلطان : ١٤٦

الفقهاء (فقيه) : ١٠ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٨٦ ، ١٠٢ ، ١٠٩ ، ٢٣٨ ،

٢٣٩ ، ٣٠٣ ، ٣٤٢ ، ٣٤٨

فقهاء حلب : ٣٠١

فقهاء الشافعية : ٣٧٥

فقهاء الطباق : ٧٣

فقيه الزين بن الكويز : ٧٦

فقيه المدرسة البروقية : ٦٢

فلاح (فلاحين) : ٢٢٣ ، ٢٣١ ، ٢٥٠

فلاحة : ٢٢٥

(ق)

القاضي : ٨ ، ١٠ ، ٣٢ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٧ ، ١١٢ ، ١٥١ ، ٢١٨ ،

٢٢٤ ، ٢٣٣ ، ٢٤٣ ، ٢٥٤ ، ٢٧٥ ، ٢٨٥ ، ٣٤٠ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥

قاضي إسكندرية : ١٧ ، ٣٣٤

قاضي بعلبك : ١٧٢ ، ٢١٨ ، ٢١٩

قاضي الحنابلة : ١٠ ، ٦٦

قاضي الحنابلة بعلبك : ١٤٤

قاضي الحنابلة بدمشق : ١٩٢

القاضي الحنبلي : ٨٠ ، ١٦٢

- القاضي الحنفي : ٢٥٥ ، ٢٤٤ ، ٨٠
- قاضي الحنفية : ١٠ ، ٤٧ ، ٦٦ ، ٨٠ ، ١٢٨ ، ٢٥٣ ، ٣٠٩ ، ٣٧٠ ، ٣٦٠
- قاضي الحنفية بحلب : ١٧٩ ، ١٧٨ ، ١٣٨ ، ٧٠
- قاضي الحنفية بدمشق : ٢٦٤ ، ٣١٠ ، ٣٢٢ ، ٣٢٩ ، ٣٤٩ ، ٣٨٢
- قاضي الحنفية بالقاهرة : ٣٧١
- قاضي الحنفية بالقدس : ٣٣٨
- قاضي الخانكة : ٩١
- قاضي دمشق : ٣٥٢
- قاضي الركب : ١٠ ، ٧٥
- قاضي الرمل : ٣٣٧
- القاضي الشافعي : ٩ ، ٦٦ ، ٨٥ ، ٩٥ ، ١٦٦ ، ١٦٩ ، ١٨٩ ، ٣٧٠ ، ٣٦٧ ، ٣٥٠
- قاضي الشافعية : ٨ ، ١٠ ، ٢١ ، ٤٩ ، ٥٣ ، ٦٩ ، ١٥٨ ، ١٦١ ، ١٧٨ ، ١٨٨ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٤٠ ، ٢٨١ ، ٣٥٢ ، ٣٦٥ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣
- قاضي الشافعية بيبعلبك : ١٤٤
- قاضي الشافعية بحلب : ١٦٠
- قاضي الشافعية بدمشق : ٢٠٢ ، ٢١٨
- قاضي الشافعية بغزة : ١٣٩ ، ٣٦٨
- قاضي الشافعية بالقاهرة : ١٣٢
- قاضي الشافعية بالقدس : ٢٠٤
- قاضي الشافعية بمصر : ٣٥٣
- قاضي العسكر : ٧٩

قاضي عيتاب : ١٧٥
قاضي غزة : ١٣٨ ، ١٤٩
قاضي القدس : ٣٣٧ ، ٣٦٠
قاضي القضاة : ٢٥ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٥٧ ، ٨١ ، ٨٦ ، ١٤٠ ، ١٩٧ ،
٣٢١ ، ٣٣١ ، ٣٥١
قاضي القضاة الحنفي : ٢١ ، ٢٠٩
قاضي قضاة الشافعية : ٨٠
القاضي المالكي : ٨١ ، ١٦١ ، ١٨٨ ، ٢٠٧ ، ٢٢٤
قاضي المالكية : ٦ ، ٣١ ، ٦٦ ، ١٥٨ ، ١٧١ ، ١٩٢ ، ٢٢٤ ،
٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٣١٤
قاضي المحلة : ١٤١ ، ٣٦٦
قائد الإنكشارية : ٣٢٠
قصاد ابن قرمان : ٣٠١
القضاء : ١٦ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٧٢ ، ٧٥ ، ٨٠ ، ٩١ ، ٩٦ ، ٩٧ ،
١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٤٠ ، ١٩٤ ، ١٩٩ ، ٢٣٦ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ،
٢٦٤ ، ٣١٢ ، ٣٤٩ ، ٣٦٠ ، ٣٨٢
قضاء إسكندرية : ٧٠ ، ٣٣٥
قضاء بعلبك : ١٤٤
قضاء بيروت : ١٥٢
قضاء ثغر إسكندرية : ١٤١
قضاء حلب : ٢٥
قضاء حماة : ١٣٩
قضاء الحنفية بحلب : ٧٠
قضاء الحنفية بدمشق : ١٣٨ ، ٣٨٢

قضاء دمشق : ١٤ ، ٢٥ ، ١٥٦ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣

قضاء الشافعية : ٥٠ ، ١٣٢

قضاء الشافعية بدمشق : ٣٢ ، ٣٢٩ ، ٣٥٠

قضاء الشافعية بالديار المصرية : ٣٣٠

قضاء الشافعية بطرابلس : ١٤ ، ٤٧

قضاء الشافعية بغزة : ١٤٩

قضاء الشام : ١٣٢ ، ٣٣١

قضاء صيدا : ١٥٢

قضاء طرابلس : ١٤ ، ٢٥

قضاء العسكر : ٧٩ ، ٨٠

قضاء غزة : ١٣٩

قضاء القاهرة : ٣٣٥

قضاء القدس : ٣٥٨

قضاء المالكية بالقاهرة : ١٦

قضاء مصر : ٣٣١ ، ٣٥٢

القضاة : ١٠ ، ١٣ ، ١٦ ، ٢١ ، ٣٤ ، ٦٠ ، ٨٠ ، ٩٧ ، ١٠٩ ،

١٦١ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٧٨ ، ١٨٧ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ٢٠٨ ،

٢١٠ ، ٢١٥ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ ،

٢٧٢ ، ٢٨١ ، ٢٨٧ ، ٢٩١ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٤ ،

٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٢ ، ٣٢٨ ، ٣٣٠ ، ٣٤٤ ، ٣٦٥ ، ٣٧٠ ،

٣٧٢ ، ٣٧٧

القضاة الأربع : ١٢٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٢

قضاة الشام : ٢٦٧

قضاة الشرع : ٢٢٢ ، ٢٣٩

قضاة القدس : ٣٣٧

قضاة القضاة : ٧ ، ٨٠ ، ١٠١

قضاة المالكية : ٧

قضاة المدينة : ٢٦٦

القنصل : ١٧٣

قواس : ١٧٣

قيصر : ١٠٤

(ك)

كاتب السر : ١٧ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٨٠ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٧ ،
١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٥٦ ، ١٥٩ ،
١٦٤ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٩ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ٢٠٣ ،
٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢١٨ ، ٢٢٣ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٤١ ،
٢٥٠ ، ٢٥٤ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٩ ،
٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٩٥ ، ٣٠٥ ، ٣٢٠ ، ٣٢٨ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ،
٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٧ ، ٣٥١ ، ٣٥٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٧ ،
٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢

كاتب سر دمشق : ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٣٢٩

كاتب السر بالديار المصرية : ٧٠

كاتب السر الشريف : ٤٦

كاتب السر بالقاهرة : ١٧٨

كاتب سر نابلس : ٦٥

كاتب الغيبة : ٢٤٤

كاتب الممالك : ١١٢ ، ٢٣٢ ، ٣٤٧
كاشف : ١٠٦ ، ٣٣٣
كاشف البحيرة : ٢٩٥
كاشف البهنسة : ١٠٩
كاشف الجسور : ١٦٠
كاشف الرملة : ٣٣٧
كاشف الرملة ونابلس : ٣٥٤
كاشف القدس : ٣٣٧
كاشف الوجه القبلي : ٢٩٥
كافل المملكة الشامية : ٢٩
كتاب ديوان الجيش : ١٧٤
كتابة السر : ١٥ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٣٣٠ ، ٣٨٢
كتابة سر دمشق : ٢٠١ ، ٢٣٨
كتابة السر بالقاهرة : ٧٠
كتاية : ٢٢٣
الكتبة : ٣٤٧
الكشاف : ٥

(ل)

للا : ٩١
للا المنصور : ٢٨٧

(م)

مشاعلي : ٢٣٩

المباشرات : ١٠٨

المباشرين : ١٣ ، ٤٧ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٩٣ ، ١٠٨ ، ١٥٠ ،

١٥٥ ، ١٦٠ ، ١٨٤ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩٤ ، ١٩٧ ، ٢٠٩ ،

٢١٠ ، ٢٢٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٨ ، ٢٩٧ ، ٣٢٤ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ،

٣٨٠ ، ٣٧٩ ، ٣٥٨

مباشري استخراج الجوالي : ٩٥

مباشري الأوقاف : ٢٧٠

مباشري أوقاف الحرمين : ٢٤٠

مباشري الحرمين الشريفين : ٢٧٥

مباشري الوقف : ٢٧٢

المالكي (القاضي) : ٧ ، ١٧٢ ، ٢١٥ ، ٢٢٥ ، ٢٤٣ ، ٢٨١ ،

٣١٥ ، ٣١٧ ، ٣٢٦ ، ٣٣٠

متسفر علي جوكي : ٣٠١

المتعمم : ٣٠٣

المجاورة : ٨٨ ، ١٠١

مجاورة القدس الشريف : ٢٥٧

المجاورة بمكة : ٥٠

مجلس البخاري : ٢٥٤ ، ٢٧١

مجلس الشرع : ٢٥٦

المحتسب : ٦٧ ، ٨٥ ، ١٤٦ ، ١٥٤ ، ١٧١ ، ١٨٤ ، ٢٣٧ ،

٣١٨ ، ٣٣١

المحضر (المحاضر) : ٢٧٢ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣٣٧

المحمل : ٧٣ ، ١٤٥ ، ١٧٣ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩

محمل الركب الحجازي : ١٤٥

مراسيم : ٤٦ ، ١٤٤ ، ١٥٣ ، ٢١٢

مراسيم السلطان : ٤٦ ، ٣٤٢

مرسوم : ١٢ ، ١٧ ، ٣٤٢ ، ٣٦٠

المرسوم شريف : ١٧٦ ، ٢٩٥

المرسوم المربع : ٣٢٦

المستوفي : ٢٣٢

مستوفي أصل : ٢٣٢

مستوفي مباشرة : ٢٣٢

مسير المملكة : ٦٠

المشائخ : ٣٦٤

مشائخ البلاد : ٣٦٤

مشائخ البلاد الشامية : ٢٧٦

مشائخ العرب : ١٨٦

مشائخ العشير : ٢٤١

المشائخ بالقدس : ٣٦٣

المشد : ٣٧٩ ، ٣٧٨ ، ٣٠٥

مشدية الأغنام ببلاد السام : ٢٦١

المشيخة : ١٣١ ، ٢٧٦

مشيخة التربة الطويلية : ٦٥

مشيخة التصوف بالباسطية : ١١٩

مشيخة الخانقاه السرياقوسية : ٥٣

- مشيخة سعيد السعداء : ١١٩
 مشيخة الصلاحية : ٣٥٨
 مشيخة الصلاحية ببيت المقدس : ٣٦٢
 مشيخة الفقراء : ٣٤٠
 مشيخة الفقراء السطوحية : ١٩٩
 مشيخة مدرسة قايتباي : ٧٩
 مشيخة المغاربة ببيت المقدس : ٣٤٠
 مشيخة مقام أحمد البدوي : ٢٧٦ ، ٢٠٨
 مصاطب نائب القلعة : ٦٧
 معامل (معاملين) : ١١٢ ، ٢٦٣
 معاملي اللحم : ١١٢ ، ٢٦٣
 معيد : ٣٥٨
 المقام الشريف : ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٢٢
 المقام الشهابي : ٢٠ ، ٢٣ ، ٣٩ ، ٧٤ ، ١٤٩ ، ١٥٦ ، ١٨٦ ،
 ١٩٥ ، ٢٠٩ ، ٢١٠
 مقدم : ٩٣ ، ١٣٧ ، ٢٣٢
 مقدم ألف : ١٤٥
 مقدم بلاد الزبداني : ١٣٦ ، ٢٦٩
 مقدم حمارة : ٢٦١
 مقدم المالك : ١٥ ، ٢٢ ، ١٤٩ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٣٠
 مقدمي الحلقة : ١٧٤
 المقدمين : ٣٧٣
 الملاح (الملاحين) : ٩٠ ، ١٢٢
 ملاحم : ٣٠٦

الملك (ملك) : ٣١ ، ٦٠ ، ٨١ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ٢٤٦ ، ٢٦٢ ،

٣١٣ ، ٢٦٣

ملك الأمراء : ١٥ ، ٨٩

ملك تونس : ٨٣

ملك الروم : ١٥٩

ملك الشام : ٣٣٣

ملك قبرس : ٨١ ، ١٠٩ ، ١٤٣

ملك مصر : ٥٣ ، ١٣٠ ، ٣٥٧

الملكة : ٣٤٩

ملكة قبرس : ٨١ ، ٨٢ ، ١٣٠

الملوك بالديار المصرية : ١٧٩

ملوك الروم : ٣٥٦

ملوك الفرنج : ٣٥٦

ملوك المغرب : ١٧٦

الممالك العظام : ٣٥٦

الممالك الأجلا ب : ٢٦٣

ممالك الأشرف إينال : ٣٤١

ممالك الأشرف برسباي : ١٤٥ ، ٣٤٩

ممالك (مملوك) : ١٧ ، ٨٧ ، ١١٥ ، ١٣٥ ، ١٧٣ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ،

٢٠٧ ، ٢٢٦ ، ٢٣٦ ، ٢٤٣ ، ٢٥٢ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٣٢٩ ، ٣٣٤ ،

٣٤٧

ممالك الظاهر جقمق : ١١٥ ، ٣١٨

ممالك دولات باي : ١٠٨

ممالك السلطان : ١٠٥ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١٩٥ ، ٢٢٦ ، ٢٧٨ ،

٣١٨ ، ٢٨١

- الممالك السلطانية : ١٧٤
الممالك السيفية : ٣١٧
ممالك المؤيد شيخ : ٧٤ ، ٢٣٨
ممالك طوغان العثماني : ١٤
ممالك الملك الناصر فرج : ١٤٥
ممالك النائب : ٣٠٨
ممالك نائب الشام : ٣٠٢ ، ٣٠٣
الممالك اليلغاوية : ٢٤٢
المملكة : ٦٠ ، ٧٢ ، ١٥٣ ، ١٧٩ ، ٢٥٧ ، ٣٠٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٨
مملوك برسباي : ١٥٣
مملوك نائب الشام : ٣٠٢ ، ٣٤٩
منادي البحر : ٦٢ ، ٢٧٤
منجمين : ٣٠٦
مهتار : ٢٨٨
المهمندار : ٢٤٨ ، ٣٠١
المهندسين : ٢٠١
مواكب الأعياد : ٢٥٣
مؤذن : ٦٧
الموقع (الموقعين) : ٦٠ ، ٢٣١
موقع السلطان المؤيد أحمد : ٢٨٣
الموقع في دمشق : ١٦٣
موقعي الحكم : ٩٥

(ن)

الناظر : ١٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٧ ، ٢٣٣ ، ٢٧١ ، ٢٧٢

ناظر الأحباس : ١١٩

ناظر جدة : ١٥ ، ٥٢ ، ٩٧ ، ٢٧٧ ، ٢٨١ ، ٢٨٤ ، ٢٨٨ ،

٢٩٠ ، ٢٩٦ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣١١ ، ٣١٣ ، ٣٢٤ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ،

٣٣٤ ، ٣٤٤ ، ٣٦٦ ، ٣٧٢ ، ٣٧٨

نظر الجيش : ٤٨ ، ٥٣ ، ٥٨ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٧٤ ، ١٨٩ ،

١٩٠ ، ٢٠٢ ، ٢١٧ ، ٢٢٢ ، ٢٣٤ ، ٢٤١ ، ٢٥٣ ، ٢٦٨ ، ٣٢١ ،

٣٢٨ ، ٣٣٠ ، ٣٤٣ ، ٣٥١ ، ٣٦٠ ، ٣٨٠

ناظر جيش دمشق : ٢٤٥ ، ٣١٠

ناظر جيش الشام : ٢٢ ، ١٤٥ ، ١٤٨

ناظر جيش صفد : ١١٠ ، ١٦٣

ناظر جيش طرابلس : ١٧

ناظر جيش غزة : ١٣ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣١٠ د ٣٢٢

ناظر جيش مصر : ١٤٨

ناظر الجوالي : ٥١ ، ٦٩ ، ٢٠٧

ناظر الحرم : ٣٤١

ناظر الخصاص : ٧ ، ١٣ ، ١٦ ، ١٨ ، ١٩ ، ٤١ ، ٤٧ ، ٥١ ،

٥٨ ، ٧٠ ، ٩٠ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ١١٧ ، ١٢٦ ، ١٣٦ ، ١٦١ ،

١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٧١ ، ١٩٣ ، ١٩٧ ، ٢٠٥ ، ٢٣٦ ، ٢٤٨ ،

٢٩٦ ، ٣٢٤ ، ٣٣١ ، ٣٣٤ ، ٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٧٣

ناظر خانقاه سعيد السعداء : ١٨٨

ناظر الخانكة : ٩١

ناظر الدولة : ١١٢

ناظر القدس : ٣١١ ، ٣١٢

ناظر القدس والخليل : ٣٣٤

ناظر المقام : ٢٠٨

ناظر مقام سيدي شعيب : ٣٤٩

ناظر المواريث : ٢٤٥

النائب : ٢٠ ، ٩٢ ، ١٣٤ ، ١٥٤ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ٢١٣ ،

٢١٩ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٧٦ ، ٣٣٧ ، ٣٤٢ ، ٣٦٨

نائب إسكندرية : ١٧٣ ، ١٨٤

نائب أمير المدينة : ٢٦٦

نائب بلاد الكرك : ١٢

نائب الأمير جانم : ١٩٣

نائب بعلبك : ١٧٢ ، ١٨٤

نائب البلاد (بلاد الكرك) : ١٢

نائب جدة : ٣١٣ ، ٣١٨

نائب الحسبة : ٧٥

نائب الحكم : ١٦٢

نائب حلب : ٢٤ ، ٦٨ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ٣٥٧ ،

٣٦٤ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣

نائب حماة : ٢٤ ، ١٤٥ ، ٣٠٠

نائب دمشق : ١٩ ، ١٣٦ ، ٢٣٢

نائب السلطنة : ١٧٦ ، ١٩٠ ، ٢٥٤

نائب الشافعي بالقدس : ٧٠

نائب الشام : ٢٣ ، ٤٩ ، ١٠٨ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ،

١٥٤ ، ١٩٣ ، ١٩٨ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ،

٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٧ ،

٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣ ، ٢٧٦ ، ٢٨٣ ، ٢٨٨ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ ،

٣١٣، ٣١٠، ٣٠٩، ٣٠٨، ٣٠٧، ٣٠٥، ٣٠٢، ٣٠١، ٣٠٠
٣٣٧، ٣٣٦، ٣٣٣، ٣٣٠، ٣٢٨، ٣٢٧، ٣٢٦، ٣١٤
٣٦٣، ٣٥٨، ٣٥٤، ٣٤٩، ٣٤٨، ٣٤٧، ٣٤٣، ٣٤٢، ٣٣٨
٣٨١، ٣٧٩، ٣٧٨

نائب صفد : ٢٤، ١١٠، ١٥٩، ٣٨١

نائب طرابلس : ٢٤، ٣١، ٥٩، ١٦٤، ٢٣٩، ٢٤٤، ٢٤٦،
٢٧٧، ٣٠٠، ٣٤٩

نائب غزة : ٢٤، ١٨٣، ٢٨٨، ٣٠٢، ٣٤٥

نائب القدس : ٣٤٨

نائب القدس والخليل : ١٣

نائب القلعة : ٦٧، ١٥٤، ٢٨٢، ٣٠١، ٣٢٧، ٣٣٢،
٣٦٤، ٣٤٩

نائب قلعة الجبل : ١٨٤، ٣٢٨

نائب قلعة حلب : ٦٩، ١٢٩

نائب قلعة دمشق : ٢٩٩، ٣٠٠

نائب الكرك : ١٠٥

نائب المحتسب : ٧٥

نائب مقدم الممالك : ١٠٤

نائب ملطية : ٣٦٥

نائب المناوي : ٩٦، ٩٧

نائب المهندار : ٣٠١

نائب الوالي : ٩٢

النَّجَّابة : ٢٢٣

النَّظَّار : ١٦٣

النظر : ٣١٢، ٣٤٩

- نظر الأحباس : ١٩٩
نظر إسكندرية : ٣٣٥
نظر الإصطبل : ٢٧٤
نظر الجوالي : ٣٢٤ ، ٢٤٩
نظر الجيش : ٣٤٤ ، ٣١٤ ، ٣٠٣ ، ١٢٢ ، ٥٧ ، ٢٠ ، ٧
نظر الجيش بالقاهرة : ٨
نظر الحرم : ١٤٦ ، ١٣٦
نظر الخاص : ٣٢٤ ، ٣٠٣
نظر خانقاه سعيد السعداء : ٣٣١ ، ١٨٩ ، ١٥٥ ، ٥٨ ، ٥٧
نظر الخانقاه الصلاحية : ٣٢٢
نظر ديوان الجوالي : ١٢٩
نظر ذخيرة السلطان : ٦٥
نظر السلطان الخاص : ٢٦٥
نظر صلاحية القدس : ٣٥٨
نظر القدس والخليل : ٣٤٩ ، ٣٤٨
نظر الكسوة : ٦٥ ، ٥٧
نظر المرستان : ٣١٢ ، ٢٩٢
نظر الموارد : ٢٤٥
نظر وقف الأسرى بدمشق : ١٦٤
النفظة : ١٨١
النفقة : ٢٩٢
النقابة : ١٧٨
النقباء : ٢٦٣ ، ١٨٨ ، ١٣٩ ، ١١٢
النقدة : ٣٤٤
نقيب أحمد البلقيني الولي : ١٣٥

- نقيب الأشراف : ١٨٧ ، ١٦٢ ، ١٤٢ ،
نقيب الجيش : ٥٢ ، ١٨٨ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٩ ،
النواب : ١٣ ، ٩١ ، ١٧٠ ، ٢٢٤ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٣٤٤ ،
٣٨١ ، ٣٦٨
نواب البلاد : ٢٢٣
نواب بلاد الشام : ٣٠٣ ، ٢٢٧
نواب الحنفية : ٧٥ ، ٨٠ ، ٩٢ ، ١٦٣ ، ٣٦٩
نواب الحنفية بالقاهرة : ٤٧
نواب الشافعي : ١٣٣
نواب الشافعية : ٥١ ، ٧٥ ، ٩١ ، ١٠٦ ، ١٨٩ ، ٣٦٧
نواب الشافعية بدمشق : ٨ ، ٢٥٩
نواب الشافعية بالقاهرة : ٨
نواب الشام : ٣٦٤
نواب العلم البلقيني : ٣٣١
نواب قاضي المالكية : ٢٢٤
نواتية (نواتي) : ٩٠ ، ١٤٤
نواب القضاة : ١٦٦
النيابة : ٦٦
نيابة إسكندرية : ٢٨٣
نيابة حلب : ١٨٥ ، ٢٠٢
نيابة حماة : ٢٦٢
نيابة دمشق : ٢٣
نيابة رؤوس نوب : ٦٦
نيابة صفد : ٣٠٦
نيابة طرابلس : ٢٦٢

نيابة غزة : ٢٤ ، ٣٠٢ ، ٣٢٨

نيابة القدس : ١٤ ، ٥٨

نيابة القضاء : ٧٢

نيابة القضاء بأبيار : ١٨٩

نيابة القضاء بطنتدا : ١٨٩

نيابة القلعة : ١٨٤

نيابة قلعة الجبل : ٣٢٨

نيابة الكرك : ٢٩٥

نيابة كتابة السر : ٧٠

نيابة ملطية : ٢٠٢

نيابة نظر وقف السيفي : ١٨٩

(هـ)

هيجان : ٥٩ ، ٢٣٨ ، ٢٩٧ ، ٣٣٤

الهجانة : ٢٣٤ ، ٢٨٣ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧

الهجن : ٢٨٧

(و)

الوالي : ١٥ ، ١٧ ، ٦٦ ، ١٥٤ ، ١٩٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧ ، ٢١٣ ،

٢٣٠ ، ٢٤٠ ، ٢٧٤ ، ٢٨٠ ، ٢٩٨ ، ٣١٥ ، ٣٢٠ ، ٣٣١

والي القاهرة : ٥١ ، ٩٢ ، ٢٠٤

والي القلعة : ١٨٤

الوزارة : ١١٢

الوزر : ٥٩ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١١١ ، ١٦٠ ، ١٨٧ ، ٢٣٢
الوزير : ٥٢ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٩١ ، ٩٣ ، ١٠٤ ،
١١٧ ، ٢٠٧ ، ٢٦٣ ، ٣٠٣ ، ٣٠٦ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥
وزير السلطان في غزة : ٣٣٦
الوظائف الديوانية : ٢٤٥
الوقف : ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٢٧٥
وقف الخليل : ٢٧١
وقف مدرسة الناصر حسن : ٢٠٧
الوقفية : ٣٥٠
الوكالة :
وكالة بيت المال : ٥٧ ، ٦٥ ، ٧٢ ، ٢٠١
وكالة السلطان : ٣٢٣
الوكيل : ٩٠
وكيل بيت المال : ٩ ، ٣٢٤ ، ٣٣٠
وكيل قاضي القضاة ابن حجر : ١٩٧
ولاية القاهرة : ١٨٤ ، ٢٠٢

(ى)

يوزباشي : ٣٢٠

٨ - فهرس المصطلحات الفنية

(أ)

- أبيب : ٦٥
أبيض (لئس السلطان في الصيف) : ٢٥١
أذرع : ١٣٧ ، ٦٢
إردب : ٣٦١ ، ١٢٦ ، ٨٥
الإشهاد : ١٧٤
إصبع (أصابع) : ١٣٦ ، ٨٨ ، ٧٩ ، ٧٣ ، ٦٥ ، ٦٤ ، ٦٢ ، ١٤٣ ، ١٤٨ ، ١٥٢ ، ١٦٢ ، ٢٧٤ ، ٣٤٦ ، ٣٥٤ ، ٣٦١
أطباق : ٧٦
الأمشاط : ٧٥
أوقية : ١٨٨
أيام النسيء : ٧٩

(ب)

- بابة : ١٦٥ ، ١٦٤ ، ١٦٢
بارود : ٢٧٧
باع : ١٠٩
برج الحمل : ١١٥
برك : ٣٠٠

برمهات : ٢٠٩ ، ٥٠ ، ٤٢
بشاطر : ١٠٢
بطاقة : ٢٥٧ ، ١٧٩
بطة : ٧٦
بقساط : ٢٩٧ ، ١٠٢
البهار : ٣١٨ ، ٣١٣ ، ٢١٧ ، ٢٠٥ ، ١٥١ ، ١٥٠
بوق : ٢١١
بؤونة (بؤنة) : ٢٧٤ ، ١٣٧ ، ٧٣
بيضة : ٢٠٧

(ت)

تبين : ١٥٢ ، ٨٨ ، ٨٤
التخت : ٢١٩ ، ٢١١
تخت الملك : ٢٣٣ ، ١٩
ترس : ٢٨٥ ، ٤٠
الترسيم : ٣١٦ ، ٣١٤ ، ١٩٢ ، ٥٧
التقدمة : ٢٩٨ ، ٢١٢
توت : ٣٦١ ، ٣٥٥ ، ٣٥٤ ، ٧٩
توريقة : ٥
توقيع : ٢٣٩

(ث)

الثقاف : ١١٠
الثوب : ١٩٥

ثياب بعلبيكي : ٧٢ ، ٥٨

(ج)

الجواهر : ٢٦٥

جريدة : ٣٠٢

الجميلون : ٧٧

الجميز : ٢٢٧

الجنائب : ٢١١

(ح)

الحجلة : ١٢١

الحديد : ٧٨ ، ١٤٧ ، ١٥٤ ، ١٨٠ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧

الحذاء : ٨٤

(خ)

خاروق : ٣٥٨

الخزانة : ٢٦٢

خف (أخفاف) : ٨٤

خلع : ٥ ، ١٩٥ ، ٢٢٤ ، ٢٧٦ ، ٣٤٧ ، ٣٦٨

خلعة : ١٥ ، ١٦ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٨٠ ،

١١٥ ، ١٣٠ ، ١٣٧ ، ١٥٥ ، ١٥٨ ، ١٨١ ، ١٨٧ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ،

٢٢٨ ، ٢٤١ ، ٢٤٧ ، ٢٥٥ ، ٢٥٨ ، ٢٦١ ، ٣٠٩ ، ٣١٨ ، ٣٢٢ ،

٣٢٤ ، ٣٣٠ ، ٣٤٤ ، ٣٥٤ ، ٣٤٩

خلعة الإستدارية : ١٦٠

خلعة الاستمرار : ٢٠٩
خلعة بطرز : ٣٦٥
خلعة بيضاء : ٦٤
خلعة السفر : ٢٦٠
خلعة السلطان : ٣٤٩ ، ٣٣٦ ، ٢٤٦
خلعة الشتاء : ١٠٨
خلعة القضاء : ٣٥٣
خلعة المشيخة : ٣٢٦
خلعة الوزر : ١١٢
الخوذة : ٢٠٧
الخيمة : ٧٧

(د)

درج : ٣٥٥
درجة : ٢٧٥
درع : ٢٠٧
درهم (دراهم) : ٨٥ ، ٨٧ ، ١٣٥ ، ١٤٢ ، ١٥٦ ، ١٧١ ، ١٧٣ ،
١٧٧ ، ١٨٩ ، ٢٢٢ ، ٢٣٧ ، ٢٥٢ ، ٢٧١ ، ٣٢٠
الدرهم الشرقي : ٢٣٧
دراهم مصرية : ١٢٦
دروع : ١٤٦
دريس : ٨٤
الدست : ٦٠

دنانير (دينار) : ٥ ، ٧ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٧ ، ١٨ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٤١ ،
٤٧ ، ٥٢ ، ٥٨ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٨٢ ، ٨٣ ،
٨٥ ، ٨٧ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ١٠٥ ، ١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ،
١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ،
١٥٨ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ، ١٨٦ ، ١٨٩ ،
١٩٠ ، ١٩٣ ، ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢١٣ ،
٢١٤ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٤٧ ،
٢٤٨ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٨ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ،
٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣١١ ، ٣١٢ ،
٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢٢ ،
٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٨ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ،
٣٣٨ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٧ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥٨ ،
٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦٥ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧٢

دنانير البنادقة : ١٥٠

دنانير الفرنج : ١٥٠

(ذ)

ذراع : ٧٣ ، ٧٩ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩٧ ، ١٠٩ ، ١٢٠ ، ١٢٥ ، ١٤٣ ،
١٤٨ ، ١٥٢ ، ١٦٢ ، ٢٧٤ ، ٣٤٦ ، ٣٥٤ ، ٣٦١ ،
ذهب : ٧١ ، ٧٢ ، ١٦٦ ، ١٦٥ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٣٠٥ ،
٣٤٩ ، ٣٦٠

(ر)

رسم : ١٦ ، ٥٢ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٢٢٧ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٥١ ،

٣٠٢، ٣١٦، ٣١٧، ٣٤٨
رطل (أرطال) : ١٨٠، ١٨٨، ٢٥٢
رطل مصري : ٢٣٧
رمح : ٢٨٤
ربيع : ٢٠٦

(ز)

زقاق : ٢٥٤
زلاية : ٧٦، ٣١٦
زنجير : ١٦، ١٧، ١٣٩، ١٤٧، ٣٠١، ٣٣٢، ٣٣٧، ٣٣٨

(س)

سحابة : ٧٧
سرج : ٣١٢
سرج ذهب : ٣٦٥
سك : ١٦٠
سكاكين : ٧٨
السلاح : ٨٤، ١٢٥، ٢٠٧، ٢٧٧، ٢٩٣
سلورة : ٢٢٧
سباط (أسمطة) : ٧٧، ٢٥٤
سمور : ١٩٣، ٢٧٣
سهام (سهام، أسهم) : ١٨٠، ١٨٢، ٢٩٩، ٣٠١

السواد الخليفتي : ٢١١
السيبة : ٧٧
سيف (سيوف) : ٧٨ ، ١٢٩ ، ١٤١ ، ١٦٨ ، ٢٨٤

(ش)

الشاش : ٢٧٧ ، ٣٣٨
الشبابية : ٢١١
الشبابية السلطانية : ٢١١
شباط : ٢٠٩
الشواني : ١٧٣

(ص)

الصارية : ٩٧
الصرة : ٢٢٠
صك : ٥
صنجارة : ١٦٨
الصوف : ١٨٥
الصولجان : ٢٥٥
صولجان الملك : ٢٥٥
صيني : ٢٩١

(ض)

الضيقة : ٢٠٦

(ط)

طبر (أطبار) : ٣٧٦

طرحة : ٨٠

طوبه : ١٠٧

طير : ٢١١

(ع)

عبرة : ٨٧

عصى : ٧٨

عليقة : ٧٣ ، ٧٤

عمارة : ١٧٤

عمارة السلطان : ١٧٤

العمامة : ٢٠ ، ٨٠ ، ١٦٨ ، ١٩٤ ، ٢٢٠ ، ٢٦٨ ، ٢٨٤

(غ)

الغراب : ٢٢٧

(ف)

فأس : ٣٧٦

فدان : ٨٧ ، ٢٠٧

فضة : ٨٤ ، ١٦٢

فلفل : ٣٢٤

فلوس : ١٨٩ ، ٢٣٧

(ق)

قباقيب : ٣٢٥

قبة : ٢١١

قدور النفط : ١٨٢

قرقورة (سفينة) : ٩٠

القصة : ٤٨ ، ٦٥ ، ١٦٥ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨٩ ، ٢١٢ ،

٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٧١ ، ٣٥٩

قَلْع : ٩٠

قماش : ٢٧٧ ، ٢٩٦

قميص : ٢٠٧

قناديل الحجرة الشريفة : ١٦٧

قنطار مصري : ٢٥٤

القوس : ١٢٥

قيراط : ٢٣٧

(ك)

كاملية : ٩٧ ، ١٠٥ ، ٣٢١

بيضاء : ٢٧٣

الكرة : ٢٥٥

كفيات : ١٨٢

كنبوش : ٣٦٥

(ل)

لجم (لجام) : ٨٤

لبوس : ٢٨٢

(م)

مثال : ٣٩ ، ١٧٤

مجذاف : ١٧٣

مجن : ٤٠

محفة : ٥٣

محفظة : ٢٢١

المدافع : ٢٨٢ ، ٢٩٩ ، ٣٠٨

مدورة : ١٧ ، ١٠٩

المراكب (مركب) : ٩٠ ، ٩٧ ، ٢٧٧

المربعات : ١٧٤

المرسوم (المراسيم) : ٩٧ ، ١٠٨ ، ١٣٩ ، ١٤٤ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ،

١٥٩ ، ١٧٠ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٨٥ ، ٢١٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٨ ،

٢٩٩ ، ٣٠٣ ، ٣٣٣ ، ٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٥٤ ، ٣٧٧

المرسوم السلطان : ١٥٤ ، ٢٥٠

المرسوم شريف : ٢٣٩ ، ٢٩٩

المرسوم المربع : ٢٧١ ، ٣٥٠

المرقعة : ٢١٤

المزمار العراقي : ٢١١

المسابقة : ٦٦

مسرى : ٦٦ ، ٧٣ ، ٧٨ ، ١٤٣ ، ١٤٨ ، ٣٤٦
المشجب : ٧٧
المقارع (مقرعة) : ١١٨ ، ١٥٢ ، ١٧٥ ، ١٩٢ ، ٢١٩
المقاليع : ٣٠٨
مكاحل (مكحلة) : ١٨٠ ، ١٨٢ ، ٢٧٧
مكاحل البارود : ١٨
مناشير (منشور) : ١٧٤ ، ٢١٢
منظرة : ١٥٦
مهاميز : ٨٤
موكب سلطاني : ١٥٠
ميل : ٤٢ ، ٩٢

(ن)

النَّيْل : ٣٠٨
النحاس : ١٢ ، ٨٧ ، ١٦٦
النشاب : ٣٠٨
النفر : ٢٢٠
النفط : ١٨٠
التغير : ٢١١
النقد : ٢٩١ ، ٣٠٥ ، ٣١٨
النمشا : ٢٨٥

(هـ)

هتور : ١٤٣ ، ١٧١ ، ١٨٥

(ى)

الياسمين : ١٢٥

اليراع : ٢١١

يكتب : ١٧٤ ، ١٨٩ ، ١٩٢ ، ٢١٢ ، ٣٥٩

اليكتبات : ١٨١

٩ . فهرس الخزوات

(ت)

تجريدة البحيرة : ٣٢٩

تجريدة سوار : ٣٢٨

(ش)

شاه سوار : ٢٢٠

(و)

وقعة رودس : ٣٢١

وقعة سوار : ٣٧١

وقعة الأمير نكير : ٢٦٢

١٠ - فهرس أسماء الكتب

الكتاب	المؤلف	الصفحة
الأحكام السلطانية	أبو الحسن علي الماوردي	٣٧٥
أدب الدنيا والدين	أبو الحسن علي الماوردي	٣٧٥
الإلياذة	—	٣١
الإنجيل	—	٢٢٥
أنوار التنزيل وأسرار التأويل	البيضاوي	٢١٦
البحر المحيط	الزركشي	٣٧٦
تاريخ الحافظ بن حجر	ابن حجر	٣٦٠
التاريخ المظفري	ابن أبي الدم	٣١
التذكرة	أحمد الشهاب الحجازي	٢٢١
التعريفات	ابن عربي	٦١
التورات	—	٥٦
تقاسيم الحكمة	ابن سينا	٤٣
حاشية على الشفا	أحمد الشمني	١٩٦
حاشية على المغني	أحمد الشمني	١٩٦
حبيب الحبيب	أحمد الشهاب الحجازي	٢٢١
الديباج في توضيح المنهاج	الزركشي	٣٧٦
الرضى شرح الحاجبية	أحمد الشمني	١٩٦
روض الأدب	أحمد الشهاب الحجازي	٢٢١

الكتاب	المؤلف	الصفحة
الروضة	النوري	١١٦
الشامل في الطب	ابن النفيس	٤٤
الشاهنامة	الفردوسي	٣١
شرح الإبريز فيما يقدم على مؤونة التجهيز	حسن بن محمد الشريف النسابة	١١
شرح البخاري	ابن الملقن	١١٦
شرح تنقيح اللباب للعراقي	حسن بن محمد الشريف النسابة	١١
شرح جمع الجوامع للسبكي	الزركشي	٣٧٦
شرح جمع الجوامع للسبكي	الجلال المحلي	٣٦٢
شرح العمدة	ابن الملقن	١١٦
شرح القانون في الطب لابن سينا	ابن النفيس	٤٤
شرح النقابة في الفقه	أحمد الشمني	١٩٦
الشفاء	ابن سينا	٤٣
صحيح البخاري	الإمام البخاري	٣١، ١٦١، ٢٨٩، ٣٠١
الفتوحات المكية	ابن عربي	٦١
القانون في الطب	ابن سينا	٤٣
قانون الوزارة وسياسة الملك	أبو الحسن علي الماوردي	٣٧٥
الكافية في النحو	ابن الحاجب	١٩٦
كتاب التاريخ	ابن أبي الدم	٣١
كتاب المناسبات	البقاعي	٥٥
كتاب النيل	أحمد الشهاب الحجازي	٢٢١
الكشاف عن حقائق التنزيل	الزنجشيري	٢١٦
محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار	ابن عربي	٦١
مفاتيح الغيب	ابن عربي	٦١
المناسبات بين الآيات	البقاعي	٢٩٤
مناهج الطالبين في مختصر المحرر في فروع الشافعية	النووي	١٨٦

الصفحة	المؤلف	الكتاب
٤٤	ابن النفيس	المهذب في الكحل
٤٤	ابن النفيس	الموجز
٢٢١	أحمد الشهاب الحجازي	نديم الكتيب
١١	حسن بن محمد الشريف النسابة	نزهة القصاد في شرح كفاية العقاد لابن عماد
٦١	ابن عربي	نصوص الحكم

١١ - فهرس مصادر ومراجع التحقيق

- ابن الأثير : علي بن أبي الكرم محمد بن محمد (ت ٦٣٠ هـ)
الكامل في التاريخ
بيروت : صادر ، ودار بيروت ١٣٨٥ هـ
الأسنوي : جمال الدين عبد الرحيم (ت ٧٧٢ هـ)
طبقات الشافعية
تحقيق : عبد الله الجبوري
الرياض : دار العلوم ، ١٤٠١ هـ
ابن إياس : محمد بن أحمد الحنفي (ت ٩٣٠ هـ)
- بدائع الزهور في وقائع الدهور (تاريخ مصر) ط ١ ،
القاهرة : المطبعة الأميرية ببولاق ، ١٣١١ هـ
بدائع الزهور في وقائع الدهور (صفحات لم تنشر)
تحقيق : د / محمد مصطفى
مصر : دار المعارف ، ١٩٥١ م
البخاري : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي
(ت ٢٥٦ هـ)
صحيحه
تركيا ، استانبول : المكتبة الإسلامية ، ١٩٧٩ م
البستاني : المعلم بطرس
محيط المحيط
بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٨٧ م

ابن بطوطة : أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي (ت ٧٧٩هـ)
تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (رحلة
ابن بطوطة)

بيروت : دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٤٠٠هـ
البغدادى : أبو بكر أحمد بن علي الخطيب (ت ٤٦٣هـ)
تاريخ بغداد ، أو مدينة السلام

بيروت : دار الكتاب العربي
البقاعي : برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر (ت ٨٨٥هـ)
عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران
مخطوط ، بجامعة أم القرى ، بمكة المكرمة
بك : أحمد عيسى (الدكتور)

تاريخ البمارستانات في الإسلام
ط ٢ ، بيروت : دار الرائد العربي ١٤٠١هـ
ابن البيطار : ضياء الدين عبد الله بن أحمد الأندلسي المالقي
(ت ٦٤٦هـ)

الجامع لمفردات الأدوية والأغذية .
بغداد : مكتبة المثنى ، طبعة معادة بالأوفست
ابن تغري بردي : جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ)
- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي
القاهرة : : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٨٤ ، ٨٥ ،
١٩٨٦م

- الدليل الشافي على المنهل الصافي
تحقيق : فهم محمد شلتوت
القاهرة : مطبعة الخانجي
- حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور (منتخبات منه)

حرَّرها ، وليام بَرَّ

أمريكا ، كاليفورنيا : ١٩٣٠ م

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة

القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب

الجزيري : عبد القادر بن محمد بن عبد القادر الأنصاري (ت ٩٧٧ هـ)

درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة

القاهرة : المطبعة السلفية ومكتبتها ، ١٣٨٤ هـ

ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي

(ت ٥٩٧ هـ)

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم

ط ١ ، حيدر آباد الدكن : مطبعة دائرة المعارف العثمانية

١٣٧٥ هـ

ابن الجيعان : شرف الدين يحيى بن شاعر بن الجيعان (ت ٨٨٥ هـ)

كتاب التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية

القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٩٧٤ م

حاجي خليفة : مصطفى بن عبد الله القسطنطي الرومي الحنفي ملا

كاتب الجلبلي (ت ١٠٦٧ هـ)

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون

دار الفكر ، ١٤٠٢ هـ

الحاكم : محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ)

المستدرك

ط دار الكتاب العربي

ابن حَجَر : شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني

(ت ٨٥٢ هـ)

- تهذيب التهذيب

- ط ١ ، حيدر آباد : مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية
- إنباء العُمر بأبناء العمر في التاريخ
ط ٢ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٦ هـ
الحري : إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشير (ت ٢٨٥ هـ)
كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة
تحقيق : حمد اجاسر
الرياض : ١٣٨٩ هـ
الحموي : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦ هـ)
معجم البلدان
بيروت : دار صادر ، ودار بيروت
الحميري : محمد بن عبد المنعم (ت ٧٢٧ هـ تقريباً)
كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار
تحقيق : د / إحسان عباس
بيروت : دار القلم ، ١٩٧٥ م
الحنبلي : أبو الفلاح عبد الحي بن العماد (ت ١٠٨٩ هـ)
شذرات الذهب في أخبار من ذهب
بيروت : المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع
ابن حوقل : أبو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت ٣٦٧ هـ)
كتاب صورة الأرض
بيروت : دار مكتبة الحياة
خسرو : ناصر (ت ٤٤٤ هـ)
سَفَرُ نَامَةِ
تعريب يحيى الخشاب
ط ٢ ، بيروت : دار الكتاب الجديد ١٩٧٠ م
ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد الحضرمي المغربي (ت ٨٠٨ هـ)

تاريخه

بيروت : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر
(٦٨١هـ)

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان

تحقيق : إحسان عباس

بيروت : دار الثقافة

ابن دقماق : إبراهيم بن أيذر العلاني (ت ٨٠٩)

الانتصار لواسطة عقد الأمصار في تاريخ مصر
وجغرافيتها

بيروت : المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر

الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ)

- سير أعلام النبلاء

ط ١ ، بيروت : مؤسسة الرسالة

- العبر في خبر من غبر

تحقيق : أبوها جر محمد السعيد بن بسيوني زغلول

بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥هـ

الرصافي : معروف

الآلة والأداة ، وما يتبعها من الملابس والمرافق والهنات

تحقيق : عبد الحميد الرشودي

بغداد : دار الرشيد ١٩٨٠م

الزركلي : خير الدين

الأعلام

ط ٣

السبكي : تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي

(ت ٧٧١هـ)

طبقات الشافعية الكبرى

تحقيق : محمود محمد الطنامي وعبد الفتاح محمد الحلوة

القاهرة : دار إحياء الكتب العربية

السخاوي : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ)

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع

بيروت : دار مكتبة الحياة

- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة

القاهرة : دار نشر الثقافة ، ١٣٩٩هـ

ابن سلام : أبو عبيد القاسم (ت ٢٢٤)

كتاب السلاح

تحقيق : د / حاتم صالح الضامن

ط ٢ ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥هـ

السيوطي : الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)

- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة

تحقيق : أبو الفضل إبراهيم

ط ١ ، القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٨٧هـ

- نظم العقيان في أعيان الأعيان

حرره : فيليب حتي

نيويورك : المكتبة السورية ، ١٩٧٧م

ابن سيّدة : أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي الأندلسي (ت ٤٥٨هـ)

المخصص

بيروت : دار الفكر

أبو شامة : شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت ٦٦٥هـ)

كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية

تحقيق : محمد حلمي محمد أحمد
القاهرة : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة
والنشر، ١٩٦٢م
ابن شداد : بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم (٦٣٢هـ)
النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين
(

تحقيق : د / جمال الدين الشيال
ط ١ ، القاهرة : الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٤م
الصفدي : صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٤٩هـ)
كتاب الوافي بالوفيات
نشر ، دار نشر فرانز شتاينر بقسبادن
الصيرفي : علي بن داود الجوهري (ت ٨٨٩هـ)
إنباء المصير بأبناء العصر
تحقيق : د / حسن حبشي
القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٩٧٠م
الظاهري : غرس الدين خليل بن شاهين (ت ٨٧٣هـ)
كتاب زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك
صححه : بولس راويس
باريس : المطبعة الجمهورية ١٩٨٤م
عاشور : سعيد عبد الفتاح (الدكتور)
العصر المماليكي في مصر والشام
ط ١ ، القاهرة : دار النهضة العربية ١٩٦٥م
العصامي : عبد الملك بن حسين بن عبد الملك (ت ١١١١هـ)
سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي
القاهرة : المطبعة السلفية ومكتبتها

علي : محمد كرد

خطط الشام

ط ٢ ، بيروت : ١٣٩١ هـ

العمرى : شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت ٧٤٩ هـ)

- التعريف بالمصطلح الشريف

تحقيق : محمد حسين شمس الدين

ط ١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٨ هـ

- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (دولة المماليك الأولى)

دراسة وتحقيق : دُورُوتَا كرافولسكي

ط ١ ، بيروت : المركز الإسلامي ، ١٤٠٧ هـ

- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (قبائل العرب في القرنين السابع والثامن الهجريين)

دراسة وتحقيق : دُورُوتَا كرافولسكي

ط ١ ، بيروت : المركز الإسلامي للبحوث ، ١٤٠٦ هـ

الفيروز آبادي : مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧ هـ)

القاموس المحيط

بيروت : المؤسسة العربية للطباعة والنشر

الفيومي : أحمد بن محمد بن علي المقري (ت ٧٧٠ هـ)

المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي

تصحیح مصطفى السقا

مصر : مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

القلقشندي : أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ)

- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء

نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية بالقاهرة

- قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان

تحقيق : إبراهيم الأبياري

ط ١ ، القاهرة : مطبعة السعادة ، ١٣٨٣ هـ

- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب

بيروت : دار الكتب العلمية

ابن كثير : إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير (ت ٧٧٤ هـ)
البداية والنهاية

ط ١ ، بيروت : مكتبة المعارف ، ١٩٦٦ م

كحالة : عمر رضا

- معجم المؤلف (تراجم مصنفّي الكتب العربية)

بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ومكتبة المثنى

- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة

ط ٢ ، بيروت : دار العلم للملايين ، ١٣٨٨ هـ

لسترنج : كي

بلدان الخلافة الشرقية

ترجمة : بشير فرنسيس ، وكوركيس عواد

ط ٢ ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥ هـ

ماجد : عبد المنعم (الدكتور)

نُظُم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر

القاهرة : الأنجلو المصرية ، ١٩٦٧ م

ابن ماجه : الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥ هـ)

سننه

تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي

ط دار إحياء الكتب العربية

ماير : ل . أ

الملابس المملوكية

ترجمة : صالح الشيتي

القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب

- مبارك : علي باشا (ت ١٣١١ هـ)
الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها
القديمة والشهيرة
ط ١ ، القاهرة : المطبعة الأميرية ببولاق ، ١٣٠٥ هـ
مجموعة من الأساتذة
أطلس العالم
بيروت : مكتبة لبنان
المحامي : محمد فريد بك
تاريخ الدولة العلية العثمانية
تحقيق : د / إحسان حقي
ط ٥ ، بيروت : دار النفائس ، ١٤٠٦ هـ
مفتاح : رمزي (الدكتور)
إحياء التذكرة في النباتات الطبية والمفردات العطارية
ط ١ ، القاهرة : مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ،
١٣٧٢ هـ
المقريزي : تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقريزي (ت ٨٤٥ هـ)
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية)
بيروت : دار صادر
المعجم الوسيط :
ط ٢ ، القاهرة : دار المعارف ، ١٣٩٣ هـ .
ابن منظور : جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (ت ٧١١ هـ)
لسان العرب
طبعة مصورة عن طبعة بولاق بالقاهرة .
الموسوعة العربية الميسرة :
صورة عن طبعة ١٩٦٥ م
القاهرة : دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر

مؤنس : حسين (الدكتور)

أطلس تاريخ الإسلام

ط ١ ، القاهرة : الزهراء للاعلام العربي ، ١٤٠٧ هـ

الميداني : أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد النيسابوري (ت ٥١٨ هـ)

مجمع الأمثال

تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد

ط ٣ ، دار الفكر ، ١٣٩٣ هـ

نصر : محمد سيد (وآخرون)

أطلس العالم

لبنان : بيروت ، مكتبة لبنان

النعيمي : عبد القادر بن محمد الدمشقي (ت ٩٢٧ هـ)

الدارس في تاريخ المدارس

تحقيق : جعفر الحسيني

القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية ، ١٩٨٨ م

النويري : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٢٣ هـ)

نهاية الأرب في فنون الأدب

نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب

الوزان : جان ليون الأفريقي (الحسن بن محمد الزياتي)

وصف إفريقيا

ترجمة من الإيطالية إلى الفرنسية : آ . إيبولار وترجمة من

الفرنسية إلى العربية : د/ عبد الرحمن حميدة .

الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

هاوارد : هاري ، و

أطلس التاريخ الإسلامي

ط جامعة برنستون : ١٩٥٤ م

ترجمة مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر

١٢ - فهرس الموضوعات

٩٥ - ٥

حوادث ووفيات سنة ٨٦٣ هـ

١٦ - ٥

محرم

١٩ - ١٦

صفر

٢٣ - ١٩

ربيع الأول

٤١ - ٢٣

ربيع الآخر

٤٨ - ٤١

جمادي الأولى

٥١ - ٤٨

جمادي الآخرة

٦٠ - ٥١

رجب

٦٣ - ٦٠

شعبان

٦٧ - ٦٣

رمضان

٧٩ - ٦٧

شوال

٨٨ - ٧٩

ذي القعدة

٩٥ - ٨٨

ذي الحجة

١٦٥ - ٩٥

حوادث ووفيات سنة ٨٦٤ هـ

١٠٤ - ٩٥

محرم

١٠٩ - ١٠٤

صفر

١١٠ - ١٠٩

ربيع الأول

١١٤ - ١١٠

ربيع الآخر

١١٩ - ١١٤

جمادي الأولى

١٢٧ - ١١٩	جمادي الآخرة
١٢٩ - ١٢٧	رجب
١٣٣ - ١٢٩	شعبان
١٤١ - ١٣٣	رمضان
١٤٨ - ١٤١	شوال
١٦١ - ١٤٨	ذي القعدة
١٦٥ - ١٦١	ذي الحجة
٣٨٢ - ١٦٥	حوادث ووفيات سنة ٨٦٥ هـ
١٨١ - ١٦٥	محرم
١٨٧ - ١٨١	صفر
١٩٣ - ١٨٧	ربيع الأول
٢٠٥ - ١٩٣	ربيع الآخر
٢٢٨ - ٢٠٥	جمادي الأولى
٢٤٣ - ٢٢٨	جمادي الآخرة
٢٥٤ - ٢٤٣	رجب
٢٦٨ - ٢٥٤	شعبان
٣١٠ - ٢٦٨	رمضان
٣٤٢ - ٣١٠	شوال
٣٦٥ - ٣٤٢	ذي القعدة
٣٨٢ - ٣٦٥	ذي الحجة

الفهارس العامة

- ١- فهرس الآيات القرآنية ٣٨٧-٣٨٤
- ٢- فهرس الأحاديث النبوية ٣٨٨
- ٣- فهرس القوافي ٣٨٩

- ٤- فهرس الأعلام ٤٤٦-٣٩٠
٥- فهرس الفرق والطوائف والأمم والقبائل .. ٤٥٨-٤٤٧
٦- فهرس الأماكن والمواضع والبلدان ٤٩٥-٤٥٩
٧- فهرس المصطلحات الإدارية
والعسكرية والوظائف ٥٣٠-٤٩٦
٨- فهرس المصطلحات الفنية ٥٤٢-٥٣١
٩- فهرس الغزوات ٥٤٣
١٠- فهرس أسماء الكتب ٥٤٦-٥٤٤
١١- فهرس مصادر ومراجع التحقيق ٥٥٧-٥٤٧
١٢- فهرس الموضوعات ٥٥٩-٥٥٨

رقم الإيداع

٩٣/٥٣٢٥

عربية للطباعة والنشر

١٠٠٧ شارع السلام- أرض اللواء المهندسين

ت: ٣٠٣٦٠٩٨